

بِسْمِ الْعَلِيِّ

فَنَ الْحَرْبِ الْإِسْلَامِيَّةِ

عَمَلِيَّاتُ الْجَبَّةِ الْغُرَبِيَّةِ : فُؤَحْ مَصْرَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ



المجلد الثاني

دار الفكر

بِسْمِ الْمَلِكِ

فَرْجُ الْمَلِكِ الْأَسْلَامِيِّ

فِي

عُهُودِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأُمَوِيِّينَ

عمليات الجبهة الغربية فتوح مصر والغرب والاندلس

المجلد الثاني

دار الفكر

فن الحرب
في
عهود الخلفاء الراشدين والأمويين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ الْمَسِيحِ

فَنَ الْجَرْبِ الْإِسْلَامِي

فِي

عُهُودِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأُمَوِيِّينَ

المجلد الثاني

عمليات الجبهة الفهية

فتوح مصر والغرب والاندلس

دار الفكر


للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق اعادة الطبع محفوظة للناس

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المكاتب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص ب : ١١/٧٠٦١
٨٣٨٢٠٢
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٣٩٠٦٦٣ | ٨٣٧٨٩٨
برقيا : فكيف - تليكس : ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

بيروت
لبنان



الإهداء

الى المؤمنين بقوله تعالى والعاملين بما انزله ؛
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم
من قضى ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

والى العاملين بما انزله ؛
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما
جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم
صدق الله العظيم

المقدمة

من أول أهداف التصدي لمعالجة « فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين » هو إبراز معالم الفتوحات العربية الإسلامية ووضعها في إطار يتوافق مع روح العصر وذلك من خلال عرض « الأحداث التاريخية » وتحليلها بصورة منهجية « مبرجة » تتوافق مع الواقع - قدر المستطاع - دونما مبالغة تنتهي إلى شطحات طوباوية تضر بهذا الواقع وتفسده ومن غير تحريف يفسد هذا الواقع أيضاً وينتهي به إلى تشويه مدمر .

- لقد برزت من خلال هذا العمل حقائق موضوعية تنقض المسلمات التي تتداولها كتب التاريخ الحديثة والتي تفرسها في العقول عن عمد أو غير عمد . - وأول هذه المسلمات [أن الفتوحات العربية - الإسلامية قد حدثت في غفلة من الدهر كانت فيه الامبراطوريات العظمى التي تصدت للفتوحات - كفارس وبيزنطة - في وضع الانهيار بحيث لم يلق العرب المسلمون في فتوحاتهم مقاومة كبيرة فأطاحوا بتلك الامبراطوريات وانتشروا في كل بقعة من العالم القديم] . - ومن تلك المسلمات أيضاً [أن الفتوحات العربية الإسلامية قد حدثت بتأثير الحاجة .. والفقر ، والصراع على موارد العيش] واسقاط العامل الروحي والمعنوي الذي كان له الدور الأول والحاسم في انجاز الفتوحات والانطلاق إلى كل صقع من العالم - تلك هي بعض المسلمات لا كلها - وهي مسلمات خاطئة .

خاطئة لأن فارس لم تكن على مثل هذه الدرجة من الضعف وهي التي

استطاعت قبل الفتوحات الاسلامية بسنوات قليلة أن تصل بجيوشها إلى قرب العاصمة البيزنطية وتحتل بلاد الشام ومصر ، حيث نزلت الآية الكريمة :

[آلم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون ، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ..] الآية ١ - ٤ - الروم .

ولم تكن بيزنطة على مثل هذه الدرجة من الضعف وهي التي استطاعت بعد تسع سنون أن ترد الضربة وتقوم بهجوم حاسم يصل بقواتها حتى عاصمة « فارس » ..

- لم تكن فارس على مثل هذه الدرجة من الضعف وهي التي زجت في القادسية ١٣٠,٠٠٠ مقاتل ، وزجت في المعارك المتتالية قوات لو حشدت كلها في معركة حاسمة لكانت قوة جيشها يزيد على المليون ، مقابل بضعة آلاف فقط من العرب المسلمين ..

- ولم تكن بيزنطة ضعيفة وقد زجت في معركة اليرموك ٢٤٠,٠٠٠ مقاتل وفي اجنادين ٨٠,٠٠٠ وفي بقية المعارك قوى متفرقة لو حشدت كلها لشكلت جيشاً يزيد على المليون ، مقابل ٣٠,٠٠٠ فقط من قوة العرب المسلمين ..

ولم تكن الحامية المدافعة عن مصر ضعيفة يوم هاجها عمرو بن العاص ، فقد كانت حامية الاسكندرية وحدها ١,٠٠٠,٠٠٠ مقاتل ، وزجت القيادة في معركة أم دنين ٨٠,٠٠٠ مقاتل . وكان في بابلليون والفرماء والمواقع الأخرى قوات تزيد في مجموعها على نصف مليون مقابل ثمانية آلاف فقط ..

- وجابه العرب المسلمون عند فتح ليبيا وفي معركة القعوبة ١٢٠,٠٠٠ مقاتل وكانت قوتهم ٢٠,٠٠٠ فقط ..

- وجابه العرب المسلمون عند فتح تونس وفي معركة « الأجم » ٣٠,٠٠٠ مقاتل مقابل عشرة آلاف ..

– ولم تكن قوات فتح اسبانيا تزيد على بضعة آلاف ، مقابل عشرات الآلاف ..

وإذا ما أخذ بعين الاعتبار ميزان القوى فإن هذا الميزان لم يكن أبداً في صالح العرب المسلمين وكان التفوق دائماً في صالح خصومهم بمعدل أقله ثلاثة مقابل واحد وأكثره عشرة إلى واحد أو يزيد . ورغم ذلك انتصر العرب المسلمون ..

– وكان العرب المسلمون في موقف الهجوم ، وكان خصومهم باستمرار في موقف الدفاع ، فإذا ما أخذ بالموازين التقليدية وجب أن يكون ميزان القوى لصالح العرب المسلمين ..

.. لقد انتصر العرب لأنهم مهاجمون ، ولأنهم حاربوا لا بأعدادهم – كما قال الخليفة أبو بكر الصديق ومن بعده الخليفة عمر – وإنما انتصروا بقوة الدين والإيمان ..

وقد يكون من السهل تعليل انتصار العرب بالتمزق الديني الذي كان واقعاً في أقاليم فارس وبيزنطة ومصر وشمال افريقية والأندلس ..

– وقد يكون من السهل أيضاً تعليل انتصار العرب بالتمزق العسكري وضعف الانضباط وأخطاء القيادة . وقد يكون من السهل بعد ذلك تعليل هزيمة فارس وبيزنطة وانتصار العرب بألف مسوغ ومسوغ ، لكن هناك حقائق وفن الحرب يستند إلى الحقائق الموضوعية قبل كل شيء . ومن هنا وعلى ضوء الواقع يمكن القول أن الولايات المتحدة الأمريكية تعاني من تفسخ النظام الاقتصادي وتمزق النظام الاجتماعي ووجود التفرقة العنصرية مما وضع الولايات المتحدة الأمريكية على حافة الإنهيار ..

– ومن الممكن القول أيضاً أن الاتحاد السوفيتي يعاني من كبت الحريات مما تسبب في ظهور حركة « الكتاب » والنشريات السرية وربيع براغ . وأن الاتحاد السوفيتي أيضاً يعاني من التناقضات بين الحزب وجماهير الشعب وبين

الحزب والقيادة وأجهزتها المختلفة مما وضع الاتحاد السوفيتي على حافة الإنهيار..
فكيف إذا حقق الاتحاد السوفيتي النصر في حربه الوطنية العظمى ؟.

- وكيف استطاعت الولايات المتحدة أن تزج جيوشها في الحرب العالمية الثانية فوق كل بقعة من العالم ؟

- ان هذه الأمراض الاجتماعية - رغم وجودها - تضعف من القدرة القتالية وتحبط ارادة القتال عند الأمة وهي توضع في كفة الميزان عند تقدير الموقف ولكنها ليست كل العوامل - انها بعضها وبعضها فقط - .

- ثم كيف استطاعت فييتنام الصغيرة إلحاق هزائم عسكرية بالقوات الامريكية ؟.

السبب ، ليس في ضعف امريكا بل في قوة فييتنام ،وارادتها على انتزاع النصر..
لقد انتصرت ثورة الجزائر « لا بسبب ضعف فرنسا » وإنما بسبب قوة
الجزائر واصرارها على انتزاع النصر مهما بلغت التضحيات ..

هذا هو العامل الثاني - ارادة النصر - ،وهي التي عبر عنها مونتغمري بقوله:
[لا توجد معركة فاشلة إلا إذا أراد لها قائدتها ذلك] .

وعودة إلى المسوعات .

- لم تكن بيزنطة ضعيفة ..

فقد استطاعت زج قوات كبرى في المعركة أو في مجموعة المعارك التي خاضتها
ضد العرب المسلمين ثم تابعت حرب الاستنزاف ضدهم ، وكان الرد الأموي هو
تنظيم الصوائف والشواقي وتصعيد العمليات فيها إلى حرب حقيقية فوصل العرب
في عهد معاوية مرتين حتى أبواب القسطنطينية ، ووصل مسلم بن عبد الملك
بجيوشه حتى القسطنطينية وبقيت قوات العرب المسلمين في حصارها سنة كاملة
وذلك عام ٩٨ هـ ..

كما استطاعت متابعة حروبها بعد قيام الدولة العباسية ووقعة عمورية حلقة

في سلسلة حرب الاستنزاف التي خاضتها بيزنطة ضد العرب المسلمين ..
ومقابل ذلك ، وصلت بيزنطة إلى أبواب دمشق مرات عديدة ، وهاجمت
الاسكندرية بعد الفتح وبقي أسطولها البحري مصدر خطر وازعاج طوال العهد
الاموي وصدر العهد العباسي ، وكان لبيزنطة دور كبير في تحريك عملاتها
والتحريض على الثورة المضادة طوال قرون عديدة بعد الفتح الاسلامي .. وقد
نجحت هذه الثورات المضادة في افريقية الشالية بصورة خاصة - ولو لفترة
محدودة - وكانت بيزنطة تخطط للثورات المضادة وتدعمها بعمليات إنزال بحري ،
وان مثل هذه العمليات لا تقوم بها دولة ضعيفة .

وعلاوة على ذلك فقد استطاعت بيزنطة الصمود على الجبهة الأوربية .

ففي عام ٩٧٠ م حاول الامبراطور والقائد البيزنطي الكبير ايوان سيمبكي
ابعاد الروس عن بلغاريا ، كما كان أمير « كييف » يعد بدوره حملة للهجوم على
القسطنطينية ووصلت قواته إلى البلقان ولكنها عادت بسرعة وتم عقد الصلح
بناء على اقتراح الامبراطور ايوان ..

وفي ربيع عام ٩٧١ م ، ودون النظر إلى معاهدة الصلح أرسل الامبراطور
البيزنطي ٣٠٠ مركب عبر نهر الدانوب وانطلق هو أيضاً بجيش كبير نحو البلقان
حيث وجه ضربة حاسمة إلى الوحدات الروسية الأمامية ووصل إلى مدينة
دوروستلا وحاصرها فترة أشهر ثلاثة ، وانتهت الحرب بعقد صلح بين الطرفين
كان الجانب البيزنطي فيه هو الطرف الأقوى ..

لقد حدثت هذه المعركة بعد الفتح العربي الاسلامي بما يزيد على ثلاثة قرون ،
ولم تسقط بيزنطة إلا بعد الفتح العربي - الاسلامي بثمانية قرون ونيف ، بحيث
يمكن القول : [ان ضعف بيزنطة قد جاء نتيجة لانتزاع مجاها الحيواري وإلحاق
الهزائم المتتالية بقواتها العسكرية] .

• أصيبت بيزنطة بالضعف نتيجة لقوة العرب ، ولم يكن انتصار العرب المسلمين
بسبب ضعف بيزنطة والفرق كبير بين الواقعتين التاريخيتين أو بين الموقفين ..

وما يقال عن بيزنطة يقال عن فارس .

وما يقال عن الدولتين العظيمين يقال أيضاً عن مصر وشمال افريقيا
والأندلس والهضبة الإيرانية ..

كانت قوة العرب وإيمانهم بجمعية النصر من أول عوامل نجاحهم في عملياتهم القتالية . ولقد أساءت بيزنطة وفارس تقدير قوة العرب المسلمين القتالية ولم تتمكن من فهم التبدلات الجذرية التي أحدثها الدين الاسلامي في بعث القوة العربية وتوحيدها وكان لهذا العامل دوره الحاسم فيما حققه العرب المسلمون من انتصارات .

— كان من نتيجة سوء تقدير الموقف ان دفعت بيزنطة وفارس مجموعات متتالية متتابعة لتدمير قوات العرب المسلمين، وطبق العرب المسلمون استراتيجية « بقعة الزيت » أو « الخرشوفة » فأخذوا يدمرون مجموعات العدو على التتابع ويحققون النصر بعد النصر ويوسعون قاعدة عملياتهم خطوة بعد خطوة حتى إذا جاءت المعركة الحاسمة « في اليرموك والقادسية ونهاوند والاسكندرية والأجم وغيرها ... » كانت قوات العرب المسلمين على استعداد نفسي كامل لخوض المعركة بينما كانت إرادة القتال عند خصومهم في حال « احباط كامل » .. وكان في ذلك سبب من أسباب النصر .

— وطبق العرب المسلمون في حروبهم عزل مسرح العمليات وحرمان العدو من امداداته واضعاف شؤونه الادارية فكان في ذلك واحد من عوامل النصر . :
— وبمحت قادة العرب المسلمين عن « المباغتة » في كل معركة من معاركهم وكان في ذلك أحد عوامل نصرهم ..

— وطبق قادة العرب المسلمين مبادئ الاستطلاع ، والحفاظة على الأمن ، والحشد والمرونة وحافظوا على المبادأة وكان في ذلك نصرهم . :

واستخدم العرب المسلمون أسس الحرب النفسية واستراتيجية الهجوم غير المباشر .

— ولم تكن هذه المبادئ جميعاً قد وضعت في قوالب نظرية محددة ومفاهيم ثابتة لكن استعراض مسيرة العمليات تظهر بوضوح تام أن معارك العرب المسلمين قد نفذت في اطار من التنظيم الدقيق والمتوافق مع مبادئ [فن الحرب] في مفاهيمها الحديثة ..

— لقد أظهرت الفتوحات العربية الاسلامية طبقة قيادية على درجة عالية من الكفاءة والذكاء ، وكانت هذه الطبقة القيادية تبحث بروحي من إيمانها عن الوسائل والأساليب التي تضمن لها النصر ، وكانت تطور هذه الوسائل والأساليب تبعاً للمواقف التي تجابهها ، وكان من حصالة التجارب تكون فن الحرب وتطوره في عهد العرب المسلمين .

— وأظهرت مسيرة العمليات القتالية جيوشاً من المقاتلين لم يشهد للعالم مثلها في صلابتها وقسوتها وقدرتها على تحمل المشاق بروح من الاخلاص وانكار الذات لا مثيل لهما في التاريخ .. وكان الإيمان الحافز الأول والأخير للمقاتلين في حروبهم والعامل الاول والاخير في تحمل كل الصعاب ، مما جعل للنصر في قبضة العرب المسلمين .

— ان الفتوحات الاسلامية بمجموعها معارك « عقائدية » هدفها نشر الدين الاسلامي ، وكان الإيمان بواجب نشر الدين وفرض الاسهام به على كل مؤمن ، قد نظم العرب كلهم في جيش شعبي واحد ، وكان في ذلك النصر ..

لقد حقق العرب المسلمون انتصاراتهم :

- ١ — لإيمانهم العميق بحتمية انتصارهم وواجبهم في نشر الدين .
 - ٢ — لتوفر قيادات على درجة عالية من الكفاءة .
 - ٣ — لتطبيق مبادئ « فن الحرب » بمهارة تبعاً للمواقف التي يحاجونها ..
- وكان في ذلك مصدر قوتهم ..

• وقد أخذت بيزنطة — رغم تطورها في فن الحرب — الكثير من المبادئ ونقلتها إلى اوروبا ..

وأخذت أوروبا نتيجة معاركها المستمرة مع العرب في اسبانيا ، ما أحدثه العرب من تطورات في فن الحرب ..

وكانت تجارب « الحروب الصليبية » مجالاً لاقتباس « فن الحرب » عند العرب وتطويره .

لقد جابهت القوات العربية الاسلامية تحديات كبيرة وكانت - لولا إيمانها - دون مستوى التحديات سواء في عددها أو في تسليحها أو في اعدادها ، لكن الإيمان بحتمية النصر هو الذي جعل هذا النصر حليفاً للمؤمنين ..

لقد أعطى العرب المسلمون للعالم علماً وفناً وأدباً ، ولعل « فن الحرب هو من أبرز الفنون التي طورها العرب » وأعطوها للعالم .

وإذا كان بناء الحاضر والمستقبل مرتبط بقاعدة الماضي ، مشدود بثبات إليها ، فما أحوجنا لمعرفة « ما ضمه تراثنا » .

وأرجو مخلصاً أن تكون هذه الدراسة لبنة في معرفة هذا « التراث الخالد » .

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

الفصل الأول

وادي النيل عبر التاريخ

- ١ - الموقع والطبيعة الجغرافية .
- ٢ - الحكم في مصر عبر التاريخ .
- ٣ - مصر في عهد البطالسة .
- ٤ - من البطالسة الى الرومان .
- ٥ - مصر عشية الفتح الاسلامي .
- أ - الوضع الاجتماعي .
- ب - العلاقة بين بيزنطة والفرس .
- ج - المذاهب الدينية .
- د - التنظيم العسكري البيزنطي في مصر .

وادي النيل عبر التاريخ

شهدت رمال وادي النيل أقدم حضارة عرفها التاريخ ، وقد بقي تاريخ مصر القديم محوطاً بهالة من الغموض ، لا يبدد من ظلمته سوى بعض الشواهد العمرانية الفخمة التي صمدت على مدى الدهر - كالأهرامات والمعابد والتماثيل - وسوى بعض كتابات المؤرخين اليونانيين أمثال « هيرودوت وتوسيديد » . ثم جاءت حملة نابليون بونابرت إلى مصر ومعها بعض العلماء . واستطاع شامبليون حل رموز الكتابة الهيروغليفية وأصبح بالامكان قراءة أوراق البردى ونقوش الجدران ففتحت نافذة واسعة أمكن من خلالها تبديد كل غموض وإزالة كل ضباب وظهرت حضارة أصيلة ، عريقة الجذور ، واسعة الأفق ، شاملة لكل جميل ورائع من أدب وفن وعلم في جميع المجالات .

١ - الموقع والطبيعة الجغرافية :

- يحتل وادي النيل الزاوية الشمالية الشرقية من القارة الأفريقية ، ويصب النيل في البحر الأبيض المتوسط ، كما يحتل البحر الأحمر قسماً من الجبهة الشرقية لمصر ، وكان لهذا الموقع أثره الهام في حضارة مصر كنقطة التقاء بين قارات ثلاث أوربا وآسيا وأفريقيا فتفاعلت فوق تربتها أعرق الحضارة وأكثرها أصالة في التاريخ ، وامتزج فيها الفكر اليوناني بالفكر الفارسي ، وساعدت الطبيعة الدافئة على انضاج هذا التفاعل وحفظه على مدى الأيام .

- لقد كان موقع مصر الهام سبباً في دفع كل طامح إلى احتلال وادي النيل وحكمه لكن أصالة الشعب العربي بقيت سداً شامخاً في وجه كل غزو فتعطمت

كل الفتوحات ولم يثبت منها فوق رمال مصر سوى شواهد وآثار تدل على لمصالة عروبة مصر وعمق جذورها في اغوار التاريخ .

— كانت المياه قديماً تغمر وادي النيل وتملؤه بالمستنقعات وهذا ما دفع قدامى المصريين إلى استيطان المرتفعات والهضاب المجاورة للوادي ، وعندما أخذ الجفاف يسيطر على الوادي وانتظم مجرى نهر النيل ظهرت التربة الخصبة فتوجه السكان إلى الزراعة وتبع ذلك تطور المجتمع من النظام القبلي إلى النظام القروي وأقيمت السدود لحماية القرى من الفيضان ولاستثمار المياه لأعمال السقاية ، ثم اجتمعت القرى واتحدت فكونت الدولة وكان لا بد من حدوث صدام بين الدول المختلفة في وادي النيل وانتهى الصدام بتوحيد الكيانات المختلفة في مملكتين احدهما في الجنوب والثانية في الشمال ولم يمض وقت طويل حتى قامت الدولة الواحدة .

— وكان لنهر النيل دور حاسم في فرض نظام الحكم الواحد ، كما كان له دور حاسم في دفع السكان نحو الخضوع للنظام الموحد وفي تقارب نظام العبادة للنهر العظيم الذي حمل الحياة إلى سكان الوادي .

ان أرض مصر هي امتداد طبيعي للصحراء العربية من الشرق وللصحراء الليبية من الغرب وهذا ما دفع بعض المؤرخين مثل « هيرودوت » إلى القول « ان مصر هبة النيل » إذ لولا النيل لما كانت مصر . ومعدل عرض النيل هو كيلو متر في حين يمتد من منطقة البحيرات في افريقيا الوسطى حتى يصب في البحر الابيض المتوسط ويتفرع شمال القاهرة إلى دلتا ، وان هذا التفرع قد ساعد على تقسيم مصر من الناحية الجغرافية الى قسمين واضحين هما :

١ — مصر العليا — أو الوجه القبلي — وتسمى أيضاً الصعيد ، ويشمل هذا القسم المنطقة ما بين اسوان والقاهرة ، وكانت عاصمة هذا القسم قديماً مدينة « طيبة » .

٢ - مصر السفلى - أو الوجه البحري - وتسمى أيضاً الدلتا ، ويشمل هذا القسم المنطقة ما بين القاهرة جنوباً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً ، وأهم مدن هذا القسم قديماً « منف وتنبس » .

٢ - الحكم في مصر عبر التاريخ :

- ان تيار التاريخ هو سيل مستمر لا انقطاع فيه ، لكن ضرورات الدراسة فرضت تقسيم التفاعلات والأحداث التاريخية إلى مراحل ، فكان تاريخ مصر على النحو التالي :

١ - عهد ما قبل التاريخ : - وهو العهد الذي يبدأ بظهور الحياة في وادي النيل وينتهي في عام ٣٢٠٠ ق.م حيث تمكن أحد ملوك الجنوب المعروف باسم يفرمر « مينا » من توحيد وادي النيل وفرض حكمه على الشمال . وأخذ الملوك يحملون لقب « فرعون » ويضعون على رؤوسهم تاجاً مزدوجاً يجمع بين التاج الأبيض رمز ملوك الجنوب والتاج الأحمر رمز ملوك الشمال .

٢ - عهد مصر الموحدة : - وحكمت في هذا العهد ثلاثون أسرة حاكمة ، وقسم علماء التاريخ هذا العهد إلى أقسام أربعة :

١ - قسم الدولة المصرية القديمة : من الاسرة ١ - ١٠

٢ - قسم الدولة المصرية المتوسطة : من الاسرة ١١ - ١٧

٣ - قسم الدولة المصرية الحديثة : من الاسرة ١٨ - ٢٠

٤ - قسم الدولة المصرية الضعيفة أو عهد الانحطاط : من الاسرة ٢١ - ٣٠



- يمتد عهد الدولة المصرية القديمة من سنة ٣٢٠٠ - ٢١٦٠ ق.م وكانت منف عاصمة هذه الدولة . وتعتبر الاسرة الرابعة هي أكثر الأسر العشرة شهرة نظراً لما تركه فراعتها خوفو وخفرع ومنقرع من آثار تمثلت ببناء الاهرامات

الكبرى وتمثال أبي الهول القريب من القاهرة .. وتميز هذا العهد بتمركز السلطة القوي في يد الفراعنة ، لكن انحراف هؤلاء للفراغنة في استخدام السلطة ، وتعميم نظام السخرة لاقامة المشاريع الكبرى وتزايد الظلم دفع بحكام المقاطعات ورجال الدين إلى التكتل وقامت ثورة دامية أطاحت بحكم ملكية منف ، واستقل حكام المقاطعات بأقاليمهم مما أدى إلى ظهور عهد الاقطاع ، وتجزأت مصر وانتشرت الفوضى وكان هذا الوضع المتدهور هو الحافز لقيام عهد الدولة المتوسطة .



— تمتد عهد الدولة المتوسطة من سنة ٢١٦٠ - ١٥٨٠ ق.م ، حكمت خلاله سبعة أسر ، وكانت العاصمة « طيبة » .

— نجح ملوك الأسرة الثانية عشرة في اعادة توحيد وادي النيل بعد سلسلة من المعارك والمفاوضات مع حكام الأقاليم والمقاطعات . وتميز نظام هذا العهد بإعطاء حكام المقاطعات والأقاليم حرية الادارة الذاتية مقابل دعم الحكام لفرعون في حال الحرب إلى جانب تقديم دعم مادي للحكومة المركزية من أجل اقامة المشاريع العمرانية كالري والبناء واقامة السدود . وقد ساعد ذلك كله على ظهور نهضة عمرانية واجتماعية متطورة .

— وفي هذا العهد اجتاحت الهيكسوس مصر ، وهم من القبائل العربية السامية التي قدمت من شبه الجزيرة العربية وسوريا عن طريق شبه جزيرة سيناء ، وقد استمر حكم الهيكسوس ما بين ١٧٣٠ - ١٥٨٠ ق.م ، وساعد التمزق الداخلي في مصر هؤلاء الملوك الدعاة على تمزيق الجيوش المصرية ، كما ساعدهم أيضاً استخدامهم للأسلحة الجديدة ، كالعربات التي تجرها الخيل ، والحتاجر البرونزية مما لم يكن يعرفه المقاتلون المصريون .

حاول الملوك الدعاة تقليد المصريين في ماكلهم وملبسهم وحياتهم على أمل الاندماج بالشعب المصري ، لكن بقاء الأسرة الحاكمة في طيبة وفشل الهيكسوس في

السيطرة على مصر العليا والتفاف المصريين حول ملوكهم لمقاومة « الغزاة » قد ساعد على تصعيد المقاومة التي وصلت ذروتها في عهد أحسن الأول ، من الأسرة السابعة عشرة وانتهت بإخراج الهيكسوس من مصر وانطلق أحسن الأول في مطاردة فلولهم حتى وصل جنوب سوريا . وانتهى بذلك عهد الدولة المتوسطة ليبدأ عهد الدولة المصرية الحديثة .



حكمت مصر ما بين عام ١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق. م ثلاثة سلالات من ١٨-٢٠ وبقيت مدينة طيبة عاصمة « للامبراطورية » ، وقد بدأت هذه السلالات عهدها بنهضة عسكرية وعمرانية ، وأراد فراعنتها تحصين شرق الدلتا ، واحتاجوا إلى المواد الأولية فقام تحتمس الثالث « ١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق. م » بغزو سوريا مستهدفاً الحصول على الخشب من لبنان والنحاس من سيناء . ووقعت بين تحتمس الثالث والامراء السوريين معركة في سفوح جبال الكرمل قرب حيفا عام ١٤٦٨ ق. م عرفت بمعركة مجدو ، وانتصر تحتمس ثم تابع تقدمه ، وقاد مجموعة من المعارك انتهت بقيام امبراطورية قوية امتدت من السودان جنوباً إلى سوريا شمالاً ، وشهدت مصر في عهد تحتمس الثالث من الرخاء والازدهار ما لم تعرفه من قبل .

— لم يتمكن خلفاء تحتمس الثالث من المحافظة على امبراطوريتهم ، وصرفتهم الخلافات المذهبية والمنازعات الداخلية ، ولا سيما في عهد امنحوتب الرابع « اخناتون » ١٣٧٢ - ١٣٥٤ ق. م . الذي فرض عبادة إله الشمس « اتون » وطارد كهنة الديانة القديمة واضطهد اقباعهم واغلق معابدهم ونقل العاصمة من طيبة « الى اخيت - اتون » . وشعر الامراء السوريين بضعف الدولة فاستقلوا بحكم اقاليمهم وبدأ الحثيون باجتياح سوريا من الشمال مما دفع الامراء السوريين الموالين لمصر لطلب دعم حكام مصر ، فقاد رمسيس الثاني جيشاً الى سوريا والتقى بالحثيين في معركة « قادش » قرب حمص عام ١٢٩٦ ق. م . ولم ينته القتال

الى نتيجة حاسمة مما اضطر رعمسيس إلى عقد معاهدة استقل بموجبها الحثيون في حكم شال حص وللصيريين جنوبها .

وكان من أهم ما خلفته هذه السلالات معبد الكرنك والمسلات الحجرية الكثيرة التي خلدوا عليها أخبار انتصاراتهم .

لم ينجح خلفاء رعمسيس الثاني في الحفاظ على وحدة الامبراطورية ، ولا استطاعوا حماية مصر كدولة موحدة وبدأ بذلك عهد جديد تعاقبت عليه عشرة سلالات من ٢١ - ٣٠ ، وامتد من ١٠٨٥ - ٣٣٢ ق. م .

- استقلت في عهد هذه السلالات الدولة وأصبحت مجموعة دويلات ، وانتشرت الفوضى وتعاظم دور رجال الدين والكهنة حتى استطاع بعضهم الاستيلاء على الحكم . كما جابهت مصر في عهدهم الغزو الخارجي المتمثل بهجوم شعوب البحر ، واحتل الليبيون الدلتا لفترة قرنين من الزمن كما احتل الاثيوبيون « الاحباش » مصر العليا في عام ٧٤٦ ق.م. تقريباً ، واحتل الآشوريون مصر في عهد أسرحدون عام ٦٧٠ ق.م. وأصبحت مصر تابعة للآشوريين .. ثم شهدت مصر بعد ذلك عهداً قصيراً من الازدهار في حكم الاسرة ٢٦ عرف بالعصر الصاوي ، ولم يلبث الضعف بعد ذلك أن عاود سيطرته على الدولة وذلك مع ظهور قوة الفرس الذين أخذوا يتقدمون من فارس في اتجاه الغرب ، فاحتلوا سوريا وتابعوا زحفهم حتى أبواب مصر ثم نجح قمبيز الثاني ملك فارس في احتلال مصر وأعلن نفسه ملكاً عليها وبقي الاحتلال الفارسي لمصر مستمراً حتى جاءت جيوش الاسكندر المقدوني ففتحت مصر عام ٣٣٢ ق. م .

٣ - مصر في عهد البطالسة :

- كانت مقدونيا مملكة تحتل سهلاً واسماً تحيط به الجبال في شمال اليونان ، وعندما ضعفت ممالك اليونان « اثينة واسبارطة وثيبة » تقدم المكدونيون بقيادة

فيليب الثاني واحتلوا اليونان ، وحكم فيليب الثاني من ٣٦٠ - ٣٣٦ ق. م. ونجح في احتلال سواحل بحر ايجه وانهى احتلال اليونان عام ٣٣٨ ق.م. وعندما وضع مخططاته لمتابعة التوسع واخضاع فارس ، اغتيل عام ٣٣٦ ق.م. تاركاً تنفيذ اعمال التوسع لابنه الاسكندر المقدوني .

- قضى الاسكندر على الثورات التي تصدت لحكمه بعد مقتل ابيه ثم قاد جيوشه لانتزاع آسيا الصغرى من الفرس ونجح في احتلالها بعد مجموعة من المعارك التي كان أشهرها معركة ايسوس «قرب خليج الاسكندرون» ثم تابع الاسكندر تقدمه مع محاذاة الساحل السوري فاحتل المدن الفينيقية بسرعة ولم تصمد في وجهه سوى صور التي قاومت الحصار الطويل قبل أن تسقط ثم دخلت جيوش الاسكندر مصر ٣٣٢ واستقبل فيها كمحرر للشعب وأطلق عليه لقب فرعون .

تابع الاسكندر المقدوني فتوحاته حتى وصل بحر قزوين واحتل تركستان وافغانستان الحالية ووادي السند «باكستان» ، ووصل حدود الهند وعادت قواته على محورين احدهما طريق المحيط الهندي فالخليج العربي ، والثاني على الطرق الداخلية في اتجاه بلاد الرافدين ..

أقام الاسكندر الاكبر في بابل بعد عودته من فتوحاته وأراد ان يتخذ من بابل عاصمة لامبراطوريته الواسعة لكنه اصيب بالحمى وتوفي في عام ٣٢٣ ق. م.

- اختلف قادة الاسكندر بعد وفاته ، واستقل القائد انتيفون في حكم اليونان ومقدونيا واسس الدولة الانتيفونية ..

- كما استقل القائد «سلوقس» في حكم سوريا وبلاد الرافدين وایران ، وأسس الدولة السلوقية وجعل انطاكية عاصمة لها ، ثم تقلصت رقعة هذه الدولة عند ظهور الأسرة البارثية في ايران ..

- واستقل القائد بطليموس في مصر وأسس دولة البطالمة أو البطالسة وجعل الاسكندرية عاصمة لها ..

كان الاسكندر قد حمل معه في فتوحاته عدداً كبيراً من العلماء ، وامتزج

بالسكان عن طريق تشجيع الزواج والاندماج في المجتمع . ونتيجة لذلك نشأت حضارة رائعة عرفت بالحضارة الهيلينية ، وأصبحت الاسكندرية وانطاكية منارات للإشعاع الفكري والحضاري في مختلف العلوم والفنون .

٤ - من البطالسة الى الرومان « بيزنطة » :

- في عام ٧٥٣ ق.م قام رومولوس ببناء « روما » على ماتذكروه الاساطير . والشعب الايطالي مثله كمثل الشعب اليوناني والايрани من العرق الآري « الهندي - اورني » .

- ومن ٧٥٣ - ٥٠٩ ق.م حكم روما ملوك يساعدهم مجلس شيوخ من الأسر النبيلة وجمعية عمومية تضم أحرار روما ، ولم تكن حدود هذه المملكة تتجاوز مدينة روما .

- أعقب ذلك الحكم الجمهوري من ٥٠٩ - ٣٢ ق.م . بعد ثورة ضد الملوك الذين استأثروا بالسلطة ، وكان من أعظم انجازات هذا العهد خروج روما موحدة قوية تضم أقاليم واسعة .

- العهد الامبراطوري من ٣٢ ق.م . حتى ٤٧٦م حيث انفرد اوكتافيوس بالحكم بعد مجموعة المعارك التي خاضها ضد الجمهوريين الذين قتلوا يوليوس قيصر بتهمة تحويل الجمهورية الى امبراطورية .

لقد حدثت أكثر الفتوحات في العهد الجمهوري وكانت وفق التسلسل التالي:

١ - احتلال قرطاجة بعد الحروب البونية (٢٦٤ - ١٤٦ ق.م) .
٢ - احتلال مقدونيا واليونان سنة ١٤٨ ق.م . ومتابعة التوسع حتى جبال طوروس .

٣ - احتلال سوريا من قبل القائد الروماني بومبيوس عام ٦٤ ق.م والقضاء على الدولة السلوقية .

٤ - احتلال فرنسا « بلاد الغال » وجنوب بريطانيا بقيادة يوليوس قيصر عام ٥٥ ق.م .

٥ - احتلال مصر من قبل القائد الروماني اوكتافيوس وازالة حكم البطالمة الذي انتهى بالقضاء على كليوباترة ..

في عام ٣٨١ م أعلن الامبراطور تيودوسيوس جعل الديانة المسيحية ديناً للدولة وأخذ في مطاردة الوثنيين واضطهاد أتباع هذه الديانة .

حكم الامبراطور قسطنطين خلال الفترة ما بين ٣٠٦ - ٣٣٧ م ، وحاول دعم الدولة وتقويتها فبنى القسطنطينية في موقع بيزنطة وجعلها عاصمة له عام ٣٣٠ م .

ثم جاء تيودوسيوس فقسم الدولة عام ٣٩٥ م الى قسمين :

١ - قسم شرقي يحكمه ابنه الأكبر « اركاديوس » وعاصمته القسطنطينية .

٢ - قسم غربي يحكمه ابنه الثاني « هونوديوس » وعاصمته روما .

في عام ٤٧٦ م سقطت روما بيد القبائل الجرمانية البربرية وقامت على انقاضها دويلات عديدة . ويعتبر المؤرخون هذا العام « ٤٧٦ م » هو بداية « العصور الوسطى » .

- استمرت الدولة الرومانية الشرقية « بيزنطة » في حكم الأقاليم التابعة لها وهي :

- بلاد البلقان وجزر بحر ايجه في اوربا .

- آسيا الصغرى وارمينيا وسوريا الطبيعية حتى ضفاف نهر الفرات في آسيا .

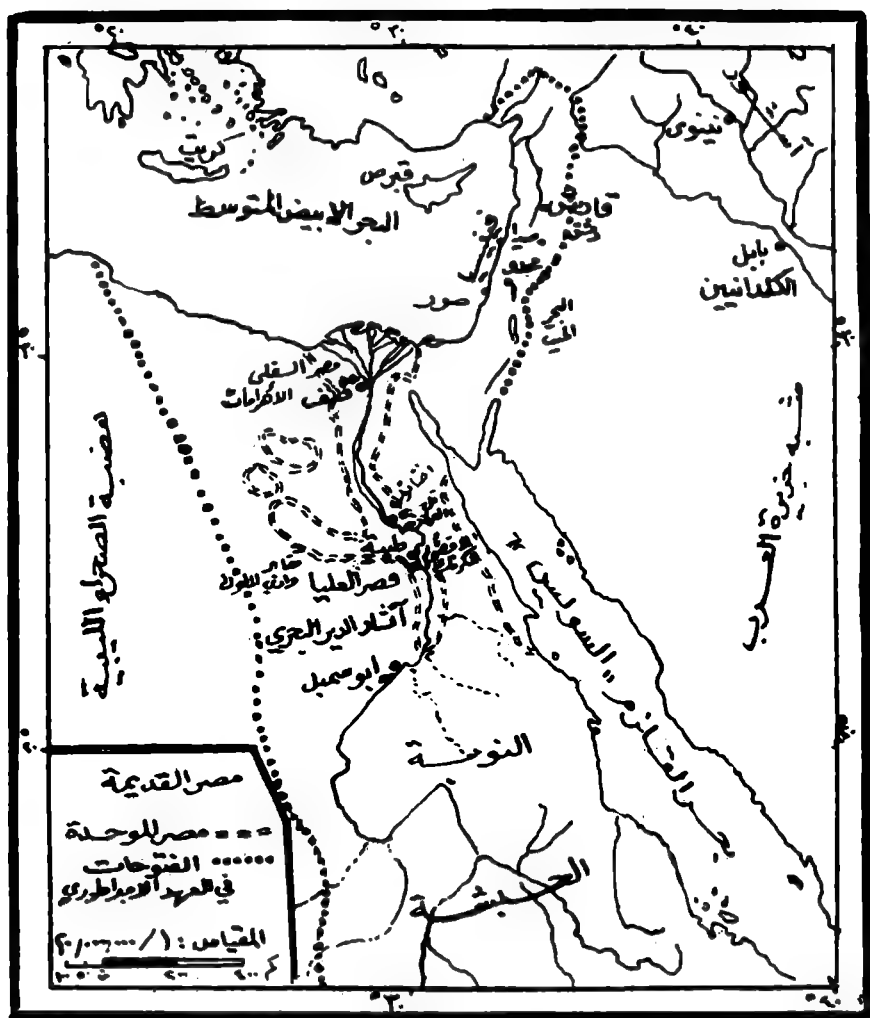
- مصر وبلاد برقة « ليبيا » في افريقيا .

- أطلق العرب على هذه الدولة اسم « دولة الروم » .. وكانت لهم مع الروم معارك مستمرة ابتدأت بتحرير الشام ومصر من قبضتهم وانتزاع السيطرة البحرية طوال العهد الأموي . ثم انتهت بيزنطة عندما استولى السلطان العثماني محمد الفاتح على القسطنطينية عام ١٤٥٣ م ..

الحكم في مصر عبر التاريخ

توقيت الاحداث	وجيز عنها
ما قبل التاريخ	حيث كانت هناك مملكة في الشمال عاصمتها « طيبة » ومملكة في الجنوب عاصمتها « منف وتيس » .
٣٢٠٠ ق.م.	سيطرت مملكة الجنوب على مملكة الشمال وتوحدت مصر بقيادة الملك مينا .
٣٢٠٠ - ٢١٦٠ ق.م.	حكمت مصر سلالات من الاسرة ١ - ١٠ ، وكانت « منف » هي العاصمة . أشهر هذه السلالات الاسرة الرابعة ومنهم خوفو وخفرع ومنقرع بناء الاهرامات الكبرى وأبو الهول . واخذ الضعف يتسرب الى الحكم وبرزت التناقضات الداخلية وحدث تمزق بين الحكام انتهى بضياع وحدة وادي النيل .
٢١٦٠ - ١٥٨٠ ق.م.	حكمت مصر سلالات من الاسرة ١١ - ١٧ ، وكانت طيبة عاصمتهم ، وأعادوا الوحدة لمصر .
١٧٣٠ - ١٥٨٠ ق.م.	قام الهيكسوس وهم عرب من الجزيرة العربية والشام بغزو مصر وحكمها .
١٦٠٠ ق.م.	نجح احسن الاول من الاسرة السابعة عشرة باخراج الهيكسوس من مصر .
١٥٨٠ - ١٠٨٥ ق.م.	من الاسرة ١٨ - ٢٠ وكانت طيبة عاصمتهم .
١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق.م.	ا قدم تحوتمس الثالث على غزو سوريا وانتصر على السوريين في معركة مجدو في عام ١٤٦٨ ق.م .

توقيت الاحداث	وجيز عنها
١٣٧٢ - ١٣٥٤ ق.م.	تولى الحكم امنحوتب الرابع « اخناتون » ونقل العاصمة من طيبة الى « اخيت - آتون » تل العمارنة حالياً ، وفرض عبادة الشمس على الشعب .
١٢٩٦ ق.م.	قادرعسيسمى الثاني جيشه وحارب الحثيين وانتصر عليهم في معركة قادش قرب حمص . وانتهى الامر بمعاهدة لاقتسام الحكم فكان للحثيين شمال حمص وللمصريين جنوبها .
١٠٨٥ - ٣٣٢ ق.م.	قام من الاسرة ٢١ - ٣٠ ، وتميز حكم هذه الاسر بالضعف الذي انتهى بتمزق الدولة وانهارها . - فقد احتل الليبيون الدلتا وحكموها طوال قرنين من الزمن . - وقام شعوب البحر « اليونانيون على الاغلب » بغزو مصر ، ونجح المصريون بطردهم . احتل الاثيوبيون « الاحباش » مصر العليا . احتل الآشوريون مصر في عهد « اسرحنون » . احتل الفرس مصر بقيادة « قمبيز الثاني » . احتل البطالسة مصر بقيادة « الاسكندر المقدوني » . انتزع الرومان مصر من البطالسة وحكموها . دخل العرب المسلمون مصر بقيادة عمرو بن العاص .
٧٤٦ ق.م.	
٦٧٠ ق.م.	
٥٢٥ ق.م.	
٣٣٢ - ٣٠ ق.م.	
٣٠ ق.م. - ٦٤٠ م.	
٦٤٠ م.	



مصر - في حكم الفراعنة

٥ - مصر عشية الفتح الاسلامي

١ - الوضع الاجتماعي :

- جابهت مصر قبل الاسلام عدداً من الغزوات والهجمات كالهيكسوس وشعوب البحر والبطالسة والاثيوبيين واليبين ، وكان هدف اكثر هذه الهجمات استيطانياً ، فلما انتهت الى الفشل خلفت في مصر أقليات فضلت الاستيطان والبقاء في مصر واندجت في مجتمعا وأصبحت قسماً متلاحماً مع أرض مصر وشعبها ..

- جاء الرومان ليحتلوا مكانة البطالسة في حكم مصر . وجعلوا من الاسكندرية عاصمة لهم ، واعتمدوا على اشراف روما - البطارقة - في الحكم في الادارة ، كما اعتمدوا على قواتهم لفرض سيطرتهم لكن كثرة الحروب التي خاضتها روما ، ثم بيزنطة ، وبصورة خاصة ضد الفرس ، حملت الحكومة البيزنطية على الاعتماد والى حد بعيد على ابناء البلاد الاصليين . فكان هناك نظام للادارة المحلية في كل اقليم وفي كل مجتمع داخل الاقليم .. وكان المقوقس هو الحاكم في مصر عند الفتح الاسلامي ..

- أراد الرومان من احتلال مصر جعلها مزرعة ترفد روما وجبوشها بالمتطلبات التموينية والمواد الغذائية ، وورثت بيزنطة بعد انقسام الدولة الرومانية ، هذا الدور واستمرت في تنفيذ السياسة ذاتها [فانتقل كاهل المصريين بالاعباء والمتطلبات وفرضت الضرائب على الاشخاص والاشياء فكانت تجبى على الرؤوس والصناعات والماشية والاراضي ، ولم تقتصر هذه الضرائب على انواع خاصة من البضائع بل كانت تجبى على المارة رجالاً ونساء وتجاراً وغير تجار ومن صناع السفن ومن زوجات الجنود وعلى اثاث

المنازل . ولم تتوقف الضرائب عند حدود الاحياء بل تجاوزتها الى الموتى حتى انه لم يكن يسمح بدفن الميت الا بعد دفع ضريبة معينة ، وقد الزم المصريون بايواء من يمر بهم من الموظفين الملكيين والعسكريين وتقديم ما يلزمهم من الحاجات وتوفير اسباب الراحة لهم في حلهم وترحالهم والزموا في السنين الاخيرة بتقديم الفداء الى الجنود ... [(١)] .

— علاوة على ذلك فقد كانت هناك اقلية من اليهود والوثنيين الذين كانوا عرضة للاضطهاد المستمر بسبب الاتهامات الموجهة اليهم بالاتصال مع القوى الاجنبية والتواطؤ مع الشعوب الاجنبية .

— لقد خلقت هذه السياسة هوة بين الشعب وجباهيره الواسعة وبين الحكم واجهزته القريبة واخذت هذه الهوة في الاتساع مع زيادة الضرائب وتعاقد درجة الاضطهاد . كما ادت الالعباء الثقيلة الى ضعف المصريين وزيادة نقيمتهم على الحكم البيزنطي ..

ب - العلاقة بين بيزنطة - والفرس ..

شهدت بلاد الشام ومصر فترة من التوتر والاضطراب والحروب بين اكبر قوتين في العالم القديم : الفرس - وبيزنطة ، ويمكن تلخيص احداث هذه الفترة بما يلي : - (٢)

في عام ٦٠٧ م - تقدمت الجيوش الفارسية على محورين : اولها باتجاه آسيا الصغرى وهدفها القسطنطينية ، وثانيها في اتجاه الشام . وطرقت القوات الفارسية ابواب القسطنطينية بينما احتلت القوات الاخرى الشام مما وضع بيزنطة امام موقف خطير يهددها بالزوال .

Histo.y - of - Egypte. Under - Roman. Rule. Milne. P.P. (١)

115 - 125 .

(٢) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم - الطبعة الثانية - ص ٣١ - ٤٢ ، ابراهيم العديوي

في عام ٦١٠ م - تولى « هرقل » حكم بيزنطة ، وكرس جهوده لبناء القوات المسلحة واعادة تنظيم الجيوش ، استعداداً للقيام بهجوم مضاد .

في عام ٦١١ م - اراد الفرس اجهاض استعدادات بيزنطة فدفعوا قواتهم في هجوم جديد واحتلت القوات الفارسية ارمينيا كما وصلت مدينة حمص واحتلتها . فقام هرقل بتوجيه جيش لتحرير ارمينيا وقاد جيشاً آخر لتحرير سوريا ..

في عام ٦١٤ م - زحف « كسرى - برويز » ملك فارس الى سوريا فاستولى على انطاكية ودمشق وابلباء « بيت المقدس » واستباح اورشليم ، فنهبا جند الفرس واحرقوا كنيسة القيامة وسلبوا خزائنها كما احرقوا القبر المقدس وحملوا معهم الى بلادهم بطريك القدس وصليبيها الحقيقي ..

في عام ٦١٧ م - احتل الفرس « مصر » واكملوا سيادتهم على الشام ومصر ، ثم وجهوا جيشاً للهجوم على القسطنطينية ، لكن عاصمة بيزنطة صمدت في وجه الهجوم الفارسي .

في عام ٦٢١ م - انتهى « هرقل » مرحلة الاستعداد ، وانطلق بهجوم قوي وحاسم ، فأوغل في بلاد الفرس مما اضطر « برويز » على سحب قواته من الشام للدفاع عن قلب مملكته ، واستمر هذا الهجوم فترة اعوام ثلاثة ..

في عام ٦٢٧ م - قاد هرقل هجوماً جديداً وصل به الى نينوى عاصمة الاشوريين للمرة الاولى ، ودمر جيش الفرس ، فتنازل كسرى « برويز » عن الحكم لابنه مردانشاه ، وهذا ما اثار حميد شيرويه الاخ الثاني لمردانشاه ، فنظم مؤامرة واعتقل اخوته الثمانية عشرة وقتلهم كما اعتقل والده « كسرى برويز » ، والقي به في السجن حتى مات .. وانفرد بالحكم ، لكنه لم يعمر طويلاً ، ولم

يلبت ان توفي بعد ستة اشهر من بداية حكمه وانتهى
بذلك حكم الاسرة الساسانية وبدأ عهد من الفوضى
والاضطراب ..

في عام ٦٢٨ م - استعاد هرقل حكم الشام .

وفي ١٤ ايلول - سبتمبر - ٦٢٩ م - اعاد امبراطور بيزنطة الى القدس
صليبا الاعظم .

- ويجمع عدد كبير من المؤرخين على ان هذه الحروب قد استنزفت قوة
الطرفين : الفرس ، والروم ، ولكن هذه الحروب المستمرة هي برهان في الوقت
ذاته على القوة الكبرى والتنظيم الرائع والاستعداد القتالي الكبير لأكبر قوتين
محاربتين عرفهما تاريخ ما قبل الفتح الاسلامي ..

ج - المذاهب الدينية :

- كان الرومان يدينون بالوثنية عندما احتلوا بلاد الشام ومصر ، فاضطهدوا
المسيحية عند ظهورها ، ونكلوا بأتباعها وطاردوهم واستمروا في ذلك حتى
عهد الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ - ٣٣٧ م) .. حيث اعترف الامبراطور
بالدين المسيحي وساوى في عام ٣٢٣ بين الاديان المختلفة . وفي عهد الامبراطور
' ثيودوسيوس - ٣٧٨ - ٣٩٥ م ' اصبحت المسيحية الدين الرسمي للدولة
بداية من عام ٣٨١ م .

- كان الانقسام المذهبي قد عرف طريقه الى المسيحية فكان هناك :

- ١ - اتباع آريوس وم القائلون [ان المسيح اشرق ، لكنه دون الله] .
- ٢ - اتباع اثناسيوس وم القائلون [ان المسيح من روح الله ، وانه يساويه
في الالهوت وان العلاقة بينهما ابدية] . وهو ما يعبر عنه بمبدأ التثليث^(١) ..

(١) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ، ص ٢٣٢ .

- وفي عام ٣٢٥ م عقد مؤتمر الجمع في « نيقية » للتوفيق بين الرايين ونتج عن ذلك انقسام المسيحيين الى :

١ - الارثوذكس : أو المستقيمون ، وهم الذين التزموا بالدين القديم .

٢ - الكاثوليك : وهم اتباع الكنيسة الجامعة ، اي كنيسة روما وهم انصار اثناسيوس .

ثم ظهر خلاف جديد بين المصريين والروم نتيجة لظهور مذهبين جديدين :
٣ - اليعاقبة : ويقولون بامتزاج الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح وذلك بعد التجسد .

٤ - الملكيين : ويعتقدون ان الابن مولود من الاب قبل كل الدهور وانه غير مخلوق اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصار واحداً وهو المسيح .

وفي عام ٤٥١ وفي عهد الامبراطور مرقيانوس (٣٥٠ - ٤٥٧) عقد مجمع قونية مرة اخرى لكنه لم يتمكن من التوفيق بين المذهبين .

عندما خرج هرقل من معاركه مع الفرس منتصراً ، اراد دعم انتصاراته بتوحيد الجبهة الداخلية ، وكان بطريرك اليعاقبة في منبج اول من استجاب لهذه الرغبة فاتفق سرأ مع بطريرك القسطنطينية « بيروس » على مشروع وسط .
وتقدم من هرقل بمشروعه الذي يتلخص [ان للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ..] واستشار هرقل بطريرك القسطنطينية السوري الاصل فوافق على المشروع علناً بعد ان كان قد اقره « سرأ » واصدر هرقل مشروعه الجديد فوافق عليه كثير من الاساقفة الشرقيين وامتنع بطريرك القدس « صفرونيوس » كما امتنع اسقف عمان وعدد من البطارقة ، ولم يفلح هرقل في توحيد العالم المسيحي بل أوجد مذهباً ثالثاً دفع إلى مزيد من التمزق المذهبي .

- وبقي الملكيون أو الكاثوليكيون ، وهم يمثلون المذهب الرسمي للدولة ويقولون ان للمسيح طبيعتين ومشيئتين ..

- وبقي اهل الشام ومصر يقولون بطبيعة واحدة ومشينة واحدة وهم
اليعاقة نسبة الى رائداهم « يعقوب البراذعي - براديس » ..

واعتبر الطرفان اصحاب المذهب الجديد بمثابة الخارجين على الدين ورموم
بالزندقة والهرطقة ..

واشتدت المعارضة للمذهب الجديد بصورة خاصة وقاد البطريق القبطي
بنيامين حملة المعارضة ، فاضطر « قيرس Cyrus » وهو المقوقس لاستخدام
وسائل العنف والتتكيل للملاحقة اصحاب المذهب يعقوبي ، مما حل بنيامين على
الفرار وقيادة الحركة السرية التي ضمت القبط جميعاً .

- وهكذا كان سكان مصر عرضة للاضطهاد في جميع مراحل عهد الحكم
الروماني - البيزنطي :

في البداية ، عندما اضطهدت الوثنية ، اتباع المسيحية .
وفي النهاية ، عندما اضطهدت المسيحية الملكية اتباع المذاهب المخالفة ،
الارثوذكس واليعاقبة .

- ترى هل كان تمزق وحدة المسيحية هو العامل في انتصار المسلمين ونجاح
عمليات فتح مصر ؟ .

- يقيناً لا - اذا ما اخذ هذا العامل وحده - .

ويقيناً لا - اذا ما اخذ مع غيره من العوامل - .

ان العوامل الحاسمة للنصر تكمن في قوة العرب المسلمين : ايماناً بعقيدتهم ،
ومهارة في قيادتهم ، واقداماً في جنودهم ومقاتليهم .

د - التنظيم العسكري - البيزنطي - في مصر :

كان للمصريين قصب السبق في مجال تنظيم الجيوش وتسليحها وقيادتها .
وظهر خلال الحكم الفرعوني قادة طوروا فن الحرب ووضعوا أسساً في قيادة
الجيوش وخوض المعارك ، ثم جاء البطالسة فأخذوا عن المصريين كثيراً من
قواعد القتال وطوروها . وانتهى الأمر الى الرومان ، فكان لهم معارك في كل

مكان من اوربا ، وكان لهم معارك مستمرة مع الفرس وظهر بنتيجة ذلك تطور كبير في فن حرب المهود القديمة .

- وكان من الدروس التي خرجت بها بيزنطة في حروبها هي الاعتماد على المدن المحصنة والمواقع الدفاعية المنظمة بهدف اعاقا تقدم اعداءها واطاحة الفرصة امام جيوشها لخوض المعركة مع انشاء نقاط المراقبة المتقدمة التي تضم حاميات صغرى هدفها الانذار ومجابهة كل هجوم مباغت ..

وقد استنزفت عمليات تحصين المدن وتنظيم المواقع المتصلة جهد الدولة البيزنطية وامكاناتها المادية مما اعاق تطوير القوات الهجومية ..

- وشهد الجيش البيزنطي تطوراً كبيراً في التنظيم وعلى الرغم من ابقاء نظام الليجيونات ، إلا ان هذه الليجيونات قسمت الى كوجورات ومانيبولات مما اصبح يسمح بحرية المناورة والحركة ، وكان يتم وضع القوات في نسقين يشكل الليجيون نسقاً منها وينقسم الليجيون الى عشرة كوجورات ..^(١)

كما طبق نظام التسلسل العشري في قيادة القوات مما وفر للجيش البيزنطية امكانات القيادة الجيدة ..

- ورافق التطور في التنظيم تطور مماثل في التسليح مما يتوافق مع البنية الاجتماعية للجيش ، فكان تنظيم الفرسان الخفيفة الى جانب الابقاء على تنظيم الفرسان الثقيلة ، وكان تنظيم المشاة الخفيفة الى جانب تنظيم المشاة الثقيلة ..

- وكان الجيش البيزنطي يستخدم الى جانب الاسلحة الفردية « السيوف والرماح » اسلحة اجماعية منها المنجنيقات والابراج المتحركة وقاذفات الرماح الخفيفة الخ ..

(١) الليجيون : ٥ - ٦ آلاف مقاتل يقسم الى عشر كوجورات تعداد كل واحد منها ٥٠٠ - ٦٠٠ مقاتل ويقسم الكوجورات الى ثلاث مانيبولات .
« تاريخ فن الحرب ١ / ٧٤ - ٧٨ » ..

- وخلاصة القول ، ان الجيش البيزنطي كان جيد التنظيم والتسليح ، قوي العدد والعدة ، يتفوق في امكانياته البشرية ، ويعتمد على التحصينات الثابتة لإعاقة تقدم العدو ..

- وكان للجيش البيزنطي نقاط ضعفه ..
فقد كان يضم مجموعات بشرية لا تجانس بينها مما جعل هذا الجيش مفتقر للروابط الوطنية والقومية ، ويقول المؤرخون في وصف الجيش البيزنطي خلال هذه المرحلة (١) :

[لم يكن القادة يتمتعون بالكفاءة ، وكانت القطعات متنافرة الاجناس مجردة من كل شعور وطني ، تنهب وتعيش على موارد البلاد ، وتعصي القادة في ساحة المعركة ، وكانوا على الفور ، متهينين للثورة والتمرد والعصيان او الفرار من الجيش ، اما الضباط وهم الذين همهم الترقية والغنيمة فلم يكونوا احسن حالا من جنودهم ...] .

- وكان من نقاط الضعف ايضا اعتماد الحكم البيزنطي على الجيوش المحلية ، فكان لكل اقليم قيادته ، وكان عدم وحدة القيادة من العوامل الاساسية في التنظيم القتالي والاسلوب الحربي للجيش البيزنطي ..

- وهكذا كان يدافع عن مصر جيشان ، جيش يقوده المقوقس ويضم القوات المصرية ، وجيش الروم « البيزنطيين » وعاصمته الاسكندرية .. ولم يكن التوافق كاملاً بين القيادتين ..

لكن نقاط الضعف لا يمكنها ان تنقص من اهمية جيش بيزنطة وقوته . ويكفي القول انه كان جيشاً له تجاربه الكبرى ولديه خبرات قتالية جيدة ، وهو يتفوق عددياً على كل قوة عسكرية معاصرة له ، وهو الى ذلك ، يعرف الارض التي يقاتل فوقها وله تحصينات قوية وتنظيمات دفاعية جيدة .

(١) يوسف يازجي - فارينج جيوش العالم - المجلة العسكرية - ٤ ر ٥ - ١٩٧٣

القِسْمُ الْأَوَّلُ

الفصل الثاني

فتح مصر

جدول توقيت الاحداث .

- ١ - النبوءة .
- ٢ - القائد .
- ٣ - الخليفة عمر يوافق على فتح مصر .
- ٤ - في الطريق الى مصر .
- ٥ - خطط الطرف المقابل .
- ٦ - الفرما ، بداية فتح مصر .
- ٧ - من الفرما الى القواصر .
- ٨ - من القواصر الى بلبيس .
- ٩ - ام دين بعد بلبيس .
- ١٠ - الحصار الطويل وسقوط بابلون .
- ١١ - اتفاقية الصلح .

١٢ - في الطريق الى الاسكندرية .

١٣ - الكريون آخر معركة قبل الاسكندرية .

١٤ - فتح الاسكندرية .

١٥ - خراب خربة ودان .

١٦ - رابطة الاسكندرية .

١٧ - فتح برقة وزويلة .

١٨ - فتح أطرابلس .

١٩ - فتح الاسكندرية الثاني .

٢٠ - تأمين الحدود الجنوبية لمصر

فتح مصر

جدول توقيت الاحداث

الاحداث	السنة الميلادية	السنة المجرية
وفاة الرسول الاعظم ﷺ وخلافة ابي بكر .	م ٦٣٢	٥١١
حروب الردة واعادة توحيد الجزيرة العربية .	م ٦٣٢	٥١١
مسير خالد بن الوليد الى العراق ، وفتحها .	م ٦٣٣	٥١٢
توجيه الجيوش لفتح الشام .	م ٦٣٤	٥١٣
وفاة الصديق وتولي الفاروق عمر الخلافة .	م ٦٣٤	٥١٣
- معركة اليرموك .	م ٦٣٤	٥١٣
- معركة القادسية .	م ٦٣٥	٥١٤
- معركة اجنادين .	م ٦٣٦	٥١٥
- فتح بيت المقدس .	م ٦٣٦	٥١٥
- فتح المدائن .	م ٦٣٧	٥١٦
- فتح الجزيرة - الرها - ارمينيا .	م ٦٣٨	٥١٧
وصول عمرو بن العاص الى مصر .	١٢ ديسمبر ٦٣٩ م	٥١٨

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
فتح القرما .	٢٠ يناير - ك ٢ - ٦٤٠ م	٥٢٠
غزو اقليم القيوم .	١ مايو ٦٤٠ م	٥٢٠
وصول قوات الدعم بقيادة الزبير بن العوام .	٦ يونيو - حزيران ٦٤٠ م	٥٢٠
موقعة عين شمس .	يوليو - تموز ٦٤٠ م	٥٢٠
بداية ضرب الحصار على بابليون .	سبتمبر - ايلول ٦٤٠ م	٥٢٠
توقيع المعاهدة بين المقوقس « قيرس » وعمر بن العاص .	اكتوبر ٦٤٠ م	٥٢٠
استسلام حامية بابليون ، وهو اليوم الذي يؤرخ به الفتح العربي لمصر .	٦ ابريل - نيسان ٦٤١ م	٥٢١
فتح نقيوس .	١٣ مايس ٦٤١ م	٥٢١
بداية الهجوم على الاسكندرية .	١٠ يونيو - حزيران ٦٤١ م	٥٢١
استسلام الحامية المدافعة عن الاسكندرية .	٨ نوفمبر - ت ٢ - ٦٤١ م	٥٢١
جلاء الروم عن الاسكندرية .	١٧ ايلول - سبتمبر ٦٤٢ م	٥٢٢
ثورة الاسكندرية بقيادة مانويل .	اواخر عام ٦٤٥ م	٥٢٥
الفتح العربي الثاني للاسكندرية .	صيف ٦٤٦ م	٥٢٦

فتح مصر

١ - النبوة :

عاد الرسول الاعظم من صلح الحديبية وهو على يقين بأن مرحلة هامة من مراحل الدعوة قد انتهت ، وان الجزيرة العربية على وشك انهاء وحدتها ، واخذ يتطلع ببصره الى ما وراء الأفق ، وفكر في الكتابة الى حاكم مصر ، يدعوه الى الاسلام واعلن عن رغبته وطلب متطوعاً يحمل الرسالة ، واسرع حاطب بن ابي بلتعة لتلبية امر الرسول ، وحل معه الرسالة التي تضمنت :

[« بسم الله الرحمن الرحيم »]

من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط^(١)

سلام على من اتبع الهدى . اما بعد . فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم ، واسلم يؤتك الله اجره مرتين ، يا اهل الكتاب ، تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ..]

- وصل حاطب الى الاسكندرية واستقبله المقوقس فأحسن استقباله ، ودار بينه وبين حاطب حديث طويل ، عرف المقوقس من خلاله ما ستمخض عنه الجزيرة العربية فأعد هدية للرسول الاعظم ضمت جارينتين « مارية » وأختها سيرين ، كما ضمت ثوباً للرسول وهدايا اخرى ، وحمل حاطب رد الرسالة

(١) فتح مصر والغرب - ابن الحكم ص ٨٠ - ٨١ . وصبح الاعشى للقاسم بن عيسى ٦ - ٣٧٨ .
- يطلق المؤرخون اسم المقوقس على حاكم مصر في ذلك العصر اطلاقاً خاطئاً ، والمقصود بالمقوقس هو قيرس Cyrus - بطريق الاسكندرية المكياني الذي جمع له هرقل ولاية الدين وجباية خراج ارض مصر ..

وودعه بمثل ما استقبله من حفاوة ، وعاد حاطب الى الرسول ، وعندما وصل
المدينة ألقى قصيدة جاء فيها :

اني مضيت الى الذي ارسلتني اطوي المهامة كالمجد المنصف
حتى رأيت بمصر صاحب ملكهم فبدا إلي بمثل قول المنصف
هذا الكتاب كتابه لك جامعاً ياخير مأمول مجبك نكتفي.

وفتح الرسول الاكرم رسالة المقوقس فقرأ فيها :

[... لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام

اما بعد

فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت وما تدعوا اليه ، وقد علمت ان
نبياً قد بقي وكنت اظن انه يخرج بالشام ، وقد اكرمت رسولك وبعثت
اليك بجارين هما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة
لتركيبها والسلام ..]

- رد غامض ، فيه من القبول بقدر ما فيه من الامتناع ، وفيه من الصراحة
بقدر ما فيه من الابهام ، ولم يكن الرسول الاعظم يتوقع رداً افضل ، لكن
امانة الرسالة وواجب الدعوة . وتزوج الرسول بمارية وولدت له ابراهيم فاعتقها
واهدى سيرين الى حسان بن ثابت .

- ورثا الرسول الاعظم ببصره ذات يوم الى الافق ، وخاطب الصحابة بقوله :

[.. اذا افتتحتم مصر ، فاستوصوا بالقبط خيراً ، فان لهم نعمة ورحماً]^(١)

وحفظ الصحابة عن الرسول القائد وصيته ، وبقيت نبوءته ملء اسماعهم
وابصارهم .

.....

(١) الحديث ٢٥٤٣ في صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، باب وصية النبي بأهل مصر ،
والمقصود بالذمة والرحم ، قرابة العرب بهاجر أم اسماعيل عليه السلام .

٢ - القناد :

- في السنة الثامنة للهجرة ، وصل المدينة خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمر بن العاص ، واسرع من يعلم الرسول الاعظم بوصول هؤلاء وعزمهم على اشهار اسلامهم فقال الرسول :

[.. ألقوا اليكم مكة افلاذ اكبادها ..] ^(١)

ووصل ابن الوليد وصحبه حيث كان الرسول ، وبايعوه لكن عمرو بن العاص اشترط على الرسول قبل مبايعته فقال له : [يا رسول الله ، هل يغفر لنا الله ما تقدم من ذنوبنا ..] واجابه الرسول : [.. الا تعلم ان الاسلام يجب ما قبله ..] واستبشر عمرو ، وانبسطت اساريه وقال للرسول : [هات يدك ابايك .. وتمت البيعة ، وانصرف الناس وقال الرسول الاعظم لصحبه :
[.. اسلم الناس ، وآمن عمرو بن العاص ..] ^(٢)

- وصدق عمرو بن العاص في اسلامه ، وثبت على ايمانه عندما اهتز ايمان المرتدين بعد وفاة الرسول . فوجه ابو بكر الصديق الى حرب قضاة ، فأبلى بلاء حسناً وبدأت مواهبه القيادية تتفتح .. وكان الخليفة ابو بكر يعرف في الرجال امكاناتهم وقدراتهم ، فأصدر اوامره بتعيين عمرو بن العاص لقيادة واحد من الجيوش الموجهة الى الشمال لفتح الشام وخصص له فلسطين كمسرح لعملياته وخرج لوداعه ماشياً وأوصاه .

- عندما اصدر ابو بكر اوامره بتعيين عمرو بن العاص ، كان مما اوصاه به قوله :

[لقد وليتك هذا الجيش ، فانصرف الى فلسطين ، وكاتب ابو عبيدة

.....

(١) اسد الغابة ٣ - ٣٧٢ ، والاستيعاب ٣ - ١٠٣٤ ، وكان الرسول الاعظم يقصد بذلك ان وجوه اهل مكة وقادتها قد انضموا اليكم ..

' (٢) الامام احمد ٤ - ١٥٥ ، والترمذي ٢ - ٣١٦ ..

وانجده اذا ارادك ، ولا تقطع امراً الا بمشورته] - وتالم عمرو بن العاص لهذا التعيين ، فقد كانت نفسه تطمح لقيادة عامة ، فذهب الى عمر بن الخطاب يلتمس منه التوسط لدى الخليفة أبي بكر ، لكن عمر بن الخطاب اجابه :

[.. ليس على ابي عبيدة امير ، ولأبي عبيدة عندنا افضل منزلة منك واقدم سابقة منك وهو الذي قال فيه النبي : ابو عبيدة امين الامة ..] فقال عمرو بن العاص : ما ينقص من منزلته اذا كنت والياً عليه .. واجابه عمر: ويملك يا عمرو ، انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف ، فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ، ووجه الله تعالى ..]

فقال عمرو بن العاص : ان الامر كما ذكرت ، ثم امر الناس بالمسير تحت رايته فساروا وتقدم اهل مكة وتبعهم بنو كلاب وطيء وهوازن وثقيف^(١) .

- كان لعمرو بن العاص دور قيادي في فتوح الشام . فهو الذي اشار على قادة المسلمين بالتجمع لمهاجمة الروم . وهو الذي قاد عمليات فتح فلسطين . واطهر من المكر والدهاء في حروبه ما تغلب على « ارطبون الروم » الذي اشتهر بالدهاء حتى قال فيه الخليفة عمر بن الخطاب :

[لقد رمينا ارطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عم تنفرج ..]^(٢)

ولقي ارطبون الهزيمة على يد عمرو بن العاص ففر من المعركة الى بيت المقدس ومنها الى مصر وكان له موعد آخر مع ابن العاص ..

- كانت قيادة معركة اجنادين وقيادة اعمال فتح فلسطين دون مستوى طموح عمرو بن العاص ، وبقي يتحين الفرصة السانحة لتحقيق مزيد من الاعمال الخالدة ، ووافته الفرصة عندما جاء الخليفة عمر بن الخطاب الى الجابية فالتقى به على انفراد وطرح عليه مشروع فتح مصر ..

.....

(١) الواقدي - فتوح الشام ١٤ و ١٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ - ١٩٥ ، والكامل لابن الاثير ٢ - ٢١٨ .

— كان الخليفة عمر بن الخطاب يقدر في عمرو بن العاص صفاته القيادية وقدراته القتالية وكفاءته .

— الا ان الخليفة عمر لم يكن ليوافق بسهولة مع ما عرف عنه من الخوف على المسلمين قبل الوثوق بقدرة عمرو بن العاص على فتح مصر ، مع امكان تحقيق الفتح وانجازه بخد ادنى من التضحيات ..^(١)

٣ — الخليفة عمر يوافق على فتح مصر :

- كان ذلك في نهاية السنة الثامنة عشرة للهجرة ١٨ هـ - ٦٣٠ م ..
- وكانت عمليات الشام قد انتهت ولم تبق الا قيصرية « قيسارية » بمنتمية على قوات المسلمين المحدقة بها بقيادة معاوية بن ابي سفيان ..
- وكانت عمليات فتوح العراق قد انتهت واستقر الوضع للمسلمين فيها .
- عرف عمرو بن العاص ان الخليفة عمر متردد في اتخاذ قراره ، فأخذ يزين له فتح مصر ، وكان مما قاله له :
- (.. يا امير المؤمنين ، ائذن لي ان امير الى مصر فانك ان منحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم ، وهي اكثر الارض اموالا واعجزها عن القتال والحرب ..)^(٢)

.....
(١) الاصابة ٥ - ٢ ، واليعقوبي ٢ - ١٩٧ ، وابن الحكم - ٢٤١ - وهناك بعض الروايات في ابن الحكم ٨٠ - ٨٣ تزعم ان عمرو بن العاص قد توجه الى مصر دون رأي الخليفة عمر ، وهذه الروايات ضعيفة نظراً لما عرف عن الخليفة عمر من الشدة وعدم التهاون في مخالفة تعليماته ، ونظراً لما عرف عن القائد عمرو بن العاص من الانصياع الشديد لتعليمات الخليفة عمر وحادثة حضوره من مصر مع ابنه لتنفيذ حكم عمر فيه انتصاراً للقبطي الذي صغره ابن عمر في السابق وقال له (خذها وانا ابن الاكرمين ..) هذه الحادثة هي خير شاهد على الانضباط الذي كان يفرضه الخليفة عمر والذي يستحيل معه خروج ابن العاص وفق مشيئته الى مصر دون موافقة الخليفة ..

(٢) ابن الحكم ٨١ - ٨٣ ، الطبري ٣ - ١٩٥ .. ويذكر الواقدي في تاريخه ومعه بعض الرواة الذين يذكرون ان الخليفة عمر قد ارسل الى ابي عبيدة يأمره بتوجيه ابن

– كان عمرو بن العاص يعرف مصر قبل الاسلام ، فقد زارها للتجارة ، وعرف طرقها ومسالكها كما عرف امكاناتها الاقتصادية وأوضاعها الاجتماعية ، وكان حديثه عنها حديث العارف بأمورها الخبير بأوضاعها ونتيجة لذلك فقد كان باستطاعته اقناع الخليفة بصحة رأيه .

– وكان الخليفة عمر يعرف ان الوضع العام في الشام قد اصبح اميناً واصبح بالامكان الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة لمتابعة اعمال الفتوح ، واخيراً اتخذ الخليفة عمر قراراً اولياً وابلغه الى قائده عمرو بن العاص :

(.. سر وانا مستخير الله في سيرك ، وسيأتيك كتابي سريعاً ان شاء الله فان ادركك كتابي أمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او شيئاً من ارضها فانصرف ، وان انت دخلتها قبل ان يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره ..)^(١)

وحانت الفرصة التي طالما انتظرها القائد عمرو بن العاص وعمل لها ..

٤ – في الطريق الى مصر :

– عندما وصل عمرو بن العاص امر التحرك الى مصر وضع خططه منطلقاً في ذلك من معطيات ثابتة :

- ١ – اجراء التحرك ضمن نطاق محكم من السرية بهدف تحقيق المباغتة .
- ٢ – تجنب المقاومات الثانوية والمواقع الجنبية والتحصينات القوية قبل الوصول الى مصر .

– ولهذا عمل على انهاء استعداداته للتحرك ، وأمر قواته [بالمسير

العاص الى مصر . ومن المحتمل ان يكون ابن العاص قد استأذن الخليفة عمر كما ذكرنا ، وانتظر الخليفة عمر حتى هوفقه من الشام الى المدينة وعندما كتب اليه ابو عبيدة . يطه بإتهاء الفتوح ارسل اليه رسالة يطلب فيها توجيه ابن العاص الى مصر ووجهه في الوقت ذاته الرسالة للوارد نصها هنا الى عمرو بن العاص يأمره بالتحرك الى مصر ويمطيه موافقة الخطية بالتحرك ..
(١) المصدر السابق نفسه .

من جوف الليل ، دون أن يشعر به أحد من الناس .. (١) - وعلم قادة عمرو ابن العاص فيما بعد عن هدف التحرك فكتبوا الى الخليفة عمر ، واعلم الخليفة عمرو بن العاص بذلك ووعدته بتقديم الدعم اذا تطلب الامر .

- عندما علم عثمان بن عفان بأمر التحرك الى مصر ، خاف على المسلمين من طموح عمرو بن العاص ، وحذر الخليفة عمر ، فتخوف الخليفة وكتب الى عمرو ابن العاص رسالة يمنعه فيها من متابعة التقدم ...

ووصل حامل رسالة الخليفة وقوات عمرو بن العاص على ابواب رفح ، وتخوف عمرو ان هو اخذ الكتاب وفتحها ان يحذف فيه الانصراف كما عهد اليه الخليفة عمر . فلم يأخذ الكتاب ودافع الرسول ، وسار حتى وصل قرية بين رفح والعريش . وسأل عنها ف قيل له انها من مصر ، فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين وقال عمرو لمن معه :

(أستم تعلمون ان هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى . قال : (.. فان امير المؤمنين عهد الي وامرني ان لحقني كتابه ولم ادخل ارض مصر ان ارجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض مصر ، فسيروا على بركة الله ..)

- ووصل ابن العاص الى العريش ، وفتحها ، ثم انطلق في سيناء متبعاً المحور الذي اتبعه الفرس في هجومهم على مصر واتبعه الاسكندر المقدوني في هجومه على فارس . وتجنب في مسيرته كل الحصون والقلاع التي اقامتها بيزنطة على المحور الساحلي الواصل ما بين القروما (٢) والعريش ..

(١) ابن الحكم - فتوح مصر - ٨٦ .

(٢) القروما : اسم عربي لمدينة « بلوز » وكان القبط يسمونها « يرمون » بنيت المدينة فوق مرتفع من الارض على بعد ميل ونصف من البحر ، وكان لها مرفأ يصلها بالبحر وكان فرع النيل يسمى « البلوزي » ويصب قريباً منها . تضم المدينة عدداً كبيراً من آثار المصريين القدماء وبها كنائس وأديرة ، كانت مفتاح مصر من الشرق عني المصريون بتحصينها وهدم الفرس اسوارها وحصونها ثم اعاد الروم تحصينها قبل الفتح الاسلامي - ابن الحكم ٨٨ .

٥ - خطط الطرف المقابل :

- وضع المقوقس حاكم مصر مخطط الدفاع عن مصر وفق المعطيات التالية :

١ - عزل مصر عن بلاد الشام ومنع تسرب اخبار الفتح بهدف الحفاظ على الروح المعنوية للقوات المقاتلة في مصر .

(بعث المقوقس رسله إلى جميع اطراف بلاده بما يلي الشام بأن لا يتركوا أحداً من الروم ولا غيرهم يدخل ارض مصر ، كل ذلك لئلا يتحدثوا بما صنع المسلمون بجنود هرقل فيدخل الرعب في قلوب قومه ..)^(١)

٢ - تعزيز المقاومة في الحصون والمواقع المتقدمة في سيناء وبصورة خاصة مدينة الفرما ..

٣ - الاعتماد على تأييد قوات الاقاليم المجاورة : ليبيا - الحبشة - الصعيد ، مع الاعتماد على قوات دعم بيزنطة عن طريق البحر الى الاسكندرية .

٦ - الفرما - بداية فتح مصر :

- نجح عمرو بن العاص في مرحلة التقرب من العريش الى مصر عبر سيناء ، في تجنب جميع المخاطر المتقدمة والمواقع المحصنة - المسالحي - وذلك حتى لا يستنزف من قوته شيئاً قبل الوصول الى هدفه .. وعندما وصل الى الفرما حدثت معركة بينه وبين الحامية المدافعة عن المدينة ، واستطاع عمرو بن العاص أن يلحق الهزيمة بها ، فلجأت إلى الحصون ، وأحكم عمرو بن العاص الحصار على الفرما^(٢) ، واستمر الحصار فترة شهر تقريباً ، ثم اخترقت قوات العرب المسلمين الحصار ، وسقطت الفرما ، واصبح الطريق الى مصر مفتوحاً ..

(١) فتوح مصر والشام - الواقدي 2 - 45

(٢) ابن الحكم - فتوح مصر والمغرب 86 - ذكر ابن الحكم أنه كان في الاسكندرية أسقف للقبط يقال له بنيامين ، كتب إلى القبط عندما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر ، وقال لقومه إنه لا تكون لدولة الروم دولة ، وإن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو بن العاص .

٧ - من القوما الى القواصر^(١) :

- انطلق عمرو بن العاص من القوما في اتجاه القواصر ، وجابهته بعض القوات المتفرقة التي لم تتمكن من اعاقه التقدم .. وعندما وصلت قوات العرب المسلمين الى القواصر حاصرتها وبعد معارك متفرقة امكن احتلال البلدة ، وفرت القوات بعد ان مزقتها قوات المسلمين ..^(٢)

٨ - من القواصر الى بلبيس :

كانت بلبيس هي قاعدة الدفاع عن بابلون وام دين ، وكانت الحامية المدافعة عنها مكونة من عشرة آلاف مقاتل ١٠,٠٠٠ بينما لم يكن جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص اكثر من ٣٥٠٠ مقاتل .. وكانت ارماتوسة المصرية بنت المقوقس في طريقها الى قيسرية في الشام - قيسارية - لتزف الى قسطنطين بن هرقل ، فلما وصلت المعلومات عن حصار قيسارية من قبل العرب عادت الى مصر ، ومع وصولها الى بلبيس وصلت قوات العرب المسلمين فانضمت القوات المدافعة عن ارماتوسة الى حامية المدينة ، وكان بها الارطوبون الذي هزم في اجنادين ففر الى بيت المقدس وانضم بقوته الى مصر ..

(١) القواصر ، بلدة قديمة من اعمال مركز التل الكبير ، ومكانها الآن القصاصين وجاء في معجم البلدان انها موضع بين القوما والفسطاط ، ويذكر المؤرخون ان مياه بحيرة المنزلة كانت قد طفت على ما حوها بعد استيلاء عمرو بن العاص على القوما واصبح الطريق الساحلي الذي اعتادت الجيوش الغازية عبوره غير مأمون ومسالكه صعبة فلزم عمرو طريق الصحراء نحو الجنوب ففتح مجدل « Migdol » ، القنطرة شرق حالياً .. ثم تابع زحفه الى الصالحية ومنها الى وادي الطليحات « الطمبلات » قرب التل الكبير ..

(٢) في ابن الحكم ص 86- قال كريب بن أبرهة ، كنت أرعى غنما لأهلي بالقواصر فنزل عمرو ومن معه ، فذنوت إلى أقرب منازلهم فإذا نفر من القبط يقول بعضهم لبعض (ألا تعجبون من هؤلاء القوم ، يقدمون على جموع الروم وإنما هم في قلة من الناس) فأجاب رجل منهم (إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم ...) . وترددت مثل هذه الجملة على السنة بعضهم ، ثم جاء مقتل عثمان بعد ذلك من وحي هذا القول ..

– هزمت قوات الارطبيون في مصر وقتل الارطبيون ، ولجأت بقايا قوته الى ام دنين كما اسرت الاميرة ارمافومة فوجهها عمرو بن العاص الى ابيها معززة مكرومة مما كان له اثر كبير في نفس المقوقس الذي اخذ على عاتقه تهديد السبيل ليقدر صلح مع العرب ^(١) .

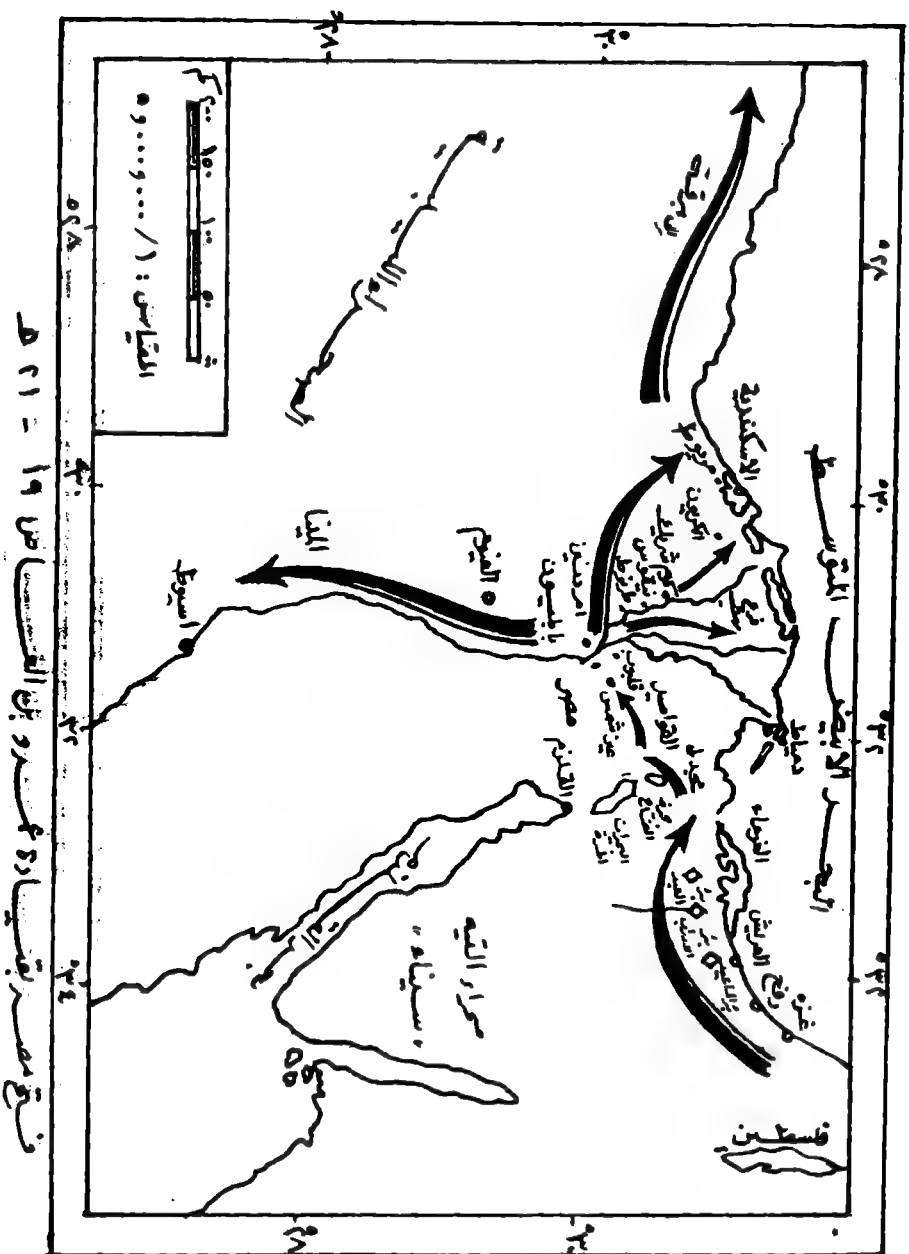
٩ – ام دنين – بعد بلييس ^(٢) :

– توجهت قوات العرب المسلمين الى ام دنين بعد ان نجحت في تصفية المقاومة المتمركزة في بلييس .

– كان الروم قد خندقوا خندقاً وجعلوا له ابواباً ، وبناوا في افنيته حاك الحديد – كالساج الشائك – وكانوا قد نظموا المقاومة امام ام دنين ، وتصدت قوات العرب المسلمين لقوات الروم ودارت معارك طاحنة وكان التفوق العددي عامل هام الى جانب الروم فلجأ عمرو بن العاص الى الحيلة ودفع مع احد قادته – اللخمي – لنصب كمين قوته خمسمائة من الفرسان ، وغدا عمرو بن العاص على القتال فقاتل الروم في معركة جبهة شرسة ، ثم ظهرت قوة الكمين الى الخلف من قوات الروم ، فتحطم تنظيم قتال العدو واضطر مرغماً الى الفرار ، فلاحقت فرسان المسلمين القوات الهاربة ومزقتها .. واضطر من بقي حياً اللجوء الى قلعة ام دنين ..

(١) جاء في تاريخ الطبري ٣ - ٦١٢ ، ان الارطبيون قد قتل اثناء اغارته في احدي صوائف الروم – قراءات – في نهاية هذا الفصل ..

(٢) ابن الحكم - ٨٧ - الاسم القديم لام دنين هو تندونياس . ثم اطلق على ام دنين اسم « القس » . استولى عمرو بن العاص على بلدة ام دنين ، وكانت الى الشمال من حصن بابليون ، ويذكر القرظي ان ام دنين كانت ميناء مصر وقت الفتح العربي ويذكر بعض المؤرخين من الغرب انه لما تأخر فتحها على عمرو بن العاص وعجز عن فتح حصن بابليون ، اخذ من مسلحة - ام دنين - سفناً وعبر النيل يمينه في وجه آخر هو غزو اقليم الفيوم وهو المدوة القصوى . وتعتمد هذه الرواية على ما جاء في ديوان حنا التقيوسي ، لكن مؤرخي العرب يخالفون هذا الرأي ويذكرون ان فتح الفيوم كان بعد سقوط حصن بابليون ..



- استمرت المعارك في ام دين بصرامة وعناد طوال شهر لم يتوقف خلاله القتال .. وفي النهاية خاض العرب المسلمون معركة حاسمة ونجحوا في اختراق التحصينات . وسقطت قلاع ام دين وتحصيناتها وبدأت بعد ذلك مرحلة طويلة وحاسمة من القتال لتصفية آخر المقاومات في مصر ..

١٠ - الحصار الطويل ، وسقوط بابلين :

- كان حصن بابلين مائلا في قوته وتنظيمه الدفاعي لما كان عليه حصن ام دين ، ولكنه كان يتميز عنه باتساعه وزيادة حجم الحامية المدافعة عنه ، وكان في بابلين عندما هاجها المسلمون المقوقس - جريج بن ميناء بن قرقب - حاكم مصر ومعه جماعة من الروم ورؤساء القبط وأكابرهم ، وكان على قيادة الحامية المدافعة عن المدينة قائد لقبه « الاعيرج » ..^(١)

- عندما وصل العرب المسلمون الى « بابلين » ضربوا حصاراً حولها ، وشعر عمرو بن العاص ان قوة جيشه دون مستوى المعركة الطويلة وان صعوبة توازن القوى في غير صالحه فلجأ الى الحيلة ، وقام بتظاهرة استعراضية ، فبعد المسافات بين جنده بهدف خداع العدو عن معرفة القوة الحقيقية لجيشه ، وضيق حلقة الحصار ودارت بين جنده وبين جند الروم معارك ضارية لم يحقق خلالها أي طرف نتيجة حاسمة .

- شعر الخليفة عمر بانقطاع اخبار جند المسلمين في مصر ، وقدر خطورة السرعة البطيئة في تطوير العمليات فكتب الى عمرو بن العاص يستوضح الامر ، فأجابه عمرو بن العاص ، وشرح له الموقف وطلب دعمه .. وعند ذلك وجه الخليفة عمر الخطاب قوة مكونة من اربعة آلاف مقاتل وكتب رسالة الى عمرو ابن العاص ، جاء فيها :

(١) ابن الحكم - فتوح مصر والمغرب .

كان « الاعيرج » وهو المنذور القبطي يدير مصر من قبل المقوقس ، وكان يتولى قيادة الحامية المدافعة عن بابلين ، وكان اسمه « جورج » حرف الى جريج .

(.. اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل على كل الف منهم ورجل مقام
الالف ، الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن
غله ... وان معك اثني عشر ألفاً ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة ..)^(١)

— طال أمد الحصار ، وأظهر المسلمون من الصبر والشدة والتصميم على متابعة
القتال ما اضعف عزيمه الحامية المدافعة عن بابلين وأحبط من ارادتها القتالية ،
فجمع المقوقس من وثق بهم من الحرس ودعا معه الاسقف الملكاني واستشارهم
سواء في الامر ، وطرح عليهم الموقف وذلك في أوائل شهر تشرين الاول
— أكتوبر - ٦٤٠ م واقترح بذل المال للعرب وابعادهم عن بلاده ، واستقر رأي
المجتمعين على ان يذهب المقوقس واصحابه تحت ستار الليل الى جزيرة الروضة ،
خوف استيلاء العرب على الحصن واتخذت احتياطات أمن مشددة ، ففتح الباب
المخفي المطل على النيل ، واستقل الملك ومرافقوه السفن ونزلوا في الموضع
الذي أنشئت فيه دار الصناعة فيما بعد بجزيرة الروضة ، وترك امر الدفاع الى
قائد الحامية ، ولما اشتدت وطأة الحصار ، وخاف الاعرج اقتحام العرب
للحصن ، ركب وعدد من القادة والاشراف السفن الملصقة بالحصن ، وانضموا
الى المقوقس في جزيرة الروضة ..

— بعد ان استقر المقوقس في جزيرة الروضة ارسل مراسلاً الى عمرو بن
الغاص يحمل الرسالة التالية :

(... لقد ولجتم في بلادنا وألحتم على قتالنا وطال مقامكم في ارضنا وانما
انتم عصابة يسيرة ، وقد اظلتكم الروم ، وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح ،
وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا الينا رجلاً منكم

(١) ابن الحكم - فتوح مصر والمغرب ٨٨ - وفي تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام
ج ٢ - ص ٢٩ يذكر ان قادة الدعم هم الزبير بن العوام وبسر بن اوطاة وعيسى بن وهب
النجفي وخارجة بن حذافة والرأي الأكثر صحة في رأي المؤرخين هو ما ورد اعلاه .. ويذكر
البلاذري - ٢١٤ نصاً مماثلاً ولكنه يذكر خارجة بن حذافة دون مسلمة ..

نسمع من كلامكم فلعله ان يأتي الامر فيا بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب
ويتقطع عنكم وعنا هذا القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا يتقعا الكلام
ولا تقدر عليه ولعلكم ان تدمموا ان كان الامر مخالفاً لطلبكم ورجاءكم
فابعث الينا رجلاً من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى به نحن وهم من شيء ..)

- وصل رسل المقوقس الى مقر قيادة عمرو بن العاص ، فاحتفظ بهم في
ضيافته مدة يومين بهدف اخضاعهم لحرب نفسية ، واطلاعهم على ما يرغب من
احوال المسلمين . وشعر المقوقس بالقلق نتيجة لتأخر مراسليه في العودة حتى
سأل مستشاريه :

(.. اترون انهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك في دينهم ..)

- عاد رسل المقوقس ، يحملون رد عمرو بن العاص وفيه :

(.. ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال :

١ - اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا .

٢ - وان ايتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون .

٣ - واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير
الحاكمين ..) .

- وجلس المقوقس الى رسله ، يستوضح منهم احوال العرب المسلمين فأجابوه :

(.. وأينا قوماً الموت احب الى احدم من الحياة والتواضع احب اليه من
الرفعة ، ليس لاحدم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، انما جلوسهم على التراب واكلهم
على ركبهم ، واجبرم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا
السيد منهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة ، لم يتخلف عنها منهم احد ، يفسلون
اطرافهم بالماء ويتخشمون في صلاتهم ..) .

وقال المقوقس عندها لجلسائه :

(.. لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتالهم احد ،

ولئن لم نفتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض ، وقفوا على الخروج من موضعهم ..

- في تلك الفترة من المفاوضات والحصار المضروب على بابليون وصلت المعلومات الى عمرو بن العاص عن اقتراب قوة الدعم بقيادة الزبير بن العوام ، فقرر عمرو الخروج بقوته لاستقبال الزبير ووضع خطة القتال .

- شعر تيودور قائد قوات الروم ان لديه من القوة ما يستطيع معها القضاء على قوة العرب قبل وصول قوات الدعم اليها ، فتحرك يحيوشه نحو هليو بوليس - عين شمس - الواقعة على مسافة ستة اميال من معسكر العرب ..

- توفرت المعلومات لدى عمرو بن العاص عن تصميم قائد الروم ، وعرف ان قوته تضم عشرين الف مقاتل ، بينما لم تكن قوة عمرو بن العاص تزيد على ثلاثة آلاف مقاتل ، فوضع مخططه لاحباط تصميم العدو وذلك باتباع ما يلي :
١ - وضع كتيبة من قواته عند أم دنين بمهمة القيام بهجوم جنبي على قوات الروم .

٢ - وضع كتيبة من قواته عند ثنية الجبل قرب القلعة الحالية بمهمة القيام بهجوم جنبي على قوات الروم من الطرف المقابل .

٣ - القيام بهجوم جنبي على القوات المهاجمة .

اتخذ عمرو بن العاص الاحتياطات الضرورية لاختفاء قوة الكمين وتوحيها حتى لا يشعر بها العدو ، كما نسق التعاون بين القوات بحيث يتم انقراض قوات الكمين على مؤخرة العدو ومجنباته في الوقت المناسب ..

- انطلق الروم بهجومهم من البساتين والأديرة الواقعة الى الشمال الشرقي من حصن بابليون ، وبدأت المعركة ضارية وشرسة ، وتم اللقاء بين الجيشين في مكان وسط بين معسكرين - قد يكون في موضع العباسية الآن - وعندما وصل زخم القتال ذروته ، ظهرت الكتيبة العربية من جهة الجبل فاجتاحت مؤخرة

الروم ، وألحقت بهم الهزيمة فتوجهوا نحو أم دنين وعند ذلك ظهرت قوة الكمين الثاني ، ففر الروم يحاولون النجاة ولكن فرسان المسلمين قاموا بالمطاردة بحيث لم يتمكن من النجاة أكثر من ثلاثمائة مقاتل ، نزلوا السفن وعادوا الى الحصن ..

- استقبل عمرو بن العاص الزبير بن العوام وتوجه مع قوات الدعم وشدد قبضة الحصار ، وبدأ الزبير بن العوام على الفور باستطلاع الحصون المحيطة ببابلون ، بينما انصرف عمرو بن العاص لتركيز المنجنيق بهدف ضرب المدينة ، وفي هذه الفترة وصل رسول من قبل المقوقس يحمل رسالة جاء فيها :

(.. ابعثوا لنا رسلاً منكم نعاملهم وتنداعى نحن وهم الى ما عساه ان يكون فيه صلاح لنا ولكم ..)

- شكل عمرو بن العاص وفداً من عشرة أفراد فيهم عبادة بن الصامت .. - كان عبادة بن الصامت شديد السواد ، وتظاهر المقوقس انه لا يرغب في الحديث مع « الاسود » لكن الوفد أصر على ان يكون عبادة هو الناطق باسمه ، ويحتمل ان يكون المقوقس قد أراد اختبار تماسك الوفد ومعرفة مقدار التلاحم بين افراده واثارة ناحية التفرقة باللون او الجنس ، لكن تصميم الوفد أحبط مخطط المقوقس ، وارغمه على قبول التفاوض معه ..

- دارت المحادثات في اطار من الترغيب والترهيب والشد والجذب واطهر عبادة تمسكه بمبادئ المفاوضات الثلاثة ، الدخول في الاسلام أو دفع الجزية أو الحرب .

- كانت المعارك مستمرة خلال فترة المفاوضات ، وأبصر الزبير بن العوام ثغرة في احد التحصينات فقال للمسلمين :

(.. اني اهب نفسي لله ، ارجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين ^(١))

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ، ١٠٤ ، والبلاذري ٢١٥ .

ووضع سلعاً في ناحية «سوق الحمام» وصعد بعد ان امر المقاتلين بالاجابة على تكبيرته جميعاً عندما يكبر فوق السور ..

- وصعد الزبير بن العوام ، وارتفع صوته مكبراً فوق السور ، وتندافع المسلمون على السلم حتى نهام عمرو خوفاً من ان ينكسر ، ونظم عملية الصعود ..
- عندما اقتحم الزبير ومن تبعه الاسوار ، ارتفع صوت المسلمين بالتكبير خارج الحصن ، وانتشر الرعب في صفوف الحامية المدافعة عن المدينة وظنوا ان المسلمين جميعاً قد اقتحموا الحصن فأسرع الزبير واصحابه الى باب الحصن وفتحوه واندفعت جموع المقاتلين للقضاء على المقاومات .

وسقط حصن بابلون بعد حصار استمر سبعة اشهر .^(١)

١١ - اتفاقية الصلح :

- استمرت المباحثات بين الوفد العربي - الاسلامي بقيادة عبادة بن الصامت وبين المقوقس حاكم مصر ، وانتهى الامر بتوقيع اتفاقية للصلح .

- بسم الله الرحمن الرحيم -

هذا ما اعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الأمان على انفسهم وملتهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب ، وعلى اهل مصر ، ان يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين الف الف ، وعليهم ما جنى لصوتهم فان ابى احد منهم ان يوجب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وضمننا بمن أبى بريئة . وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك . ومن دخل

(١) يرى بعض المؤرخين ان بابلون هي قصر الشمع ، ومكانه الآن الدير المحرق في مصر القديمة ، وقد بني هذا القصر بعد تدمير مصر من قبل نبوخذ نصر - بخت نصر - وهناك اختلاف بين المؤرخين حول التاريخ الذي شيد فيه القصر وفيمن انشأه من الملوك ، وكان الشمع يوقد على هذا القصر في رأس كل شهر حتى يعلم الناس بانتقال الشمس من برج الى برج ..

في صلحهم من الروم والنوب لله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه او يخرج من سلطاننا وعليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب ، عهد الله وفضته وذمة رسوله وذمة الخليفة امير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى التوبة الذين استجابوا ان يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا .. وكذا فرساً على ان لا يفزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة .

شهد الزبير بن العوام وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان (١)

- اشترط المقوقس لتطبيق الاتفاقية الحصول على موافقة هرقل ، ملك الروم ، وارسل المقوقس يعلم هرقل باتفاقه مع العرب المسلمين ، فجاءه جواب هرقل :

(.. انما اتاك من العرب اثنا عشر ألفاً ، وبمصر من بها من كثرة القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروم علينا فان عندك بمصر من الروم بالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة الف ، معهم العدة والقوة ، والعرب وحالمهم وضعفهم على ما قد رأيت فعمزت عن قتالهم ورزيت ان تكون انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم ؟ انهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة ، فناهضهم القتال ولا يكون لك رأي غير ذلك ..

- وكتب هرقل ملك الروم كتاباً مماثلاً الى قاده من الروم ..

- اقبل المقوقس الى عمرو بن العاص وقال له :

(.. ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني ، وكتب الي والى جماعة للروم ألا نرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتى يظفروا بك او تظفروهم ، ولم اكن

(١) الكامل ، لابن الاثير ٢ - ٣٩٦ ، وفي ابن خلدون بدل قوله هنا (وعليهم ما جنى لصوتهم) وعليه من جنى نصرتهم وهو غلط والصواب ما هنا والصوت جمع لصيت وهو الص .

لأخرج بما دخلت فيه وعاهدتك عليه ، وأنا سلطانى على نفسي ومن اطاعني ،
وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت منهم نقض وأنا متم لك على نفسي
والقبط متمون لك الصلح الذي صالحتهم وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا منهم بريء
وأنا اطلب اليك ان تعطيني ثلاث خصال :

١ - الا تنقض بالقبط ، وادخلني معهم والزمني ما لزمهم ، وقد اجتمعت
كلتي وكتبهم على ما عاهدتك عليه فهم متمون لك على ما تحب .

٢ - ان سألك الروم بعد اليوم ان تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فينا
وعبيداً فانهم اهل ذلك لاني نصحتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتهموني .

٣ - اطلب اليك ان انا مت ان يدفنوني في ابي بجنس بالاسكندرية (١) .

- وهكذا تم تتويج النضال المسلح باتفاقية للصلح تنظم علاقات المجتمع
الجديد وترسخ اسسه على قواعد واضحة .

- وكان من اول نتائج هذه الاتفاقية خلق انقسام بين جماهير شعب مصر
وبين سلطة الاحتلال البيزنطية ..



- مرت فترة ايام اربعة بين سقوط بابليون وبين توقيع اتفاقية الصلح ،
وحدث خلالها قتال ، واعتبر العرب ان ما حصلوا عليه من سبي هو حق لهم .
وبلغ عمر بن الخطاب ذلك ، فرد السبي الخاص بمن لم يقاتل المسلمين خلال الايام
الاربعة واعاده الى اهل .

- بلغ عمرو بن العاص ان القبط يقولون : (.. ما أوث العرب ، وأهون
عليهم انفسهم ما رأينا مثلاً دان لهم ؟ فخاف ان يطعمهم ذلك ، فأمر بجزر (٢)
فذهبت وطبخت بالماء والملح ، ودعا امراء الاجناد فاعطوا اصحابهم فحضروا

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) جزر ، جمع جزور يقع على الذكر والاثني من الابل وفي الاصل جزور .

عنده وأكلوا أكلاً عربياً ابتشكوا^(١) وحشوا وهم في العباء بغير سلاح فازداد طمعهم ، وأمر المسلمين ان يحضروا الغد في ثياب اهل مصر واحذيتهم ففعلوا وأذن لأهل مصر فرأوا غير ما رأوا بالأمس ، وقام عليهم القوام بالوان مصر فأكلوا اكل اهل مصر (ونحوا نحوهم) فارتاب القبط ، وبعث ايضاً الى المسلمين تسليحوا للعرض غداً ، وأذن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم : علت حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب فضيبت ان تهلكوا فاحببت ان اريكم حالهم في ارضهم كيف كانت ، ثم حالهم في ارضكم ثم حالهم في الحرب فقد رأيتم ظفرهم بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم بما نالوا في اليوم الثاني^(٢) ، فاردت ان تعلموا ان ما رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني وراجع الى عيش اليوم الاول ..) .

وتفرق القوم وهم يقولون : (لقد رمتكم العرب برجلهم ..)

وعلم الخليفة عمر بما فعله عمرو بن العاص فقال :

(.. والله ان حربه لمنية ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره ..) .

— انصرف عمرو بن العاص الى اعادة تنظيم قواته ، وارساء دعائم المجتمع الجديد، واجرى مقام الصلح ما أخذه عن طريق الحرب بهدف اكتساب عواطف جماهير الشعب المصري .

وخلال مرحلة اعادة التنظيم هذه وجه عمرو بن العاص قوة قتالية بقيادة عبد الله بن حذافة السهمي بمهمة فتح عين شمس ، فقلب عبد الله على ارضها وصالح اهل قراها على مثل صلح الفسطاط ..

(١) ابتشكوا : اسرعوا .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢ - ٣٩٦ ، وفي الطبري يذكر هنا العبارة التالية : (وقد كلبوا على بلادكم قبل ان ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني ..) وهي اكثر وضوحاً .

— ووجه ايضاً خارجة بن حذافة العدوي فصالح اهل قرى الفيوم والاشمونين واخم والبشر ودات وقرى الصعيد على مثل صلح القسطاط ..

— كما وجه في الوقت ذاته مجموعة قتالية ثالثة بقيادة عمير بن وهب الجمحي الى قنيس ودمياط وقونة ودميرة وشطا ودقهلة ونبا وبوصير فصالح اهلها على مثل صلح القسطاط (١) ..

— ووجه عقبة بن عامر الجهني ، ويقال وردان مولاه الى سائر قرى اسفل الارض ففعل مثل ذلك ، وبذلك استجمع عمرو فتح مصر فصارت ارضها ارض خراج (٢) .

— عندما انتهى عمرو بن العاص من اعادة تنظيم قوته ، وعرف انه قادر على الانطلاق لمتابعة عملياته من قاعدة قوية ومأمونة ، استأذن الخليفة عمر في فتح الاسكندرية فأذن له بذلك ، فاستخلف على مصر خارجة بن حذافة العدوي وانطلق بقواته في اتجاه الشمال ..

١٢ — في الطريق الى الاسكندرية :

طرونوط ، في بداية فتح الدلتا (٣)

— خرج عمرو بن العاص بالمسلمين من بابليون ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط ، وكان القبط يدعون قوات المسلمين ، فيصلحون لهم الطرق ، ويقيمون الجسور والاسواق ، ويقدمون العون والاداد وكل ما هو ضروري للقتال ومن مواد التموين .

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ٣٠٤ .

(٢) فتوح البلدان ، البلاذري ٢١٨ .. والمقصود بأسفل الارض منطقة الدلتا .

(٣) طرونوط او ترونوط او الطرانة كما يسميها العرب ، مدينة قديمة كان عندها معبر فوق النيل للذهاب الى الاسكندرية ، ومنها يبدأ الطريق المؤدية الى اديرة القبط في صحراء ليبيا ، اما ترونوط الحالية فهي قرية على النيل بمرکز النجبة المسمى الآن مركز كوم حمادة من اعمال محافظة البحيرة ، وكان بها معاصر قصب السكر وبساتين كثيرة تزود منها الاسكندرية بالفاكهة .

- توفرت المعلومات عند قيادة الروم حول تحرك عمرو بن العاص واستعداده للقتال وقوة جيشه فأخذوا في الاستعداد لمواجهته .

- كان على قيادة المقدمة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان حامل لواء المقدمة وردان مولى عمرو بن العاص ، ومن المحتمل ان يكون عمرو بن العاص قد اختار السير على الضفة الغربية للنيل في جهة الصحراء بسبب اتساع المجال لعمل الخيل وبحيث لا يعيق تحركها الترع والقنوات في دلتا النيل .

- عندما وصلت قوات المقدمة الى « طرنوط » اصطدمت بقوة متقدمة للروم وحدثت بين المقدمتين معركة قصيرة وحاسمة انتهت بهزيمة قوة الروم وفراها من أرض المعركة ..

- وتابع الجيش تقدمه حتى نقيوس فتصدى القائد دومينتانوس لجيش المسلمين ووقعت معركة طاحنة انتهت بهزيمة قوات الروم ، وانطلقت فلول القوات المنهزمة في اتجاه الشمال ..

- اصدر عمرو بن العاص اوامره بتشكيل قوة من الفرسان تحت قيادة شريك بن سمي لمطاردة فلول قوات العدو .

- نجحت قوات الروم في تنظيم مقاومتها على بعد ستة عشر ميلاً الى الشمال من طرنوط ، ودارت معركة شرسة كان التفوق فيها لصالح قوات الروم ، ووقعت قوات شريك في موقف حرج ، فأرسل شريك مراسلاً يعلم عمرو بن العاص بخطورة الموقف ويطلب دعمه بالقوات وعندما وصلت المعلومات عن اقتراب قوات دعم المسلمين ، اخذت قوات الروم في الفرار بعد ايام ثلاثة من القتال ، وقد اطلق على هذا الموضع الذي حدث فيه القتال باسم القائد العربي وهو معروف الى اليوم باسم كوم شريك ، وهي قرية من قرى كوم حمادة ..

- تابعت قوات العرب المسلمين تقدمها حتى وصلت سلطيس^(١) ووقعت

(١) سلطيس ، كذا في الاصل ، وصواب الاسم سنطيس ، وهي قرية كبيرة في منتصف المسافة تقريباً بين كوم شريك والكديون على ستة اميال في جنوب دمنهور .

معركة ضارية قاتلت فيها قوات الطرفين بشجاعة وعناد ، ولكن المعركة انتهت بانتصار قوات المسلمين ، وأخذت قوات الروم في الفرار من القتال في اتجاه الاسكندرية .

١٣ - الكريون ، آخر معركة قبل الاسكندرية ^(١) :

- كانت مدينة الكريون آخر حصن من سلسلة الحصون الممتدة للروم بين حصن بابلين والاسكندرية ، وكان للمدينة حاكم تحت قيادته قوة من الفرسان والمشاة - مسلحة - وكان لها خطر كبير في الحرب نظراً لاشرافها على الثروة التي تعتمد عليها الاسكندرية في طعامها وشرايها ، لكن حصونها لم تكن في القوة والمنعة على مثل ما كان عليه حصن بابلين او حصن نقيوس او حصن الاسكندرية ..

- وصلت القوات المتقدمة للعرب المسلمين بقيادة عبد الله بن عمرو وحامل اللواء وردان مولى عمرو ، واشتبكت هذه القوات مع الحامية المدافعة عن المدينة ، ودارت رحى معركة ضارية قاتل فيها الروم بعناد كبير واصيب عبد الله بجراح كثيرة ، فقال لوردان : (... لو تقهقوت قليلاً نصيب الروح ..) فأجابه وردان : (... الروح تريد ؟ . الروح امامك وليس هو خلفك ..) ^(٢)

وصمد عبد الله ، وثبت المسلمون ، ونجح عبد الله في احراز بعض التقدم ، وعلم عمرو بن العاص باصابة ابنه بجراح فأرسل من يستطلع له خبره ، ووصل المراسل فسأل عبد الله عن جراحه فأجابه :

اقول اذا ما جاشت النفس اصبري فعماً فليس تحمدي او تلاهي

(١) الكريون : مدينة قديمة ، زارها ابن حوقل ، وذكر عنها في كتابه أنها كانت في أيامه مدينة عظيمة جميلة على دفتي ترعة الإسكندرية ، وكان التجار يركبون منها القوارب إلى القسطنطينية أيام الصيف عندما يرتفع مستوى مياه النيل ، وكان يتم إمداد الإسكندرية بالحبوب والقمح عن طريق الكريون

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١١٠

ويروى البيت أيضاً :

اقول لها اذا جشأت وجاشت رويدك تحمدي او تستريحي

ورجع المراسل الى عمرو ليقول له ما ذكره ابنه ، وعندها قال عمرو :

هو ابني حقاً ..

- استمرت معركة الكديون بضعة عشر يوماً ، صبر فيها العرب المسلمون صبراً كبيراً وقاتل الروم ببسالة ، لكن تصميم العرب وصبرهم كان أقوى من شجاعة الروم وتفوقهم العددي فنجحوا في النهاية بانتزاع النصر ، وسقطت حصون الكريون في قبضة المسلمين ، وتمزقت الحامية المدافعة عن المدينة فأخذ افرادها يبحثون عن طريق النجاة الى الاسكندرية ..

١٤ - فتح الاسكندرية الاول سنة ٥٢١ - ٦٤١ م :

- كان للاسكندرية حصون منيعة وقوية لا سبيل للوصول اليها . وكانت هذه الحصون مضاعفة بحيث تستطيع الحصون الخلفية دعم الحصون الامامية . - وكان هرقل ملك الروم قد دعم الاسكندرية بقوات كبيرة حتى وصل عدد افراد الحامية المدافعة عنها الى مائة الف مقاتل ١٠٠,٠٠٠ ، وكان هدف هرقل من ذلك هو :

١ - الاحتفاظ بالاسكندرية كقاعدة متقدمة للهجوم المضاد من اجل انتزاع مصر من قبضة العرب المسلمين .

٢ - الاحتفاظ بالاسكندرية كقاعدة بحرية توفر الأساطيل البيزنطية ما تحتاجه من امداد وتموين ..

ولا أدل على اهتمام بيزنطة بالاسكندرية مما قاله هرقل عندما بلغه تقدم العرب المسلمون في اتجاه مصر ووصولهم الى بابلون ..

[.. لنن ظهرت العرب على الاسكندرية فان ذلك انقطع ملك الروم]

وهلاكهم لانه ليس للروم كنانس اعظم من كنانس الاسكندرية .. [١١]
ونتيجة لذلك اصدر هرقل اوامره الى أجهزة دولته بالاستعداد للانتقال الى
الاسكندرية حتى يستطيع مباشرة قيادة الأعمال القتالية فيها بنفسه ، وأمر
بالا يتخلف عنه أحد من الروم ..

— أنهى هرقل استعداداته ، وكان العرب لا زالوا على حصار بابلين ، وكان
المقوقس قد عقد معهم اتفاقية للصلح ، وعندما وضع هرقل مخططه للانتقال الى
الاسكندرية وافقه المنية ، فمات في يوم الاحد ١١ فبراير - شباط - ٦٤١ ،
وكان لموته في تلك الفترة الحرجة أثر كبير وحاسم في احباط الارادة القتالية
ليزنطة وأخذ جمع كبير في الرجوع الى بيزنطة بعد ان كانت متوجهاً الى
الاسكندرية ..

— انطلقت قوات العرب المسلمين بعد معركة الكريون واخذت في ضرب
حصار حول الاسكندرية ، فنزل عمرو بن العاص في حلوة وانتشرت قوات
العرب المسلمين من حلوة حتى قصر فارس والى ما وراءه كما نزل رؤساء القبط مع
المسلمين وأخذوا على عاتقهم امداد جيش المسلمين بما يحتاجه من أطعمة وأغذية
ومتطلبات للمقاتلين وخبولهم ..

— طال حصار الاسكندرية ، وحدثت خلال فترة الحصار مجموعة من المعارك
الضارية (٢) ، وشعر عمرو بن العاص ان أمد الحصار سيطول نظراً لوصول
امدادات مستمرة الى الحامية المدافعة عن المدينة بطريق البحر ، وخشي ان
تحدث ردة في مصر ، فقرر العودة الى ام دنين - المعتنس - للبقاء في مركز
متوسط من الدلتا للاشراف على إعادة تنظيم المجتمع واقامة العلاقات الجديدة
فيه ، واستخلف على رابطة الاسكندرية عبادة بن الصامت وعاد الى ام دنين
بعد شهرين من حصار الاسكندرية ..

(١) و (٢) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٩٨ - ١٠٣ - ١١٦
(٢) صلى عمرو بن العاص صلاة الخائف بسبب شدة هذه المعارك وقسوتها .

- استبطاً الخليفة عمر فتح مصر ، فكتب الى عمرو بن العاص رسالة جاء فيها : (١)

[.. اما بعد ، فقد عجبت لابطانكم عن فتح مصر ، انكم تقاتلون منذ سنتين وما ذلك الا لِمَ احدثتم واحببتم من الدنيا ما احب عدوكم وان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً الا بصدق نياتهم ، وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر واعلنتك ان الرجل منهم مقام الف رجل على ما كنت اعرف الا ان يكونوا قد غيرهم ما غير غيرهم ، فاذا اتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية ، وقدم اولئك الاربعة في صدر الناس ومُر الناس جميعاً ان يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألونه النصر على عدوهم ..] .

- جمع عمرو بن العاص المسلمين ، وقرأ عليهم رسالة الخليفة ، وعقد لواء القوات لعبادة بن الصامت فنظم عملية الهجوم بعد استطلاع دقيق ، وقام بهجوم حاسم اظهر فيه المقاتلون من الشجاعة والتصميم ما ساعدهم على اقتحام أسوار المدينة .

وسقطت الاسكندرية في يد عبادة بن الصامت بعد اربعة اشهر من الحصار ، على أثر سقوط الاسكندرية تم توقيع معاهدة للصلح مع العرب المسلمين كانت اكثر نقاطها أهمية ما يلي :

١ - فرض الجزية على كل فرد لا يرغب في الاسلام بمقدار دينارين على الفرد الواحد .

٢ - اقامة هدنة لفترة احد عشر شهراً يتم خلالها جلاء الروم عن الاسكندرية .

٣ - بقاء العرب المسلمون في مواقعهم خلال فترة الهدنة وايقاف الأعمال القتالية بين الطرفين .

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٩٨ - ١٠٣ - ١١٦

- ٤ - عدم تعرض المسلمون للكنائس وعدم التدخل في امور المسيحيين .
 ٥ - يسمح للعامة البيزنطية ان يحملوا معهم عند جلانهم ما يملكون من اموال وأمتعة مع دفع جزية شهر عند رحيلهم ..
 ٦ - السماح لليهود بالبقاء في الاسكندرية .
 ٧ - تسليم ١٥٠ مقاتلاً من جند الروم و ٥٠ من الحكام حتى يكونوا رهائن عند المسلمين خلال مرحلة تنفيذ الاتفاقية .

- وجمع بعد ذلك جمع السبي والنصارى بحضور حاكم الاسكندرية ، وخبروهم فرداً فرداً فمن اختار المسلمين كبروا ، ومن اختار النصارى جزعوا عليه وفرضوا عليه الجزية . واستثنى من الجزية النساء والشيخوخ والاطفال والماعزين عن دفعها من الفقراء ..

- التزاماً من عمرو بن العاص باتفاقيته مع المقوقس بمنح الحرية الدينية ، ارسل عمرو بن العاص كتاباً الى البطريق « بنيامين » أعاد له « الحرية والامن » بعد ان مضى عليه طريداً شريداً مدة ثلاث عشرة سنة ، فقدم البطريق بنيامين الى الاسكندرية واستقبل فيها استقبالاً جيداً، وألقى على مسامع عمرو بن العاص خطاباً بليفاً ضمنه ما يراه ضرورياً من مقترحات للحفاظ على كيان الكنيسة ، فقبلها عمرو ومنحه الصلاحية التامة لادارة شؤون الكنيسة . ووقف اسقف نقيوس بدير مقاريوس يرحب بالبطريق بنيامين يشرح ما قام به من تضحيات في سبيل الكنيسة القبطية ، فوقف بنيامين يرد على باسيلي اسقف نقيوس وكان مما قاله :

[.. لقد وجدت في مدينة الاسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدتهما بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون ..]^(٢١)

.....
 (١) فتوح البلدان للبلاذري ٢٨٨ ، والولة للكندي ص ٩ ، وفتوح مصر لابن ابي عمير ١١٧ ،
 والكامل في التاريخ لابن الاثير ٣٩٧ .
 (٢) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم ١ - ٢٤٠ .

- وكان لهذه السياسة التي اتبعها عمرو بن العاص دور حاسم في تحقيق الأمن والاستقرار خلال مرحلة بناء المجتمع الجديد ، يجتمع العرب المسلمين ..

- لم يخسر العرب المسلمون في معركة فتح الاسكندرية اكثر من ٢٢ رجلاً^(١) وعندما تمت عملية الفتح ، قسم عمرو بن العاص الفيء على المقاتلين وبعث الخمس الى الخليفة عمر ومعه سبي بلهيت والحنيس وسلطيس ، على اعتبار ان هذه البلدان فتحت حرباً ، كما ارسل مع الوفد الرسالة التالية :

[.. اما بعد ، فاني فتحت مدينة لا اصف ما فيها غير اني اصبت منها اربعة آلاف منية بأربعة آلاف حمام واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعمئة ملهى للملوك ..]^(٢)

- كان عدد الروم في الاسكندرية من الرجال مائتي الف ، وكان بها مائة مركب حملت ثلاثون ألفاً من كبارهم وقادتهم ومعهم ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقي من بقي أسارى في يد المسلمين ، وتم احصاء من فرض عليهم الخراج فكانوا ستمائة الف رجل سوى النساء والأولاد .

- وكان في الاسكندرية عدد كبير من اليهود رحل في الليلة التي دخلها عمرو بن العاص او في الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعين الف يهودي وبقي اربعون ألفاً ..

- عندما وصل السبي الى المدينة ، اعاده الخليفة عمر الى مصر بهدف اعادة بناء مجتمع مصر على أسس وطيدة وثابتة ، بعيدة عن الظلم والاضطهاد وكان لذلك دور كبير في اكتساب عواطف جماهير الشعب والتفافها حول العرب المسلمين ..

١٥ - خراب خربة وردان :

- الخربة قرية صغيرة كانت في طريق الاسكندرية ، وكان اهلها رهباناً

.....

^(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٢١ .

^(٢) فتوح البلدان ، البلاذري ٣٠٣ .

كلهم، فغدروا بقوم من ساقية عمرو بن العاص فقتلواهم بعد ان بلغ عمرو الكريون وعندما وصلت اخبار ما فعلته هذه القرية الى عمرو بن العاص اوقف تقدمه وأرسل مجموعة قتالية بقيادة مولاة وردان ، فقتل اهلها ودمر القرية ولم يبق حتي الآن منها سوى اطلال تشهد على الغدر وعاقبته على اهل ..

١٦ - رابطة الاسكندرية :

— لما استقامت البلاد وفتح الله على المسلمين الاسكندرية ، قطع عمرو بن العاص من اصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس خاصة ، الربع يقيمون ستة أشهر ثم يعقبهم شاتية ستة اشهر ، ربع في السواحل ، والنصف الثاني مقيمون معه . — وكان الخليفة عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية ، وكانب الولاة لا تغفلها وتكثف رابطتها وتأمين الروم عليها ^(١) .

١٧ - فتح برقة ^(٢) وزويلة ^(٣)

— اراد عمرو بن العاص تصفية قواعد بيزنطة في شال افريقيا وتأمين الجبهة الغربية لمصر ، فاستخلف على الاسكندرية عبد الله بن حذافة السهمي ، وقاد جيشه متوجهاً نحو الغرب ، متبعاً في تقدمه المحور الساحلي ..

— وصلت قوات العرب المسلمين الى برقة ، وعقد عمرو بن العاص صلحاً مع اهلها على اساس دفع الجزية ، وتوقف عمرو بن العاص في برقة ووجه مجموعة قتالية بقيادة عقبة بن نافع الى « الزويلة » في قلب الصحراء ، فصالح اهلها على مثل صلح برقة .. ^(٤)

.....

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٥٨ .

(٢) برقة ، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن ، وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر - معجم البلدان ٢ - ١٣٣ .

(٣) زويلة : بلدان احدهما زويلة السودان مقابل اجدابية في البر بين بلاد السودان وافريقية

أو زويلة في وسط الصحراء هي أول حدود بلاد السودان - معجم البلدان ٤ - ١٨ .

(٤) فتوح البلدان ، البلاذري ٣١٤ ، الكامل في التاريخ ٣ - ١٠ .

١٨ - فتح أطرابلس^(١) سنة ٥٢٢ هـ - ٦٤٢ م :

سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس ، وتحصن أهلها فحاصرها عمرو ، ومضى شهر والمدينة ممتعة على المسلمين ، ثم خرج رجل من بني مدلج للصيد معه سبعة من رفاقه المقاتلين وتوجهوا غرب المدينة حتى انفصلوا عن المعسكر ، ثم رجعوا ، فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور ، وكانت سفن الروم شارعة في مرساها الى بيوتها ..

- نظر المدلجي وأصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ، ووجدوا مسلكاً إليها من الموضع الذي غاض فيه البحر فدخلوا فيه حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا ، فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم ، وأبصر عمرو وأصحابه المتسللين الى قلب المدينة ، فأقبل يحيشه حتى دخل عليهم ، فلم تفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم ، وغنم عمرو ما كان في المدينة .^(٢)

- كان اهل سبرت^(٣) متحصنين ، وقد اطمأنوا بعد ان بلغهم امتناع أطرابلس على جيش العرب المسلمين وصمودها في وجههم ، ولهذا اسرع عمرو بن العاص الى توجيه مجموعة قتالية من الفرسان في ذات الليلة التي تم فيها فتح أطرابلس وأمر قائد المجموعة بالاسراع في سيره حتى يستطيع مباغتة سبرت ..

- وصلت المجموعة القتالية مع اول ضوء من النهار ، وفتح اهل مدينة سبرت ابواب مدينتهم وأطلقوا ماشيتهم للرعي ، فباغتهم العرب المسلحون

(١) أطرابلس : مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض افريقية ، معجم البلدان ١ - ٢٨٥ و ٦ - ٣٤ ، واسمها الآن : طرابلس وهي مدينة كبيرة على البحر الابيض المتوسط وهي العاصمة الثانية لليبيا والعاصمة الاولى هي بنغازي .

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٣١ . وفتوح البلدان ٣١٦ .

(٣) سبرت ، اسمها نبرة ، وسبرت السوق القديم وربما نقله الى نبرة عبد الرحمن بن حبيب سنة ٥٣١ هـ .

بالمهجوم ودخلوا المدينة ، وبعد ان فتحوها ، عادوا الى مقر قيادة عمرو بن العاص في أطرابلس ..

— توقف عمرو بن العاص في أطرابلس ، وارسل الى الخليفة عمر بن الخطاب رسالته التالية :

[.. ان الله قد فتح علينا اطرابلس ، وليس بينها وبين افريقية الا تسعة ايام فان رأى امير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل ..] .
وجاء رد الخليفة :

[.. لا ، انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة ، غادرة مغدور بها ، لا يغزوها احدا بقيت ..] ^(١)

— وتوقفت عملية الفتح غرب مصر عند أطرابلس ، واستخلف عمرو بن العاص على ليبيا عقبة بن نافع الفهري ، ثم عاد الى الفسطاط بعد أن أكمل فتح ليبيا ..

١٩ — فتح الاسكندرية الثاني ٥٢٥ — ٦٤٥ م :

— كان أمراً محتملاً أن تصاب مصالح بعض اهالي مصر بالضرر ولا سيما الطبقة الغنية منهم ، وكان لا بد من بقاء بعض الروابط بين حكام بيزنطة وبين بعض انصارهم من سكان البلاد بسبب طول عهد حكم بيزنطة لمصر ، ونتيجة لذلك ، فقد عمد بعض اهل الاسكندرية الى كتابة الرسائل وارسالها الى بيزنطة يطلبون دعماً للقيام بثورة مضادة .

— وجه قسطنطين بن هرقل ملك بيزنطة الى مصر قوة مكونة من حمولة ثلاثمائة مركب يقودها « منويل » الخصي ، فنزلت هذه القوة بالاسكندرية وانضمت اليها بقية قوة الروم .

— حافظ المقوقس على اتفاقية الصلح مع المسلمين ، فلم يدعم قوة الروم

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ٣١٦ ، فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٣٢ .

وانضم اليه من اطاعه من القبط وأما الروم فلم يطعه منهم أحد ..

— كان الخليفة عثمان بن عفان قد اصدر امره بعزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد ، فلما نزلت الروم بالاسكندرية سأل اهل مصر عثمان ان يقر عمرواً حتى يفرغ من قتال الروم ، فان له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل^(١) .
— تقدم عمرو بن العاص بجيشه واقترح عليه خاتمة بن حذافة الاسراع للقاء الروم قبل انطلاقهم من الاسكندرية وكان مما قاله له :

[.. فامضهم قبل ان يكثر مددهم ، ولا آمن ان تنتقض مصر كلها ..] .
فاجابه عمرو : - [لا .. ولكن ادعهم حتى يسيروا الي فانهم يصيبون من مروا به ، فيخزي الله بعضهم ببعض ..]

وهكذا تعمد عمرو بن العاص التأخر في مجابهة الروم بهدف اقناع اهالي البلاد وجامعيها ، عن طريق التجربة المباشرة ، بالفارق بين اسلوب التعامل مع العرب المسلمين واسلوب معاملة الروم لأهالي البلاد ..

— خرج الروم من الاسكندرية ، فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون اطعمتها وينتهبون ما مروا به ، فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس .

— وصل عمرو بن العاص وجيشه المكون من خمسة عشر الف مقاتل الى نقيوس^(٢) ودارت معركة عنيفة بين الروم والمسلمين ، كان مسرحها في البر والبحر ، ثم انضمت قوات الروم كلها في صفوف متعاقبة ، وصمد المسلمون صموداً رائعاً وقاتلوا بعناد وبرز في المعركة اسم حومل ابا مذحج من زبيد حيث تمكن من القضاء على بطريق الروم .. وبذل البطارقة الذين احضرهم الروم معهم جهداً في اثارة حماسة مقاتلي الروم ، لكن عمرو بن العاص نجح في انتزاع النصر

(١) فتوح مصر والمغرب ٢٣٥ . البلاذري ٣٠٩ .

(٢) نقيوس : من المدن المصرية القديمة ، زالت ولم يبق منها سوى كوم أثري موجود في الجهة البحرية من سكن زاوية وزين بمركز منوف المعروف عند الاهالي هناك باسم كوم مانوس ، او : وقيانوس ، وهما محرفان من نقيوس .

واخذت قوات الفرسان تطارد فلول الروم حتى وصلوا الاسكندرية وتحصنوا بها .
- امتنع الروم بالاسكندرية ، مما أثار عمرو بن العاص [فأقسم لئن اظهره
الله عليهم ليهدمن سورها ...]

- جهز عمرو بن العاص قواته ، ونظم هجومه بحيث يتم الانقضاض على
الاسكندرية برأ وبجراً ، كما وضع المنجنيق لتهديم أسوار المدينة ودعم الهجوم .
- قامت قوات العرب المسلمين بهجوم حاسم ، ونجحت في اختراق المدينة
وقتل قائد قوات الروم « منويل » وامعن عمرو بن العاص في قتال الروم داخل
الاسكندرية ثم كلم في ذلك ، فأمر برفع السيف عنهم وبنى في ذلك الموضع
المسجد المعروف باسم « مسجد الرحمة » ثم اصدر عمرو بن العاص اوامره بهدم
اسوار الاسكندرية . وكان اول ما فعله عمرو بن العاص بعد ذلك هو
الأموال والمتاع مما نهبه الروم وارجاعه الى أصحابه الذين يظهرون بينة على ملكية
المتاع الخاص بهم ..

٢٠ - تأمين الحدود الجنوبية لمصر - ٢١ هـ :

- اراد عمرو بن العاص تأمين الحدود الجنوبية لمصر وذلك قبل التوجه لفتح
الاسكندرية فشكل مجموعة قتالية بقيادة عقبة بن نافع الفهري ووجهها الى النوبة ،
واصطدمت هذه المجموعة القتالية بمقاتلي النوبة ، وقد أفاد هؤلاء من طبيعة
الارض ، واتقائهم الاختفاء والتمويه واستخدام السهام والنبال على نطاق واسع
فأوقعوا في صفوف المسلمين اصابات كبيرة ، وكانت اكثر الاصابات في عيون
المقاتلين . واستمر عمرو بن العاص بعد ذلك في توجيه المقاتلين الى ان جاء عبد
الله بن سرح فمقعد صلحاً مع اهل النوبة ..

القسم الأول

الفصل الثالث

الدروس المستفادة من عمليات فتح مصر

- ١ - اعطاء الأفضلية لمسارح العمليات ومحاور الهجوم .
- ٢ - الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .
- ٣ - المباغتة .
- ٤ - الحفاظ على الهدف .
- ٥ - وحدة القيادة .
- ٦ - كفاءة افراد القيادة العامة .
- ٧ - الهجوم .
- ٨ - اجبار الخصم على بعثرة قواته .
- ٩ - الحشد ومرونة الحركة :
- ١٠ - المطاردة .
- ١١ - التمكن من مؤونة العدو نفسه .
- ١٢ - الحرب النفسية .

- ١٣ - التسليح .
- ١٤ - الروح المغنوية للمقاتلين .
- ١٥ - انشاء علاقات اجتماعية جديدة .

قراءات

- ١ - عمرو بن العاص .
- ٢ - الزبير بن عوام .
- ٣ - عبد الله بن حذافة السهمي .
- ٤ - خارجة بن حذافة المدوي .
- ٥ - عمير بن وهب الجمحي .
- ٦ - عقبة بن عامر الجهني .
- ٧ - عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي .
- ٨ - مقتل الارطوبون ..

★★★

الدروس المستفادة من عمليات فتح مصر

وقعت خلال فتح مصر مجموعة من المعارك كان فيها ميزان القوى كالتالي :

المركة	قوة المسلمين	قوة الروم	میزان القوى	ملاحظات
بليبيس	٣٥٠٠	١٠٠.٠٠٠	واحد لثلاثة في صالح الروم	لم يذكر المؤرخون الأرقام الدقيقة بعد كل معركة . ولهذا فأن هذه الأرقام تقريبية (١)
ام دفين	٣٥٠٠	٨٠.٠٠٠	واحد الى عشرين في صالح الروم	
بابليون	٨.٠٠٠	١٠.٠٠٠	واحد الى واحد تقريباً	
الاسكندرية	٨.٠٠٠	١٠٠.٠٠٠	واحد مقابل اثني عشر في صالح الروم	

- ترى ما هو شكل الحوار الذي سيتم لو طرح ميزان القوى المذكور أعلاه للنقاش ؟ وكيف سيكون الرد لو تقدم أحدهم في مؤتمر للحرب و أعلن ان باستطاعته تنظيم هجوم بقوة أربعة آلاف أو ثمانية آلاف مقاتل ضد بلد يستطيع زج مائتي ألف مقاتل ، بحيث يكون ميزان القوى واحد ضد عشرين ؟ ..

- ان الرد على هذا المشروع لو طرح - بأي شكل وعلى أية صورة - سيكون نظرة اشفاق أو ابتسامة سخوية على أقل تقدير ، وسيوصف المشروع بصورة عادية اما بالمقامرة المجنونة ، أو التهور الأحمق ، والمصير الحتمي الذي يتوقعه الجميع هو الفشل ..

.....

(١) المرجع ، فتح مصر والغرب ، ابن الحكم ٨٦ - ١٠٤ - ٢٣٠ .

- لكن هذا لم يحدث عندما اقترح عمرو بن العاص فتح مصر وأمكن له تحقيق مشروعه .

- لقد جابه كثير من القادة مواقف مماثلة ، فقد جابه - غودريان - القائد الألماني موقفاً مماثلاً عندما اقترح القيام بهجومه عبر الحدود البلجيكية غداة الحرب العالمية الثانية ، وأمكن له أيضاً تنفيذ اقتراحه بنجاح على الرغم مما جوبه به من احباط وسخرية ..

- وعودة الى عمليات فتح مصر .. وطرح سؤال :

- كيف استطاع عمرو بن العاص تحقيق انتصاراته المتتابة حتى انتهى من فتح مصر ؟

- قد يكون من السهل ، الجلوس وراء مكتب دراسي مريح في غرفة وثيرة والقول بحسن نية أو سوء نية :

١ - لقد كانت هناك هوة فاصلة بين جهاز الحكم وبين جماهير الشعب في مصر .

٢ - لقد كانت هناك انقسامات دينية مزقت الشعب وأضعفت قدرته القتالية .

٣ - وكانت هناك نقاط ضعف في التنظيم القتالي للقوات البيزنطية .

ثم متابعة العملية بهدف انقاص أهمية القدرة القتالية للقوات العربية الاسلامية سواء على مستوى القيادات أو على مستوى القوات المقاتلة وبالتالي انقاص العامل الايديولوجي الذي خاضت القوات معاركها من أجله .

- ان للحرب قوانينها المعروفة وقواعدها الراسخة ومبادئها الثابتة وقد خاضت قوات العرب المسلمين - قيادة ومقاتلين - حروبها وفق قواعد ثابتة وواضحة ، وان من أبسط المعطيات التي يمكن قولها في موضوع عمليات فتح مصر ..

١ - كان فوق أرض مصر قوة مقاتلة يمكن حشدتها في جبهة واحدة تضم مائتي الف مقاتل .

٢ - كان عمرو بن العاص يقود هجومه ضد اقليم غريب عنه بينما كانت

القوات المدافعة عن مصر تخوض معركتها فوق أرضها التي تعرفها معرفة جيدة وتحسن استخدامها .

٣ - وكانت القوات العربية الاسلامية تقوم بالهجوم بينما كانت القوات الموجودة في مصر تخوض معركة دفاعية وكان من المفروض أن يحقق العرب تفوقاً بمعدل واحد الى ثلاثة على أقل تقدير ، بينما كان ميزان القوى بمعدل عشرة ضد واحد في صالح الروم .. هذه بعض المعطيات وليست كلها ..

- كانت أعمال الفتح معارك قتالية قبل كل شيء ، وللمعارك القتالية قواعدها ومبادئها ، وان ادراك أسباب النجاح يفرض تحليل هذه الأحداث التاريخية ووضعها في مكانها الصحيح ..

١ - اعطاء الافضلية لمسارح العمليات ، ومحاور الهجوم :

- لقد جاء تسلسل عمليات الفتح وفق الترتيب التالي :

١ - فتح العراق ١٢ هـ . ٢ - فتح الشام ١٣ هـ . ٣ - اكمال فتح العراق ١٤ هـ

٤ - فتح مصر ٢٠ هـ . فتح ايران حتى ٢٢ هـ .

وبرهن هذا الترتيب على دوره الفعال في انجاح مسيرة العمليات ، فالقضاء على نفوذ بيزنطة في الشام ونفوذ فارس في العراق قد مهد السبيل لفتح مصر التي أصبحت معزولة عن قاعدتها الرئيسية - إلا عن طريق البحر - .

- لقد أصبحت مصر بعد فتح الشام بمثابة موقع جانبي معزول ، وكان لهذا العامل دوره الحاسم في إيقاف الامداد بالقوات والأعتدة عبر محاور الطرق الأرضية ..

- ترى ماذا كان سيحدث لو توجهت القوات العربية لفتح مصر قبل اكمال فتح الشام ؟ يقيناً ، الفشل هو الاحتمال الأكبر لمصير هذا الهجوم ..

. - كان الخليفة عمر بن الخطاب هو الذي يقرر أهمية مسارح العمليات وهو الذي ينسق موضوع التعاون فيما بينها ، وما من ريب في أن تحقيق التوازن بين

هذه المسارح مع تنسيق التعاون بالنسبة لحجم القوى المتوفرة هو العامل الأول في نجاح العمليات على مسارح القتال المختلفة .

— وان ما أنجزه الخليفة عمر بن الخطاب في هذا المجال يحتل المرتبة الأولى في سلم « الافضليات الاستراتيجية » .

— أما انتقاء محور العمليات في مصر ، وتركيز الجهد على المحور الأكثر أهمية فقد ترك لعمر بن العاص على أساس معرفته بالأرض ، وعلى أساس ما سيقوم به من استطلاع شخصي وجمع للمعلومات . واتبع عمرو بن العاص محور مجدل — القواصر — بلبس — عين شمس — أم دنين — بابليون ثم الانطلاق جنوباً الى النوبة وشالاً الى الدلتا ثم متابعة التقدم على المحور الصحراوي الغربي حتى الاسكندرية .. وكان تحديد عمرو بن العاص لهذا المحور ، هو من العوامل الحاسمة لنجاح الاعمال القتالية في فتح مصر ..

— ترى ماذا كان سيحدث لو اتبع عمرو بن العاص المحور الساحلي حتى الوصول الى الاسكندرية ؟

١ — كان سيتعرض الى سلسلة غير محدودة من المقاومات التي تستنزف قوته .

٢ — وكان سيواجه قوة المقاومة الرئيسية في الاسكندرية مما سيضع قواته في مأزق خطير .

بينما استطاع في مسيرته على المحور الذي اختاره تحقيق ما يلي :

١ — فصل القبط عن البيزنطيين ، بهاجمة نقاط الضعف قبل الاصطدام بالقوة الرئيسية .

٢ — تكوين قاعدة بشرية وادارية متينة تستطيع أن تقدم له دعماً كبيراً في متابعة العمليات .

٣ — عزل المقاومة الرئيسية في الاسكندرية عن كل دعم أرضي وتجريدها من كل امكانيات في الامداد والتموين .

٤ — الاحتفاظ بقوته ، وحشدها في المناطق التي يريد لها وفرض المعركة على العدو .

ان اتباع هذا المحور من قبل قوات عمرو بن العاص يذكرنا بالمحور الذي اتبعته القوات الانكليزية - الفرنسية أثناء عدوان عام ١٩٥٦ ، حيث تجنبت هذه القوات الاصطدام بالمدن الرئيسية واختارت محور قناة السويس - الطريق الزراعي ، بهدف الابتعاد عن كل مقاومة كبيرة ..

٢ - الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة :

- وضع « استالين » مبدأ استقرار المؤخرات في طليعة المباديء الواجب اتباعها لاحتراز النصر في الحرب ، وقد حرص على تطبيق هذا المبدأ في كل معركة من معارك حرب التحرير الوطنية العظمى ، ١٩٤٢ - ١٩٤٥ ..

- وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد عرف هذا المبدأ وحرص على تطبيقه في جميع أعماله ، فأصدر أوامره بالتوقف عند حدود النهر - نهر دجلة - وعدم التوغل في بلاد فارس حتى يتم الانتهاء من تكوين المجتمع العربي - الاسلامي الجديد والانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ..

- وأصدر أوامره أيضاً بالتوقف عند « أطرابلس » وعدم تجاوزها للتوغل في « افريقية » حتى تتم عملية بناء المجتمع بحيث يمكن الانطلاق بعدها ومتابعة الفتوحات ..

- هذا على المستوى الاستراتيجي ..

- أما على المستوى التكتيكي ، فمن الواضح جداً أن عمرو بن العاص قد طبق هذا المبدأ بدقة تامة حتى انه لم يتقدم من موقع إلى موقع آخر إلا بعد أن يصبح على ثقة تامة بقدرته على الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .. وان هذا يوضح مبرر الابطاء في مسيرة العمليات حتى ان عملية الفتح استغرقت فترة عامين مما اضجر الخليفة عمر بن الخطاب ودفعه إلى استعجال عمرو بن العاص لانجاز فتح مصر ..

- حاصرت قوات العرب المسلمين فرما لمدة شهر وحاصرت بلبيس شهر وحاصرت بابليون أربعة أشهر ، كما حاصرت الاسكندرية أربعة أشهر فاذا

ما أضيف إلى مجموع هذه الفترات المستقطعة المدة الضرورية للسير ، وللمعارك التي تم تنفيذها في بعض المواقع فإن هذه الفترة تصل إلى السنة .. ومعنى ذلك ان عمرو بن العاص لم يكن ينتقل من موقع إلى موقع آخر قبل اكمال اعادة تنظيم قاعدة انطلاقه ، وارساء دعائم المجتمع الجديد بحيث يتابع تقدمه من قاعدة مأمونة لا تهددها أعمال القتال ..

— لقد كان أخذ عمرو بن العاص بمبدأ الحرص على استقرار المؤخرات من العوامل الأساسية والحاسمة في نجاح الأعمال القتالية التي خاضتها قوات العرب المسلمين خلال فتح مصر ..

٣ - المباغتة :

— التطور الدائم من طبيعة الحرب والمباغتة دستورها وقانونها، ولعل اجماع القادة العسكريين والاستراتيجيين في العالم كله على وضع « المباغتة » في المرتبة الأولى من مبادئ الحرب هو أفضل شاهد على أهميته وعلى دوره الحاسم في احراز النصر .

— اعتمد عمرو بن العاص مبدأ المباغتة وسيلة في عملياته كلها ، فابتعد عن المناطق المأهولة في سيناء خلال تقدمه من العريش الى الفرما بهدف تحقيق المباغتة . ويظهر ذلك من خلال حديث يوقنا الذي أسلم خلال فتوح الشام حيث قال لعمرو :

[.. انك تريد ان تدغم مصر على حين غفلة من اهلها وانا بمن يمكنني ذلك .. ثم سار ليلاً من رفح يطلب الفرما ، ولم يقرب العريش ولا القاربا وكلها حصون عامرة ..]^(١)

— واعتمد عمرو بن العاص أسلوب المباغتة لتحطيم تفوق العدو العددي ، فقد حرص ابن العاص على جمع كل المعلومات الممكنة عن العدو وعن طبيعة

(١) فتوح الشام ، الراقي ٢ - ٤٤ .

الأرض وعندما توفرت له هذه المعلومات قام بنصب كمينه في عين شمس واستطاع تحقيق المباغنة التي مكنته من تدمير قوات هجوم العدو بصورة تامة تقريباً ، وان تدمير هذا الهجوم هو الذي قضى على كل محاولة لهجوم الروم ضد قوات المسلمين بسبب ما تكبده الروم من الخسائر الفادحة في هجومهم الفاشل ..

- وكان عمرو بن العاص يهتم اهتماماً كبيراً بالاستطلاع حتى إذا عجزت وسائله عن تحقيق ما يريد به ذهب بنفسه لإجراء الاستطلاع الشخصي وقد تعرض أحياناً لخطر كبير تهدد حياته بسبب هذه المجازفة ، وان نجاته في إحدى محاولات الاستطلاع هي السبب الذي جعله يقسم في كثير من الأحيان فيقول : [لا ، والذي نجاني من القبط ..] ^(١) وكان استطلاعه لنقاط ضعف العدو ، واستثمار نتائج هذا الاستطلاع لمباغنة العدو من العوامل الأساسية فيما أمكن له تحقيقه من نجاح ..

- لقد تم اقتحام أسوار « بابلون » وتحقيق المباغنة بفضل استطلاع الزبير ابن العوام ومعرفة نقاط الضعف واستثمارها .

- وأمكن اقتحام أسوار « الاسكندرية » بفضل الحرص على تحقيق المباغنة .

- وأمكن اقتحام « اطرابلس » بفضل استخدام المباغنة . وكذلك بالنسبة

للحجوم المباغت على سبوت ..

- ان المهارة في استخدام مبدأ « المباغنة » من العوامل الحاسمة فيما حققه

العرب من انتصارات ، وكان عمرو بن العاص من القادة الذين عرفوا أهمية المباغنة وأتقنوا استخدامها .

٤ - الحفاظ على الهدف :

يضع الأمريكيون في استراتيجيتهم مبدأ الحفاظ على الهدف في طليعة مبادئ الحرب ، ويشمل الحفاظ على الهدف مفهومين أولهما الحفاظ على الهدف الذي من

(١) فتوح مصر والمغرب - ابن الحكم - ٥٩ - ٦٣ - ١١٣ .

أجله نشبت الحرب وذلك على أساس نظرية كلوزوتيز في أن الحرب استموار
للسياسة والديبلوماسية لكن بوسائل أخرى ، وثانيها الحفاظ على الهدف في
مشرح العمليات ..

- كان هدف العرب المسلمين من حروبهم نشر الدعوة الاسلامية . وقد
وضع الرسول الأعظم المبادئ التي نزل الاسلام بها في موضوع الحرب موضع
التنفيذ فكانت :

١ - الإسلام . ٢ - الجزية . ٣ - الحرب .

والتزم المسلمون بهذه المبادئ ..

- عندما وصلت قوات العرب المسلمين إلى مصر ، جرت اتصالات بين
عمرو بن العاص وبين المقوقس حاكم مصر ، وأرسلت الوفود من الطرفين لاجراء
حوار هدفه التوصل الى حل وسط يرضي العرب المسلمين ويقبل به الروم ، لكن
الوفود العربية أصرت على مواقفها والتزمت بمبادئها ، وكان جواب عبادة بن
الصامت للمقوقس عندما بذل محاولته الاخيرة لحل المفاوضات على التساهل قوله :
[.. لا ورب السماء ، ورب هذه الأرض ، ورب كل شيء ما لكم عندنا
خصلة غيرها .. فاخhtarوا لأنفسكم ..]

فما كان من المقوقس إلا أن تراجع أمام هذا التصميم فقال لمستشاريه ناصحاً :
[.. اطيعوني واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم
بهم من طاقة ، وان لم تجيبوا اليهم طائعين لتجيبنهم الى ما هو اعظم من هذه
مكرها ...]^(١)

ويظهر تصميم عمرو بن العاص في الحفاظ على الهدف - أثناء العمليات القتالية -
من خلال اصراره على تحقيق الأهداف وإزالة المواقع واحتلال المدن الواقعة على
محور عملياته ، وعدم الانحراف الى أهداف تبادلية أو تحويل محور الجهد

.....

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٥٩ - ٦٣ - ١١٣ .

الرئيسي بناء على المقاومات التي جابه بها العدو .. ويظهر هذا التصميم بشكله الواضح من خلال أعمال الحصار الطويلة في بابلون والاسكندرية بصورة خاصة وعدم الانتقال الى مراحل أخرى قبل إكمال المراحل السابقة وانجازها بصورة تامة .
- ان تصميم عمرو بن العاص في الحفاظ على الهدف ، والتزام القادة بأهداف حرب المسلمين وعناد المسلمين في قتالهم لتحقيق هدفهم من الحرب ، كانت من العوامل التي مهدت للنصر ..

٥ - وحدة القيادة :

- يضع جون فولر ضرورة وحدة القيادة في القتال واحداً من مبادئ الحرب ، كما تضع العقيدة السوفيتية هذا المبدأ من المبادئ الأساسية للحرب .^(١)
- كانت القوات العربية - في مسرح العمليات - تخضع لقيادة واحدة ، وكانت القوات الاحتياطية أو قوات الدعم تبقى تحت أمره قيادتها خلال الانتقال من مسرح عمليات الى مسرح آخر أو من جبهة الى أخرى ثم تضع نفسها تحت تصرف قائد مسرح العمليات أو الجبهة التي تلتحق بها . وهكذا فعندما تقدم الزبير بن العوام على رأس قوات الدعم ووصل الى مصر ، وضع نفسه وقوته تحت تصرف عمرو بن العاص ، وكانت وحدة القيادة في عمليات قتال العرب المسلمين من العوامل الحاسمة في نجاح عملياتهم .. وإذا أجريت مقارنة من حيث أسلوب العمل القيادي بين قيادة القوات العربية في مصر وبين قيادة القوات المدافعة عن مصر نجد أن القيادة الأولى موحدة بينما نرى أن الثانية موزعة بين المقوقس حاكم

.....

(١) جون فولر ، ولد عام ١٨٧٨ ، جنرال ومفكر عسكري ، بريطاني الجنسية ، اشترك في حرب البوير ١٨٩٩ ، اخص في الحرب العالمية الأولى باستخدام الدبابات ، ثم اصبح رئيساً لشعبة عمليات الدبابات . في عام ١٩٢٦ عين معاوناً لرئيس هيئة الأركان البريطانية . ترك الجيش عام ١٩٣٣ ، تفرغ للانتاج الفكري العسكري وكان معلقاً مرموقاً خلال الحرب العالمية الثانية . من أهم كتبه : الدبابات في الحرب العالمية و « التسليح والتاريخ » المذهب العسكري الاسرائيلي - هيثم الكيلاني ٤١٧ .

مصر وبين قيادة القوات البيزنطية في الاسكندرية ، وهي المرتبطة مباشرة بالقيادة العامة في القسطنطينية ، هذا علاوة على القيادات المحلية والقيادات المستقلة ، كقيادة بابلون ، وقيادة بليس وقيادة الفرما بالإضافة لقيادة الارطوبون الذي التحق بمصر مع قوته بعد فتح الشام ، وهزمه عمرو بن العاص في بليس وقتله .

– كانت جميع هذه القيادات تتمتع باستقلال في العمل وبحرية في التصرف بعيداً عن اشراف القيادة العامة ، وبما لا ريب فيه هو أن توزع السلطات القيادية قد ارتبط بتوزيع القوات المقاتلة أيضاً مما أصبح متناقضاً مع ضرورة العمل وفق خطط عمليات موحد .. وكان لهذا التوزيع في القوى والامكانات دور هام في مساعدة العرب على خوض معارك منفصلة ، وتحطيم قوات خصومهم على مراحل ، مما أسهم إلى حد بعيد في تحقيق النصر النهائي ..

– لقد كانت وحدة قيادة العرب المسلمين مقابل تعدد قيادات القوات المدافعة عن مصر من العوامل الأساسية والحاسمة في فتح مصر ..

٦ – كفاءة افراد القيادة العامة :

– اعتمد ستالين جوزيف ، رئيس مجلس السوفييت الأعلى في الحرب العالمية الثانية مبدأ كفاءة افراد القيادة العامة ، كعامل اساسي من عوامل النصر في الحرب وكواحد من مبادئها ..

وتأخذ كثير من الدول بهذا المبدأ بحيث لا تسلم قياداتها الا على اساس الكفاءة والامكانات .

– وفي تاريخ جيوش العالم ، تقرير لواقع دور القيادات العربية الاسلامية في الفتوح حيث نطالع :

[.. كان قادة هذه الجيوش الصغيرة ، على مستوى عال من الكفاءة ، وباندفاع من الايمان الجديد عرفوا كيف يقودونها الى النصر ، وكانت نواة المؤمنين التي شكلها محمد ﷺ ، احتياطاً ممتازاً لـ « كوادر » القيادة » ، ويعود

الفضل في اختيارها الى هذا القائد العظيم اذ انه هيا كل فرد منها للكان والمجال
الذي سوف يشغله ... [(١)]



— وضع الرسول القائد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أسس « مدرسة
الحرب » وعلم أتباعه فن الحرب وأسلوب قيادة الرجال فتخرج من هذه المدرسة
خلال فترة قصيرة من عمر الزمن نخبة قيادية دانت الدنيا لها .. وكان الرسول
القائد يضع في اختياره لقادته عامل الكفاءة والقدرة في المرتبة الأولى وأثبت
هؤلاء أنهم كانوا عند حسن ظن نبينهم بهم ..

وجاء الخلفاء من بعده فاتبعوا الأسلوب ذاته وقلدوه تقليداً ذكياً يتوافق مع
الواقع ومع متطلبات الفترة التي يعيشونها ومع التطورات المحتملة لمسيرة الأحداث.
— قال الخليفة عمر بن الخطاب عندما رأى عمرو بن العاص يدخل المسجد
وقد حضر من مصر الى المدينة فوصلها والخليفة عمر يخطف في الناس :

[هذا عمرو بن العاص قد اتاكم ، ما ينبغي لأبي عبد الله ان يمشي على
الارض الا اميراً ..] [(٢)]

— وأرسل الخليفة عمر قوات لدعم عمرو بن العاص بقيادة الزبير بن العوام
ومعه رسالة جاء فيها :

[.. اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف منهم رجل مقام
الألف .. الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن الصامت ، ومسلمة
ابن مخلد ...] .

— لقد أبرزت معارك فتح مصر مجموعة من القادة ، كما أظهرت امكانات
هؤلاء القادة للعمل وفق مبادئهم ، وكان نجاح عمرو بن العاص في تركيز الجهد

.....
(١) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية ، عدد ٦ و ٧ .

(٢) الاصابة ٥ - ٢ ، ابن الحكم ٢٤١ ، اليعقوبي ٢ - ١٩٧ .

(٣) تاريخ الاسلام وظبقات المشاهير والاعلام ٢ - ٢٩ .

على محور العمليات الرئيسي وفي حشد القوات ، وفي تقسيم القطاعات بين القادة بشكل واضح بعد فتح بابلين - من أجل اكمال عملية الفتح - مع تحديد الواجبات لكل منهم ضمن قطاعاتهم هي من بعض ما جعل عمرو بن العاص يحتل مكانته القيادية بجدارة .

- وكان إقدام الزبير بن العوام على إجراء استطلاع دقيق وشخصي ثم القيام باقتحام أسوار بابلين وقيادته القوات بحزم وكفاءة حتى منطقة القتال هي ما أعطى الزبير دوراً هاماً في عمليات فتح مصر .

وكان نجاح عبادة بن الصامت في المفاوضات مع المقوقس ثم في فتح الاسكندرية مما جعله يحتل مكانة مرموقة في صفوف القادة الذين يعرفون ما يريدون ويصممون على تنفيذ ما يقررونه .

لقد اضطلع خارجة بن حذافة بواجب تحرير قرى الصعيد ، وعمل عبد الله ابن حذافة السهمي في تحرير عين شمس ، وعمر بن وهب المجعي في تحرير القسم الشرقي من الدلتا ، وعقبة بن نافع الفهري في فتح زويلة ، وعتبة بن عامر في فتح بقية قرى الدلتا ، وعبد الله بن عمرو بن العاص في فتح الكريون ، ووردان في تدمير « خربة وردان » ، وكان لنجاح هؤلاء جميعاً وغيرهم برهان واضح وأكد على ما ينفردون به من مزايا قيادية ، وما يتمتعون به من امكانات قتالية .

٧ - الهجوم :

- يحتل الهجوم المرتبة الثانية في سلم مبادئ الحرب التي يعتمدها الأمريكيون ، وتعتمد جميع القوات المسلحة في العالم كله مبدأ الهجوم ، كأول مبدأ من أجل تحقيق النصر في الحرب ، ولقد جاءت التطورات التقنية المتتابة في فن الحرب لخدمة هذا المبدأ .

- ان الهجوم هو الوسيلة الوحيدة لحسم الصراع المسلح في صالح الطرف الذي يقوم به الهجوم ، وليس الدفاع سوى وسيلة مرحلية للانتقال بعدها إلى الهجوم . وكان القادة العرب يعتمدون أسلوب التعرض والقيام بهجوم في جميع

أعمالهم القتالية ، ولعل العرب هم أول من مزج الدفاع بالهجوم في أعمال تنظيم الروابط والمسالح والثغور ، وان أعمال الصوائف والشواتي والهجمات المتكررة والدورية للدفاع عن الحدود هي أفضل شاهد على ذلك .

– وان استخدام العرب المسلمون للهجوم وسيلة في حروبهم ساعدهم على الاحتفاظ بالمبادأة بحيث لم يتخلوا عنها ولم يتركوها لخصومهم فكانوا يضيمون خصومهم أمام مواقف جديدة باستمرار ويرغمونهم على توزيع قواتهم فيخوضون المعركة في المكان والطريقة التي يريدون ..

– وطبق عمرو بن العاص مبدأ الهجوم في عملياته جميعاً ، واستخدمه بصورة خاصة في فتح الاسكندرية الثاني حيث ترك العدو يغادر الاسكندرية ويتقدم في اتجاه الجنوب ثم فرض عليه المعركة فدمر قواته خارج أسوار الاسكندرية وتحصيناتها ثم حاصر المدينة ونظم هجوم بحري – بري واقتحم الأسوار والتحصينات وتم له تدمير مقاومات العدو وارغامه على الاستسلام ..

– ان اعتماد العرب للهجوم أسلوباً في حروبهم هو الذي مكنتهم من انجاز ما أنجزوه وتحقيق ما أرادوه من فتوحات خلال فترة قصيرة جداً من عمر الزمن ..

٨ – اجبار الخصم على بعثرة قواته :

وضع ليدل هارت^(١) مبدأ [اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطة التقرب غير المباشر] في طبيعة مبادئ الحرب .

– كان المقوقس حاكم مصر ، وجهاز القيادة البيزنطية يتوقع دوغما ريب قيام العرب بالهجوم على مصر بعد أن استقرت قواتهم في الشام . ولكن هذه القيادة لم تكن تتوقع اتجاه محور هجوم العرب المسلمين ، كما كانت تجهل حجم القوات

(١) ليدل - هارت - باسيل هنري، ولد عام ١٨٩٥ ، بريطاني الجنسية ، مؤلف واستراتيجي معروف ، تدرج في الرتب العسكرية حتى وصل الى ممارسة عمل مستشار وزير الحربية ، ثم أصبح مراسل عسكري لصحيفتي الديلي تلغراف والتيمس اللندنية ، له مؤلفات كثيرة ..

التي سيتم زجها على هذه الجبهة . ثم حلت فلول القوات التي هزمت أمام زحف العرب المسلمين والتجأت إلى مصر ، حلت معها كثيراً من المعلومات عن قوة العرب وإيمانهم وقدرتهم القتالية مما أحبط ارادة القتال في مصر سواء على مستوى القيادة أو على مستوى القوات ..

- لجأت القيادة في مصر إلى توزيع قواتها وإلى دعم الحاميات المدافعة عن المدن والمواقع المحصنة واحتفظت بالقوة الرئيسية في الاسكندرية ، واتبع عمرو ابن العاص أسلوب تحطيم المقاومات الثانوية قبل الاصطدام بالقوة الرئيسية ويعتبر عمله هذا تطبيقاً لمبدأ اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطة التقرب غير المباشر ..

كما أن سلوك عمرو بن العاص محور غرب الدلتا للهجوم على الاسكندرية تطبيق ثان لهذه الاستراتيجية التي أثبتت أهميتها فيما تم تحقيقه من انتصارات.

٩ - الحشد ، ومرونة الحركة :

كانت المدينة المنورة في الجزيرة العربية هي المنطقة الأولى لحشد القوات المتوجهة نحو الشمال . وأصبحت الكوفة والبصرة قاعدتي الحشد لغزو فارس كما أصبحت دمشق قاعدة الحشد لتوجيه القوات نحو الشمال والغرب .

- وكانت قواعد الحشد هذه تبعد مسافة غير قصيرة عن مسارح العمليات المختلفة ، ونتيجة لذلك كانت حركة القوات من قواعد الحشد إلى مناطق العمليات تشكل عبئاً ثقيلاً يرهق القيادات والقوات على حد سواء . لكن ميزات القوات العربية - الاسلامية ومن أولها الصبر وقوة الارادة وخفة الحركة والمرونة في الانتقال قد ساعدت الجيوش العربية على حرق المراحل الزمنية والمكانية وتجاوز الصحارى والمفاوز للوصول الى أهدافها وهي على استعداد كامل لخوض المعركة .. وكانت خفة الذيل الاداري وقلة متطلبات المقاتلين من العوامل المساعدة على مرونة الحركة ..

- كان عمرو بن العاص من القادة الذين ينجزون حشد قواتهم بسرعة فوق مسرح العمليات . كما كان يعيد تنظيم قواته بسرعة بعد كل معركة من أجل رُجها في الواجبات التالية . وكانت خفة الحركة والكفاءة العالية في حشد القوات ، سواء في التحرك ما بين مسارح العمليات المتباعدة أو حتى بين الجبهات المختلفة من الميزات التي انفردت بها القوات العربية ومن العوامل الحاسمة التي ساعدت على النصر ..

١٠ - المطاردة :

- رابع المبادئ الخمسة التي وضعها كلوزويتز في سلسلة مبادئ الحرب بينما وضع ماوتسي تونغ هذا المبدأ في المرتبة الثانية من مبادئ الحرب ..

كان عمرو بن العاص لا يترك معركة تنتهي دون أن يرسل مفارز الفرسان الخفيفة لمطاردة مفارز وأفراد العدو أثناء انسحابهم قبل أن يتمكنوا من تشكيل مقاومات جديدة أو الانضمام إلى حاميات ومواقع أخرى .

- طاردت مفارز العرب المسلمين فلول القوات المنسحبة مع انتهاء معركة بلبس وتكررت مرة أخرى في معركة عين شمس ، وتمت مطاردة العدو بصورة قوية في فتح الاسكندرية الثاني ، وكانت المطاردة الحاسمة من العوامل الأساسية التي أحبطت إرادة القتال في صفوف القوة المدافعة عن مصر ..

- وكانت مطاردة فرسان العرب المسلمين لخصومهم ذات دلالات خاصة ، اضافة لدورها في عدم تمكين العدو من تشكيل مقاومات جديدة ، ذلك انها برهنت للعدو وأقنعته بجديّة هؤلاء المقاتلين وتصميمهم على تنفيذ عملياتهم القتالية حتى تحقيق النصر النهائي .

١١ - التموين من مؤونة العدو نفسه :

يضع ماوتسي تونغ مبدأ التموين من مؤونة العدو نفسه ضمن المبادئ الأساسية لإحراز النصر في الحرب ..

- وكان لا بد لعمر بن العاص من الاعتماد في تموينه وامداده على ما تحصل عليه قوات العرب المسلمين خلال معاركها لاسيما وان قواعد التموين والامداد قد أصبحت بعيدة كل البعد عن مسرح العمليات في مصر .

- لكن عمرو بن العاص لم يتوقف عند حدود الاكتفاء بالتموين من مؤونة العدو نفسه بل اتفق مع المقوقس على قطع هذه الامدادات عن القوات البيزنطية، كما أنه طبق عملياً أسلوب الحصار وقطع الامدادات عن الحامية المدافعة عن الاسكندرية ، وبذلك نجح في احباط ارادة القتال عند العدو ، وارغامه في النهاية على قبول نتائج المعركة الحاسمة ..

كان نجاح عمرو بن العاص رائعاً في اجتذاب جماهير شعب مصر اليه وحلهم الوقوف الى جانبه في معركة الامداد والتموين وحجبها عن قوات بيزنطة ..

١٢ - الحرب النفسية :

أمر المقوقس النساء أن يقمن على سور « بابلون » مقبلات بوجوههن الى داخله ، وأقام الرجال بالسلاح مقبلين بوجوههم الى المسلمين ليرهبهم بذلك ، فأرسل اليه عمرو :

[... انا قد رأينا ما صنعت وما بالكثرة غلبنا من غلبنا ، فقد لقينا هرقل ملككم فكان من امره ما كان ..] فقال المقوقس لأصحابه :

[.. سلق هؤلاء القوم ، اخرجوا ملكنا من دار مملكتهم حتى ادخلوه القسطنطينية فنحن اولى بالاذعان ..]^(١)

تلك هي واحدة من صور الحرب النفسية ، حاول المقوقس إرهاب المسلمين ، فجاابه عمرو بن العاص بحرب أقسى ، حرب فيها الاقناع كل الاقناع ، مما أحبط خطة المقوقس وانقلب السلاح النفسي ضد مستخدمه ..

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٠٨ .

— كان عمرو بن العاص من القادة الذين يستخدمون الحرب النفسية لإرهاب عدوه واحباط روح القتال لديه .. وكان يعتمد في حربه على العقول والسيف صنوان لتحقيق هدف واحد هو تحقيق النصر الحاسم في نهاية المعركة .. وكان احتفاظه بوفد المقوقس خلال يومين لاطلاعه على أحوال المسلمين ضمن اطار خطة الحرب النفسية التي استخدمها عمرو بن العاص في فتح مصر ..

١٣ - التسليح :

[... كان المقاتلون المسلمون الاوائل في بداية الامر يفتقرون الى السلاح فكان عليهم ان يناضلوا نضالا لينتزعوا السلاح من ايدي اعدائهم ، ولما لم يكن في شبه الجزيرة العربية الا صناعة بدائية تنتج غالباً اسنة الرماح والسهام فان اجود الاسلحة كان مصدرها الخارج] ^(١) .

— لقد انتزع العرب المسلمون أسلحتهم من خصومهم ، وكانت كل معركة تزيد إلى رصيدهم مزيداً من الأسلحة في نوعها وكميتها حتى أصبح لدى المسلمين تسليحهم الجيد .

— وكان الفرسان من الأسلحة الأساسية في جيوش العرب المسلمين وكانوا يبيدون استخدامها [كانت العرب امهر مربي الخيول اطلاقاً وفرساناً ماهرة خفافاً ..] ^(٢)

— وكان السيف هو السلاح الأول في أيدي المقاتلين ، وقد أجاد العرب استخدامه على أفضل وجه [.. كانت العرب تطعن بالسيف كالرمح وتضرب به كالعمود ، وتطعن به كالسكين وتجعله سوطاً ومقرعة ، وتتخذة جمالاً في المأذ وسراجاً في الوحدة ، وجليماً في الخلاع وضجيجاً للنائم ورفيقاً للسائر] ^(٣) .

— وعلاوة على الأسلحة الفردية فقد تطور تسليح جيوش العرب المسلمين ،

(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية المحدثين ٦ و ٧ .

(٣) حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ابن هذيل ص ١٨٧ .

بحيث استخدموا المنجنيق في حصار الاسكندرية ، كما استخدموا بقية الأعتدة
الضرورية للهجوم على التحصينات واختراق المواقع المنيعه وعبور الأنهار ..

١٤ - الروح المعنوية للمقاتلين :

- انطلق العرب المسلمون من جزيرتهم وفتحوا الشام والعراق ثم تابعوا
عملياتهم شرقاً في اتجاه فارس وغرباً في اتجاه مصر ، وكان تعداد جيش عمرو بن
العاص أربعة آلاف مقاتل ثم دعم بأربعة آلاف مقاتل ، وبقي تفوق العدو
ساحقاً في العدد وفي التسليح ، فكيف استطاع عمرو بن العاص فتح مصر
بهذه القوات ؟ ..

[كانت غلبة المسلمين تعود لآيمانهم في قائدهم ونبيهم وتعاليمهم^(١) هذه
التعاليم قلبت رأساً على عقب تقاليد هؤلاء الرجال الفرديين ..]
وصكتب أبيان مارسيلان يصف الاعراب :

[.. انهم حليف خطر وعدو رهيب ، كالصقور البزاة التي تنقض على
فريستها مثل البرق وسرعان ما تحملها وتغيب بها ..] ..

- ان العامل الأول في انتصار المسلمين يتمثل في إيمانهم العميق بتعاليم دينهم
وبواجبهم في حل رسالة الاسلام الى أرجاء الدنيا .. وكان هذا الإيمان يعوض كل
قصور في العدد والتسليح [... ومهما كان من شأن عدم الكفايات هذه فان
الآيمان بالمعقيدة الجديدة دفعت جنود الاسلام كحد لا يقاوم لغزو المناطق التي
كان يسيطر عليها الفرس والبيزنطيون ...]^(٢)

- لقد تجاوز المقاتلون المسلمون وهم قلة - حدود الصحراء - وتحملوا قسوة
الحرب وقر البرد وعانوا التعب والجهد ، وجابهوا الأخطار ، وتعرضوا للقتل ،
وقاتلوا ، وقتل منهم من قتل ، وانتقلوا من معركة الى معركة ومن اقتحام
خطر الى اقتحام ما هو أخطر ، وليس لهم من الزاد والتسليح سوى الإيمان

.....

(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية المحدثين ٦ و ٧ .

بقضيتهم واعتقادهم الثابت بتعاليم دينهم ورسالة نبيهم محمد بن عبد الله ﷺ .
- كان على قيادة قوات العرب المسلمين رجال مؤمنون ، أثبتوا كفاءتهم
القيادية . وطبقوا في حروبهم مبادئ الحرب الصحيحة منطلقين في ذلك من
عقيدتهم الدينية وتحليلهم الصحيح للمواقف التي يجابهونها ولكن المبادئ كل
المبادئ ، والمخططات كل المخططات تصبح مجرد كلمات جوفاء إذا لم يكن إيمان
المقاتلين من أجلها عميقاً لا يتزعزع .

- ان القوة المعنوية هي السلاح الذي انتصر به المسلمون ، وان مصادر هذه
القوة تكمن في تعاليم الدين الاسلامي :

١ - فالانضباط الطوعي للتسلسل القيادي هو من تعاليم الاسلام [أطيعوا
الله ورسوله وأولي الأمر منكم ..] .

٢ - ووحدة السلاح وأخوته هي من تعاليم الاسلام [ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص]^(١)

٣ - والاستعداد للقتال هو أمر من الله تعالى [وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ..] ..

- كان إيمان المسلمين بهذه المبادئ ، هو مصدر قوتهم ، كانوا يعتزون بالله
ويثقون بنصره ، وكانوا يؤمنون بأن السلام تحت ظلال الرماح ، وان الجنة
تحت ظلال السيوف .. [ومن هذا الإيمان انطلقت ارادتهم للفتح ، فكان
لهم ما يريدون . - وأيدهم الله بنصره . -

١٥ - انشاء علاقات اجتماعية جديدة :

- لم تكن حروب العرب المسلمين هدفاً في حد ذاتها ، وإنما كانت وسيلة
لتحقيق غاية ، كانت حروباً هادفة ، عادلة ، نبيلة ..

.....:

(١) سورة الصف الآية ٤ .

— كانت هادفة ، لأنها تريد نشر القيم والتعاليم الاسلامية واقامة عالم جديد يسوده المحبة ، والاخاء والحرية والسلام والخير .

— وكانت عادلة لأنها تريد تطوير العالم من خلال تحرير الانسان حتى يعيش حياته بعيداً عن الخوف والظلم ..

— وكانت نبيلة لأنها لم تستخدم وسائل غير مشروعة ثم لأنها كانت تلتزم الصديق في القول والعمل ..

[كانت الشعوب تستقبل بفرح جند الخلفاء بعد ان حملت جسيم الابعاء واضحت غير مكترثة ان لم تكن معادية للدولة التي تضطهدها ، وكانت الشعوب في عدد من المناطق قد وصلت الى مرحلة لم تتحمل معها حالة القهر ..]^(٢) ولهذا استقبلت هذه الشعوب الهجوم العربي بالفرح ونظرت للجنود العرب على أنهم محررين .

[لقد فوجئت بيزنطة ، ولكن ذلك لا يفسر كل شيء ، لقد كانت تلك الجيوش القليلة العدد كافية لتلك الفتوحات ، فقد تقبلتها الشعوب المغلوبة لأن ثورة اجتماعية واقتصادية رافقت الفتح وراى فيها الشعوب خيراً لها..]^(٣)

عندما احتل العرب المسلمون مصر ، كان أول ما فعله عمرو بن العاص اطلاق الحرية الدينية للاقباط ، واستقبل البطريق بنيامين بعد أن بقي هذا متغيباً زهاء ثلاث عشرة سنة وأعادته إلى كرسيه وأمر باستقباله عندما قدم الاسكندرية أحسن استقبال ..

وكان أيضاً أن خير عمرو بن العاص السكان فمن أسلم منهم صار له ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما عليهم من الواجبات ، ومن بقي على دينه فرضت عليه جزية صغيرة مقدارها ديناران على من بلغ الحلم منهم ، واستثنوا النساء والشيوخ والأطفال .

.....

(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية العدد ٦ و ٧ .

- ووضع عمرو بن العاص مصلحة المصريين نصب عينيه ولم يأل جهداً في اكتساب محبتهم فدانوا له بالطاعة وأحبوا ولايته ..

- وترك العرب الأرض للمصريين وأخذوا على عاتقهم حمايتهم ، فشعروا باستقرار وأمن كانوا قد افتقدوه منذ عهد بعيد ..^(١)

- وعمل العرب على فرض الأمن والنظام وأقاموا جهاز الادارة ووضعوا القضاة واهتموا بالأعمال الهندسية لتنظيم أعمال الري وإنشاء الجسور والسدود .

- لقد سمع عمرو بن العاص وصية الرسول الأعظم : استوصوا بالقبط خيراً ، فان لهم ذمة ورحماً ، فطبّقها نصاً وروحاً ، وبذل ما يوسع له لتحقيق الرفاه على لشعب مصر ..

- كان مقدار الخراج في عهد عمرو ألفي ألف ، وعندما تولى عبد الله بن سعد ابن أبي سرح ولاية مصر بعد عمرو بن العاص جمع الخراج فكان أربعة آلاف ألف .. وعندما عاتب الخليفة عثمان عمرو بن العاص لتقصيره في هذا الأمر بقوله :

[.. ان اللقاح بمصر بعدك درت البانها ..] .. اجابه عمرو بن العاص : [ذاك لأنكم اعجفتم اولادها ..]^(٢) بمعنى أنكم أرهقتم الشعب في مصر بمضاعفة الخراج وعدم التساهل بشأنه ..

- وهكذا لم يكن الفتح العربي الاسلامي لمصر أكثر من وسيلة لبناء المجتمع العربي الاسلامي ، وإنشاء علاقات جديدة بين الشعوب ..

(١) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ - ٢٣٨ .

(٢) فتوح البلدان ، البلاذري ٢١٧ .

قراءات

عمرو بن العاص

٤٧ ق.هـ - ٤٣ هـ = ٥٧٧ - ٦٦٤ م

[دماء العرب اربعة : معاوية بن ابي سفيان
وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وزيد .
فاما معاوية فللحلم والاثاة ، واما عمرو
فللمعضلات ، واما المغيرة فللمبادهة ، واما
زيد فللكبير والصغير ^(١)]

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، ويكنى بأبي عبد الله ،
وأمه سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة ، اصابها رماح العرب فبيعت بمعكاز
واشتراها الفاكية بن المغيرة ثم اشتراها عبد الله بن جدعان ثم صارت الى العاص
ابن وائل فانجبت عمره .

- شهد غزوة أحد مع المشركين ثم أسلم مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة
وذلك في السنة الثامنة للهجرة ، ووثق به الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم
وامند اليه قيادة سرية لحرب قضاة ، وكان في هذه السرية رجال من اشراف
المهاجرين والانصار ، ثم دعمه بسرية قوتها مائتين وفيها ابو بكر وعمر ، وقال
عمرو بن العاص في ذلك :

[.. ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد احداً من
اصحابه في حربه منذ اسلمت ..]

.....
(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٦ .

— كان الخليفة ابو بكر يقدر الرجال ، فأسند الى عمرو بن العاص قيادة واحد من الجيوش الاربعة التي وجهها لفتح الشام ، وظهرت كفاءته القيادية في مسيرة العمليات ، وفي فتح فلسطين بصورة خاصة .

— ثم تولى الخلافة عمر بن الخطاب ، وكان يقدر عمرو بن العاص فكان يقول اذا استضعف انسان في عقله : [اشهد ان خالكك وخالق عمرو واحد ..] ويقصد بذلك ان الله خالق الازداد .

— ولاء الخليفة قيادة العمليات لفتح مصر ، وبقي حتى عام ٢٧ هـ ، ثم عزله الخليفة عثمان وكان هذا سبب لانضمامه الى معاوية . ومن اقواله لمعاوية :

[.. ان الكريم يصول اذا جاع واللين يصول اذا شبع . فسد خصامة الكريم واقبح اللين ..]
ومن اقواله الماثورة :

[.. ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه يعرف خير الشرين ..]
[موت الف من العلية اقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة ..]

— كان له دور كبير في التحكيم ، وفي اقرار معاوية بن ابي سفيان وخلع الخليفة علي بن ابي طالب وما اعقب ذلك من انشقاق في جبهة الخليفة علي وظهور الخوارج ..

تولى بعد ذلك ولاية مصر عام ٤١ هـ ولم يلبث ان توفي بعد عامين ونيف ..

— كان عمرو بن العاص ، يقرض الشعر ومنه :

اذا المرء لم يترك طعاماً يحبه	ولم ينه قلباً غادياً حيث يما
قضى وطراً منه وغادر سبّة	اذا ذكرت امثالها تملأ الفما

ومن اقواله لمعاوية :

معاوي لا اعطيك ديني ولم اذل	به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطيني مصرأ فاربح بصفقة	اخذت بها شيخاً يضر وينفعا

وقال احدهم عنه :

[... صحبت عمرو بن العاص ، فما رأيت رجلاً ابين قرأناً ولا اكرم خلقاً ولا اشبه سره بعلانية منه ،] ^(١)

—*—

الزبير بن العوام

٣٩ ق. هـ = ٥٨٣ - ٦٥٦ م

[اشجع الناس - ابن الزبير - يفضب كالنمر
ويثب وثوب الأسد] ^(٢)

عمرو بن العاص في حديثه مع الخليفة ابو بكر

— الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الاسدي
ويكنى ابا عبد الله وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمه رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

— نشأ الزبير نشأة قاسية ، فقد ارادت له امه ان ينشأ صلباً فكانت تضربه
ضرباً مبرحاً حتى عاتبها نوفل بقوله : ما هكذا يضرب الولد ، انك لتضربينه
ضرب مبغضة ، فارتجزت تقول :

من قال اني ابغضه فقد كذب وانما اضربه لكي يلب
ويحزم بالجيش ويأتي بالسلب ولا يكن لما له خبأ مخب
يأكل ما في البيت من تمر وحب

وكان الزبير عند حسن ظن أمه به ..

أسلم وله من العمر ست عشرة سنة فكان من اوائل المسلمين ، وقد اسلم على

.....
(١) طبقات ابن سعد ٧ - ٤٩٣ والاصابة ٥ - ٢ وأسد الغابة ٤ / ١١٥ - ١١٦ ،
والاستيعاب ٣ / ١١٤ ، ولطالة المزيدي في قادة فتح الشام ومصر اللواء الركن محمود شيت خطاب .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٥ - ٣٦٢ .

أيدي ابو بكر ، وبعد رابع المسلمين او خامسهم من الرجال الاحرار .
- هاجر الى الحبشة وعاد منها الى مكة ، وآخى الرسول الاعظم بينه وبين
عبد الله بن مسعود وعاد فهاجر الى المدينة عندما هاجر المسلمون اليها وآخى
صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش عندما آخى بين المهاجرين
والأنصار ..

- شهد مع الرسول القائد حروبه جميعاً ، وظهر شجاعة نادرة في الدفاع
عن الرسول الاعظم وكان على ميسرته عند فتح مكة .
- وقف بصلابة الى جانب الخليفة ابا بكر الصديق عندما ارتد المرتدون ،
وكان من هيئة الشورى وبقي في هيئة شورى الخلفاء من بعده عمر وعثمان .
- شهد معركة اليرموك ، وقاد قوات الدعم لفتح مصر ، وفتح حصن
بابلين ورفض الولاية عندما عرضت عليه ..

اشترك في فتنة الجمل ، وشعر بخطورة عقابيل هذه الفتنة في تمزق المسلمين
فأراد الانسحاب ، فتعقبه عمرو بن جرموز التميمي فطعنه من ظهره فقتله ،
ووقفت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الزبير ترثيه فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة^(١) يوم اللقاء وكان غير معرد^(٢)
يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد
شلت يمينك ان قتلت مسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد ..
ان الزبير لدو بلاد صادق سمح سجيته مكريم المشهد
كم غمرة قد خاضها لم يشنه عنها طرادك يا ابن فقع^(٣) الفرقد
فاذهب فما ظفرت يدك بمثله فيما مضى ممن يروح ويفتدي

كما رثاه حسان بن ثابت بقصيدة جاء فيها :

هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول اذا ما كان يوم محجل

(١) شديد البأس . (٢) معرد: يفر من الحرب . (٣) الفقع : الفطر، كناية عن الضعف.

عبد الله بن حذافة السهمي^(١)

[... لا ترى اني بكيت جزءاً مما تريد ان تصنع بي ، ولكنني بكيت حيث ليس لي الا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله ...
كنت احب ان يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة في ، ثم تسلط علي فتفعل بي هذا ...]

قالها عبد الله بن حذافة عندما ألقى ملك الروم امامه احد الاسرى في قدر ماء يغلي بهدف ارضائه . وشهد عبد الله الاسير وعظامه تلوح بالماء المغلي فبكى وقال ما قاله لملك الروم .

عبد الله بن حذافة بن قيس بن سعد السهمي القرشي وأمه تيممة بنت حراثان من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة .. وهو من اوائل المسلمين ، هاجر الى الحبشة ، وكلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل رسالته الى ملك كسرى بدعوه فيها بدعاية الاسلام . كما كلفه الرسول بقيادة سرية في احدى الغزوات ..

— كان مع القوات التي توجهت لفتح الشام ، وأسر الروم في غزوة من غزواتهم القيسارية وتعرض للتعذيب والاضطهاد فما وهن ولا تحاذل ولا ضعف حتى طلب اليه ملك الروم تقبيل رأسه مقابل اطلاق سراحه وثمانين من أسرى المسلمين ففعل . وكان المسلمون يداعبونه بعد ذلك فيقولون له :

[... قبلت رأس علع . فيجيبهم : اطلق الله بتلك القبلة ثمانين مسلماً ..]

— اشتهر عبد الله بالدعابة حتى ان الرسول الاعظم ذاته لم يسلم من دعابته حيث قطع له في احدى الغزوات رباط راحلته حتى يضحك الرسول ويدخل البهجة الى قلبه .. كما اشتهر عبد الله بالكرم والذكاء والغيرة والشهامة ..

(١) الاصابة ٤ - ٥٥ . اسد الغابة ٣ - ١٤٢ . طبقات ابن سعد ٤ - ١٨٩ . سيرة ابن هشام ١ - ٢٥١ . الاستيعاب ٣ - ٨٨٨ . لمطالعة المزيد في « قادة فتح الشام ومصر » اللواء الركن محمود شيت خطاب .

— اسند اليه عمرو بن العاص قيادة مجموعة قتالية لفتح عين شمس ففتحها
وصالح اهلها واقام بها فأحسن ادارتها وتنظيمها حتى احبه الناس ..
توفي في مصر ، ودفن بمقبرتها في خلافة عثمان بن عفان ..



خارجة بن حذافة العدوي^(١)

؟ - ٤٠ هـ = ؟ - ٦٦٠ م

[.. أردت عمرو وأراد الله خارجة ..]

- عمرو بن بكر -

هو خارجة بن حذافة بن غانم العدوي - القرشي ، وأمه فاطمة بنت عمرو
ابن بجرة المدوية - صحابي - ظهر دوره القيادي عندما وجهه الخليفة عمر بن
الخطاب مع الزبير بن العوام لدعم عمرو بن العاص في فتح مصر ، وكان واحداً من
الاربعة الذين عدل الخليفة كل واحد منهم بألف مقاتل ..

قاد خارجة مجموعة قتالية قوتها خمسمائة مقاتل بمهمة نصب الكمين في ام دنين
- الازبكية حالياً - وكان لنجاح هذه القوة في تنفيذ واجبها دور حاسم في
احباط ارادة القتال لدى الروم وسقوط بابليون ..

- تولى خارجة قيادة الحامية المدافعة عن بابليون ومصر عندما توجه عمرو
ابن العاص شهلاً لفتح الاسكندرية .

- وتولى قيادة مجموعة قتالية بمهمة فتح الفيوم والاشمونين واخميم والبشر
ودات وقرى الصعيد ، ووصلت هذه المجموعة حتى اقصى الصعيد « في
حدود طيبة » ..

- عندما استقر الامر للمسلمين في مصر ، استوطن خارجة فيها ، وتولى
القضاء والشرطة وبقي فيها حتى نفذت مؤامرة ١٧ رمضان حيث تعهد ثلاثة

(١) اسد الغابة ٧١-٢ . الاصابة ٨٤-٢ . طبقات ابن سعد ١٨٨-٤ . الاستيعاب ٤١٨-٢ .

من الخوارج بقتل الخليفة علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص . وتصادف ان شعر عمرو بن العاص بوعكة اعاقته عن الخروج الى صلاة الفجر ، فكلف خارجة بالصلاة في المسلمين ، وعندما وقف خارجة للصلاة باغته الخارجي بطعنة من الخلف كان فيها مقتله ، وعندما ألقي القبض على القاتل واقتيد الى عمرو بن العاص وعرف انه اخطأ في اصابة هدفه قال : [.. اردت عمرواً واراد الله خارجة ..] واما معاوية فكانت طعنته غير قاتلة فشفي منها .

وذهب الخليفة علي بن ابي طالب ضحية مؤامرة ١٧ رمضان للسنة ٤٠ هـ .



عمير بن وهب الجمحي

٥٠٠ - ٥٢٤ - ٥٠٠ - ٦٤٤ م

[رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى ان يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فرّوا رأيتكم ..]^(١)

(حديث عمير الى المشركين قبل وقعة بدر ، وقد قام بحده باستطلاع امور المسلمين وعاد فوصفهم لهم)

عمير بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي - القرشي ، يكنى ابا امية ، وأمه سخيلة بنت هاشم بن سعيد بن سهم ..

-
- (١) الاصابة ٥ - ٣٦ . الاستيعاب ٣ - ١٢٢١ . سيرة ابن هشام ٢ - ٢٦١ . اسد الغابة ٤ - ١٤٨ . طبقات ابن سعد ٤ - ١٩٩ . المطالمة المزيدي في قادة فتح الشام ومصر - اللواء الركن محمود شيت خطاب .
- البلايا جمع بلية : الناقعة . - النواضح : الابل ، لسقاية الماء .
- الناقع : الثابت ، الأكيد .

- كان سيد قومه في الجاهلية ، وكان من أبطال قريش وشيطاناً من شياطينها ، ناصب المسلمين العداء وقام بقيادة حملة الاضطهاد ضدهم ، وكلف باستطلاع امور المسلمين قبل وقعة بدر فقام بتنفيذ المهمة وحده وعاد الى قومه فوصف المسلمين ونصحهم بتجنب قتال المسلمين وقدر قوتهم بدقة ، وعندما وقعت المعركة قاتل بضراوة واصيب بجراح خطيرة ، ثم عاد الى مكة وتآمر مع صفوان بن امية على قتل الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، وعندما ذهب لتنفيذ مؤامرتة استقبله الرسول واعلمه بما اعتزم تنفيذه واطهر له عجزه عن ذلك فاسلم وصدق اسلامه واستأذن الرسول بالعودة الى قومه داعياً للاسلام فأذن له ، وعاد فكان شديد الوطأة على المشركين واسلم على يديه ناس كثير .. وهاجر بعد ذلك الى المدينة وقاتل مع المسلمين في أحد وما بعدها من المعارك والغزوات ، كما اشترك في حروب الردة ، وكان واحداً من القادة الاربعة الذين اعتمدهم الخليفة عمر بقيادة الزبير بن العوام لدعم المسلمين في مصر .. وكان لشجاعته دور كبير في انتصار المسلمين سواء في معركتي بابلين والاسكندرية في قيادة عمرو بن العاص او عندما قاد مجموعة قتالية ففتح تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة ونهام وبوصير ..

مات عمير بعد فتح مصر ، وفي صدر خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه .



عقبة بن عامر الجهني^(١)

... ٥٥٨ - ٥٥٠ - ٦٧٧ م

[.. وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ألا ان القوة الرمي ...
ألا ان القوة الرمي ... ألا ان القوة الرمي ...]

حديث - مما رواه عقبة بن عامر ..

صحابي مشهور ، واسمه عقبة بن عامر بن عيس الجهنني من قضاة من مالكة
ابن حمير ...

شهد عقبة مع الرسول اكثر غزواته .. وقاتل مع المسلمين في فتح الشام وكان
رسولهم الى الخليفة عمر يبشره بالفتح . ثم اشترك مع القوة المقاتلة لفتح مصر .
قاد مجموعة قتالية بمهمة فتح منطقة الدلتا . ونجح في تنفيذ واجبه .

- عينه معاوية لقيادة القوة البحرية المصرية المكلفة بغزو البحر سنة ٤٨ هـ .
كان فقيهاً - فصيح اللسان - روى مجموعة من الأحاديث - وعرف بشدة
البأس والعناد في القتال - .



عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي^(٢)

٣٨ ق. ٥ - ٥٣٤ - ٥٨٦ - ٦٥٤ م

[... أنا من النقباء الذين يايحوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلة العقبة ...]

- عبادة بن الصامت -

- من اوائل الأنصار - ومن النقباء الاثني عشر - شهد مع الرسول الأعظم
غزواته ومواقفه كلها - كان صلباً في إيمانه - فتخلّى عن حلفائه بنو قميّاق

.....

(١) الاستيعاب ١٧٣/٣ . الاصابة ٢٥٠/٤ - ٥١ . اسد الغابة ١٧/٣ . طبقات ابن
سعد ٤٤٣/٤ - ٤٤٤ و ٤٩٨/٧ .

(٢) الاستيعاب ٨٢٥/١ . الاصابة ٩٢/١ . واسد الغابة ١٥٨/١ . وطبقات ابن سعد
٢٩٧/١ - ٢٢٠ .

عندما حاربوا الرسول وتولى بنفسه إخراجهم من المدينة .

وجهه الخليفة عمر إلى الشام بهدف نشر الدعوة الإسلامية وتعليم القرآن والفقه وحدث خلاف بينه وبين معاوية فارسل الخليفة عمر امرأاً إلى معاوية بعدم التعرض لعبادة أو مجابهته . ثم خرج إلى مصر مع قوة عمرو بن العاص - وتولى المفاوضات مع المقوقس وكان لعناده وصلابته وقوة حجته دور كبير في إحباط ارادة القتال عند المقوقس . وتولى عبادة مهمة فتح الاسكندرية بعد ان امتنعت على المسلمين فنجح في تنفيذ مهمته . كما اشترك بعد ذلك مع معاوية بن ابي سفيان بفتح جزيرة قبرص .

- توفي في الرملة وقيل ببيت المقدس - .



من أدب الحرب

مقتل الارطوبون^(١)

بعد انتصار عمرو بن العاص على الارطوبون في موقعة اجنادين . انضم الارطوبون الى ايلياء ثم لحق بمصر عند مقدم الخليفة عمر الى الجابية ولحق به من احب من ابي الصلح ثم لحق عند صلح اهل مصر وغلبهم بالروم في البحر وبقي بعد ذلك فكان يكون على صوائف الروم والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فبختلف هو ورجل من قيس يقال له ضريس . فقطع يد القيسي وقتله القيسي فقال . -

فان فيها بحمد الله منتفعا	فان يكن ارطوبون الروم افسدها
صدر القنائة اذا ما آنسوا فرعا	بنانتان وجرموز اقيم به
فقد تركت بها أوصاله قطعها	وان يكن ارطوبون الروم قطعها

.....
(١) تاريخ الطبري ٣ / ٦١٢ .

وقال زياد بن حنظلة في فتح القدس : -

تذكرت حرب الروم لما تطاولت	وإذ نحن في عام كثير نزاله
وإذ نحن في أرض الحجاز وبيننا	مسيرة شهر بينهن بلابله
وإذ أرطبون الروم يحمي بلاده	يحاوله قوم هناك يساجله
فلما رأى الفاروق أزمان فتحها	سما بجنود الله كيما يصاوله
فلما أحسوه وخافوا صواله	أتوه وقالوا أنت ممن نواصله
وألقت إليه الشام أفلاذ بطنها	وعيشاً خصباً ما تعد مأكله
أباح لنا ما بين شرق ومغرب	مواريث اعقاب بنتها قرامله
وكم مثقل لم يضطلع باحتماله	تحمل عبناً حين شالت شوائله



الجزء الثاني

الفصل الأول

أفريقية الشمالية عبر التاريخ

- ١ - فينيقيا تشيد قرطاج في أفريقية الشمالية .
- ٢ - قرطاج دولة عربية في أفريقية .
- ٣ - أفريقية الشمالية تحت حكم الرومان .
- ٤ - الفاندال وحكم أفريقية .
- ٥ - حكم بيزنطة في أفريقية .
- ٦ - المعطيات البشرية .
- ٧ - المعطيات الجغرافية .
- ٨ - أفريقية عشية الفتح الإسلامي .
 - أ - الوضع السياسي .
 - ب - الوضع الديني .
 - ج - الوضع العسكري .

افريقية الشمالية عبر التاريخ

التاريخ القديم لافريقيا الشمالية مجهول في معظمه سوى بعض الشواهد على وجود اتصال وثيق بين شعوب القارة الافريقية وشعوب شال البحر الابيض المتوسط وان اقتراب ساحل افريقيا الشمالية من شاطئ جنوب أوروبا ، وبصورة خاصة بين الاندلس والمغرب وبين تونس وايطاليا ، هذا الاقتراب قد ساعد على اقامة جسور بحرية بين القارتين ، فكان البحر الابيض المتوسط بين القارتين جسر اتصال اكثر مما هو حاجز انفصال ..

— ان التنافس ومناخ السباق للسيطرة على القارة الافريقية يمتد في جذوره على ما يظهر حتى اعماق التاريخ ، وان ما يشهده عالمنا المعاصر من صراعات بين الدول العظمى قريب الشبه في معالنه بما شهده التاريخ القديم بين فينيقيا وقرطاجة وبين مقدونيا ثم بين مقدونيا وروما ثم بين روما وفارس ، حيث كان الصراع بين هذه الاقطاب الثنائية يلقي ظلالة على شعوب منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط كلها .

— وكان للصراع بين دول العالم القديم دور كبير في اغناء التراث الحضاري وانضاج التفاعلات الاجتماعية والعلمية . كما كان لهذا الصراع دور هام ايضاً في نقل منجزات العالم القديم الى الاجيال اللاحقة ، وان اكثر ما وصلنا من المعلومات وضوحاً عن شال افريقية واكثرها وثوقاً هي تلك التي حملها البنا تاريخ حروب الشعوب القديمة وامبراطورياتها المتنازعة فوق رمال افريقية الشمالية .

١ — فينيقيا .. تشيد قرطاجة في افريقية الشمالية :

— انطلقت من قلب الجزيرة العربية موجة من موجات الهجرات المتتالية

وذلك في سنة ٢٥٠٠ ق.م ، وانقسمت هذه الموجة الى فرعين استوطن اولهما في حوض الفرات وسهول سوريا الداخلية واقاموا بملكة عرفت باسم «الموريين» كما استوطن الفرع الآخر على امتداد سواحل سوريا الطبيعية وعرفوا باسم «الكنعانيين» الذين اطلق عليهم اليونانيون اسم «فينيقيا - و - الفينيقيون» نسبة الى اللون الأحمر الأرجواني الذي كان الفينيقيون يستخرجون لونه من المحارات البحرية ويصبغون به ثيابهم .

اقام الفينيقيون مدنهم على امتداد الساحل ما بين كيليكيا شمالاً وعكا جنوباً ونظموا ممالكهم ، فكانت كل مدينة وما يحيط بها بملكة مستقلة ثم تطورت هذه الممالك فضمت القصور والمعابد والقلاع ، وحفلت اسواق المدن بمختلف البضائع ، كما تطورت الزراعة وتنوعت محاصيلها ووجد الفينيقيون انفسهم في مواجهة التحديات الآشورية والبابلية والمصرية فعملوا على تطوير اسلحتهم واستخدموا الاسلحة البرونزية والمركبات القتالية ، والعربات التي تجرها الخيول .. لكن اهتمام الفينيقين بالتجارة والزراعة جعلهم دون جوارهم في قدرتهم القتالية فخضموا للمصريين والآشوريين والبابليين ولكن الخطر الاكبر الذي جابههم تمثل بالمبرانيين الذين باغتوا الفينيقين واحتلوا المناطق الجبلية واحرقوا بوحشية المدن وعملوا على اباداة السكان الأصليين وذلك في القرن الثاني عشر ١٢ ق.م. ثم وفدت من منطقة بحر ايجه موجة من الشعوب البحرية المحاربة ، عرفوا باسم شعوب البحر ، أو الفيليسي ، واستوطن هؤلاء بين يافا وغزة وشيدوا عسقلان واشدود واصطدموا بالمبرانيين ودارت بين الطرفين سلسلة من المعارك انتهت بهزيمتهم ، ونظراً لقلة اعداد الفيلستيين فقد اندمجوا بالفينيقين ، وبقي السهل الساحلي يحمل اسمهم « فلسطين » وكان من الممالك التي اقامها الفينيقيون في الداخل « فلسطين » بملكة ييوس « القدس » ومملكة بيت شان « بيسان » وعكو « عكا » ومجدو « تل المتسلم » وحبرون « الخليل » ومؤاب وعمون في شرقي الأردن ..

اما الممالك الساحلية فكانت تزيد على ٢٥ مملكة فينيقية اشهرها :
اوغاريت « وتعني حقل في موقع رأس شمرا حالياً » .
جبيل « جبيلو » شمال بيروت ٤٥ كم . صيدا « صيدون » . و « صور »
وتعني « الصخر » . وقرطاجة « قريباً من مدينة تونس » ..

٢ - قرطاجة دولة عربية في افريقيا :

- يقسم المؤرخون العصر الفينيقي الى عهدين :
- عهد صيدا ٢٥٠٠ - ١٢٠٩ ق.م . وانتهى نتيجة لانتصار العبرانيين
على صيدا .
- عهد صور ١٢٠٩ - ٣٣١ ق.م . وانتهى بتدمير قرطاجة وانتصار الرومان .
ومن منجزات العهد الاول بناء مدن بزيوم ، وزوجتيان في طرابلس
الغرب وتونس .

ومن منجزات العهد الثاني بناء مدينة قرطاجة عام ٨٤٠ ق.م .
افادت قرطاجة من موقعها الجغرافي الهام فطورت تجارتها ودعمت اسطولها
وزادت امكاناتها حتى اصبح سكان مدينة قرطاجة مليون نسمة ، واقامت
قرطاجة قواعد بحرية لتبادل التجارة سواء في اسبانيا او في المغرب . وقد جاء
في كتاب قصة الكفاح بين روما وقرطاجة للدكتور توفيق الطويل ص ٢٤ - ٢٥
وصفاً لحياة قرطاجة في عهدها الزاهر حيث نقرأ :

[لو قدر لك التجول في طرقات قرطاجة لرأيت أخطأ عجيبة من
مصريين ومردانيين ويونانيين وقرطاجيين وبرابرة واسبان ، سأل أن في وسعك
تمييز القرطاجي من بين هؤلاء جميعاً دوناً عنه او مشقة فهو يبالغك بشعره
القصر ولحيته الطويلة ووجهه الناطق بالطيبة وهو مقبل عليك تحيط به
روانحه العطرية ، وتدمشك الجواهر الثمينة التي يتحلى بها ، وتعرفه بغطاء
رأسه الذي يشبه الطربوش عندنا وحذائه الذي يشبه الصندل ، فاذا تركت

المارة وتجولت بنظرك يمنة ويسرة افعلت لك كثرة المتاجر والخوانيت الشبيهة بالصوامع وهي طافحة بالبضائع المختلفة وقد جلس اصحابها متربعين يساوون عملهم في تباطؤ لكن دون ملل أو يأس .. [.

وتحدث الفيلسوف ارسطاطاليس عن نظام الحكم في قرطاجة ، فقال :

[.. ان لقرطاجة دستوراً انفردت بكماله عن سائر الدول ولها شرائع غاية في الحسن ، ومن الدليل على ما وعته من الحكمة انها مع ما للأمة عندها من السلطان لم نجدها قط بدلت شكل الحكم ولا نقبت فيها فتنة ... وان القضاء عند القرطاجيين أفضل منه عند اليونانيين لأنهم لا يرضون له أغفال الناس بل يولثونه أحسنهم طريقة وأحدهم سيرة ...] ^(١) .

في ذلك العهد ، وفي الوقت الذي كانت قرطاجة تبني لنفسها ولمن حولها حضارة وتطوراً كانت هناك دولة تستجمع اسباب قوتها للظهور واحتلال مكائتها كدولة قوية ، وكانت هذه الدولة هي روما ، وأصبح وقوع الصدام بين روما - قرطاجة امراً حتمياً حافظه الهيمنة على اسباب القوة والسيطرة على المجال الحيوي ..

- وقعت بين روما - قرطاجة مجموعة من الحروب تقسم الى ثلاثة مراحل .. وقد عرفت هذه الحروب باسم الحروب البونيقية ^(٢) ..

- الحرب البونيقية الأولى ومدتها ٢٣ سنة (٢٦٤ - ٢٤١ ق.م) انتهت بانتصار روما وحصلت فيها على جزيرة صقلية ..

- الحرب البونيقية الثانية (٢١٨ - ٢٠١ ق.م) وانتهت بانتصار قرطاجة بقيادة هانيبال التي نجح في تدمير جيش روما في معركة « كاني » ٢١٦ ق.م .

(١) تاريخ المغرب ١ / ٤٣ - ٤٤ .

(٢) الحرب البونيقية نسبة الى بونيك ، وهي التسمية التي كان يطلقها اهالي روما على المواطن القرطاجي .

– الحرب البونيقية الثالثة والأخيرة (١٤٩ – ١٤٦ ق. م) وانتهت بانتصار روما واحتلال قرطاجة^(١).

– وهكذا سقطت قرطاجة ، ولكنها أعطت طوال وجودها علماً وحضارة حفظهما لها التاريخ ، وكانت حلقة اتصال بين شعوب العالم القديم فقاربت بينهم ، وكان هذا الاتصال خبر وسائل تفاعل الحضارة عبر التاريخ ..

– افادت الشعوب الافريقية بقبائلها المختلفة من وجود قرطاجة فاقبست عنها اساليب التجارة وتعرفت من خلال اسفار القرطاجيين على شعوب العالم الاخرى ، كما افادت من تنظيمها العسكري واساليبها القتالية خبرات جيدة .
– واخيراً افاد السكان الافريقيون من المراكز التجارية والمدن التي اقامها القرطاجيون مثل تينجيس « طنجة » ولكسوس « قرب العرائش » وروسادير « مليلة » فكانت هذه المراكز والمدن الخطوة الاولى في انتقال السكان من حياة البداوة الى حياة الحضارة والاستيطان في المدن ..

– لقد كان في قضاء روما على قرطاجة تحويل لمركز السيطرة على العالم القديم وانتقال بهذا المركز من شمال افريقيا الى جنوب اوربا . وكان لهذا التحول آثاره السيئة على السكان الذين لم يتقبلوا بسهولة احتلال الرومان لهم .. لا سيما وان علاقاتهم مع قرطاجة كانت قائمة على اساس من الاحترام المتبادل والثقة التامة والتفاهم المطلق .

٣ – افريقية الشمالية تحت حكم الرومان :

– أسقط الرومان قرطاجة وبدأت قواتهم تتابع توسعها التدريجي في افريقية الشمالية ، ولم تكن هذه العملية سهلة فقد نظم الافريقيون مقاومات مستمرة وفي النهاية نجح الروم بالسيطرة على شمال افريقية ، لكن حركات التمرد

.....

(١) تاريخ فن الحرب ، الجنرال ستروكوف ١ / ٦٨ - ٧٠ .

والثورات لم تتوقف وكان من اكبر هذه الثورات ثورة تافكواس عام ١٧ م ، وحركة التمرد الكبرى التي اخضعها « بومي » عام ٨٠ م . وكان من نتيجة هذه الثورات والاضطرابات اقدم الرومان على تطبيق الاسلوب الدفاعي الذي طبقوه على امتداد حدودهم في اوربا وآسيا ، فأقاموا « الليات - Limes » لحماية حدودهم . ولم يكن « الليم » أو الحد مجرد سور بسيط مزدوج مع طريق للتفتيش بل كان منطقة دفاع منظمة في العمق ومجهزة بقواعد تخزين تخضع لها شبكة طرق استراتيجية ومواصلات نهريّة مهيأة للمواصلات السريعة ، كانت الدفاعات في افريقية اكثر تجزئة وتقطعاً وكانت تراقب منابع المياه وطرق القوافل وكذلك حفرت الآبار لأن الري يتيح استقرار الحضر القيمين ويسهل تعاونهم مع الحاميات ضد تسلل البدو ، وتقاتل المنشآت من جنوب طرابلس الغرب حتى « تنغيتان او تنغيز - Tingitane » في مراكش متغلة الهضاب المرتفعة ، وكان الموقع العسكري للقطاع المركزي في مدينة لامبيز^(١) العسكرية مقر الليجيون الثالثة - اوغستار ، وقد خططت تخطيطاً نخب طولها اربعمائة وخمسون متراً وبنيت بقوة وأبهة وهي تنظم حول مقر القيادة وحرم للعقبان المقدس حيث يحتفظ بالرايات ومالية افراد الليجيونات وأبنية الادارة والمنازل والمساكن المخصصة ل مختلف الرتب والمصالح ودار الصناعة مجموعة واسعة غنية جدية برحابة الامبراطورية . ان ليجيون موقع لامبيز هي فرقة خط الدفاع ولكنها خارج هذين الاحتمالين ، كان قيامها بالمسير التدريبي والتأين اليومية وبالمناورات والاعمال تشغل وقتها كله ، وقد أنشأ افراد الليجيونات طرقاً شاهد الفرنسيون آثارها في القرن التاسع في اماكن لم يكونوا ليتوقعونها أبداً وكذلك أنشأوا مدناً كمدينة « تيمغاد » Timgad عام ١٠٠ م شمال اوراس والتي لازالت آثارها محفوظة بشكل مدهش ، وكانت أروقة لامبيز تصلح كملجأ تجري فيه التارين اذا ما أصبح الطقس سيئاً ، اما في بلاد الشمال الباردة

(١) لامبيز Lampese ، مدينة صغيرة شمال الاوراس الجزائرية ، فيها آثار رومانية .

فقد كان في فصل الشتاء وفي بعض المناطق يلاحظ وجود معسكرات صيفية أكثر بساطة ، وفيما بين هذه تعرض الاشارات النارية المتقدمة على أعمدة خشبية متحركة حسب رموز معينة تنقل سريعاً الأوامر وإشارات الإنذار والخدمة بين هذه المنشآت ، وقد وجد بين خرائب لامبيز ستة آلاف كتلة من الرصاص وثلاثة آلاف كرة حجرية تركت دون استعمال ، مما يؤكد كارثة الامبراطورية التي وقعت ضحية الانحلال تحت هجمات البرابرة^(١) ..

احتل الرومان في البداية قرطاجنة ثم انتقلوا الى سواحل الجزائر ، المغرب الاوسط ، واخيراً وفي عام ٤٢ م فقط استطاعوا فرض سيطرتهم على المغرب الاقصى « مراكش » ، وكانوا يطلقون على هذه السواحل اسم موريتانيا ، لكن هذه السيطرة لم تتجاوز حدود مدينة « سلا » التي كانوا يطلقون عليها اسم « سلا كولونيا » ، وبقيت مناطق المغرب الاقصى الباقية خارج سيطرة الرومان الا في فترات قصيرة ..

– تميزت معاملة الرومان للشعوب المغلوبة بقسوتها ، نظراً لان الرومان كانوا يحتقرون الشعوب التي يحكمونها ، لكن الحروب الكثيرة التي خاضتها روما للدفاع عن حدودها الواسعة ، بالإضافة الى حروبها المستمرة مع شعوب الغزاة كالفوط الشرقيين والغربيين والبورغونيين والفانداليين والافرنج والالامان والسارماتيون والهان ، كل ذلك مما ارغم روما على تعديل تنظيم جيوشها والاستعانة بالمرتزقة والمتطوعين ، والاعتماد على السكان الافريقيين . وفي نهاية القرن الاول الميلادي وبداية القرن الثاني ، اعتمد الامبراطور الروماني دوميتيان^(٢) على « لوسيوس كويتوس Lucus - Quietus » البربري الأصل للافادة من قبيلته

.....

- (١) تاريخ جيوش العالم ١٩٢ - ١٩٤ ، المجلد العسكرية ١ و ٢ سنة ٧٣ م .
(٢) دوميتيان ، Domitien - ٨١ - ٩٦ م آخر القياصرة الاثني عشر ، حاول تقليص نفوذ الارستقراطية الرومانية وقام بمجموعة حملات ناجحة ضدها ، غير انهم اغتالوه بمساعدة زوجته دوميسيا .

الموريتانية في دعم للقوات الرومانية ، وقام لوسيوس بالدور الذي قام به والده من قبله ، واصبح لرجال الفرسان بشعورهم الطويلة المجددة والمسلحين بالمزاريق شهرة واسعة حتى أن الامبراطور دوميتان منحه رتبة (قائد الحلفاء) ، لكن الامبراطور دوميتان عاد فانزعج الرتبة منه لسوء انضباطه ، وعاد الموريتاني الى صحرائه .. ثم أتي الامبراطور « تراجان » ^(١) ليعيد رتبته بسبب حاجته لرجاله في حربه مع « الداسيين » رومانيا ، لقد كان البرابرة من نخبة الفرسان ، وكان ابعاد دوميتان لهم من اسباب هزيمته ، ونظراً للحاجة الملحة لم يكن امام تراجان الا معاودة الاعتماد عليهم لدعم حروبه ..

— وجه تراجان القائد البربري « كويتوس » لحرب الداسيين وقد نجح كويتوس بتطويق الداسيين في ترانسلفانيا وابدتهم فكلت هامته بالاجداد ، وفي عام ١١٣ خاض لوسيوس كويتوس حرباً ضارية ضد البارثيين في ارمينيا وبلاد ما بين النهرين وحقق انتصارات رائعة دعت الى قبوله في مرتبة مجلس الشيوخ « بريطور » Preteur ، وان ذلك من بعض الأمثلة للعلاقات بين روما والشعوب في افريقية الشمالية وما حققه الطرفان من منجزات وفوائد متبادلة ^(٢) كان من أولها قيام الثورات المستمرة التي تطورت عام ٣٩٧ م الى حرب حقيقية فرضت على روما سحب افضل كتابها الكوهورت من بلاد الغال لقمع ثورة جيلدون Gildon في افريقية ..

— كان من نتيجة الحروب الدائمة التي خاضتها روما على مختلف مساح العمليات في اوربا والشرق احداث تطور كبير سواء في بناء القوات المسلحة وتنظيمها او في التنظيم للمعركة او حتى في التسليح ..

واذا كانت « الليات » والحصون الدفاعية المتصلة حيناً والمنفصلة احياناً قد

.....

(١) تراجان ، ٩٨ - ١١٧ م ، امبراطور روماني ، استولى على داسيا ١٠١ - ١٠٦ و ارمينيا وهزم البارثيين ١١٥ ، اشتهر بالتنظيم والابنية راضطهاد المسيحيين .
(٢) المصدر : تاريخ جيوش العالم ١ و ٢ - ١٩٧٣ من المجلة العسكرية .

افادت في تطوير الحرب الدفاعية فان تطور الفالانج اليوناني الى ليجيونات تنقسم بدورها الى مانيبولات امكن من اعطاء عمق للهجوم ووفر الفرصة امام معطيات جديدة اولها واكثرها اهمية مبدأ التوزيع غير المتساوي للقوات على طول الجبهة واحداث اساليب جديدة في للتنظيم للمعركة ..

اما في مجال التسلح فقد ظهرت الابراج الخشبية المجهزة بعبارات متحركة ومراديب زحافة بالاضافة الى تطوير للصنبر والتروس الخشبية المكسوة بالجلود.. كما تطورت الأسلحة ذات الرمي المستقيم من صنف الزبار « الكاتابولت » والقادرة على قذف ١٠٠ كغ حتى مسافة ٥٠٠ م ، وهذه تستخدم ايضا لقذف الرماح المجهزة اسننها وتجلل بالمواد المشتعلة ، بالاضافة الى الاسلحة ذات الرمي المنحني التي تقذف ما يعادل وزن ٣٠٠ كغ حتى ٦٠٠ م ..^(١)

— لقد اسهمت قوات افريقية الشمالية بحروب — روما — وكان لهذا الاسهام دوره في تكوين خبرات قتالية عند شعوب افريقية الشمالية ..

٤ - الفاندال وحكم افريقية :

الفاندال Vandales من الشعوب الجرمانية قدموا من الشمال الشرقي لأوروبا ، وقسم منهم سلافيون كانوا يقطنون بين الأودر والقيستول ولهم ذات العقيدة العسكرية للألمان والسارمانيين .

في عام ٤٠٦ م عاثوا في بلاد الثالين وأقاموا في اسبانيا ، حيث حملت الاندلس بعد ذلك اسمهم « فاندالوسيا » .

في عام ٤٢٨ م — طردهم القوط الغربيون « الفيزيغوطيون » من الاندلس فعبروا الى افريقية واستقروا في قرطاجنة .

في عام ٤٢٩ م — نهبوا روما ، واستباحوها ..

.....
(١) المجلة العسكرية ٤ ر ٥ - ١٩٧٣ ، تاريخ جيوش العالم ، وتاريخ فن الحرب الجنرال - ستروكوف .

في عام ٤٥٥ - اكتسح الفاندال مصر وايليريا واليونان وأعملوا في هذه الأقاليم تدميراً وتخريباً ..

في عام ٥٣٤ - جهز الامبراطور جوستينيان الأول Justinien امبراطور بيزنطة ٥٢٥ - ٥٦٥ م جيوشه ووجه قادته بليزير وناريس لحرب الفاندال والفرس وفتح افريقية وابطالية .. وكان تحت تصرف بليزير Belizaire ١٥,٠٠٠ مقاتل لهذه الغاية ، ونجح بليزير في الانتصار على الفرس والفاندال والقوط الشرقيون « اوستروقوط » ..

في عام ٥٥٤ - استعادت بيزنطة الاندلس « الوادي الكبير » من قبضة الفيريقوطيين ..

- تلك هي فكرة عن ظهور الفاندال وتطور حكمهم ، في اوربا حتى وصولهم افريقية ثم نهايتهم على يد البيزنطيين ..

في عام ٤٢٩ ، وبينما كان الفاندال يعيشون فساداً في عاصمة الامبراطورية الرومانية كان يونيفاس أحد حكام روما في افريقية يتصل بالفاندال ويفريهم على احتلال افريقية وانتزاعها من قبضة الرومان ، ولبي «جنسريك» ملك الفاندال طلب يونيفاس ، لا سيما وأن أسطوله الضخم كان قد فرض سيطرته على البحر الابيض المتوسط فنقل جنسريك قواته وقام بانزال بحري على شواطئ افريقية واخذ ينطلق من المغرب فيحتل مدينة بعد مدينة حتى وصل قرطاجنة فاحتلها سنة ٤٣٥ م ، وجعل منها عاصمة له بعد ان اصبحت افريقية تحت سيطرته .

- في عام ٤٧٧ م ، توفي جنسريك ، وتولى الملك بعده ابنه « هنريك » ولم تكن له قوة ابيه وقدرته ، كما تميز حكمه بالقسوة التي تركزت على الكاثوليك حيث ألقى القبض عام ٤٨٣ على خمسة آلاف من رهبانهم وصادر اموالهم وممتلكاتهم وشردهم في الصحراء . وفي عام ٥٢٣ م اصبح « هلدريك » ملكاً على الفاندال ، وكان ضعيف الارادة ، ضعيف الشخصية فخلعه الفاندال وولوا مكانه « جيلير » فاستنجد « هلدريك » بجوستينيان امبراطور بيزنطة وكان

« جوستينيان » قد وضع مخططة الاستعادة السيطرة على روما الغربية وشمال افريقية ، ووجه جيوشه ، فوصل عام ٥٣٤ م الى افريقية ونجح في تصفية حكم الفاندال ، وازالة وجودهم بعد أن استمر حكمهم فترة (٩٩) عاماً في ارض افريقية الشالية ..

٥ - حكم بيزنطة في افريقية :

بعد أن استعاد « بليزير » افريقية الشالية وأتبعها لامبراطورية بيزنطة ، اخذ الامبراطور جوستينيان بحكم قبضته ويصدر القوانين الصارمة لإخضاع حركات التمرد ، وأعاد ترميم « الليات » ، والحصون الدفاعية ، وكان الحكم البيزنطي يشمل مصر حتى برقة وطرابلس وتونس وجبال الاوراس ، ويسير بعد ذلك في شريط ضيق يسير مع الساحل حتى يصل الى طنجة وسبتة ، وقسمت هذه البلاد الى اقسام ادارية ثلاثة منها يحكمها قناصل واربعة منها يحكمها مديرين ، وكانت هذه الاقسام اشبه ما تكون بالمناطق العسكرية ، يحكمها الدوقات Dux .

— كانت بيزنطة لا سيما بعد انهيار « روما » تحمل اعباء جسيمة في الدفاع عن حدودها سواء من الغرب حيث القوط الشرقيون والغربيون ، او من الشرق حيث الفرس ، ونظراً لحاجة بيزنطة الى الدعم فقد اعتمدت على البربر وأفسحت لهم المجال واضطرت الى ضم قبائل كاملة ، وكان لذلك دوره في نمو الروح القتالية عند البربر واكسابهم خبرات قتالية ، ولم يعد باستطاعة بيزنطة حكم شمال افريقية بالقوة ، فضعفت سيطرتها عليها تدريجياً ، حتى انتهى الأمر الى شبه استقلال افريقية عن الدولة البيزنطية ..

٦ - المعطيات البشرية (١) :

كانت افريقية في مفهومها القديم تمتد من حدود مصر وحتى الاطلسي ، ومن

(١) تاريخ المغرب ٥٢ - ٥٦ . تاريخ المغرب العربي ٣٠ - ٣٢ .

البحر الابيض المتوسط شمالاً حتى سلسلة الجبال وحدود الصحراء الكبرى جنوباً .. وهي تمثل حالياً ليبيا وتونس والجزائر ومراكش « المغرب » ..

- وكان سكان افريقية في تماس مباشر واتصال دائم مع حضارات العالم القديم ، بداية من فينيقية مؤسسة « قرطاجنة » ونهاية بحكم بيزنطة ، وكان لا بد لهذا الاتصال من ان يترك طابعه على الجغرافيا البشرية للسكان ، فكان هناك الافارقة وكان هناك البربر - وجميعهم من سكان البلاد الاصليين - اولهم اختلط بالروم وتزوج معهم واختلط بهم وثانيهم وهم البربر ، حافظ على بداوته فابتعد عن الروم واعتزلهم ورفض الاختلاط بهم او الدخول في مجتمعاتهم ، وبالإضافة الى ذلك كانت هناك مجموعات من العرب والرومان والفاندال الذين ارتضوا البقاء تحت حكم من وليهم بعد زوال دولتهم وفضلوا البقاء في مواطنهم التي عاشوا فيها بعد زوال حكمهم فكونوا أقلية ضمن المجتمع الافريقي ، ويضاف الى هؤلاء اليهود ممن مزقهم الحكم الروماني والفارسي والبابلي ، فتفرقوا في كل اتجاه وكان منهم اناس في مصر وآخرون في افريقية ..

- وكانت حدود الصحراء وواحاتها هي مناطق الاتصال والاختلاط بين الوافدين الى افريقية وبين سكانها الأصليين وهو الاختلاط الذي كان من نتيجته ظهور لون من المولدين فيهم صفات الوافدين وملامحهم وفيه صفات الأفارقة الأصليين وملامحهم وغودج هؤلاء الشعر الأشقر والعيون الزرقاء في صفوف البربر .

- ومثلما حل الوافدون معهم أصالتهم التي تركت في افريقية طابعها كذلك حلوا معهم معتقداتهم ، فكان هناك الوثنيون الذين لم تتمكن الديانات الوافدة من اجتذابهم او للتأثير عليهم ، وكان هناك المسيحيون ممن استطاعت الكنيسة اكتسابهم الى جانبها وكان أيضاً يهود نجح المبشرون في التأثير عليهم لكن السواد الأعظم من البربر بقي على دين الوثنية ..

- كان مجتمع البربر بدائياً ، مثله كمثل المجتمع العربي في حينه ، فكان النظام القبلي سائداً وكان يتم تصنيف هذه القبائل ضمن مجموعتين البرانس، والبترة.

البرانس : ومن اشهر قبائلهم : أزداجة ، مصودة ، أوربة ، عجيسة ،
كتامة ، صنهاجة ، اوريفة ، ويضاف اليهم حسب رأي بعض علماء الانساب
لمطة ومكسورة وجزولة « كزولة » ويتفرع عن هذه القبائل بطون وأفخاذ
مثل هواره من اوريفة وغمارة من مصودة ومليلة من هواره ..

الستر : ومن اشهر قبائلهم : أداسة ونفوسة وخرية وبنو لؤا الأكبر
ويتفرع عن هذه القبائل بدورها بطون وافخاذ من نفزاوة ولوامة من لؤا
و « ولهاصة » من نفزاوة ، وتيرغاش من ولهاصة ورفجومة من تيرغاش ..

ومثلما كان الاتصال بين القبائل العربية كان الاتصال بين القبائل الافريقية
حتى أن الأمر قد اختلط بين العاملين على دراسة الانساب في العرب ، ويعود
السبب في ذلك الى التزاوج والتصاهر بين القبائل البربرية .

- ان هذا التشابه بين تكوين مجتمع « افريقية » وتكوين المجتمع العربي
قد حمل بعض المؤرخين العرب على الاعتقاد بأن سكان افريقية الأوائل هم من
العرب الذين نزحت قبائلهم عن ارض الجزيرة وأقامت هناك^(١) وحافظت على
نظامها القبلي ، وهذا مخالف بدهياً للواقع ولما تثبته الاكتشافات العلمية عن
التكون الأصلي للسكان في افريقية لكن هذا لا ينفي وجود اتصال وثيق بين
عرب الجزيرة وبين سكان افريقية مع وجود هجرات من اليمن الى افريقية عبر
الحبشة فالصحراء الكبرى وواحاتها فسهول افريقية ومستوطناتها ..

(١) في الكامل ، لابن الاثير ١ / ١١٥ - ما يلي : (. . أما من بقي من الجبارين فأت
« أفريقش » بن قيس بن صلي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان مر بهم متوجهاً الى افريقية فاحتلمهم من سواحل الشام فقدم بهم افريقية ، فافتتحها
وقتل ملكها جرجير ، واسكنهم اياها فهم البرابرة . . وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة
فهم فيهم الى اليوم . .) وسواء كانت هذه الحادثة التاريخية صحيحة او غير صحيحة ، بالنسبة
لاطارها الزمني فانه لا يمكن اسقاطها ، ومثلها مثل تفريية بني هلال ، والزناقي خليفة وغير
ذلك من القصاص الشعبي الذي يمتد الى جذور حقيقية فقدت اطارها الزمني الصحيح . .

٧ - المعطيات الجغرافية :

- حكام قرطاجنة وأهلها هم أول من اطلق كلمة « أفري - Aphri » على السكان الأصليين أهل البلاد ممن كانوا يقيمون على قرب من عاصمة مملكتهم ، وجاء اليونان فأخذوا عنهم هذا الاسم وتوسعوا في استخدامه حتى شمل المنطقة ما بين المحيط وحدود مصر وهي التي حلت اسم Aphrica ، وقد اخذ العرب عن البيزنطيين الاسم ذاته وضمن الحدود الجغرافية ذاتها .. ثم اخذ هذا المفهوم شكلاً أكثر تحديداً بحيث اقتصر على « حدود ليبيا الحالية » ، واصبح اسم المغرب اكثر شمولاً ، وتم تقسيم المغرب الى ثلاثة اقسام : المغرب الأدنى وهو في حدود تونس الحالية وحمل اسم القيروان ، والمغرب الأوسط وهو في حدود الجزائر الحالية ، والمغرب الأقصى ويقصد به بلاد مراكش او المغرب في حدودها الحالية .

- لقد اخذ المؤلف ابن خلدون عن كلوديوس بطليموس العالم اليوناني ، تقسيم الارض الى سبعة اقاليم « خطوط عرض » اولها خط الاستواء وآخرها القطب ، ووفقاً لهذا التقسيم تقع افريقية و اقاليم المغرب في الأقاليم الثالث والرابع ، في حين يقع الاقليم الثاني على حدودها الجنوبية والاقليم الخامس في حدود اوربا والشمال . ونطالع فيما كتبه ابن خلدون عن وصف جغرافية المغرب :

الحدود الجنوبية : « الاقليم الثاني » وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات ثم يلي ذلك ارض تنورية وبعدها في جهة الشرق ارض غانه ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الأسفل صحراء نيمر متصلة من الغرب الى الشرق ، ذات مفاوز - هي الصحراء الكبرى - تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملثمين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزولة وملتونه ومسراته ولمطه ووريكه ، وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً ارض فزان ثم مجالات أركار من قبائل البربر ذاهبة الى أعالي الجزء الثالث وعلى سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من امم السودان ثم قطعة من ارض الباجويين وفي اسافل هذا الجزء

الثالث وهي جهة الشمال منه بقية ارض ودان وعلى سمتها شرقاً ارض سنقرية وتسمى الواحات الداخلة ..

افريقية والمغرب « الاقليم الثالث » هو متصل بالثاني من جهة الشمال ، ففي الجزء الأول منه وعلى نحو الثلث من أعلاه جبل درن ، معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ، ويسكن هذا الجبل من البربر أمم لا يحصيهم الا خالقهم ، وفي القطعة التي تلي هذا الجبل وعلى البحر المحيط منها رباطة ماسه ويتصل به شرقاً بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقاً بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء نيسر المفازة وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها . وهو قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فتكثر ثناياه ومسالكه الى ان ينتهي ، وفي هذه الناحية منه أمم المصامدة ثم هنتانة ثم تينملك ثم كدميوه ثم مشكورة وهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل منهاجه ، وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناته ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كتامه وبعد ذلك أمم أخرى من البرابرة ، ثم ان جبل درن هذا من جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الأقصى وهي في جوفيه ، ففي الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش وانغات وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط آسفي ومدينة سلا ، وفي الجوف عن بلاد مراكش بلاد فاس ومكناسة وتلزا وقصر كتامه وهذه هي التي تسمى المغرب الأقصى في عرف أهلها ، وعلى ساحل البحر المحيط منها بلاد أسيل والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقاً بلاد المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان وفي مواصلها على البحر الرومي بلد هنين ووهران والجزائر لأن هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة وينهب مشرقاً فينتهي الى بلاد الشام ، ثم يتصل ببلاد الجزائر من شرقيها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسنطينة في الشرق منها ، وفي آخر هذا الجزء وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد ومرتفعاً الى جنوب المغرب الأوسط بلد أشير ثم بلد المسيلة ثم اللاب

وقاعدته بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن الداهب من الغرب الى الشرق ويفسر البحر مسافة من شماله ، اما جنوب الجبل وغربه فكله مغاور ، وفي الشرق منه بلد « غدامس » وفي سمت غدامس والى الشرق تقع ارض ودان ، والقطعة الجوفية ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل اوراس وتبسه والابوس ، وعلى ساحل البحر بلد بونه ثم في سمت هذه المدينة شرقاً بلاد افريقية ، فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة ثم المهديّة ، وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن ، بلاد الجريد توزر وقفصه ونفزاوه وفيما بينها وبين السواحل مدينة « القيروان » وجبل ملات وسبيلته وعلى سمت هذه البلاد كلها شرقاً طرابلس على البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبل دمر ونقره من قبائل هواره متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس سويقة ابن مشكوره على البحر ، وفي جنوبها مجالات العرب في ارض ودان ويمر جبل درن ايضا من هذا الاقليم الا انه ينعطف عند آخره الى الشمال وينهب على سمتة الى ان يدخل في البحر الرومي ويسمى هنالك طرف أوتان والبحر الرومي من شماله غمر طائفة منه الى ان يضايق ما بينه وبين جبل درن فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية ارض ودان ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم رمال وقفار ، اما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلاد وقفار تجول فيها العرب ثم اجدابية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طلمسة على البحر [(١)] .

- ويظهر من كتابة ابن خلدون ان جبال الأطلس « درن » هي الحد الفاصل بين المغرب وبين الأقاليم الواقعة الى الجنوب ، كما ان جبل كتامة « الاوراس » هو الحد الفاصل بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط من جهة ، وبين المغرب الأوسط وبين المغرب الأدنى من جهة اخرى ، أما افريقية فحدودها الصحراء

(١) مقدمة ابن خلدون ٢٩ - ٣٠ جبل اطلس : جبل درن .

مع مصر ، في حين تشكل جبال الأطلس « جبل درن » الحد الفاصل بينها وبين المغرب الأوسط « تونس » .

– والمغرب العربي « تونس – الجزائر – مراکش – موريتانيا » يكون اقليماً طبيعياً واحداً له معالمه الواضحة ، ويحتل هذا الاقليم من الوطن العربي القسم الشمالي والغربي من قارة افريقية على امتداد ألفي كلم (٢٠٠٠) بداية من قابس وحتى المحيط الأطلسي ، وتحده الصحراء الكبرى القسم الجنوبي منه وهو الذي يصلها بأفريقية المدارية .

– يقع المغرب العربي بين درجتي العرض (١٦ – ٣٧ °) شمالاً ، وبين درجتي الطول شرق غرينيتش حتى (١٣ °) درجة غرب غرينيتش وتبلغ مساحته ٤ ملايين كيلو متر مربع ..

– ويمكن تقسيم المغرب من الناحية الجغرافية الى قسمين :

١ – المنطقة الشمالية البحرية .

٢ – المنطقة الجنوبية الصحراوية .

وتتكون المنطقة الشمالية من : ١ – السهول الساحلية . ٢ – الأطلس التلي .

٣ – الأطلس الصحراوي . ٤ – الهضاب العليا .

١ – المنطقة الشمالية :

وهي منطقة جبلية بصورة عامة ارتفاعها المتوسط ٧٠٠ م وتتفاوت ارتفاعات جبالها وتختلف تضاريسها ما بين مكان ومكان آخر وتعتبر مجموعها التقاء لسلاسل الجبال الالتوائية الحديثة مع الكتل الجبلية القديمة .

والقشرة الأرضية لجبال المغرب العربي غير مستقرة ، وهي تتعرض ما بين فترة وفترة أخرى لهزات أرضية لعل أحدثها زلزال اغادير في مراکش وزلزال مدينة الأصنام في الجزائر ، ويمكن التمييز بين الأقسام التالية – من الشمال الى الجنوب – مع العلم ان هذه الأقسام تندمج في الضهرة التونسية فتكون كتلة واحدة .

١ - السهول الساحلية : تبدأ هذه السهول واسعة عريضة في تونس حيث تكون السهل الساحلي ، ثم تضيق في الجزائر حيث سهل المتيجة وتعود لتتسع مرة أخرى في مراكش حيث سهول السوس والشاوية .

والساحل المطل على البحر الأبيض المتوسط صخري يضم مجموعة من الخلجان امثال خليج تونس وبنزرت . بينما يكون ساحل مراكش على الاطلسي منخفضاً قليل التعاريج ، وكذلك الأمر بالنسبة للساحل الشرقي في تونس ..

٢ - الأطلس التلي : وهو كلسي في قسمه الأكبر اثرت فيه عوامل التعرية والحت ، ويتكون من عدة سلاسل ساحلية وداخلية ،ومن هذه السلاسل الساحلية جبال الريف في المغرب ومن السلاسل الداخلية جبال وارسونيس وبيبان في الجزائر والأطلس الأوسط في مراكش حيث ترتفع هذه الجبال في المغرب الى اكثر من ٣٠٠٠ م ..

٣ - الأطلس الصحراوي : مجموعة من الطيات الملتوية يفصلها عن بعضها البعض عدد من المرات ومن اشهر هذه الجبال الضهرة التونسية الممتدة نحو الرأس الطيب في تونس ، وجبال القصور التي تنتهي في الاوراس وأعلى قمة فيها ٢٣٠٠ م ، ثم جبال الأطلس الأعلى في مراكش حيث ترتفع فيها قمة جبل طوبقال حتى ٤١٦٥ وهي أعلى قمة جبل في الوطن العربي ..

٤ - الهضاب العليا : وهي قليلة في تونس وتقع بين سلسلي الجبال الساحلية والداخلية .. وتبدأ هذه الهضاب منخفضة في تونس ثم تتزايد ارتفاعاً في اتجاه المغرب وفي الوقت ذاته تكون قليلة العرض والاتساع في تونس ثم تتزايد اتساعاً كلما تقدمت نحو المغرب وتكون في الجزائر السهوب العليا وفي المغرب « المائدة المراكشية » وفي هذه الهضاب منخفضات مغلقة بها مياه مالحة تسمى « الشلوط » وهي موائمة للسنتجات في الشام . وتضم هذه الهضاب ، احواضاً زراعية مثل سهل طلالا في مراكش كما تضم الجبال ايضاً مثل هذه الأحواض التي تستثمر في اعمال الزراعة ..

— وتضاريس المغرب مرتفعة بصورة عامة ومتقطعة ، ولهذا فانها تشكل عائقاً امام سبل المواصلات البرية وتتركز محاور الطرق بشكل تتوافق فيه مع الطبيعة الطبوغرافية فتتبع في مسيرتها السهول الساحلية والمرتات الجبلية والأودية النهرية مثل وادي مجردة الذي يصل تونس بالجزائر ، وممر تازا بين الجزائر ومراكش وهو الممر الذي يصل ايضاً بين جبال الريف الساحلية وجبال الاطلس الداخلية في مراكش ..

٢ - المنطقة الصحراوية :

هي امتداد للصحراء الكبرى وقسم منها ، تبدأ في الشمال عند السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي وتنتهي في الجنوب عند منطقة الساحل ، حيث شجر الصمغ والدوم وهي صحراء نباتية ، يتبع الجزائر منها مساحة تزيد على مليوني كيلو متر مربع (٢ مليون كم^٢) ، ويتبع موريتانيا مليون كم^٢ تقريباً .

ويمكن تقسيم تضاريس هذه الصحراء الى قسمين اعتباراً من خط طول مدينة الجزائر ، فتتكون الصحراء المرتفعة الى شرق هذا الخط وتمتد الصحراء المنخفضة الى غرب هذا الخط ، وتتميز الصحراء الكبرى بصخورها المتبلورة القديمة ومنها (الحماد الصحراوي) الذي يضم هضاباً حجرية واسعة بها طبقات مائية جوفية وتحيط بالحماد المرتفعات الصخرية كما يشرف هذا الحماد على منخفضات مياهها مالحة او عذبة ، كما يوجد في هذه الصحراء (الدق) وهي مفاوز رملية من الحصى ، ينذر فيها وجود الماء ، اما (العرق) فهي صحارى رملية تضم مرتفعات رملية ايضاً لكنها تحتوي على بعض آبار المياه ، وتأتي بعد ذلك الكتل الجبلية ذات الصخور البلورية والبركانية وأهمها جبل الاحجار على مدار السرطان - جنوب الجزائر - .

المناخ :

يقع المغرب العربي تحت تأثير عوامل ثلاثة : البحر الأبيض المتوسط من الشمال والمحيط الأطلسي من الغرب والصحراء الكبرى من الجنوب ، ونتيجة لتباين هذه العوامل الثلاثة يكون مناخ المغرب العربي مضطرباً مقبائناً مثله في ذلك مثل الطبيعة الجغرافية ..

- وبدهي ان متفاوت تأثير هذه العوامل على المغرب العربي حسب قربيه من هذه العوامل وبعده عنها ، فالمناطق المجاورة لحوض البحر الابيض المتوسط والمحيط الأطلسي كثيرة الأمطار بصورة عامة في حين يتزايد التأثير الصحراوي كلما اقتربنا من الداخل في اتجاه الصحراء ..

٨ - افريقية ، عشية الفتح الاسلامي .

أ - الوضع السياسي :

استعاد بيلزير افريقية عام ٥٣٤ م ، وطرد الفاندال منها واعادها لحكم بيزنطة فعمل الامبراطور « جوستينيان » على تقسيمها الى اقسام ادارية سبعة :

١ - الولاية القنصلية « شمال تونس الحالية » *proconsularium* .

٢ - الولاية الداخلية « بيزاكيوم » *Byzacium* .

٣ - ولاية طرابلس *Tripolitania* .

وكان يحكم هذه الولايات الثلاثة قناصل مديون في حين تركت الأقسام الأربعة لحكم مديرين وهي :

٤ - ادارة نوميديا *Numidia* .

٥ - ادارة موريتانيا الأولى *Mauritania Sitifiensis* .

٦ - ادارة موريتانيا الثانية ، وتشمل شمال مراكش

Moritania Cesariensis - moritania Tingtana

٧ - ادارة سردانية ..

- وعين جوستينيان حاكماً مدنياً لحكم افريقية بولاياتها واداراتها السبعة ، لكن الثورات المتتالية وضرورات فرض احكام قوية من اجل حشد الطاقات والامكانات اللازمة لحروب بيزنطة ارغمت الأباطرة على تعيين قائد عسكري لحكم افريقية واستبدل الحكام المدنيون بمد جوستينيان بحكام عسكريين يحملون لقب دوق Duz ، كما قوى حكم المدن قادة عسكريون لهم مطلق الصلاحية في ممارسة اعمالهم ..

- في عام ٦٠٢ م ، عين الامبراطور « موريس Maurice » لولايات افريقية بطريقاً من اصل ارمني عرف بكفاءته القيادية العسكرية الماهرة واسمه « هرقل » ، وندب لمعاونته في ادارة البلاد اخوه « جريجوريوس » وبدأ الأخوان هرقل وجريجوريوس في العمل الجدي لتهدئة الأمور والسيطرة على الاضطرابات ولكنها بوغتا في عام ٦٠٨ بشورة في القسطنطينية انتهت بقتل الامبراطور موريس وقيام الامبراطور فوكاس .

- عمل هرقل مباشرة على التخطيط للانفصال عن بيزنطة بسبب ما وصله من انباء عن انحراف فوكاس وظلمه ، وقام بحجز السفن الناقلة للقمح من افريقية الى القسطنطينية واحتفظ بها في خليج قرطاجنة ، واسرع الناقمون على الامبراطور الجديد للاتصال بهرقل وحمله على انقاذ الدولة من الوضع المتدهور الذي انتهت اليه ..

كان هرقل رجلاً في الستين من عمره ، فندب ابنه هرقل ايضاً لتنفيذ واجب انقاذ الدولة ، واستطاع هرقل الابن ان يزحف بجيش افريقية ويطيح بحكم الامبراطور فوكاس ويقضي على اعوانه وانصاره ، وعندما تمت له تسوية الأزمة أراد العودة الى افريقية لكن رجال الدولة واساقفتها حملوه على قبول تاج الامبراطورية واحتفل بتتويجه في عام ٦٠٠ م ..

كان من الطبيعي ان يعترف الامبراطور هرقل بالعرفان لجيش افريقية واهلها نتيجة لما قدموه من عون في ابصاله لقمة السلطة ..

- مات هرقل «الأب» في افريقية عام ٦١٠ م ، وخلفه اخوه جريجوريوس ، لكنه لم يستمر في ولايته طويلاً وخلفه البطريرق « قيصريوس » ثم اعقبه نقيتاس « ابن جريجوريوس » وابن عم الامبراطور هرقل « الابن » ، وخلف نقيتاس ابنه « جريجوريوس » على ولاية افريقية وهو الذي يعرفه العرب باسم « جرجير » وقد جاء الفتح العربي في عهده ، وقتله عبد الله بن الزبير في معركة العقوبة عام ٢٧ هـ - ٦٤٧ م .

ب - الوضع الديني :

- كانت الوثنية هي الديانة السائدة بين الافريقيين ، ثم دخلت المسيحية الى افريقية عن طريق مصر ، وعن طريق روما ، واعتنق كثير من البربر الديانة المسيحية وانتشر الرهبان بين البربر ، لكن الانقسام الكنسي انتقل الى افريقية ولم تعد الكنيسة واسطة بين الشعوب الافريقية والسلطة الحاكمة ووسيلة لتسوية التناقضات بين الحاكمين والمحكومين ، وانما اصبحت وسيلة لاكتساب الانصار مما احدث تمزقاً كبيراً بين المواطنين الأفارقة ، ولم تقف حدود هذا التمزق عند حدود اختلاف الولاء لكنيسة روما او كنيسة « بيزنطة » ، وانما تعدى ذلك حيث ظهر في افريقية اسقف كبير اسمه دونات Donat انشأ مذهباً خاصاً ورفض الاعتراف بشرعية انتخاب سيليان اسقفاً لقرطاجنة واعلن طلب الاستشهاد فاستجاب له كل الساخطين على الدولة وخاصة من طبقات الكادحين وذلك في الفترة التي سبقت اقتحام الفاندال لافريقية ..

- في عام ٦٣١ م حاول هرقل رأب الصدع في الكنيسة فأوجد مذهباً الجديد الذي حاول فرضه ، وذلك على نحو ما فعل في مصر ، وكان الرد الطبيعي هو حدوث مزيد من التمزق الديني الذي كان تعبيراً عن التمزق الاجتماعي والسياسي ووسيلة من وسائله ..

- وفي عام ٦٤٠ م ، وصل افريقية الراهب مكسيم وهو اشهر رجال الدين في القرن السابع الميلادي ، واخذ هذا الراهب ينشر تعاليمه بين القساوسة

البسطاء حتى يستطيعوا مجابهة سفسطة الرهبان البيزنطيين وأسلوبهم الجذلي ، ونجح الراهب مكسيم في انشاء قاعدة قوية له ، وحاولت كنيسة روما دعم الراهب مكسيم لمجابهة بيزنطة ، ونجحت في ذلك .

– كما لقيت حركة الراهب مكسيم دعم والي افريقية « جريجوريوس » الطامح بالاستقلال عن السلطة المركزية في القسطنطينية ، وعرف الراهب مكسيم ما يدبره « جريجوريوس » فباركه وشجعه .

– وفي هذا المناخ من التمزق الديني والاجتماعي والضعف السياسي جاءت ثورة الاسلام وفتوحات المسلمين لتبدل من صورة هذا الواقع .

ج – الوضع العسكري :

تركز جهد القيادة البيزنطية في افريقية على تنظيم حاميات قوية في حصون « ليات » ، متقاربة ، وأقامت في كل حصن قوة كافية لحمايته والدفاع عنه ، ولم تتوقف هذه القيادات عن تنظيم خط واحد من الحصون بل أقامت ثلاث حاميات في حصون منسقة عمقا .

– ان اقامة الجند في الحصون والمواقع المنعزلة أضعف من روحهم القتالية وافقدهم الروح الهجومية ، كما افقدهم في الوقت ذاته انضباطهم فأخذوا يغيرون على مزارع الأهلين ويروعون الأمنين وتحولوا شيئا فشيئا الى لصوص وقطاع طرق حتى عجزت الحكومة عن ردعهم واخضاعهم ، وتهاون من بقي منهم على الطاعة في القيام بواجباتهم العسكرية فتقاعسوا عن القتال وتهاونوا فيه ، وادعوا الحاجة الى الطعام وأخذوا يهررات التعب وشدة البرد حتى اذا ساروا الى القتال دخلوا المعركة دونما تنظيم وخرجوا منه دونما تعليمات أو أوامر من قادتهم .

– لقد كان الهدف الأساسي من الحاميات في افريقية هو تحقيق الاستقرار والأمن وردع هجمات البربر وتأمين متطلبات الامبراطورية البيزنطية ، لكن

اعتماد أسلوب الدفاع الثابت والبقاء فترة طويلة في الحاميات البعيدة « أفقد هذه القوات التي كانت فخر الامبراطورية قوتها وارادتها القتالية .

- وعلاوة على ذلك فان التمزق الديني ، والفارق الاجتماعي بين الروم والبرابرة من العوامل التي أضعفت القدرة القتالية للقوات المدافعة عن افريقية .

- هذا ومما يجدر ذكره هنا ، ان طول العهد واستمرار العلاقات بين بيزنطة والبربر خلال فترة طويلة من الزمن ، وظهور بعض القادة والحكام المصلحين أمثال هرقل وجريجوريوس قد خلق نوعاً من الانسجام والتوافق بين الروم وبين سكان البلاد الأصليين ، وعلاوة على ذلك فان الأسلوب الارهابي الذي اتبعه القادة البيزنطيين قد ترك لدى السكان نوعاً من الشعور بالهيمنة القوية التي لا يمكن ازالتها ، وان هذا الشعور يشابه الى حد بعيد شعور سكان الشام تجاه الروم واعتقادهم « بقوة الروم التي لا تقهر » ..



الْفِصْلُ الثَّانِي

فَصْلُ الثَّانِي

فتح افريقية

- ١ - معركة عقوبة « عبد الله بن سعد » .
 - أ - الغزوات الاستطلاعية . ب - الاستعداد وقوى الطرفين .
 - ج - حرب الاستنزاف والحرب النفسية . د - الصلح مع النوبة . هـ - قمع حركة التمرد الأولى .
- ٢ - معركة الأجم « معاوية بن حديج السكوني » .
 - أ - الوضع العام قبل المعركة . ب - عقبة بن نافع وفتوحه بين ٤١-٤٥ هـ .
 - ج - بيزنطة تحرض على الثورة المضادة . د - ابن حديج مرة ثالثة في افريقية ومعركة الأجم . هـ - استثمار الظفر ..
- ٣ - المد الكبير « عمليات عقبة بن نافع »
 - أ - الفتوح بين ٤٦ و ٦٢ هـ . ب - القيروان قاعدة متقدمة للعمليات .
 - ج - ابو المهاجر دينار ، وأعمال الفتوح . د - عقبة يتابع ثانياً فتوحاته . هـ - تهوذة المأساة ومقتل عقبة بن نافع ٦٣ هـ ..

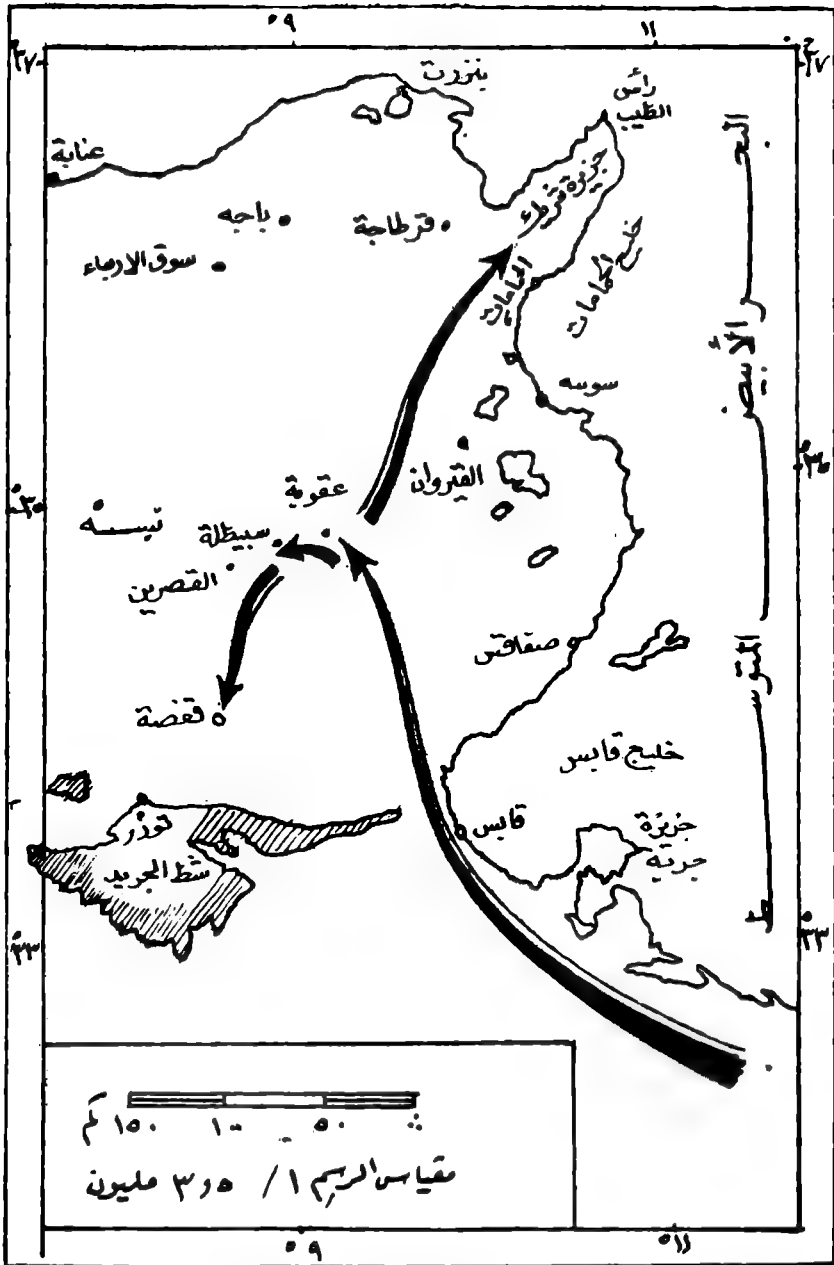
- ٤ - معركة ممس « زهير بن قيس البلوي »
آ - الوضع العام . ب - خطة كسيلة . ج - المعركة الحاسمة .
د - المطاردة واستئثار الظفر . هـ - العدوان البيزنطي .
- ٥ - القضاء على ثورة الكاهنة وتدمير قوة بيزنطة في قرطاجنة «حسان بن النعمان»
آ - الوضع العام . ب - الوضع الخاص . ج - الواجب الأول «قرطاجنة» .
د - الواجب الثاني « معركة نيني » وفشل محاولة القضاء على ثورة الكاهنة .
- ٦ - القضاء على ثورة الكاهنة واستعادة قرطاجنة ٨١ - ٨٢ هـ .
آ - الوضع العام . ب - الكاهنة . ج - بيزنطة .
د - العرب المسلمون . هـ - مسيرة الأعمال القتالية .
و - تصفية قاعدة العدوان « قرطاجنة » .
ز - القضاء على النفوذ البيزنطي في البحر « بناء تونس » .
- ٧ - حرب القبائل « موسى بن نصير »
آ - الوضع العام . ب - المرحلة الأولى : تأمين قاعدة الانطلاق .
ج - التأمين البحري لأفريقية « غزوة الأشراف » .
د - إخضاع القبائل المتمردة .

فتح افريقية

جدول توقيت الاحداث

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
فتح مصر والاسكندرية .	٦٤٠ م	٥٢٠
موقعة نهاوند ، وبداية تطوير عمليات الجبهة الشرقية .	٦٤١ م	٥٢١
فتح همذان - الري - قومن - جرجان - طبرستان - اذربيجان - باب الابواب .	٦٤٢ م	٥٢٢
فتح توج اصطخر - قسا - دار ايجرد - كرمان - نيسجستان - مكران - بيروذ .	٦٤٣ م	٥٢٣
وفاة الخليفة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان ابن عفان .	٦٤٣ م	٥٢٣
غزو اذربيجان وارمينيا .	٦٤٤ م	٥٢٤
اعادة فتح الاسكندرية .	٦٤٥ م	٥٢٥
هجوم الروم في ارمينيا .	٦٤٥ م	٥٢٥
فتح افريقية - « معركة عقوبة » .	٦٤٧ م	٥٢٧
فتح قبرص بقيادة معاوية بن ابي سفيان .	٦٤٨ م	٥٢٨
فتح طبرستان .	٦٥٠ م	٥٣٠
موقعة ذات الصواري .	٦٥١ م	٥٣١

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
فتح مرو الروذ والطالقان وجوزجان وطخارستان .	٦٥٢ م	٥٣٢
مقتل الخليفة عثمان وخلافة علي بن أبي طالب .	٦٥٤ م	٥٣٤
مقتل الخليفة علي واجتماع كلمة المسلمين على معاوية - حكم الأمويين .	٦٦٠ م	٥٤٠
معركة الأجم بقيادة معاوية بن حديج .	٦٦٥ م	٥٤٥
بناء القيروان « عقبة بن نافع » وفتوحه .	٦٧٠ م	٥٥٠
وفاة معاوية بن أبي سفيان وخلافة ابنه يزيد .	٦٧٩ م	٥٦
معركة « تهوذة » ومقتل عقبة بن نافع .	٦٨٢ م	٥٦٣
معركة « بمس » ومقتل زهير بن قيس البلوي « يوم البلاء » .	٦٩٠ م	٥٧١
حسان بن النعمان الفسائي ، والقضاء على ثورة الكاهنة .	٧٠٠ م	٥٨١
بدء العمل لبناء مدينة « تونس » .	٧٠٢ م	٥٨٣
موسى بن نصير ، وتحقيق الاستقرار في « افريقية » .	٧٠٥ - ٧٠٨ م	٩٠ - ٨٦



فتح المغرب الأدنى تونس بقيادة عبد الله بن سعد ٢٥ و ٢٣ هـ

فتح افريقية

١ - معركة عقوبة ٨٢٧ - ٦٤٧ م

أ - الغزوات الاستطلاعية : ٢٤ - ٨٢٦ م - ٦٤٤ - ٦٤٦ م .

- أصدر الخليفة عمر بن الخطاب أوامره بالتوقف عن متابعة العمليات عند حدود « طرابلس » ، فعين عمرو بن العاص قائداً لحامية برقة هو عقبة بن نافع .
- نظم عقبة قاعدة عملياته في « برقة » واتخذ تدابير الأمن ثم وضع مخططاً لإرسال مفارز قتالية بصورة مستمرة ، وكان الهدف من هذه التدابير حماية برقة من كل هجوم مباغت ، والحصول على المعلومات الضرورية .

- وتوفي الخليفة عمر بن الخطاب عام ٢٣ هـ ، وخلفه عثمان بن عفان .

في عام ٢٥ هـ ، وبينما كانت بيزنطة تنظم هجومها على الاسكندرية ، نظم عثمان بن عفان جيشين قوة كل واحد منها خمسة آلاف مقاتل ، وأسند قيادة الجيش الأول الى عبد الله بن نافع بن عبد قيس ، ولقيادة الجيش الثاني عبد الله بن نافع بن الحرث وكلفها بالهجوم على افريقيا ، وانطلقت القوات الى مسرح العمليات المخصص لها ، وتقدم القادة الافريقيون وحكام المناطق فصالحوا قادة الجيشين على جزية معينة ولم تتمكن هذه القوات من التوغل في العمق بسبب قلة عددها (١) .

لقد حققت هذه الغزوة الاستطلاعية بعض النتائج الهامة منها :

١ - وفرت الحماية للقوات المشتركة في عمليات اعادة فتح الاسكندرية بقيادة عمرو بن العاص وأمنت الحدود الغربية .

٢ - أظهرت هذه القوة للقادة الافريقيين وحكام المناطق تصميم العرب المسلمين على تحطيم كل عدوان تقوم به بيزنطة او تحرض عليه

(١) الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى ١ / ٦٧ .

- في هذه الفترة استحكم الخلاف بين عمرو بن العاص وعبد الله بن سرح ، فخرج عمرو بن العاص الى المدينة ، وكان لقاء حاراً انتهى بعزل عمرو بن العاص وتثبيت عبد الله بن سرح على ولاية مصر وافريقية ..

- تابع عبد الله بن سعد سيرة سلفه [فكان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في أيام عمرو ، فيجيبون من أطراف افريقية ويفتقنمون ، فكتب في ذلك عبد الله بن سعد الى عثمان ، وأخبره بقرهم من حوز المسلمين ويستأذنه في غزوها] ^(١) .

- من الواضح ان الغزوات الاستطلاعية وفرت للقادة العرب المعلومات الضرورية :

١- عن طبيعة السكان وقدرتهم القتالية وما يمكن للقوات العربية ان تلقاه من مقاومة . -

٢- المحاور الأرضية وطرق المواصلات ، وموارد الحياة في مسرح العمليات المقبل .

٣- الروح المعنوية لقوات الخصم ..

ومما لا ريب فيه هو أن هذه الهجمات المتكررة ، قد أضعفت الروح القتالية لدى جيش الخصم ، مقابل ما اكتسبته للقوات العربية الاسلامية من روح معنوية عالية .

ب - الامتداد ، وقوى الطرفين في « عقوبة » ^(٢) :

- عندما وصلت رسالة والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى الخليفة عثمان يستأذنه بفتح افريقية ، عقد الخليفة مؤتمراً [واستشار من عنده من الصحابة فأشار اكثرهم بالاقدام على غزو افريقية] ..

(١) فتوح مصر والمغرب ٢٤٦ ، والبلاذري ٢٢٧ .

(٢) عقوبة : موقع بينه وبين « سبيلة » يوم ليلة .. البلاذري ٢٢٨ .

– أرسل الخليفة عثمان بن عفان إلى واليه في مصر موافقته لفتح افريقية ، وبدأ في الوقت ذاته بتنظيم جيش لدعم عبد الله بن سعد ، وعندما انتهى تنظيم الجيش [أمر عليهم الحرث بن الحكم إلى أن يقدموا عبد الله بن سعد مصر ، فيكون الأمر إليه ^(١)] ، وكان فيهم جماعة من الصحابة ...]

– سار عبد الله بن سعد فور وصول رسالة الخليفة ، متوجهاً إلى افريقية ، ولما وصل بجيشه إلى « برقة » حيث انضمت إليه حاميتها بقيادة عقبة بن نافع ، ثم تابع عبد الله تقدمه حتى وصل « عقوبة » .

– [كان مستقر سلطان افريقية بمدينة قرطاجنة ، وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل استخلفه ، فخلع هرقل وضرب الدنانير على وجهه وكان سلطاناً ما بين طرابلس إلى طنجة ..] ^(٢) .

عندما علم جرجير بتقدم العرب المسلمين جموع جيوشه وتقدم إلى العقوبة بهدف إعاقة المسلمين عن التوغل في بلاده ..

– كان مخطط جرجير هو الاستفادة من قرب قواعد تموينه والدخول في معارك يستنزف فيها قوة العرب المسلمين قبل الدخول معهم في معركة حاسمة ..

– كانت قوة جيش جرجير ١٢٠.٠٠٠ ، وكانت قوة جيش عبد الله ٢٠.٠٠٠ مقاتل ، وهكذا فإن ميزان القوى لصالح جيش جرجير يعادل ستة إلى واحد ..

– في اليوم التالي للاصطدام بين القوات ، وجه عبد الله رسولا إلى جرجير يعرض عليه شروط المسلمين المعروفة ، الإسلام أو الجزية أو الحرب .

(١) فتح مصر و افريقية ، ابن الحكم ٢٤٦ .

(٢) ابن الحكم ٢٤٦ ، الاستقصاء ١ / ٦٧ .

قرطاجنة : مدينة لا تزال آثارها باقية بالغرب من تونس ، ويقال إن تونس قد بنيت بعد تدميرها ، وتتكون قرطاجنة من اسمين قرطاً بمعنى مدينة وجنة لطيب هوائها ونزهاتها .
طنجة : مرفأ على مضيق جبل طارق في شمال المغرب ، كانت مركزاً من مراكز الفينيقيين أيام قرطاجنة ، وهي قاعدة لمنطقة دولية في الوقت الحاضر ..

ورفض جرجير الشروط مصمماً على متابعة الحرب معتزاً بما لديه من تفوق في ميزان القوى معتمداً على قربه من قواعده . وعندما وجد عبد الله ان جرجير مصمم على متابعة القتال قرر استئناف الحرب ، واستمرت المعارك بعد ذلك .

ج - حرب الاستنزاف والحرب النفسية :

— استمرت المعارك اليومية بين جرجير وبين عبد الله بن سعد اياماً دون أن يحقق طرف من الطرفين نتيجة حاسمة ..

— كان العرب المسلمون مصممون على انتزاع النصر ، مصممون على الاستمرار في القتال ، وكان جرجير مصمم على دحر العرب المسلمين والحاق الهزيمة بهم . وكانت المعارك نتيجة لذلك طاحنة ، وزاد من قسوتها صعوبة المناخ وطبيعة الاقليم ، فكانت المعارك القتالية اليومية تبدأ منذ الصباح المبكر وتنتهي عند الظهر ..

— وبعد أيام من القتال وصلت قوات الدعم « جيش العبادلة » وانضم الى قوة عبد الله بن سعد . [ولما سمع جرجير بوصول المدد فت ذلك في عضده ..]^(١)
— كان عبد الله بن الزبير في جيش العبادلة ، وشهد القتال منذ وصوله ، وعلم ذات يوم بغياب ابن ابي سرح فسأل عنه [فقيل له انه سمع منادي جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة الف دينار وأزوجه ابنتي فخاف وتأخر عن شهود القتال ، فقال له ابن الزبير : تنادي أنت بأن من قتل جرجير نفلته مائة الف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده ، فخاف جرجير أشد منه] .
— عندما استمر القتال اراد القادة وضع حد حاسم لحرب الاستنزاف ، فجلس عبد الله بن الزبير الى عبد الله بن أبي سرح وقال له :

[... ان امرنا يطول مع هؤلاء ، وهم في امداد متصلة وبلاد هي لهم

.....
(١) الاستقصاء ٦٧ / ١ .

ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم ، وقد رأيت ان نترك غدا جماعة سالحة من ابطال المسلمين في خيامهم متاهبين ، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر الى أن يضجروا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونؤصدهم على غرة ، ففعل الله ينصرنا عليهم ... [(١)]

— عقد ابن أبي سرح مؤتمراً للقادة ، ونوقش اقتراح عبد الله بن الزبير وتقرر تنفيذه في اليوم التالي ..

— أقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم — صبيحة الغد — وكانت خيولهم عندهم مسرجة ، ومضى الباقون فقاتلوا الروم الى الظهر قتالاً شديداً ، فلما أذن الظهر وهم الروم بالانصراف على العادة لم يتركهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم ، ثم عاد عنهم هو والمسلمون ، فكلل من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً ... عند ذلك أخذ الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم ، وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيه المسلمون (٢) .

— انطلق عبد الله بن الزبير في هجومه ، وشاهد خلال المعركة (جرجير) وقد خرج من عسكره فأخذ معه ثلاثين فارساً اختارهم بنفسه وكان «جرجير» وراء عسكره على بردون اشهب ومعه جاريتان تظللانه بربيش الطواويس وبينه وبين عسكره أرض بيضاء ليس فيها أحد ، فحمل عبد الله مع قوته في الوجه الذي فيه جرجير وقال للفرسان الذين معه احموا ظهري ، فخرق الصف الى «جرجير» وخرج صامداً له وما يظن هو وأصحابه إلا أن ابن الزبير رسول اليه حتى دنا منه فعرف الشر ، فثنى بردونه مولياً لكن ابن الزبير أدركه فطعنه وأجهز عليه «دافه» وحز رأسه ونصبه في رحبه وكبر ... فحمل المسلمون من

(١) و (٢) التاريخ الكامل لابن الأثير ٣/٣٣-٣٥ . تهذيب ابن عساكر ١/٧-٢٠٦ . ٤٠٢ .

الوجه الآخر فانهزم العدو في كل وجه ومنح الله المسلمين اكتافهم وانهزم الروم بعد أن قتل ابن الزبير « جرجير » فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة وأخذت ابنة جرجير سبية ، فنقلها ابن الزبير ^(١) .

عمل ابن ابي سرح بعد المعركة على تقسيم الغنائم فأخرج الخمس ، ووزع الباقي فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، للفارس ألفا دينار وإفارسه ألف دينار ، وللراجل ألف دينار ، وقسم لرجل من الجيش توفي بالحصى فدفع الى أهله بعد موته ألف دينار ..

— كانت ابنة جرجير لواحد من الانصار فأقبل بها منصرفاً قد حملها على بعير له وهو يرتجز :

يا ابنة جرجير تمشي عقبك إن عليك بالحجاز ربك
لتحملن من قباء قرْبَتِك

قالت ابنة جرجير : — ما يقول هذا الكلب؟ فأخبرت بذلك فألقت بنفسها عن البعير الذي كانت عليه فدقت عنقها فماتت ^(٢) .

— أعاد ابن أبي سرح تنظيم قواته بسرعة وتوجه مباشرة الى « سبيطة » وضرب حصاراً حولها ولم تتمكن سبيطة من الصمود ففتحتها ابن أبي سرح ودمرها .
ووجه ابن أبي سرح قواته الى الأقاليم حتى وصلت « قفصة » وهي بلدة تبعد عن القيروان ثلاثة أيام ففتحتها ..

— كما وجه جيشاً الى حصن الأجم « Thysderas » فحاصره العرب المسلمون وعندما يئس السكان من الحصار خرجوا فصالحوا المسلمين ..

— وسبى المسلمون من ملوك البربر : صولات بن وزمار الزناقي ، والمغزاوي جد بني خزر — ملوك تلمسان — فرفعوه الى الخليفة عثمان رضي الله عنه فأسلم على يده فمن عليه وأطلقه وعقد له على قومه ثم رغب الفرنج والبربر في السلم وسألوا

(١) و (٢) الكامل لابن الاثير ٣ / ٢٣ - ٣٥ . فتح مصر والمغرب ٢٤٦ - ٢٤٩ .
البلاذري ٢٢٧ - ٢٢٩ . الاستقصاء ١٦٨ - ٦٨ . تهذيب ابن عساكر ٧ - ٤٠٢ .

الصلح ، فأجابه المسلمون الى ذلك ، ورجع عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى مصر بعد أن أمضى بأفريقية سنة وثلاثة اشهر ..

د - الصلح مع النوبة :

— بعد فشل عقبة بن نافع في تحقيق الاستقرار الدائم مع النوبة في عهد عمرو ابن العاص ، تابع عمرو سياسته في توجيه موجات متتابعة من القوى لتأمين الحدود الجنوبية لمصر ، وعندما تسلم عبد الله بن أبي سرح ولاية مصر وقام بفتوحاته في افريقية ثم عاد الى مصر ليتابع عملياته ضد الجنوب ، وسأل اهل النوبة عبد الله بن سعد الهدنة وكانت قوات العرب المسلمين قد استولت على « دنقلة » فمقد مع اهل مقرة اتفاقية للصلح تضمن لهم الاستقلال في بلادهم وتضمن للمسلمين في الوقت ذاته الاطمئنان الى حدودهم ، وكان من نتيجة اختلاط العرب المسلمين بأهل النوبة والبيعة ان اعتنق عدد كبير منهم الدين الاسلامي .. وكان نص الاتفاقية بين العرب المسلمين واهل النوبة التالي :

[... انما عاهدناكم وعاهدناكم ان توفونا في كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأساً . وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين وكذا ندخل بلادكم على انكم ان قتلتم من المسلمين قتيلاً فقد برئت منكم الهدنة . وعليكم رد اباقي المسلمين ومن لجأ اليكم من اهل النوبة ...] (١) .

— أظهر العرب المسلمون رغبة صادقة في تنفيذ بنود الاتفاقية ، وكذلك فعل أهل النوبة فخيم السلم والأمن على اقاليم مصر الجنوبية وتحقق الاستقرار الذي رغب الطرفان به ، وتوثقت عرى التعاون ، وتضاعف حجم التبادل التجاري بين اقاليم وادي النيل ..

هـ - قمع حركة التمرد الأولى ٣٣ هـ .

— نقض اهل افريقية الاتفاقية المعقودة بينهم وبين عبد الله بن سعد ، وكان

.....

(١) فتوح مصر والمغرب - ابن الحكم ٢٥٤ .

للروم دور في التحريض على الثورة المضادة، فأسرع عبد الله بتنظيم مجموعة قتالية وتقدم في هجومه ، ونجح في احباط المقاومات التي اعترضت تقدمه ، وعندما شعر اهل افريقية انه لا قبل لهم بزحف العرب المسلمين طلبوا الصلح وأقرهم عبد الله على الصلح وعاد الهدوء والسلم يخيم على افريقية ..

٢ - معركة الأجم^(١) ٤٥ هـ - ٦٦٥ م

أ - الوضع العام قبل المعركة :

- في عام ٣٤ هـ ، خرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر بقواته البحرية والتقى بأسطول الشام حيث خاضت القوات المشتركة معركة « ذات الصواري » .

- وفي الوقت ذاته توجهت مجموعة قتالية بقيادة معاوية بن حديج السكوني لمتابعة عمليات الفتح وقد ضم جيش معاوية جماعة من المهاجرين والانصار ، ففتح مناطق واسعة ، وحصل على غنائم ضخمة واتخذ قيروانا عند « القرن » وبقي فيها حتى خرج الى مصر ..

- وفي عام ٣٥ هـ ، وقعت احداث الفتنة التي انتهت بقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان وتولى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وانشقاق معاوية بن أبي سفيان .

- عزل الخليفة علي والي مصر عبد الله بن أبي سرح الذي سار الى عسقلان ومات فيها .. واستقل محمد بن أبي حذيفة بولاية مصر ، لكن الخليفة علي عين قيس بن عباد الانصاري عام ٣٧ هـ ، ثم لم يلبث أن عزله بسبب تهاونه في قتال أهل « خربنا وفيهم بسر بن أرطاة ومعاوية بن حديج وغيرهم كثير من وجوه العرب العثمانيين » ، وجاء محمد بن أبي بكر خلفاً لقيس ، لكن الامور تطورت بسرعة ، وجاء عمرو بن العاص على رأس جيش من الشام فقتل محمد بن أبي بكر

(١) المصادر : الكامل لابن الاثير ٣ - ٨ - ٣٤ - ١٩٧ . ابن خلدون ٢ - ١٢٩ و ٣ - ١٠ - ٩ . فتوح مصر والغرب ٢٦٢ - ٢٦٤ . الاستيعاب ٣ - ١٠٧٦ .

وسيطر على مصر ، وأتبعها للخليفة معاوية ، وفي عام ٤٠ هـ قتل الخليفة علي ، وانتهى الحكم للامويين .

- كان من نتيجة الانقسام بين العرب توقف اعمال الفتوحات إلا من بعض العمليات الصغرى ، ومن هذه العمليات :

- توجيه حملة بحرية عام ٣٦ هـ قوتها مائتي مركب بقيادة عبد الله بن قيس وذلك لغزو صقلية .

- قيام عقبة بن نافع عام ٣٩ هـ ، بقيادة اهل مصر لغزو الروم بجزراً ..

- وعندما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة وجه معاوية بن حديج الى افريقية سنة ٤١ هـ فكانت هذه غزوته الثانية ، وكان معه عبد الملك بن مروان ، تقدم معاوية بن حديج يحيشه حتى وصل بنزرت ففتحها وصالح اهلها .

ب - عقبة بن نافع ، وفتوحه ما بين ٤١ - ٤٥ هـ :

بقي عقبة بن نافع قائداً لحامية برقة فترة طويلة ، بدأت عام ٢١ هـ ، وبقي حتى عام ٤١ هـ ، وكان بقاءه فترة طويلة في هذه المنطقة خير مساعد له لاكتسابه خبرة جيدة بطبيعة المنطقة جغرافياً وبشرياً ، علاوة على ما كسبه من خبرات بقتاله مع عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ومعاوية بن حديج السكوني ، ولهذا كان على معرفة تامة بما يجب عليه عمله عندما عينه عمرو بن العاص سنة ٤١ هـ لولاية افريقية ..

- انطلق عقبة يحيشه الى « قبائل لواتة » اكبر بطون البربر ، وكانوا قد نقضوا العهد ، فتمتحت قبائل لواتة عن « طرابلس » فقاتلهم عقبة قتالاً ضارياً وألحق بهم الهزيمة فطلبوا الصلح ، ولكن عقبة رفض صلحهم وقال لهم :

[انه ليس لمشرك عهد عندنا - والله عز وجل يقول في كتابه : كيف يكون للمشركين عهد . ولكن أبايعكم على أنكم توفوني ذامتي ، ان شئنا أقررناكم وان شئنا بعناكم ..]

— بعد انتصار عقبة على « لواتة » توجه مباشرة للقضاء على غرد « هواره »
وهذه بدورها أيضاً من أشهر قبائل البربر، فقاتلهم ونجح في تزييقهم وإخضاعهم .
— وفي عام ٤٢ هـ ، افتتح عقبة غدامس وأباد القوات المضادة .
— وفي عام ٤٣ هـ ، افتتح عقبة كوراً من السودان ، واثخن في تلك النواحي
وكان له فيها جهاد وفتوح . وبذلك أمكن إعادة الاستقرار والأمن إلى « افريقية » .

ج — بزنطة تعرض على الثورة المضادة :

— عندما بلغ ملك الروم أن أهل افريقيا صالحوا المسلمين بذلك المال الذي
اعطوه للمسلمين غضب عليهم وبعث بطريقاً اسمه في تواريخ الروم « نيسفور »
او نففور Nicephore ، حتى يأخذ منهم مثل ذلك ، فزل قرطاجنة ، وأخبرهم بما
جاء له فأبوا وقالوا [قد كان ينبغي له أن يسعدنا فيما نزل بنا ..] فقاتلهم
الطريق وهزمهم وطرد الملك « جناها - اوهباها - Jenaha - Habahia »
خليفة جرجير ، فهرب « جناها » ولحق بالشام ، وقد اجتمع الناس على معاوية
ابن ابي سفيان فاستجاشه على افريقية ^(١) . وشكا اليه ما ناله من صاحب قيصر .

د — ابن حديج مرة ثالثة في افريقية - معركة الأجم :

الأجم - « المعجم » - كانت معروفة أيام البيزنطيين باسم « Thisderas »
كمركز حربي ممتاز ، وكواحدة من « الليمات » والمواقع الحصينة التي
اعتمدها البيزنطيون للدفاع عن حدودهم ^(٢) .

— قرر الخليفة معاوية بن ابي سفيان توجيه ضربة قوية للنفوذ البيزنطي في
افريقية ، فجهز جيشاً قوته عشرة آلاف مقاتل لتدمير القوة البيزنطية ، وأسند
قيادته إلى رجل عرف افريقية وعرفته وهو معاوية بن حديج السكوني ..
وقاد ابن حديج جيشه نحو افريقية ، وقد ضم هذا الجيش جماعة من الصحابة

(١) الاستقصا ١ - ٦٨ - ٦٩ . الاصابة ٦ - ١١١ . البلاذري ٢٣٧ .

(٢) المجلة العسكرية ٢ - ٥ - ٣ - ٧٤ الصادرة عن الادارة السياسية في سوريا .

والتابعين ، منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الملك بن مروان ، وذلك سنة ٤٥ هـ ، وكانت هذه المرة الثالثة التي يقود فيها ابن حديج عمليات هجومية في افريقية ..

— عندما وصل الجيش الى مصر توفي « هباهيا » ولم يقدر له العودة الى ملكه ، وتابع ابن حديج تقدمه وكانت افريقية تضطرم ناراً حتى وصل « قمونية » — في موضع القيروان — فتوقف واخذ يجمع المعلومات عن خصمه ..

— كان ملك « سبيلة » على رأس ثلاثين الف مقاتل وجههم القيصر من القسطنطينية في البحر لمدافعة العرب المسلمين عن افريقية ، وعندما علم ملك سبيلة بتقدم العرب المسلمين دفع قواته الى « الأجم » وتحصن بها ..

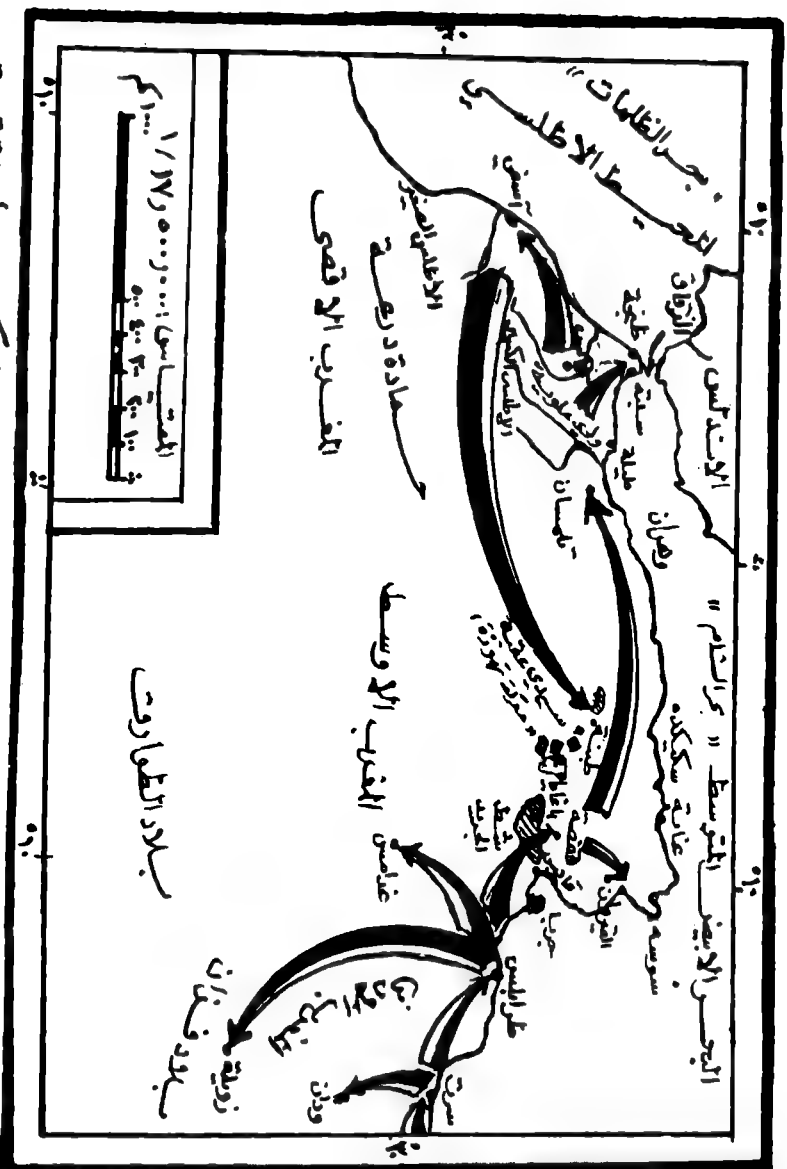
— توجه ابن حديج بجيشه الى « الأجم » واصطدمت قواته بالقوات البيزنطية ، وبعد معركة قاسية نجح ابن حديج في انتزاع النصر وتدمير قوات خصمه تدميراً تاماً ..

٥ - استثمار الظفر :

— كان النصر الذي حققه معاوية بن حديج في ميدان القتال نصراً حاسماً ، فقد نجح في تحطيم قوات تتفوق عليه بمعدل ثلاثة الى واحد ، علاوة على انها كانت تخوض معركة دفاعية في حين كان معاوية يخوض معركة هجومية ، وأسرع معاوية لاستثمار هذا النصر ..

[فبث السرايا ودوخ البلاد فبعث عبد الله بن الزبير الى سوسة فافتتحها ، وبعث رويفع بن ثابت الأنصاري بحراً الى جربة ، وهي جزيرة في تونس قرب قابس كان يسكنها البربر ، فافتتحها ثم عاد ادراجه الى طرابلس الغرب التي كان اميراً عليها ، وبعث عبد الملك بن مروان الى جلولاء في الف رجل^(١)

.....
(١) جلولاء : مدينة شهيرة بافريقية الشالية وهي غير جلولاء العراق ، تقع في تونس بينها وبين القيروان اربعة وعشرون ميلاً ، وبها آثار وابراج من أبنية الأول .



فحاصرها أياماً فلم يصنع شيئاً ، فأنصرف راجعاً فلم يسر الا يسيراً حتى رأى في ساقية الناس « المؤخرة » غباراً شديداً فظن أن العدو قد طلبهم فكر جماعة من الناس لذلك وبقي من بقي على مصافهم ، وتمرع سرعان الناس ، وهم جماعة الفرسان الخفيفة ، فاذا مدينة جلواء قد وضع حائطها فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها وأنصرف عبد الملك الى معاوية بن حديج الذي وزع الفنائم . . قال عبد الملك بن مروان : وأخذت لقرمي ولنفسي ستمائة دينار ، واشترت بها جارية [^(١)] .

— استقر معاوية بن حديج بعد ذلك في جبل (القرن) — وسلات حالياً — واحتفر بها آباراً حملت اسم « آبار حديج » خارج باب تونس منحرفة عنه الى الشرق . وتابع مهمته التوجيهية ، فظهر الاسلام في البربر ثم عاد الى مصر بعد أن استقر في القرن ثلاث سنين ، وخلف في افريقية آثاراً حسنة . .

٣ - المد الكبير

أ - الفتوح ما بين عام ٥٤٦ هـ - ٥٦٢ هـ :

— كان لاستقرار الوضع دوره في حفز القادة لتطوير عملياتهم القتالية ، وتحقيق الاستقرار ، فانطلق عقبة بن نافع ومعه بسر بن أرطاة وشريك بن سمي المرادي في اتجاه الجنوب مستفيداً من العمليات التي كان يمارسها معاوية بن حديج في القضاء على ثورة القبائل المتمردة . .

— علم عقبة بن نافع ان (مгдаش) و (ودان) ^(٢) قد رفضتا ما كانتا تلتزمان بتقديمه وفق معاهدتهم مع بسر بن أرطاة عام ٥٢٣ هـ . .

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٦٢ . الاستقصاء ١ - ١٦٩ - ١٧٠ . البلاذري ٢٣٧ . الاصابة ٦ - ١١١ .

(٢) ودان : مدينة قديمة من مدن البربر الجنوبية ويتبعها زلة وهون وسوكنة وما جاورها ويطلق على الكل بلاد ودان ، وتقع ودان في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس بمسافة ٧٦٩ كم تقريباً والى جنوب « سرت » بمسافة ٢٨٠ كم تقريباً .

- في عام ٤٦ هـ ، وصل عقبة بن نافع بجيشه الى «مغداش»^(١) من «سرت»^(٢) ففتحها ، وترك قواته واستخلف عليهم عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي ثم سار بنفسه وبمن خف معه ، اربعمائة فارس واربعمائة بعير وثلاثمائة قرية « للمياه على كل بعير قربتين » وتوجه الى ودان ..

- كان أهل « ودان » قد تحصنوا ، وعرض عليهم عقبة الاستسلام ، فأبى أهلها إلا العصيان وعدم الطاعة ، فحاربهم عقبة حتى أخضع البلاد بلداً بلداً وقبض على ملكهم فجدع أذنه فقال : « لِمَ فعلت هذا بي ؟ ! » فقال عقبة : « فعلت هذا بك أدباً لك » ، إذا مسست أذنك ذكرته فلا تحارب العرب ! » واستخرج منهم ما كان بسر بن أرطاة فرضه عليهم ..

- بعد ان انتهى عقبة من اعادة الأمن والنظام الى « ودان » سأل أهلها : [.. هل من ورائكم أحد ؟ !] ف قيل له « جرمة »^(٣) وهي مدينة فزان العظمى .. فسار اليها ثمانى ليال من ودان ، فلما دنا منها أرسل فدعاهم الى الاسلام فأجابوا فنزل منها على ستة أميال ، وخرج ملكهم يريد عقبة وأرسل عقبة خيلاً فحالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه راجلاً حتى أتى عقبة وقد لغب ، فتعب واصابه الاعياء ، وكان ناعماً فجعل يبصق الدم فقال له : لم فعلت هذا بي وقد أتيتك طائعاً ؟ فقال عقبة : « أدباً لك » ، اذا ذكرته لم تحارب العرب ، وفرض عليهم الجزية^(٤) ..

ووجه عقبة الرجل من يومه ذلك الى المشرق ، ثم مضى على جهته من فوره الى قصور فزان فاقتتحها قصرأ قصرأ حتى انتهى الى اقصاها فسألهم : [هل من

(١) مغداش : بلد قريب من « سرت » في طرابلس الغرب بليبيا .

(٢) سرت : مدينة قريبة مكانها الآن مدينة تونس بشمال افريقيا وكانت محطة للقوافل وسوقاً للتجارة ، وبلغت اوج ازدهارها وعزها ايام ملوك الاغالبة في القرن التاسع الميلادي .

(٣) جرمة : اسم قصبه بناحية فزان ، وكانت عاصمة فزان ايام الفتح الاسلامي .

(٤) فتوح مصر والمغرب ٢٦٢ . الاستقصاء ١ - ٧١ .

ورائكم احداً؟...!] قالوا نعم أهمل « خاور »^(١) وهو قصر عظيم على رأس
 المفازة في وعورة على ظهر جبل وهو قصبة كوار^(٢) ، فسار اليها خمس عشرة
 ليلة فلما انتهى تحصنوا ، فحاصرها شهراً فلم يستطع لهم شيئاً ، فمضى أمامه على
 قصور كوار فافتتحها حتى انتهى الى اقصاها وفيها ملكها فأخذه فقطع أصبعه
 فقال : لِمَ فعلت هذا بي ؟ قال : [أدباً لك حتى اذا انت نظرت الى اصبعك
 لم تحارب العرب ..] فسألهم : [.. هل من ورائكم أحد ؟ ..] واجابه الدليل
 ليس عندي بذلك معرفة ولا دلالة فانصرف عقبة راجعاً ، فمر بقصر « خاور »
 فلم يعرض له ولم ينزل بهم ، وسار ثلاثة ايام ، فأمنوا ، وفتحوا مدينتهم ..

أقام عقبة بمكان اسمه اليوم « ماء فرس » ولم يكن به ماء فأصابهم عطش
 شديد ، أشقى منه عقبة واصحابه على الموت ، وجعل فرس عقبة يبحث بيديه
 في الأرض حتى كشف عن صفاة ، فانفجر فيها الماء ، فجعل الفرس يمص ذلك
 الماء فأبصره عقبة فنادى في الناس ان احتفروا فحفروا سبعين حسيماً^(٣) فشربوا
 واستقوا ، فسمي لذلك « ماء فرس » .

— رجع عقبة بعد ذلك الى خاور من غير طريقه التي كان أقبل منها ، فلم
 يشعروا به حتى طرقتهم ليلاً فوجدتهم مطمئنين قد تمهدوا في أسراهم فاستباح
 ما في المدينة من ذرياتهم واموالهم وقتل مقاتلتهم ..

— انصرف عقبة بعدها راجعاً فسار حتى نزل بموضع « زويلة » اليوم ثم
 ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر وقد جَمَت خيولهم وظهورهم .

— عندما أنهى عقبة فتح المناطق الصحراوية وأخضع القبائل المتمردة وضع
 مخططة لمتابعة العمليات على الحور الساحلي ، فسار متوجهاً الى المغرب وجانب

(١) خاور : مدينة كبيرة جنوبي فزان بليبيا .

(٢) كوار : كذا في الاصل ، ذكرت في معجم البلدان كوار ، وهي كورة جنوب فزان

مركزها خاور .

(٣) الحسي : البئر قليل العمق .

الطريق الأعظم وأخذ الى أرض مزانة فافتتح كل قصر بها ثم مضى الى صفر^(١) فافتتح قصورها وقلاعها .. وبعث خيلاً الى « غدامس » فافتتحها ولما رجعت هذه القوة من الفرسان سار الى قفصة^(٢) فافتتحها ، ثم افتتح مصطيلية^(٣) ثم انصرف الى القيروان بعد أن أنهى عملياته في الحدود « التونسية » ..

ب - « القيروان » قاعدة متقدمة للعمليات :

كان معاوية بن حديج قد اختط القيروان في موضع القرن وعندما وصل اليه عقبة ودرس موقعه لم يعجبه لأسباب عديدة منها :

١ - كان يرغب في بناء القيروان ان تستند الى الجبل حتى تستفيد من صعوبته للحماية ..

٢ - وكان يرغب دفع المدينة في اتجاه الصحراء ، اذا لم يتحقق الشرط الأول نظراً لما يعرفه العرب من اساليب حرب الصحراء وتوافقها مع طبيعتهم ..

٣ - وعلاوة على ذلك فقد كان عقبة يرغب في ابعاد « القيروان » عن المدن والمناطق المأهولة بالسكان للمحافظة على الأمن .

وتظهر الحوافز التي دفعت لبناء قاعدة متقدمة من خلال حديثه الى قادته وجنده حيث قال لهم :

[... ان افريقية اذا دخلها امام أجابوه للإسلام فاذا تركها رجع من كان اجاب منهم لدين الله الى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا مدينة تكون عزاً للإسلام الى آخر الدهر ..]

- واتفق الناس على ذلك ، وأن يكون اهلها مرابطين قرب البحر ليتم لهم الجهاد والرباط ، وقال لعقبة بعض اصحابه :

[قربها من البحر ليكون اهلها مرابطين ..] وإجابهم [اني اخاف ان

(١) صفر : اسمها الحالي صفرو مدينة في شمال المغرب ، في قلب جبال أطلس الوسطى .

(٢) مدينة في تونس ، بينها وبين القيروان ثلاثة ايام ، كان لها امية كبرى في عهد الرومان .

(٣) تقع في اقصى بلاد المغرب على حدود الصحراء .

يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها : ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها معه صاحب البحر ، لأن صاحب المركب لا يظهر من اللجة حتى يسترة الليل فهو يسير الى ساحل البحر الى نصف الليل ، فيخرج فيقيم في غارته الى نصف النهار فلا تتركها منه غارة ابدأ ، فان كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير ، فأهلها مرابطون ، ومن كان على البحر فهم حرس لهم وهم عسكر معقود الى آخر الدهر وميتهم في الجنة] .

- وبدأ البحث عن الموقع المناسب ، وأشرف عقبة وجيشه على الموقع الذي بنيت فيه القيروان فركز رعيه وقال هذا قيروانكم ^(١) ، وكان وادياً كثير الشجر كثير القطف تأوي اليه الوحوش والسباع والهوام ، واقام ثلاثة ايام وامر الناس بالتنقية والخطط ، وإراد عقبة تقريب المدينة من السبخة ، فقالوا له :

[نخاف ان تهلكنا الذناب ويهلكنا بردها في الشتاء وحرها في الصيف] فقال : [لا بد لي من ذلك ، لأن اكثر دوابكم الابل وهي التي تحمل عسكرنا ، والبربر قد تنصروا ، ونحن اذا فرغنا من امرها لم يكن لنا بد من المفازي والجهاد ونفتح الأول منها فالأول فتكون ابلنا على باب مصرنا في مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى ..]

(١) تذكر المصادر ان الرجال اجابوا عقبة عندما قال لهم هذا قيروانكم بما يلي :
(. . .) انك أمرتنا بالبناء في شعار وغياض لا ترام ، ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك من دواب الأرض . وكان في عسكره خمسة عشر رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر ذلك تابعون ، فدعا الله عز وجل وجعل اصحابه يؤمنون على دعائه ، ومضى الى السبخة وراديبها ونادى (ايها الحيات والسباع ، نحن اصحاب رسول الله ، فاطعنوا انا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه) . ونظر الناس بعد ذلك الى أمر معجب من أن السباع تخرج من الشعار تحمل اشبالها والذئب يحمل جروه والحيات تحمل اولادها ، ونادى في الناس « كفوا عنهم حتي يرتحلوا عنا » فلما خرج ما فيها من الوحش والهوام وهم ينظرون اليها نزل عقبة الوادي وأمرهم ان يقطعوا الشجر . (. المصدر : فتح مصر والمغرب ٢٦٥ - ٦٦ . رياض النفوس ١ - ٦ - ٧ . اسد الغابة ٣ - ٤٢٠ - ٢١ . الكامل لابن الأثير ٣ - ١٨٤ .

- كان مع عقبة عشرة آلاف فارس ، وانضم اليه من أسلم من البربر ، فكثر جمعه ، وبدأ العمران عام ٥٠ هـ ، واستمرت عملية البناء خمسة اعوام ، ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان الجديدة .. وكان محيطها ثلاثة آلاف وستمائة باع ، فأصبحت المدينة عسكراً للمسلمين وأهلهم وأموالهم يأمنون من ثورة تكون من اهل البلاد ، فقوي جنان من هناك من الجنود وثبت الاسلام فيها ، وكان عقبة في اثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغدير وتنهب ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين ، وصارت القيروان مدينة كبيرة وعاصمة الاسلام في المغرب .

- أصبحت افريقية في هدوء بعد اضطراب وفي أمن بعد خوف وفي سلم بعد حرب ، وبدى العمل لبناء قاعدة متقدمة يمكن الانطلاق منها نحو آفاق اكثر اتساعاً للتوغل غرباً ومتابعة الفتوح لكن أحداثاً طرأت على الموقف وكان لها دورها في مسيرة الأحداث ..

- في عام ٥٥ هـ ، أصدر معاوية بن ابي سفيان أمره بتعيين مسلمة بن مخلد الانصاري على مصر وافريقية ، مكافأة له على مواقفه المؤيدة لعثمان والامويين ، ووفاء بحقه عليه . وعمل مسلمة على عزل عقبة بن نافع عن ولاية افريقية وتعيين ابو المهاجر دينار بديلاً له ، وقيل لمسلمة : [لو أقررت عقبة فان له جزالة وفضلاً] فقال مسلمة : [ان ابا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل فنحن نحب أن نكافئه] ، وهكذا لم يعزل معاوية او مسلمة عقبة عن افريقية لريبة أو تقصير .

وتوجه ابو المهاجر الى افريقية ، وألقى القبض على عقبة فسجنه وأوقره حديداً حتى أتاها كتاب معاوية بن ابي سفيان بتخليه سبيله وإشخاصه اليه .. سار عقبة الى الشام ، وعاتب معاوية فاعتذر معاوية اليه ..

- في عام ٦٢ هـ ، توفي مسلمة بن مخلد .. وشعر يزيد ان الموقف في مصر

وافريقية سيتفاهم خطورة فقال: [ادركوا افريقية قبل ان يخربها ابوالمهاجر..]
واصدر امره باعادة تعيين عقبة لولاية افريقية ..

ج - ابو المهاجر وأعمال الفتوح :

— خلال الفترة ما بين ٥٥ - ٦٢ هـ ، تولى ابو المهاجر دينار ولاية افريقية ،
وقام بمجموعة من الاعمال القتالية التي أوصلت المد العربي الاسلامي حتى
الجزائر « المغرب الاوسط » .

— عندما وصل ابو المهاجر (افريقية) كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه
عقبة بن نافع ، ومضى عن القيروان حتى خلفها بميلين فابتنى ونزل ، واخذ في
تنظيم جيشه والاستعداد للمعارك المقبلة ..

— كانت قرطاجنة عاصمة الروم - بيزنطة - في شمال افريقية ، وكانت سيطرة
الروم لا زالت قوية على الساحل الشمالي لافريقية ما بين بنزرت (١) وطنجة ،
وكان هذا الوجود البيزنطي مصدر قلق العرب المسلمين باستمرار نظراً لما كان
يقوم به هذا الوجود من تحريض على الثورة المضادة ، ومن تأمين مجال حيوي
للبيزنطيين في القسطنطينية ، فوضع ابو المهاجر هدفه الاول لضرب النفوذ
البيزنطي والهجوم على قرطاجنة (٢) .

— تحرك ابو المهاجر بجيشه حتى هدفه الأول فوجد أن قرطاجنة قد تحصنت
بالأسوار العالية وتحصنت ، فشدد ابو المهاجر عليهم الحصار ، وعرفت الحامية
المدافعة عن المدينة في المسلمين تصميمهم على الاستمرار في الحصار ومتابعة القتال
حتى النصر ، فعرضوا على المسلمين الصلح ، واشترط ابو المهاجر لقاء الصلح جلاء
الحامية المدافعة عن « شبه جزيرة شريك » . وذلك لأن الروم كانوا يستخدمون
موقع شبه الجزيرة لحشد قواتهم ، وكان لها ايضاً أهمية كبرى كقاعدة متقدمة

(١) بنزرت : مدينة بينها وبين تونس يومان أما طنجة فيبينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد .

(٢) المصادر : فتوح مصر والمغرب ٦٦٦ . الاستقصا ١ - ٧١ .

وكمركز مراقبة يمكن بواسطته حماية قوة العرب المسلمين العاملة على المحور الساحلي . وقبل الروم شروط أبو المهاجر وتم عقد الصلح بين الطرفين ..

- وضع أبو المهاجر [هدفه الثاني] الاستيلاء على (ميله)^(١) نظراً لموقعها المتوسط بين المغربين الأدنى والأوسط ، وأهميتها بالتالي لمراقبة واستطلاع تحركات البربر والروم . وعندما أنهى أبو المهاجر استعداداته توجه غرباً مع محاذاة الساحل . ولم يعترض تقدمه مقاومه تذكر حتى وصل (ميله) فوجد الروم والبربر وقد تحصنوا بها وامتنعوا وراء أسوارها . وضرب أبو المهاجر حصاراً دقيقاً حتى اتاحت له الفرصة ففتحها . واستقر فيها ، وأخذ ينشر الدعوة الإسلامية بين القبائل البربرية ويشرح لها أسس الدين وتعاليمه ونجح في اجتذاب عدد كبير من افراد هذه القبائل طوال فترة السنتين اللتين قضاها في « ميله » - .

- وأصبح [الهدف الثالث] عند أبو المهاجر . هو الاستيلاء على تلمسان^(٢) .

- كان كسيلة ابن لمزم الأوربي زعيم قبيلة « أوزبة » قوي الشخصية وكانت قبيلته من اكبر القبائل في المغربين الأدنى والوسط . وعندما علم كسيلة أن أبا المهاجر قد وصل ميله واستقر بها . انطلق الى البربر يدعوهم لحرب العرب واجلائهم عن افريقية . واجتمعت كلمة البربر تحت قيادته ، ودعمه الروم البيزنطيون واخذ كسيلة في الاستعداد للحرب وجعل من تلمسان مقراً له - .

- لم ينتظر أبو المهاجر قيام كسيلة بالهجوم على قواته ، فتحرك بجيشه حتى وصل « تلمسان » حيث التقت قوات العرب المسلمين بجيش كسيلة . ودارت رحى معركة طاحنة . قاتل فيها جيش كسيلة بعناد وضراوة وصبر جيش العرب المسلمين حتى استطاعوا انتزاع النصر ، وأمكن لهم تمزيق قوات خصومهم وأسر

(١) ميله : مدينة صغيرة بأقصى افريقية الى الجنوب الشرقي من بجاية وبينها ثلاثة ايام (خمسين ميلاً تقريباً) معجم البلدان ٨ - ٢٢٦ .

(٢) تلمسان : مدينة بالمغرب كان اسمها « أقادير » وتقع على بعد مرحلة من وهران . معجم البلدان ٢ - ٤٠٩ .

كسيلة حيث حل الى ابي المهاجر الذي احسن اليه ، وأكرمه وقربه وكان لذلك اثره في نفسية « كسيلة » فأشهر الاسلام واستبقاه ابو المهاجر واستخلصه - . ثم تابع ابو المهاجر تقدمه لاختضاع القبائل حتى وصل الى العيون المعروفة بعيون أبي المهاجر حيث صالح القوات البيزنطية والقبائل البربرية - (١) .

- توقف تقدم ابو المهاجر عند حدود « المغرب الأوسط » وقرر العودة الى القيروان - بعد ان حقق منجزات رائعة وفرض سيطرة العرب المسلمين ولأول مرة على منطقة المغرب الأوسط - .

عقبة يتابع ثمانية فتوحاته

أصدر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أمره بتعيين عقبة لولاية افريقية ، عام ٦٣ هـ فسار عقبة من الشام الى افريقية مباشرة بقوة عشرة آلاف مقاتل ، وعندما وصل (القيروان) - أخذ ابا المهاجر وحبسه وقيده وأخذ ما معه من الأموال وخرب مدينته وعمر القيروان وعزم على الجهاد فدعا أولاده وقال لهم : -

[.. يا بني ، أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها ، اياكم ان تملأوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن فان القرآن دليل على الله عز وجل ، وخنوا من كلام العرب ما يعتدي به اللبيب ويدلكم على مكارم الأخلاق ، ثم انتهبوا عما وراءه . وأوصيكم ألا تدينوا ولو لبستم العباء فان الدين ذل بالنهار وهم بالليل فدعوه تسلم لكم اقداركم وأعراضكم وتبقى لكم الحرمة في الناس ما بقيتم . ولا تقبلوا العلم من المفرودين المرخصين فيجهلوكم دين الله ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى ، ولا تأخذوا دينكم الا من أهل الورع والاحتياط فهو أسلم لكم ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا ..

ثم قال : « عليكم سلام الله ، وأراكم لا ترونني بعد يومكم هذا .. »

(١) المصادر : تاريخ المغرب الكبير ٣٤-٣٨ . الاستقصا ١ / ٧١-٧٢ . فتوح مصر والمغرب ٢٦٧ .

ثم قال : - [اللهم تقبل نفسي في رضاك واجعل الجهاد رحمتي ودار كرامتي عندك] .^(١)

أنهى عقبة استعداده القتالي ، ودفع بزهير بن قيس البلوي على مقدمته وسار يبيشه ففتح حصن ليس - وتابع زحفه لا يدافعه أحد والروم يهربون في طريقه يميناً وشمالاً حتى وصل (باغاية)^(٢) فحاصرها وقد اجتمعوا بها وقتلهم قتلاً شديداً فانهمزوا عنه وقتل منهم قتلاً ذريعاً ، وغنم منهم غنائم كثيرة واحتمى المنهزمون داخل أسوار المدينة فكره المقام عليهم .

- كانت (تلمسان)^(٣) من اعظم مدائن المغرب وكانت تدافع عنها حامية قوية ، وانضم الى الحامية الروم والبربر ، فتوجه عقبة لقتالهم وخرج الروم والبربر للقاءه في جيش كبير ، والتحم القتال حتى ظن المسلمون أنه الفناء ، ولكنهم صبروا وهاجوا الروم هجوماً عنيفاً حتى الجأؤهم الى حصونهم وقتلهم على أبوابها واصابوا منهم غنائم كثيرة ..

- تابع عقبة زحفه الى بلاد الزاب وكانت (أربة) دار ملكهم واعظم مدينة لديهم وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية كلها عامرة فامتنع بها من هناك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال ، فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ..

- وصل عقبة في مسيرته الشاقة والطويلة حتى وصل « تاهرت »^(٤) . وكانت

.....

(١) رياض النفوس ١ - ٢٢ .

(٢) يطل جبل أوراس على باغاية .. وباغاية الفين معجبة وألف وباء ، مدينة كبيرة في أقصى افريقية بين مجانة وقسنطينة . معجم البلدان ١ - ٣٢٥ .

(٣) تلمسان : مدينة بالمغرب اسمها القديم : أقادير ، على بعد مرحلة من وهران . معجم البلدان ٢ - ٤٠٩ .

(٤) تاهرت : اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب . معجم البلدان ٢ - ٣٥٤ .

المصادر : الكامل لابن الأثير ٤ - ٤٢ والاستقصا ١ - ٧٢ .

حاميتها من الروم قد استجدت بالبربر فأغاثوهم وأنجدوهم وكثر جمعهم فقام عقبة في الناس خطيباً وقال :

[.. أيها الناس : ان أشرافكم وخياركم : بايعوا رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان على من كفر بالله إلى يوم القيامة وهم أشرافكم والسابقون منكم إلى البيعة ، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته ببيعة رابحة ، وأنتم اليوم في دار غربة ، وانما بايعتم رب العالمين وقد نظر اليكم في مكانكم هذا ، ولم تبلغوا هذه البلاد الا طلباً لرضاء واعزازاً لدينه فأبشروا ! فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل ان شاء الله تعالى . وربكم عز وجل لا يسلمكم ، فالتقوم بقلوب صادقة فان الله عز وجل جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه والله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ..]

والتقى المسلمون بأعدائهم وكانت معركة طاحنة في تاهورت اظهر فيها المسلمون من الصبر بقدر ما أظهر خصومهم من عناد ، وتفوق المسلمون بإيمانهم على تفوق عدوهم وكثرة عدده ، ونجحوا في انتزاع النصر وانهزم الروم والبربر وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم .

– تابع عقبة زحفه حتى وصل طنجة فحاصرها واستنزل ملكها ليليان أمير غمارة^(١) فنزل على حكمه ولاطفه وهاداه .

– اراد عقبة بعد ذلك اللحاق بالجزيرة الخضراء من عدوة الأندلس فقال له ليليان : –

[.. أتترك كفار البربر خلفك وترمي بنفسك في بحبوبة الهلاك مع الفرنج ويقطع البحر بينك وبين المدد ؟ فقال عقبة : – وأين كفار البربر ؟ فقال ببلاد – السوس – وهم أهل نجدة وبأس . قال عقبة وما دينهم ؟ قال ليس

(١) جاء في تاريخ المغرب الكبير ٢ – ٤ ؛ ان ليليان الغماري من البربر في حين ذكر في فتح العرب للمغرب ١٩٢ انه قوطي من اسبانيا وهو الأصح على ما يذكره مؤرخو الأندلس .

لهم دين ولا يعرفون أن الله حق وإنما هم كالبهائم . وكانوا على دين المجوسية يومئذ ..]

— كانت (وليلى) الواقعة بازاء جبل زرهون من أكبر مدن المغرب يومئذ فيما بين النهرين العظيمين « سبو - و - ورغة » وهي المسماة اليوم بلسان العامة بقصر فرعون - فتوجه عقبة نحوها وافتتحها عنوة - .

— ثم توجه عقبة الى « درعة ^(١) » والسوس ، فلقية جموع البربر فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهمزمت البربر بعد حروب صعبة وقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً وتبعوا آثارهم الى صحراء لتونة لا يلقاهم احد الا هزموه - .

— وتوجه بعد ذلك عقبة في اتجاه المحيط حتى وصل « آسفي » وأدخل قوائم فرسه في البحر « المحيط الأطلسي » ووقف ساعة ثم قال لأصحابه : —

ارفعوا أيديكم ففعلوا وقال : - [.. اللهم اني لم أخرج بطراً ولا أشراً وانك لتعلم انما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء . اللهم انا معاندون لدين الكفر ومدافعون عن دين الاسلام ، فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والاكرام] ثم انصرف راجعاً .

وصل عقبة في طريق عودته الى جبال « درن » وقاتل المصامدة بها فكانت بينه وبينهم حروب قاسية ، وحاصروه بجبل « درن » فنهضت اليهم « جموع زناتة » وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مغداوة - فأفرجت المصامدة عن عقبة وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الإسلام ودوخ بلادهم ثم أجاز الى بلاد السوس لقتال من بها من ضهاجة - أهل اللثام - وهم يومئذ على دين المجوسية ولم

.....

(١) درعة : مدينة صغيرة بالمغرب ، تقع الى الغرب من سجلماسة بأربعة فراسخ « معجم البلدان - » .

المصادر : الاستقصاء ١ - ٧٣ . التاريخ الكامل لابن الاثير ٤ - ٣ . رياض النفوس

١ / ٢٣ - ٢٤ .

يدينوا بالنصرانية فأئخن فيهم وانتهى الى « تارودنت » وهزم جموع البربر
وقاتل « مسوفة » من وراء السوس ثم قفل راجعاً - .

هـ - تهوذة « الماسة » - ٦٣ هـ - ٦٨٣ م ^(١)

كان كسيلة الأوربي في جيش عقبة قد استصعبه في غزواته هذه - وكان قد
اضطفن عليه صحبتة لأبي المهاجر ونكبه وكان يستهين به ويمتنه فأمره يوماً
بسلخ شاة بين يديه فدفعها كسيلة الى غلمانة فاراده عقبة ان يتولاها بنفسه وانتهره
فقام اليها كسيلة مغضباً وجعل كلما دس يده في الشاة مسح بلحيته . والعرب
يقولون ما هذا يا بربري ؟ - فيقول : - هو أجير . فيقول لهم شيخ منهم : -
ان البربري يتوعدكم - وبلغ ذلك أبا المهاجر وهو معتقل عند عقبة فبعث اليه
ينهاه ويقول : -

[كان رسول الله ﷺ يستألف جبابرة العرب وأنت تعتمد الى رجل جبار
في قومه وبدار عزه ، حديث عهد بالشرك فستفسده ..]
وأشار عليه بأن يتوثق منه وخوف غائلته . فتهاون عقبة بقوله ...

- وصل عقبة في طريق عودته الى « طبنة » من أرض الزاب وكسيلة اثناء
هذا كله في صحبتته . وصرف العساكر إلى القيروان ، أفواجاً متتابعة ثقة منه
بما حققه من الفتوحات . ولم يبق معه الا قليل من الجند لا يزيد على ثلاثائة . فلما
وصل الى « تهوذة » وأراد أن ينزل بها الحامية نظر اليه الفرنجة وطمعوا فيه ،
فراسلوا كسيلة ودلوه على الفرصة فيه فانتهزها وراسل بني عه ومن تبعهم من
البربر فاتبعوا أثره . وعلم أبو المهاجر بالأمر فأرسل الى عقبة يقول له :
[عاجله قبل أن يقوى جمعه] . وأسرع عقبة حتى التقى بكسيلة عند

.....

(١) تهوذة : مدينة في جنوب جبال اوراس الى الجنوب الشرقي من مدينة « طبنة » وتبعد
عنها ٥٠ كم تقريباً . وهناك قبيلة من البربر ايضاً تحمل هذا الاسم . معجم البلدان ٢ - ٤٣٨
وآريخ المغرب الكبير ٢ - ٤٦ .

« تهوذة » وشمر ان نتيجة المعركة لن تكون لصالحه . وبلغه ان ابا المهاجر
يتمثل في قيوده بقول ابو المحجن الثقفي يوم القادسية :

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً علي وثاقياً
اذا قمت عنائي الحديد وأغلقت مصارع من دوني تصم المناديا ..
فتأثر عقبة وقال [أطلقوا أبا المهاجر] ثم قال له :

[.. الحق بالقيروان وقم بأمر المسلمين وأنا اغتنم الشهادة] فقال ابو
المهاجر : [وانا اغتنم الشهادة مثلك ..]^(١)

— نزل عقبة والقوة الباقية معه عن خيولهم — وكسروا اجفان سيوفهم —
واندفعوا بايمان وتصميم حتى قتلوا جميعاً وفيهم كبار الصحابة والتابعين —
وقاتل ابو المهاجر في هذه المعركة بشجاعة وعناد حتى استشهد ووقع عدد من
الصحابة في الأسر منهم محمد بن اوس الانصاري ويزيد بن خلف العبسي ونفر
معها ففداهم ابن مصاد صاحب قفصه وبعث بهم الى القيروان — .

— جمعت اجداث الصحابة فيما بعد وبني لهم قبور — ثم شيد مسجد لا زال
مزاراً — والواقع [ان المسجد الذي يضم رفاقه في المنطقة التي تحمل اسمه
« سيدي عقبة » جنوبي مكورة » هو اقدم أثر من فن العمارة الاسلامية في
افريقية ، ويعود الى وقت كانت فيه العمارة لا تزال بسيطة بدائية ..]^(٢) .

— زحف كسيلة بعد الوقعة الى جهة القيروان ان هي دار الامارة بالمغرب
يومئذ وبها جمهور العرب ووجوه الاسلام قبلهم الخبر وعظم عليهم الأمر —
فقام زهير بن قيس البلوي فيهم خطيباً وقال :

[.. يا معشر المسلمين ، ان اصحابكم قد دخلوا الجنة فاسلكوا سبيلهم او
يفتح الله عليكم ..]

(١) المصادر : التواريخ الكامل لابن الاثير ٤ - ٤٣ . الاستقصاء ١ - ٧٤ . رياض
النفوس ١ - ٢٥ .

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية - بروكلمان - ١ - ١٥٢ .

فخالفه حنش بن عبدالله الصنعاني لما علم انه لا طاقة للمسلمين بها دهمهم من أمر البربر - ورأى النجاة بمن معه من المسلمين أولى - ونادى في الناس بالرحيل الى مشرقهم . فاتبعوه الا قليلا منهم وبقي زهير في أهل بيته فاضطر الى الخروج وسار إلى برقة فأقام بها مطلاً على المغرب ومنتظراً المدد من الخلفاء .

- اجتمع الى كسيلة جميع اهل المغرب من البربر والفرنجية [ودفعه هؤلاء الفرنجية لينظم بالاتفاق مع الحاميات البيزنطية الباقية في البلاد المقاومة ضد العرب]^(١) ، فعظم أمره ، وتقدم الى القيروان فاستولى عليها في المحرم سنة ٨٦٤ . وفر منها بقية العرب فلحقوا بزهير ، ولم يبق بها الا أصحاب الذراري والأثقال . فأمنهم كسيلة وثبتت قدمه بالقيروان واستمر أميراً على البربر ومن بقي بها من العرب خمس سنين . وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وفتنة الضحاك بن قيس مع مروان بن الحكم بمرج راهط من أرض الشام وحروب آل الزبير فاضطرب أمر الخلافة بالمشرق . واضطرب المغرب ناراً ، ونشبت الردة في « زناتة » و « البرانس » الى أن استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة ، وأذهب آثار الفتنة من المشرق فالتفت الى المغرب وتلافى أمره . -^(٢)

٤ - معركة « ممس » ، ٨٧١ - ٦٩٠ م^(٣)

أ - الوضع العام :

أصيب المسلمون بنجية أمل مريرة بعد معركة « تهوذة » وكان مقتل عقبة بن نافع قد ترك جرحاً عميقاً في النفوس لا سيما وان تواقفت هذه النكسة قد جاء مع

.....

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية - بروكلمان - ١ - ١٥٢ .

(٢) الاستقصاء ١ - ٧٥ . الكامل لابن الأثير ٤ - ٤٣ .

(٣) ممس ، أو ممش كما جاء في ابن الأثير ، وتقع في مضبة الى الجنوب الشرقي من جبال أوراس .

- الكامل لابن الأثير ٤ / ٤٣ - ٤٤ . الاستقصاء ١ - ٨١ . فتح العرب للمغرب

٢١٣ - ٢٢٧ و ٢٦٢ - ٢٦٤ .

انتكاسة اخرى تمثلت في انقسام الجبهة الداخلية بعد وفاة يزيد بن معاوية - .
- عانى العالم العربي الاسلامي من التمزق والاضطراب طوال الفترة ما بين عام ٦٣ هـ و ٦٨ هـ ، حتى انتهى الأمر الى عبد الملك بن مروان الذي استطاع اخمد الفتن والقضاء على الثورات واعادة جمع شمل الأمة وتوحيدها - وعندما تم له ذلك أصبح في وضع يسمح له باعادة فرض سيطرة الدولة وتعزيز مكانتها - .
- أفادت بيزنطة من هذا المناخ - فوجهت قواتها واحتلت بعض مدن «الشام» وفي الوقت ذاته دعمت حركة المقاومة في افريقية بقيادة «كسيلة» وكانت لجهود «قسطنطين الرابع» ملك بيزنطة دور حاسم في اعادة بناء الدولة ودعمها وتقويتها في جميع المجالات - .

- أراد عبد الملك بن مروان دعم قوة العرب المسلمين في افريقية ، وتقليص نفوذ الروم واستعادة ما كان عقبة بن نافع قد فتحه ، وأخذ في البحث عن قائد يستطيع الاضطلاع بهذا العبء وتساءل في مجلسه : - [فقال : - من لأمر مثل عقبة ؟ ..]

واتفق الاجماع على زهير بن قيس البلوي فأرسل اليه عبد الملك أمراً باستئناف اعمال القتال ومتابعة اعمال الفتوح - .

- كان زهير بن قيس - قد بقي على رأس الحامية المدافعة عن برقة منذ مأساة تهودة ، وخلال هذه الفترة امكن له جمع معلومات عن خصمه وتابع دراسة الموقف انتظاراً للفرصة المناسبة التي يستطيع فيها الانتقام لمقتل عقبة بن نافع والأخذ بالثأر من قاتله «كسيلة» . وعندما وصله أمر عبد الملك - أسرع بالاجابة وكتب رسالة الى الخليفة ضمنها تقديره للموقف مقارناً بين قوة عدوه وكثرة عدده مقابل ضعف اعداد المقاتلين من العرب المسلمين -

- عند ذلك - أرسل عبد الملك بن مروان يستنفر أشراف العرب ليحشدوا اليه الناس من الشام وأفرغ عليهم أموال مصر - فسارع الناس الى الجهاد واجتمع

منهم خلق عظيم ، فأمرهم أن يلحقوا بزهير فلما وصلوا اليها خرج بهم الى افريقية بعد أن أعاد تنظيمهم . -

- انطلق زهير بن قيس بجيشه بعد أن أكمل استعداداته الادارية ، ووضع مخططاته ، وتقدم حتى وصل « قلشانة » الواقعة على مسافة قريبة من القيروان ، وذلك استعداداً للمعركة الحاسمة . -

ب - خطة كسيلة

- عندما بلغ « كسيلة » زحف العرب المسلمين بقيادة زهير بن قيس ، أخذ في الاستعداد للقتال - وجمع اليه قادته من الروم والبربر وشاورهم في الأمر وقال لهم : -

[.. ارى ان ننزل به « ممس » لنلا يركبنا من بالقيروان فنهلك لأن بالقيروان خلقاً كثيراً من المسلمين ، ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قتلنا زهيراً ان يثب هؤلاء وراءنا ، فاذا نزلنا « ممس » أمناهم وقاتلنا زهيراً ، فان ظفرونا بهم تبعناهم الى « طرابلس » وقطعنا أثرهم من افريقية ، وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا ، كما ان الماء به « ممس » كثير ..] .

- ووضح من ذلك أن مخطط كسيلة اعتمد المعطيات التالية : -

١ - إطالة خطوط مواصلات زهير بن قيس وعزله عن قاعدة عملياته .

٢ - جر العرب المسلمين الى المعركة في منطقة معادية بكاملها لهم - حتى ينقطع عنهم كل دعم .

٣ - استنزاف قوة العرب المسلمين في منطقة بعيدة ثم القيام بهجوم عام ضدهم وانتزاع افريقية كلها من قبضتهم اذا أمكن ذلك .

٤ - الانسحاب من المعركة الى الجبل - اذا ما انتصر العرب - والاستمرار في حرب الاستنزاف واشغال الثورة المضادة .

٥ - الافادة من منطقة العمليات وما يتوفر فيها من موارد حياتية .

- وتنفيذاً لهذه الخطة - توجه « كسيلة » بجيشه الكبير الى « مَمَس » وأخذ في حشد قبيلته من « البرانس » ومن والاهم من جموع البربر والروم .

ج - المعركة الحاسمة

- توفرت المعلومات عند زهير عن تحرك « كسيلة » الى « ممس » فتوقف في ظاهر القيروان مدة ثلاثة أيام أفاد منها زهير لتنظيم قواته وأفادت منها القوات للراحة والاستعداد للمعركة ثم انطلق زهير بعدها فأشرف على معسكر كسيلة في نهاية النهار .

- في صبيحة اليوم التالي - تقدمت قوات العرب المسلمين وتقدم خصومهم - وحدث اللقاء - وكان لقاء حاراً [.. حيث التحم الفريقان ، ونزل الضر ، وكثر القتل في الجانبين حتى ينس الناس من الحياة .. ولم يزلوا كذلك حتى انهزم كسيلة وقتل ..] .

- لقد كان جيش العرب المسلمين دون جيش خصمه في قوته العددية وكان كسيلة قد حشد قوته لحوض معركة حاسمة - وكان العرب مقابل ذلك مصممون على انتزاع النصر فكانت معركتهم قاسية ، صعبة أظهروا فيها من الصبر والشجاعة بقدر ما أظهر خصومهم من العناد والبسالة - حتى استطاعوا إلحاق الهزيمة بخصومهم والانتقام من قاتل عقبة بن نافع .

د - المطاردة - واستثمار النصر - .

- أسرع زهير لاستثمار النصر ، فدفع قواته الخفيفة للمطاردة - ومضى الناس في طلب البربر والروم فلحقوا كثيراً منهم وقتلوهم - وجدوا في طلبهم حتى واد « ملوية » بطنجة في المغرب - . وخلال عملية استثمار النصر - فتح العرب المسلمون مجموعة من التحصينات والقلاع - كما فتحوا مدينة « تونس » وشقنبارية (١) .

.....

(١) مدينة رومانية قديمة اسمها Sicca Vaneria وتسمى الآن مدينة الكف «أراكاف» .

- استطاع العرب المسلمون في هذه المعارك المتتالية ان يقتلوا عدداً كبيراً من رجال الروم والبربر وان يبيدوا ملوكهم وأشرفهم وفرسانهم ، وانتشرت موجة من الذعر - فلجأ الروم الى قلاعهم وهرب البربر الى الجبال يعتصمون بها وتمزقت عرى التعاون بين الروم والبربر وكانت الخسائر بين قبائل البرانس - و- اوربة ، اكثر من غيرها - ونظراً لتحطم الزعامة في القبائل المذكورة وهي من اكبر القبائل اصبح باستطاعة العرب المسلمون العمل بأمن والانتشار حتى المغرب الاقصى حيث استولوا على مدينة ويلي ، ما بين فاس ومكناس.

هـ - العدوان البيزنطي - .

كانت بيزنطة تتابع مسيرة الأعمال القتالية في أفريقية ، وأرادت اجهاض تلك الانتصارات التي أحرزها العرب المسلمون والقضاء على جيشهم مما يسمح لهم بمعاودة فرض سيطرتهم على هذا المجال الحيوي .. [.. فخرجوا الى برقة في مراكب كثيرة وقوة عظيمة من القسطنطينية وجزيرة صقلية فأغاروا على برقة واسابوا بها سبياً كثيراً وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قنوم عسكر زهير ، فأمر عسكره بالمسير الى الساحل طمعاً بأن يدرك سبي المسلمين فيستغنمهم ، وأشرف على الروم فاذا هم في خلق عظيم .. ^(١)

لقي زهير الروم في اربعين رجلاً واراد ان يكف حتى يلحقه الناس فقال له فتى حدث كان معه .. جينت ابا شداد ، فقال قتلنا وقتلت نفسك ثم خرج بهم فصادف العدو ، فقرأ السجدة فسجد وسجد اصحابه ثم نهضوا فقاتلوا فقتلوا اجمعون لم يشذ منهم رجل ، ثم اتى فهد بن كثير المعامري فأزال الروم عن برقة فضبطها ^(٢) . وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ..

دفن زهير وصحبه بـ « درنة » قريباً من الشاطيء حيث استشهد . وكان

(١) الكامل لابن الاثير ٤ - ٤٤ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٥ - ٣٩٣ .

خبر المأساة التي نزلت به وبالمسلمين مؤلماً . ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد وكانت مصيبته مثل مصيبة عقبة بن نافع قبله نظراً للمكانة الرفيعة التي احتلها زهير في نفوس المسلمين - .

هـ - القضاء على ثورة الكاهنة وتدمير قوة بيزنطة في قرطاجنة

أ - الوضع العام - .

جاءت أحداث النكسة الجديدة التي أصابت العرب المسلمين واستشهاد زهير ابن قيس البلوي تزيد من عمق المأساة التي أصيبت بها الجيوش العربية قبل ذلك في استشهاد عقبة بن نافع الفهري ولتوضح الصورة العامة للموقف في «أفريقية» .

لقد أصبح واضحاً للعرب المسلمين جميعاً أنه ما لم يتم القضاء نهائياً على النفوذ البيزنطي في أفريقية فإن الأمر لن يستقر للعرب وأن بيزنطة لن تتخلى عن مجالها الحيوي في أفريقية والبحر بسهولة ولهذا فإن الطريقة الوحيدة لتحقيق الاستقرار هي في تصعيد العمليات برّاً وبحراً وتدمير جميع الروابط بين بيزنطة - وأفريقية - .

- وكانت بيزنطة قد أدركت - بعد أن تحررت الشام من قبضتها - أن وجودها وبقائها مرتبط إلى حد بعيد في قوتها البحرية وفي مجالها الحيوي وقدرتها على الاحتفاظ ببعض القواعد البحرية فوق أرض أفريقية وعلى سواحلها - فأعادت بناء قوتها الذاتية ونظمت قواتها المسلحة ضمن حدود مفهوم هذه المنطلقات .

- لقد توافقت توقيت أحداث النكسات في أفريقية مع تمزق في الجبهة الداخلية خلال الفترة الأولى من حكم عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦ هـ - فكانت الثورات المتلاحقة سبباً في عدم تمكن الحكم الأموي من تركيز الجهد لتحقيق الاستقرار في أفريقية وكان من أهم هذه الثورات والأحداث : -

سنة ٧٣ - كانت ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز من الثورات القوية التي ناهضت الحكم الأموي ، وتطلب القضاء عليها جهداً كبيراً واستمرت حتى أمكن القضاء عليها سنة ٧٣ هـ .

سنة ٧٦ هـ - ثورة شبيب بن قيس الخارجي الشيباني بالعراق . وقد اشتد
ساعد شبيب بالكوفة . ونجح في القضاء على القوات التي وجهها الحجاج ضده وقتل
قادة هذه الجيوش على التتابع ومنهم - زائدة بن قدامه الثقفي وعتاب بن ورقاء
الجزاعي والحارث بن معاوية الثقفي وأبا الورد النصري ثم طهان مولى عثمان بن
عفان وأخيراً اضطر الى قيادة جيش بنفسه حتى نجح في اخماد الثورة وقتل شبيب .
سنة ٧٧ هـ - ثورة مطرف بن المفيرة بن شعبة في العراق - واعلانه خلع عبد
الملك بن مروان مما اضطر الحجاج الى توجيه قوة كبيرة لقمع الثورة والقضاء على
مطرف ومطاردته حتى الجبال وقتله .

سنة ٧٩ - انتشر وباء الطاعون في الشام فلم يفز في تلك السنة أحد .
سنة ٨٠ هـ - ثورة عبد الرحمن بن الأشعث في سجستان - وكانت هذه الثورة
من أقوى الثورات حتى كادت تهدد وجود الدولة الأموية - وقد خاض الحجاج
بمجموعة من المعارك ضد ثورة عبد الرحمن بن الأشعث وكانت من المعارك الضارية
التي استنزفت طاقات الدولة وامكاناتها - واستمرت هذه الثورة حتى عام ٨٤ هـ .
حيث أمكن قتل ابن الأشعث في سجستان .

ب الوضع الخاص

بلغ عبد الملك بن مروان مقتل زهير بن قيس البلوي واصحابه فاشتد عليه
وعلى المسلمين ذلك . وسأل أشراف المسلمين عبد الملك أن ينظر إلى أهل
أفريقية ويؤمنهم من عدوم ويبعث الجيوش إليهم فقال عبد الملك : -

[.. ما اعلم احداً أكفاً بأفريقية من حسان بن النعمان الفصامي]

وجهز عبد الملك جيشاً ووجهه إلى مصر كما كتب إلى حسان بن النعمان أمر
تعيينه لولاية أفريقية - وكان مما كتبه له : -

(.. اني اطلقت يدك في اموال مصر ، فأعط من معك ومن وود عليك
واعط الناس ، واخرج الى بلاد أفريقية على بركة الله وعونه ..)

أمضى حسان عام ٧٤ هـ في الاستعداد للمعركة وتنظيم القوات وبلغ عدد جيشه ٤٠٠٠ مقاتل .

- كان حسان أول قائد من الشام دخل افريقية وكان جيشه أكبر جيش جهز للفتح فلم يدخل افريقية قط جيش مثله .

- عندما أنهى حسان استعداداته ، غادر مصر وتوجه إلى طرابلس . حيث توقف فيها لاعادة تنظيم القوات وجمع المعلومات ووضع مخطط العمليات - وخلال توقفه « في طرابلس » انضم إليه المسلمون من الأفارقة فعين لقيادتهم هلال بن ثروان اللواتي - وهو أول قائد افريقي يتولى مركزاً قيادياً - كما انضمت اليه القوات المتفرقة ، فدفع مقدمة له بقيادة محمد أبي بكير وهلال بن ثروان اللواتي - ففتح البلاد وأصاب غنائم كثيرة دون أن يلقى مقاومة كبيرة . - وتابع حسان بعد ذلك مسيرته بجيشه الكبير حتى وصل القيروان .

ج - الواجب الأول (١) .

كانت « قرطاجنة » دار ملك افريقية . وكان صاحبها من أعظم الملوك قدراً - وبها يومئذ من جموع الروم أمم لا تحصى ولم يكن المسلمون قط حاربوها وفتحوها عنوة بل كانوا يحاصرونها ويفرضون على أهلها أموالاً أو يقتطعون منها بلاداً مجاورة كما فعل أبو المهاجر دينار عندما اقتطع منها جزيرة شريك ثم يتركونها لأهداف أخرى .

- وضع حسان « هدفه الأول » في تدمير الروابط بين بيزنطة وأهل افريقية وذلك بتدمير قواعد ارتكازهم في الساحل الأفريقي ، وقرر البدء بالهجوم على « قرطاجنة » فتوجه بجيشه ونظم حصاراً دقيقاً حول المدينة وخاض مع الحامية المدافعة عن قرطاجنة معارك ضارية كبد فيها الحامية خسائر فادحة ، وعندما أدرك القادة المدافعين عن المدينة تصميم حسان على فتح المدينة قرروا الانسحاب -

(١) التأريخ الكامل لابن الاثير ٤ - ١٤٣ . البيان المغرب ١ - ٢٣ - ٢٤ .

وركبوا في مراكزهم وسار بعضهم إلى صقلية وبعضهم إلى الأندلس ، وفتح حسان المدينة عنوة فسبهاها وغنم ما فيها وأمر بهدم قرطاجنة وقطع القناة عنها وعاد إلى القيروان .

- علم أهل بوادي « قرطاجنة » وأقاليمها بأمر هروب ملكها عنها -
فأسرعوا بالدخول إليها والاعتصام بها ، وتوجه حسان بجيشه لحصارها ثانية ، واستطاع الجيش العربي الاسلامي اقتحام الأسوار من جديد ، وعمل على إبادة المقاومة ، وأرسل حسان لمن حواليتها فاجتمعوا إليه مسارعين خوفاً من عظيم سطوته وشدة بأسه فلما أتوه ولم يبق منهم أحد أمرهم بتخريب قرطاجنة^(١) وهدمها ، فهدم المسلمون ما أمكن منها .

- عندما يش الروم من استخدام « قرطاجنة » قاعدة لهم ، تجمعوا في « صطفورة »^(٢) و « بنزرت »^(٣) - والتحق بهم من والاهم من البربر ، وأخذوا في تنظيم قوتهم استعداداً لجلولات أخرى ، وعلم حسان أمر هذا التجمع وعرف أن الروم لا زالوا على شيء من القوة والكثرة ، فقرر تصفية مقاومتهم قبل تزايد خطرهم وسار إليهم وقاتلهم في معارك عنيدة وضارية أظهر فيها الروم من الصمود بقدر ما أظهر العرب من الشجاعة ، واستطاع العرب المسلمون انتزاع النصر وانهزم الروم وكثر القتل فيهم واستولى المسلمون على بلادهم ، ولم يترك حسان موضعاً من بلادهم الا ووطئه وخافه أهل أفريقية خوفاً شديداً ، ولجأ المنهزمون من الروم

(١) قرطاجنة : تقع على بعد اثني عشر ميلاً من مدينة تونس ، ويسمونها أهل تونس اليوم « المعلقة » وكان بينها قرى متصلة عامرة ، وفي هذه المدينة آثار عظيمة وأبنية ضخمة وأعمدة قائمة . معجم البلدان ٧ - ٥٢ .

(٢) صطفورة : بلدة من نواحي أفريقية . معجم البلدان ٥ - ٣٥٦ .

(٣) بنزرت : مدينة في تونس بينها وبين مدينة تونس يومان وهي مشرفة على البحر . معجم البلدان ٢ - ٢٩٢ .

إلى مدينة « باجة » ^(١) فتحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة « بونة » ^(٢) فعاد حسان إلى القيروان لأن الجراح قد كثرت في أصحابه ، فأقاموا بها حتى صحوا .

د - الواجب الثاني « معركة نيني »

فشل محاولة القضاء على ثورة الكاهنة .

بعد مجموعة الانتصارات التي حققها حسان بن النعمان على قواعد الروم ، أصبح باستطاعته توجيه قواته للقضاء على حركات التمرد التي تزعمتها الكاهنة . - بعد مقتل كسيلة ، انتقلت زعامة البربر إلى « جراوة » من قبائل البربر الكبيرة وكانت هذه القبيلة تدين بالطاعة والولاء للملكة تخبر قومها بأشياء من الغيب حتى « لقت بالكاهنة » . - وكان للكاهنة من قوة الشخصية ماساعدها على فرض ملكها وامتداد سلطانها على البربر دون منازع . - وكان للكاهنة بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم ، واعتزت على قومها بهم وببسا كان لها من الكهانة فانتهدت اليها رئاستهم ووقفوا على اشارتها ^(٣) .

قرر حسان بن النعمان القضاء على ثورة الكاهنة ، فنظم قواته ، وانطلق بجيشه حتى وصل « مجانة » ^(٤) فنزل بها وكانت قلعة لم تفتح فتحصن بها الروم فمضى حسان وتركهم وبلغ الكاهنة أمره فزحفت من جبل « أوراس » في عدد لا يحصى حتى نزلت مدينة « باغاية » ^(٥) وأخرجت من بها وهدمتها ظناً منها أن حسان يريد حصنها ليتحصن به منها . - وعندما علم حسان بما فعلته

(١) باجة : بلدة بافريقية تعرف بـ « باجة القمح » لوفرة محصولها من القمح . معجم البلدان ٢ - ٢٥ .

(٢) بونة : مدينة حصينة بافريقية تقع على البحر . معجم البلدان ٢ - ٣٠٩ .

(٣) الاستقصاء ١ - ٨٢ . فتح مصر والمغرب ٢٧٠ .

(٤) مجانة : بلدة بينها وبين القيروان خمس مراحل . معجم البلدان ٧ - ٣٨٦ .

(٥) باغاية : بلدة بين مجانة وقسنطينة . معجم البلدان ٢ - ٤١ .

الكاهنة سار بجيشه الى وادي « مكناسة »^(١) وبحث عن موقع يتوفر فيه الماء والمواد الحياتية وقال لأصحابه: (.. دلوني على ماء يسع العسكر الذي أنا فيه..) فمالوا إلى نهر « نينسي »^(٢) فنزل عليه وزحفت إليه الكاهنة حتى أتت أسفل النهر فنزلت عليه - . فكان حسان يشرب هو وأصحابه من أعلاه وتشرب هي وأصحابها من أسفل النهر ودنا الطرفان من بعضهما فأبى حسان أن يقاتلها آخر النهار وأبى أن يقاتلها بالليل وبات الفريقان على مصافهم - . فلما أصبحوا زحف بعضهم على بعض فاقتتلوا قتالاً شديداً وعظم البلاء وظن المسلمون أنه الفناء فانهزم حسان بعد بلاء عظيم وقتل من العرب خلق كثير فسمي ذلك اليوم [يوم البلاء] وسمي النهر الذي التقوا عليه [نهر البلاء ..] فاتبعته الكاهنة بمن معها حتى خرج من حد « قابس »^(٣) فأسلم إفريقية ومضى على وجهه وأسرت من أصحابه ثمانين رجلاً منهم خالد بن يزيد العبسي - . وكان رجلاً مذكوراً فأحسنتم إيسارهم - .

- عندما فصل حسان من « قابس » كتب إلى أمير المؤمنين يخبره بما نزل بالمسلمين من الكاهنة - فكتب إليه أمير المؤمنين : -

(.. قد بلغني امرك وما لقيت وما لقي المسلمون ، فانظر حيث لقيت كتابي هذا .. فاقم ولا تبرح حتي امري ..)

فلقية الكتاب وهو نازل بمكان يقال له اليوم قصور حسان ، فبنى هناك قصراً لنفسه ونزل قصوراً من حيز برقة فسميت « قصور حسان » وكانت (أنطابلس)^(٤)

(١) مكناسة : بينها وبين مراکش اربع عشر مرحلة نحو المشرق وهناك مدينة مشهورة اخرى يقال لها مكناسة الزيتون - حصينة - في طريق المار من فاس الى سلا على شاطئ البحر .
معجم البلدان ٨ - ١٣٣ .

(٢) نينسي : نهر كبير في افريقية . معجم البلدان ٨ - ٣٦٩ .

(٣) قابس : بين طرابلس وصفاقس على ساحل البحر . معجم البلدان ٧ - ٢ .

(٤) أنطابلس : معناها بالرومية الخمس مدن . معجم البلدان ١ - ٣٥٣ .

(ولوبية) (١) (ومراقبة) الى حد (أجدابية) من عمل حسان فأقام بعمل برقة
خمس سنوات (٢) .

٦ - القضاء على ثورة الكاهنة واستعادة قرطاجنة ٨١ - ٨٢ هـ

أ - الوضع العام

حدثت معركة « نيني » ومأساة يوم البلاء على يد الكاهنة عام ٧٦ هـ -
وتوقف جيش العرب المسلمين قريباً من « سرت » حيث بنيت قصور حسان
وذلك بانتظار الدعم ثم استأنف حسان بن النعمان الفسافي عملياته عام ٨١ هـ .
وبين التاريخين خمسة أعوام حدثت خلالها تطورات كبيرة في موقف كل طرف
من الاطراف المتصارعة فوق رمال افريقية وسهولها وجبالها وشواطئها - .

ب - الكاهنة

الكاهنة من قبيلة جراوة من زناتة وهي القبيلة التي احتلت زعامة البربر في
جبال الأوراس - واسم الكاهنة « داهيا بنت ماتيا بن تيفان » احترفت السحر
والكاهنة واستخدمت ذكاءها بمهارة حتى فرضت طاعتها وكان زوجها ملكاً على
الأوراس - في الجزائر - ثم توفي الزوج وترك للكاهنة ثلاثة أبناء صغار أوصى
لهم بالملك وقامت الكاهنة مقامهم . ونجحت في فرض زعامتها على البربر جميعاً
وعززت مكانتها بانتصارها على حسان في معركة « نيني » حتى لم يبق لها في
أفريقية كلها معاند أو معارض .

عندما انتصرت الكاهنة على حسان تابعت مطاردته حتى أخرجه من
أفريقية ولم تحاول الاستمرار بعد ذلك في المطاردة على نحو ما فعل « كسيلة »
من قبل . ولم تحاول الكاهنة أيضاً الإساءة إلى العرب المسلمين في القيروان بعد

.....

(١) لوبية : ليبيا

(٢) الاستقصاء ١ - ٨٢ . فتوح مصر والمغرب ٢٧٠ . الكامل ابن الاثير ٤ - ١٤٣ .

أن استخلف عليهم أبا صالح ، وعادت الكاهنة بعد المطاردة إلى قاعدتها في « الأوراس » .

- ثم حسنت الكاهنة معاملة الأسرى العرب - وبصورة خاصة إلى خالد ابن يزيد حيث تبنته ^(١) وجعلته كواحد من أولادها الثلاثة - .

- أما معاملة الكاهنة لقومها البربر فكانت على النقيض من ذلك ، حيث أخذت بأساليب الظلم والإساءة والاضطهاد ضد أبناء جلدتها وقد حاولت الكاهنة تنظيم جبهة مضادة للعرب المسلمين لكن كثيراً من قومها عارضوها في ذلك وقد أخذت أعداد ضخمة منهم تعتنق الاسلام ديناً لها وكانت هذه المعارضة سبباً في حل الكاهنة على اتباع مزيد من العنف والشدة فانتشر الاضطراب وسادت الفوضى في البلاد - حتى فكر كثير من البربر في طلب النجدة من العرب واستدعائهم - . ^(٢)

- توفرت المعلومات عند الكاهنة عن عزم العرب المسلمين على معاودة الفتح، فجمعت أنصارها وأتباعها - وقررت تطبيق سياسة [الأرض المحروقة] فقالت لهم :-

ان العرب انما يطلبون من أفريقية المدائن والتمب والفضة ونحن انما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم الا خراب بلاد أفريقية كلها حتى يياس منها العرب فلا يكون لهم وجوع اليها إلى آخر النعر ، ووجهت قومها الى

(١) جاء في البيان المغرب ١ - ٢٧ : كان عدد أسرى العرب المسلمين ثمانين رجلاً منهم خالد بن يزيد العبسي وكان رجلاً مذكوراً فأحسنت أسارهم ، الا خالد بن يزيد وكان أذكر من كان مع حسان فعصبته عندها ثم عمدت الى دقيق شعير مقلو فأمرت به فلت بزيت والبربر تسمي ذلك « البسية » وقالت لخالد « ما رأيت في الرجال اجمل منك ولا اشجع وأنا اريد ان أضعك فتكون أخاً لولدي » فعمدت الى دقيق الشعير الملتوت بزيت وجعلته على ثدييها ودعت ولديها وقالت (كلا معه على ثديي ، ففعلنا) فقالت قد صرتم اخوه ، وكانت الكاهنة من جماعة البربر لما رضاع اذا فعلوه يتوارثون بينهم .

(٢) الكامل لابن الاثير ٤ / ١٤٣ . فتح مصر والمغرب ٢٧٠ .

كل ناحية يقطعون الشجر ويهدمون الحصون فذكروا أن أفريقية كانت ظلاً واحداً من طرابلس حتى طنجة وقرى متصلة ومدائن منتظمة حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرات ولا أوصل بركات ولا أكثر مدائن وحصوناً من إقليم أفريقية والمغرب ، فخربت الكاهنة ذلك كله ، وخرج يومئذ من النصارى والأفارقة خلق كثير مستغيثين مما نزل بهم من الكاهنة ففرقوا على الأندلس وسائر الجزائر البحرية .

- تركت سياسة الكاهنة عقابيل سيئة انعكست على قوة « الكاهنة » .
- فقد أخذ البربر المسلمون يتحينون الفرصة للانعتاق من سلطة الكاهنة .-
- وأخذت أعداد كبرى من البربر والروم في النزوح إلى الأندلس وصقليا .
- وكان من نتيجة « سياسة الأرض المحروقة » حرمان البربر من موارد الحياة فتمزق البربر وأخذوا يبتعدون عن الكاهنة .

- لقد أضر هذا العمل التخريبي بقضية الكاهنة ضرراً عظيماً حيث أخذت أصوات التأييد للكاهنة تنقلب ضدها وأخذت المعارضه تنتظم في صف واحد مناوئة لها ، ولم يعد باستطاعة الكاهنة ممارسة الدور القيادي الذي كانت تمارسه قبلاً والذي مكنها من توحيد البربر في مجابهة العرب المسلمين والانتصار عليهم.-

ج - بيزنطة^(١)

توافق حكم عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦ هـ (٦٨٥ - ٧٠٥) م حكم ثلاثة من ملوك بيزنطة الأقوياء وهم جستينيان الثاني ٦٦ - ٥٧٦ هـ (٦٨٥ - ٦٩٥) م وليونيتوس ٧٦ - ٧٩ هـ (٦٩٥ - ٦٩٨) م وتيسير الثالث ٧٩ - ٨٦ هـ (٦٩٨ - ٧٠٥) م - وقد اتبع هؤلاء الأباطرة الثلاثة سياسة واحدة بالنسبة لأفريقية وهي العمل على إحباط كل محاولات عربية لانتزاع أفريقية وتحريرها من سيطرة الروم .-

(١) تاريخ المغرب الكبير ١ / ٨٧ وفتح العرب للمغرب ٢٥٢ - ٢٥٤ .

— كان احتلال «قرطاجنة» وتدميرها من قبل حسان بن النعمان بمثابة ضربة قوية لنفوذ بيزنطة وخططاتها وعندما علمت بيزنطة هزيمة حسان في معركة «نيني» أخذت في تجهيز قوة كبيرة لاستعادة قرطاجنة وأسندت قيادة هذه القوة إلى قائد عرفت فيه بيزنطة القوة والكفاءة وهو البطريرق يوحنا PATRICIUS JEAN وأعد امبراطورية في تلك الفترة «ليوتيس» حملة بحرية وأسطولاً كبيراً لنقل المقاتلين إلى أفريقية .

— وفي عام ٦٧٨ هـ - ٦٩٧ م - وصلت هذه القوة البحرية إلى «قرطاجنة» وهاجت المدينة التي لم تكن هناك حامية قوية للدفاع عنها - فلم تصطدم قوة الروم بمقاومة كبيرة. وأخذ جند الروم في طرد العرب المسلمين الذين كان يقودهم أبا صالح .

تميز أسلوب معاملة الروم للعرب المسلمين بالقسوة والوحشية مما أثار حقد العرب المسلمين وعندما بلغ حسان بن النعمان ما فعله الروم وجه وفداً إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يضم أربعين رجلاً من أشرف العرب بهدف اطلاع الخليفة على حقيقة الموقف المتدهور في أفريقية وضرورة توفير الإمكانيات الضرورية لمعاودة الفتوح .

— توقف البطريرق يوحنا عند حدود استعادة قرطاجنة والمدن المجاورة لها - وأعاد بناء الحصون - والمواقع الدفاعية .

— أصبح الموقف في أفريقية على النحو التالي :

— الكاهنة وتسيطر على الداخل والمناطق الجبلية بداية من الأوراس .
— الروم - ويسيطرون على الساحل بداية من قرطاجنة مع شريط ضيق في اتجاه الغرب .

د - العرب المسلمون - (١) .

— توقف حسان في المنطقة التي أمره الخليفة عبد الملك بن مروان بالتوقف

(١) الكامل لابن الأثير ٤ / ١٤٣ - ١٤٤ . فتوح مصر والمغرب ٢٧٠ .

عندها من اقليم « برقة » وأخذت فرسان العرب ورجالها تصل تباعاً من قبل أمير المؤمنين ، لكن هذا الدعم بقي محدوداً ولم يكن باستطاعة الخليفة عبد الملك بن مروان إرسال دعم قوي بسبب الفتن والثورات الداخلية . والأوبئة . وأخيراً وفي عام ٨١ هـ - وبعد أربع سنوات من التوقف أرسل الخليفة دعماً قوياً وأصدر أوامره إلى حسان بن النعمان لمتابعة العمليات - .

- كان حسان في حاجة للمعلومات الدقيقة عن أوضاع الكاهنة وقوتها حتى يستطيع تقدير الموقف بصورة صحيحة ، فكلف رجلاً يثق به بمهمة الوصول إلى معسكر الكاهنة والاتصال بخالد بن يزيد الأسير لديها وبلغه الرسالة التالية : -
[... ان حسان يقول لك ما يمنعك من الكتابة إلينا] وبعث حسان مع هذا الرجل بكتاب يستعلم من خالد الأمور فكتب خالد في ظهر كتاب حسان: -
[... البربر متفوقون ، لا نظام لهم ولا رأي عندهم فاطلو المراحل وجدد في السير] .

وضع خالد كتابه في خبزة وجعلها زاداً للرجل ووجهه بها إلى حسان وكان خالد قد أنضج الخبزة فاحترق الكتاب بالنار فلما كسر حسان الخبزة وقرأ الكتاب الذي كتبه إليه خالد وجده وقد أفسدته النار فقال له حسان :
إرجع إليه - .

- عاد الرجل مرة أخرى إلى خالد بن يزيد ، وأعلمه باحتراق رسالته فكتب خالد إلى حسان رسالة ثانية بها كان قد كتبه إليه وأودع الرسالة قربوس السرج بعد أن حفره ووضع الكتاب وأطبق عليه حتى استوى وخفي مكانه - .
وبذلك استطاع أن يوصل إلى حسان ما يحتاج إليه من معلومات - .

- أخذ حسان في الاستعداد للهجوم ، فنظم قواته استناداً للمعلومات التي أمكن جمعها وسير إليه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الجنود والاموال . وعندما أنهى حسان تجهيز جيشه وتنظيمه توجه نحو جبال أوراس حيث ملك الكاهنة ومستقرها - .

هـ - مسيرة الأعمال القتالية (١)

- علمت الكاهنة بتقدم جيوش العرب المسلمين فغادرت مقرها في الأوراس ومعها خلق عظيم وذلك في أواخر سنة احدى وثمانين الهجرية - .

- توقفت الكاهنة في الليل وجمعت أبناءها ومعهم خالد بن يزيد وقالت لهم أنها رأت رأسها مقطوعاً موضوعاً بين يدي ملك العرب الأعظم الذي بعث حسان . وأعلمتهم [... أنها مقتولة من غدها ...] فقال لها خالد بن يزيد : [فارحلي بنا وخلي له عن البلاد ...] فامتنعت ورأته عاراً لقومها .

- اقتربت جيوش العرب المسلمين من الكاهنة - فخرجت ناشرة شعرها وقالت : -

[يا بني ! انظروا ماذا ترون في السماء ؟ - فقالوا : -] بزى شيئاً من محاب إحر ، فقالت : - لا ، وإلهي ، ولكنها رهج خيل العرب [ثم قالت لخالد بن يزيد : - إني إنما كنت تبنيك لمثل هذا اليوم ، أنا مقتولة . فأوصيك بأخويك هذين خيراً فانطلق فخذ لها أماناً .

- ركب خالد وأبناء الكاهنة ، وتوجهوا إلى حسان . فأخبره خالد بن خبرها . وأنها شعرت بقرب نهايتها فوجهت إليك أولادها . فوكل بها من يحفظها وقدّم خالداً على أعنة الخيل .

- كان مع حسان جماعة من البربر استأمنوا إليه ، فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه إثني عشر ألفاً من قبائلهم يجاهدون مع العرب . فأجابوه وأسلموا على يديه ، فعقد لولدي الكاهنة لكل واحد منها على ستة آلاف فارس وأخرجهم مع العرب يحولون في المغرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر - .

- تقدم جيش العرب المسلمين بقيادة حسان حتى وصل قابس حيث لقيه

(١) فتح العرب للمغرب ٢٥٦ - ٢٥٨ . فتوح مصر والمغرب ٢٧١ . الكامل . ابن

الانثر ٤ - ١٤٣ .

أهلها بالأموال والطاعة ، وجعلها عاملاً له ومضى إلى هدفه . -
- والتقى حسان خلال مرحلة التقرب يجمع من الروم فأخذوا يستغيثون
به من الكاهنة ويشكون إليه منها وكانت هذه المواقف كلها تؤكد صحة
المعلومات عن تمزق قوة الكاهنة .

- تابع العرب المسلمون تقدمهم حتى قفصة ، حيث أعلن أهلها الطاعة ،
وتابع العرب تقدمهم إلى قسيلية ونفزاوة (١) ، فكان أهل المدينتين أيضاً في
استقبال العرب المسلمين. وتخلّى الروم والبرانس وقسم من البتر عن الكاهنة حتى
لم يبق في طاعتها سوى نفر قليل من البتر . -

- التقى جيش حسان مع جيش الكاهنة في سفح جبل الأوراس ودارت
معركة قصيرة وحاسمة لقي فيها جيش الكاهنة هزيمة منكرة وطارد حسان
الكاهنة حتى قتلها في موضع حمل اسمها منذ ذلك التاريخ وعرف ببئر الكاهنة.
- كان مقتل الكاهنة - إيداناً بانتهاء مقاومة البربر حيث لم تلق جيوش العرب
المسلمين بعد ذلك مقاومة تذكر . وكانت ثورة الكاهنة بمثابة المعقل الأخير
للمقاومة الطويلة التي جابهت العرب المسلمين في فتوح أفريقية . -

و - تصفية قاعدة العدوان « قرطاجنة »

- بعد انتهاء جيش العرب المسلمين بقيادة حسان من القضاء على حركة
الكاهنة عاد إلى القيروان في شهر رمضان من عام ٨٢ هـ - بهدف إعطاء الجيش
فترة للراحة وإعادة التنظيم ومتابعة الأعمال القتالية لتصفية قاعدة العدوان
البيزنطية المتمثلة بقرطاجنة - .

- كان البطريق يوحنا قد نظم قواته بعد الاستيلاء على قرطاجنة ، فاتخذ من

.....

(١) نفزاوة : مدينة بالمغرب بينها وبين القيروان ستة أيام ، تير من القيروان نحو الغرب
معجم البلدان ٨ - ٣٠٣ .

جبال «زغوان»^(١) شمال القيروان خطأ أمامياً للدفاع يمتد حتى جنوب قرطاجنة ، وكانت سيطرة البطريق قد امتدت مع الشريط الساحلي ما بين سوسة وشقبنارية .

— بعد انتهاء مرحلة التنظيم ، شكل حسان مجموعة قتالية بقيادة أبي صالح ودفعه كمقدمة لعملياته في اتجاه القيروان . ووصلت هذه المجموعة حتى حدود جبل زغوان حيث اصطدمت بمقاومة الروم واستمرت المعركة بين الطرفين ثلاثة أيام متتالية دونما تحقيق نتيجة حاسمة فاضطر حسان لقيادة القوة الرئيسية والتوجه إلى القيروان ففتحها صلحاً .

تابع جيش العرب المسلمين تقدمه نحو « قرطاجنة » — فانسحب الروم حتى حدود المدينة وتحصنوا بأسوارها ودارت بينهم وبين العرب المسلمين معركة طاحنة لقي فيها البطريق يوحنا هزيمة منكرة فتراجع إلى قرطاجنة واحتمى بحصونها . —

— في الوقت الذي كانت تدور فيه المعارك البرية كان أسطول العرب المسلمين يجابه أسطول بيزنطة ويلحق به هزيمة منكرة ويرغم القطع البحرية البيزنطية على الإنسحاب^١ .

شعر البطريق يوحنا أن الموقف في غير صالحة ، فقرر الإنسحاب من المدينة وجمع جنده وأبلغهم قراره بالإنسحاب على أمل العودة ثانية . — وركب جند الروم القطع البحرية التي كانت متوقفة في ميناء « باب النساء » وحمل الجند معهم نساءهم وأولادهم وتسللوا ليلاً إلى عرض البحر متوجهين إلى بيزنطة . — ولم يبق في المدينة سوى حاكمها « الملك المسمى مرياف » وأهله وولده . —

— اتصل « الملك مرياف » بحسان وأرسل إليه رسالة جاء فيها : —

[... هل لك أن تعاهدني في أهلي وولدي ، وأشترط لنفسه ما شئته من المنازل وأسلم لك المدينة ؟]

(١) جبل زغوان : جبل منيف مشرف بالقرب من تونس وفيه قرى كثيرة أهلة . معجم البلدان ٤ - ٣٩٤ .

— ولما كان العرب المسلمون يجهلون أمر إنسحاب الروم من المدينة فقد أجابه حسان إلى ذلك، ودخل بجيشه إلى قرطاجنة فلم يجد فيها غيره وغير ولده وأهله، فوفى له حسان بما أعطاه من العهد — وأقام مرياف مالكا لهذه الأرض وهي الناحية المسماة اليوم بمرياف في تونس — .^(١)

— بعد هذا الانتصار الحاسم أصبح باستطاعة حسان تركيز الجهد لبناء المجتمع الجديد وتوطيد عرى التعاون بين العرب المسلمين وبين سكان البلاد الأصليين والعمل في الوقت ذاته على تصفية بقية المقاومات الثانوية التي لا زالت منتشرة في أنحاء متفرقة من أفريقية — وتصفية كل جذور النفوذ البيزنطي المحرض الدائم على الثورة المضادة — .

ز - القضاء على النفوذ البيزنطي في البحر^(٢) .

بناء « تونس »

— كانت بيزنطة تستخدم الجزر القريبة من أفريقية كقواعد متقدمة لحشد قواتها ، وأراد حسان بن النعمان تنويع إنتصاراته بالقضاء على سيطرة بيزنطة وتصفية قواعدها البحرية فاستمد عبد الملك بن مروان وطلب دعمه بقوات الأسطول ، وأمدّه عبد الملك بأسطول تحت قيادة عبد الملك بن قطن — .
— توجه أسطول العرب المسلمين وأخذ في تطهير الجزر المتصلة بساحل أفريقية وفتحها حتى لم يبق للروم نفوذ فيها أو سيطرة عليها .

— كانت هذه العمليات البحرية ، وخطر التهديد البيزنطي من الحواجز التي دفعت حسان نحو التفكير لإقامة قاعدة بحرية متقدمة يتم فيها بناء أسطول خاص لعمليات أفريقية نظراً لبعدها المسافة الفاصلة بين أفريقية وقواعد الأسطول في الشام ومصر. فغير بهذا الأسطول على ساحل الروم فيسفلهم بأنفسهم عن الإغارة على أفريقية — .

(١) فتح العرب للمغرب ٢٦٠ - تاريخ المغرب الكبير ٢ - ١٠٥ . البيان المغرب ١ - ٢٩ .

(٢) فتح العرب للمغرب ٢٦٠ - ٢٦٢ . تاريخ المغرب الكبير ٢ - ١١٥ .

- بدأت أعمال الإستطلاع لتحديد موقع مناسب يتم فيه بناء هذه القاعدة البحرية ، ووقع الإختيار على موقع « جنوب قرطاجنة » حيث توجد بلدة قديمة يرجع عهدها إلى أيام اليونان واسمها « ترشيش » يسكنها بعض الرهبان في كنيسة هي كل ما بقي من البلدة التي كانت زاهرة في يوم من الأيام . وكانت أصوات الرهبان في الليل وترجيع عباداتهم تخفف من وحشة المنطقة المقفرة « ومونسها » .

- كانت « ترشيش » موطناً للبربر والروم ، تقع في سفح جبل وتحتل ربوة يحيط بها خندق طبيعي هو كالحصن لها والسور الذي يمنع الأعداء عنها ، وإلى الشرق من البلدة تقع بحيرة جميلة تلتطف جوها وتزيدها سحراً وأنساً وجمالاً ، وكانت السهول الزراعية تحيط بالبلدة التي نزلها حسان بن النعمان مع جيشه أثناء حصار قرطاجنة فأعجب بمناعة موقعها وجمال مكانها ، وكان مما أعجب العرب المسلمين في موقع « ترشيش » اشرافها على « سبخة » فسيحة لا يفصلها عن البحر غير برزخ صغير ، ذلك ان التمر كز الى الداخل وعند حدود السبخة يحبب العرب في سكنى المدينة التي ستقام عنده لأنهم لم يكونوا حينذاك يطمثون كثيراً الى سكنى المدن الساحلية الصرفة ، ثم إن موقعها هذا يجعلها بأمان من غارات الروم المباغتة فيكفي حراسة مدخل السبخة لكي ينذر الحراس اهل المدينة الجديدة الى الخطر قبل وقوعه . وعلاوة على ذلك كله فان الأرض السبخة هي المرعى الطبيعي للإبل سفن الصحراء ، ولخيول العرب ومواشيهم .

- أخذ حسان بن النعمان في تخطيط مدينته الجديدة على أنقاض مدينة « ترشيش » البائدة . وأطلق عليها العرب المسلمون « تونس - أو تونس » لجمالها ولما تدخله من الأنس والبهجة على القلوب .

- بدأت أعمال بناء مدينة « تونس » بحفر قناة عميقة تصلح للملاحة وتصل بين البحيرة والبحر فتصبح تونس ميناء بحرياً تحميه البحيرة الواسعة من أمواج البحر ويتم على ضفاف البحيرة إقامة دار لصناعة السفن بحيث ترسو القطع البحرية وهي بأمان تام من كل عدوان غادر ، أو هجوم مباغت .

- ظهرت خلال أعمال البناء ضرورية الاستعانة بالخبرة الفنية واليد العاملة الماهرة فكتب حسان بن النعمان إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان رسالة يطلب فيها دعمه بنفر من أهل مصر لإنشاء الميناء وبناء السفن فكتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز - والي مصر حينذاك - لتوجيه ألف قبضي وأهلهم وأولادهم إلى معسكر «تونس» وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا إلى «تونس» كما كتب إلى حسان أن يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى آخر الدهر . وأن يجعل على البربر جر الخشب لإنشاء المراكب وأن يضع بها المراكب ويجهز الروم في البر والبحر ، وأن يغير منها على ساحل الروم فيشتغلوا عن القير وأن نظراً للمسلمين وتحصيناً لأنفسهم ، فوصل القبط إلى حسان وهو مقيم بتونس . فأجرى البحر من دار الصناعة حتى مرس « رادس » [وهي الغرسة الصغيرة على البحيرة التي تسمى باسم « آدس ADES] وجر البربر الخشب وجعل فيها المراكب الكثيرة وأمر القبط بعمارتها .

- في عام ٨٥ هـ ، حدث اختلاف بين حسان بن النعمان والي إفريقية وبين عبد العزيز بن مروان والي مصر ، فعزل عبد العزيز حسان بن النعمان وأمره بالقدوم إليه فعلم حسان ما أراد عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك فعمد إلى الجواهر والذهب والفضة فجعله في قرب الماء وأظهر ما سوى ذلك من الأمتعة وأنواع الدواب والدقيق وسائر أنواع الأموال ، فلما أقدم على أمير مصر ، أهدى إليه مائتي جارية من بنات ملوك الروم والبربر ، لكن عبد العزيز لم يقنع بذلك ، فسلبه جميع ما معه من الخيل والأمتعة والوصائف والوصفان ، ورحل حسان بالاثقال التي بقيت له حتى قدم على الوليد بعد وفاة عبد الملك ، فشكا له ما صنع به عبد العزيز فغضب الوليد لذلك ثم قال حسان لمن معه اثتوني بقرب الماء . ففرغ منها من الذهب والفضة والجواهر والياقوت ما استعظمه الوليد وعجب من أمر حسان فقال له الوليد : جزاك الله خيراً يا حسان فقال :

يا أمير المؤمنين ، انما خرجت مجاهداً في سبيل الله وليس مثلي يخون الله

ولا الخليفة فقال له الوليد : - أنا اردك الى عملك واحسن اليك وأنوه بك ، فحلف حسان « لا أولي لبني امية ابداً » .

- وخرج حسان في السنة التالية لغزو الثغور الرومية ، مقاتلاً عادياً ، ولقي مصرعه .

وهكذا لم يتمكن حسان من إنجاز بناء « تونس » ، وترك اكمال هذا المشروع الضخم لمن جاء بعده .

- أفاد حسان من فترة الهدوء التي أعقبت القضاء على ثورة الكاهنة وتصفية قاعدة العدوان البيزنطية « قرطاجنة » فأرسل مغازي الوحدات الخفيفة حتى وصلت إلى فاس وافتتحها « كما وجه قواته إلى كل موقع فتحقق الأمن والاستقرار في ربوع أفريقية وكانت الخبرة الطويلة التي اكتسبها حسان بن النعمان من إقامته في أفريقية مدة اثني عشر عاماً افضل معين لمعرفة الطبيعة البشرية والجغرافية وتحقيق ما أنجزه في أفريقية .

- وكان بناء تونس عملاً مكملًا لبناء القيروان . فأصبحت الأولى ثغراً بحرياً ، بينما كانت الثانية مركزاً عسكرياً وقاعدة برية متقدمة لقوات العرب المسلمين .

٧ - حرب القبائل ٨٦ - ٩٠ هـ

أ - الوضع العام :

- حدث بعد عودة حسان بن النعمان عن أفريقية حركة « ردة جديدة » ويعمل ابن خلدون هذه الظاهرة بما يلي :

[... ان الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء ، وان وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمنع دونها فيكثر الانتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لأن كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها بمنعة

وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد ، فان ساكن هذه الأوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم القلب الاول الذي كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الافرنجة شيناً وعادوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثخان في المسلمين فيهم ، ولما استقر الدين عندهم عادوا إلى الثورة والخروج والأخذ بدين الخوارج مرات عديدة. قال ابن ابي زيد : ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم يستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمر [ان افريقية مفرقة لقلوب اهلها] اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على عدم الاذعان والانقياد .. [١]

في نهاية عام ٨٥ هـ ، تولى موسى بن نصير ولاية أفريقية خلفاً لحسان بن النعمان فوصلها حيث كان فيها ابا صالح ، الذي استخلفه حسان قبل ذهابه إلى دمشق. وبدأ موسى بن نصير أعماله بحشد قواته وإعادة تنظيمها ودراسة الموقف ووضع مخطط عملياته .

— لقد عرف موسى بن نصير التشابه الكبير بين حياة العرب القبلية في الجاهلية والاسلام وبين حياة البربر القبلية خلال أعمال الفتوح وما حدث من تكرار « الردة » فكان أسلوب عمله تقليداً واتباعاً لما قام به الرسول الأعظم من أعمال لإخضاع القبائل العربية وتوحيدها تحت راية الاسلام . وقد أفاد موسى بن نصير من تجربة الخليفة الأول الصديق في غزو الشام والعراق وما كان لذلك من نتائج في ترسيخ جذور الاسلام بين العرب فكان تفكيره في فتح الأندلس .

وقد جاءت نتائج فتح الأندلس بالنسبة لترسيخ جذور الاسلام في افريقية وتوحيد القبائل البربرية مماثلة لما أحدثته فتوح الشام والعراق . ولا حاجة هنا للقول ان فتح الأندلس قد جاء تحقيقاً لهذا الهدف فقط ، لكن هذا الهدف

(١) مقدمة ابن خلدون ٨٠ .

- هدف تحقيق الاستقرار وترسيخ جذور الاسلام في افريقية وتوطيد الاستقرار -
كان من الحوافز وفي جملة الاسباب التي دفعت المسلمين لاقتحام « الأندلس »
وعبور المضيق .

ب - المرحلة الاولى : تأمين قاعدة الانطلاق

- أخذ موسى بن نصير في حشد قواته واعادة تنظيمها قبل الدخول في
افريقية وعندما أنجز هذه المرحلة جمع قواته وألقى خطاباً جاء فيه :

[... انما انا رجل كأحدكم ، فمن راي مني حسنة فليحمد الله ، وليحضر
على مثلها ومن رأى مني سيئة فليذكرها فاني اخطيء كما تخطئون واصيب كما
تصيبون ، وقد امر الأمير : عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، اكرمه الله لكم
بعطايكم وتضعيفها ثلاثاً ، فخنوها هنيئاً مريئاً ، ومن كانت له حاجة فليرفها
الينا وله عندنا قضاؤها على ما عز وهان مع المواسة ان شاء الله ولا حول ولا
قوة الا بالله ...]^(١)

- وانطلق موسى بن نصير الى افريقية ، وعندما وصلها وجد ان الاضطراب
قد عاودها فقدّر موقفه ووضع مخطط عملياته ، وألقى خطاباً في جنده جاء فيه :
ايها الناس : انما كان قبلي على افريقية احد رجلين : مسلم يحب العاقبة
ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب ان يسلم ، او رجل ضعيف
العقيدة قليل المعرفة راض بالهويني وليس اخو الحرب الا من اكتحل السهر ،
واحسن النظر وخاض الفمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو
ويسلم دون ان يكلم او يكلم ويبلغ النفس عنرها في غير خرق يريده ولا عنف
يقاسيه متوكلاً في حزمه جازماً في عزمه مستزيداً في علمه مستنيراً لأهل الرأي
في احكام الراي متحنكاً بتجاربه ليس بالمتجانب اقحاماً ولا بالمتخاذل احجاماً ،

.....

(١) الامامة والسياسة ٢ - ٦١ - ٦٣ .

ان ظفر لم يزد الظفر الا حذراً وان نكب اظهر جلادة وصبراً راجياً من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها لقول الله تعالى : (ان العاقبة للمتقين) اي الحنرين .. [

وبعد .. فان كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الأقصى ويترك عدواً منه ادني ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العودة ويكون عوناً عليه عند النكبة - وایم الله - لا ایم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله ارفعها ويدل امنعها ويفتحها على المسلمين بعضها او جميعها او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ..]^(١)

- استقر موسى بن نصير في قاعدة عملياته في القيروان ، ووضع مخططة موضع التطبيق بهدف تأمين قاعدة العمليات فنظم ثلاثة مجموعات قتالية كالتالي :

١ - مجموعة قوتها خمسمائة فارس بقيادة عبد الملك بن حنشين بمهمة تطهير جبل زغوان القريب من تونس والواقع على مسافة مسيرة يوم كامل من القيروان والقضاء على المتمردين .

٢ - مجموعة قتالية بقيادة ابنه عبد الله بن موسى بمهمة تطهير بعض جيوب المقاومة في افريقية .

٣ - مجموعة قتالية بقيادة ابنه مروان بن موسى بمهمة تطهير بعض جيوب المقاومة ..

وانطلقت المجموعات الثلاثة ، ونجحت في اباداة المقاومات واستسلمت مجموعات كبرى فاخذت أسرى ، وكان عدد الأسرى يزيد على كل ما أمكن اعتقاله حتى قيل ان خمس الأسرى بلغ ستون ألفاً .. واذا كان لذلك دلالة فهو في تصميم موسى بن نصير على تمزيق المقاومة مرة واحدة والى الأبد ..

.....

(١) الامامة والسياسة ٢ - ٦١ - ٦٣ .

ج - التأمين البحري لافريقية :

غزوة الأشراف^(١)

- بعد أن وطد موسى بن نصير أسس قاعدة عملياته في القيروان أراد تأمين حرية العمل حتى لا تستطيع بيزنطة التأثير على مسيرة أعماله القتالية ، وذلك بإنشاء أسطول بحري قوي يعمل مباشرة لحماية السواحل الافريقية .. ولهذا قرر اكمال المشروع الذي بدأه حسان بن النعمان فتابع بناء مدينة « تونس » وعمل على تطوير دار الصناعة وأصبح لديه قوة مائة مركب ..

- في نهاية عام ٨٥ هـ ، وبداية ٨٦ هـ ، أصدر موسى بن نصير أوامره الانذارية ، التائب لركوب البحر ، وأعلم المقاتلين انه راكب بنفسه [فرغب الناس وتصارعوا فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب الفلك ، فعقد موسى لواء هذه الغزوة لابنه عبد الله بن موسى وولاه عليهم وأمره ..]

- لقد أراد موسى عندما أعلن عن ركوبه بنفسه البحر دفع المقاتلين أفضلهم والناس أشجعهم لهذه الغزوة ، التي سميت غزوة الأشراف لما ضمته من الأشراف الأبطال ، وعندما انتهت الاستعدادات وجه موسى هذه القوة المكونة من تسعمائة الى ألف مقاتل لغزو « صقلية » .

- قاد عبد الله بن موسى قوته البحرية حتى وصل صقلية ، وقام بانزال بحري ناجح واستطاع فتح بعض المواقع مع مدينة ساحلية ، وغنم أموالاً كثيرة حتى بلغ سهم الرجل مائة دينار ذهباً ، ثم عاد من غزوته الى تونس دون أن تصلب قواته بخسائر في الأرواح أو المعدات .

- وفي عام ٨٦ هـ ، وجه موسى بن نصير مجموعة قتالية اخرى بقيادة عياش ابن أخيل بمهمة الهجوم على صقلية مرة أخرى ، فشتا عياش في البحر ووصل جزيرة صقلية وقام بالانزال على شواطئها وفتح مدينة سرقوسة ثم رجع الى تونس بعد تنفيذ المهمة بنجاح ..

(١) الامامة والسياسة ٧٠ / ٢ - ٧١ .

- بعد أن نجح موسى بن نصير بتأمين السواحل الافريقية من كل تدخل بيزنطي ، وبعد أن أصبح لدى المقاتلين الثقة التامة بقدرتهم على التغلغل في فتوحاتهم ، اخذ موسى بن نصير بتطبيق الجزء الثاني من مخططه لاختضاع المتمردين من قبائل البربر ..

د - اخضاع القبائل المتمردة ^(١) :

- كانت قبائل هوار و زناتة تتمركزان في منطقة المغرب الأوسط « الجزائر حالياً » .

- وكانت قبيلة كتامة تتمركز في « درعة » الواقعة على أربعة فراسخ من سجلماسة .

- وكانت صنهاجة في وادي ملوية في المغرب الأوسط « الجزائر » .

- أما قبائل مصودة فكانت متمركزة في « أطلس العليا » ..

- وكانت قبائل البتر والبرانس في منطقة طنجة ، في المغرب الأقصى « المغرب حالياً » ..

وضع موسى بن نصير مخطط عملياته على اساس تدمير مقاومات هذه القبائل على التتابع وعدم الانطلاق في العمق قبل تصفية كل مقاومة ..

١ - كانت قبيلة كتامة قد أعلنت ولاءها وتأييدها لموسى بن نصير ووفدت عليه ، فعين لها من يتولى أمورها وأخذ منهم الرهائن ، وحاولت رهون كتامة الفرار الى قبيلتهم فوجه الخيول في طلبهم وأتى بهم ، فأراد صلبهم فقالوا : [لا تعجل ايها الأمير بقتلنا حتى يتبين امرنا ، فان آباءنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف أبداً ونحن بين يديك ، وانت على البيان اقدروا منكم على استحياننا بعد القتل ..] فأقرهم حديداً وأخرجهم معه الى كتامة وخرج

(١) الامامة والسياسة ٢ - ٦٢ - ٦٨ ، تاريخ المغرب ٢١٠ - ٢١١ ، البيان المغرب

هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيا رهونهم ..

٢ - وجه موسى مجموعة قتالية مكونة من ألف فارس بقيادة عياش بن أخيل بمهمة اخضاع تمرد « هواراة وزناتة » ، وعندما وصلت المجموعة الى مستقر هذه القبائل قامت بهجوم مباغت ، وأبادت المقاومة ، وألقت القبض على الأسرى وعرضت هواراة وزناتة الصلح فصالحهم المسلمون .

٣ - نظم موسى بن نصير مجموعة قتالية مكونة من ستة آلاف مقاتل ، أربعة آلاف من أهل الديوان وألفين من المتطوعين ، وقادهم بنفسه لقتال صنهاجة والاغارة عليها بهجوم مباغت بعد أن توفرت لديه المعلومات الدقيقة عن عدم استعداد صنهاجة القتالي .

دفع موسى عياض بن عقبة بن نافع لقيادة مقدمته ، وعين لقيادة ميمنته المغيرة بن أبي بردة ، وقاد ميسرته زرعة بن أبي مدرك .. ثم تقدم بقوته حتى وصل وادي ملوية ، وقام بهجومه المباغت فأعمل في « صنهاجة » قتلاً ومن كان معها من قبائل البربر ، وكان قتله لهم قتل الفناء ، وسبى منهم سبياً كثيراً بلغ مائة ألف ، ثم عاد موسى بعدها الى « القيروان » ..

٤ - كانت قبيلة « البرانس » من أكبر قبائل البربر وأكثرها قوة ، وكان ملكهم « كسيلة » هو الذي قتل عقبة بن نافع في « تهودة » ثم قتله زهير بن قيس البلوي ، وكان قسم كبير من « البرانس » يستقر في « سجومة » من المغرب الأوسط .

- قرر موسى بن نصير تصفية مقاومة « البرانس » فنظم مجموعة قتالية من عشرة آلاف مقاتل وأعطى اللواء ابنه مروان بن موسى وعين لمقدمته عياض بن عقبة بن نافع وللميمنة زرعة بن أبي مدرك وللميسرة المغيرة بن بردة القرشي وللأساقة « المؤخرة » نجدة بن مقسم ..

تقدمت المجموعة القتالية حتى وصلت موقع « سجن الملوك » قريباً من نهر

ملوية ، توقف العرب المسلمون ، وخلف موسى الاثقال في حراسة ألف مقاتل بقيادة عمرو بن أوس ثم تابع المسلمون تقدمهم حتى نهر ملوية ، وكان النهر في فترة الفيضان .. وتوقف فترة قصيرة تم خلالها استطلاع النهر وانتقاء موضع للعبور غير ذلك الذي سبق عبور عقبة بن نافع منه ، ثم قام العرب المسلمون بالعبور ووقفوا في مواجهة خصومهم المستعدين للقتال ..

بدأت المعركة بين الطرفين [واقتتلوا قتالا شديداً في جبل شديد لا يصل اليهم الا من ابواب معلومة ، وبعد قتال استمر ثلاثة ايام ، انهزم اهل بسجومة ففتح المدينة وقتل ملوكها وأمر اولاد عقبة بن نافع « عياضاً وعثماناً وابا عبيدة » ان يأخذوا حقهم من قاتل ابيهم ، فقتلوا من اهل سجومة مائة رجل من كبارهم ، ثم قال لهم موسى « كفوا » « كفوا » وقال عياض بن عقبة [أما والله لو تركني ما امسكت عنهم ومنهم عين تطرف] .

٥ - بدأ موسى بن نصير باستئثار الظفر ، والافادة من قوة القاعدة التي أصبح ينطلق منها ، فبدأ مطاردته حتى أخضع القبائل ، هذه التي ارتدت بعد مسير حسان بن النعمان الى المشرق وتلك التي لم تكن قد خضعت قبلاً للمسلمين ، واستمر موسى بن نصير في تقدمه حتى المغرب الأوسط ، وولاية طنجة ، وأخذت القبائل تفر من أمامه متوجهة نحو الغرب فتتبعها عبر « السوس الأدنى » -- ريف طنجة -- واستمر في تقدمه حتى وصل « سجلماسة » ووادي درعة .

٦ - بعد تلك الانتصارات الرائعة ، نظم موسى بن نصير مجموعة قتالية مكونة من خمسة آلاف مقاتل بقيادة ابنه مروان ، ووجهها نحو « السوس الأقصى » وبينها وبين السوس الأدنى مسيرة شهرين . وتوجه مروان بن موسى نحو هدفه وأمكن له تحقيق انتصارات كبيرة على المقاومات التي جابهته .

٧ - وفي الوقت ذاته وجه موسى بن نصير مجموعة قتالية أخرى بقيادة زرعة ابن أبي مدرك بمهمة اخضاع قبائل المصمودة « من البربر البرانس » . والتمركز في أطلس العليا . وتوجه زرعة إلى هدفه ، فلم يلتق حرباً من المصامدة الذين

استقبلوه بإعلان خضوعهم وقدموا له رهائنهم . وأخذ الاسلام ينتشر بين قبائل البربر في أقصى المغرب . وبث موسى فيهم الدين والقرآن وكان يأمر العرب أن يعلموا البربر القرآن وأن يفقهوم في الدين ، وبذلك لم يبق في أفريقية من ينازع موسى سوى منطقة طنجة ، ومنطقة سبتة .

٨ - كانت ولاية طنجة تابعة « لجوليان » حاكم سبتة ، وكانت هذه الولاية تضم مدناً كثيرة تتسع لمسيرة شهر ويدافع عنها البربر والروم .^(١)

دفع موسى بن نصير ، مقدمته بقيادة مولاة طارق بن زياد ، وتوجه نحو ولاية طنجة . ولم تلبث المدن والقلاع أن تساقطت تباعاً أمام زحف العرب المسلمين حتى لم يبق سوى مدينة طنجة فحاصرها موسى ودفع مجموعات من الفرسان لعزل المدينة وشدد قبضة الحصار حتى افتتحها وولى عليها والياً وأنزل فيها حامية من المسلمين وجعلها قاعدة متقدمة « قيروانا » للمسلمين . وعين ابنه مروان قائداً لهذه الحامية المكونة من ألف وسبعمائة مقاتل .

٩ - تابع موسى بن نصير تقدمه في اتجاه « سبتة » واصطدم بقوات « جوليان » وكانت هذه القوات جيدة التنظيم والتدريب والأمداد بحيث لم يتمكن العرب المسلمون من احراز نصر حاسم فقرر ضرب حصار حولها وعزلها ، لكن المقاومة لم تتأثر بسبب تأمين الامداد بحراً من الأندلس فقرر موسى بن نصير إخضاعها لأسلوب الحصار الطويل والتضييق عليها وتنظيم اغارات مستمرة لاستنزاف قدرتها واوكل هذه المهمة لطارق بن زياد بعد أن ترك عنده تسعة عشر ألفاً من البربر بكامل أسلحتهم وعتادهم . كما ترك مع هؤلاء مجموعة صغيرة من العرب المسلمين بمهمة تعليم القرآن وفرائض الاسلام .

١٠ - بعد هذه الفتوحات قرر موسى بن نصير العودة إلى القيروان . وكانت مدينة « مجانة » التي تبعد خمسة أيام عن القيروان لا تزال ممتنة وفي حال عصيان

(١) فتوح مصر والمغرب ٢٧٥ - ٢٧٦ . فتوح البلدان ، البلاذري ٢٣٢ .

بعد أن كان بسر بن أرطاة قد فتحها للمرة الأولى. فدفع موسى بن نصير مجموعة قتالية وأمكن له استعادة فتحها مرة أخرى . وبذلك انتهت عملية إخضاع أفريقية بصورة كاملة .

١١- تأكدت لموسى بن نصير مرة أخرى ومن خلال الاتصال الوثيق بين مقاومة سبتة وامدادها من اسبانيا ضرورة فرصة السيطرة البحرية لعزل كل اتصال خارجي وتأمين السواحل الافريقية . فوجه عام ٨٩ هـ مجموعة قتالية بقيادة عبد الله بن مرة بمهمة الهجوم على سردينية « سردانية » واقتتاح مدنها . وأبحرت هذه القوة نحو هدفها ، ونجحت في تنفيذ واجبها حيث استولت على كميات كبيرة من الذهب والفضة والمواد الأخرى كما أخذت ثلاثة آلاف أسير حملتهم معها الى افريقية .

- وفي السنة ذاتها : ٨٩ هـ ، وجه موسى بن نصير مجموعة قتالية أخرى بقيادة ابنه عبد الله بمهمة احتلال جزيرتي « ميورقة » و « منورقة » الواقعتين بين صقلية وجزيرة « الأندلس » ونجح عبد الله بن موسى بتنفيذ واجبه المحدد له^(١) .

- كان من نتيجة العمليات - في البر والبحر - عزل أفريقية عن المؤثرات الخارجية فتحقق الاستقرار في ربوعها ، وخيم الأمن في ولاياتها . وأصبح بالامكان التنكير للانطلاق نحو آفاق جديدة .

(١) تاريخ المغرب العربي ٢١٩ هـ . الامامة والبيعة ٢ - ٧٠ - ٧١ .

الْفَيْسِمُ الثَّانِي

الفصل الثالث

فن الحرب وفتح افريقية والمغرب

- ١ - الانطلاق من قواعد أمنية .
- ٢ - تحديد الافضليات على مسارح العمليات .
- ٣ - المباغتة .
- ٤ - التنسيق بين العمليات البرية والبحرية .
- ٥ - الاهتمام بالشؤون الإدارية .
- ٦ - الأمن والاستطلاع .
- ٧ - الحرب النفسية .
- ٨ - كفاءة القيادة .
- ٩ - الروح المعنوية وإرادة النصر .
- ١٠ - إقامة علاقات عامة جديدة .
- ١١ - دروس النكسات .

قراءات

- أ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح .
- ب - معاوية بن حديج السكوني .

- ح - عبقة بن نافع الفهري .
- د - أبو المهاجر دينار .
- هـ - عبد الله بن الزبير بن العوام .
- و - بسر بن أرطاة .
- ز - زهير بن قيس البلوي .
- ح - حسان بن النعمان .

فن الحرب وفتح افريقية والمغرب

- بدأت عمليات الجبهة الغربية بفتح مصر عام ٢٠ هـ ، ثم حدث توقف قصير واستؤنفت العمليات بفتح برقة عام ٢٧ هـ واستمرت العمليات بين مد وجزر حتى عام ٩٠ هـ حيث استقر الأمر نهائياً للعرب المسلمين وتوطدت دعائم الاسلام في أفريقية والمغرب وجاء فتح الأندلس تنويحاً لهذه كلها . وخلال هذه الفترة التي استمرت سبعون عاماً تقريباً حدثت تطورات كبرى في فن الحرب عند العرب المسلمين وأمكن ترسيخ القواعد والمبادئ والدروس المستفادة من المعارك المتتالية فأخذت مبادئ فن الحرب تظهر في أقوال القادة وأعمالهم بشكل واضح .

وكان من عوامل هذا التطور :

١ - زيادة حجم القوات المقاتلة . فبينما كان جيش فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص لا يزيد على ثمانية آلاف مقاتل ، ارتفع عدد هذا الجيش أيام عبد الله بن سعد ابن أبي سرح إلى عشرين ألفاً . ووصل إلى أربعين ألفاً في عهد حسان بن النعمان الفساني . وتضاعف هذا العدد بانضمام البربر في عهد موسى بن نصير .

٢ - اتساع مسرح العمليات . فالمسافة بين القيروان والأطلسي تزيد على ألفي كيلومتر ويضاف إلى ذلك العمق الاستراتيجي لهذا المسرح ما بين الساحل والصحراء ، علاوة على هامش الحيطه الأمن ، والمكون من الجزر البحرية في البحر الأبيض المتوسط .

٣ - صعوبة الامداد والتموين على هذا المسرح الكبير للعمليات ، لا سيما عند تحركات قوات كبيرة .

٤ - وجود عناصر مختلفة في جيش العرب المسلمين مما تطلب وجود أجهزة

قيادية وعناصر قيادية على درجة عالية من الكفاءة. وكانت المساواة والعدالة والقيم الروحية التي جاء بها الاسلام عاملاً حاسماً في إذابة التناقضات بين الأجناس المختلفة . والاقبال من خطورتها كما كان حجم الواجب الثقيل والهدف الكبير الذي حدده الاسلام للمسلمين وواجب نشر الرسالة كافيًا لصهر المؤمنين في بوتقة واحدة . لكن ذلك كله لا يمنع من القول أن وجود عناصر مختلفة وعقليات متباينة قد تطلب كفاءة قيادية لانسطيع إيقاظ الحماسة باستمرار وجعل هذا الهدف الكبير ماثلاً أبداً أمام اعين المقاتلين على اختلاف قبائلهم وأجناسهم .

— لم تكن أعمال القتال في افريقية والمغرب سهلة ، فقد حدثت نكسات خطيرة ووقعت أحداث ومعارك مأساوية ، وظهرت حركات تمرد عنيدة قد تكون من أبرزها حركة الكاهنة وحركة كسيلة . وأفاد قادة العرب المسلمين من هذه التجارب بقدر ما أفادوا من التجارب الناجحة وتكون من حصالة ذلك كله دروس هامة أبرزت مبادئ فن الحرب بشكل واضح وكان في جملة هذه الدروس ضرورة حشد القوات ، وتأمين متطلباتها الادارية والحفاظ على روحها المعنوية واستعدادها القتالي هذا إلى جانب دراسة موقف العدو وحجم قواته ومعرفة طبيعة الأرض واتخاذ تدابير الأمن والقيام بأعمال الاستطلاع المستمرة . ولعل من أوضح مبادئ الحرب التي ظهرت في أعمال أفريقية ما يلي :

١ — الانطلاق من قواعد أمنية ودفع هذه القواعد باستمرار نحو الأمام .

٢ — تحديد الافضليات على مسارح العمليات وتحديد محور الجهد الرئيسي والمحاور الثانوية ..

٣ — الحرص على تطبيق مبدأ « المباغتة » الزمانية ، والمكانية ، وحجم القوات او اسلوب القتال ..

٤ — التنسيق بين العمليات البرية والبحرية ، ووضع نظرية هامش الأمن وذلك بالسيطرة على لجزر القريبة لابعاد نفوذ بين نقطة عن البحر الابيض المتوسط .

٥ — الاهتمام بالشؤون الادارية ، في حرب الصحراء ..

٦ - الحرص على أمن القوات ، والاهتمام بأعمال الاستطلاع وتقاطع المعلومات .

٧ - العناية بالحرب النفسية ، واستخدامها لخدمة القوات المسلحة .

٨ - كفاءة القيادة ، واختيار مكان القائد الصحيح في مختلف مراحل الاعمال القتالية .

٩ - الاهتمام بالروح المعنوية للمقاتلين ، وتعزيز ارادة النصر لديهم .

١٠ - بناء مجتمع جديد واقامة علاقات عامة فيه .

تلك هي بعض الدروس الواضحة لا كلها . وقد كانت الدروس التي ترجمها القادة والمقاتلون إلى مفاهيم ثابتة هي نواة « فن الحرب » المتطور . وقد يكون من المفيد المرور بها سريعاً لابرار معالمها .

- ان اعادة معالجة هذه المبادئ ، واستعادة ما يستجد عليها من تطورات انما يعزز القول أن معارك العرب المسلمين قد حدثت وفق تنهيج علمي صحيح بعيد كل البعد عن الارتجال والعفوية والبدائية وأن ما أحرزه العرب من انتصارات وما حققوه من فتوحات لم يكن مجرد هجمات سهلة أو اغارات مباغتة وانما نتيجة للارادة الثابتة والتصميم الذي لا يتزعزع لخدمة الهدف النبيل الذي عمل المسلمون له .

- لقد كان عدد المسلمين لا يتجاوز بضعة آلاف ، تزايد عددهم بانضمام من أسلم من أهل الأقاليم فكانت الفتوحات تطبيقاً عملياً لاستراتيجية بقعة الزيت سواء في اكتساب مساحات جغرافية أو في اكتساب مزيد من القوة القتالية .
- وكانت استراتيجية العرب المسلمين تقوم على استخدام المبادأة وعدم تركها لخصومهم أبداً .

وكانت استراتيجية العرب المسلمين تقوم على الهجوم باستمرار . وتطوير الدفاع ليكون هجومياً وأوضح نموذج لذلك الغزوات الاستطلاعية في البر واحتلال الجزر في البحر .

- ومن خلال هذه الاستراتيجية، وتطبيقاتها الناجمة عن تطور فن الحرب الذي يضم الصفحات التالية بعضاً من ملاحظه .

١ - الانطلاق من قواعد أمنية

- لم تكن قواعد جيوش العرب المسلمين مجرد مراكز للاقامة فقط . بل أصبحت مراكز للاشعاع الديني ومناطق للحشد ومعسكرات اقامة استعداداً للحرب .

- عندما فتح العرب المسلمون مصر جعل عمرو بن العاص من «برقة» قاعدة متقدمة ووضع فيها حامية يقودها عقبة بن نافع .

- وعندما تقدم العرب بفتوحاتهم ، جعل معاوية بن حديج السكوني قمونية قاعدة متقدمة للعمليات .

- وجاء عقبة بن نافع فأراد إقامة قاعدة متقدمة داخلية . [ليست ضاربة في الشمال فتكون جبلية ولا ضاربة في الجنوب فتكون رملية] ووقع اختياره على القيروان بهدف :

١ - عزل جيش العرب المسلمين عن السكان للحفاظ على الأمن وسرية المعلومات .

٢ - وضع القوات في وضع استعداد دائم للحرب .

٣ - حتى تكون « محطاً لقوافل المقاتلين ومراحاً لمسكرهم » .

تحطيم هيمنة البيزنطيين والتأكيد على أن فتح العرب المسلمين فتحاً دائماً وليس مجرد غارة عابرة مصيرها إلى زوال . [فكانت مدينة القيروان عزاً للإسلام إلى آخر الدهر ..]

وعندما انتهى الأمر إلى حسان بن النعمان الفسائي ، بدأ ببناء قاعدة بحرية [لتكون مستقراً للأسطول العربي - الإسلامي تنطلق منه في حالتي الدفاع والهجوم فتخبر بهذا الأسطول على ساحل الروم . فيشغلهم بأنفسهم عن الاغارة على افريقية ..]

وكان الهدف من بناء « تونس » :

١ - اقامة قاعدة متقدمة « برية - بحرية » للانطلاق بعمليات مشتركة .

٢ - اقامة دار لصناعة السفن ، من أجل تعزيز القدرة القتالية للقوات البحرية .

٣ - وقاية افريقية من كل هجوم مباغت .

- لم يتمكن حسان بن النعمان من انجاز مشروعه فجهاء عبد الله بن الحجاب أيام هشام بن عبد الملك - أي بعد ثلاثين عاماً من بدء العمل - فأكمل المشروع الضخم الذي بقي خالداً مع الدهر .

- لقد كان قادة العرب المسلمين ينظمون قواعدهم المتقدمة مع الأخذ بعين الاعتبار، الظروف السياسية والمتطلبات العسكرية، والاستراتيجية، والظروف المناخية والحاجات الحياتية والمواقع الجغرافية وهذا سبب خلود قواعد المسلمين وتحولها إلى مدن دائمة وخالدة .

- وكان انجاز هذه القواعد تخطيطاً وتنفيذاً من أول عوامل انتصار المسلمين في عملياتهم القتالية . وشاهدأ على تصميم العرب المسلمين واراדתهم في تنفيذ مخططاتهم لنشر الدعوة الاسلامية وتوفير المناخ الملائم لبقائها واستمرارها .

٢ - تحديد الافضليات على مسارح العمليات

كان الخليفة الأموي هو الذي يعطي أفضلية العمليات على الجبهات المختلفة مثل جبهة الشمال مع بيزنطة والجبهة الشرقية في فارس والجبهة الغربية في مصر وافريقية ثم يكرس الخليفة بعد ذلك الامكانيات الضرورية لنجاح العمليات .

- أما أفضلية العمل على مسرح العمليات فتعود إلى قائد مسرح العمليات ذاته وفق تقديره للموقف وتحديد درجة الخطورة . وكان الخلفاء أو ولاة مصر يتدخلون اذا ما تطلب الأمر ذلك ، ولو أن هذا التدخل كان محدوداً وفي إطار الخطوط العامة مثل زج القوات البحرية وتخصيص امكانيات إضافية والدعم بقوات احتياطية .

أظهر القادة في فتح أفريقية قدرة على التمييز بين درجات الخطورة واعطاء الأولويات في العمليات . وكان الخطر يتمثل على صورتين :

١ - التدخل البيزنطي المباشر - بانزال القوات - مثل الانزال في قرطاجنة وما نتج عن ذلك من مقتل زهير بن قيس البلوي .

٢ - التدخل البيزنطي غير المباشر، لدعم الثورات المضادة وحركات التمرد.

- وأظهر بعض القادة كفاءة خاصة في تقدير الموقف العام وتحديد الواجبات المختلفة على نحو ما فعله عقبة بن نافع في المرحلة الأولى من عملياته ومثلما فعله حسان بن النعمان في القضاء على ثورة الكاهنة ثم التحول إلى قرطاجنة وكذلك ما فعله موسى بن نصير في توجيه المجموعات القتالية المختلفة إلى أهداف متباعدة وإبقاء القوة الرئيسية على استعداد تام للعمل والتدخل إذا ما تطور الموقف وذلك خلال المرحلة النهائية من فتح المغرب الأقصى .

- لقد كانت المعلومات المتوفرة بفضل الاغارات الاستطلاعية المستمرة وبفضل البربر الذين دخلوا الاسلام وصدق إيمانهم من العوامل الأساسية في تقدير الموقف السليم واتخاذ القرار المناسب . .

وكانت المرونة في التحركات والسرعة في الانتقال من محور إلى محور آخر من العوامل الحاسمة في نجاح المخططات القتالية . .

لكن المعارك بصورة عامة ومقدار النجاح فيها يعود بالدرجة الأولى إلى كفاءة القادة في تحديد محور الجهد الرئيسي والمحاور الثانوية وتخصيص القوات اللازمة للتعامل مع الاهداف المختلفة .

٣ - المباغطة :

- اعتمد القادة العرب مبدأ المباغطة عاملاً أساسياً في أعمالهم القتالية ، وكان تطبيقهم لهذا المبدأ يتوافق مع الظروف ومواقف القتال وأساليب القيادة .. فعندما طال أمد القتال بين عبد الله بن سعد وجرجير ملك أفريقية عام ٢٥ هـ ،

وبعث الخليفة عثمان قوة دعم سميت «بجيش العبادلة» ، عقد القادة مؤتمراً لمناقشة الموقف وطرح عبد الله بن الزبير فكرة مباغته الخصم بهجوم غير متوقع في تاريخه ، ذلك أن أسلوب القتال الذي اتبع بين العرب المسلمين وخصومهم طبق على اساس الاشتباك في المعركة من الساعات الاولى للنهار وحتى الظهيرة ، فاقترح عبد الله بن الزبير تقسيم الجيش الى مجموعتين قتاليتين ، تقاتل اولاهما كالعادة من الفجر وحتى الظهر ثم تنطلق المجموعة الثانية بهجومها عند عودة المجموعة الاولى - وطبق هذا الاقتراح بعد اقراره ، وكانت المباغته عاملاً حاسماً في احراز النصر وكسب معركة « عقوبة » ..

- وعندما بدأ عقبة بن نافع عملياته « في المرحلة الاولى » امتنعت عليه « خاور » وتحصنت بقلاعها ومواقعها الحصينة ، ووجد عقبة ان اطالة أمد الحصار سيستنزف من قوته دونما فائدة ، فوضع مخططه على اساس تطبيق مبدأ المباغته فغادر « خاور » وبعد ان قطع مسافات في الصحراء عاد بصورة « مباغته » وقد اطمأن القوم وانصرفوا الى شؤونهم الحياتية ، وكانت مباغته مطلقة نتج عنها فتح قلاع « خاور » وحصونها ..

- واستخدم موسى بن نصير اسلوب المباغته بإرسال مجموعات مختلفة الى أماكن بحيث يشكل ظهور جنود العرب المسلمين مباغته غير متوقعة ، وبهذا الاسلوب ، وبالإفادة من سرعة التحركات والمرونة أمكن له اخضاع الحركات المناوئة وفتح الحصون المنيعه .

- لقد كانت سرعة التحركات والمرونة ، والظهور في أماكن غير متوقعة وتجاوز المفاوز والصحاري ، من الاساليب التي اتبعها قادة العرب المسلمين لتحقيق المباغته المكانية ..

- وكانت مخططات العمليات ، وتنظيم أعمال الهجوم في وقت لا يتوقعه العدو من الاساليب التي طبقها العرب المسلمون لتحقيق المباغته الزمانية .

- وكان اسلوب القادة في حشد قواتهم ، واستخدام المتطوعين من البربر ومن

أسلم منهم ، هي من الأساليب التي استخدمها قادة العرب المسلمين لتحقيق المباغثة في التنظيم والتسلح وحجم القوى وكانت المباغثة من أول المبادئ التي حرص قادة العرب على تطبيقها فكانت في جملة عوامل نصرهم على خصومهم .

٤ - التنسيق بين العمليات البرية والبحرية

أفاد الخلفاء بعد معاوية بن أبي سفيان من تجارب الخليفة الأموي الأول في مجال التنسيق بين العمليات البرية - البحرية ، وأعمال الغزو البحري . وكانت هذه التجارب الرائدة منهلاً استوعب أبعاده القادة جميعاً . فأخذوا ينظرون إلى البحر الأبيض المتوسط على أنه مصدر خطر التهديد البيزنطي والمجال الحيوي الواجب انتزاعه من أيديهم كما اعتبروا الجزر المنتشرة فيه على أنها هامش الأمن والحيلة الواجب السيطرة عليها لتحقيق الاستقرار في سواحل بلاد الشام ومصر وأفريقية والمغرب ..

- ان متابعة سيطرة المسلمين ، على البحر الأبيض المتوسط وأعمال الغزو فيه تظهر الارتباط الوثيق بين تطوير العمليات البرية ، وتوسع النشاط البحري ولقد جاء تطوير دار بناء السفن في الروضة وإنشاء أسطول مصر ضمن هذا المفهوم الذي أصبح جزءاً من عقيدة الدولة القتالية والتي طبقها بنجاح حسان بن النعمان حيث عمل على إنشاء « تونس » وأنشأ دار الصناعة فيها ونظم أسطولاً مستقلاً لعمليات أفريقية .

- وفي الوقت ذاته أصبح احتلال الجزر المقابلة لشواطئ بلاد العرب المسلمين جزءاً من تدابير الأمن . فكان القادة العرب المسلمون من أول القادة العرب الذين أوجدوا فكرة « هامش الأرض » لكن بمفهوم محدود نسبياً .

لقد بدأ العرب المسلمون احتلال الجزر القريبة من شواطئ الشام بعد أن استقر حكمهم فيها . وعندما تطور الموقف في مصر ، وظهر الأسطول العربي فيها بدأت عملية غزو الجزر الإيطالية واليونانية وأمكن السيطرة على الجزر في وسط البحر الأبيض المتوسط ، ومن هذه الأعمال يمكن ذكر ما قام به معاوية

ابن حديج السكوني حيث غزا قبرص عام ٥٢٧ هـ ثم قام بغزو البحر عامي ٣٦ و ٣٩ هـ وفي عام ٤٦ هـ وجه معاوية قوة بحرية بقيادة عبد الله بن قيس ففتح صقلية وفي عام ٤٩ هـ غزا عقبة بن نافع الروم في البحر واستمرت أعمال غزو القسم الأوسط من البحر الأبيض المتوسط وعندما شيدت تونس ، أصبحت قاعدة لتوقف أسطول مصر الذي يتزود بالتموين والامداد فيها ثم ينطلق في عملياته . وعندما جاء موسى بن نصير ، وأمكن له تحقيق الاستقرار في أفريقية أخذ في التفكير بتأمين أفريقية بحرياً ، ووجه قواته لاحتلال جزر البليثار مع متابعة غزو السواحل الإيطالية واليونانية ، بحيث يمكن القول أن عمليات الغزو البحري قد سارت متوافقة في جدولها الزمني وفي مسيرة أحداثها للعمليات البرية والتوسع الأرضي وان وصول العرب إلى الأطلسي غرباً قد مهد السبيل للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط بكامله حتى أصبح يعرف باسم « بحر الشام » بعد أن كان يعرف « بالبحر البيزنطي أو بحر الروم » .

- لقد انتهت هذه التجارب بولادة مفهومين واضحين عند قادة العرب المسلمين :
- ١- مفهوم « هامش الأمن » وضرورة السيطرة على جزر البحر الأبيض المتوسط لتحقيق الأمن والاستقرار في بلاد العرب المسلمين والقضاء على النفوذ البيزنطي ..
 - ٢- مفهوم التنسيق بين العمليات البرية – البحرية للقيام بالعمليات الكبرى .

٥ - الاهتمام بالشؤون الادارية :

لم تكن قوات العرب المسلمين التي افتتحت مصر بقيادة عمرو بن العاص تزيد على ثمانية آلاف مقاتل .. ثم زاد حجم القوات حتى وصل الى عشرين ألف مقاتل في معركة العقوبة بقيادة عبد الله بن ابي سرح . وفي عام ٥٧٤ هـ ارتفع عدد جيش فتح أفريقية بقيادة حسان بن النعمان الى ٤٠.٠٠٠ مقاتل . – لم يكن جيش حسان بن النعمان كله من العرب ، وإنما ضم تحت لوائه البربر من المسلمين . وكانت زيادة حجم قوات العرب المسلمين سبباً في :

- ببطء حركة القوات بالمقارنة لما كانت عليه أيام الفتح الأولى .
- وجود ذيل إداري يثقل كاهل القوات أثناء التقدم ومسيرة العمليات ..
- ضرورة تخصيص وحدات معينة ، لتأمين الامداد الإداري ، وحراسته وتوفيره للمقاتلين .

- ان ظاهرة البطء في التحركات تبرز بشكلها الواضح من خلال الفترة التي قضاها الحسن بن النعمان بين تعيينه ، وبين بداية العمليات حيث استمرت هذه الفترة سنة كاملة تقريباً .

وتتكرر هذه الظاهرة أيضاً من خلال تأخر عقبة بن نافع في استئناف عملياته للمرحلة الثانية - فترة سنة تقريباً - وذلك بهدف تأمين حشد القوات وتوفير متطلباتها ..

- ولقد عالج القادة ظاهرة زيادة حجم الذيل الإداري باتخاذ إجراءات مختلفة منها :

١ - تخصيص منطقة للشؤون الإدارية خلال مسيرة العمليات على نحو ما فعله موسى بن نصير عندما وصل وادي ملوية حيث خلف الأتقال تحت الحراسة وانطلق في عملياته .

٢ - تقسيم القوة الضاربة إلى مجموعات مختلفة تسير على التتابع بحيث تحافظ على مرونتها وتتحرر من أعباء ثقل الذيل الإداري وذلك على نحو ما فعله عقبة بن نافع خلال عودته من فتوحاته الثانية .

٣ - عدم زج كتلة الجيش الكبير في منطقة عمليات واحدة وتوجيهه على شكل مجموعات قتالية إلى أهداف مختلفة . كما فعل موسى بن نصير في فتح المغرب الأقصى « مراکش » .

- لقد اضطر قادة العرب المسلمين إلى زياده حجم قواتهم بسبب التحديات الكبيرة التي جابهتهم وتبع ذلك زيادة في حجم المتطلبات الإدارية . وكان نجاح القادة راثماً في الحفاظ على التوازن بين المتطلبات الإدارية وبين متطلبات العمليات

بحيث لم يكن « الذيل الإداري » سبباً في إعاقه مسيرة العمليات وفقدان المرونة وسرعة التحركات وهي العوامل الأساسية في نجاح عمليات العرب المسلمين.

٦ - الأمن، والاستطلاع :

- نفذت عمليات فتح أفريقية على مراحل متتابعة ، وكان يتم في كل مرحلة التوقف عند حدود معينة ثم تأتي المرحلة التالية لتحقيق مزيداً من منجزات الفتح . ولم يكن التوقف عند حدود المرحلة يعني الجمود والسكون وإنما يعني الاستعداد الدائم لمعارك مقبلة . فعندما توقفت عمليات عمرو بن العاص عند حدود « برقة » وتم تعيين عقبة بن نافع لقيادة الحامية المدافعة عند حدود مصر الغربية . كانت عقبة يراسل « المسلمين في جرائد الخيل » بهدف الإغارة على الحدود المجاورة وجمع المعلومات عنها وجاء عبد الله بن سرح فتابع تنفيذ الخطة ذاتها . حتى أصبحت سنة للقادة جميعاً .

- كانت الإغارات الاستطلاعية من أفضل الوسائل التي اتبعها العرب المسلمون لجمع المعلومات عن الأرض ، والعدو . ولكنهم لم يتوقفوا عندها فكانوا يستفيدون من البربر الذين حسن إسلامهم للحصول على المعلومات الدقيقة . لأكال صورة الموقف .

وهم أيضاً لم يتوقفوا عند هذه الحدود ، فكانوا يستخدمون كل وسيلة تبادلية من أجل تقاطع المعلومات وتأكيدها وذلك على نحو ما فعله حسان بن النعمان عندما كتب إلى خالد بن يزيد لموافاته بمعلومات دقيقة عن « الكاهنة » فكتب خالد رسالة وضعها في رغيف من الخبز وشواه فاحترقت الرسالة . فأرسل رسالة ثانية أودعها قربوس سرج المراسل . ووصلت المعلومات المطلوبة في الوقت المناسب مما ساعد حسان بن النعمان على توجيه قواته للقضاء على ثورة للكاهنة .

- وكانت المعلومات الدقيقة عن قوات الروم في قرطاجنة ومعرفة نقاط الضعف في التحصينات التي ساعدت حسان بن النعمان على تصفية مقاومة قرطاجنة وتدميرها بعد جلاء البيزنطيين عنها .

- كما كانت المعلومات الدقيقة عن الأرض، وطبيعة السكان، ومعرفة القبائل من أول العوامل التي ساعدت موسى بن نصير على التقدم حتى المغرب الأقصى وتحقيق الاستقرار في « أفريقية كلها » .

- وعلاوة على ذلك فقد كان أسلوب تنظيم القوات ودفع « المقدمات » امام الكتلة الرئيسية ، من جملة أساليب « الإستطلاع بالقوة » لجمع المعلومات وعدم تمكين العدو من مباغطة قوات العرب المسلمين في إقامتها وتحركها وخلال مسيرة عملياتها .

- لقد كان الاستطلاع وترتيبات الأمن عاملاً حاسماً فيما أحرزه العرب المسلمون من نجاحات في أعمالهم القتالية .

٧ - الحرب النفسية

- أتقن قادة العرب المسلمين أساليب الحرب النفسية ، وكان استخدامهم لهذه الأساليب بمهارة حتى أنهم استطاعوا الحفاظ على مضاء هذا السلاح ومغالبتة مع استمرار أعمالهم القتالية كلها . وكانت حروبهم النفسية رديفاً لقواتهم المسلحة ولم تكن بديلاً لها بمعنى أن الحرب النفسية كانت لديهم وسيلة وليست غاية. وان هذا الوضوح في استخدام أساليب الحرب النفسية يتوافق مع أحدث معطيات الحرب النفسية وتجاربها .

- تظهر التجربة الأولى للحرب النفسية بوضوح تام في حرب عبد الله بن سعد لجرجير ملك أفريقية في معركة « عقوبة » حيث أعلن جرجير « ان من يقتل عبد الله بن سعد سينجح مائة ألف دينار ويزوجه ابنته » فكان الرد الحاسم إعلان عبد الله [من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده] حتى صار جرجير أكثر خوفاً من عبد الله .

- وتظهر تجارب الحرب النفسية التالية فيما قام به عقبة بن نافع من أساليب قطع بعض أعضاء قادة المقاومة، أو من يحتمل لهم قيادة المقاومة، كجذع الأنف

وقطع الاصبع بهدف ردعهم عن التفكير في تنظيم الحرب ضد العرب المسلمين .
وكان الحافز الذي دفع عقبة لذلك هو كثرة ما شاهده من أعمال ارتداد افريقية
وتمردا فأراد بذلك استخدام الحرب النفسية كسلاح وقائي . وكان لهذا الأسلوب
اثر حاسم فيما حققه عقبة من نجاح في عملياته حتى وصل المحيط الأطلسي .

— وكان أسلوب الاحتفاظ بالرهائن — في بعض جوانبه — أسلوباً من أساليب
الحرب النفسية لردع قادة القبائل عن التمرد والاشتراك بالحرب ضد العرب
المسلمين .

— كما كان بناء القواعد المتقدمة ، وإقامة الحاميات ، في بعض جوانبه أيضاً ،
من أساليب الحرب النفسية التي أشعرت السكان ببقاء العرب واستمرار حكمهم
وعدم تراجعهم عما حققوه من فتوحات . وأن أعمال الفتوح ليست مجرد غزوة
عابرة أو إغارة مؤقتة وسريعة .

— لقد كان أسلوب قادة العرب المسلمين في حروبهم ، وفي وفائهم بالتزاماتهم
وفي عدم غدرهم بحلفائهم مقابل القسوة فيمن يغدر أو يخون الموائيق المعقودة
مع القادة ، هو حرب نفسية في مضمونه ، ذلك أن هذا الأسلوب قد جعل قاده
المقاومة يفكرون كثيراً قبل إعلان تمردهم لمعرفتهم بما ينتظرهم عند فشل ثورتهم ،
ولقد كان الصدق في الوعد والوعيد من أول أساليب الحرب النفسية لقادة العرب
المسلمين وأكثرها نجاحاً .

— كانت العمليات التي قام بها موسى بن نصير في أفريقية ، تطبيقاً عملياً
ناجحاً لتوافق الحرب النفسية مع حرب القوات المقاتلة ، وتتويجاً لتجارب الحرب
السابقة في أفريقية . ويعود الفضل فيما حققه موسى بن نصير من نجاحات
وانتصارات إلى أولئك القادة الذين خاضوا التجارب المتتابعة وحصلوا بنتيجتها
على خبرات كثيرة في طليعتها « استخدام الحرب النفسية » ضمن حدود مرسومة
وفي إطار واضح يحدد الهدف الذي تعمل القوات المقاتلة على إنجازه .

٨ - كفاءة القيادة :

- من الملاحظ نتيجة لتطور فن الحرب طوال عهد الفتوحات ، ظهور عدد من المعطيات التي أخذ القادة يلتزمون بها ومن بعض هذه المعطيات :

١ - ضرورة وجود القائد في المقدمة أثناء التقدم ومع المؤخرة ، الساعة ، أثناء الانسحاب او التراجع .

٢ - وجود القائد مع كتلة القوات الرئيسية عند توزيع القوات للقيام بواجبات مختلفة .

٣ - وجود عناصر قيادية ، تعاون القائد وتعمل معه بارتباط وثيق ، كهيئة أركان حرب .

٤ - الإعتماد على أسس ثابتة ، والأخذ بعوامل ، تقدير الموقف ، دراسة الأرض قبل اتخاذ القرار اللازم للعمليات ووضعه موضع التنفيذ .

٥ - الحفاظ على الروح المعنوية للمقاتلين .

- لقد اعتمد الخلفاء الراشدين على أصحاب السبق في الإسلام ولمن عرف عنهم البأس والقوة والقدرة القيادية فظهرت طبقة قيادية رائدة أثناء فتوح الشام والعراق وفارس ومصر ، ثم أخذ الخلفاء الأمويون بإعطاء أفضلية القيادة لمن والاهم وناصرهم وكان العنصر العربي هو العاضل الأساسي لإسناد المركز القيادي وعلى الرغم من ظهور أسماء غير عربية في تسلسل القيادات ، إلا أن الطابع الرئيسي للقيادة هو اعتماد العنصر العربي . وكان عامل الكفاءة القيادية هو الحاسم في تعيين القادة ، كقول يزيد بن معاوية عندما استشار أصحابه لتعيين وال على أفريقية [من لأمر مثل عقبة ؟]

وكقول عبد الملك بن مروان عند تعيين حسان بن النعمان لولاية أفريقية :

[ما أعلم أحداً أكفاً أفريقية من حسان بن النعمان القسائي ..]

- وان تعيين بعض الولاة على أساس الولاء يعتبر شذوذاً عن القاعدة واستثناء وليس أساساً لها .

- لقد أظهرت أعمال فتوح أفريقية طبقة قيادية على درجة الكفاءة استطاعت أن تمارس عملها بنجاح وفق التطورات التالية :

١ - زيادة حجم الوحدات المقاتلة ، وتضخم أعدادها على ما كانت عليه في بدايه الفتح .

٢ - وجود عناصر مختلفة ، والقدرة على التوفيق بينها ، العرب ، الصقالبة ، البربر .

٣ - ظهور زيادة حجم الامداد الإداري بسبب اتساع رقعة مسرح العمليات من جهة وزيادة حجم الوحدات المقاتلة من جهة أخرى .

٤ - معالجة الصعاب الخاصة بمسرح العمليات والقدرة على مجابهتها وإيجاد الحلول المناسبة لها .

- إن العودة إلى مسيرة العمليات القتالية في أفريقية بداية من هجوم عبد الله بن سعد بن أبي سرح عام ٢٥ هـ . ونهاية بالوصول للأطلسي واستقرار المسلمين فيها أيام موسى من نصير ٩٠ هـ ، تظهر القدرة القيادية وما تميز به القادة المتابعون من كفاءات قيادية عالية .

٩ - الروح المعنوية و ارادة النصر .

بين القيروان وآسفي على المحيط الأطلسي ما يزيد على ألف وخمسمائة كيلومتر . وطريق العودة يزيد على ذلك ، آلاف الكيلومترات سارها العرب المسلمون بقيادة عقبة بن نافع ثم بقيادة موسى بن نصير ، وقطعوا قبلها ما بين الشام والقيروان مسافات طويلة . ولم يكن طريق المسيرة مفروشا بالورود ، فقد تخللته معارك ضارية وأعمال قتال صعبه ، في الحر والبرد ، في السهول والصحارى والجبال ، وكانت معارك عنيدة مع مقاتلين أشداء ، وخصوم أقوياء يعرفون أرضهم ومناطق عملهم ورغم ذلك فقد حقق العرب المسلمون انتصارات رائعة انتهت بتحقيق الاستقرار ونشر الإسلام في ربوع أفريقية .

لم يكن عدد العرب المسلمين الذين أسهموا في فتوح المغرب كبيراً . ولم تكن الحاجة للطعام والشراب حافزهم لارتكاب الأخطار فقد كان لهم في سهول الشام والعراق ما يكفيهم مؤونة العيش برفاه لو كانت الدنيا هدفهم . كما لم تكن المغنم والمكاسب مبتغاهم ، فقد كان في البلاد التي فتحوها مغنم ومكاسب تزيد عن احتياجهم .

لقد جابه العرب المسلمون في فتح أفريقية نكسة بعد نكسة وقتل من القادة خيارهم ومن المقاتلين فرسانهم وعرف المقاتلون أن معارك أفريقية شديدة الوطأة ثقيلة الأعباء باهظة الثمن ورغم ذلك تابعوا عملياتهم معركة بعد معركة حتى تعرف أهل البلاد على حقيقة العرب المسلمين وأهدافهم وعند ذلك التحم سكان البلاد مع العرب المسلمين وكانت لهم معاً أيام خالدة أبد الدهر .

لقد كانت الروح المعنوية العالية هي العامل الأساسي والحاسم في انتصار العرب المسلمين وتحقيق ما كان يريده العرب المسلمون من فتوحاتهم .

— كانت حروب العالم القديم والحديث تهدف إلى زيادة السيطرة أو النزاع على مجال حيوي . ولهذا لم تترك وراءها سوى شواهد وآثار صامتة ضمنها التاريخ لتكون دليلاً على فشل كل أعمال الفتوحات المجردة من مثل أعلى .

— وكانت حروب العالم العربي — الإسلامي ذات مضمون انساني — حضاري ولهذا تركت من الآثار في النفوس والعقول ، في الافراد والمجتمعات ما بقي خالداً مع الدهر .

— كان الإيمان بالقضية ، قضية الأمة العربية الإسلامية ، وواجبها في نشر الرسالة في أنحاء العالم وتعريف الدنيا بها ، هو الحافز الأول والأخير لما قام به العرب المسلمون من فتوحات وما تحملوه من مشاق وما تكبدوه من جسام التضحيات ..

إن معارك أفريقية برهان واضح وأكيد على صلابة الانسان العربي وقوته

وشدة بأسه وإرادته الثابتة لكنها في الوقت ذاته برهان أيضاً على الروح المعنوية العالية التي تميز بها المقاتلون من العرب المسلمين .

١٠ - إقامة علاقات عامة جيدة

عندما توقف العرب المسلمون عن متابعة فتوحاتهم في أفريقية عام ٢١ هـ ، تابعوا اتصالاتهم مع زعماء قبائل البربر وأهل البلاد ، بهدف تعريفهم على الدين الاسلامي . ثم استؤنفت المعارك بعد ذلك وعقدت المعاهدات مع زعماء البلاد وشيوخ القبائل وكانت هذه المعاهدات تترك لأصحاب البلاد حرية العمل وتطبيق ما يريدونه من أعراف وعادات فكان من يدخل الاسلام يصبح له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين أما من رفض ذلك فعليه جزية معلومة له لقاء حماية المسلمين له . وكان انسحاب العرب المسلمين بعد عقد الاتفاقيات يشعر أهل البلاد أن فتوح العرب المسلمين ليس أكثر من غزوات هدفها الحصول على مغانم . ولذا كانت تتكرر أعمال التمرد ، وكان النفوذ البيزنطي عاملاً مساعداً على التحريض وقيام الثورات المضادة . مما دفع قادة العرب المسلمين على إقامة القواعد المتقدمة لتكون منارات فكرية إضافة إلى دورها العسكري . وقد عرف أهل البلاد تدريجياً حقيقة الدين الاسلامي . وتعرفوا على طبائع حاملي الرسالة وأخلاقهم فأخذت عرى التلاحم تتزايد وثوقاً مع الأيام حتى أصبح العرب والأفارقة نسيجاً واحداً من المستحيل تمزيقه .

— لقد أنشأ الرومان والبيزنطيون « الليات » على امتداد أفريقية وأقاموا فيها الحاميات لكن هذه الحاميات لم تلبث أن انهارت وتراجعت أمام المد العربي — الاسلامي ولم تترك من الآثار سوى شواهد عمرانية بين رمال الصحراء . ذلك أن الرومان وجند بيزنطة أقاموا على عزلة ولم يندمجوا مع السكان إلا في حدود ضيقة بينما تلاحم العرب مع سكان البلاد نتيجة لشعورهم بواجب تعريفهم على دينهم وأخذ دم المسلمين من عرب وأفارقة يمتزج برمال افريقية ليقم وحدة حقيقية ، ولم يلبث الأفارقة حتى اضطلموا بأنفسهم بحمل الرسالة وأسهموا الى

حد بعيد في نشر الاسلام وفتح الأندلس وحمايتها وتحقيق الاستقرار في افريقية ..
- لقد دخلت شعوب كثيرة في الدين الاسلامي كالأتراك والفرس والاكراة ،
وأسهمت هذه الشعوب بدورها في نشر الدين الاسلامي لكن تلاحم العرب مع
الأفارقة أخذ طابعاً خاصاً ، وقد يكون السبب في ذلك هو تقارب طبيعة
الشعبين وتماثل البيئة الجغرافية والاجتماعية وكونها - أيام نشر الرسالة - أقرب
الى البداوة في حياتها ومفاهيمها .

- كان بناء المجتمع العربي الإسلامي في افريقية شاقاً ، اعترضته هزات قوية
وعنيفة وسقط في افريقية آلاف الشهداء ، لكن تلك التضحيات والجهود لم
تذهب عبثاً ودونما فائدة ، بل إنها رسخت جذور البناء وأرست قواعده على
أسس ثابتة فارفع البناء متيناً لم تنجح كل الأعاصير والزوابع بعد ذلك على
زعزعته وإنما زادته قوة وثباتاً ..

- لم يقتصر بناء المجتمع الجديد في افريقية على اذابة الفوارق الاجتماعية وصهر
المجتمع الجديد في بوتقة واحدة ، كما أنه لم يقتصر على اقامة المدن وبناء العمران ،
أو التجنيد في جيش واحد أو اقامة قوات مسلحة مستقلة ، وإنما تجاوز ذلك
كله الى البنين الاقتصادي . ففي عهد حسان بن النعمان الفسائي - وفي الوقت
الذي كان فيه عبد الملك بن مروان يضع أساس الاستقلال النقدي للدولة العربية ،
ووضع نقود جديدة - كان حسان بن النعمان يستبدل النقود القوطية والنقود
البيزنطية بالدينار العربي ..

كانت النقود المتداولة في افريقية قوطية وبيزنطية وكانت تحمل رسم
ملوكهم وشعارات دولهم ، فكان الدينار القرطاجني يحمل على وجهه الاول
صورة القيصر وولي عهده أو القيصرة وبه من الكتابة اسم القيصر وألقابه ، وعلى
الوجه الثاني صليب في الوسط قائم على ثلاث درج ومكتوب على دائرته
باللاتينية ، ضرب هذا في افريقية ، مع ذكر السنة بحسب عقد ذات عشر سنوات
من اعتلاء ذلك القيصر حكم بلاده . وجاء حسان بن النعمان ف ضرب الدنانير

والدرام والفلوس وحذف من الصليب العمود الافقي وعوضه برسم الكرة في أعلى العمود الرأسي وحذف الدرج الأسفل من السلم ووضع صورتي عبد الملك ابن مروان والوليد بن عبد الملك ابنه وكتب حسان في سكتة باللغة اللاتينية كلمة التوحيد على النحو التالي :

في الوجه الاول : بسم الله الرحمن الإله الأوحد

IN- NADNIMISR - CUNDS IN NMINE - DOMI MISERI

وفي الوجه الثاني : وحده لا شريك ولا مثيل له

UNUS DEUS NISL SOCIUS ALIS SIMILLS

وكتب على هذا الوجه أيضاً : ضرب بافريقية في العشرة الثالثة (٨٨٥)

FE RIEI IN AFRICA IN DIETIOUE

— وكانت هذه الخطوة ، ضربة حاسمة للنفوذ البيزنطي في افريقية .

— وازدادة الى ذلك ، عمل حسان بن النعمان على تدوين الدواوين ، وانشاء

المدارس بيجوار كل مسجد وتقسيم الاراضي بين قبائل البربر ، والقيام بالخدمات العامة كفتح الطرق واصلاح القنوات للري ، وتنظيم اعمال الحراسة لحفظ الأمن وتنظيم الشؤون المالية للدولة .

— كان من نتيجة هذه الاجراءات وغيزها ، اقامة مجتمع جديد يختلف في جوهره ومظهره عن المجتمع السابق ، وقد اطمأن أهل افريقية الى المجتمع الجديد بعد أن عرفوه جيداً فأخذوا يتسابقون لبنائه والعمل فيه ودعمه يجهدهم كله .. وان الاحداث المتتالية التي جاءت بعد ذلك تثبت هذه الحقيقة وتؤكددها ..

١١ - دروس النكسات :

١ - في عام ٦٣٨ - ٦٨٣ م : استشهد عقبة بن نافع في معركة « نهوذة » ، وأثار « كسيلة » نيران الثورة المضادة وسيطر على افريقية وحدثت انتكاسة استمرت خمسة أعوام ..

- وقد يكون من السهل القاء اللوم على عقبة واتهامه بالتقصير في اتخاذ تدابير الأمن أو التهاون في جمع المعلومات عن خصومه أو الاستهتار في بقاءه مع مؤخرة قليلة لا تستطيع الدفاع عن نفسها مما انتهى إلى مأساة مدمرة تحت كل الجهود التي بذلها عقبة حتى وصل يمينه إلى المحيط ، لكن هذه الاتهامات تتداعى أمام بعض الحقائق ومنها أنه لا يجوز محاكمة «حادث تاريخي» في إطار زمني يختلف عن العصر الذي وقع فيه هذا الحادث ..

- لقد استطاع عقبة أن يقوم بهجوم كبير وصل به إلى المحيط على امتداد محور يزيد على ألفي كيلومتر .. ولم تكن القوات العربية الإسلامية في عندها كافية - دونما ريب - لاقامة حاميات مستقلة على امتداد محور العمليات .

ان الموارد الحياتية لجيش كبير ترهق سكان البلاد . وكان عقبة يوازن بين متطلبات الجيش وبين بناء المجتمع الجديد وبين تدابير الأمن . وان ايعازه الى قادته بالانطلاق في طريق العودة إلى القيروان على شكل مجموعات منفصلة هو برهان على أنه أراد التحرر من ثقل الذيل الإداري والوصول بسرعة إلى قاعدة عملياته مطمئناً في ذلك إلى ما أحرزه من انتصارات .

- ليس هناك ، سوى عدد قليل جداً من القادة ، الذين يستطيعون اتخاذ القرارات المناسبة في كل الظروف ، وان اتخاذ قرار ظهر خطأه عند التطبيق لا يقلل من أهمية النجاحات التي حققها عقبة في عملياته ، ولو لم تكن عمليات عقبة أكثر من غزوة استطلاعية بالقوة للمغرب كله لكفاها غزوة خالدة حققت الكثير من الفوائد التي جنى التابعون ثمارها .

- لقد اكتشف عقبة ، ان حرب الصحراء هي حرب شؤون إدارية بالدرجة الأولى وأن العامل الإداري هو العامل الحاسم في نجاح مماركه والمحافظة على قواته . وان قراره بتقسيم جيشه إلى مجموعات مستقلة هو برهان على عبقريته القتالية أكثر منه برهاناً على ايماله مبادئ « فن الحرب » . وان شواهد حرب الصحراء في الحرب العالمية الثانية برهان ثابت على صحة هذه النظرية حيث

كانت معارك رومل ومونتغمري معارك شؤون إدارية بالدرجة الأولى .
- تميزت أعمال عقبة بن نافع بترسيخ عدد من مبادئ فن الحرب - كالمباغتة -
والحشد والحرب النفسية والمحافظة على المبادأة ، والحفاظ على الروح المعنوية
للمقاتلين وتحديد المكان الصحيح للقائد في المعركة . وإن هذه المبادئ وظهرها
بشكل واضح هي برهان على أن عقبة لم يكن ليهمل مبدأ « المحافظة على الأمن ،
أو الاستطلاع . لكن عوامل مسرح العمليات فرضت ذاتها على مقرراته ،
وألزمته باتخاذ قرار كانت فيه نهايته المأساوية ، ولعل هناك خلل في أسلوب
معاملة عقبة « لكسيلة » واحتقاره له ، لكن عذر عقبة في ذلك انه انسان
يعيش انفعالات وأحاسيس مختلفة ، وكان غضبه على أبي المهاجر دينار سبباً في
انتقال النعمة إلى كسيلة مما حمل هذا على الثورة وعلان التمرد وتجريد القوات
لحرب العرب المسلمين والقضاء على عقبة في معركة « تهودة » .

٢ - وفي عام ٧١ هـ - ٦٩٠ م : استشهد زهير بن قيس البلوي « في برقة »
عند الاشتباك مع قوة انزال بحري وجهتها بيزنطة للقضاء على جيش العرب
المسلمين . وقامت « الكاهنة » بقيادة ثورة مضادة وحدثت انتكاسة كبيرة للمرة
الثانية استمرت ثلاثة أعوام حتى استطاع حسان بن النعمان الفسائي تصفية هذه
الثورة والقضاء على النفوذ البيزنطي ومهد السبيل لاستقرار العرب المسلمين في
عهد موسى بن نصير الذي أعقبه في ولاية افريقية ..

- قاد زهير بن قيس معركة « ممس » الخالدة وقضى على ثورة كسيلة ، ثم
توج عملياته بالتوغل في افريقية وفتح مدينة تونس .. ويظهر من ذلك أن زهير
قد احتل مكانته القيادية عن جدارة وكفاءة ، لكن الانزال البيزنطي المباغت
دفعه إلى التوجه على رأس قوة ضعيفة في اتجاه برقة على أمل أن تلحق به كتلة
القوات الرئيسية ، ووجد ذاته أمام موقف لا مجال للتردد فيه ، فقد استشارت
حميته العربية صرخات النساء والاطفال تحت ذل الجند البيزنطيين فصمم على
خوض معركة يائسة ، في ظروف غير متكافئة .

لقد خطط الروم لهذه الاغارة المباغتة ، وعملوا على الاعداد لها بدقة ، وتم تنفيذها بمهارة حيث كان جيش « افريقية » بعيداً ، ومن المحتمل ان تكون بعض المعلومات قد تسربت عن تحرك الاسطول البيزنطي مما حمل زهير على العودة بسرعة في اتجاه مصر ، لكن تسارع الاحداث لم يمكنه من اتخاذ الاجراءات الكفيلة باحباط العدوان فكانت نهايته الحتمية . ومرة أخرى قد يكون الحكم على زهير « بالفشل في القيادة » حكماً جائراً ذلك لأن هذه المحاكمة تفصل الحادث التاريخي عن « إطاره الزمني ».. فزهير بن قيس ، إنسان عربي ، عرف بالشجاعة ، والمروءة ، والنجدة ، ومن الصعب تصور زهير بن قيس يقف على رأس قوة صغيرة ويشهد بعينه ما يحدث للمسلمين ثم يبقى في موقف المتفرج ريثما تصل قواته الرئيسية دون أن يزج بنفسه في المعركة بصرف النظر عن كل تقدير للنتائج التي ستنتهي إليها المعركة ..

– كان هدف الروم من إغارتهم القضاء على جيش زهير ، وقام زهير بهجومه على غير استعداد مسبق ، وبذلك كان موت زهير والصحابة والتابعين ممن سقطوا في المعركة فداء ، حفظ لجيش العرب المسلمين كئلته الرئيسية ..

– أفاد قادة العرب المسلمين من هذه الانتكاسات بقدر ما أفادوا من تجاربهم الناجحة ، وكان تطوير القواعد المتقدمة ، وانشاء أسطول بحري خاص بافريقية وتدمير كل نفوذ لبيزنطة ، وتوثيق عرى التعاون مع اهل البلاد هي من بعض نتائج هذه للتجارب الفاشلة .. كما كان لهذه التجارب فوائدها على المدى البعيد ذلك انها أكسبت مقاتلي العرب المسلمين مزيداً من الخبرات والمعارف بطبيعة السكان والطبيعة الجغرافية للاقليم مما مهد السبيل أمام تحقيق استقرار دائم في افريقية ومرحلة للانتقال نحو عمليات أكثر توسعاً في آفاق جديدة .

قراءات

آ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح - القرشي العامري^(١)

٤٦ ق ٥ - ٣٦ هـ - ٥٧٧ - ٦٥٦ م

أرى الأمر لا يزداد إلا تفاقمًا وأنصارنا بالمكثتين قليل
وأسلمنا أهل المدينة، والهوى هوى أهل مصر، والدليل ذليل

من شعر ابن أبي سرح يوم حوصر الخليفة عثمان بن عفان

عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل
ابن عامر بن لؤي القرشي العامري ويكنى أبا يحيى، وأمه مهابة بنت جابر
الأشعري، أرضعت عثمان بن عفان فهو أخو عثمان بالرضاعة...

من أوائل المسلمين، ثم ارتد ورجع إلى مكة، فأهدر النبي دمه، مما دفعه
إلى الفرار يوم فتح المسلمون مكة، واللجوء إلى أخيه عثمان بن عفان، فتوسط
له عثمان عند الرسول الأعظم فعفى عنه..

- كان عبد الله قائدًا للميمنة أثناء تحرك عمرو بن العاص لفتح مصر، ثم
تولى صعيد مصر بعد فتحها في خلافة عمر بن الخطاب ثم حدث خلاف بينه
وبين عمرو بن العاص في بداية عهد خلافة عثمان بن عفان. فحسم الخليفة عثمان
ابن عفان الخلاف بعزل ابن العاص وتعيين ابن أبي سرح لولاية مصر
وخراجها..

.....
(١) أسد الغابة ٣ - ١٧٣ . الاستيعاب ٣ - ٩١٨ . سيرة ابن هشام ٤ - ٢٨ .
طبقات ابن سعد ٧ - ٤٩٦ . شذرات الذهب ١ - ٤٤ . تهذيب ابن عساكر ٧ - ٤٠٧ .

استأذن ابن أبي سرح الخليفة عثمان لغزو إفريقية فأذن له وأمره بجيش كبير فيه عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن جعفر ، والحسن والحسين ، لذلك سمي هذا الجيش « بجيش العبادة » .

— انطلق ابن أبي سرح بجيشه من منطقة الحشد في برقة حيث انضمت إليه حاميتها بقيادة عقبة بن نافع ، وقام بفتح طرابلس ثم حدثت معركة مع جرجير في عقوبة على مقربة من سبيلة ، وانتصر المسلمون بعد أن لحقت بهم قوات الدعم التي وجهها الخليفة عثمان ، ثم حاصر سبيلة ففتحها ووجه مجموعة قتالية إلى قفصة ففتحها ووجه مجموعة إلى حصن الأجم .

في سنة ٢٨ هـ : قاد عبد الله بن سعد الأسطول من مصر وقام بغزو قبرص .
في سنة ٣١ هـ : عقد عبد الله بن سعد صلحاً مع النوبة وأمن الحدود الجنوبية لمصر .

في سنة ٣٣ هـ : نقض أهل إفريقية العهد . فقام عبد الله بقيادة جيشه وأعاد فتح إفريقية .

في سنة ٣٤ هـ : غزا غزوة ذات الصواري ، وأظهر بطولة رائعة وقيادة ماهرة .

في سنة ٣٥ هـ : استدعاه الخليفة عثمان لاستشارته ، واستقل محمد بن أبي حذيفة بمصر .

في سنة ٣٦ هـ : وبعد مقتل عثمان ، عزل عبد الله بن سعد وعين قيس بن سعد ابن عبادة لولاية مصر .

وعاد عبد الله إلى عسقلان وتوفي فيها .

—*—

ب - معاوية بن حديج السكوني^(١)

٥٢ هـ - ٦٧٢ م

[... غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ...]

حديث شريف رواه معاوية بن حديج

معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيبة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر ابن أسامة بن سعد بن أشرس بن شبيب بن السَّكُونِ السَّكُونِي . يكنى أبا نعيم وقيل أبا عبد الرحمن .
وأمه كبشة بنت معدي كرب .

- كان ابن حديج في قوة جيش عمرو بن العاص لفتح مصر . وكان رسوله إلى الخليفة عمر بن الخطاب لإعلامه بفتح مصر والاسكندرية .

- وفي سنة ٣١ هـ : كان ابن حديج في القوة التي قادها عبد الله بن سعد ابن أبي سرح لفتح النوبة فذهبت عينه يوم دمقلة حيث وصف الشاعر العربي المعركة بقوله :

لم تر عيني مثل يوم دمقلة والخيل تعدو بالدروع مثقلة

- وفي سنة ٣٤ هـ : قاد معاوية مجموعة قتالية لفتح أفريقيا وذلك في ولاية عبد الله بن سعد لمصر وعهد الخليفة عثمان . وكان في هذه المجموعة القتالية جماعة من المهاجرين والأنصار ففتح ابن حديج مناطق واسعة وغنم غنائم عظيمة واتخذ القيروان قاعية له .

- وفي سنة ٤١ هـ : قاد مجموعة قتالية ومعه عبد الملك بن مروان وفتح بنزرت .

- وفي سنة ٤٥ هـ : قاد معاوية جيشاً قوته عشرة آلاف مقاتل فيهم عبد الله

.....
(١) اسد الغاية ٤/٣٨٤ . الاستيعاب ٣/١٤١٤ . البلاذري ٢٣٧/٢ . طبقات ابن سعد ٥٠٣-٥٠٤ . جذرات الذهب ١-٥٨ . تهذيب التهذيب ١٠-٢٠٤ .

ابن عمر بن الخطاب وجماعة من الصحابة والتابعين فنزل بقمونية وهزم جرجير ملك سبلة عند الأجم .

ثم وجه معاوية بن حديج قوة قتالية بقيادة عبد الله بن الزبير ففتح سوسة .
وجه مجموعة قتالية أخرى بقيادة ووقع بن ثابت الأنصاري لفتح جزيرة جربة القريبة من تونس .

وجه مجموعة ثالثة بقيادة عبد الملك بن مروان ففتح جلولا .
ثم استقر في جبل القرن وجعله قاعدة لعملياته . وبقي هناك ثلاث سنين ..
وكانت آخر غزوة له عام ٥٥٠ هـ .

- في سنة ٥٥٠ هـ : وجه معاوية بن حديج مجموعة قتالية لغزو أفريقية بقيادة عقبة بن نافع .

أما في مجال العمليات البحرية ، فقد وجه معاوية بن حديج حملتين بحريتين .

١ - حملة بقيادة عبد الله بن قيس قوتها مائتي مراكب لغزو صقلية سنة ٥٣٦ هـ .

٢ - حملة بقيادة عقبة بن نافع الفهري لغزو الروم وذلك عام ٥٤٦ هـ .

وفي عام ٥٥٢ هـ توفي في مصر ودفن فيها .

كان معاوية بن حديج عثمانياً ، مخلصاً ، قوي الإيمان ، صلب العقيدة ، مقاتلاً عنيداً وقائداً حكيماً .

ج - عقبة بن نافع الفهري^(١)

١ ق . ٥ - ٥٦٣ ، ٦٢١ م - ٦٨٣ م

[... اللهم اشهد اني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد

أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد احد من دونك ...]

عقبة بن نافع - قالها وقد وصل الاطلسي خلال تقدمه في المغرب .

عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الضرب بن الحارث

ابن فهر القرشي .

.....

(١) رياض النفوس ١-٤٥ . اسد الغابة ٣-٤٢٠ : الاستيعاب ٣-١٠٧٦ . فتوح مصر

والمغرب - ٢٦٢ . شذرات الذهب ١-٥٣ . الكامل : لابن الاثير ٣-١٨٤ .

— أمه سبية من « عَنَزَرَة » اسمها النابغة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ واشتراها الفاكهة بن المغيرة ثم اشتراها عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى نافع بن عبد القيس قبل أن تنتهي إلى العاص بن وائل . ولهذا فان عقبة بن نافع أخ عمرو ابن العاص لأمه .

نشأ عقبة في بيئة إسلامية وفي وسط حربي له القادة والريادة .

— في سنة ٢١ هـ : كان عقبة في جيش فتح مصر ، وكلفه عمرو بن العاص بفتح زويلة . وفي السنة ذاتها قاد عقبة مجموعة لفتح النوبة ، ثم تولى قيادة حامية برقة .

— سنة ٢٦ هـ : انضمت حاميته إلى جيش عبد الله بن سرح لفتح طرابلس . ثم عاد إلى برقة وبقي فيها .

— سنة ٣٩ هـ . قاد عقبة القوات المصرية لغزو الروم بحراً .

— سنة ٣٩ هـ : قاد عقبة الشاتية ومعه أهل مصر فشقى في بلاد الروم .

— سنة ٤١ هـ : أسند عمرو بن العاص قيادة القوات في أفريقية إلى عقبة فقاد قواته حتى (لوانة) وأصدر ابن العاص أوامره بضم (هواره) إلى عقبة بعد أن ارتد أهلها فأخضعها عقبة .

— سنة ٤٢ هـ : افتتح عقبة [غدامس] .

— سنة ٤٣ هـ : افتتح كوراً من السودان كما افتتح ودان للمرة الثانية سنة

٤٦ هـ ثم تابع إلى [جرمة] ومنها إلى [فزان] و [خاور] ثم فتح بلادكاوار ، ووصل حتى الأطلسي .

— سنة ٥٥ هـ : عين معاوية بن أبي سفيان مسلمة بن مخلد الأنصاري الحزرجي

لولاية مصر وأفريقيا فعين مسلمة أبا المهاجر دينار على أفريقية وقام أبو المهاجر دينار باعتقال عقبة وإلقائه في السجن .

— سنة ٦٢ هـ : أعاده يزيد لولاية أفريقية ، فعمل على إلقاء أبي المهاجر دينار

في السجن ، وعاود فتوحاته حتى أخضع كل المتمردين وخلال عودته اضطر

لتقسيم قواته وتوجيهها نحو القيروان على موجات متتابعة . وبقي مع المجموعة الأخيرة فباغتته قوة كبيرة من البربر في تهوذة بقيادة كسيلة فقاتل عقبة هذه القوة حتى قتل . وبدأت حركة تمرد استمرت خمسة أعوام ، وحتى أيام عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ هـ ، حيث تم إخضاع حركة التمرد .

د - أبو المهاجر دينار^(١)

٦٣٠٠٠ هـ - ٦٨٣٠٠٠ م

[ان ابا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا

كبير نيل ، فنحن نحب ان نكافئه ..]

قالها مسلمة بن مخلد عندما عزل عقبة وعين
ابا المهاجر لولاية أفريقية سنة ٥٥٥ هـ ٦٧٤ م

أبو المهاجر دينار بن دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري - من التابعين .
- في سنة ٥٥٥ هـ : أصدر معاوية بن أبي سفيان قراره بتعيين مسلمة بن مخلد الأنصاري لولاية مصر وأفريقية ، فعمل مسلمة على عزل عقبة بن نافع عن ولاية أفريقية وتعيين أبي المهاجر بدلاً منه فتوجه أبو المهاجر دينار إلى أفريقية وعزل عقبة وأساء معاملته وألقى به في السجن ، مما جعل عقبة يحقد عليه ويقول :
[اللهم لا تمنني حتى تمكنني من ابي المهاجر دينار بن دينار ..]

- بعد أن استقر الأمر لأبي المهاجر دينار وضع مخططه لتطهير المنطقة ما بين بنزرت وطنجة والقضاء على قوة الروم فيها بهدف تدمير كل جيوب الثورة المضادة وقطع كل اتصال مع الروم بهدف التأمر على العرب المسلمين .
- توجه أبو المهاجر بقواته إلى قرطاجنة ، وحاصرها طويلاً ثم فتحها صلحاً

(١) رياض الثقوس ١-١٩-٢١ . الاستقصاء ١٥١-٧١-٧٤ . فتوح البلدان - البلاذري ٢٣٠ .
فتوح مصر والمغرب ٢٦٥-٢٦٧ . النجوم الزاهرة ١-١٥٧ . الكامل : ابن الأثير ٣-١٨٤-٤٢٠ هـ .

على أساس اخلاء جزيرة شريك . وقد جعل أبو المهاجر من هذه الجزيرة قاعدة متقدمة وبذلك منع العدو من استخدامها وأفاد منها كنقطة مراقبة متقدمة .
- توجه أبو المهاجر بعد ذلك إلى (ميلة) الواقعة على بعد خمسين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من بحاية فحاصر حاميتها المكونة من الروم والبربر وفتحها . ثم جعلها قاعدة انطلاق لعملياته وأقام فيها مدة سنتين .

كان كسيلة بن لزم الأوربي زعيم قبيلة أوربة . فجمع قوات كبيرة لمقاومة الزحف الإسلامي ، وعلم بذلك أبو المهاجر ، فتوجه إلى قاعدته في تلمسان وبعد معركة عنيدة وحاسمة ، انتصر أبو المهاجر وأسر كسيلة فأحسن معاملته وقربه فتظاهر كسيلة بالاسلام واستقر الأمر للمسلمين فعاد أبو المهاجر إلى القيروان .
- في سنة ٦٢ هـ : أعاد يزيد عقبة بن نافع لولاية أفريقية ، فخرج عقبة من دمشق ووصل القيروان بسرعة ، وألقى القبض على أبي المهاجر وألقى به في السجن وأراد التوجه إلى طنجة فقال له أبو المهاجر : (ليس بطنجة عدو لك ، لأن الناس قد اسلموا وهذا رئيس البلاد - كسيلة - فابعث معه والياً ..) لكن عقبة لم يستمع لنصح أبي المهاجر وخرج بنفسه ، ومعه أبو المهاجر مكبلاً بالحديد . وأساء معاملته كسيلة ، فهرب هذا ، وجمع جيشاً كثيفاً هاجم به عقبة قرب تهودة وعند ذلك أطلق عقبة سراح أبي المهاجر وقال له : - (الحق بالقيروان : وقم بأمر المسلمين وأنا اغتنم الشهادة فأجابه أبو المهاجر وأنا اغتنم الشهادة مثلك) . فكسر كل واحد منها غمد سيفه ، وكسر المسلمون أعماد سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا سنة ٦٣ .

هـ - عبد الله بن الزبير بن العوام الأمدي - القرشي^(١)

١ - ٥٧٣ : ٦٢٢ - ٦٩٢ م

[ابشر ! لا تمسك النار أبداً . ويل لك

من الناس وويل للناس منك ..]

- قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبير

عندما شرب الدم الذي احتجم من الرسول -

- عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .
وأمه أساء بنت أبي بكر ، ذات النطاقين . وجدته لآبيه صفية بنت عبد
المطلب عمة رسول الله ﷺ وعمته أبيه خديجة بنت خويلد ، أم المؤمنين وخالته
عائشة أم المؤمنين ويكنى عبد الله ، أبا بكر وأبا خبيب « اسم أكبر أولاده » .
- ظهر طموحه وحبه للقيادة وشدة بأسه منذ نعومة أظفاره .

- فاشترك عبد الله مع أبيه في معركة اليرموك ، سنة ١٣ هـ .

- واشترك مع أبيه أيضاً في فتح مصر وكان من شهود عقد الصلح مع

المقوقس سنة ٢١ هـ .

- وعندما تم فتح ليبيا وجه عمرو بن العاص مجموعة قتالية بقيادة عبد الله
بن الزبير لفتح صبراتة . وأسرع عبد الله في سيره وقام بهجوم مباغت ونجح في
احتلال صبراتة .

- وكان مع قوة الدعم التي وجهها الخليفة عثمان لفتح أفريقية بقيادة عبد الله
ابن سرح . وعندما طال أمد الحصار اقترح عبد الله تقسيم قوة المسلمين إلى مجموعتين

.....

(١) اسد الغابة ٣ - ١٦١ - ١٦٣ . الاستيعاب ٣ - ٩٠٥ . تهذيب ابن عساكر

٧ - ٣٩٦ - ٤٢٣ . فتح مصر والمغرب ٢٤٦ - ٢٤٩ . الكامل لابن الأثير ٤ - ١٣٦ و ٥٨

تاريخ الطبري ٤ - ٣٨٥ و ٥ - ١٠ .

لتحقيق الإستمرار في القتال والحصول على « المباغنة » ونجح مخططه في تدمير قوة جرجير عامل الروم.

- وكان عبد الله بن الزبير الساعد الأمين لمعاوية بن حديج السكني في فتح أفريقية .

- وفي عام ٤٥ هـ : فتح عبد الله السوسة في أفريقية .

- وفي عام ٤٩ هـ : كان عبد الله في قوة غزو القسطنطينية .

- كان عبد الله أثيراً عند الخليفة الصديق أبي بكر . وكذلك كان شأنه مع

الخليفة عمر والخليفة عثمان ، ودافع عن الخليفة عثمان دفاع المستميت .

- اشترك في موقعة الجمل ، ثم اعتزل الخلاف بين علي ومعاوية . وعندما

استقر الأمر لمعاوية بايعه عبد الله فكان معاوية يستقبله بقوله [مرحباً بابن عمه رسول الله] .

- عرف عن عبد الله قوة الحجة وطلاقة اللسان .

- امتنع عبد الله عن بيعة يزيد . وقوي شأنه لا سيما بعد وفاة يزيد واختلاف

الأمر بعد معاوية بن يزيد . فبويغ لعبد الله في الحجاز والعراقين ومصر وأكثر

الشام وخراسان وأكثر السند وبقي حتى أيام عبد الملك بن مروان حيث ركز

عبد الملك قواته بقيادة الحجاج بن يوسف ، وقضى على ثورة عبد الله بن الزبير

الذي بقي يقاتل حتى قتل ، فما كان من الحجاج إلا أن أمر بصلبه .

و - بسر بن أرطاة العامري - القرشي .. (١)

٢ - ٨٦ هـ : ٦٢٣ - ٧٠٥ م

[... ان افرض لمن شهد بيعة الحديبية مائتين من الدنانير ، وأتمها

الخارجة بن حذافة لضيافته ولبسر بن أرطاة لشجاعته ..]

في كتاب الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص بعد فتح مصر .

بسر بن عمير « أبي أرطاة » بن عويمر بن عمران بن الخليس بن سيار بن نزار

(١) تهذيب ابن عساكر ٣ - ٢٢٠ . اسد الغابة ١ - ١٧٩ . الاستيعاب

١ - ١٥٧ - ١٦٠ . الولاة والقضاء ١٤ - ٢١ . تاريخ الطبري ٤ - ١٧٤ - ٢١٤ .

فتوح مصر والمغرب ٢٦٢ .

ابن معيصر بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر يكنى أبا عبد الرحمن .
- توجه بسر إلى مصر في قوة الزبير بن العوام لدعم عمرو بن العاص، وعندما
وصل عمرو في فتوحه إلى طرابلس وجه بسر ومعه مجموعة قتالية لفتح « ودان »
سنة ٢٣ هـ .

- وفي عام ٢٧ هـ : كان بسر في جيش العبادة لفتح أفريقية .
- وفي عام ٣٥ هـ : قفز محمد بن أبي حذيفة إلى السلطة في مصر . فتصدى
لمقاومته معاوية بن حديج وبسر بن أرطاة . وكان بسر أول من بايع معاوية بن
حديج على الثأر لعثمان .

- وفي عام ٣٦ هـ : وجه محمد بن أبي حذيفة جيشاً إلى « خربتنا » مقر شيعة
عثمان ، وحدثت معركة انتصر فيها أصحاب عثمان .

- وفي عام ٣٧ هـ : تولى قيس بن سعد ولاية مصر لعلي بن أبي طالب، فأكرم
قيس أنصار عثمان وكان ذلك سبباً في سخط علي وتعيين محمد بن أبي بكر
لولاية مصر .

- وفي عام ٣٧ هـ : التحق بسر بن أرطاة بالشام وانضم إلى معاوية بن أبي
سفيان في معركة صفين .

- في عام ٣٨ هـ : استشار معاوية بن أبي سفيان كلا من عمرو بن العاص
وبسر بن أرطاة ووجه رجاله في فتح مصر فأشاروا بذلك . فأرسل عمرو بن
العاص ، وفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر .

- في عام ٤٠ هـ : وجه معاوية مجموعة إلى الحجاز واليمن بقيادة بسر بن
أرطاة، فقتل بسر آلافاً ممن اشتركوا في مقتل عثمان وناصروا علياً بن أبي طالب .
- في عام ٤٣ هـ : غزا بسر بلاد الروم وشتى بأرضهم حتى وصل
القسطنطينية .

- في عام ٤٤ هـ : غزا بسر في البحر .
- في عام ٤٦ هـ : خرج إلى المغرب مع عقبة بن نافع ومعه شريك بن سمي
المرادي ..

- في عام ٥٠ هـ و ٥١ هـ : كان بسر على غازية الصيف وشاته عام ٥٢ هـ فتح « بجانة » بافريقية وهي تسمى « قلعة بسر » .
تولى بسر ولاية البصرة سنة ٤١ هـ كما ولي امارة اليمن . وكان عثمانياً صلباً ومقاتلاً عنيداً ، خرف في الأيام الأخيرة من عمره فكان يحمل سيفه ويسأل من يصادفه « أين شيخي عثمان » . فاستبدل له أهله سيفه بسيف خشبي حتى لا يؤذي أحداً ، ومات في أيام الوليد بن عبد الملك .

ز - زهير بن قيس البلوي^(١) ولقبه « ابا شداد »

١ - ٥٧١ - ٦٢١ - ٦٩٠ م

زهير بن قيس البلوي ، صحابي روى عن جماعة الصحابة وروى عنه جماعة من التابعين ومن أحاديثه أنه عندما حدثت الفتنة بين معاوية وعلي . خرج زهير مع عمرو بن العاص وذلك التزاماً بما سمعه من حديث عن علقمة بن رمية البلوي الذي قال :

(بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين ثم خرج رسول الله في سرية وخرجنا معه فنمس رسول الله ثم استيقظ فقال « رحم الله عمرو ، وأعادها ثلاث مرات فقال له الناس ما باله ؟ قال ذكرت أنني كنت إذا ندبت الناس إلى الصدقة جاء من الصدقة فأجزل فأقول له من أين لك هذا يا عمرو ؟ فيقول من عند الله ، وصدق عمرو ، ان لعمرو عند الله خيراً كثيراً » ! فلما كانت الفتنة قلت : أتبع هذا الذي قال رسول الله فيه ما قال :

- كان زهير بن قيس في جيش عمرو بن العاص عند فتح مصر .

- سنة ٦٢ هـ : كان زهير على مقدمة القوات عندما تقدم عقبة بن نافع حتى وصل المحيط ، ثم عاد حتى وصل القيروان .

(١) تهذيب ابن عساكر ٥ - ٣٩٣ . الاستقصاء ١ - ٨١ . التاريخ الكامل لابن الاثير ٤ - ٤٣ . وجاء في ابن عساكر انه قتل عام ٧٦ هـ ، وهو يخالف الواقع .

— سنة ٦٣ هـ : أراد زهير البقاء في القيروان بعد « استشهاد عقبة » في « تهودة » لكن بعض الصحابة وفي مقدمتهم حنش الصنعاني^(١) نصحوه بالتراجع ، وسبقوه اليه ، فاضطر إلى الانسحاب بمن معه حتى « برقة » وبقي فيها طوال خمسة أعوام .

— سنة ٦٩ هـ : وجهه عبد الملك بن مروان على رأس جيش كبير لإعادة فتح أفريقية ، وقاد زهير معركة حاسمة في « ممس » انتصر فيها على كسيلة .

— سنة ٧٠ هـ : قامت القوات البيزنطية بانزالها في « برقة » وعاد زهير بسرعة على رأس قوة صغيرة ، وخاض معركة يائسة ، استشهد فيها مع جميع أصحابه ..

ج - حسان بن النعمان الأزدي - الفسائي -^(٢) « الشيخ الأمين »

٨٨٧ ، ٠٠٠ : ٧١٥ ، ٠٠٠ م

[ليس مثلي يخون الله ولا الخليفة . ووالله
لا الي لبني أمية أبداً ..] حسان

الفسانة ، ملوك الشام « أبناء جفنة » هم أهل حسان ، منهم من أسلم ومنهم من بقي على ولائه لبيزنطة مثل جبلة بن الأيهم . فالتحقوا ببيزنطة بعد الفتح ، وكان حسان من التابعين ، روى عن الخليفة عمر بن الخطاب وكانت له مكانة مرموقة عند الأمويين خاصة وعند الناس عامة .

— سنة ٧٤ هـ : جهز عبد الملك بن مروان جيشاً كبيراً واستعمل عليهم وعلى

(١) تهذيب ابن عساكر ٥ - ٩ . الاستقصا ١ - ٧١ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٤ - ١٤٦ . الاستقصا ١ - ٨٢ . فتوح مصر والمغرب ٢٧٠ .

أفريقية حسان بن النعمان ، كانت قوة الجيش ٤٠٠٠٠ مقاتل ، وهو أكبر جيش خرج من الشام وكان ذلك بعد مقتل زهير بن قيس .

— سنة ٧٦ هـ : فتح حسان قرطاجنة « الفتح الأول » ، ثم أعاد فتحها في السنة ذاتها فهدم المسلمون ما أمكن منها . وتوجه بعدها لحرب الكاهنة فكانت هزيمته في معركة نيني ، وعاد إلى منطقة « قصور حسان » قريباً من « سرت » . حيث أقام لفترة خمسة أعوام .

— سنة ٧٨ هـ : قامت القوات البيزنطية بانزال في « قرطاجنة » واحتلتها وأعادت تحصينها ومكثت فيها حتى عام ٨١ هـ .

— سنة ٨١ هـ : انطلق حسان بهجوم حاسم فقضى على ثورة الكاهنة ثم قضى على قوة بيزنطة في قرطاجنة ودمرها واستخدم الاسطول للقضاء على قوة الروم في الجزر القريبة من سواحل أفريقية وتابع توجيه قواته حتى فرض سيطرته على أفريقية .

قام بالتخطيط لمدينة « تونس - تونس » وأشرف على بنائها .

سنة ٨٥ هـ : ولى عبد العزيز بن مروان عبداً له يقال له تليد « لولاية برقة » وكانت بها أشرف الناس « فكبرت عليهم إمامة تليد فاعتقه عبد العزيز ثم انه سأل حسان أن يترك ولاية « برقة » لتليد فلم يتركها له ، فعزله عبد العزيز ورجع حسان من مصر إلى الوليد بن عبد الملك الذي ولى الخلافة بعد أبيه عبد الملك سنة ٨٦ هـ . فشكى إليه ما صنع به عبد العزيز فغضب الوليد لذلك ، وقال حسان لمن معه « إئتوني بقرب الماء » ففرغ منها ما جاء به من الفضة والذهب والجوهر فقال له الوليد بن عبد الملك : جزاك الله خيراً يا حسان فأجابه حسان : يا أمير المؤمنين ، إنما خرجت مجاهداً في سبيل الله وليس مثلي يخون الله ولا الخليفة . فقال الوليد : (أنا أردك إلى عملك وأحسن إليك وأتوه بك) . فحلف حسان (لا ألي لبني أمية أبداً ..) وخرج في السنة التالية لغزو بلاد الروم ومات فيها .

قال أبو عتيك عندما جاء نبأ عزل حسان :

أقول لأصحابي عشية جامنا	بغير الذي تهوى البريد المبشر
ألا ما الذي قال ابن نعمان دوننا	فقال متاح الخير والخير يقدر
فقلت ولم أملك سوابق عبدة	فنعم الفتى المعزول والمتنظر
فان يك هذا الدهر جاء بعزله	عليه فان الدهر بالمرء يعثر

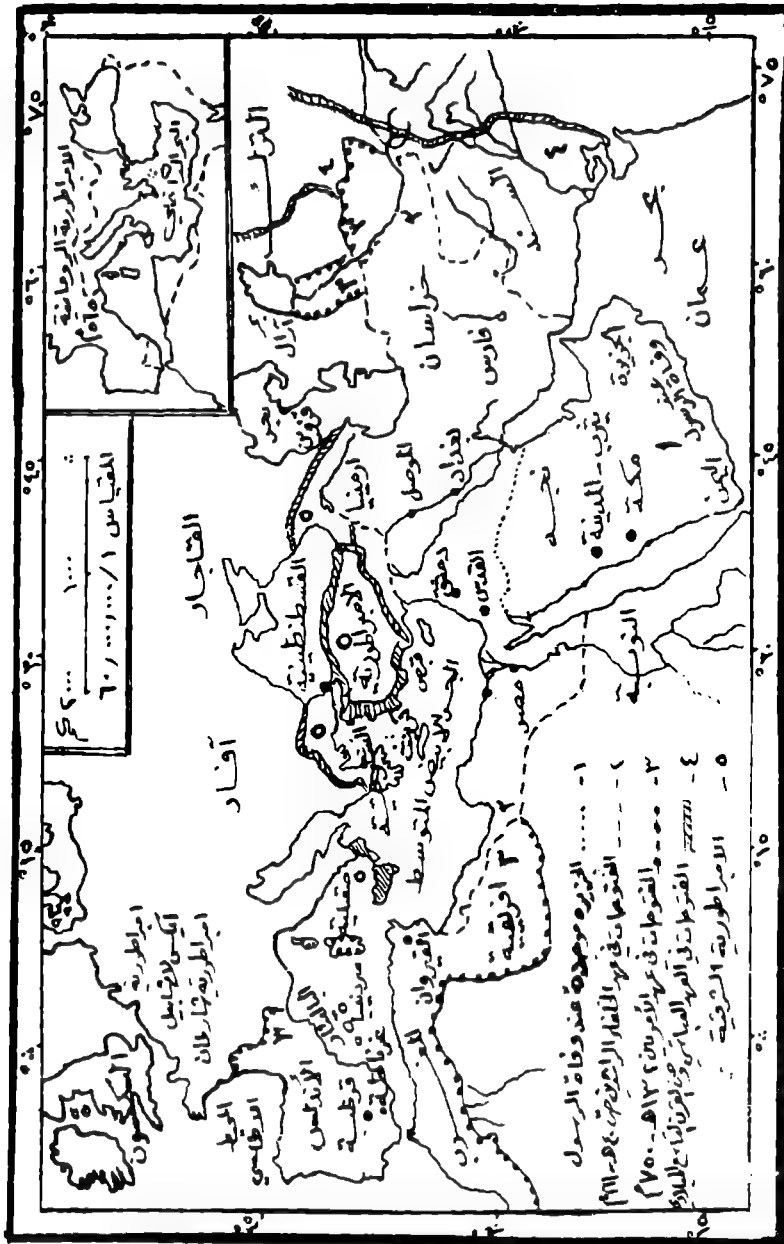
* * *

الطبيب الثالث

الفصل الأول

فتح الاندلس

- ١ - الموقع والطبيعة الجغرافية .
- ٢ - المعطيات البشرية .
- ٣ - المناخ .
- ٤ - الثروة الطبيعية .
- ٥ - الموقف عشية الفتح الاسلامي .
 - أ - التاج .
 - ب - السلك .
 - ج - علاقة السكان باليهود .
 - د - علاقة حاكم سبتة بملوك الأندلس .
 - هـ - الاسطورة في خدمة قضية الفتح .



مراحل الفتوحات العربية الإسلامية

فتح الاندلس

١ - الموقع ، والطبيعة الجغرافية

تقع شبه جزيرة ايبيريا « الأندلس » إلى الشمال من أفريقية ويفصلها عنها درب الزقاق « مضيق جبل طارق » كما يفصلها عن أوروبا سلسلة جبال اليرينة « البرانس » وتحتل الأندلس القسم الجنوبي الغربي من أوروبا وتغمرها مياه المحيط من الشمال الغربي وحتى الجنوب الغربي بينما تغمرها مياه البحر الأبيض المتوسط من الشرق وحتى الجنوب الشرقي .

- تبلغ مساحة الأندلس ٥٩٣٢٩٠ كم^٢ وهي تمتد بين خط طول ٣ شرق غرينيتش وحتى ٩ غربيه وبين ٣٦ و ٤٤ شمال خط الاستواء .

- ان متوسط ارتفاع سطح « الأندلس » يقارب ٧٠٠ م وتقطع هذا المسطح مجموعة من الجبال الفرانثية أو الكلسية ومنها : جبال كنتبريان وايبيريا وسييرا وايستريللا ومورينا ونيفادا . وتنحدر من سلاسل الجبال الينابيع التي تتجمع في أنهار يتجه بعضها غرباً حيث المحيط بينما يصب القسم الثاني في الشرق حيث البحر الأبيض المتوسط ومن هذه الأنهار : مينهو - ودورو والتاج والغايات وغادا الكيفير وجو كار .

٢ - المعطيات البشرية (١)

الايبيريون : هم أقدم سكان شبه جزيرة « ايبيريا » ، وهم السكان الأصليون

.....

(١) المرجع : تاريخ فن الحرب ، استروكوف وتاريخ جيوش العالم - المجلة العسكرية

١ و ٢ - ١٩٧٣ .

الذين أعطوا الجزيرة اسمهم خلال حقبة طويلة من الزمن . ثم جاء الفينيقيون واليونانيون فأسسوا لهم مستوطنات فوق المناطق الساحلية وجاء القرطاجيون فطوروا علاقاتهم التجارية مع العالم وجعلوا من جنوب الأندلس قاعدة لهم وذلك في القرن الخامس . وعندما ظهرت دولة الرومان وبدأت فتوحاتها ، احتلت الأندلس وقضت على قرطاجنة ، ١٤٦ ق.م .

وفي عام ٥١ ق.م : قاد يوليوس قيصر جيوشه في غاليا « فرنسا » وصرع كراسوس .

وفي عام ٤٩ ق.م : قضى يوليوس قيصر على النظام الجمهوري .

وفي عام ٤٥ ق.م : أرسل قيصر قائده ديوبوس إلى اسبانيا لتدمير آخر البومبيين .

في القرن الثالث الميلادي أخذت بعض الشعوب الجرمانية تنحدر من سهول الشمال الشرقي لأوروبا وعرفت هذه الشعوب بالقوط . وكان منهم قوط شرقيون ومنهم قوط غربيون عرفوا باسم « فيزيقوطيون » . وقد أقام « الفيزيقوطيون في ابليريا ، البانيا » وتحالفوا مع الرومان ثم جاء السطيليكون فحاربهم وهزمهم عام ٤٠٣ م فنزح هؤلاء نحو الجنوب واستقروا في اسبانيا . وفي عام ٤١٠ م احتل الأريك « روما » واستقر « التهولف » في بروفانسيا وبرشلونة وتولوز .

وفي عام ٤٣٩ م هزم فاليا الشعوب « السوفية والآلانيين والفاندال الذين تنسب اليهم شبه جزيرة ايبيريا فيقال « فاندالوسيون ، أندلسيون ، أندلوسيا ،

(٢) الآلانيين : ALAINS : شعوب برايرة ، اكتسحوا بلاد غاليا - فرنسا - ثم إبادهم الفيزيقوطيون في اسبانيا عام ٤٠٦ م .

الأندلس^(١) ، وهي التسمية التي اعتمدها العرب المسلمون في كتاباتهم .
لقد كانت الاندلس ، بحكم موقعها نقطة اتصال هامة بين أفريقيا واوربا
وكانت أرضها مهداً لامتزاج الشعوب واحتكاكهم عبر التاريخ .

٣ - المناخ

تتأثر الاندلس برياح الشمال الباردة ورياح الجنوب الدافئة لكن تأثير المحيط
الاطلسي والبحر الابيض المتوسط يعمل على تعديل المؤثرات فيجعل مناخ الاندلس
معتدلاً يختلف بصورة كبيرة عن الشمال البارد . ولعل هذا السبب هو الذي حل
سكان أوربا يعتبرون « الاندلس » قسماً من أفريقية أكثر منه قسماً متصلاً بأوربا .
وقد أعجب العرب المسلمون بمناخ الاندلس فجاء وصفه على السنتهم وفي كتاباتهم
التي نطالع فيها ما ذكره الرازي^(٢) :

[... الاندلس ، موصلة من البلدان ، كريمة البقعة بطيب الخلقة . طيبة
التربة ، مخصبة القاعة ، منبعجة العيون الثرار^(٣) . قليلة الهوام ، ذوات
السوم ، معتدلة الهواء أكثر الأزمان لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالأبدان ،

.....
(١) القائدال ، مثلهم مثل البورغونيون ، عرق جرمانى . هبطوا من الشمال الشرقى . وكانوا
قبل عام ٢٥٨ م بين نهر الفيتول والاوردر ثم انتقلوا الى سهل الدانوب . ووصلوا عام ٢٨٦ م
حتى مدينة « مايانس » وفي عام ٤٠٦ م عاثوا فساداً في بلاد التالين واقاموا في الاندلس . طردهم
الفيزيوطيون فنزحوا الى الجنوب وعبروا الى افريقية عام ٤٢٨ م ووصلوا قرطاجنة عام ٤٢٩ م
وقاموا بثورة ونهبوا روما عام ٤٥٥ م ثم اجتاحت مصر وغربوها . كما غربوها « ايطليريا -
البانيا » واليونان ، ودمرت مملكتهم من قبل القائد البيزنطى BEIZAIRE بيليزير ، قائد
الامبراطور جوستينيان عام ٥٣٤ م . وفي عام ٥٥٤ م استعادت الامبراطورية الشرقية « بيزنطة »
سيطرتها على الفيزيوطيين الذين حكموا الاندلس حتى عام ٧١١ م حيث اقتصر طارق بن
زياد في ممر كالكه XERES وبدأت سيطرة العرب المسلمين على الاندلس التي استمرت حتى
عام ١٤٩٢ حيث استطاع فرديناند وايزابيلا الاستيلاء على غرناطة .

(٢) نفح الطيب ٢٧٨/١ .

(٣) الثرار : جمع ثرة : غزيرة المياه .

وكذا سائر فصولها في أعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسط في الحال، وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لأن الساحل ونواحيه يبادر بباكورة كما أن الثغر وجهاته والجبال التي يخصصها برد الهواء وكثافة الجو تستأخر بما فيها من ذلك حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان فمادة الخيرات فيها متصلة كل أوان ...]

ويكمل أبو عامر السلمي الصورة فيقول :

[... الاندلس من الاقليم الشامي هو خير الأقاليم وأعدلها هواء وتراباً وأعذبها ماء وأطيبها هواء وحيواناً ونباتاً وهو أوسط الأقاليم وخير الأمور أوسطها ...]^(١)

ويقول أبو عبيد البكري:

[الأندلس ، شامية في طيبتها وهوانها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكاها ، اهوازية في عظم جبايتها ، سينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع مواصلها ...]^(٢)

٤ - الثروة الطبيعية :

— بلاد الاندلس غنية بثرواتها الطبيعية نتيجة لموقعها ولطبيعتها الجيولوجية ولقد وصف كتاب العرب المسلمين وشعراؤهم ومؤرخيهم وضع الاندلس حيث نطالع :

[... وحجر المغناطيس يوجد في كورة تدمير ، وحجر الشاذنة بجبال قرطبة كثير ويوجد حجر اللؤلؤ بمدينة برشلونة ، ويوجد المرجان بساحل بيرة ، ومعدن الذهب بنهر لاردة ويجمع أيضاً في ساحل « لأشبونة » لشبونة ومعدن الفضة في الاندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال جهة بيجانة ، وباقليم

(١) و (٢) نفح الطيب ٢٥٥/١ .

كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وبأشكونية معدن القصدير ومعدن الزئبق في جبال البرانس « البيرنة » وبجبال قرطبة توتياء ، ومعادن الشبوب والحديد والاندلس أكثر من أن تحصى^(١)

وقد أفاد العرب المسلمون من ثروات « الاندلس » المعدنية لصناعة الاسلحة وصك النقود ، وتطوير الاسلحة فنطالغ :

[... وأما آلات الحرب من القراس والرماح والسروج والألجم والفروع والمغامر فأكثرهم أهل الاندلس ، والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة ، وبرفيل « بوردو : BORDEAUX » آخر بلاد الاندلس من جهة الشمال والمشرق ، والقولاذ الذي في اشبيلية اليه النهاية]^(٢) .

وعن الثروة النباتية كتب العرب المسلمون :

[... وأما الثمار وأصناف الفواكه فالاندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز ويوجدان في الاقاليم الباردة ، ولا يعدم منها الا التمر ولها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السفري باشبيلية والتين الماقي والزبيب المنكبي والزبيب العسلي والرمان السفري والخنوخ والجوز واللوز ..]^(٣)

ومن خواص طلطيلة ان حنطتها لا تسوس ولا تتفجر على طول السنين ، والعنبر كثير ببحر الاندلس]^(٤) .

— كما كانت الثروة الحيوانية متوفرة بالاندلس بسبب غنى الطبيعة ووفرة الثروة النباتية ، وكثرة السهول والمراعي .

٥ - الموقف عشية الفتح الاسلامي :

استخدم الكتاب الاندلسيين ومؤرخوهم في تسجيل الاحداث تسلسلاً محدداً

(١) نفح الطيب ٢٨٣/١ . (٢) نفح الطيب ٧٠/٢ .

(٣) نفح الطيب ٦٦/٢ . (٤) نفح الطيب ٢٨٣/١ .

ومصطلحات معينة . ولايضاح ذلك نذكر هنا ما جاء في [المغرب في حلى
المغرب] ^(١) حول هذا الموضوع :

[... حضرة قرطبة احدى عرائس مملكتها وفي اصطلاح الكتاب للعروس

الكاملة الدنية ١ - منصة : وهي مختصة بما يتعلق بذكر المدينة في نفسها .

٢ - تاج : وهو يختص بالايالة السلطانية .

٣ - سلك : وهو يختص باصحاب دور الكلام من النشار

والنظام .

٣ - حلة : وهي مختصة باعلام العلماء والمصنفين الذين ليس لهم

نظم ولا نثر ولا يجب اهمال تراجمهم .

٥ - اهداب : وهي مختصة باصحاب فنون الهزل وما ينحو منحاه .

وهكذا ، فان التسلسل هو : المنصة ، التاج ، السلك ، الحلة ، الاهداب .

واحياء لهذه التسميات لا أكثر بسبب ارتباطها بتاريخ عزيز على النفس نأخذها

بها . وقد سبق معالجة المنصة تحت عنوان الطبيعة الجغرافية ، الموقع ، المعطيات

البشرية ، المناخ والثروة الطبيعية وتتابع الفصل وفق التسلسل اعلاه .

آ - التاج

كانت الاندلس تحت حكم القوط ، وكان من ملوكهم في الفترة الاخيرة الملك

فمبا VAMPA ٦٧٢-٦٨٠ م ثم تلاه إرفنج IRVING الذي تميز عهده بسن

تشريع خاص لاضطهاد اليهود ، ثم جاء الملك اخيكا EGICA وفي عهده دبر

يهود اسبانيا مؤامرة سنة ٦٩٤ م اقتضت وانتهت بالفشل وعندها بدأت أزمة

انتهت بحرب اهلية نتيجة لاقدام اخيكا على تعيين ابنه من بعده واسمه

WITIZA ، عرفه العرب المسلمون باسم غيطشة . وذلك دون الرجوع إلى

قانون الانتخابات . وتوفي اخيكا . وتسلم ابنه غيطشة السلطة وخرق قانون

.....

(١) المغرب في حلى المغرب . ٣٧/١ ونفع الطيب ٢٩٨/١ .

الانتخابات ولم يرجع الى النبلاء لأخدموا فقتهم متبعاً في ذلك سنة أبيه. وظهرت معارضة قوية ضده تزعمها رودريك^(١). وأخيراً ، عمل غيطشة على تخفيف قانون العقوبات ضد اليهود مما حل رجال الكنيسة على تأييد حركة المقاومة ودعمها فاضطر غيطشة الى تعيين ابنه اخيلا AQUILA ورزحت البلاد تحت وطأة الاضطراب والفوضى وامتنع عدد من النبلاء عن تأييد ملك « صغير في عمره » وأفاد رودريك من هذا الوضع فاستولى على السلطة بتأييد من الكنيسة وعدد من النبلاء وعند ذلك اخذ انصار الملك الشرعي بالاستقلال في اقاليمهم ولا سيما منها الاقاليم الشمالية مثل « جيلقية واشتوريش » حيث ناصبت رودريك العداء فوجه هذا جيشاً عام ٧٠٩ م نجح في تحطيم المقاومة ، فهرب قادة المقاومة الى سبتة ، وانضم بعضهم إلى جيش رودريك ، انتظاراً لفرصة أكثر ملاءمة .

— لقد اغتصب رودريك السلطة اغتصاباً ، ونهضت في وجهه حركات المقاومة فاضطر لاستخدام القوة والعنف حتى يسيطر على المملكة ، فانتهى ذلك الى خلق هوة صكبيوه بين جهاز الحكم وبين جماهير الشعب .

ب - السلك « ونعني به هنا السلك الكهنوتي » :

بعد نجاح القوط في طرد الفاندال واستقرار القوط في الاندلس واقامتهم دولة قوية ، اخذ الضعف والتخاذل يتسرب اليهم فقسم الاشراف ورجال الدين البلاد الى اقطاعات كبيرة وسكنوا القصور الفخمة وانصرفوا الى اللهو وماتت فيهم حمية آباؤهم الشجعان ، وتركوا الصناعة والزراعة في ايدي الأرقاء الذين كانوا يعيشون في ذل وضعة كما اثقلوا كاهل الطبقة الوسطى من الزراع والتجار بالضرائب .

(١) المسلمون في اسبانيا ، دوزي ٢٣١ ، وترجم العرب اسم رودريك بأشكال مختلفة فكان ادرينوق عند الطبري ٤/٢٤٥ وذريرق عند ابن الاثير ، الكامل ٤ - ٢١٣ ولزريق عند ابن خلدون ٤ - ١١٧ ، ولذريرق عند ابن الحكم (٢٣٩) وأدريرق عند اليعقوبي ٣-٢٩٠ .

وقد اتبع رجال الدين الذين كانوا يشيدون بالاخوة المسيحية بعد أن أثروا وملكوا الضياع الواسعة السياسة الموروثة وعاملوا عبيدهم وخولهم بالعسف كما كان يفعل أثرياء الرومان. وأغنياء القوط من بعدهم] وقد كسب رجال الدين لطاقتهم نفوذاً راجعاً في شؤون الدولة وجلس الاساقفة وكبار رجال الدين في المجالس الوطنية التي كانت تجتمع لاقرار الشؤون الهامة في الدولة والمصادقة على انتخاب الملك وادعت لنفسها الحق في عزله اذا ابى الأذعان لقراراتهم . واتخذ القسس من وراء هذه القوة التي وصلوا اليها سبيلاً لاضطهاد اليهود الذين كانوا طائفة كبيرة العدد في اسبانيا . وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من امتنع عن الدخول في المسيحية [(١) .

وكانت الطبقة الدنيا تشمل العبيد الذين انصرفوا إلى الزراعة . أما الطبقة الوسطى فقد كانت تلاقي من ضحك العيش شراً مما كان يلاقيه العبيد فكان يقع عليهم عبء الانفاق على الدولة ، فهم الذين يؤدون الضرائب ويجمعون الأموال للأغنياء مما جر إلى خراب هذه الطبقة وافلاسها (٢) .

هذا إلى ما أصاب الأندلس من بؤس وشقاء فقد قيل ان الوباء تفشى في سني ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ هـ حتى مات اكثر من نصف سكانها .

ج - علاقة السلك باليهود :

تعرض اليهود خلال تاريخهم الطويل لعدد من النكبات بسبب مواقفهم العدائية من الشعوب الاخرى مثل موقفهم في مصر وموقفهم من بابل وآشور وموقفهم من اليونان وموقفهم من فينيقيا ثم موقفهم من المسيحية وموقفهم من الرومان وكانت هذه المواقف العدائية تنتهي بهم دائماً للتشرد والاضطهاد والهجرة وقد تكون

(١) السيد توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام، ١٥٤ - ١٥٥ . من تاريخ الاسلام الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ - ٣٠٩ .

(٢) لينتول ، العرب في اسبانيا ، ترجمة علي الجارم ٥ - ٦ - ٨ .

ثورة باركوكبا عام ١٣٥ م. هي آخر ثوراتهم في فلسطين حيث شردهم الرومان بعد ذلك ولم يبق لهم وجود في فلسطين أو كيان فوق أراضيها . وقد أرغمت أعمال الاضطهاد اليهود على الهجرة إلى كل مكان في العالم فكان منهم اعداد كبيرة في الاسكندرية وفي الاندلس .

وقد جعل اليهود من الاندلس مقراً لتآمرهم ، مما حمل المسيحية على اضطهادهم ونطالع فيما كتبه دوزي ، المستشرق الهولاندي في الجزء الثاني من تاريخه للدولة الاسلامية في اسبانيا صورة عن العلاقة اليهودية - الاسبانية في عهد القوط .

[.. كان رجال الدين الكاثوليكي يرهقون اليهود عسفاً ويبالغون في ايذائهم] . وقال المؤرخ الفرنسي المشهور ، ميشليه ، [كان الناس في القرون الوسطى كلما سألوا : لماذا ينقلب هذا العالم جحيماً بينما يجب أن يكون المثل الأعلى في الفراديس تحت ظل الكنيسة ؟ فتجيبهم الكنيسة : «لأن هذا من غضب الله الذي يرى أن قتلة ربنا لا يزالوا وافرين ؟ » فبدأ اضطهاد الكنيسة لليهود عام ٦١٦ م أيام الملك Sisebut . وتقرر اعطاء اليهود مهلة سنة ليتنصروا فان لم يتنصروا خلال تلك السنة نفوا الى خارج الاندلس وضبطت املاكهم وجلد كل منهم مائة جلدة فتنصر منهم تسعون ألفاً من مجرد الرعب ولكن المتنصرين كما لا يخفى لبثوا يختنون أولادهم سراً ويدينون بدين موسى فقرّر جمع الاساقفة الرابع المنعقد في طليطلة تركهم أخيراً وشأنهم بشرط أن يسلموا أطفالهم لاجل تنشئتهم في النصرانية ، وفي المجمع السادس في طليطلة قرر الاساقفة ان لا يؤذن بمبايعة ملك الاندلس إلا على شرط انفاذ قرارات المجمع الاسقفية بحق اليهود ، وبرغم هذا كله بقي في تلك البلاد يهود كثيرون ، واستمر المسيحيون في تعذيبهم نحواً من ثمانين سنة إلى أن فرغت جعبة اسطبارهم فاجمعوا الثورة بمظاهرة يهود البربر في أفريقية ، ووعدهم هؤلاء بالاجازة الى الاندلس لاجل نجاتهم وكان ذلك في زمن الملك اخيكا EGICA الذي بلغه هذا الخبر فجمع الاساقفة وبعد ان استوثقوا من صحة الخبر قرروا استعباد اليهود

باجمهم وضبط جميع املاكهم ، ومن الغريب أنه قضى على بعض اليهود أن يكونوا عبيداً لمن كانوا عبيداً وتقرر ان يؤخذ لولادهم من بعد بلوغ من السابعة وينشأوا في النصرانية . ولم يكن يؤذن بزواج اليهودي من اليهودية بل كان لا بد لليهودية من أن تتزوج بعبد مسيحي ولا بد لليهودي بعد ان صار عبداً من أن يتزوج امة مسيحية . فلما جاء المسلمون وفتحوا اسبانية كانت اليهود هناك في أشد العذاب فحررهم المسلمون من الرق وتركوا لهم الحرية التامة بأن يمارسوا شعائر دينهم ، فتنشقوا نسيم الفرج فلذلك كانوا هم والارقاء ، وجميع الضعفاء من اعظم انصار الاسلام .. [١١]

علاقة حاكم سبتة بملوك الاندلس :

كان « يليان : JULIAN » ، ^(١) حاكماً عاماً على « ولاية طنجة » ، احدى الولايات السبعة الخاضعة للدولة البيزنطية . وقد بدأ يليان حكمه لهذه الولاية في سن مبكرة وأقام فيها مدة طويلة . فعرف جيداً أرض المغرب وتوثقت علاقته بمن جاوره من قبائل البربر واستطاع أن يكتسب صداقة البربر له حتى أصبح يعد نفسه واحداً منهم وقد اختلط الأمر على الناس فظنوه بربرياً .

في عام ٦٣ هـ - ٦٨٢ م وصلت قوات العرب المسلمين حتى المغرب الأقصى بقيادة عقبة بن نافع . وأصبحت ولاية « مورطانية » مهددة بالزوال . وفي الوقت ذاته كانت سيطرة العرب المسلمين على البحر الأبيض المتوسط تتزايد إحكاماً وقوة ووجد يليان انه اصبح معزولاً عن « بيزنطة » لا يستطيع توفير الدعم اللازم للمقاومة فتوجه نحو الاندلس القوطية يطلب دعمها ومساعدتها .

— ووجدت الاندلس في سبتة قاعدة متقدمة توفر لها الأمن وتحمي لها

(١) تاريخ غزوات العرب ، شبيب ارسلان ، - ٣٢ - .

(٢) ورد اسمه في كتب مؤرخي العرب بتحريف فكان يليان ، في البيان المغرب ٢ - ٦ ويوليان في ابن الاثير ٤ - ٢١٣ وإليان في صفة المغرب ١٠٤ - .

حدودها الجنوبية فاستجابت للطلب واسرعت بتقديم العون (واخذت السفن تختلف اليهم بالمسيرة والامداد من الأندلس من قبل ملكها غيطشة ، فهم يذبون عن سبته ذباً شديداً ويحمون بلادهم حماية تامة) مما ساعد على صمودها بوجه المسلمين الفاتحين (١) .

- في عام ٨٢ هـ - ٧٠١ م ، نجحت مؤامرة رودريك في انتزاع الملك واقصاء اخيلا غيطشة عن السلطة فالتجأ هذا الى حليفه يوليان ، وأقام في سبته ، ولم يكن باستطاعة يوليان التمرد على رودريك نظراً لوضعه الخاص في افريقية واضطر على ابقاء صلة طيبة مع حاكم الاندلس الجديد حتى وقعت الحادثة التي غيرت الموقف ويذكر المقرري هذه الحادثة على النحو التالي : (٢)

[... كان من سير اكابر المعجم بالاندلس وقوادهم ان يبعثوا اولادهم الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاط الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا بأدبه وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا انكح بعضهم بعضاً استنادافاً لأبائهم وحمل صدقاتهم وتولى تجهيز إناثهم الى ازواجهن فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل للنريق على سبته وكانت يومئذ في يد صاحب الاندلس واهلها على النصرانية ، ركب الطريقة بابنة له بارعة الجمال تحكرم عليه فلما صارت عند للنريق وقعت عينه عليها فأعجبته واحبها حباً شديداً ولم يملك نفسه حتى استكرهها وافتضحها فاحتالت حتى اعلمت اباهاً بذلك سرأ بمكاتبة خفية فأحفظه شأنها جداً واشتدت حميته وقال ودين المسيح لازيلن سلطاناه ولاحفرن تحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب في فتح الاندلس ...]

ثم ان « يليان » ركب بحر الزقاق من سبته في اصعب الاوقات في يناير

.....
(١) نفح الطيب ١ - ٢٣٤ وصفة جزيرة الاندلس ، بروفنسال .

(٢) نفح الطيب ١ - ٢٥٢ وفتوح مصر والمغرب ٢٧٧ فجر الاندلس ٥٩ - ٦٠ تاريخ

ابن خلدون ٤ - ١١٧ .

Enero « كانون الثاني » قلب الشتاء فصار بالاندلس وا قبل الى طليطلة نحو الملك لنريق فأنكر عليه مجيئه في مثل ذلك الوقت وسأله عما لديه ولم جاء في مثل وقته ؟ فذكر خيراً واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها الى رؤية ابنتها التي عنده وتمنيها لقامها قبل الموت والعاحا عليه في احضارها وانه احب اساعفا ورجا بلوغها امنيتها منه وسال الملك اخراجها اليه وتعجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل واجاز الجارية وتوثق منها بالكتمان عليه وافضل على ابيا فانقلب عنه وذكروا انما ودعه قال له لنريق [اذا قدمت علينا فاستفرو لنا من الشذائقات - الصقور - التي لم تزل تطرفنا بها فأنها آثر جوارحنا لدينا] فقال له : [ايها الملك وحق المسيح لئن بقيت لادخلن عليك شذائقات ما دخل عليك مثلها قط ..] . عرض له بالذي اضمره من السعي في ادخال رجال العرب عليه وهو لا يقطن .

ان ما سبق ذكره قد حمل بعض المؤرخين الى اعتبار عمليات فتح الاندلس من العمليات السهلة بهدف الاقلال من أهمية الجهد الذي بذله العرب المسلمون في اعمالهم القتالية . ونطالع فيما صكتبه كلود كاهن ، في تاريخ العرب والشعوب الاسلامية الفقرة التالية : ^(١)

[كانت اسبانيا تمتد خلف افريقية البربرية . وكان يكفي لبلوغها عبور مضيق ضيق . ولقد تداعى فيها حكم امرة الفيزيغوط بسبب الخلافات الداخلية وعداء سكان السواحل التي كانت تحتلها بيزنطة وبسبب مناهضة اليهود المضطهدين فيها ولهذا كله رأى والي افريقية انه من الممكن غزوها ، ولقد تم تعيين والي من قبل مصر التي كانت تشرف على افريقيه من الناحية الادارية فبدأ موسى بارسال طارق بن زياد مولاه البربري ، الذي ابهر في المكان الذي سمي بجبل طارق منذ ذلك الحين . واستطاع ان يهزم بسهولة الملك لنريق

(١) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ١ - ٤١ .

الذي سقط في ساحة المعركة . اما ما تبقى من القتال فكان اشبه بنزهة عسكرية اتاحت لطارق ان يطوف عبر اسبانيا كلها ..]

– والواقع ، ان هذه العوامل ، هي عوامل مساعدة لها وزنها ولكنها ليست العوامل كلها ، انها جزء فقط ، ولكن الجزء الاكثر اهمية هو مجموعة العوامل الاخرى ومنها :

- ١ – مهارة القيادة وكفاءتها .
 - ٢ – ايمان المقاتلين بالقضية التي يعملون لها ويقاتلون في سبيلها .
 - ٣ – استخدام اسس « فن الحرب » بمهارة .
- وهذا ما منطالعه في اعمال الفتح .

٥ – الاسطورة في خدمة قضية الفتح :

وأخيراً سبقت عملية الفتح العربي لاسبانيا ورافقتها مجموعة من الأساطير . وقد تكون هذه القصص والاساطير تعبيراً عن الحالة النفسية التي عاشها المواطنون الاسبان خلال هذه الحقبة التاريخية ورغبتهم في التخلص مما هم فيه من أوضاع سيئة وأملهم في أن يستطيع العرب المسلمون تحريرهم من واقعهم ومن بعض هذه القصص والاساطير :

- ١ – [كان في طليطلة دار ملك القوط بيت مغلق يحرسه قوم من ثقات القوط وكانت العادة انه اذا تولى من القوط ملك زاد على البيت قفلاً فلما تولى للثريق عزم على فتح الباب والاطلاع على ما بداخل هذا البيت فأعظم ذلك أكابره وتضرعوا اليه أن يكف عن ذلك فأبى وظن أنه بيت مال ففرض الأقفال عنه ودخله فأصابه فارغاً لا شيء فيه الا المائدة التي كانت تعرف بمائدة سليمان وتابوت عليه قفل فأمر بفتح التابوت فألقاه فارغاً ليس فيه غير شقة مدرجه قد صورت فيها صور العرب على الخيول وعليهم العمام متقلدي السيوف متنكببي القسي رافعي الرايات على الرماح وفي أعلاها كتابة بالعجمية فقرنت

فاذا هي (اذا كسرت هذه الاقفال من هذا البيت وفتح التابوت فظهر ما فيه من هذه الصورة فان الأمة المصورة فيه تغلب على الاندلس وتملكها) (١) .

٢ - ولما ركب طارق بن زياد البحر ، رأى وهو قائم النبي ﷺ وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فيقول له رسول الله : (يا طارق تقدم لشأنك) ونظر اليه وإلى أصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه . فهب من نومه مستبشراً ، وبشر أصحابه وثابت نفسه ببشراء ولم يشك في الظفر ، فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شائناً للغارة وأصاب عجوزاً من أهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل إلى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعته أنه ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها أن في كتفه الأيسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فأنت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفه على ما ذكرت فاستبشر بذلك ومن معه ، (٢) .

- كان طارق يشعر بثقل الواجب الملقى على عاتقه ويستلهم الايمان من نفسه معيناً وقوة لهجأة الصعاب المتوقعة .



.....
(١) نفح الطيب للمقري ١ - ٢٣١ ، ٢٣٥ . البيان المغرب ٢ - ٤ تاريخ افتتاح الاندلس ٣٢ - ٣٣ .

(٢) نفح الطيب للمقري ٢ - ١٢٩ ، ١٣٠ .

الطَّيْسُ الثَّالِثُ

الفصل الثاني

المرحلة الاولى من فتح الاندلس

- ١ - من العبور حتى معركة وادي لكّة ، « التمهيد للفتح »
- ٢ - الغزوات الاستطلاعية .
- ٣ - الانزال في الاندلس .
- ٤ - معركة وادي لكّة .
- ٥ - نتائج المعركة .
- ٦ - استثمار الظفر .

المرحلة الثانية من فتح الاندلس

- ١ - عمليات موسى بن نصير
- ٢ - فتح اشبيليا .
- ٣ - التوقف عند ماردة .
- ٤ - قمع حركة التمرد في اشبيليا .
- ٥ - معركة السواقي .

- ٦ - معاودة فتح طليطلة .
- ٧ - فتح سرقسطة وفتوح الشمال .
- ٨ - فتوح شمال غرب الاندلس « جيليقية » .
- ٩ - فتح عبد العزيز بن موسى في الاندلس .

قراءات

- ١ - موسى بن نصير اللخمي : ابو عبد الرحمن .
- ٢ - طارق بن زياد : الليثي .
- ٣ - مفيت الرومي بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم .
- ٤ - عبد العزيز بن موسى بن نصير .
- ٥ - نهاية موسى بن نصير .
- ٦ - مصير أولاد غيطشة بعد الفتح .

فتح الأندلس

جدول توقيت الاحداث

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
- تولي الوليد بن عبد الملك الخلافة ..	٧٠٥ م	٨٦ هـ
- تولي موسى بن نصير ولاية افريقية والمغرب .	٧٠٥ م	٨٦ هـ
- تحقيق الاستقرار في المغرب واحتلال جزيرتي مبرقة ومنورقة .	٧٠٧ م	٨٩ هـ
- غزوة استطلاعية للأندلس بقيادة طريف .	٧١٠ م	٩١ هـ
- عبور طارق بن زياد درب الزقاق « مضيق طارق » والانزال في الأندلس .	٧١١ م	٩٢ هـ
- عبور موسى بن نصير المضيق والانزال في الأندلس .	٧١٢ م	٩٣ هـ
- غزو قتيبة بن مسلم الباهلي سمرقند ، شرقاً وفتحها ..	٧١٢ م	٩٣ هـ
- معركة وادي لكة ونجاح طارق بن زياد بتمزيق جيش اللريق .	١٩ تموز ٧١١ م	٢٨ رمضان ٩٢ هـ
- موقعة « تمارس » ونجاح مروان بن موسى ابن نصير بقتل للدرقيق .	٧١٣ م	٩٤ هـ
- فتح غرب الأندلس « البرغال » بقيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير .	٧١٣ م	٩٤ هـ

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٨٩٦	٧١٥ م	- وفاة الوليد وتولي سليمان بن الوليد الخلافة .
٨٩٦	٧١٥ م	- قتيبة بن مسلم يقوم بفتح كاشغر، وغزو الصين.
٨٩٨	٧١٧ م	- حصار القسطنطينية وغزو جرجان وطبرستان في الشرق ..
٨٩٩	٧١٧ م	- وفاة سليمان بن الوليد وولاية عمر بن عبد العزيز الخلافة ..
١٠٠-١٠٢	٧١٨ - ٧١٩ م	- تعيين السمع بن مالك الخولاني لولاية الاندلس وتجاوزه البرانس واحتلال وادي الدون ، وتولوز ، ومقتل السمع وتراجع المسلمين حتى ناربون .
٨١٠١	٧١٨ م	- وفاة عمر بن عبد العزيز وولاية يزيد الثاني الخلافة.
١٠٧-١٠٣	٧٢١ - ٧٢٥ م	- تعيين عنيصة بن محم الكلي لولاية الاندلس واحتلال سبتمانيا وتقدم العرب المسلمين لحصار نيون، ثم مقتل عنيصة وتراجع المسلمين حتى ناربون .
٨١٠٥	٧٢٣ م	- وفاة يزيد الثاني وولاية هشام بن عبد الملك الخلافة ..
٨١٠٧	٧٢٥ م	- تعيين عبد الرحمن الغافقي لولاية الاندلس .
٨١١٤	٧٣٢ م	- موقعة «تور بواتيه» ، ومقتل عبد الرحمن الغافقي .
٨١٣٢	٧٥٠ م	- سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية في المشرق .
٨١٣٨	٧٥٥ م	- انتهاء عهد الولاة وقيام الدولة الاموية بالاندلس.

فتح الأندلس

١ - من العبور حتى معركة وادي لكة

[... ان الله ذوي لي الارض فرايت مشارقها
ومغاربها . ان ملك أمتي سيبلغ ما ذُوي لي
منها واعطيت الكنزين الأحمر والأبيض...]^(١)
حديث شريف

١ - التمهيد للفتح

عندما وصل عقبة بن نافع الى المغرب الاقصى عام ٦٢٢ هـ - ٦٨٢ م . ولقيه
عند وصوله طنجة بطريق من الروم اسمه يليان ، هو حاكم سبتة ، فأهدى له
هدية حسنة ونزل على حكمه وأراد عقبة فتح الأندلس فقال له يليان : أترك
كفار البربر خلفك وترمي بنفسك في مجبوحة الهلاك مع الفرنج ويقطع البحر
بينك وبين المدد^(٢) .

- هل كان يليان مخلصاً في نصحه أم أراد صرف عقبة عن الهدف الكبير
تنفيذاً لمخططه في البقاء حاكماً للقاعدة المتقدمة في الدفاع عن الأندلس...؟
مهما كان عليه الأمر فقد عاد عقبة من عملياته واستشهد في معركة تهودة
عند الزاب في عام ٦٣ هـ وتوقف مشروع فتح الأندلس .

.....
(١) حديث رواه مسلم وأحمد والنسائي ، في سنن أبي داود الجزء الرابع كتاب الفتن
والملاحم ٤٢٥٢ وفي مسلم الفتن وأشراف الساعة . باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببض ٢٨٨٩
ص ٢٢١٥ .
(٢) الكامل لابن الاثير ٤/٤٤ ، تاريخ المغرب الكبير ٤/٤٤ .

- وفي عام ٨٩ ، و ٩٠ هـ عاد المد العربي بقيادة موسى بن نصير فوصل المغرب الأقصى ولم يبق من قلاع المقاومة الحصينة سوى « سبتة » فوضع موسى حامية قوتها ١٩٠٠٠ تسعة عشر ألف مقاتل، من البربر بقيادة طارق بن زياد ، وذلك بهمة احكام الحصار على سبتة والتضييق عليها وارغامها على الاستسلام^(١). وكان طموح فتح الاندلس يراود نخيلة موسى ، لكنه أرجأ مشروعه الى حين وحتى سقوط سبتة .

- خلال هذه الفترة ، كان موسى يطور العمليات البحرية تنفيذاً لمشاريعه المقبلة فاهتم بممران مدينة تونس وتوسيع دار الصناعة فيها وشق القناة التي تصل الميناء بالمدينة وأمر بصناعة مائة مركب .

- قام أسطول افريقية بمجموعة من عمليات الانزال البحري في صقلية وسردينيا وانتهى باحتلال ميورقة ومنورقة من جزر الباليار سنة ٨٨٩ هـ. وبذلك أصبحت الحدود الشرقية للاندلس في حالة الفتح مأمونة ، كما اكتسب العرب المسلمون ثقة بقدرتهم على تنفيذ عمليات الانزال الكبرى .

- عاد « يوليان » الى سبتة وهو مصمم على الانتقام من « رودريك » - ومن المحتمل أن يكون الحافز الأقوى الذي دفعه هو ما شاهده من قوة العرب المسلمين وتصميمهم على تحقيق أهدافهم خلال حصارهم لمدينته فقرر كسب الوقت واغتنام الفرصة والعمل مع الجانب الرابع فقرر الانضمام الى العرب المسلمين . كما انه من المرجح ان يكون اتصال يوليان قد تم بعد هزيمة حزب اخيلا في شمال الاندلس والتجاء قادة المقاومة الى يوليان في سبتة وتحريضه على الانتصار بالعرب المسلمين بقيادة طارق بن زياد الذي وجهه الى موسى بن نصير .

اتصل يوليان بموسى بن نصير وعرض عليه مشروعه لفتح الاندلس ووصف له حسناتها وفضلها وما جمعت من أسباب المنافع وأنواع المرافق وطيب المزارع

.....
(١) نفح الطيب ٢٢٤/١ .

وكثرة الثمار وثرارة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك حال رجالها ووصفهم
بضعف البأس وقلة الغناء^(١) .

- لم يكن باستطاعة موسى بن نصير تنفيذ هذا المشروع قبل العودة الى أمير
المؤمنين في دمشق ، فكتب الى الوليد بن عبد الملك يطرح عليه الموقف ويخبره
بتحول « يوليان » ووقوفه الى جانب العرب المسلمين ويستأذنه في عبور المضيق
والانزال في الاندلس ، فكتب اليه الوليد :

[.. خضنها بالسرايا حتى تختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد
الاهوال ...] .

فراجعناه ليس ببحر زخار وانما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه فكتب اليه :
[.. وان كان ، فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه ...]^(٢) .
- وبدأ موسى في العمل .

٢ - الفزوات الاستطلاعية :

١ - لم يكن باستطاعة موسى بن نصير وهو القائد الذي اكسبته التجارب
خبرة طويلة ان يقبل بسهولة ما عرضه عليه يوليان ، وأراد أن يضع ولاءه موضع
التجربة فكلفه بالقيام باغارة استطلاعية والاتصال بجلفائه من أهل البلاد ويذكر
المقرى هذه الاغارة فيقول :

[... اخذ «موسى» بالحزم فيما دعاه اليه يوليان ، فعاقده على الانحراف
الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل ملته من الاندلس المشركين

.....

(١) نفح الطيب ٢٥٤/١ ويذكر ابن الاثير ٢١٣/٤ . والبيان المغرب ٦/٢ ان هذا اللقاء
قد تم على متن سفينة في البحر .

(٢) نفح الطيب ٢٥٤/١ وجاء في البيان المغرب ٦/٢ ان موسى استشار الوليد اما مراسلة
واما نهض بنفسه اليه ... والاحتمال الاكثر هو ان عملية الاستشارة قد تمت بالمراسلة نظراً لما
كان يضطلع به موسى من مسؤوليات جسام .

والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل يوليان ذلك وجمع جمعا من اهل عمله فدخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فاغار وقتل وسبى وغنم وأقام بها اياما ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فانسوا بيوليان واطمانوا اليه ... [(١)] .

٢ - بعث موسى بعد ذلك رجلا من مواليه من البرابرة اسمه طريف في اربعمائة رجل معهم مائة فرس ، سار بهم في اربعة مراكز فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التي اصبحت فيما بعد معبرا للسفن تضم داراً لصناعة المراكب . وحملت الجزيرة منذ ذلك الحين اسم جزيرة « طريف » . وأقام بالجزيرة اياما ثم مضى حتى اغار على الاندلس فأصاب سبياً لم ير موسى ولا اصحابه مثله حسناً ومالاً جسيماً وذلك في شهر رمضان من عام ٩١ هـ (٢) .

٣ - قام « أبو زرعة » وهو شيخ من البرابرة بعد ذلك بغزوة قوتها ألف رجل ونزلت قوة الاغارة بالجزيرة الخضراء وكان أهلها قد تفرقوا عنها، فصرموا عامتها بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة وأصابوا سبياً يسيراً وقتلوا وانصرقوا سالمين وهناك من يضع من المؤرخين الغزوتين فيجعلها غزوة واحدة بسبب لقب طريف « بأبي زرعة » وبسبب قرب تاريخ تنفيذ الاغارتين الاستطلاعيتين بعضهما من بعض .

- توفرت المعلومات عن وضع الجزيرة ، واتخذ موسى قراره بتنفيذ العملية وأصدر اوامره إلى طارق بن زياد بالعبور في رجب ٩٢ هـ ، نيسان - ابريل ٧١١ م . والتوقف عند حدود قرطبة (٣) .

(١) و (٢) نفح الطيب ١ / ٢٥٤ .

(٣) البيان المغرب ٣ / ١٨ - ١٩ .

٣ - الانزال في الاندلس .

- قاد طارق بن زياد جيشه المكون من سبعة آلاف مقاتل . وبدأت عملية العبور من سبتة تباعاً في سفن يليان ونزل بالبقة الصخرية المقابلة التي عرفت منذ ذلك اليوم باسم جبل طارق . ثم توقف فيها حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل . وانطلق طارق لدعم رأس الجسر وتوسيعه حتى اكمل فتح الجزيرة الخضراء ^(١) الى البحيرة .

- عندما حدث انزال قوات العرب المسلمين في جنوب الاندلس . كان رودريك يقود جيشه ويقاثل البشكنش في أرض بنبلونة ^(٢) وكانوا انصاراً لأخيلا . - علم رودريك بأمر الانزال وعرف أن يليان يعمل مع قوات العرب المسلمين حليفاً لهم . (فمظم عليه الأمر وأقبل مبادراً للفتق في جموعه حتى وصل مدينة قرطبة من الموسطة « المتوسطة » ونزل القصر المدعو بها ببلاط « لذريق » وبقي فيها إياماً والحشود من اعماله تتوافى اليه) ^(٣) .

- كان اخيلا غيطشة قد هلك ، وكانت زوجته قد ضبقت لاولادها ملك والدم بطليطة . فلما اقتحم طارق الاندلس استنفر رودريك اجناد اهل الاندلس . وكتب الى اولاد غيطشة يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب

.....

(١) الجزيرة الخضراء ، مدينة أمام سبتة من بر الاندلس الجنوبي ، وهي من أرشق المدن وأطيبها وأرقها بأهلها وأجمعها لخير البر والبحر وقرب المنافع من كل جهة ، توسطت مدن السواحل واشرفت بسورها على البحر ومرساها أحسن المراسى للجواز « العبور » وأرضها ارض زرع وضرع ونتاج . وعندما يخرج الانسان من بابها يجد المياه الجارية والبساتين النضرة ونهرها يعرف بوادي المل ومن متنزهاتها النقا ، التفاصيل المغرب في حلى المغرب ١/٢٢٠ وتقويم البلدان ١٧٣ .

(٢) البشكنش قوم كانوا يسكنون في جبال البرانس « البيرينة » منطقة الباسك LE BASQUES مركزها حالياً PAU ، جنوب فرنسا « المؤلف » .

(٣) نفع الطيب ١/٢٥٠ .

ويحذروهم من القعود عنه ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يداً واحدة . وكان أولاد غبطة قد ترعرعوا وركبوا الخيل واتخذوا الرجال فعندما وصلتهم دعوة «رودريك» لم يجدوا بداً من تلبيتها وحشدوا قوتهم وقدموا عليه بقرطبة ونزلوا اكناف قرية شقندة^(١) بعدوة نهرها قبالة القصر ، ولم يطمئنا الى الدخول على رودريك أخذاً بالحزم الى ان استتب جهاز «رودريك» وخرج فانضموا اليه ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه^(٢) .

علم طارق ان عسكر رودريك في نحو اربعين الف ذوي عدة وعدده ، فكتب الى موسى يستعده ويعرفه انه فتح الجزيرة الخضراء وملك المجاز اليها واستولى على اعمالها الى البحيرة ، وان رودريك زاحف اليه بما لا قبل له به - وكان موسى منذ وجه طارقاً لوجهه قد اخذ في عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة فحمل الى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مدداً كملت بهم عدة من معه اثني عشر الفا ، حرصاً على اللقاء ومعهم بليان المستأمن اليهم في رجاله واهل عمله يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار .. واقبل نحوهم لذريق في جموع المعجم وملكها وفرسانها^(٣) ..

٤ - معركة وادي لكة : XERES

التقى الطرفان يوم الاحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢ هـ - ١٩ تموز - يوليو ٧١١ م

(١) شقندة : كانت في قديم الزمان مدينة ، ثم خربت وصارت قرية وهي مطلة على قرطبة مجاورة لها ، المغرب في حلى المغرب ٢١٣/١ .
(٢) و (٣) نفع الطيب ٢٥٨/١ . وفيه ايضاً :
() وقال اولاد غبطة ، بعضهم لبعض ... ان هذا ابن الحبيشة قد غلب على سلطانتنا وليس من اهلنا وانما كان من اتباعنا فلننا نعدم من سيرته خيلاً في أمرنا وهؤلاء القوم للطارقون لا حاجة لهم في استيطان بلدة ، وانما مرادهم ان يملأوا ايديهم من الفنائم ثم يخرجوا عنا فاهل فلتنهزم يا ابن الحبيشة اذا نحن لقينا القوم لعلمهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا من يستعقه فأجمعوا على ذلك ...) . وهناك بعض المصادر تذكر ان قوة القوط مائة الف ، وهو مبالغ فيه .

وبدأت المعركة على نحو ما كان اسلوب القتال متبعاً ، واخذ الجند يتقاذفون بالسهم . في الوقت الذي كان فيه كل طرف يستطلع خصمه لمعرفة نقاط ضعفه .

– حشد القادة قواتهم في – وادي لكه – قرب مدينة شذونة (١) حيث البحيرة – واخذت الاشتباكات في تصاعد حتى تحولت الى قتال شديد .

– ارسل رودريك – علجاً – من اصحابه قد عرف نجدته ووثق ببأسه ليشرف على عسكر طارق – ويعرف مقدار قوته ونقاط ضعفه فأقبل ذلك العلاج حتى اطلع على العسكر ثم شد في وجوه من استشفه من المسلمين فوثبوا اليه فولى منصرفاً راكضاً ، وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق : [انتك الصور التي كشف لك عنها التابوت – في دار الحكمة – فخذ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت او اصابة ما تحت قدميك – قد حرقوا مراكبهم اياساً لأنفسهم من التعلق بها وصفوا في السهل موطنين انفسهم على الثبات اذ ليس لهم في ارضنا مهرب .. فرعب وتضاعف جزعه ..

– في هذا الوقت ارسل اولاد غيطشة الى طارق يعلمونه ان رودريك كان تابعاً وخادماً لأبيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وانهم غير تاركي حقهم لديه ويسألونه الأمان على ان يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وان يسلم اليهم اذا ظفر ضياع والدهم بالاندلس كلها وكانت ثلاثة آلاف ضيعة ، نفائس مختاره وهي التي سميت بعد ذلك « صفايا الملوك » . فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه ، وكان « رودريك » قد عين ولدي غيطشه . ارطباس والمند ، لقياده ميمنة جيشه وميسرته . وكان لها تأثير قوي على اتباعهما ..

(٤) شذونة : هناك مدينة شذونة « وكورة شذونة » والمدينة ، من مدن الاندلس المليحة ظاهراً وباطناً ، في نهاية العارة وكثرة الارزاق من متفرجاتها الجانة وفيها نهر لك وهو نهر مستحسن عليه بساتين ومناظر ملاح اما الكورة – الناحية او القصة – فهي من كور اشبيلية واجلها محراثاً وشجرة ومياهاً وضياعاً وما شبه ، الى جانب المحيط ، المغرب في حلى المغرب ٣٠١/١ – ٣٠٢ ، معجم البلدان ٢٤٤ / ٥ .

— كان ميزان القوى في صالح رودريك ، فوقف في ساحة المعركة على سريره محمولا على دابتين وعليه مظلة مكلفة بالدر والياقوت والزبرجد تحف به البنور والأعلام وبين يديه جنده الكثيف من العبيد والمستضعفين الذين ينقصهم الإيمان . . واقبل طارق في بساطته يحف به اصحابه الذين عمر الإيمان قلوبهم وعليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم وبأيديهم القسي الغربية وقد امتشقوا السيوف وتقلدوا الرماح —

— شعر جند طارق بالرهبة نتيجة لتفوق عدوهم ، فوقف طارق يستحث جنده ويستثير حماسهم فقال لهم : ^(١)

[. ايها الناس ! اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعو امامكم وليس لكم والله الا الصلح والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الأيتام في مأدبة اللنام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدي عدوكم . وإن امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امراً ، ذهب ربحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة بمناجزة هذا الطاغية ، فقد اقلت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت . واني لم أحذركم امراً انا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة ارض خص متاع فيها النفوس الا وانا ابدأ بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألد طويلاً . وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من المحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان - الذهب - المتصورات في قصور الملوك ذي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عرباناً ورضيكم ملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً ليكون حفظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته

(١) نفح الطيب ٢٤١/١ .

وأظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مفتعاً خالصة لكم من دونه ومن دوت المؤمنين سواكم والله تعالى وليّ انجادكم على ما يكون لكم ذخراً في الدارين واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم للنريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم امره ولم يعوذكم بطلٌ عاقل تسندون اموركهم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بانفسكم عليه ، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون ...] .

- نظم طارق جيشه بحيث استند الى بحيرة خاندا التي تمتد كيلومترات عديدة والتي يصب بها نهر برباط . كما استند بجناحه الآخر الى المرتفعات الجبلية « ريتين » وامضى وقته في التنظيم للمعركة وحشد قواته ومعالجة الروح المعنوية ، وبات المقاتلون ليلتهم في حرس الى الصبح حيث بدأت المعركة الحاسمة واقتتل الطرفان قتالاً شديداً حتى انهزمت ميمنة رودريك وميسرته ، وثبت القلب بعدها قليلاً ، وعذر رودريك اهله بشيء من قتال ثم انهزموا ورودريك امامهم وأذرع المسلمون القتل فيهم . ولم تغرب شمس يوم ٥ شوال سنة ٩٢ هـ ٢٧ تموز - يوليو - ٧١١ م حتى كانت طلائع قوات العرب المسلمين ومفارز فرسانهم الخفيفة تطارد فلول القوات القوطية المنهزمة . وانتهت المعركة بعد ثمانية أيام من القتال العنيد الذي صمم فيه كل طرف على انتزاع النصر ، وكان تصميم العرب المسلمين هو الأقوى .

٥ - نتائج المعركة

- احدث انتصار العرب المسلمين في وادي لكّة هزة قوية في العالم القديم . وكان له اثر كبير على مسيرة العمليات ومن هذه النتائج :

١ - انفتاح شبه جزيرة ايبيريا امام العرب المسلمين بعد تحطيم قوة جيش القوط وانزال الحسائر الفادحة في تعدادهم حيث قتل منهم « خلق عظيم » اقامت

عظامهم بعد ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الأرض . (وان انتصار المسلمين في وادي لكه القى باسبانيا كلها في ايدي المسلمين ولم يكن طارق بحاجة الا الى قليل من الجهد ليقضي على المقاومة الضئيلة في بعض المدن ..) (١)

٢ - حصل العرب من الغنائم على اعداد كبرى من الخيول كانت كافية لمهلهم جميعاً فلم يبق بينهم راجلاً مما يسر لهم مرونة الحركة وخفة الانتقال وساعدهم على التحرك بسرعة وخلال فترة قصيرة حتى وصلوا الى طليطلة ولم يكن تحقيق هذه المرونة والسرعة في التحركات بالمستطاع لو تم الاعتماد على العدد المحدود من الخيول التي نقلها المسلمون معهم عبر « بحر الزقاق » (٢) .

٣ - ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين واكتساب مزيد من الثقة بالنجاح مقابل وضع مناقض عند القوط . وأسرع المقاتلون من أفريقية الى عبور البحر والالتحاق بقوات طارق (... تسامع الناس من أهل بر العدو بالفتح على طارق بالاندلس ، وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فالحقوا بطارق وارتفع أهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال ...) (٣) .

٦ - استثمار الظفر

- أسرع طارق بالتحرك لمطاردة القوات المنسحبة وعدم تمكينها من تنظيم مقاومات جديدة ، فوصل شذونة وكان أهلها قد اعتصموا بها وصمموا على الدفاع عنها فحاصرها طارق وشدد قبضته عليها ونجح في اقتحامها ، وسقطت شذونة

(١) العرب في اسبانيا ، لينبول ستانلي ، ترجمة علي الجارم بك ص ٢١ .

(٢) دراسات في تاريخ الاندلس ، احمد بدر ، ١٢ .

(٣) نفع الطيب ٢٤٩/١ وفيه (.. اختفى لذريق بعد المعركة ، الا ان المسلمين وجدوا فرسه الاشهب الذي فقد وهو واكبه وعليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ووجدوا احد خفيه وكان من ذهب مكلل بالدور والياقوت وقد ساخ الفرس في طين وحماه وغرق العليج فثبت احد خفيه في الطين فأخذ وخفي الآخر وغاب شخص العليج ولم يرجد حياً أو ميتاً) .

في قبضة المسلمين وفتحوها عنوة. وتابع طارق تحركه حيث توفرت له المعلومات عن تجمع فلول « القوط » في « استجة » ، فمر في مسيرته من المدور (١) وعطف على قرمونة (٢) فمر بعينه المنسوبة اليه ثم مال الى اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية. ووصل استجة (٣) وكان أهلها قد نظموا مقاومتهم وانضم اليهم الفارون من جيش رودريك . ووقعت بينهم وبين المسلمين معارك ضارية حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين وأخيراً نجح طارق في انتزاع النصر وتمزيق المقاومة. فالتجأ أهل المدينة الى حصونهم ومعقلهم . وعمل طارق على تضيق الحصار .

— كان حاكم المدينة وقائد المقاومة فيها مغترأ بسوء التدبير ، فخرج الى النهر لبعض حاجته وحده فصادف طارقاً هناك قد أتى لمثل ذلك وطارق لا يعرفه ، فوثب عليه طارق في الماء فأخذه وجاء به الى العسكر ، فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة فصالحه طارق على ما أحب وضرب عليه الجزية وخلي سبيله . فوفى بما عاهد عليه بعد مجموعة الانتصارات التي حققها طارق ، عقد مؤتمرًا لمناقشة الموقف وحضر يليان المؤتمر ، وطرح رأيه فقال لطارق :

[... انك فضضت جيوش القوم ورعبوا ، فاصمد لبيضتهم ، وهؤلاء ادلاء من اصحابي مهرة ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد واعمد انت الى طليطة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر في امرهم والاجتماع الى اولي رايهم ...] .

— وتكوفت لدى طارق القناعة بصحة هذا الرأي ، ولم يكن لديه من الوقت

(١) المدور AL MODOVAR حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة - ومودور ايضاً كورة متصلة بأحواز قرمونة ، معجم البلدان ٤١٧/٧ .

(٢) قرمونة CARMONA ، كورة مشهورة بكثرة المحرث وطيبه والحالي منها مدينة قرمونة وهي مدينة من جهة ضخامة الاسواق والحمامات ومقل عظيم من جهة الارتفاع والمنعة لا ترام بقتال ، كانت من حصون الاسلام المشهورة ، المغرب في حلى المغرب ٢٩٩/١ .

(٣) استجة EGIJA ، كورة بالأندلس ، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ ، معجم البلدان ٢٢٤/١ .

ما يسمح له بالعودة الى موسى بن نصير لاستطلاع رأيه ، فقرر البدء بتنفيذ مخططة فشكل ثلاث مجموعات قتالية ووجهها الى اهداف مختلفة .

١ - وجه طارق بن زياد مجموعة قتالية من سبعمائة فارس يقودهم مغيث الرومي بمهمة فتح قرطبة .

قاد مغيث مجموعته حتى وصل الى « عدوة نهر شقندة » فكمّن وجنده في غيضة أرز شاذغة ، وأرسل الأدلاء ، حتى توفرت له المعلومات عن نقطة ضعف في سور المدينة ، وأفاد مغيث من ظلمة الليل وهطول الامطار فتسلل بقوته حتى وصل السور ، وتسلق المقاتلون واقتحموا الترسينات ، وفتحوا الأبواب فتدفق سيل المقاتلين ونجح المسلمون في تدمير المقاومة ، وفر ملك قرطبة ومعه اربعمائة مقاتل الى كنيسة بقرب المدينة . ووجه مغيث قوة لحصار الكنيسة وكتب الى طارق يعلمه بالفتح .

- استمر الحصار ثلاثة أشهر ، فعمل مغيث على تشديد الرقابة ، ووضع عناصر الاستطلاع ووقع احدهم اسيراً في قبضة ملك قرطبة . وتعرض للتعذيب فصمد وقاوم وعرف مورد المياه الذي تعيش القوة منه . وهرب عندما استطاع ذلك واعلم مغيث بما توفر لديه فعمل مغيث على قطع موارد المياه وعرض عليهم الاستسلام بدخول الاسلام او دفع الجزية لكن الملك رفض فعمل مغيث على اضرام النار فسميت منذ ذلك الحين بكنيسة الحرقى وحاول الملك الهروب فقبضه

(١) قرطبة CORDOBA ، كانت اعظم مدينة بالاندلس تقع على الوادي الكبير وليس في الاندلس واد يسمى باسم عربي غيره . وهي من أحسن البلاد مبانى ، وأوسعها مسالك وأبرعها ظاهراً وباطناً ، هواؤها معتدل . وبها القنطرة التي هي احدى غرائب الارض في الصنع والاحكام ، والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام اكبر منه . قال فيها أحدهم :
دع عنك حضرة بغداد وبهجتها ولا تعظم بلاد الفرس والصين
فما على الأرض قطر مثل قرطبة وما مثي فوقها مثل ابن حمدين .
نفع الطيب ٤٥٧/١ - ٤٦٠ آثار البلاد وأخبار العباد ٥٥٢ - المسالك والممالك ٣٥ .

مغيث وطارده حتى القى القبض عليه وكان الملك الوحيد الذي أمكن، أسره من بين ملوك الاندلس جميعاً .

٢ - ووجه طارق مجموعة ثانية بمهمة فتح مالقة ^(١) فمضت هذه الى هدفها ونجحت في القضاء على المقاومة التي تمزقت والتجأت الى الجبال . وتابعت القوة مسيرتها حيث انضمت الى المجموعة الثالثة المكلفة بفتح غرناطة ^(٢) .

٣ - وكان واجب المجموعة الثالثة التي وجهها طارق بن زياد التقدم نحو البيرة ^(٣) وغرناطة ^(٤) . ونجحت هذه المجموعة في حصار غرناطة واقتحامها عنوة

(١) مالقة، MALAGA، إحدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه كالتين والعنب والرمان واللوز قال فيها ابو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوي المالقي .

مالقة حيت يا تينها الفلك من أجلك يأتينها
نهي طيبي عنه في علتي ما لطبيبي عن حياتي نهى
نفع الطيب ١٥١/١ ، المسالك والممالك ٣٥ معجم البلدان ٣٦٧/٧ .
(٢) نفع الطيب ٢٦٣/١ .

(٣) البيرة ELVIRA ، بلدة قريبة من ساحل البحر في الأندلس . وكانت ملكة جليلة بين مملكتي قرطبة والمرية ومملكتي جيان ومالقة وهي كثيرة الكتان والأشجار والانهار ، كما كانت قاعدة المملكة في القديم ولها ذكر شهر وعمل عظيم الا ان رسمها قد طمس ولم يبق منها الا بعض أثر وصارت غرناطة كرسياً . المغرب في حلل المغرب ٩١/٢ - ٩٣ . معجم البلدان ٣٣٠/٢ .

(٤) غرناطة GRANADA ، هي دمشق بلاد الاندلس ، لأن جند دمشق نزولها وتسمي كورة البيرة التي منها غرناطة وقيل انها سميت دمشق لشبهها بها في غزارة المياه وكثرة الأشجار، يخترقها نهر عليه قناطر يسمى نهر شبل وفي قبليها جبل شلير « وهو ما يسمى سيرا نيفادا » وفيها قيل :

غرناطة ما لها نظير ما مصر ، ما الشام ، ما العراق ؟
ما هي الا عروس تجلى وفلك من جملة الصداق ..
نفع الطيب ١ - ١٤٧ - ١٤٨ .

وأقاموا فيها حامية وضموا اليها اليهود للاستعانة بهم ثم تابعوا تقدمهم حتى رية ^(١) ومنها تدمير ^(٢) حيث كانت قصبتها أريولة ^(٣) ، وهناك وقعت معركة ضارية ونجح المسلمون في انتزاع النصر وارغام حاكم تدمير على الانسحاب حتى وصل أريولة واعتصم بأسوارها ولجأ حاكم تدمير الى الحديمة فأمر النساء والأولاد بارتداء ثياب المقاتلين وحمل الأسلحة والتوقف عند الاسوار ، وعرض المسلمون الصلح فنزل حاكم تدمير متكرراً وفاوض المسلمين وبعد أن حصل على شروط الأمن وتم التوقيع على الاتفاق وعند ذلك عرفهم بنفسه ، واعتذر اليهم بالابقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيها سوى النساء والأطفال وحافظ العرب على الوفاء كما هي عادتهم ، وتركوا في المدينة حامية صغيرة وتابعت قوة المجموعة تحركها حيث التحقت بالقوة الرئيسية التي توجهت بقيادة طارق للاستيلاء على طليطة. في الوقت الذي كانت فيه المجموعات القتالية تقضي على المقاومات في المعقل والجبال والقلاع الحصينة كان طارق يقود الكتلة الرئيسية من قواته متوجهاً نحو الشمال عن طريق جيان ^(٤) وكان وصول طارق

(١) رية ، وهي التي أصبحت تعرف باسم « بالقة » يمر منها نهر تسيل مياحه في أشهر الربيع فقط ، وبها قلعة حصينة . المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٢٣ .

(٢) تدمير : من كور الاندلس الشرقية وتسمى مصر أيضاً لكثرة شجورها بها لان لها أرضاً يسبح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع أرض مصر وصارت القصب بعد تدمير « مرسية » وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها ، وفي كورة تدمير حجر المنعائيس الجاذب للحديد ومعادن الفضة كثيرة في كورة تدمير - نفح للطيب ١ - ١٦٤ .

(٣) أريولة « اوريويلة » ORIHUELA في موضع كأنه اقتطع من جنة الخلود ، نهر سائل ودواليب نغارة وطيور شاذية وأشجار متعانقة ولها قلعة في نهاية من الامتناع وكانت أريولة قاعدة الكورة قبل ان تنتقل هذه القاعدة الى مرسية . نفح للطيب ١ - ١٦٦ ، المغرب في حلى المغرب ٢ - ٢٨٦ .

(٤) جيان JAEN مملكة جلييلة بوسط الاندلس ، معروفة بالمحارث والاختشاب ، وهي بين غرناطة وطليطة ومرسية ، جمعت تنامي طيب الارض وكثرة الثمر وغزر السقيا واطراد الصيون وكثرة الحرير . المغرب في حلى المغرب ٢ / ٤٩ - ٥١ .

الى حدود طليطلة^(١) مباغنة كاملة لبقايا القوط الذين تركوا المدينة والتجأوا الى الجبال . ودب اليأس في قلوب قادة المقاومة وحكام المقاطعات وكبار رجال الكنيسة ذلك انهم لم يكونوا يتوقعون تحرك طارق بمثل هذه السرعة وكانوا يتوقعون ايضاً ان تكون عمليات طارق مشابهة لغزوات بليان وطريف وأبي زرعة ، وعندما تطورت الاحداث على غير ما كانوا يتوقعونه تخلوا عن المقاومة وأسلموا مدينتهم فدخلها طارق بقوات المسلمين وهي شبه خالية واستولى على ثروات ضخمة وكنوز تراكمت عبر عصور متتالية في القصور والكنائس ومضى طارق خلف من فر من أهل طليطلة بعد أن خلف في المدينة رجالاً من أصحابه وسلك وادي الحجارة^(٢) فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل ثم اقتحم ارض جيليقية حتى انتهى الى مدينة استرقة . وعاد طارق الى طليطلة لقضاء فصل الشتاء فيها والاستعداد لمتابعة العمليات وبعد ذلك تابع اعمال الفتح فدخل ولاية برغش^(٣) وأحتل مدينة أماية^(٤) *

(١) طليطلة TOLEDO احدى المدن الاربع التي بنيت في مدة قيصر اكنيان ، يمر بها نهر تاجة تقع في موسطة الاندلس . قال ابن وكيل فيها :

زادت طليطلة على ما حدثوا بلد عليه نضارة ونعيم
الله زينته فوشح خصره نهر المجرة والقصور نجوم

المغرب في حلى المغرب ٢ / ٨ نفح الطيب ١ / ١٦١ ، معجم البلدان ٦ / ٥٦
(٢) وادي الحجارة GUADAL JARRA ، الى الشمال الشرقي من طليطلة غير أنه رافد يرفد نهر تاجة .

(٣) برغش BURGOS احدى مدن الحدود الشمالية . نفح الطيب ١ / ٣٦٤ .
(٤) أماية AMAYA احدى مدن الحدود الشمالية ، يمر منها احد الفروع الرافدة لنهر دويرة .

(*) جاء في نفح الطيب ١ / ٢٦٠ (. . .) وكان من ارباب طارق لنصارى الاندلس وحيله ان تقدم الى اصحابه في تفصيل لحوم القتل بحضور أسراهم وطبخها في القدور يرونهم انهم يأكلونها فجعل من انطلق من الاسرى يحدثن من وراءهم بذلك فتمتلئ منه قلوبهم رعباً ويحفلون فراراً . .) وذكر ابن القوطية في كتابه فتح المسلمين للاندلس نصاً بهذا المعنى

←

اخترق طارق الأندلس من أقصى الجنوب الى ما فوق الوسط اخترق السهم وبقيت جميع البلاد من الجانبين غير خاضعة له تتجمع فيها حاميات قوطية وهذا الأمر يحمل خط الفتح الاسلامي عرضة للانقطاع^(١) . وقد دخل طارق الأندلس بغير أمر مولاه موسى بن نصير وهناك رواية متناقضة حول هذه النقطة، أكثرها ينص على أن موسى كان يتلقى اخبار الفتح « بحسد والغيرة تعفه » وبعضها ينص على أن تجاوز طارق وادي لكّة وقوغله قد أقلق موسى حول مصير المسلمين وعما يمكن أن يتعرضوا له من مخاطر . وان مسيرة الاحداث وتطورها يثبت صحة الروايات الثانية على قلتها ويدحض الروايات الاولى على كثرتها ومن المحتمل جداً أن تكون الهنة التي انتهى اليها موسى بعد فتوحاته وما رافق ذلك من مؤامرات خلفية في المشرق قد أسهمت في نشر تلك الشائعات واثباتها حتى أصبحت معروفة لدى العامة والخاصة فأقبل المؤرخون على تسجيلها والاخذ بالآراء الاولى التي تنص على أن حوافز موسى للفتح كانت بتأثير الحسد والغيرة لا أكثر وأن غضبته على طارق كانت بتأثير هذه العوامل وليست نتيجة لخوف موسى من احتمالات وقوع الحن بالمسلمين *

المرحلة الثانية من فتح الأندلس

١ - عمليات موسى بن نصير :

- كان موسى بن نصير يتابع بقلق توغل طارق في عمق الأندلس ، تاركاً

.....

وقد رد المؤرخ رينو M. REINAUD على هذا القول في كتابه غزو العرب لفرنسا وسويسرا فقال : (ان ابن القوطية عاش في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، وقبل له ابن القوطية لانه من ذواوي ملوك القوط بإسبانيا ، فشهادته مطعون بها وضعيفة ، بحيث لا يمكن الاخذ بها . في تاريخ غزوات العرب - شكيب ارسلان ، ص ٣٢ ، مزيد من القول .

(١) البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي تحقيق ج . س . كولان وليلي بروفنسال ص ١٣ / اصدار بيروت .

مجنباة دون حاية ، فأخذ في تجهيز قوة أكبر واستخلف على ولاية افريقية ابنه عبد الله وتوجه بقوة وصل عدد أفرادها الى ثمانية عشر ألف مقاتل فيهم رجال قريش وزعماء العرب ووجوه الناس . وبعد أن تم حشد القوات في طنجة بدأت عملية العبور ووصل موسى يحيشه الى الاندلس في رمضان سنة ثلاث وتسعين هجرية ٧١٢ م^(١) . واحتل الجبل الذي كان قد شهد قبل ذلك ازال قوات طارق ثم تجاوزه فنزل الجبل الذي نسب اليه والذي عرف باسم جبل موسى وسيطر بقواته على الجزيرة الخضراء .

— عندما استقر موسى في الجزيرة الخضراء ، اسرع يليان للقاءه ، وعقد معه مجلساً للتشاور ، ثم عقد مؤتمراً حضره قادة العرب^(٢) وجمع حوله الرايات وعددها يزيد على عشرين راية وتفاوض الجميع في الرأي وكان بما قاله موسى : [... ما كنت لأسلك طريق طارق ، ولا اقفوا أثره ، فقال له العلوج اصحاب يليان .. نحن نملك بك طريقاً هو اشرف من طريقه وذلك على مدائن هي اعظم خطراً واعظم خطباً .. ومدائن لم تفتح بعد .]^(٣)

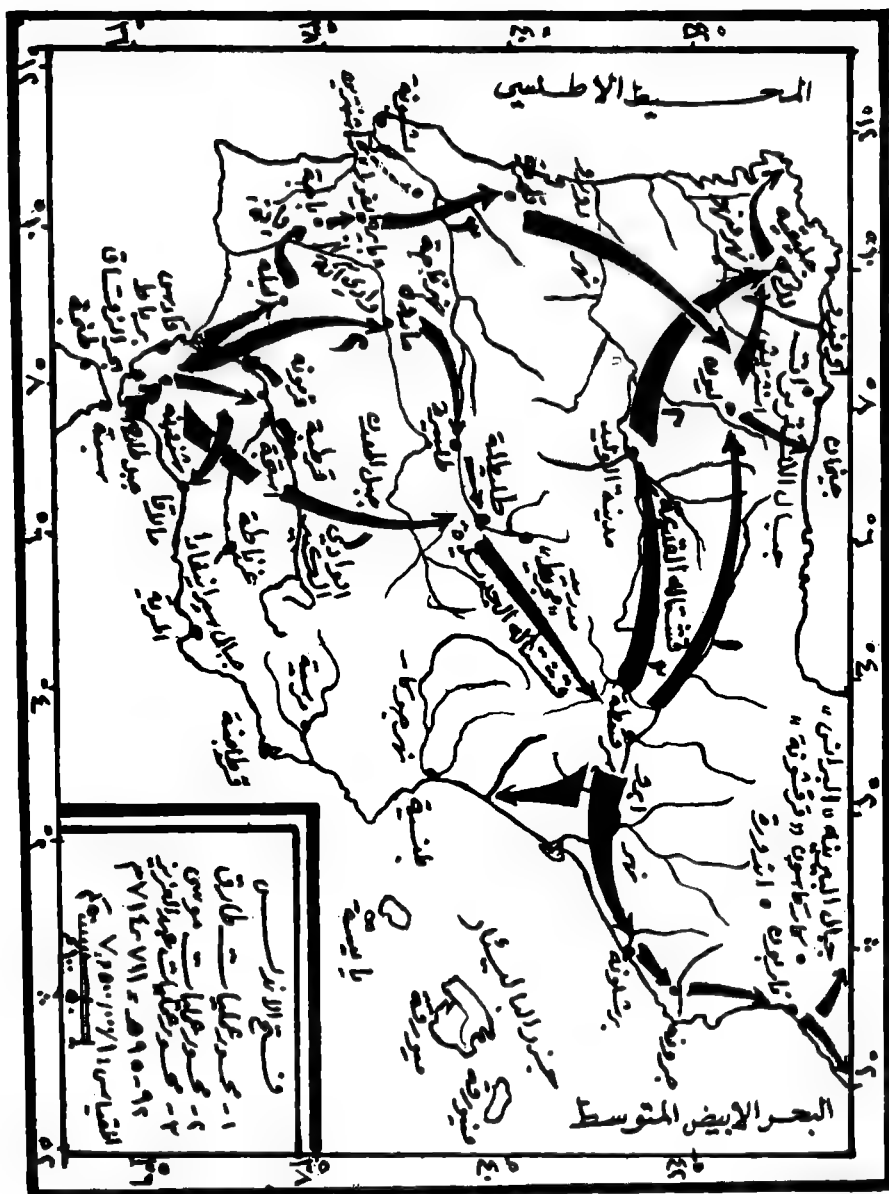
— وتقرر بعد الحوار اتباع محور الى الغرب من المحور الذي اتبعه طارق في عملياته . ولم يبرح موسى موضعه ولا فارق مشهده حتى أمر بتخطيط الموضع ، الذي عقد فيه المؤتمر ، واتخاذ مسجداً ، حمل اسم « مسجد الرايات » ، وكان يقابل بباب البحر من أبواب المدينة .

.....

(١) فتح الطيب ٢٦٩/١ وجاء في ابن الاثير ٢١٥/٤ وفتح مصر والمغرب (٢٨٠) ان موسى خرج الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين .

(٢) كان من الصحابة الذين ضمهم جيش موسى بن نصير في الاندلس حنش بن عبد الله الصنعاني وهو الذي أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة ، وابو عبد الله علي بن رباح اللخمي وحيان بن ابي جبة القرشي وابو عبد الرحمن الحبلي وعياض بن عتبة والنذر الافريقي وكان عند الصحابة نحو عشرين رجلاً . فتح الطيب ٢٨٨/١ و ٥/٣ - ١٤

(٣) اخبار مجموعة ص ١٣ ، النص التالي : (نحن ندلك على طريق هي أشرف من طريقه ومدائن هي اعظم خطباً ..) وفتح الطيب ٢٦٩/١ .



- كان طارق قد احتل شذونة وقرمونة ، لكن هذه المدن اصبحت مراكز للمقاومة بعد توغل طارق ومسيرته حتى طليطلة ، فتوجه موسى بجيشه في جانب ساحل شذونة وافتتحها عنوة .

- كانت قرمونة مدينة ليس بالأندلس احصن منها ولا ابعد على من يرومها بحصار او قتال فلجأ موسى الى الخديعة حيث دفع اصحاب يليان امامه فدخلوا قرمونة وكأنهم فلول قولت الحق بهم موسى الهزيمة ، وفي الليل فتح اصحاب يليان الأبواب واقتعمتها خيول المسلمين وفرسان موسى بن نصير وتم فتح المدينة .

- سار موسى بقواته بعد ذلك الى قلعة جابر المعروفة بقلعة « وادي ابرة » او رعواق^(١) فافتتحها عنوة وبذلك اصبحت القاعدة الجنوبية مأمونة ويمكن التوغل نحو الشمال .

٢ - فتح اشبيلية : (٢)

توجه موسى بن نصير شمالاً في اتجاه اشبيلية ، وكان اهلها قد نقضوا اتفاقهم

(١) عواق AI CALA de QUADAIIRA - تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس - ٩٤ - واخبار مجموعة /١٥/

(٢) اخبار مجموعة ١٦ وتاريخ الاسلام للذهبي ٣/٣٢٤ و ٤/٥٨ ونفع الطيب ٢/٢٦٩ .
- جاء في اخبار مجموعة ١٦ ، واشبيلية هي اعظم مدائن الاندلس شأنًا وخطبًا واعجبها بنيانا واقاراً ، وكانت دار الملك قبل غلبة القوطيين على الاندلس ، فلما غلبت القوطيون حولوا السلطان الى طليطلة وبقي شرف الرومانيين وقههم ودينهم ورياستهم في دنياهم باشبيلية ..) .
- وجاء في نفع الطيب ١/١٥٦ : (من اعظم مدن الاندلس اشبيلية ، ومن محاسنها اعتدال الهواء ، وحسن المباني ونهرها الاعظم الذي يصعد المدينة اثنين وسبعين ميلاً ثم يحسر وفيه يقول ابن سفيان .

فانساب من شطية يطلب ثاره
هزء آ فضم من الحياء ازاره ..

شق التسم عليه جيب قميصه
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها



مع طارق و تحصنوا وراء سوار المدينة واستعدوا للحرب فنزل موسى بجيشه وحصرهم وعزل المدينة واستمر الحصار فترة طويلة تزيد على الشهر ، وعندما اشتد امر الحصار وعرف المدافعون عن المدينة تصميم المسلمين على فتحها ، ضعفت مقاومتهم وافاد موسى من ذلك فاخترق الحصار ونجح في اسقاط المدينة وابادة المقاومة وهرب عدد من المقاومين الى « باجة » (١) فضم موسى يهودها ووضع فيها حامية صغيرة واستأنف تقدمه في اتجاه ماردة .

٣ - التوقف عند ماردة : (٢)

اخترق موسى بن نصير اثناء تقدمه مدينة « لقنت » (٣) وعندما اقترب مسافة تزيد على الميل من ماردة اصطدمت قواته بالحامية المدافعة عن المدينة

.....

- وقال ابن رشد في المناظرة بين قرطبة واشبيلية في نفح الطيب ١ - ١٥٥ (.. اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية ..) .
وقيل عن اشبيلية (.. هذه المدينة من أحسن مدن الدنيا وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ويعينهم على ذلك وادبها الفرج وناديا البهجة ..) .
(١) باجة BEJA في البرغال . وكانت تضم كورة واسعة ، بها ولد العتمد بن عباد ، بها معدن فضة اشتهرت بالدباغة وصناعة الكتان نفح الطيب ١ - ١٥٩ وباجة من اقدم مدائن الاندلس واراضها ارض زرع وضرع ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنه العسل ..) المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٠٣ .

(٢) ماردة MERIDA هي احدى القواعد التي بنتها ملوك العجم للقرار والتخذهما سلاطين الاندلس قبل الاسلام سريراً لسلطنة الاندلس بينها وبين قرطبة ستة ايام وهي كورة واسعة لها حصون وقرى ، المغرب في حلى المغرب ١ - ٣٦١ ونفح الطيب ١ - ٢٧٠ واخبار مجموعة ١٦٠ .

(٣) لقنت FUENTE-DE-CANTOS ، في جنوب الشاطئ الشرقي من الاندلس وهي حضان من اعمال ماردة لقنت الكبرى ولقنت الصغرى ، نفح الطيب ١ - ٢٧٠ ومعجم البلدان ٦ - ٣٣٦ وقد اتبع موسى في طريقه بين اشبيلية وماردة طريقاً رومانية قديمة كانت تصل بين البلدين ، وكان ظهور قوات المسلمين مباغتاً للحامية المدافعة عن لقنت فاستسلمت دونها مقاومة وسمي ذلك الفج باسم « فج موسى » او « وادي موسى » .

وجرت معركة قاسية قاتل فيها اهل الأندلس معركة عنيدة ولم يتمكن المسلمون من احراز نصر حاسم .

- عمل موسى بن نصير على دراسة الأرض فوجد انها تضم مجموعة كبيرة من الحفر المتناثرة كانت مقاطع للصخر فأقدم على توزيع جزء من قواته واخفائها في الحفر واحسن المقاتلون التمويه بحيث لم ينجح خصمهم في اكتشافهم .
- بدأت معركة اليوم الثاني بتصميم وعناد من الطرفين جميعاً . ودارت معركة طاحنة ثم اخذ التحول لمصلحة المسلمين وظهر المقاتلون من حفرهم واخذت قوة الكمين تضرب بقوة مؤخرة الخصم ، وكانت المباغته كافية لانهاية المقاومة فأخذت فلول الأندلسيين في الانسحاب الى المدينة والافادة من تحصيناتها .

- نظم موسى الحصار وعزل المدينة ، لكن الحامية لم تضعف واستمرت في المقاومة اشهرأ فاستخدم المسلمون الدبابة ومضوا في داخلها ونقبوا صخرة في السور ولما نزعوا الصخرة امضوا في داخلها الى الصحاء التي يقال لها اللاشة ماشة^(١) فنبت عنه معاولهم وعدتهم وثار بهم العدو على غفلة فاستشهد بأيديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمي ذلك الموضع برج الشهداء ..^(٢)

ادركت الحامية المدافعة عن ماردة تصميم المسلمين على فتح المدينة ، وكان الحصار الطويل قد مارس دوره في التأثير على نفسية المقاتلين فارسلوا وفوداً

(١) الاش - ماشة , ARGAMASSA اي الاسمنت وتسمى ايضا LAXMAX ،
نفع الطيب ١ - ٢٧٠ .

(٢) وتذكر المصادر ان الحامية اخذت بالتفاوض مع موسى بعد يوم برج الشهداء وأنهم ارسلوا اليه وفداً فوجدوه ابيض اللحية ، وفي المرة التالية فوجدوه وقد صبغ لحيته بالحناء حتى وكأنها ضرام الفرفج . وفي المرة الثالثة وجدوه بلحية سوداء ، فقالوا ، انا نقاتل انبياء يتخلفون كيف شاورا ويتصورون في كل صورة احبوا .. والرأي ان تقاربهم ونعطيه ما يسأله .. وهذه صورة اقرب إلى الحبال منها بالواقع ...

اخبار مجموعة ١٧ ونفع الطيب ١ - ٢٧٠ والبيان المغرب ١/٢٠ - ٢٢ .

لعقد الصلح وعرضوا شروطاً رفضها موسى بن نصير، وأخيراً نزلوا على مطالب المسلمين وهي أن تكون جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جيليقية للمسلمين، وأموال الكنائس وحليها للمسلمين أيضاً ودخل المسلمون المدينة يوم الفطر، الأول من شوال سنة ٩٤ هـ [الموافق ٣٠ حزيران، يونيو ٧١٣ م] ^(١)

٤ - قمع حركة التمرد في اشبيلية :

كانت فلول الحاميات التي هزمت خلال عمليات موسى قد تجمعت في لبلة ^(٢) وباجة ^(٣) من مدن الأندلس، وعندما اصطدم موسى بالمقاومة العنيدة في ماردة أعادت هذه الفلول تنظيمها للمعركة وتحركت نحو اشبيلية ودخلتها وأبادت الحامية الصغيرة التي تركها موسى في المدينة وقتل من المسلمين ثمانين رجلاً واستطاع بعضهم الفرار وإعلام موسى بالموقف، وانتظر موسى حتى انتهاء عمليات الحصار وفتح مارده فوجه قوة بقيادة ابنه عبد العزيز بمهمة القضاء على المقاومة وحماية مؤخرة جيشه وتوجه عبد العزيز إلى اشبيلية واقترحها ودمر قوة المقاومة فيها ثم توجه إلى لبلة وقضى على قوة القوط المتمردة وترك حامية قوية في كل مدينة تستطيع تأمين القاعدة الحليفة لتقدم المسلمين.

٥ - معركة السواقي :

- أمضى موسى بن نصير شهراً في مارده، حيث تم له تحقيق استقرار

-
- (١) فتح الطيب ١ / ٢٧٠ وأخبار مجموعة ١٧ - تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ٩٨.
(٢) لبلة Neibla، قصبة كورة بالأندلس كبيرة، شرق أكشونية وغرب قرطبة، بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية خمسة أيام - أربعة وأربعون فرسخاً - وهي جامعة لكل وجه من الفوائد، جمعت البر والبحر والزرع والضرع والنحل والنتاج وأجسل الثمار وكثرة الزيتون والأعناب. المغرب في حلى المغرب ١ / ٣٣٩ ومجمع البلدان ٧ / ٣١٩.
(٣) باجة Beja في البرتغال، وتقع على بعد ١٨٠ كم جنوب شرق الاشبونة وكانت تضم كورة واسعة، وهي على مسافة ٦٦ كم من الحدود الفاصلة بين إسبانيا والبرتغال حالياً.

المجتمع وتنظيمه خلال هذه الفترة واعطاء القوات فترة للاستعداد من اجل متابعة العمليات ، وفي عقب شوال ، توجه بقواته يريد الوصول الى طليطله .
توفرت المعلومات عند موسى بن نصير عن تجمع قوات القوط بقيادة لذريق في الجبال الشمالية لوادي انه ^(١) ، فقرر استدعاء طارق لملاقاته بقواته ، وكتب اليه ، فتوجه طارق بقواته عبر وادي « الأروكامبو » ^(٢) وتابع موسى تقدمه فوصل طليبرة وتوقف فيها فترة قصيرة .

سار طارق مسافة قدرها مائة وخمسين كيلو متراً في الطريق من طليطلة في اتجاه طليبرة ^(٣) وتوقف في انتظار تقدم موسى بن نصير ، ثم انطلق موسى من طليبرة وتم اللقاء في تيتار ، او « تايد » ^(٤) وترجل طارق وتقدم من مولاه فوضع موسى السوط على رأسه ووبنه « انبه » فيما كان من خلاف رأيه وتجاوزوه لما كان طلب اليه ان يتوقف عنده ودخله بغير امره .. وقال موسى له :

[يا طارق ، انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلدك بأكثر من ان يمنحك الاندلس ، فاستبجه هنيئاً مريئاً ..]
فأجابه طارق :

[انما انا مولاك وهذا الفتح لك .. ووالله لا ارجع عن قصدي هذا ما لم أنته الى البحر المحيط اخوض فيه بفرسي ..]
وقبل موسى اعتذار طارق ، واستعرض قوات المسلمين في الوادي بين التاجه ونهر التيتار وحمل الوادي منذ ذلك الحين اسم المعرض .. ^(٥)

(١) وادي انه ، في سلسلة جبال سيرايا - فرانثيا Sierre - de, Francia ويخترق الوادي « نهر انه » الذي تقع عليه مدينة بطليوس . المغرب في حلى المغرب ١ / ٣٩٣ .
(٢) وادي الأروكامبو Valle de Arrocampo يحاذي محور طليبرة - طليطله .
(٣) طليبرة ، Talavera .
(٤) تيتار او تايد Teitar .
(٥) المعرض ، Al. Maraz .

— دفع موسى مقدمة له بقيادة طارق بن زياد ، وتابع تقدمه عبر الطريق الروماني للقديم من ماردة الى سلمنقة ^(١) وتجاوز ، باب سليت ^(٢) ثم وصل مفرق طريق ماردة « سلمنقة » ومنها الى « البادر تورس » ^(٣) ثم الى « ثيوداد » رودريكو ^(٤) وتابع تقدمه في الوادي الذي حمل فيما بعد اسم « وادي موسى » ^(٥) حتى وصل سيجويلا دي لوس كور نغيوس ^(٦) قريباً من بلدة تاماس ^(٧) حيث حدثت المعركة المعروفة باسم معركة السواقي .

— كان رودريك قد حشد قواته عند نهر باربا لوس ^(٨) مستفيداً من صعوبة الأرض ، وعندما وصل المسلمون انقض عليهم وكانت معركة ضارية قاتل فيها المسلمون بتصميم وعناد حتى استطاعوا انتزاع النصر ، ونجح مروان بن موسى بقتل رودريك ، وتمزقت قوات القوط شر ممزق ، وكانت هذه المعركة هي آخر مقاومة منظمة استطاع رودريك وضعها في طريق زحف المسلمين . ^(٩)

(١) سلمنقة Salamanca .

(٢) باب سليت Puerto de Slete Carraras .

(٣) ألبادر تورمس Alba de Tormes .

(٤) ثيوداد رودريكو Gludad Rodrico .

(٥) وادي موسى Valmuza .

(٦) سيجويلا دي لوس كورنيخوس Segoyuela, de Los cornejos .

(٧) تاماس Tamamee .

(٨) باربالوس Barbalos .

(٩) تاريخ الاسلام الذهبي ٣ / ٣٢٤ - ٣٢٥ . اخبار مجموعة ١٨ . نفع الطيب

١ / ٢٤٢ و ٢٧١ . تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ٩٨ . قادة فتح المغرب العربي ٢٦٢ .

— هناك بعض المصادر العربية التي تذكر مقتل رودريك واختفاؤه في معركة الارك لكن مؤرخي الاندلس وبعض المصادر العربية تثبت ان مقتل رودريك كان في معركة السواقي وهو الأرجح .

٦ - معاودة فتح طليطلة :

اعاد موسى تنظيم قواته بعد المعركة ودفع مقدمة لقواته بقيادة طارق بن زياد وتوجه الى طليطلة .

- كانت بقايا قوات القوط قد افادت من مغادرة جيش طارق لطليطله فأعادت تنظيم مقاومتها ، وتحضت وراء اسوار المدينة ، لكن انهيار جيش رودريك في معركة السواقي وقوة صدمة العرب المسلمين حطمت مقاومة القوط ودخل موسى طليطلة ظافراً ، واستولى على ما ضمنه كنائسها واديرتها من كنوز .

- توقف موسى في طليطلة لاعادة تنظيم المجتمع الجديد ، والاستعداد لمتابعة عملياته .

- لم يكد (موسى) يستقر في (طليطلة) حتى سارع بضرب عملة ذهبية ليدفع منها رواتب الجند الذين كانوا معه ^(١) .

- وعمل « موسى » على جمع الغنائم ، وإخراج الخمس وإرساله إلى بيت مال المسلمين في دمشق وأرسل وفداً يحمل بشارت الفتح إلى الخليفة وكان في الوفد علي ابن رباح ، ومغيث الرومي واحتفظ موسى بقدر من الغنائم لمجملها في المستقبل إلى دمشق ومن بينها تيجان الملوك ^(٢) .

- وعندما أنهى موسى استعدادده ، وتحقق له الاستقرار في قاعدة عملياته

(١) فجر الاندلس ١٠٠ .

(٢) الحلل السندية ١ / ١٦٩ . وبغية الملئس ٩ وفيه :

(... عندما انتهى طارق الى مدينة طليطلة وهي مدينة الملوك وجد فيها بيتاً يقال له بيت الملوك ووجد فيه خمسة وعشرين تاجاً مكللة بالدر والياقوت وهي على الملوك الذين حكموها كلما مات ملك جعل تاجه في ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وكم أتى عليه من الدهر الى يوم مات وكم عدد من سبقه من ولاة الاندلس منذ افتتحت الى يوم ولايته ..) وفي اخبار مجموعة ٢٨ ، وقاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ١٤٠ - ١٤١ مزيد من التفاصيل .

« ظليطة » أعاد تنظيم جيشه وانطلق به لمتابعة الفتوح واضعاً هدفه الأول الاستيلاء على سرقسطة ^(١).

٧ - فتح سرقسطة وفتوح الشمال :

— دفع موسى مقدمه لقواته بقيادة طارق بن زياد ووضع هدفه الأول الاستيلاء على سرقسطة « عاصمة الثغر الأعلى » ^(٢) ومضى موسى يتبع المقدمة على محور ، مقام ^(٣) ، وادي الحجارة ^(٤) ، مدينة سالم ^(٥) ، قلعة أيوب ^(٦) ، سرقسطة .

— لم يلق تقدم المسلمين مقاومة كبيرة بعد سقوط طليطلة ، وتمزق جيش القوط في معركة « السواقي » (فقد القى الله الرعب في قلوب العدو فلم يعارضها

(١) سرقسطة : مدينة بناها القيصر اغطس فحملت اسمه Ceasar - Augusta عام ٢٣ ق.م فوق انقاض مدينة ايبيرية اسمها سالدوبا Salduba وقيل ان موسى بن نصير شرب من ماء نهر جلق بسرقسطة فاستمذبه وسأل عن اسمه ونظر الى ما عليه من البساتين فشيها بفوطه جلق الشام ، وتقع سرقسطة على نهر ايره يشتق منه نهر جلق Gallego جاريا الى الشمال بينما يسير نهر شالون Jalon وهرفا Huerva الى الجنوب ، وكان استيلاء المسلمين على سرقسطة سنة ٨٩٤ - ٧١٢ م بعد اخذهم طليطلة بقليل حيث زحف اليها موسى بن نصير ففتحها وفتح القصاب والحصون التي حولها .. معجم البلدان ٥ / ٧١ - الحلل السندسية ١١٩ / ٢ و ١٩١ . المغرب في حلى المغرب ٢ / ٤٣٤ ونفع الطيب ١٥٠ / ١ و ١٩٦ .

(٢) قسمت الاندلس بعد الفتح الى ثغور ثلاثة « مناطق عسكرية » :

أ - الثغر الاعلى - أو - الثغر الاقصى ، ويشمل سرقسطة وكورتها .

ب - الثغر الاوسط ، ويشمل مدينتي سالم ويمتد حتي طليطلة .

ح - الثغر الادنى ، ويشمل قويمرة والكورة المحيطة بها .

(٣) مقام MAGAM .

(٤) وادي الحجارة GUADALJARA من اعمال طليطلة.

(٥) مدينة سالم MEDINACELI تضم الكورة المسماة بكورة سالم ايضا وقبر النصور

ابن أبي عامر في مدينة سالم وهي من المدن الجلييلة ويقال ان طارق وجد فيها مائدة سليمان .

(٦) قلعة ايوب KALAT AYOUB والاسبان يقولون CALATAYUE بانها ايوب

ابن حبيب اللخمي ابن اخت موسى بن نصير وهي بقرب مدينة سالم بينها وبين دروكة ١٨ ميل.

أحد الا بطلب الصلح وموسى يجيء على اثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتداءه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله وطامن نفوس من اقام على سلمه ووطأ لأقدام المسلمين في الحلول به أقام لتمييز ذلك وقتاً ...)

— بعد مراحل من السير والتوقف وصلت طلائع المسلمين حتى مشارف سرقسطة وكان أهلها قد أخذوا في مغادرتها والفرار بعيد عنها حيث الجبال والمناطق المقفرة (واخذ اسقف المدينة « بنسيو » ^(١) ومن معه من الرهبان في جمع كتبهم المقدسة وذخائرهم الموروثة وقرروا الهجره من البلد والفرار بهذه الذخائر وعلم موسى بذلك فأرسل اليهم رسولاً يؤمنهم ويعطيهم عهده فسكنت مخاوفهم وعدلوا عن مغادرة مدينتهم التي دخلها المسلمون ^(٢) واقاموا حامية فيها واحتفظ فيها حنش بن عبد الله الصنعاني مسجداً حمل اسمه ^(٣) ، ثم تابع موسى تقدمه فاحتل وشقة ^(٤) ولاردة ^(٥) وطر كونة ^(٦) .

عندما تجاوزت قوات المسلمين سرقسطة، اخذت بقايا قوات القوط في التجمع في محاولة اخيرة لايقاف زحف المسلمين ، وتمركزت المقاومات في القلاع الشمالية، فتوجه موسى اليها وخاض معارك قاسية والجأها الى الحصون ثم حاصرها بضماً وعشرين ليلة فلما طال ذلك على موسى . استنفر قواته كلها وحشدتها للمعركة حاسمة وجاء في وصف هذه المعركة على لسان احد شهودها حيث قال :

(١) الكاهن ، بنسيو BENCIO .

(٢) قبحر الاندلس ١٠٢ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٠ .

(٣) صفة جزيرة الاندلس ٩٧ .

(٤) وشقة HUESCA ، من مشاهير مدن الثغر شمال سرقسطة .

(٥) لاردة LERIDA ، مدينة مشهورة من مدن الثغر ، تقع الى شرق قرطبة تتصلل

اعمالها بأعمال طر كونة .

(٦) TARRAGONA ، مدينة تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط بينها وبين لاردة

خمسرون ميلاً .

[... ظننا ان موسى ، قد بلغه مادة ^(١) من العدو وقد دنت منا وانه يريد التحول عنهم فاصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال : ايها الناس ! اني متقدم امام الصفوف فاذا رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا فقال الناس : سبحان الله .. اترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه ؟ يأمرنا نحمل على الحجارة وما لا سبيل اليه ؟ فتقدم بين يدي الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فاطال ، ونحن ركوب منتظرون تكبيرة فاستعدنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس ^(٢) ثم جال المسلمون جولة وهموا بالهزيمة فامر موسى بن نصير بسراجه فكشف عن ثيابه وحرمه حتى يرون ويرز بين الصفوف ... وكسرت بين يديه اغصان السيوف ... ^(٣) ثم فتح الله ونزل النصر ...] ^(٤) .

— اندفعت قوات المسلمين بعد هذا النصر الحاسم لا كمال فتح القسم الشرقي من الاندلس وقاد طارق المجموعة المتقدمة وامكن له احتلال طرطوشة ^(٥) وبلنسية ^(٦) وشاطبة ^(٧) ودانية ^(٨) دون مقاومة كبيرة. وبذلك سيطر المسلمون على القسم الأكبر من الأندلس ولم يبق الا بعض المقاومات في الغرب « جليقية » وقسم في الشمال فيما وراء جبل البرئات « البيرنيه » .

(١) مادة : مددأ ودعما .

(٢) الامامة والسياسة ٧٩/٢ .

(٣) كسرت بين يديه اغصان السيوف ، كناية عن الاستئصال « والتصمم على الشهادة » .

(٤) تاريخ الاسلام - الذهبي - ٤ - ٥٨ تاريخ افتتاح الاندلس ، ابن القوطية ١٤٩ .

(٥) طرطوشة ، TORTOSA ، مملكة في شرق بلنسية ، بها قلعة اشتهر أمرها في عهد المسلمين ، من مدن الثغر الاعلى .

(٦) بلنسية ، VALENCE ، من اكبر مدن الساحل الشرقي ازدهارا في العصور الاسلامية الى الشمال من دانية على شاطئ البحر وكانت تسمى مدينة التراب .

(٧) شاطبة ، SATIVA ، اشتهرت بحصنها ، الى الشمال من لقتن ALICAN .

(٨) دانية DENIA ، مدينة عظيمة تنافس بلنسية ، اكتسبت أهمية خاصة في حكم ملوك الطوائف .

— كانت الأندلس عند الفتح تضم اليها مقاطعة روسيلون^(١) المسماة بالبيريانية الشرقية والتي كانت «بيرينيان»^(٢) قصبتها . بالإضافة الى قسم من اللانغدوك^(٣) وهي المقاطعة الواقعة الى الشمال من روسيلون وطلوشة «تولوز» قصبتها وقسم من البروفانس في جنوب فرنسا تضم جبال الالب السفلى ومصاب نهر الدون ويلاد نفار والقوكلوز .

تابعت قوات المسلمين تقدمها في اتجاه شمال شرق الأندلس واختارت الثغرة بين جبال البيرينية والبحر الأبيض المتوسط — عبر المحور الذي سبق لقوات قرطاجة اختراقه بقيادة هانيبال — هانيبل — حيث خاضت معركة كانني الشهيرة في ايطاليا ٢١٦ ق.م .

— استولت قوات المسلمين في طريق زحفها على برشلونة^(٤) ثم انتقلت منها الى جرنندة^(٥) وتابعت تقدمها حتى وصلت اربونة^(٦) واصبح باستطاعتها التوغل فيما وراء جبل البرقات ..

— اتبعت قوات المسلمين في تقدمها محورين محور شمالي حيث وادي نهر الرون^(٧) «ودونة» ووصلت حتى ليون «لودون»^(٨) كما توجهت غرباً فاستولت

.....
(١) روسيلون ROUSSILLON .

(٢) بيرينيان PERPIGNAN .

(٣) اللانغدوك LANGUEDOC .

(٤) برشلونة BARCELONA ، مدينة بينها وبين طركونة خمسون ميلا وهي الى الشمال منها .

(٥) جرنندة GERONA ، عاصمة احدى مقاطعات كاتالونيا CATALUNA في الطرف الشمال الشرقي من الاندلس على بعد ١٠٠ كم الى الشمال الشرقي من برشلونة على مقربة من الحدود الفرنسية .

(٦) اربونة NARBONNE وبقيت قاعدة الحدود بين المغرب والافرنجة طوال نصف قرن . وهي الى الشمال الشرقي من قرشونة ، على الساحل الجنوبي لفرنسا .

(٧) وادي ردتنة، RHONE يخترقه نهر الرون الذي يصب جنوبي في البحر الابيض المتوسط .

(٨) لودون ، اولونون ، ليون LEON .

على قرقشونة^(١) «كاركاسون» وجعل المسلمون من أفينيون^(٢) وأربونة .
قواعد متقدمة لمليباتهم^(٣) .

- اوغل المسلمون في تقدمهم حتى انتهوا الى وادي ردونة (فكان اقصى
اثر العرب ومنتهى موطنهم من ارض المعجم ...) وسيطرت قواهم على اربونة
وصخرة ابنيون ، وحصن لودون على وادي ردونة (... فارتاع قارله^(٤) ملك
الافرنجة بالأرض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم في جمع
عظيم فلما انتهى الى الحصن لودون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن
وجهه واقبل حتى انتهى الى حصن ابنيون ، فلم يجد بها احداً وقد عسكر
المسلمون فيما بين (الجبال) المجاورة لمدينة اربونة .. وقاتل المسلمون قتالاً
شديداً استشهد فيه جماعة منهم ، وحمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها
ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها .. فنازلهم بها اياماً اصيب له فيها رجال ،
وتعذر عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد للمسلمين ، فزال عنهم راحلاً الى
بلده وقد نصب في وجوه المسلمين حصوناً على وادي ردونة شكلها بالرجال
فصيرها ثغراً بين بلده والمسلمين ..]^(٥)

- بعد هذا الفشل [اجتمعت الافرنجة الى ملكها الاعظم قارلة ... وقالت
له : ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب ؟ كنا نسمع العرب ونخافهم من جهة مطلع
الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم ما فيها من
العدة والعدد يجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال لهم ما معناه :

(١) قرقشونة «كاركاسون» CARCASSONNE الى الجنوب من تولوز ، على خط
طول غرينتش في جنوب فرنسا وقريبة من الحدود الاسبانية ، حيث جبال البيرينة .

(٢) أفينيون ، AVIGNON .

(٣) تاريخ غزوات العرب ، ارسلان ، ٦٤ .

(٤) قارله CARLUS - CHARLES هو شارل مارتل .

(٥) نفح الطيب - المغربي / ٢٧٤/١ .

الرأي عندي أن لا تعترضوم في خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره
وم في اقبال أمرهم ، ولهم نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تغني عن حصانة
الدروع ولكن أمهلوم حتى تمتليء ايديهم من الفنائم ويتخذوا المساكن
ويتناقصوا في الرياسة ويستعين بعضهم ببعض فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر
أمر ... [(١)] .

— بدا التذمر بين صفوف المقاتلين واخذوا يتساءلون منذ تجاوزوا سرقسطه
[اين يذهب بنا ؟ حسبنا ما بأيدينا ..] (٢) .

وعندما او غلت قواتهم فوصلت ما وصلته من ارض اغاليا ، وتجاوزوا
قرقشونة وقف التابعي جيش الصنعاني ليدكر موسى بأحاديثه السابقة حول
عمليات عقبة بن نافع وقوله :

(لقد غرر ، عقبة ، بنفسه حين غل حيث غل والعدو عن يمينه وعن
شماله وامامه وخلفه ، وما كان معه رجل رشيد ينصحه ..) .

ثم امسك حنش يضان موسى وقال له :

(... ايها الأمير اني سمعتك وانت تذكر عقبة بن نافع وتقول لقد غرر
بنفسه وبمن معه ، وما كان معه رجل رشيد ، وأنا رشيدك اليوم . اين تنهب ؟
تريد ان تخرج من الدنيا او تلتئم أكثر واعظم بما اعطاك الله .. واعرض
بما فتح الله عليك وودوخ لك ، اني سمعت من الناس ما لاتسمع وقد ملوا ايديهم ..
واحبوا الدعة .. فضحك موسى ثم قال : ارشدك الله ، وكثر في المسلمين مثلك
ثم انصرف قافدا الى الاندلس وقال موسى يومئذ : اما والله لو انقادوا الي
لقدتهم حتى اوقفتهم على رومه ، ويفتحها الله على يدي ...) (٣) .

(١) نفح الطيب ١/ ٢٧٥ .

(٢) نفح الطيب ١/ ٢٦٧ .

(٣) تاريخ افتتاح الاندلس ابن لغوية ١٥٣ وتاريخ غزوات العرب ٦٤ ، ودراسات في
تاريخ الاندلس وحضاراتها احمد بدر ٢٨ ، والامامة والسياسة ٨٠/٢ . والمقتبس من ابناء اهل
الاندلس ٢٣٨ و ٢٤٢ .

- رجع موسى بقوته الى طليطلة وذلك بعد ان نظم الثغور واقام حاميات للدفاع عنها ، واخذ في تنظيم المجتمع الجديد ، والاستعداد لتصفية بقية المقاومات في الغرب وانتشر المسلمون في كل مكان من الأندلس .

٨ - فتوح شمال غرب الأندلس « جيليقية » :

- أفاد موسى من فصل الشتاء ، فأعد تنظيم قواته وأرسى قواعد المجتمع الجديد ، ونجح في اثارة حماسة جنده لمتابعة الفتوح ، وبينما كان يستعد لانطلاقه الجديدة كان مغيث الرومي قد نجح في اثارة مخاوف الخليفة الأموي الوليد ، فكلفه بابلاغ موسى ضرورة العودة الى دمشق . لكن موسى نجح في اقناع مغيث بالمسير معه لفتح جيليقية حيث لم يبق في الأندلس بلد لم تدخله العرب الى وقته غيرها ، وقد وهب موسى مغيثاً الموضع الذي ينسب اليه ويعرف باسم « بلاط مغيث » يحمي أرضه - من أرض الخمس - لقاء مشاركته في أعمال الفتح .

- وضع موسى مخططه على أساس احتلال اقليم « القلاع - أو - قشتالة القديمة »^(١) ، فقسم جيشه الى مجموعتين قتاليتين تولى قيادة الأولى طارق بن زياد وتولى هو قيادة المجموعة الثانية .

- انطلق طارق في تحركه على محور سرقسطة - محور نهر إبرة^(٢) - امايه^(٣) ليون^(٤) - استرقة^(٥) ، حيث كان هناك طريق روماني قديم في سفوح جبال

.....

- (١) قشتالة القديمة Castilla - la Vieja ، اقليم عظيم بالأندلس ، قصبة طليطلة .
- (٢) نهر ابرة Ebro ، نهر ينبع من جبال كتالونيا ويشرق فيصب في البحر المتوسط ، ومن اشهر المدن عليه سرقسطة وطرطوش .
- (٣) امايه Amaya .
- (٤) ليون Leon ، بلد في اقليم جيليقية .
- (٥) استرقة « استرقة » Astorja ، من اقليم جيليقية الى الغرب في اتجاه الشمال من مدينة نبلة Nebla .

كنتهريه ، واصطدم طارق بقوات « البشكنس »^(١) في غرب نهر إبرة ، ووجد زعيم البشكنس واسمه « مُزْتُون » انه لا قبل له بحرب المسلمين فانضم اليهم واعتنق الاسلام فأعفيت منطقته « شيه »^(٢) من التخميس . ثم تابع طارق سيره ففتح امايه وليون واسترقه .. وكان ذلك في عام ٩٢ هـ - ٧١١ م^(٣) ..

وبذلك سيطرت قوات المسلمين على السفوح الجنوبية للبيرينه بما فيها ببلونا^(٤) . في الوقت الذي تحرك فيه طارق على المحور الشمالي ، اندفع موسى بتقدمه عبر المحور الجنوبي مستفيداً من حماية طارق لجناحه الأيمن وسيطرة المسلمين على المناطق الجنوبية ، وكان مسيره على محور سرقسطة - حصن بارو^(٥) - بلد الوليد^(٦) - تارنا^(٧) لك^(٨) عبر اقليم قشتالة القديمة - وادي نهر النالون^(٩) - اقليم جيليقية^(١٠) .

- انطلق موسى يجهز وسار بسرعة عبر اقليم قشتالة ولقي مقاومة ضعيفة

(١) البشكنس Lies Basques ، قوم كانوا يقطنون جبال البيرنيه وتزوج الحكم بن الناصر منهم بالسيدة صبح البشكنسية التي كان لها دور كبير في ادارة الدولة .

(٢) شيه Ejea .

(٣) الرسالة الشريفة في الاقطار الاندلسية ٢٠٠ - ٢٠٤ ، اخبار مجموعة ١٥ تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٣ .

(٤) ببلونا Pamplona أو Pampeluna ، عاصمة ولاية نافار Navara كانت من ممالك اسبانيا النصرانية على عهد المسلمين .

(٥) حصن بارو ، او باروز Villa Baruz قلعة قريبة من بلد الوليد .

(٦) بلد الوليد ، Valla - Dolid

(٧) تارنا Tarna .

(٨) لك ، مي Lucus - Asturum ، وتسمى اليوم Santa - maria de Lugo

(٩) نهر النالون ، Nalon .

(١٠) اقليم جيليقية Galicia ويسمى العرب ايضاً غاليسيه .

عند حصن بارو، ثم قام باستدارة واسعة نحو الشمال حتى وصل لك بأشتوريش^(١) حيث توقف فيها ووجه مجموعات قتالية ففتحت أبيض^(٢) وسار هو الى خيخون^(٣) ووجه سرية فاحتلت صخرة « بلاي »^(٤) على المحيط « البحر الأخضر » وعمل موسى على تنظيم المناطق التي فتحها وأقام الحاميات في المراكز الهامة ، وتحقق الأمن والاستقرار ونزل العرب والبربر في كل موضع استحسونه ، واستقروا في كل مكان من الأندلس .

— وفي هذه المرحلة (وبينما موسى كذلك في اشتداد الظهور وقوة الأمل إذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر أردف به الوليد مغيثاً لما استبطأ موسى في القفول وكتب اليه يوجّه ويأمره بالخروج وألزم رسوله ازعاجه ، فانقطع حينئذ من مدينة لك بجيلقيه وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق في الطريق منصرفاً من الثغر الأعلى فأقفله مع نفسه ومضيا جميعاً ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من أثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها وقفل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر حتى احتلوا بأشبيلية)^(٥) .

(١) اشتوريش Asturias أو اشتريس .

(٢) أبيض Oviedo ويسمى ابن حوقل أبيض .

(٣) خيخون Gijon .

(٤) صخرة بلاي Pena de Pelayo وهي أقصى نقطة من اشتوريش على المحيط الأطلسي « البحر الأخضر » وتسمى صخرة بلاي نسبة الى مجموعة من المقاومة تزعمها بلاي .
(٥) نفع الطيب ١ / ٢٧٦ ، وأخبار مجموعة ١٩ . وفي نفع الطيب ١ / ٢٧٧ ان المسلمين أروغوا في بلاد الافرنج حتى وصلوا مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنماً قائماً كالسارية مكتوباً فيها بالنقر كتابة عربية قرئت : (يا بني اسماعيل ، انتهيتم فارجموا ...) فهاه ذلك وقال ما كتب هذا الا لمعنى كبير فثار أصحابه في الاعراض عنه وجوازه الى ما وراءه فاختلفوا عليه فأخذ برأي جمهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصى الغاية ... ولا حاجة لدحض هذه الرواية في أسباب توقف موسى عن متابعة الفتح .. فالاحداث في حد ذاتها تدحضها وتسقطها ..

٩ - فتح عبد العزيز بن موسى في الأندلس :

بعد قمع حركة التمرد في اشبيليا ، بقيادة عبد العزيز بن موسى ، ظهرت ضرورة تصفية المقاومات في غرب الأندلس ، فانطلق عبد العزيز لتصفية المقاومات وحماية الجناح الأيسر لتقدم والده وقائده موسى بن نصير . وهناك تناقض في تاريخ تنفيذ عمليات عبد العزيز بن موسى ، لكن الاحتمال الأرجح هو أن سير عمليات عبد العزيز سارت متوافقة مع عمليات موسى بن نصير ، وبما يثبت هذا الاحتمال ورود عدد من النصوص التاريخية التي تجمع على أن الأندلس فتحت بكاملها عندما غادرها موسى بن نصير عائداً الى دمشق .. وان (سائر البلاد خضعت وقسمت بحضر التابعين الذين كانوا مع موسى ابن نصير ...) .

انطلق عبد العزيز بن موسى من اشبيليا واتبع في تقدمه محور - لبله - باجه - يابره^(١) وعبر نهر تاجه حتى وصل شنترين^(٢) ثم تابع زحفه شمالاً فاحتل قلمريه^(٣) ، وتابع مسيرته بهدف الالتقاء مع قوات أبيه في استرقه .

- بعد مطاردة عبد العزيز لفلول المقاومة وتصفيتها في لبله وباجه ، استمرت عمليات فتوح غرب الأندلس دون مقاومة كبرى وأخذت المدن والقلاع تتساقط في أيدي المسلمين وتستسلم لهم ، وقد أمضى عبد العزيز بن موسى عام ٩٣ - ٩٤ هـ

.....

(١) يابره Evora ، بلد في غرب الأندلس ، من المدن المشهورة في المملكة البطليوسية ، كثيراً ما يذكرها ابن عيرون في شعره .

(٢) شنترين Santarem ، مدينة محصنة في كورة باجه من منطقة الغرب (أي البرتغال) وتبعد ٩٧ كيلومتراً عن الاشبونه - شمالاً - ، تقع على نهر تاجه وقريباً من انصبابه في البحر المحيط .. وهي مدينة حصينة ، وأرضها غابة من الكرم والطيب ، وكانت ولائها في عهد المسلمين تتردد عليها من أشبونه .

(٣) قلمريه Coimbra .

في فتح الغرب وتنظيمه وترك الحاميات فيه ، وعندما التقت قواته بالقوات الرئيسية في الشمال كان على موسى بن نصير العودة الى اشبيلية ، فرافقه عبد العزيز في طريق العودة ، وعندما وصل الجميع الى هدفهم (استخلف موسى ابنه عبد العزيز في اشبيلية ، بعد أن اختارها عاصمة للأندلس ، لاتصالها بالبحر ، وترك معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وزيراً له ومعيناً وترك العساكر وجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد وسد الثغور وجهاد العدو) وانتهت بذلك مرحلة من المراحل الحاسمة في فتح الأندلس^(١) ...



٤ الرسالة الشريفة الى الاقطاع الاندلسية ٢٠٠ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٩ ، تاريخ افتتاح الاندلس ٣٦ .

قراءات

موسى بن نصير اللخمي « أبو عبد الرحمن »

١٩ - ٩٧ هـ - ٦٤٠ - ٧١٨ م

- كان أبوه من سبايا « عين تمر » حيث سباهم خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ وهم صبية . أعتقه بعض بني أمية فرجع الى الشام ثم أصبح من حرس معاوية بن أبي سفيان وأصبح بعد ذلك على حرس معاوية وعلى جيوشه .

- ولد موسى في « كفر مدي » من قرى جبل الحليل في الشام ، ونشأ في بيئة شديدة الصلة بالبيت الأموي ، وفي أسرة امتاز أفرادها بالجرأة والصراحة والتقى .

- كان أول عهد موسى في القيادة توليه قيادة البحر أيام معاوية بن أبي سفيان .

سنة ٦٤ هـ ، كان موسى من أنصار عبد الله بن الزبير واشترك في معركة مرج راهط ، وعندما انتصر مروان بن الحكم هرب موسى الى مصر والتجأ الى عبد العزيز بن مروان الذي توسط له بالصلح عند أبيه .

سنة ٦٥ هـ : عمل مروان بن الحكم على تعيين موسى بن نصير وزيراً ومشيراً لابنه عبد العزيز في ولاية مصر .

سنة ٧١ هـ : ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشر بن مروان الكوفة ثم ولاء البصرة سنة ٧٣ هـ فاجتمع له المصران الكوفة والبصرة وجعل عبد الملك معه موسى وزيراً ومشيراً .

سنة ٧٥ هـ : توفي بشر بن مروان أمير العراقين بالبصرة وولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي العراق فاتهم موسى بن نصير أنه احتجج الأموال لنفسه فهرب الى مصر حيث أنقذه عبد العزيز بن مروان - من جديد - .

سنة ٨٥ هـ : وجه غزوة الأشراف لفتح صقلية .

سنة ٨٦ هـ : عين الوليد بن عبد الملك ، موسى بن نصير لولاية افريقية ، فقاد موسى عمليات الفتح ، ووصل حتى المحيط ولم تمتنع سوى « سبتة » فعين موسى قوة لحصارها بقيادة طارق بن زياد ، ونجح في تحقيق الاستقرار .

سنة ٨٩ هـ : وجه قوة بحرية ففتح سرديانية ، كما وجه قوة أخرى لفتح ميورقه ومنورقه .

سنة ٩١ هـ : وجه موسى قوة استطلاعية بقيادة يوليان ، ثم طريف ..

سنة ٩٢ هـ : وجه موسى قوة لفتح الاندلس بقيادة طارق بن زياد ، عددها سبعة آلاف مقاتل ثم دغمه بقوة أخرى من خمسة آلاف مقاتل .

سنة ٩٣ هـ : قاد موسى بن نصير قوة ١٨ ألف مقاتل لدعم الفتوحات ، واكمال فتح الأندلس .

سنة ٩٦ هـ : عاد موسى الى دمشق بأمر من الوليد بن عبد الملك ، وقد عومل معاملة سيئة من قبل سليمان بن عبد الملك .

سنة ٩٧ هـ : خرج سليمان بن عبد الملك الى الحج ، وفي ركبه موسى بن نصير حيث توفي موسى في وادي القرى ..



طارق بن زياد^(١)

٥٠ - ١٠٢ هـ - ٦٧٠ - ٧٢٠ م

طارق بن زياد ، الليثي بالولاء ، أصله من البربر ونسبه طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاس بن ولهاص بن يطوفث بن نفزاو ، أسلم على يد موسى بن نصير ، فكان من أشد رجاله بأساً ..

سنة ٨٩ هـ : وبعد أن تم لموسى فتح طنجة ولى عليها طارقاً على رأس حامية مكونة من تسعة عشر ألف مقاتل معظمهم من البربر .

سنة ٩٢ هـ : توجه طارق الى الاندلس بأمر من موسى بن نصير ومعه قوة مكونة من سبعة آلاف مقاتل وخاض معركة حاسمة في وادي لكه انتصر فيها على رودريك ملك القوط ، ثم تابع زحفه فاستولى على اشبيليا واستجه ووجه قوة بقيادة مغيث الرومي فاستولى على قرطبة بينما توجه طارق شمالاً حتى استولى على طليطلة ، وجعلها قاعدة انطلق منها لاحتلال وادي الحجارة^(٢) ، وفج طارق^(٣) ، ومدينة سالم^(٤) حيث عثر فيها على المائدة التي اكتسبت شهرة خاصة في التاريخ .

سنة ٩٣ هـ : التقت قوات طارق بقوات موسى بن نصير التي قدمت بطلب دعم من طارق ثم توجه طارق كمقدمة لموسى من أجل متابعة الفتوح شمالاً حيث استولت قوات المسلمين على وادي ردونه « وادي الرون » في فرنسا .

سنة ٩٦ هـ : توجه طارق الى دمشق مع موسى بن نصير ومغيث الرومي

(١) المرجع : نفح الطيب ١ / ٢٥٠ والبيان المغرب ١ / ٢٣ . الكامل في التاريخ لابن الاثير ٤ / ٢١٢ ، تاريخ ابن عساكر ٧ - ٣٨ .
(٢) وادي الحجارة : Guadalajara .
(٣) فج طارق : Buitroco .
(٤) مدينة سالم : Medinaceli .

وغيرهم ، وشكى ما لقيه من حيف للوليد فأنصفه ، وكان الوليد يعظم تعيينه لولاية الاندلس لكن وشاية مغيث الطامح لولاية الاندلس ، أعاقته الوليد ومنعته من تنفيذ ما قرره .

— لم يذكر المؤرخون شيئاً عن طارق بعد وصوله الى دمشق وأحيطت نهايته بستار من الصمت .

— تميزت قيادته بالجرأة والاندفاع والسيطرة القوية على القوات ، في حين تميزت قيادة موسى بالحكمة والتخطيط السليم والتقدير الجيد للمواقف فكان كل قائد مكمل لدور الآخر ..

— أنشد طارق في الفتح قصيدة جاء فيها :

ركبنا سفينةً بالجهاز مثيراً عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوساً وأموالاً وأهلاً ينجية اذا ما اشتبهنا الشيء فيها تيسرا
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا اذا نحن أدركنا الذي كان أجدرنا



مغيث الرومي^(١)

... - ٨١٠٠ = ... - ٧١٨ م

مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني ، وقع في السبي أثناء معارك المسلمين مع الروم وهو صغير ، فضمه عبد الملك بن مروان اليه وأدبه مع ابنه الوليد . ونشأ مغيث في دمشق فأفصح بالعربية وقال الشعر وتدرّب على ركوب الخيل وخوض المعارك ، ووجهه الوليد الى الاندلس غازياً مع طارق ، فدفعه طارق لفتح قرطبة ومعه سبعائة مقاتل ففتحها سنة ٩٢ هـ وأمر ملكها .

.....

(١) الاعلام ٨ - ١٩٧ ونفع الطيب ١٢/٣ ، جذوة المقتبس ٣٣٣ وجاء اسمه في بغية المتلسم طبعة « مجرطة » ص ٤٦١ ، معتب عوضاً عن مغيث .

- عرف عن مغيث الحبث والدهاء وسلاطة اللسان ، وكان هو يعرف ذلك عن نفسه ، قال له موسى بن نصير وقد عارضه بكلام في محفل من الناس ، فأجابه : لساني كالمقصل ، ما أكفه إلا حبث يقتل ..

- واختلف مع طارق وموسى فقال يتوعدهما :
أعنتكم ولكن ما وفيتم فسوف أعيث في غرب وشرق
ونفذ وعيده وتهديده بالوشاية بها الى الوليد .. وسأله سليمان يوماً عن طارق وقد رغب في تعيين طارق لولاية الاندلس فقال له :
كيف أمره بالاندلس ؟ فأجابه مغيث :

[لو أمر أهلها بالصلاة الى أي قبة شاءها لتبعوه ولم يروا انهم كفروا ..]
وكانت هذه المكيدة كافية لإثارة مخاوف سليمان حول امكانات تمرد طارق فصرف النظر عن تعيينه ..

- عاد مغيث الى الاندلس واستقر في قرطبة ، ولم يذكر المؤرخون شيئاً عنه لكن من المعروف انه أنجب ذرية كثيرة ، نجبوا في قرطبة وعرفوا ببني مغيث وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحته .. وان الاحتمال الأرجح هو ان مغيث قضى آخر أيامه في قرطبة ..



عبد العزيز بن موسى بن نصير^(١)

... - ٨٩٧ = ... - ٧١٦ م

برز دوره القيادي للمرة الاولى عند اعادة فتح اشبيليا ، ثم قام بفتح غرب الأندلس وانضم الى قيادة والده ..

.....
(١) اخبار مجموعة ١٩ ، ونفع الطيب ٢٨١/١ ، وفاريخ افتتاح الاندلس ابن القوطية ٣٦ ، الاعلام ٤ / ١٥٤ ، ابن الاثير حوادث سنة ٨٩٧ ، بغية الملتبس ٣٧٣ ، جذوة المقتبس ٢٧١ ، الحلة السيرة ٣١ .

- ولاء أبوه امارة الاندلس عند عودته الى المشرق سنة ٩٥ هـ ، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقي على أبيه موسى منها ، وكان من خير الولاة في الاندلس حيث ضبط سلطانها وضم نشرها وسد ثغورها ، لكن مدة ولايته لم تعمر طويلا .

- تزوج عبد العزيز بن موسى امرأة لذريق - رودريك - ويقال لها أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح ، وباءت بالجزية وأقامت على دينها في ظل نعمتها حتى تزوجها عبد العزيز ، فحظيت عنده ، ويقال انه سكن بها في كنيسة باشبيلية ، فقالت له : ان الملوك اذا لم يتزوجوا فلا ملك لهم ، فهل لك ان أعمل لك مما بقي عندي من الجوهر والذهب تاجاً ، فقال لها : ليس هذا في ديننا ، فقالت له : من أين يعرف أهل دينك ما أنت عليه في خلوتك ، فلم تزل به حتى فعل ، فبينما هو جالس معها والتاج عليه إذ دخلت امرأة كان قد تزوجها زياد بن النابغة التيمي من بنات ملوكهم فرأته والتاج على رأسه فقالت لزياد ألا أعمل لك تاجاً ، فقال ليس في ديننا استحلال لباسه ، فقالت فودين المسيح انه لعلى امامكم فأعلم بذلك زياد ، حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع ثم تحدثا به حتى علمه خيار الجند فلم تكن له همة إلا كشف ذلك حتى رآه عياناً ورآه أهله صدقاً فقالوا تنصر .

- ثم ان زوجة عبد العزيز قالت لزوجها : لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق أهل مملكته ؟ فقال لها : ان هذا حرام في ديننا ، فلم تقتنع منه بذلك ، وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك مما يزري بقدره عندها ، فاتخذ باباً صغيراً قبالة مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحشون ، وأفهمها أن ذلك الفعل منهم تحية له ، فرضيت بذلك ، فنعى الخبر الى الجند فثاروا ثائرتهم . واكتملت خيوط المؤامرة التي قادها حبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد بن النابغة التيمي . ولما أصبح عبد العزيز بن موسى وخرج الى المسجد وصار في

المحارب قرأ سورة الفاتحة - والواقعة، وعندما رفع القوم سيوفهم عليه وأخذوا رأسه وبعثوا به الى سليمان ، وكان ذلك بمسجد « ربينه » وبقي دمه في المحراب فترة طويلة ..



نهاية موسى بن نصير

١ - [تمادى موسى في سيره بأرض الاندلس مجاهداً حتى انتهى الى ارض تميد بأهلها فقال له جنده : الى اين تريد ان تنهب بنا ، حسبنا ما بأيدينا ، فرجع وقال ، لو اطعمتموني لوصلت الى القسطنطينية ...] ^(١)

[واجمع موسى ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الاندلس ويخوض اليه ما بينهما من امم الاعاجم النصرانية مجاهداً فيهم مستلحماً لهم الى ان يلحق بدار الخلافة . ونمي الخبر الى الوليد فاشتد قلقه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف ...] ^(٢) .

- كان الوليد حريصاً على حياة المسلمين ، مثله في ذلك مثل السواد الأعظم من خلفاء المسلمين وقادتهم ، وقد ظهر حرص الوليد منذ البداية عندما طلب من موسى بن نصير استطلاع الاندلس بالسرايا ، وعدم التفرير بالمسلمين ، ثم عندما علم بما قاله موسى خلال فتوحاته ، فطلب اليه العودة الى دمشق ..

[لما فتح المسلمون الاندلس ، جاءهم رجل فقال : ابعثوا معي ادلكم على كنز ، فبعث معه فقال لهم اترحوا ما منا فترحوا فقال عليهم من الياقوت والزبرجد ما أبهتهم فقالوا لا يصنعنا موسى فأرسلوا اليه فجاءه ونظر وقال الكيث : ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بالفضة ان الذهب تنظم السلسلة الذهب

(١) تاريخ الاسلام وطبقات المشايخ والاعلام - الذهبي ٤ - ٦٠

(٢) فتح الطيب ١/٢٣٤ ، الاملة والسياسة ٨٨/٢ .

باللؤلؤ والياقوت فكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيها
بالنفاس فيقسمانها ...]

[... رجع موسى الى افريقية - بعد غزوته في الاندلس - وهو راكب
على بغل اسمه كوكب وهو يجر الدنيا بين يديه جراً ، امر بالمجل تجر أوقار
الذهب والجواهر والتيجان والثياب الفاخرة ومائدة سليمان .. ومعه مائة من
رؤساء البربر ومائة وعشرين من الملوك واولادهم وقدم مصر في أبهة عظيمة
ففرق الاموال ووصل الأشراف والعلماء ..]

- [لما قدم موسى توجه الى الوليد ... فلما جلس الوليد يوم الجمعة على
المنبر اتى موسى وقد ألبس ثلاثين رجلاً التيجان على كل واحد تاج الملك
وثيابه ودخل بهم المسجد في هيئة الملوك فلما رآهم الوليد بهت ثم حمد الله وشكر
وهم وقوف تحت المنبر وأجاز موسى بجائزة عظيمة ..]^(١) .

- كان ظهور موسى بهذا المظهر من الترف والبذخ ، مع ما حصل عليه من
رصيد معنوي بين جماهير المسلمين كافياً لإثارة تخوف أمراء الأمويين وخلفائهم
لا سيما وان عهدهم بتمرد الولاة وقادة الجيوش ممن حصلوا على أقل مما حصل
عليه موسى قريباً ، ولعل ثورة عبد الرحمن بن الأشعث كانت ماثلة في الأذهان
باقية في الذاكرة ، فأخذ مظهر موسى يحرك من القلق ما هو خافياً وأثار الوليد
وسليمان من بعده حتى قال سليمان بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب حين جاء
يشفع لموسى عنده :

[... انه - يعني موسى - قد اشتمل رأسه بما تمكن له من الظهور وانقياد
الجمهور والتحكم في الاموال والابشار ، مما لا يحويه الا السيف ، ولكن قد
وهبت لك دمه وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غلّ من
مال الله ..]^(٢)

(١) تاريخ الاسلام ، الذهبي ٦٢ / ٤ .

(٢) نفح الطيب ١ / ٢٨٤ .

وقد تأكدت مخاوف الوليد وخلفاء الامويين من خلال تصرفات موسى السابقة .

- كانت افريقية عندما وصلها موسى في قحط شديد ، فخرج بالناس فاستسقى وأمر رجلاً يصلي بالناس وخطب فيهم ثم اخذ في الدعاء للوليد فأكثر فأرسل اليه موسى : « انال نأت لذلك فأقبل على ما قصدنا اليه وجلسنا من أجله » فلم يلتفت الى كلامه وتماذى في حاله رجاء ان يبلغ ذلك الوليد فينال عنده منزلة ، فأمر به موسى فسحب حتى أخرج من بين الناس ثم قام موسى فأخذ بالدعاء^(١) .

- وكان عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر قد كتب اليه رسالة يهدده فيها فكتب اليه موسى : [... أما بعد .. فقد قرأت كتابك وفهمت ما وصفت فيه من اركانني الى أبويك وعمك ، ولعمري ان كنت لذلك اهلاً ولو خبرت مني ما خبرا لما صغرت مني ما عظما ولما جهلت من أمرنا ما علما فكيف أتاه الله لك . فأما انتقاصك لها فيها لك وأنت منها ولها منك ناصر لو قال وجد عليك مقالاً وكفاك جزاء العاق . فأما ما نلت من عرضي فذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لا لك . وأما تهديدك لإيبي بأنك واضع مني ما رفعا فليس ذلك بيدك ولا إليك فارعد وابرق لغيري . وأما ما ذكرت مما كنت آتي به عمك عبد العزيز ، فلعمري اني ما نسبني اليه من الكهانة لبعيد واني من غيرها من العلم لقريب فعلى رسلك فكأنك قد أظلك البدر الطالع والسيف القاطع والشهاب الساطع فقد تم لها وتمت له^(٢) ، ثم بعث اليك الأعرابي الجلف الجافي فلم نشعر به حتى يحل بعقوتك^(٣) فيسلبك سلطانك فلا يعود اليك ولا تعود اليه

(١) رياض النفوس ١ - ٧٨ .

(٢) الضمير للخلافة .

(٣) عقه : الشر الذي يولد عليه كل مولود .

فيومئذ تعلم أكاهن أم عالم وتوقن أينما النادم السادم^(١) والسلام ... [(٢)] .
- كان موسى بن نصير قوي الشخصية ، ثابت الارادة ، لا يسمع لمروؤوسيه
بالتطاول والارتفاع الى المستوى الذي يضر بسمعته او يضعف من سلطته
وسيطرته ، ومن هنا كان لا بد من حدوث صدام بينه وبين طارق بن زياد ،
ومغيث الرومي الى جانب وجود خلاف آخر بين طارق ومغيث ويظهر ذلك من
خلال الأحداث التالية :

[... عندما وجه موسى طارق لفتح الاندلس طلب اليه عدم التوغل في
الفتوح والمغامرة بمن معه] (٣) .

لكن مسيرة الاحداث واغراءات الفتح دفعت طارق الى اهمال توصية
موسى والاندفاع شمالاً حتى طليطلة ... وعندما تجمعت القوى ضده وشعر
طارق بتهديد خطوط مواصلاته واحتمال عزله عن قاعدة عملياته في افريقية
كتب الى موسى :

[... ان الامم تداعت علينا من كل ناحية .. فالقوٲ .. القوٲ ..] (٤) .
فأسرع موسى بمجشد قواته والانزال في الاندلس ومتابعة العمليات ، وكانت
هذه المخالفة كافية لاثارة موسى وتحريك غضبه ..

- وكان موسى كقائد أعلى يدرك واجباته ومسؤولياته يضع حدوداً
لتصرفات مروؤوسيه فعندما تم له فتح طليطلة ودخولها طالب طارق بتسليم
ما حصل عليه من غنائم ومنها المائدة التي عرفها المؤرخون باسم «مائدة سليمان»

(١) السادم : النادم والحزين .

(٢) الولاة والقضاة ٦٠ .

(٣) الاعلام ٣ - ٣١٣ ، والبيان المغرب ١ - ٤٣ ، وتهذيب ابن عساكر ٧ - ٣٨ .

(٤) الامامة والسياسة ٢ - ٧٤ ، وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ١٣٨ ، وتاريخ

الاسلام للذهبي ٣ - ٣٢٤ .

والتي تضاربت في وصفها الأخبار والروايات ولعل أصدقها وأقربها الى الواقع هي قصة ابن حيان التي جاء فيها :

[... وهذه المائدة المنسوبة الى سليمان النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواية العجم وانما اصلها ان العجم في ايلم ملكهم كان اهل الحسنة منهم اذا مات اخدم اوصى بجال للعكنا نس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسي واشباهها من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسموس فوقها مصاحف الأناجيل اذا ابرزت في ايام المناسك ويضعونها على المذابح في الاعياد للمباهاة بزينتها ، فكانت تلك المائدة بطليطلة بما صيغ في هذا السبيل وتأنقت الأملاك في تلك الآلات وطار الذكر مطاره عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد ولم تر الأعين مثلاً وبولغ في تفخيمها من اجل دار المملكة وانه لا ينبغي ان تكون بموضع آلة حجال أو متاع مباهاة الا دون ما يكون فيها ، وكانت توضع على منبر كنيسة طليطلة فأصابها المسلمون هناك وطار النبا الفخم عنها ، وقد كان طارق ظن بموسى اميره مثل النبي فعل من غيرته على ما تهيأ له ومطالبته له بتسليم ما في يده اليه ، فاستظهر بانتزاع رجل من أرجل هذه المائدة خباها عنده فكان من فلقه به على موسى عدوه عند الخليفة اذ تنازعا عنده بعد الأثر في جهادهما ما هو مشهور . وقال بعض المؤرخين ان المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق ثؤلث و طوق ياقوت و طوق زمرد ، وكلها مكللة بالجواهر ...]^(١١) .

— أما الخلاف بين موسى ومغيث فيظهر من الحادثة التالية :

[... كان مغيث يدل بمكان ولانه من الخلافة فبعث اليه موسى : هات

العلاج ، فقال : والله لا تأخذه وأنا أقدم به على الخليفة فهجم عليه فتزعه منه ، فقيل له ان سرت به حيا قال مفيت أنا أصبته ولكن اضرب عنقه ففعل ثم مضى حتى قدم على الوليد [(١)] .

وكان مفيت الرومي يطمح الى ولاية الاندلس وكان يعترض طموحه وجود موسى بن نصير وطارق بن زياد ، ولهذا أضمر في نفسه الخقد عليهما وأخذ في العمل لازاحتهما عن طريق هدفه .

[... ويبدو أن مفيتاً كان حائقاً في نفسه او لأنه ساءه ان ينسب فضل الفتح كله الى نفسه مغفلاً ببيان ما قام هو وما قام به طارق ، فلم يال جهداً في تنقيص موسى وتشويه سمعته ، فكان لكلامه اسوأ الأثر على مصير موسى فيما بعد ...] [(٢)] .

عاد موسى الى دمشق ، وقبل ان يصلها بلغه ان الوليد في آخر رمق له ، ووصله من لقيه في الطريق من قبل سليمان بن عبد الملك ومعه كتاب يطلب فيه الى موسى التريث والانتظار ريثما تنتهي حياة الوليد ويتولى سليمان الخلافة فيكون شرف فتح الاندلس مقترناً بقدوم عهده . فكان جواب موسى بن نصير حاسماً حيث قال عن سليمان :

[.. خنت والله وغدرت وما وفيت ...] .

ثم أبلغ موفد سليمان بقوله :

[... والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني اسير بمسيري فان وافيته حياً لم اتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله] [(٣)] .

وتابع موسى تقدمه فوصل دمشق في حياة الوليد ، وأسلمه الحسن ، ووجد موسى ان الوليد غاضب منه بعد ان سبقته وشاية طارق ومفيت ضده وتأكدت

.....

(١) اخبار مجموعة ١٩ ، وتاريخ الاسلام للذهي ٤ - ٥٨

(٢) فجر الاندلس ١٠١ وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٠

(٣) نفح الطيب ١ - ٢٨٠

للوليد صحة الشكوى ضد موسى عندما اخرج له طارق « قائمة المائدة » ، ولم يكتب الوليد بعد ذلك سوى اربعين يوماً حيث توفي وانتهت الخلافة الى سليمان ابن عبد الملك الذي كان حانقاً على موسى .. ففرض عليه من الأموال ما ينوء عن حمله .. [واغرمه غرمًا عظيمًا حتى سأل العرب . فيقال ان لخمًا حملت عنه في اعطائها سبعين ألفاً ذهباً ...]^(١) .

- كان موسى بن نصير قريباً الى نفس يزيد بن المهلب أثيراً لديه ، وكان يزيد ابن المهلب وزيراً لسليمان بن عبد الملك ، فتوسط يزيد بن المهلب لدى سليمان وشفع له وكفله ، كما تدخل في هذه الوساطة عمر بن عبد العزيز مما خفف من حقد سليمان ضد موسى ، وفي هذه الفترة الحرجة من الضيق جلس يزيد بن المهلب الى ابن نصير وقال له :

[اريد ان اسالك فاصنع الي] .. فقال موسى : [سل عما بدا لك ..] فقال : [لم ازل اسمع عنك انك من اعقل الناس واعرفهم بمكايد الحروب ومدارة الدنيا . فقل لي كيف حصلت في يدي هذا الرجل ، بعدما ملكت الاندلس ، وألقيت بينك وبين هؤلاء البحار الزخار ، وتيقنت بعد المرام واستصعابه واستخلصت بلاداً انت اخترعتها واستملكتم رجالاً لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل في يدك من الدخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرت به الامتناع ما ألقيت عنقك في يد من لا يرحمك ، ثم انك علمت ان سليمان ولي عهد ، وانه المولى بعد اخيه وقد اشرف على الهلاك لا محالة ، وبعد ذلك خالفته وألقيت بيدك الى التهلكة وأحققت مالكك ومملوكك - ويقصد بذلك سليمان وطارق ومغيث - وما رضى هذا الرجل الا بعيده ولكن لا ألو جهداً ..] فأجابه موسى :

[.. يا ابن الكرام .. ليس هذا وقت تعديد .. اما سمعت اذا جاء الحين

(١) نفع الطيب يحملها تسعين ألفاً ١ - ٢٨٠ ويحملها المقرئ تسعين ألفاً .

غطى على العين ..] فقال يزيد : [ما قصدت بما قلت لك تعديداً وتبكيماً ،
وانما قصدت تلقيح العقل وتنبيه الرأي وأن أرى ما عندك !.. فقال موسى :
اما رأيت الهدم يرى الماء تحت الارض عن بعد ، ويقع في الفخ وهو بمرأى
عينه] ^(١) . ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه : (انه قد اشتعل رأسه بما
تمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم في الأموال والأبشار على ما لا
يمحوه الا السيف ولكن قد وهبت لك دمه وانا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب
حتى يرد ما غل من مال الله) .

وعاد يزيد بن المهلب الى موسى .. وأخذ في الحديث معه وقال له :
[يا ابا عبد الرحمن في كم تعتد من مواليك وأهل بيتك ؟ فقال له موسى :
» في كثير . فقال يزيد .. يكونون ألفاً .. فقال له موسى : والفأ والفأ الى
منقطع النفس . فقال له يزيد : وانت على ما وضفت والقيت بنفسك الى
التهلكة ؟ افلا اقيمت في قرار عزك وموضع سلطانك وامتنعت بما قدمت به ؟
فان أعطيت الرضى والا كنت على عزك وسلطانك . فقال له : والله لو اردت
ذلك لما نالوا من اطرافي طرفاً .. ولكنني آثرت الله ورسوله .. ولم نر الخروج
عن الطاعة والجماعة ^(٢)] ..

- وامكن بعد ذلك تسوية الخلاف لصالح موسى بن نصير الذي اخذ يتردد
على مجلس الخليفة سليمان . وسأل سليمان بن عبد الملك يوماً موسى فقال له :
(.. أي الأمم كانوا أشد قتالاً ؟ ..) فقال موسى : (انهم يا أمير المؤمنين
أكثر مما أصفهم) فقال له : أخبرني عن الروم . فقال : أسود في حصونهم ،
عقبان على خيولهم . نساء في مواكبهم ، ان رأوا فرصة افترصوها ، وان خافوا
غلبة فأوعال ترقد في اجبال ، لا يرون عاراً في هزيمة تكون لهم منجاة) .

(١) نفح الطيب ٢٨٤/١

(٢) البيان المغرب ١ - ٤٢ و ٢٠ - ٢٥

فقال سليمان : (فأخبرني عن البربر) فأجابه موسى : (هم يا أمير المؤمنين أشبه المعجم بالعرب: لقاء ونجدة وصبراً وفروسية وساحة وبادية غير أنهم يا أمير المؤمنين غدر) . قال : (فأخبرني عن الاشبان) « الاشبان » ، فقال (ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون) . فقال : فأخبرني عن الافرنج .. فأجاب موسى : (هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كثيرة ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكلا قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب الملقهور والعزيز البذوخ ..) فقال : (فأخبرني كيف كانت الحروب بينك وبينهم ، أكانت عقباً) بمعنى تناوب بين ونصر وهزيمة ، فأجاب موسى : (يا أمير المؤمنين ، ما هزمت لي راية قط ، ولا فض لي جمع ، ولا نكبت المسلمون معي نكبة منذ اقتحمت الأربعين الى ان شارفت الثمانين) . قال سليمان : (فأين الراية التي حملتها يوم « مرج راهط » مع الضحاك ، فأجابه موسى فوراً : تلك يا أمير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية ، فقال سليمان : صدقت ، وأعجبه قوله .

وفي يوم آخر جلس الخليفة سليمان بن عبد الملك الى موسى بن نصير وسأله : (ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من أمور عدوك ؟) فأجاب موسى : (.. التوكل والدعاء الى الله يا أمير المؤمنين) . وسأل الخليفة من جديد : (هل صكنت تمتنع في الحصون والختنادق أو كنت تخندق حولك ؟) وأجاب موسى : (.. كل هذا لم أفعله ... كنت أنزل السهل ، واستشعر الخوف والصبر ، وأتحصن بالسيف والمغفر ، وأستعين بالله وارغب اليه في النصر ...) (١)

— ودخل موسى على سليمان يوماً وعنده الناس فلما رآه سليمان قال : (.. ذهب سلطان الشيخ) وأبصره موسى حين تكلم فلم يفهم قال : (يا أمير المؤمنين !

رايتك لما نظرتني داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتني به) ، قال سليمان (نعم ، قلت ذهب سلطان الشيخ ..) فقال له موسى : (... أما والله لئن ذهب سلطان الشيخ ، لقد أثر الله به في دينه أثراً حسناً ، ولقد كنت طويل الجهاد في الله ، حريصاً على اظهار دين الله حتى أظهره الله ، وكنت ممن أتم الله به مواعده لنبيه ولئن أدبر معك لقد كان مع آبائك ناضر الغصن ، ميمون الطائر ..) فقال سليمان : هو ذاك ؟ فقال موسى : (هو ذاك ..) فلم يزل يرددها سليمان ويردها موسى حتى سكث سليمان ..

- في السنة التالية لوصول موسى الى دمشق - أي في عام ٩٧ هـ - قتل عبد العزيز بن موسى في الاندلس وحمل رأسه الى دمشق حيث ألقى بين يدي الخليفة سليمان ، فأرسل سليمان الى موسى ، فلما حضر ورأى رأس ابنه وقف وحد الله ثم قال : (هذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه ، فلعمري ما علمته نهاره إلا صواماً وليله إلا قواماً شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين ...) (١) .

غضب سليمان لمقتل عبد العزيز بن موسى وشق ذلك عليه ، فولى افريقية عبد الله بن يزيد ، وكان أمر الاندلس وطنجة وولايتها تابعة لافريقية ، وأمره سليمان فيما فعله حبيب بن أبي عبيدة وزيد بن النابغة من قتل عبد العزيز بان يتشدد في ذلك ، ثم مات سليمان فصرح عبد الله بن يزيد والي افريقية على الاندلس الحر بن عبد الله الثقفي وأمره بالنظر في شأن قتل عبد العزيز فلم يستقر بالحر القرار حتى ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، فعزل عبد الله بن يزيد عن افريقية وولاهما سهيل بن عبد الله مولى بني مخزوم وولى السمع بن مالك الحولاني الاندلس .. (٢) .

(١) الامامة والسياسة ٢ - ٩٧

(٢) اخبار مجموعة ٢٢ .

- في عام ٩٧ هـ ، حج سليمان ، ومعه موسى بن نصير ، وبينما كان يسير يوماً إذ دعا سليمان بموسى ، فدعاه أحد رجال سليمان ، وكان موسى يسير رجلاً فلم يلتفت موسى الى ندائه ، ثم دعا به سليمان ، فناداه ذلك الرجل ايضاً ، فلم يلتفت اليه ، فقال له الرجل : (غفر الله لك ! ألم تسمع دعاء أمير المؤمنين ؟ ..)
 (إني اخافه وأخاف أن يغضب). فقال موسى: (ذاك لو كان عبد الملك أو الوليد، فاما هذا فانه يرضيه ما يرضي الصبي ويستخطه ما يستخطه وسترى ذلك ..)
 ثم تقدم موسى حتى لحق ولصق بسليمان، فقال له : (أين كنت يا ابن نصير؟ ..)
 فقال له : (.. يا أمير المؤمنين ، أين دوابنا من دوابك ، اني لمنذ دعاني أمير المؤمنين لفي كد حتى لحقت أمير المؤمنين ..) فضحك سليمان وأمر له بثلاثين نجيباً موقورة جهازاً وبحجرة من حجره وجائزة .. وسأيره وحادثه ثم انصرف عنه .. فلحق الرجل اليه فقال له موسى (كيف رأيت ؟) فقال : (.. أنت كنت به أعلم ..)^(١) .

- وفي أم القرى ، توفي موسى بن نصير، وأغمض عينيه ، فصلى عليه مسلمة ابن عبد الملك ، ودفن هناك^(٢) ..



.....

(١) الإمامة والسياسة ٢ - ١٠١

(*) ملاحظة : هناك روايات متناقضة يدحض بعضها بعضاً حول نهاية موسى بن نصير ، وسوء معاملته ، وما لقيه في أيامه الاخيرة ، وأحياناً يغم المصدر الواحد من التناقضات الكثيرة ما هو مثير للشكوك في صحة روايات هذه المراجع والمصادر ، وقد تم الاخذ هنا بأكثرها صحة وتوافقاً مع تحليل شخصيات الخلفاء الامويين - الوليد وسليمان - والظروف التاريخية التي وقعت فيها تلك الاحداث ، واتساق الاحداث بعضها مع بعض بشكل تستقيم فيه المعلومات على اكبر قدر من الصحة ..

قراءات

مصير أولاد غيطشة بعد الحرب ...

وصل طارق بفتوحه حتى طليطلة ، وأسهم أولاد غيطشة بأعمال الفتح ، وعندما انتهت المرحلة الأولى اجتمعوا بطارق وقالوا له ^(١) :

(أنت أمير نفسك أم فوقك أمير ؟ فقال بل على رأسي أمير وفوق ذلك الأمير أمير عظيم ...) فاستأذنوه بالحقاق بموسى بن نصير يافريقية ليؤكد سببهم به ، وسأله الكتاب اليه بشأنهم معه وما أعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقوه في انحداره الى الاندلس بالقرب من بلاد البربر وعرفوه بشأنهم ، ووقف على ما خاطبه به طارق في ذمتهم وسابقتهم ، فأنقذهم الى أمير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرفهم به طارق من جميل أثرهم ، فلما وصلوا الى الوليد أكرمهم وأنقذ لهم عهد طارق في ضياع والدم وعقد لكل واحد منهم سجلاً وجعل لهم أن لا يقوموا لداخل عليهم ، فقدموا الاندلس وحازوا ضياع والدهم أجمع واقتسموها على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم « ألدند » ^(٢) ألف ضيعة في غرب الاندلس فسكن من أجلها اشيلية مقرباً منها . وصار « لأرطباش » ^(٣) ألف ضيعة ، وهو تلوه في السن وضياعه في موسطة الاندلس فسكن من أجلها قرطبة . وصار لثالثهم « وقله » ^(٤) ألف ضيعة في شرق الاندلس وجبهة الثغر ، فسكن من أجلها مدينة طليطلة ، فكانوا على هذه الحال صدر

.....
(١) نفع الطيب ، ١ - ٢٦٥ - ٢٦٦

(٢) ألدند : Olmundo .

(٣) ارطباش : Ardabast .

(٤) وقله ، تعريب اخيلا Aquila .

الدولة العربية الى أن هلك ألمند - كبيرهم - وتحلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين ، فبسط يده أرطباش على ضياعهم وضمها الى ضياعه ، وذلك في خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، فأنشأت سارة بنت ألمند مركبا باشبيلية حصينا كامل العدة ، وركبت فيه مع أخويها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بمسقلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره بدمشق فأنتهت خبرها وشكت ظلامتها من عمها واستعدت عليه ، واحتجت بالعهد المنمقد لأبيها وأخويه على الخليفة الوليد بن عبد الملك فأوصلها هشام الى نفسه وأعجبه صورتها وحزمها ، وكتب الى حنظلة بن صفوان عامله بافريقية بانصافها من عمها أرطباش وإمضائها وأخويها على سنة الميراث فيما كان في يد والدها بما قاسم فيه أخويه ، فأنفذ لها الكتاب بذلك الى عامله بالأندلس أبي الخطار - ابن عمه - فتم لها ذلك وأنكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم فابتنى بها بالشام ثم قدم بها الى الأندلس وقام لها في دفاع عمها أرطباش عن ضياعها فنال بها نعمة عظيمة وولد له منها ولداه ابراهيم واسحاق فأدركا الشرف المؤثل والرياسة باشبيلية وشهرا ونسلبها بالنسبة الى أمهما سارة القوطية .

وكانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأت عنده حفيده عبد الرحمن بن معاوية - الداخل بعد الى الأندلس - وعرفها ، فتوسلت بذلك اليه لما ملك الأندلس ووفدت اليه ، فاعترف بذمامها وأكرمها وأذن لها في الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدد تكرمتها ولا يحجب عياله عنها ، وتوفي زوجها عيسى في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الأندلس ، فزوجها عبد الرحمن من عمير بن سعيد .

- وكان لها ولأبيها ألمند وعمها أرطباش في صدر الدولة العربية بالأندلس أخبار ملوكية : فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي انه قصد أرطباش يوما الى منزله عشرة من رؤساء رجال الشاميين فيهم الصميل وابن

الطفيل وأبو عبده وغيرهم فأجلسهم على الكراسي وبالع في تكريمهم ودخل على
أفرهم ميمون العابد جد بني حزم وكان في عداد الشاميين إلا أنه كان شديد
الانقباض عنهم لزهده وورعه ، فلما بصر به أرتباش قام اليه دونهم اعظاماً
ورقاه الى كرسيه الذي كان يجلس عليه وكان ملبساً صفائح الذهب وجذبه
ليجلسه مكانه ، فامتنع عليه ميمون وقعد على الأرض ، فقعد أرتباش معه
عليها وأقبل عليه قبلهم ، فقال له يا سيدي ، ما الذي جاء بك الى مثلي ؟ فقال
له : ما تسمعه ، انا قدما الى هذا البلد غزاة نحسب أن مقامنا فيه لا يطول فلم
نستعد للمقام ولا كثرنا من العدة ، ثم حدث بعدنا على موالينا وفي أجنادنا ما قد
أيسنا معه من الرجوع الى أوطاننا ، وقد وسع الله عليك ، فأحب أن تدفع إلي
ضياعاً من ضياعك أعتمرها بيدي ، وأؤدي اليك الحق منها وأخذ الفضل لي
طيباً أتعيش منه ، فقال : لا أرضى لك بالمسامة ، بل أهب لك هبة مسوعة ،
ثم دعا بوكيل له فقال له : سلم إليه المحشر « المرعى » الذي لنا على وادي شوش
بما لنا فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك ، وادفع اليه الضيعة التي يحيان ،
فتسلم ميمون الضيعتين وورثها ولده وإليهم نسبت قلعة حزم ، فشكره ميمون
وأثنى عليه وقام عنه . وقد أنف الصميل من قيامه اليه ، فأقبل على أرتباش
وقال له : كنت أظنك أرجح وزناً ، أدخلُ عليك وأنا سيد العرب بالأندلس
في أصحابي هؤلاء وهم سادة الموالى فلا تزيدنا من الكرامة على الإقعاد على أهواك
هذه ، ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث صرت ؟.. فقال له :
يا أبا جوشن ، ان أهل دينك يخبروننا أن أديهم لم يرهفك ، ولو كان لم تنكر علي
ما فعلته ، انكم اكرمكم الله انما تكرمون لدنياكم وسلطانكم وهذا انما
أكرمه الله تعالى ، فقد روينا عن المسيح ، عليه السلام ، انه قال : من أكرمه
الله تعالى من عباده بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه ، فكأنما ألقمه حجراً ،

وكان الصميل أمياً ، فلذلك عرض به ، فقال له القوم : دعنا من هذا ، وانظر
فينا قصدنا له فحاجتنا حاجة الرجل الذي قصدك فأكرمته فانظر في شأننا ،
فقال له : أنتم ملوك الناس ، وليس يرضيكم إلا الكثير ، وها أنا أحب لكم
مائة ضيعة تقسمونها عشراً عشراً وكتب لهم بها وأمر وكلاءه بتسليمها اليهم ،
فكان القوم يرونها من أطيب أملاكهم^(١) .

(١) نفح الطيب ١ / ٢٦٧ - ٢٦٨

الطبعة الثالثة

الفصل الثالث

الفتوح في عهد الولاة

- ١ - فرنسا « بلاد الغال » عند فتح العرب للأندلس .
- ٢ - يوم التروية .
- ٣ - مأساة عنبة بن سحيم الكلبي .
- ٤ - معركة بواتيه ... بلاط الشهداء .
- ٥ - معركة بواتيه في التاريخ .
- ٦ - المحور الخامس، والقاعدة المتقدمة في إيطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا .
- ٧ - حول عمليات المحور البحري .

قراءات

- السمع بن مالك الخولاني .
- عنبة بن سحيم الكلبي .
- عبد الرحمن الغافقي .

الفتوح في عهد الولاة

٩٦ - ١٣٨ هـ = ٧١٤ - ٧٥٥ م

تعاقب على حكم الاندلس ما بين عامي ٩٦ هـ ، حيث ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير و ١٣٨ هـ ، حيث استقر الحكم لبني أمية عدد من الولاة وصل عددهم الى عشرين والياً ، طالّت ولاية بعضهم سنوات عديدة واقتصرت ولاية البعض الآخر على شهور قليلة ، وقد حاول بعض هؤلاء الولاة متابعة الفتوح في بلاد غالبا « فرنسا » فاصطدمت محاولاتهم بمقاومات عنيفة وحدثت معارك حاسمة . أما في المجال الداخلي فقد تميز عهد الولاة بالاستقرار ، والتركيز على بناء المجتمع واقامة علاقات عامة جديدة^(١) .

— كانت اسبانيا عند الفتح تمتد الى ما وراء جبل البربات او البرانس « البيرنيه » فكان يتبعها من أرض فرنسا مقاطعة روسيون، وهي المقاطعة المسماة اليوم بالبيرنيه الشرقية^(٢) وقسم من اللانغدوك^(٣) بالاضافة الى قسم من البروفانس^(٤) ، وقد توغل موسى بن نصير في هجومه الاول على محور واحد هو محور « نديون حتى ليون » تاركاً لخلفائه من بعده متابعة التقدم على المحاور الأخرى ..

(١) يمكن مطالعة تسلسل حكم الامراء في الجداول الملحقه .

(٢) روسيون Rousillon استولت عليها فرنسا سنة ١٦٥٩م وقاعدتها بربينيان

Perpignan

(٣) اللانغدوك Languedoc ، وهي المقاطعة الواقعة الى الشمال من روسيون وقاعدتها تولوز ،

وكان استيلاء فرنسا عليها عام ١٢٧١م .

(٤) البروفانس Provence ، في جنوب فرنسا تضم جبال الألب السفلى ومصب نهر الرون

وبلاذ الفاك والفركلوز .

- تركز الجهد في عهد الولاة على محاولات فتح ما وراء جبل البيرنيه ، وقد جرب العرب المسلمون التوغل على محاور مختلفة لكن الفشل كان من نصيب هذه التجارب التي لم تحقق نتائج هامة ولهذا يمكن اعتبارها عمليات وقائية - دفاعية أكثر منها عمليات هجومية . وكانت الولاة هم الذين يقودون هذه العمليات بانفسهم نظراً لما كانت تتميز به من أهمية . وبرز من خلال أعمال القتال أسماء عدد من القادة الذين قضوا فوق أرض « غاليا » فرنسا وسطروا ملاحم رائعة ..

- احتلت معارك عهد الولاة وفتوحاتهم فيما وراء « البيرنيه » أهمية خاصة عند الغربيين ، وتعرضت للتحليل والنقد ورسمت هالة حولها وبصورة خاصة منها معركة « بلاط الشهداء » ، بينما لم يعط المؤرخون العرب لها من الأهمية أكثر مما تستحقه على اعتبار أنها ، مماثلة لغيرها من المعارك الكثيرة التي قادها العرب المسلمون في عهد الفتوحات والتي رافقتها الانتكاسات والانتصارات ، وكانت الدروس التي أفاد العرب من الانتكاسات والانتصارات على مستوى واحد من الأهمية ..

١ - فرنسا « الفال » عند فتح العرب للأندلس ..

- كانت فرنسا عندما فتح العرب الأندلس تحت حكم الافرنج « الميروفنجيون » وان معرفة شكل الحكم فيها يفرض بالضرورة العودة الى نهاية القرن الخامس حيث كانت غالبا مقسمة الى ست مناطق كبرى ، ففي الشمال كانت مملكة الافرنج ، وفي الشمال الشرقي الآلامان ، وفي الجنوب الشرقي مملكة بورغونيا ، وفي الجنوب الغربي الفيزغوثيون أو القوط الغربيون ، وحول لوتيس « باريس » كانت المملكة الغالية الرومانية ويحكمها الملك سياجريوس الذي كان يحافظ على شكل من أشكال الوحدة مع الشعوب المتحدة مع الرومان ، أما في غرب فرنسا فكان « البريتون » ثم فصمت عرى الوحدة مع الامبراطورية الرومانية عام ٤٠٧ م .

— كانت مملكة الافرنج « الميروفنجيون » من أقوى هذه الممالك ، فقد بدأ مؤسس هذه المملكة « ميروفي » ^(١) ٤٤٨ - ٤٥٧ م بقيادة الفرنج لمجابهة الهون في حقول كاتالونيه وأسهم في دحر الهون وأعطى اسمه للأسرة المالكة « الميروفنجية » التي حكمت بلاد الغال « فرنسه القديمة » حتى ٧٥١ م .

وقد جاء كلوفيس الأول ^(٢) ٤٨١ - ٥١١ م حفيد ميروفي فانتصر على سياغريوس ملك المملكة الغالية - الرومانية في معركة سواسون ٤٨٦ م وعلى الآلامان قرب تولونيه ٤٩٦ م وعلى البورغوندين قرب ديجون ٥٠٠ م وعلى الفيزيقوط في فوييه ٥٠٧ م ، وأسس الملكية الفرنجية وأصبح ملكاً واحداً لبلاد الغال بعد مقتل زعماء كولونيه الفرنج وزعماء كامبري وتيروان .. وقد جعل كلوفيس من مدينة « باريس » عاصمة له ..

— لم تلبث هذه المملكة القوية ان قسمت الى اربعة ممالك حكمها ورثة كلوفيس وهم : تيري وكلودومير وشيلدبير وكلوتير ، وبقي الأمر كذلك حتى جاء داغوبير ٦٢٨ - ٦٣٨ م فاعاد توحيد المملكة ، لكن الآلامان والبريتون والاكيتانيون أعلنوا استقلالهم بعد ممات داغوبير .

— لم يكن خلفاء الملك داغوبير على مستوى الحكم ، فولوا شؤون الدولة الى وزراء القصر « ولم يبق لهم من الحكم شيئاً حتى عرفوا باسم « الملوك الكسالى » ونتيجة لذلك نشأت في كل ممالك الافرنج « أسر متوازية » تتنازع مركز الصدارة ، فوزير قصر مملكة « اوسترازيه » - بيبان الهيرستالي - دحر جيش نوسترازيه في تريستري ، وأعاد تنظيم المملكة لزم من ما ، وشارل مارتل ابن بيبان أخضع مملكة نوسترازيه ، ومقاطعة ألبتانيه وهزم البافاريين والساكون والآلامان .. ثم ورث شارل مارتل ابن بيبان بمجمل مملكة الافرنج وقام

(١) ميروفي Mérovée

(٢) كلوفيس الأول Clovis-1

بمحاصرة ديديه ملك اللومباردين في بافيه واغتصب منه التاج ، واصبح ملك الافرنج واللومباردين ودفع حدود مملكته حتى نهر « غاريفليانو » في إيطاليا ، كما أوصل حدود مملكته فيما وراء الراين حتى وصل « الايلب » ، وقد جاء « بيبان الحاسم » ابن شارل مارتل ، فجمع « الأوفياء »^(١) في سواسون وجعلهم ينتخبونه ملكاً وقد باركه البابا اتيان الثاني عام ٧٥٤ م ، وهكذا خلفت « أسرة الكارولنجيين » في حكم فرنسا اسرة « الميروفيين » او الافرنج ، واستمر حكم الكارولنجيين طوال الفترة بين ٧٥١ - ٩٨٧ م .^(٢)

— اكتسب الافرنج « الميروفنجيون » ومن بعدهم « الكارولنجيون » خبرات واسعة في مجال الحرب ، نتيجة لصراعهم المستمر مع خصومهم في الداخل والخارج ، وعندما جاء شارل مارتل ، طور اساليب القتال فحصد شواطئ الأطلسي وبحر المانش وبحر الشمال اتقاء لكل هجمات مباغته وقاد حملات ضد الساكسون طوال ثلاثين عاماً من حكمه ، وأدخل شارل مارتل تطورات جديدة على « الفالانج » القديم فجعله كثير العمق حتى اصبح كالجدار الصلب الذي لا يمكن اختراقه ، كما اعتمد على سلاح الفرسان فزاد من قوته وعدده ، وقد عمل على استبدال نظام النفرة الجماعية بتجنيد شامل في البلاد ، لا يقتصر تعبئة المناطق المهددة فقط ، مما وفر امكانيات بشرية ضخمة للحرب ..



-
- (١) الأوفياء - تروست - Truste قوة دائمة - هي نواة الجيش الذي ينضم اليه المتطوعون والمستنفرون أثناء الحرب .
- (٢) تاريخ جيوش العالم ، ترجمة يوسف يازجي ، الفصل الثالث عشر المجلة العسكرية ، العدد ٩ - السنة الرابعة والعشرين .

٢ - يوم الترويه

١٠٢ هـ = ٧٢٠ م

الوضع العام :

في عام ٩٦ هـ ، وبعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ولي الاندلس ايوب بن حبيب اللخمي ، ابن اخت موسى بن نصير ، وذلك بعد ان اجتمعت كلمة اهل اشبيليا على توليته ، لكن فترة ولايته لم قدم اكثر من ستة اشهر حيث تولى حكم الاندلس من قبل الامويين ، الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، وقد استمر الحر في ولاية الاندلس سنتين وثمانية اشهر ، وانصرف الحر بن عبد الرحمن الثقفي لبناء الاندلس وتنظيم أموره واقامة الحاميات في الثغور .

في عام ٩٩ هـ ، تولى الخلافة في دمشق الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد اظهر اهتماماً خاصاً بالاندلس ، ففكر في تعيين وال لها مستقل عن افريقية واختار لذلك السمع بن مالك الخولاني^(١) ، فوصل السمع الى الاندلس عام

(١) جاء في اخبار مجموعة ، ص ٢٣ حول تعيين السمع بن مالك الخولاني :
... كان في الخلفاء اذا جاءتهم جبايات الامصار والاقاق يأتهم مع كل جباية عشرة رجال من وجوه الناس واجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم الا أخذ بحقه وحسب يعلف الوفد بالله الذي لا اله الا هو ما فيها دينار ولا درهم الا من فضل أعطيات أهل البلد من المقاتلة والذرية ، والا جدد أن أخذ كل ذي حق حقه ، فأتى وفد افريقية بخراجها وذلك انها لم تكن يومئذ تفرأ فكان ما فضل بعد أعطيات الاجناد وفرائض الناس ينقل الى الخليفة، فلما وفدوا بخراج افريقية في زمان سليمان ، أمروا أن يحلفوا فحلف الثمانية ونكل سهيل بن عبيد الله مولى بني مخزوم ونكل بنكوله السمع بن مالك الخولاني فأجيب ذلك عمر بن عبد العزيز من فعلهما ثم ضمهما الى نفسه ، فلما ولي عمر ، ولي سهيل افريقية وولى السمع بن مالك الاندلس وأمره أن يخلص أرضها وعقارها ويقر القرى في يدي خنابها بعد أن يأخذ الخمس وأن يكتب اليه بصفة الاندلس وانهارها وكان رأيه انتقل أهلها منها لاقطاعهم عن المسلمين .. فقدمها السمع .. فوضع يداً في السؤال عن العنوة ليميزه عن الصلح وفي اخراج البعوث ، وبني قنطرة قرطبة ..)

«نفع الطيب ١٤/٣ ، وأخبار مجموعه ٢٣» .

١٠٠ هـ - ٧١٨ م فانصرف الى البناء الداخلي وتنظيم المجتمع واقامة العلاقات الجديدة ، وعندما شعر ان البناء الداخلي قد اصبغ على درجة كافية من القوة توجه الى متابعة اعمال الفتوح .

ناربون « أربونه » قاعدة الانطلاق^(١)

- في نهاية عام ١٠١ هـ ، ٧١٨ هـ - انطلق السمع بن مالك الى الشمال يقود جيش المسلمين واخترق جبال البيرنيه ، ووصل «ناربون» وكان الفرنج قد استعادوها خلال فترة الاضطراب التي أعقبت مقتل عبد العزيز بن موسى ، فنظم حصارها ،

(١) أربونة Narbonne ، كانت أربونة مجاورتها للبحر وسهولة الوصول اليها بالسفن من اسبانيا . ثم بمنعتها الطبيعية من جهة البر تصلح أن تكون مملكة للعرب في ارض الافرنج ، فزاد السمع Zama ، في تحكيم حصونها ووضع الحاميات في المدن المجاورة لها وبذلك تمكن العرب من صد غارة شارل مارتل الذي حاصر أربونة عام ٧٣٢ م بعد أن هزم العرب في معركة بواتيه ، ثم ان ببيان القصير ، ابن وزير القصر « شارل مارتل » والذي عاش تقريباً بين ٧٢٥-٧٦٨ م وكان دوق نوسترية وبورغونية والبروفانس عام ٧٤١ م مع أخيه شارلمان ، نودي به ملكاً على الفرنج عام ٧٥١ م بموافقة البابا زكريا .

- وقد فكر ببيان هذا بفتح اربونة وانتزاعها من العرب المسلمين ، لكنه نكص عنها ولم يتمكن منها سوى شارلمان سنة ٧٥٩ م ، وذلك بعد أن حاصرها مدة سبع سنوات ، وقد أدى هذا الحصار إلى ثورة الاهالي الذين ملوا الحصار فاندفعوا الى ذبح الحامية العربية ، ثم عاد العرب سنة ٧٩٢ م ، فحاصروا أربونة ، فبعث شارلمان لنجدتها بعضاً عدته عشرون الف مقاتل عقد لواءه للفراس المشهور غليوم ، وتلاقى الجمعان بقرب أربونة ، فاستأصل العرب جيش الافرنج ولم يبق من هؤلاء الا غليوم وثلاثة عشر من رفاقه ، وسلم أنف غليوم في المعركة ولقب من ذلك اليوم بذي الانف القصير Guillaume Au Court Nez لكن العرب لم يتمكنوا من فتحها رغم هذا النصر حتى جاء هشام بن عبد الرحمن الداخل فأعاد فتحها عام ٧٥٧ م . تاريخ غزوات العرب ، ارسلان ، ٦٥ ، تاريخ جيوش العالم ، العدد ٩ ، السنة الرابعة والعشرون ، المجلة العسكرية .

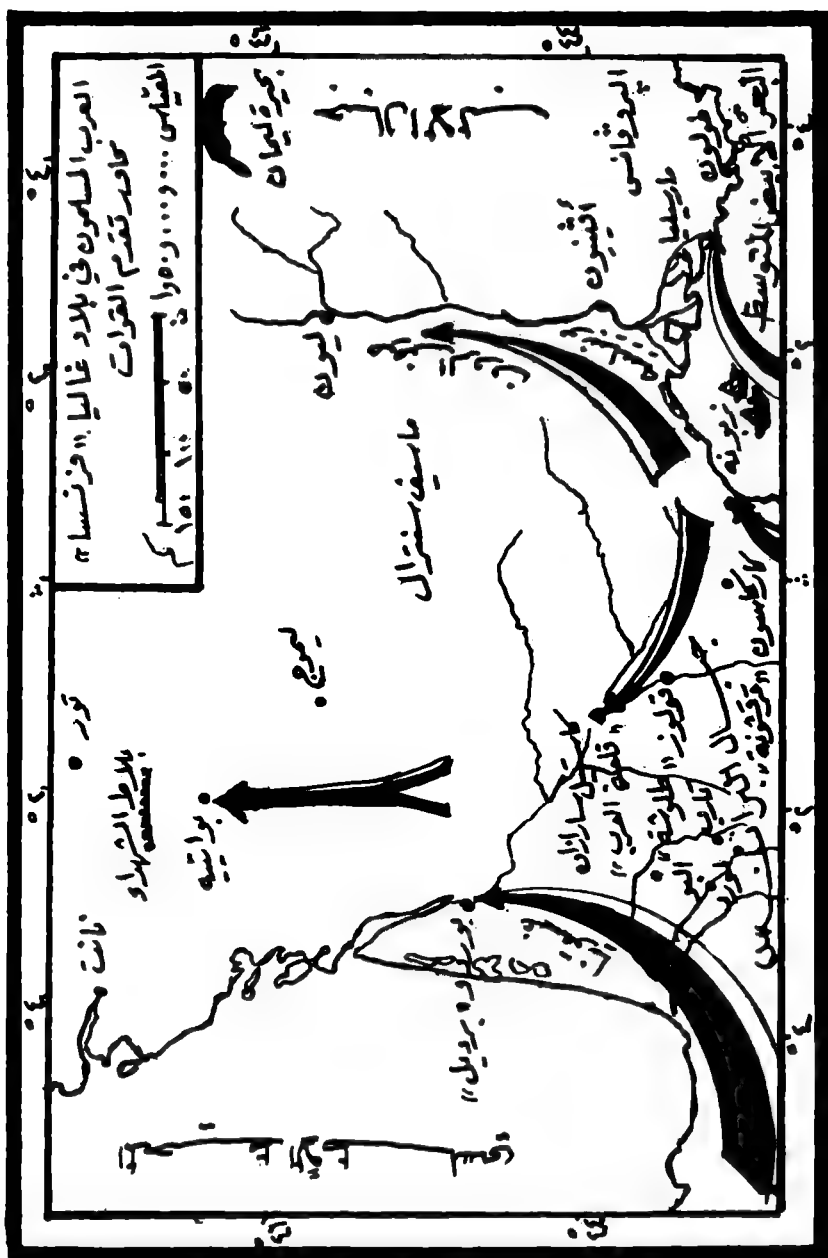
واستمر في تشديد قبضة الحصار طوال ثمانية وعشرين يوماً حتى خضعت له ،
وقدر السماح أهمية ناربون كقاعدة لانطلاق الهجوم داخل بلاد الغال ، فركز
جهده من أجل تحصين المدينة وتقوية الدفاع عنها وجعلها مستودعاً للمواد
التموينية والاعادة الضرورية واصبح بإمكانه بعد ذلك التوغل في هجومه
الى العمق ..

محور جديد للعمليات « وادي غارون » ..

لم يتابع السماح بن مالك تقدمه نحو المحور السابق الذي سلكه موسى بن
نصير وطارق بن زياد ، وانما اختار محوراً جديداً لعملياته هو محور « تارن
- و - غارون » فتوجه نحو الشمال الغربي واوغل في تقدمه حتى وصل تولوز
« طلوشه » بعد ان اخضع سبتمانيا و بروفانس .

- توقف السماح بن مالك امام « تولوز » وحاصرها ، فصمدت المدينة ثم
اسرع دوق اكيثانيا لانقاذ مدينته ، وزج قواته في معركة حاسمة قاتل فيها
المسلمون بعناد لكن قوات اكيثانيا تفوقت عليها وانتهى يوم ٩ حزيران ٧٢١م -
ذي الحجة ١٠٢ هـ بمقتل السماح بن مالك وتمزق جيشه فتولى عبد الرحمن
الفاقي مهمة حماية الانسحاب ، وتراجع جيش المسلمين حتى قاعدة الانطلاق
« اربونة » وسميت المعركة باسم «يوم التروية » او «معركة التروية» وكان السبب
الرئيسي للهزيمة هو تفوق قوات الافرنج تفوقاً ساحقاً على جيش العرب
المسلمين .





مأساة « عنبسه بن سحيم الكلبي »

— تولى عبد الرحمن الفافقي أمر حماية الانسحاب بعد مقتل السمع بن مالك ونظراً لعدم تعيين والي للأندلس فقد تولى عبد الرحمن الولاية لفترة شهرين ريثما وصل والي الجديد عنبسة بن سحيم الكلبي في عام ١٠٣ هـ — ٧٢١ م .

— أمضى عنبسة السنوات الأولى من حكمه في ترسيخ دعائم المسلمين في الأندلس والاستعداد للقتال ، والحرب ودعم الثغور وفي عام ١٠٧ هـ — ٧٢٥ م توجه عنبسه بقوة ثمانية آلاف مقاتل حتى وصل القاعدة المتقدمة « ناربون » .

— قام عنبسة بدراسة المنطقة خلال توقفه في « ناربون » وقرر التوجه بقواته في محور جديد ، فاستولى مرة أخرى على إقليم سبتمانيا ثم توجه الى حوض الرون وتابع تقدمه في إقليم « برغنديا » فاستولى على مدينة « قرقشونه » وانطلق منها شمالاً فاحتل ماكون ، وشالون وتذكر بعض المصادر ان عنبسه وصل في تقدمه حتى سانس على بعد ثلاثين كيلومتراً من « باريز » — .

— شعر عنبسه أن توغله بعيداً عن قاعدة انطلاقه لا يتناسب مع حجم قوته فقرر العودة ، والتوقف عن متابعة الفتوح ، وفي طريق العودة تصدت له مقاومات الفرنج ثم التحم معهم في معركة حاسمه اصيب خلالها بجراح قاتلة توفي على اثرها في شعبان ١٠٧ هـ — ٧٢٥ م ، وكانت مدة ولايته اربع سنوات ونيف .



٤ - معركة بواتيه « بلاط الشهداء »

رمضان ١١٤ هـ = ١٧ تشرين الأول - أكتوبر ٧٣٢ م

جدول توقيت الاحداث

الاحداث	السنة الميلادية	السنه المجرية
مقتل عنبسة بن سحيم الكلبي في فرنسا .	٧٢٥ م	١٠٧ هـ
غزو اسد بن عبد الله الحنظلي والخور في خراسان وغزو مسلمة بن عبد الملك الروم وفتح قيسارية ومجموعة حصون .	٧٢٦ م	١٠٨ هـ
ظهور دعاة بني العباس في خراسان وتصاعد قوتهم .	٧٢٧ م	١٠٩ هـ
موقعة « بلاط الشهداء » ومقتل عبد الرحمن الغافقي .	٧٣٢ م	١١٤ هـ
وقوع طاعون بالشام وقحط شديد في خراسان .	٧٣٣ م	١١٥ هـ
حدوث حركات تمرد في خراسان وافريقية .	٧٣٥ م	١١٧ هـ
وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد ابن عبد الملك .	٧٤٢ م	١٢٥ هـ
اضطراب أمر بني أمية وتمرد حمص وفلسطين .	٧٤٣ م	١٢٦ هـ

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
بيعة مروان بن محمد بن مروان ، وتمرد حمص والشام .	م ٧٤٤	هـ ١٢٧
تمرد الأندلس وخلع أبي الخطار .	م ٧٤٤	هـ ١٢٧
تعاقد خراسان على نصره أبو مسلم الخراساني .	م ٧٤٦	هـ ١٢٩
دخول أبو مسلم مرو ، وهروب نصر بن سيار والي الأمويين .	م ٧٤٧	هـ ١٣٠
موت نصر بن سيار ومسير قحطبة الى ابن هبيرة في العراق .	م ٧٤٨	هـ ١٣١
قيام الدولة العباسية ومقتل مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم .	م ٧٤٩	هـ ١٣٢
دخول عبد الرحمن الأندلس ..	م ٧٥٥	هـ ١٣٨



معركة بواتييه

الوضع العام :

تعاقب على حكم الاندلس بعد مقتل غنسه بن سحيم الكلبي سنة من الولاة واذا استثنينا منهم يحيى بن سلمة الكلبي الذي تجاوزت مدة ولايته السنتين فإن البقية لم تتجاوز مدة ولايتهم الأشهر القليلة مما لم يسمح لهؤلاء الولاة بوضع مخططات لاجتثاث اعمال الغزو في فرنسا وبقي الأمر كذلك حتى تم تعيين عبد الرحمن النافقي للمرة الثانية ، فركز جهده لتحقيق الاستقرار وحشد الطاقات - وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمة ، وكانت هذه الغزوات الاستطلاعية ذات هدف وقائي - دفاعي ، ومن اجل جمع المعلومات الكافية .

- وفي الوقت ذاته كان « شارل مارتل » من الأسرة الكارولنجية يعيد تنظيم قواته ويعمل على توسيع حدود مملكته .
- عندما عرف عبد الرحمن النافقي انه انهى اصلاح الادارة واعاد تنظيم الجيش انطلق بجيشه الذي لم يتجاوز ثمانية آلاف مقاتل .

طبيعة ميدان المعركة : (١)

- اختار عبد الرحمن النافقي محوراً جديداً لعملياته عبر « اقليم غرب فرنسا ، وعلى محور اكيثانيا ، سهل تور » وتقسّم الطبيعة الجغرافية للاقليم الى اقسام اربعة .

١ - اقليم غرب فرنسا ، « الغال » وهو مكون من برزخ من الأراضي الحديثة التكوين بين الكتلة الجبلية القديمة « في بريثانيا ولیموزين » وهي تشكل اقليماً من السهول المتموجة التي تخترقها خطوط المواصلات بين حوض

(١) أطلس القرن العشرين Atlas. Du XX Siecle .

باريس وحوض اكيثانيا عبر سهول «بواتيه» الخصبة والغنية بمواردها الزراعية كالحبوب والذرة والاشباب ونظراً لوقوع بواتيه في وسط هذا السهل فقد احتلت اهمية كبرى عبر التاريخ كمحور للعبور وكمركز للصراع بين قوى العالم القديم .

٢ - اما حوض اكيثانيا فيقع بين جبال البيرنيه والمحيط الأطلسي والجبال المركزية « ماسين سنترال » وهذا السهل لا يأخذ شكل تقعر كما هو حوض باريس وانما يأخذ شكل مسطح محدب ينفتح بصورة واسعة في اتجاه المحيط ويخترقه نهر الفارون ومناخ هذا السهل رطب وبارد وموارده الزراعية تحتل المرتبة الأولى في موارد الاقليم وتكثر فيه الغابات ومن اشهر المراكز الحضرية العريقة في هذا الاقليم مدينتي : برديل « بوردو » وطلوشه « تولوز » ..

٣ - سلسلة جبال البيرنيه : وهي كتلة من الجبال الحديثة تمتد بين المتوسط والمحيط الأطلسي بصورة عرضانية فتشكل حاجزاً طبيعياً منيعاً بين الاندلس ، وفرنسا وترتفع جبال البيرنيه حتى ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف متر ، وهي مرتفعة وحادة في اتجاه فرنسا مشكلة منحدرات كلسية تخترقها الأودية القائمة وتعتبر الممرات الشرقية والغربية هي محاور الاتصال الطبيعية بين فرنسا واسبانيا .

٤ - وادي الرون : ينفتح كطريق واسع بين اوروبا البحر الابيض المتوسط واوروبا الشبالية وتسيطر عليه من الشمال الهضاب الكلسية ، وتحده جبال الألب شرقاً وجبال الكتلة المركزية غرباً ، ويضم الوادي سهولاً زراعية لها مناخ حوض البحر الابيض المتوسط ، وقد أصبحت ليون ، عقدة مواصلات للطرق الجبلية المخترقة للألب ، نتيجة لوقوعها في وسط السهل ، ويمتد هذا السهل بشكل طولاني مواز لأحواض بواتيه واكيثانيا الواقعة الى غربها ..

التقدم في اتجاه « تور » :

- جعل عبد الرحمن الغافقي من « بامبلونا »^(١) قاعدة له ، وحشد فيها قواته وذلك في صيف ١١٤ هـ - ٧٣٢ م ، ثم اخترق بقواته سلسلة جبال البيرنيه من منطقة « باب - شزروا » ، بمرات رونسييفال^(٢) ، ثم توجه الى برديل « بوردو » على نهر الغارون ، وذلك قبل التقاء الغارون بنهر « دوردونيا » في منطقة غير بعيدة عن مصبه ، وهناك التقى « بدوق اكيثانيا » اودو حيث دارت معركة قصيرة وحاسمة انتصر فيها عبد الرحمن الغافقي على خصمه ، ودخل مدينة بوردو ، بعد ذلك ، فنهبها جنده وحصلوا على غنائم كبيرة أثقلت الجيش وأخذت تعيق تحركه وأفقدته مرونته^(٣) .

- تابع عبد الرحمن تقدمه في اتجاه « تور » دون أن يلتقي بمقاومات تذكر .
- لجأ دوق اكيثانيا الى « شارل مارتل » طالباً دعمه لمجابهة تقدم العرب المسلمين فأسرع شارل مارتل الى حشد قواته وتوجه بها نحو تور فوصلها قبل وصول عبد الرحمن اليها ثم تابع زحفه جنوباً حيث التقى بطلائع المسلمين وقواتهم المتقدمة عند طريق روماني قديم يبعد مسافة عشرين كيلو متراً الى الشمال الشرقي من بواتيه .

- اصطدمت قوات العرب المسلمين بقوات الافرنج وكان شارل مارتل قد نظم قواته على شكل فالانج عميق [... فكان قوم الشمال كالجدار الساكن المتجملد ...]^(٤) الذي لم تؤثر فيه سهام العرب أو مزاريقهم وهكذا لم يتمكن عبد الرحمن الغافقي من احراز نصر حاسم ، منذ بداية المعركة ، واستمرت

(١) بنبلونة : Pam - Peluna

(٢) باب شزروا : Roncesvalles

(٣) كان محور مسير عبد الرحمن هو بيغور Bigorre وبيارن Bearn ، ثارب Tarb

وآير Aire وبازاس Basas واوليرون Oleron .

(٤) تاريخ جيوش العالم ٩ / السنة ٢٤ المجلة العسكرية .

أعمال القتال ستة أيام دون تحقيق نصر لصالح طرف من الطرفين المتحاربين .

— وفي اليوم السابع لبداية القتال ، أعاد عبد الرحمن الغافقي تنظيم قواته وانطلق بهجوم قوي حاسم ونجح في احراز بعض النجاح وتحطمت قوة المشاة « الفالانج » وبدأت بواكير النصر تلوح في الأفق ، وفي هذه اللحظة الحاسمة حدثت المأساة ...

كان شارل مارتل ، قد دفع قوة فرسانه للقيام بحركة التفاف عميقة ونجحت قوة الفرسان في الوصول الى مؤخرة جيش العرب المسلمين . وكان ظهور « فرسان الافرنج » مباغتاً مما أوقع الفزع في قلب المقاتلين وبصورة خاصة أولئك الذين خافوا على غنائمهم من الضياع فتركوا مواقعهم وأسرعوا الى منطقة الشئون الادارية لحمايتها والحفاظ على الغنائم ، وأفاد مشاة « الفرنج » فانطلقوا بهجوم مضاد ، وتصدى عبد الرحمن الغافقي للهجوم وحاول ايقاف زحف « الافرنج » واعادة تنظيم قواته ، لكن سهماً أصابه فوق أرضاً وسقط في المعركة وانطلق جند الفرنج يدمرون خصومهم فسقط آلاف القتلى في ساحة المعركة التي حملت اسم [بلاط الشهداء] ..

— عرف شارل مارتل كيف يستثمر ظفوره ، فأعاد تنظيم قواته وانطلق مباشرة لمطاردة فلول القوات المنسحبة ووصل في هذه المطاردة حتى « أربونة » في سفوح جبال البيرنيه ، وقد تمكنت الحامية المدافعة عن المدينة من ايقاف تقدم « شارل مارتل » وردعه عن متابعة التقدم ، وتذكر بعض المصادر العربية أن شارل مارتل لم ينجح في اصابة جيش المسلمين أثناء انسحابه نظراً لانسحاب فلول الجيش تحت جناح الظلام في ليلة المعركة ذاتها مما فوت الفرصة على شارل مارتل وأعاقه عن تحقيق هدفه في تدمير جيش المسلمين وابادته ابادة تامة ^(١) .

(١) نفح الطيب ١٥/٣ ، تاريخ جيوش العالم ٩/ السنة ٢٤ من الهجة العسكرية الفزوات الاسلامية ، دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ٢٨ ، تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ١/٣٢٠ .

كما تذكر بعض المصادر أن شارل مارتل لم يطارده فلول القوات المنسحبة مباشرة خشية ان يكون ذلك خطة مدبرة .

٥ - معركة بواتييه في التاريخ :

هناك تناقض كبير واختلاف واسع في تقييم معركة « بلاط الشهداء » ونتائجها بين المؤرخين قديمهم وحديثهم على حد سواء .

فبينما نجد مؤرخي العرب ، كابن الأثير ، والمقري ، وابن خلدون واضرابهم يذكرون أحداث هذه المعركة بإيجاز وبخطوطها العامة ، مثلها في ذلك مثل جميع المعارك التي خاضها العرب المسلمون .. نجد أن مؤرخو الغرب بصورة خاصة اعتبروها من معارك التاريخ الحاسمة التي أحاطت قائدها ، شارل مارتل ، بهالة كبيرة من التمجيد الذي يصل حتى درجة « التقديس » ..

وقد هذا المؤرخون المحدثون حذو القدامى ، فاعتبرها بعضهم من معارك التاريخ الحاسمة على اعتبار انها أوقفت تقدم المد العربي - الاسلامي في بلاد « الافرنج » ، بينما يعتبرها البعض الآخر ممائلة لغيرها في مقدمتها ومسيرتها ونتائجها .

ولكل من الطرفين - في الواقع - مبرراته ووجهات نظره ، وقد يكون كل طرف من الطرفين مخطئاً في تحليله لهذه الحادثة التاريخية وذلك لأنه يفصلها عن اطارها العام وعن مسيرة الأحداث التالية ..

ولإيضاح ذلك ، يفضل العودة الى الجدول الزمني لمسيرة الاحداث وطرح المعطيات التالية :

١ - ان معركة « بلاط الشهداء » وما رافقها من هزيمة لا تختلف عن هزيمة عقبة بن نافع ومقتله في « تهوذه » او مأساة ابو عبيد الثقفي في يوم النهر او مقتل مصقلة بن هبيرة في فارس او غيرها من المعارك الفاشلة الكثيرة التي رافقت فتوح العرب المسلمين ، وقد تمرس العرب المسلمين بالقتال

وفن الحرب فلم تعد الهزيمة تصيبهم باليأس ولم يعد النصر يصيبهم بالغرور واكتسبوا مناعة ضد الانفعالات الطارئة واصبح تقييمهم للنصر والهزيمة موضوعياً ، ولهذا فان معالجتهم لها وكتابتهم عنها اتصفت بالوضوح والايجاز والذكر كحادثة تاريخية فقط تتوافق مع غيرها سواء بسواء ، وان مراجعة معارك افريقية الشمالية وحدها وما رافقها من انتصارات وهزائم كاف لايضاح هذه الحقيقة ، كما ان معاودة محاولات غزو فرنسا بعد وقوع مجموعة من الانتكاسات ومقتل عدد من الولاة وكبار القادة يثبت هذه الحقيقة ذاتها .

٢ - لقد اصببت الدولة الأموية ، بعد معركة بلاط الشهداء ، بعدد من النكبات والمصاعب حاولت الصمود لها ومجابهتها ، فقد كانت الحرب مع بيزنطة مستمرة وفي تصاعد مما تطلب تكريس جهد خاص لمجابهة خطر الشمال . وفي الجبهة الشرقية كانت أعمال التمرد في خراسان مستمرة ، ثم اضيف الى ذلك ظهور - دعاة بني العباس - واستفحال أمرهم مما فرض تكريس جهد آخر اضافي وكان هذا المسرح يحتل المرتبة الأولى في سلم الأولويات بسبب اتصال خراسان وفارس البري ومتاخمتها لحدود دولة الشام . وإذا أضيف الى ذلك ، متطلبات الجهد البحري وأعمال الغزو في بحر الشام « البحر الابيض المتوسط » يظهر بوضوح عجز الدولة عن دعم الاندلس بجهد اضافي لمتابعة الفتوحات عبر اوروبا ، بداية من مجابهة بلاد الغال « فرنسا » ..

٣ - وحدثت خلال الفترة أوبئة ، كالتطاعون في الشام سنة ١٠٩ هـ و ١١٥ هـ و ١٢٧ هـ - والمجاعة والتحط في فارس ، مما اعاق الدولة الاموية عن دعم قواتها في الجبهات المختلفة ، ويجب ان يضاف الى ذلك الجهد الذي تطلبه قمع حركات التمرد في الاقاليم المختلفة علاوة على الجهد الذي استنزفته الانقسامات الداخلية والخلافات بين افراد الاسرة الاموية ذاتها ، مما جعل الدولة في حالة عجز عن دعم جبهة الاندلس بالقوات ودفعها لمتابعة الفتوح ومجابهة « الافرنج » في بلاد الغال . -

٤ - وجاء بعد ذلك انهيار دولة بني أمية في الشام ، ثم استقلال الاندلس عن الدولة العباسية وقيام الحكم الاموي ليضعف من القدرة القتالية للدولة « الامويين » ، ويضع حداً حاسماً للتوسع في شمال الأندلس .

- لقد كانت وحدة الدولة - في زمن بني أمية - من العوامل الأساسية في حشد الطاقات البشرية الضخمة ، والتوسع في أعمال الفتوح على مختلف الجبهات ومجابهة التحديات بتحديات أكبر ، وعندما فصمت عرى « وحدة الدولة الاسلامية » لم يعد لدى الأمويين في الاندلس من طاقات يستطيعون بها القيام بأعمال الفتوح على نحو ما كانوا يمارسونه خلال حكمهم في الشام ..

٥ - وعلى الرغم من هزيمة « معركة بلاط الشهداء » فإن المسلمين لم يتوقفوا عن متابعة الفتوح والقيام بعمليات محدودة تتناسب وامكاناتهم . فقد اقدم يوسف بن عبد الرحمن حاكم « اربونة » في عام ١١٦ هـ - ٧٣٤ م وبعد الهزيمة بسنتين فقط ، اقدم على التوغل في حوض الرون واحتل آرل^(١) ، وابينيون^(٢) وتجاوزهما في اتجاه الشمال ، وقام بالبحارة المسلمون بالسيطرة على اقليم « البروفانس » متبعين في ذلك محوراً جديداً للغزو واستمر حكمهم لمنطقة البروفانس مائة عام تقريباً ٢٧٧ - ٣٦٥ هـ - ٨٩٠ - ٩٧٥ م ، وهذا برهان على ان فكرة التوسع لم تتوقف نتيجة لهزيمة « بلاط الشهداء » وانما توقفت بسبب « القصور في الامكانيات الذاتية وضعف الطاقة البشرية » .

٦ - اكتسب شارل « مارتل » شهرته ، كواحد من مؤسسي الأسرة الكارولنجية لا بسبب انتصاره على العرب المسلمين في معركة « بلاط الشهداء » وإنما بسبب الانتصارات المتتالية والمعارك الكثيرة التي خاضها وأخضع مملكة

.....
(١) آرل : Arles

(٢) ابينيون : Avignon

نوسترازيه ومقاطعة اكيثانية وهزم البافاريين والساكسون والآلامان وانتصر على لومبارديا وضمها الى مملكته وقاد جيوشه طوال ثلاثين عاماً ضد الساكسون كما قاتل السلافيين والأفار ووحّد مملكة الكارولنجيين . وبذلك اكتسب شهرته الواسعة ..

- ان ما سبق ذكره هو بعض الشواهد التي يمكن وضعها لاجراء تقييم صحيح ، لنتائج معركة بلاط الشهداء - .

- ويمكن القول ان معركة بلاط الشهداء لا تختلف عن معركة يوم التروية او توغل عنيسة بن سحيم الكلبي او حتى توغل موسى بن نصير وطارق ابن زياد في وادي الرون ، والاختلاف الوحيد هو ان اطارها الزمني يختلف بعض الشيء ، نظراً لما اصاب الدولة الاموية بعدها بحيث لم يعد باستطاعتها دعم فكرة متابعة الفتوح ولهذا فان تاريخ ١١٤ هـ - ٧٣٢ م هو مجرد تسجيل لأقصى ما وصله العرب المسلمون في بلاد غاليا ولا يحمل معنى اعمق من ذلك .

٦ - المحور الخامس

والقاعدة المتقدمة في ايطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا

بقي هناك محور خامس ، وهو محور التقدم البحري الى جنوب فرنسا ، ولقد جاء التحرك عن طريق هذا المحور متأخراً ، وتم بواسطته تكوين قاعدة متقدمة أسهمت الى حد كبير في تخفيف الضغط عن الاندلس وحل عبء في الدفاع عنها .. ويمكن ايجاز ظهور هذه للقاعدة حتى زوالها بما يلي :

السنه الهجرية	السنه الميلادية	الاحداث
٢٧٦	٨٨٩	١ كان حاكم اقليمى بروفانس ودوفيني خلال هذه الفترة غير خاضع الأسرة الكارولنجية ، وكان يحكمها أمير اسمه « بوزون ^(١) » أطلق على نفسه اسم « ملك آرل » . وكان موقفه ضعيفاً بسبب قربه من الأندلس جنوباً ومناهضة الدولة الكارولنجية له شمالاً .
٢٧٨	٨٩١	٢ قذفت أمواج البحر الأبيض المتوسط زورقاً صغيراً إلى عين الطيب « آنتيب » ونزل من هذا الزورق عشرون ملاحاً عربياً في خليج « غريماد » ^(٢) المعروف باسم « سانت تروبيز » ^(٣) وتسلسل هؤلاء بعيداً عن كل رقابة عبر الغابات وأمكن لهم التسلق صعوداً في سلسلة الجبال الواقعة الى شمال الخليج وأمكن لهم العثور على موضع جيد تتوفر فيه الميزات التالية :
		١ - القرب من البحر - حيث الامداد -- والاتصال بقاعدة الاندلس .
		٢ - السهول والقرى المحيطة، حيث الوسط المحيط الملائم للغزو والتمايش والاستقرار

(١) بوزون : Boson .

(٢) غريماد : Grimad .

(٣) سانت تروبيز : Saint - Tropes .

الأحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
<p>ومحاور الاتصال بين الغرب والشرق « إيطاليا وفرنسا » وبين شمال أوروبا وجنوبها ..</p> <p>٣ - غابات « الألب » ومسالكها الوعرة مع ما تقدمه من وسائل طبيعية للدفاع ضد التهديدات الخارجية .. وبدأ هؤلاء فوراً في العمل على إنشاء قاعدة قوية أطلقوا عليها اسم فريكسيناتوم^(١) وأرسلوا الى الأندلس وإفريقية طالبين الانضمام اليهم ودعمهم ..</p>		
<p>وصلت قوة جديدة من العرب المسلمين - من الأندلس وإفريقية - وانضمت الى القوة السابقة وتابعت بناء الحصون التي أطلق على مجموعها اسم فراكسينيت ، وأخذ هؤلاء في التوسع ، ونظراً لشدة بأس هؤلاء المقاتلين فقد أخذ السكان وأمراء المقاطعات يستعينون بهم بعضهم على</p>	٢٧٩	٨٩٢

(١) فريكسيناتوم : Fraxinetum . وهو اسم مشتق من شجر الدردار ، ويظهر ان شجر الدردار كان منتشراً في عهد فتح العرب المسلمين لها ويعتقد ان فريكسيناتوم هذه في موقع « غارد فرنيه الحالي Garde - Frainet » في سفح جبل الالب حيث تحيط بها غابة « المور » او « العرب » ، وقد شيد العرب مجموعة من القلاع أطلق على كل واحد منها اسم « Fraxinet » لكن « الفراكسينيت » الأول على ما يعتقد به بعض علماء الآثار هو ذلك القائم على انقاض مدينة رومانية اسمها « فراكسينيت » وان الحصن العربي لم يكن له من الطول اكثر من ثلاثمائة قدم ولا يتسع لأكثر من مائة مقاتل تحيط به الحتادق ، مما يدل على ان هذه المواقع كانت مخافر مراقبة ومراكز مقاومة لا أكثر أنشئت بهدف دفاعي ، وان الفراكسينيت الاول المشار اليه يقع في ذروة جبل يعمل اليوم اسم سيدة ميرامار Notre Dame de Miramar

الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
<p>بعض وقد انضم اليهم اعداد من المغامرين فقوي بذلك أمرهم وارتفع شأنهم.. ووصلوا في توسعهم حتى قسم الألب وسيطروا على أقاليم دوفيني وسافوا وبيجونت .</p> <p>— أفاد العرب المسلمون خلال هذه الفترة من التناقضات والأوضاع الداخلية لفرض سلطانهم على الأقاليم التي سيطروا عليها .</p> <p>— فقد أصبحت مملكة آرل تحت حكم لويس ابن بوزون ، وكان لويس هذا قد سار بجيشه الى ايطاليا لقتال بيرانجه ملك ايطالية ، فترك بلاده خالية من الحاميات القوية ..</p> <p>— وتعرضت فرنسا لغزو النورمان والسلاف في الشمال وقد استطاع هؤلاء توجيه تهديد خطير للدولة الكارولنجية حتى كادوا يطرقون أبواب باريس في احدى مراحل تقدمهم .</p> <p>— قامت قوة من العرب - المسلمين بالانزال من جديد عند سواحل « لنغدوك » قرب ايفمورط .</p> <p>أصبحت سيطرة العرب المسلمين كاملة على محاور المرور وطرق المواصلات ومضائق جبال</p>		
<p>— قامت قوة من العرب - المسلمين بالانزال من جديد عند سواحل « لنغدوك » قرب ايفمورط .</p>	٢٩٦	٩٠٨
<p>أصبحت سيطرة العرب المسلمين كاملة على محاور المرور وطرق المواصلات ومضائق جبال</p>	٢٩٩	٩١١

الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية	
الألب ، ولم يكن باستطاعة أحد المرور دون التعرض لخطر مجابهة قوة العرب المسلمين .			
تولى حكم الاندلس ، عبد الرحمن « الثالث ، وامكن له توحيد قوة الاندلس في قبضته ، وتحالف حنشو غرسيه ملك نابار وأردونه ملك ليون والثائر ابن حفصون .	٣٠٠	٩٢	٦
وجه عبد الرحمن جيشاً كبيراً بقيادة عمه (عبد الرحمن) تجاوز جبال البيرنيه واكتسح قسماً من غسكونيا حتى وصل قريباً من تولوز ، وفي الوقت ذاته عملت قوة العرب المسلمين في القاعدة المتقدمة على تصعيد عملياتها مما حمل الأغنياء ، ورجال الكنيسة على استثارة القوى المختلفة وحشدها في قوة واحدة ضد العرب المسلمين .	٣٠٨	٩٢٠	٧
أعلن الكونت « هوغ » ^(١) ملك بروفانس عزمه على طرد المسلمين وطلب من امبراطور القسطنطينية دعمه ، فأرسل اليه أسطولاً فزحف هوغ على حصن فراكسينيت بجيش كبير ، وفي الوقت ذاته كانت القطع البحرية ، قاذفة النار	٣٣١	٩٤٢	٨

(١) هوغ Hugues ، كان مصاهراً لامبراطور بيزنطة .

الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
اليونانية ، تحرق القطع البحرية للمسلمين ، ونجح هوغ في الاستيلاء على الحصن ، والتجأ العرب المسلمون الى الجبال ، وتزايد الخطر عليهم ، وفي هذه الفترة الحرجة وصلت أخبار فرار « بيرانجه » ^(١) الذي كان ينازع هوغ في عرش مملكة ايطالية . فمقد هوغ مع العرب صلحاً بشرط أن يساعده العرب في الامساك بمحاور الطرق عبر الألب ومنع كل قوة معادية من قوات خصمه « بيرانجه » في المرور عبر هذه المحاور ، وتم الاتفاق على ذلك ^(٢) .		
شعر العرب المسلمون بمد هذا الاتفاق بالاستقرار فانطلقوا الى التعايش مع السكان ، وتزوجوا معهم ، وسكن بعضهم المدن فكانت لهم احياء في نيس « نيقه » وغرونوبل وعرفت	٩	٩٥٤

(١) بيرانجه Berenger .

(٢) استقبل بعض رجال الكنيسة هذا الاتفاق بالنقمة والسخط وقد عبر عن ذلك المؤرخ ليوفبراند بقوله (لقد قام بعمل لا سبيل للقدر فيه ، ثم قال ما معناه : انه سهل بعمله هذا هلاك الاتقياء وجعل من نفسه حصناً واقياً للطفاة الذين يقال لهم « المور » ، ثم يخاطب هوغ بقوله : (ألا تحجل من نفسك ايها التمس وانت تبسط ظلك على اناس يسفكون الدماء ويميشون من قطع الطريق ؟. وماذا اقول لك ، لعمري جدير بك ان تنقض عليك صاعقة ، او ان تكسر تكسيراً او ان تفنى فناء ابدياً ...) .

الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
هذه الاحياء السكنية بعد ذلك باسم معسكرات المسلمين ^(١) .		
- وانصرف العرب الى الزراعة ، وأصبحوا يسيطرون سيطرة تامة على معبر سان برنارد الكبير «جبل المشتري» المحور الرئيسي للاتصال بين سويسرا وايطالية ، عبر فاليه ^(٢) ووادي اوسط ^(٣) .		
اكتسح السلاف « المجر » الازاس ، وسيطروا على جبال جورا فوضع امير بورغونيا وسويسرة ودوفيني « الكونت كونراد » خططه لتدمير القوتين ، ووجه المجر ضد العرب فخاضوا معهم معارك ضارية ، وفي اللحظة الحاسمة انقض كونراد بجيش كبير على فلول قوات الطرفين ونجح في ابادتها ابادة شبه تامة ، ولجأ من بقي من العرب الى المعازل والجبال في حين تعرض من بقي من المجر للمذبحة جديدة أعدها « أوتون » ملك المانيا ..	١٠	٣٤١
	٩٥٢	

.....

(١) معسكرات المسلمين ترجمة لاصطلاح Canton des, Sarrazins وقد اخذ الافرنج يطلقون هذا الاسم على جميع المسلمين كما يطلقون عليهم اسم « المور » وكان بالاصل خاصة لأبناء المغرب، ثم عمم على كل العرب المسلمين وهناك عدد غير محدد من القلاع والاماكن التي تحمل اليوم في اوروبا اسماء قلاع العرب Castle Sarrazins .

(٢) فاليه : Valais .

(٣) وادي اوسط Aoste .

الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية	
قام الاسقف « ايزاردون » بقيادة قوة كبيرة واخرج العرب المسلمين من غرونويل .	٣٤٥	٩٥٦	١١
قام الاسقف « برنار دو منتون » ^(١) ، بقيادة قوات كبيرة ونجح في اخراج العرب المسلمين من مضائق « سان برنارد » .	٣٤٩	٩٦٠	١٢
مات عبد الرحمن الثالث (الناصر) وخلفه ابنه الحكم الثاني .	٣٥٠	٩٦١	١٣
أعلن الامبراطور « اوتون » عن عزمه لطرد العرب المسلمين من البروفانس ..	٣٥٨	٩٦٨	١٤
وقع عدوان من المسلمين على « القس مايول » ^(٢) واستثمر أحد النبلاء في « نوايه » ^(٣) هذا الحادث ، فحشد قوة كبيرة زحف بها الى	٣٦٢	٩٧٢	١٥

.....

(١) برنار دو منتون Dementhone .

(٢) مايول Mayeul كان قساً يتمتع بشعبية واسعة وكان قسيس بلدة كلوني Cluny في بورغونية ، وقد ذهب الى رومة لزيارة كنائسها كما هي عادة القديسين ، ولما وصل مايول كان في انتظاره جمهور كبير من المستقبلين له ، وعند وصول القافلة اطراف الوادي باغتهم العرب المسلمون بقوة الف مقاتل ، واعتقلوه ، واقتادوهم اسرى وطلبوا منهم فدية كبيرة ، ويذكر القسيس مايول - الذي جعلوه بعد ذلك قديساً - عن فترة الاعتقال فيقول :

(كان اذا اشتهى الطعام جاء احدهم وغسل يديه واصلح له طعاماً شهيأ ووضع بين يديه بأدب جم ، وكان مع للقسيس نسخة من التوراة ، فجاء احد المسلمين ومد يده اليها دون احترام ، فلامه رفاقه وقالوا له : ان هذا كتاب مقدس ونحن معاشر المسلمين نقدر جميع الكتب السماوية ..)

(٣) نوايه : Noyers قرية تقع في نواحي سيسترون Sisteron واسم النبيل « يوبون ».

الاحداث	السنة الهجرية	السنة الميلادية
« سيسترون » وشيد حصناً مقابل حصن المسلمين في «بيترا - امبيا» ^(١) وأفادوا من بعض الظروف فانقضوا على المسلمين وذبجهم ..		
استنفر « غليوم » كونت بروفانس أهالي بروفانس ودوفيني السفلى وتوجه بقوات كبرى لقتال العرب المسلمين ، فنزل هؤلاء من معاقلم الجبلية ونظموا صفوفهم ووقعت بينهم وبين أهالي بروفانس معركة كبيرة في « تور تور » قريباً من « دراغينغان » ولقيت قوات المسلمين هزيمة منكرة فالتجأت فلول قواتهم الى حصن معين لكن قوات غليوم طاردهم وأحاطت بالمعقل فتسلل العرب المسلمون ليلاً ، وهربوا إلى الحراج المجاورة وطاردهم غليوم قتلاً وأسرأ واستسلمت أعداد منهم « للرق » وسقط حصن « فراكسينيت » ولم يبق من المسلمين سوى مجموعات قليلة متفرقة اندمجت في مجتمعا ودانت بدينه .	٣٦٥	٩٧٥
مات الخليفة ، الحكم الثاني في قرطبة ، واستولى العامريون « بني عامر » على السلطة فيها بقيادة « المنصور » .	٣٦٦	٩٧٦
توفي المنصور ، وعرف التمزق الداخلي طريقه الى قرطبة ، وبدأ بعد ذلك استقلال الامارات ، وعصر انحطاط الاندلس ^(٢) .	٣٩٣	١٠٠٢

(١) بيترا - امبيا Petra - Empia .

(٢) المرجع : غزوات العرب - ارسلان - ١٦٠ - ١٩٠ .

٧ - حول عمليات المحور البحري :

- يشابه دور احتلال العرب المسلمين لجنوب فرنسا ومنطقة جبال الألب وشمال إيطاليا ذلك الدور الذي مارسه القواعد المتقدمة والمستقلة خلال الحرب العالمية الثانية وبصورة خاصة ما كان منها على مسرح آسيا ، في شمال الهند والصين^(١) ، ولقد وجد العرب المسلمون في الاندلس حماية مستقلة وفرتها لهم هذه القاعدة ، ولهذا فقد حظيت باهتمام امير قرطبة ونالت دعمه . وفي الوقت ذاته وفرت هذه القاعدة حماية نسبية للعمليات البحرية في حوض البحر الابيض المتوسط .

- وما يؤخذ على عمليات هذه القوات انها دمرت كثيراً من الكنائس ، وأبادت عدداً من القسس ، ولإيضاح هذه النقطة يجدر الانطلاق من المعطيات التالية :

١ - لقد تزعم القسس حركات المقاومة - والحرب هي الحرب - في كل زمان ومكان صراع بين ارادتين ، لا مجال للتهاون فيها ، والاسرع فيها والاكثر تصميماً هو الذي يحرز النصر ويضمن لنفسه البقاء ..

٢ - لقد كتب تاريخ هذه العمليات وسجلها القسس ذاتهم ، ولهذا كان فيها الكثير من التجني والمبالغة في وصف الوقائع والاضطهادات ، وان هذه الشهادات قد سجلت بعد مضي وقت على مرور احداثها فهي مطعون بها من ناحيتين ، من ناحية صدق وقائمه ، ومن ناحية حقيقة حدوثها .

٣ - لقد توافق حدوث غزوات العرب مع حدوث هجمات النورمان والسلاف . وعرف عن غزوات السلافيين والنورمان من القسوة والوحشية ما يفوق كثيراً على ما كان يفعله العرب في حروبهم التي تميزت - بالفروسية -

.....

(١) كان اول من نظم هذه القواعد ، « فرقة وينفيت » الذي عمل على تدريب العصابات الصهيونية في اسرائيل ومارس دوراً كبيراً في حرب الحبشة واعادة امبراطورها اليها بعد ان أخرجه القوات الإيطالية .

وبالتزامها لقواعد اخلاقية في سلوكها وفي أسلوبها ، وكان أهل فرنسا يعتبرون الغزاة جميعهم من الوثنيين وليس من المستبعد الصاق ما فعله النورمان والسلاف - المجر - بالعرب المسلمين ..

٤- وبينما يبرز كثير من مؤرخي الغرب ما قام به العرب من غزوات همجية نراهم يطبقون بصمت أو ينوهون بشكل عابر الى ما قام به براهرة الشمال، نظراً لنجاح الكنيسة في ادخالهم دين المسيحية واعتمادهم بعد ذلك في الحروب الصليبية ضد الاندلس وضد المسلمين في حروب الشرق الصليبية .. وهذه النقطة تثبت صحة المعطيات السابقة .

٥- توافقت تاريخ عمليات هذا المحور مع مضي مرحلة من قيام الدولة الأموية في الأندلس . وفي هذه الفترة ، كانت قوات العرب المسلمين تضم اليها أعداداً غير قليلة من غير المسلمين ، بل ومن غير العرب كالصقالبة والمتطوعين من اوروبا ذاتها . وقد سجل بعض المؤرخين أو بعض من عاصر تلك الأحداث وعاشها .. ان بعض هؤلاء لم يكونوا من المسلمين ، ولم يكونوا يتحدثون باللغة العربية ، ومعنى ذلك ، إما قيام النورمان ببعض هذه الغزوات وقد حدث ذلك فعلاً ، وإما قيام العناصر غير المسلمة بأعمال مسيئة ، ألصقت بالعرب المسلمين عن عمد أو غير عمد ..

- وفي كل الأحوال ، فان هذه المعطيات والحقائق التاريخية قد أصبحت في سجلات الماضي السحيق وليست هناك ضرورة لاثباتها أو نفيها لولا وجود بعض العناصر التي تحاول بين فترة وأخرى إثارة بعض سلبات الماضي ان وجدت والتلويح بها ، فنلجأ نحن الى الدفاع ، وان الأسلوب الصحيح للرد على مثل هؤلاء من كتاب أو مؤرخين هو :

ماذا فعلتم في مرحلة الاستعمار ، والمد الاستعماري ؟ وخلال أيام الحروب الصليبية ذاتها منذ بدايتها ؟.

ثم كم هو عدد الكنائس التي دمرها المسلمون، وما هو العدد المقابل للمساجد التي دمرها الصليبيون في الأندلس ، وجزر البحر الأبيض المتوسط ؟

– وللانصاف يجب القول ان عدداً من المؤرخين المحدثين قد انصفوا العرب المسلمين . واعترفوا ان من بعض ما ترك العرب من أثر ، تعليم الغرب روح الفروسية والنبيل وهما الصفات التي سادت اوروبا في عصر نهضتها وعاشت اوروبا عليها حتى الآن ..

– ومن بعض ما أدخله العرب أيضاً التطوير في فن الحرب، وكان الاحتكاك الدائم والصراع المستمر مدرسة اقتبس منها الغرب الأسس الصحيحة والمتطورة لفن الحرب ثم عملوا على تطبيقها واستخدامها ضد العرب المسلمين ذاتهم ، في الأندلس ، وفي الشرق وفي كل مكان ..



قراءات

السمح بن مالك الخولاني

... - ١٠٢ هـ = ... - ٧٢١ م

- السمع بن مالك الخولاني أمير من خولان من قضاة ، استعمله عمر بن عبد العزيز على الأندلس لما لمس فيه من الأمانة والاستقامة ، وأوصاه أن ينجس الأرض ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنها رها وبجارها ، وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدم عن أهل كلمتهم ..

- سنة ١٠٠ هـ : وصل السمع بن مالك الأندلس ، ونظم أمورها وبدأ ببناء قنطرة قرطبة ثم أعاد تنظيم قواته وتقدم حتى ثاربون « اربونه » فجعلها قاعدة متقدمة وزاد من تحصينها ، وهناك شارع فيها لا يزال يحمل اسمه ^(١) .

- سنة ١٠٢ : تابع السمع بعد ذلك غزواته في اkitانيا وقتل في موقعة « يوم الترويه » ..

- من ذريته في الأندلس حفيده « اسحاق بن قاسم بن سمره بن نهشل بن مالك بن السمع بن مالك الخولاني » ^(٢) .

.....

(١) Rue de Zama .

(٢) غزوات العرب ٦٦ ، الاعلام ٣ - ٢٠٣ ، البيان المغرب ٢ - ٢٦ ، نفح الطيب

٣ - ١٤ ، جنوة المقتبس ٢٢٠ .

عنبسة بن سحيم الكلبي

... - ١٠٧ هـ = ... - ٧٢٥ م

- عنبسة بن سحيم الكلبي ، عامل الأندلس أيام هشام بن عبد الملك ، تولى الأندلس بعد مقتل السمح بن مالك ، واستقر في قرطبة وأعاد تنظيم جيشه لمتابعة الغزو ، ثم انطلق الى الشمال فاستولى على سبتانية .

- سنة ١٠٧ هـ : توغل السمح بقواته في غاليا « فرنسا » وافتتح كاراكسون « قرقشونه » وعبر الرون شرقاً وأوغل في اقليم برغنديه حتى بلغ مدينة ليون واستولى عليها .

وصف اسقف « باجه » فتوحات عنبسة [بأنها فتوحات حنق ومهارة أكثر من فتوحات بطش وقوة] .

أصيب خلال معاركه الأخيرة بجراحات توفي على اثرها (١) .
كانت مدة ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر ..

- وفي أيام عنبسة ظهر بجيليقية « شمال شرق الأندلس » علج خبيث يدعى « بلاي » فعاب على قومه طول الفرار ، وأذكى قرائعهم حتى سما بهم الى طلب الثأر ، ودافع عن أرضه وعندما امتدت سيطرة المسلمين الى منطقة جيليقية كلها قاد « بلاي » أنصاره الى منطقة حصينة حملت اسم « صخرة بلاي » فحاصروهم المسلمون حتى لم يبق معه سوى ثلاثين رجلاً ونحو عشرة نسوة ، وكان هؤلاء يوفرون غذاءهم من عسل النحل في خروق الصخرة ، فاستهان المسلمون بهم وقالوا [ثلاثون علجاً ، ما عسى أن يحيى منهم] فبلغ أمرهم بعد ذلك في القوة والكثرة ان سيطروا على الأندلس واحتلوا قرطبة ، وكان « بلاي » وصحبه نواة عملية « الغزو المضاد » (٢) La ReconQuista .

(١) غزوات العرب ٧٣ و ٨٥ ، نفع الطيب ٣ - ١٦ ، ابن الأثير حوادث سنة ١٠٧ ، البيان المغرب ٢ - ٢٧ ، الاعلام ٥ - ٢٦٩ ، تاريخ الاسلام الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ - ٣٢٠ ، تاريخ الاسلام الذهبي ٢ - ٢٤٣ ، جبهة الانساب ١٠٢ .
(٢) بلاي Pelayo أو Pelagius باللاتينية ، فجر الإندلس الدكتور مؤنس ٣١٣ .

عبد الرحمن الفافقي

... - ١١٤ هـ - ... - ٧٣٢ م

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الفافقي ولقبه أبو سعيد .. وعرفه بالعكي نسبة الى بني عك وغافق بطن منهم في اليمن ..

- ذهب الى افريقية وعاد الى دمشق حيث وفد على الخليفة سليمان بن عبد الملك وذهب الى الاندلس فالتقى فيها بموسى بن نصير وابنه عبد العزيز .

- سنة ١٠٢ هـ : كان في القوة التي قادها السمح بن مالك الخولاني وعندما استشهد السمح تولى عبد الرحمن قيادة القوات حتى « ثارون » ، وبقي على ولاية الاندلس فترة قصيرة ريثما التحق والي الجديد غنبة بن سحيم الكلبي . استمر عبد الرحمن في غزو بلاد الافرنج .

سنة ١١٢ هـ : عينه هشام بن عبد الملك والياً على الأندلس ، فقام بحولة على اقاليم الاندلس « كورها » وحشد الامكانات لغزو بلاد الغال - فرنسا .

سنة ١١٤ هـ : عبر بقواته جبال البيرنيه « البرتات » من منطقة « البشكنس - الباسك » واستولى على بورديو بعد حصاره لها ، وهرب من وجهه ملك اكيثانيا ، الذي طلب دعم شارل مارتل فتقدم هذا يحيشه المكون من الغاليين والجرمانيين .. ووقعت معركة في سهل بواتيه جنوب تور استمرت ثمانية أيام ، ثم قتل عبد الرحمن فوق أرض المعركة ، وسميت المعركة باسمه « بلاط الشهداء » .

(١) نفح الطيب ٣ - ١٥ ، غزوات العرب ٨٧ - ١٠٢ ، الكامل لابن الأثير حوادث سنة ١١٤ هـ ، البيان المغرب ٢ - ٢٦ ، الاعلام ٤ - ٨٥ ، جنوة المقتبس ٢٥٣ .

الفصل الرابع

الفصل الأول

الدولة الاموية في الاندلس

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يالونكم خيالاً ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء
في أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا
لكم الآيات ان كنتم تعقلون » صدق الله العظيم .
آل عمران - ١١٨ -

- ١ - الوضع العام .
- ٢ - الوضع على الجبهة الشمالية .
- ٣ - الوضع الداخلي .
- ٤ - عبد الرحمن الداخل في الاندلس .
- أ - الإصلاحات ، واعادة التنظيم - تشكيل الجيش المحترف .
- ب - استراتيجية الردع - تنظيم الصوائف وحماية الثغور .
- ج - سياسة الاحلاف .
- د - عبد الرحمن الداخل وبناء الدولة .

٥ - هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الهجمات الوقائية .

آ - العمليات في جيليقه .

ب - العمليات في ثاربون ، واكتانيا .

ج - معاودة نقل محور ثقل العمليات الى جيليقه - موقعة الصخرة .

٦ - الحكم بن هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الردع .

جدول توقيت الأحداث

آ - الوضع العام .

ب - الوضع الخاص .

ج - مسيرة الاعمال القتالية :

١ - الهجوم الوقائي الأول .

٢ - سقوط برشلونه .

٣ - استعادة تطيله .

٤ - هجوم وقائي جديد .

٥ - استراتيجية الردع - معركة وادي الحجارة .

٦ - اخضاع التمرد في طليطله .

٧ - تطوير عمليات الردع .

الدولة الأموية في الأندلس

الوضع العام

توالى على حكم الأندلس بعد مقتل عبد الرحمن الفاطمي في معركة بلاط الشهداء ١١٤ هـ - ٧٣٢ م ستة من الولاة ، اولهم عبد الملك بن قطن الفهري ١١٤ - ١١٦ هـ - ٧٣٢ م وآخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري ١٢٩ - ١٣٨ هـ - ٧٤٦ - ٧٥٦ م^(١).

- حاول هؤلاء الولاة متابعة الفتوحات ومقاومة الحركات المناوئة والثورات المضادة ، فعمل عبد الملك بن قطن على غزو اقليم البشكنس « منطقة الباسك جنوب غرب فرنسا حالياً » بعد ان جعلت المقاومة من هذا الاقليم مستقراً لنشاطها ومنطلقاً لعملياتها ونجح الفهري في القضاء على المقاومة لكنه اضطر للقسوة واستخدام العنف في اخضاع حركات « الثورة المضادة » مما جعله مكروهاً ، وعندما جاء بعده عقبة بن الحجاج السلوي ١١٧ - ١٢٣ هـ - ٧٣٥ - ٧٤١ م ، ركز جهده على الفتوحات الخارجية وتحصين الثغور [حتى بلغ سكنى المسلمين أربوثة «ناربون» وصار رباطهم على نهر ردونة «الرون»^(٢)] ، وكان من بين ما حصنه المسلمون اقليم اللانغدوك^(٣) حتى ضفاف الرون ، واقاموا الحاميات في الحصون والقلاع ، كما نظم عقبة الهجمات على دوفينييه^(٤) وهو الاقليم

(١) انظر الملحق فقيه جدول يضم اسماء الولاة وتسلسلهم .

(٢) نفع الطيب ١ - ٢٣٧ و ٣ - ٢٦ ، وغزوات العرب ١١١ .

(٣) للانغدوك Languedoc .

(٤) دوفينييه Dauphine .

الواقع شمال البروفانس وغرب سافوا وشرق ليون ، ودمر المسلمون بلدة سان بول^(١) بسبب مقاومتها واحتلوا فالانس^(٢) الواقعة على الرون ..

- وفي الوقت ذاته دعم عقبة اعمال الهجوم على امتداد ساحل البروفانس وهي الأعمال التي فرضت وجود المسلمين في ليرين^(٣) وعين الطيب^(٤) التي كان القسس والرهبان قد جعلوها مستقراً لهم ، وعندما هاجمهم المسلمون عام ١٢٢٢ هـ - ٧٣٩ م كان هناك خمسمائة راهب يتزعمهم الراهب « بورسير »^(٥) الذي ضم اليه رجال الكنيسة من ايطاليا وفرنسا وسائر اوروبا . وقد طالبهم المسلمون كما هي عادتهم بالجزية او الدخول في الاسلام او الحرب ، ورفض القسس فاضطر المقاتلون المسلمون لاعدائهم .

- خلال هذه الفترة من حكم الولاة أخذت الخلافات الداخلية تظهر على شكل ثورات مضادة ، فقام البربر ضد العرب بثورة كانت استمراراً لثورتهم في شمال افريقيا ، ونهض أهل الاندلس فأعادوا لحكمهم عبد الملك بن قطن ، وبقي فيها فترة قصيرة واستمر الاضطراب حتى جاء أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي ومعه أهل الشام فاستقر له الوضع في بداية أمره ، وانصرف الى تنظيم الأمور الداخلية ، وفي فترة ولايته أصبحت قرطبة تضيق بأهل الشام فعمل على توزيعهم في الأقاليم .

(١) سان بول : المعروفة بالثلاثة قصور ودونزير

Saint Paul et Trois Chateaux et Donzère .

(٢) فالانس Valence في منتصف المسافة تقريباً بين ليون وافيونيون على نهر الرون .

(٣) ليرين Lerin .

(٤) عين الطيب : هي مدينة انتيب Antibes الواقعة على البحر الابيض المتوسط جنوب

فرنسا في مقاطعة « الالب - ماريتيم » التي مركزها « غراس » ومدينة انتيب الى الشرق من نيس على الشاطئ الازوري Cote d'Azur .

(٥) الراهب بورسير : جملوه قديساً بعد موته وهو Saint Porcair .

[.. فانزل أهل دمشق البيرة لشبهها بها وسماها دمشق وانزل أهل حمص اشبيليا وسماها حمص وأهل قنسرين بجيان وسماها قنسرين وأهل الاردن ريه وماتقة وسماها الاردن وأهل فلسطين شنونة وهي شريش وسماها فلسطين وأهل مصر تدمير وسماها مصر ..] ^(١)

لكن أبو الخطار حسام أظهر تحيزاً لأهل اليمن فتصدى له الصميل بن حاتم - زعيم المضرية - وخلعه وأسره وولى على الأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي ، ثم توفي ثعلبة ، وتفاقم الأمر وبقيت الأندلس اربعة اشهر دون وال يضبط أمورها فاجتمع أهل الأندلس على تعيين يوسف بن عبد الرحمن الفهري والياً لمدة سنة (وهو مضري) على أن يخلفه في السنة التالية وال « يمني » وعندما جاء أهل اليمن في السنة التالية تصدى لهم يوسف واستأثر بالأمر دونهم وقتل منهم خلقاً كثيراً فركن اليمنيون الى الهدوء وانتظاراً لفرصة مناسبة يحققون فيها انتقامهم .. وهكذا كان الوضع الداخلي خلال حكم الولاة وضع تمزق بين عرب وبربر ، وبين مضرية ويمنية ، وبين شامية وبلدية « عرب الحجاز » مما ترك لأعداء المسلمين المتربصين بهم فرصة للتجمع وإعادة التنظيم وبدء المقاومة .

٣ - الوضع على الجبهة الشمالية -

- كان الملوك الكسالي من الميروفنجيين ^(٢) قد تركوا السلطة لوزرائهم في الفترة الاخيرة من حكمهم ، فنشأت أسر متوازية تتنازع مركز الصدارة ، واستطاع بيبان الهيرىستالي وزير قصر مملكة اوسترازية ان يسحق جيش

(١) نفع الطيب ١ - ٢٣٧ و ٣ - ٢٦ .

(٢) الميروفنجيين نسبة الى Mérovée : ملك الفرنج ٤٤٨ - ٤٥٧ م . قاد الفرنج في معركة « حقول كاتالونيه » Champ Catalauniques الممتدة بين شالون على المارن وتروا ، واعطى اسمه للأسرة المالكة الميروفنجية التي حكمت بلاد الغال « فرنسا » القديمة حتى ٧٥١م ، وتلتها الاسرة الكارولنجية التي أسسها بيبان الاول وزير القصر ومن بعده ابنه شارل مارتل وحكمت هذه الاسرة من ٧٥١ - ٩٨٧ م .



نومسترازية واعاد تنظيم المملكة ، واستطاع شارل مارتل ابن بيبان اخضاع مملكة اومسترازية ومقاطعة اكيثانيا وهزم البافاريين والساكسون والالامان – وورث شارل مارتل مجمل مملكة الافرنج وتابع جهده لتوسيع حدود مملكته .

بدأت الأسرة الكارولنجية عهدها بإصلاح عام في البلاد ، بعد أن عملت على توحيدها وفرضت نظام الجندية ، وقامت بإصلاحات عسكرية ، وأخذت تزيد من اهتمامها بقوة الفرسان مع إنشاء مراكز إدارية لتموين الجيوش على محاور الطرق المختلفة وأفادت من أموال الكنيسة للقيام باصلاحاتها ، ونظراً لتطبيق نظام التجنيد الشامل فقد أصبح باستطاعة شارل مارتل^(١) ومن بعده ابنه بيبان^(٢) ثم شارلمان^(٣) زج قوات غير محدودة من جميع الاقاليم .. كان شعور الافرنج ، رغم انتصارهم في يوم الترويه – وبلاط الشهداء –

(١) شارل مارتل Charles Martel وزير القصر وابن بيبان دو هيرستال Pèpin de Héristal عاش تقريباً بين ٦٨٨ – ٧٤١ م . وجاء في اللاروس المصور للقرن العشرين ان انتصار شارل مارتل في بوتانيه هو الذي انقذ الحضارة المسيحية .

(٢) بيبان الخامس Pepin le Bref ولد عام ٧١٤ في جوبيل Jupille « بلجيكا » وهو ابن شارل مارتل ، وفي عام ٧٤١ عينه والده دوقاً على نستريا وبورغونيا والبروفانس مع اخيه كارلمان ، وقام بقيادة القتال ضد اكيثانيا والالامان وبافاريا والساكسون والعرب ، توجه البابا زكريا عام ٧٥١ ملكاً على الافرنج بعد ان جمع الاوفياء « Troste » في سواسوت ، وارغم لومبارديا على اعطاء ايتين للبابا مقابل تتويج البابا له ، فاعتبر اول ملوك الاسرة الكارولنجية وتوفي عام ٧٦٨ تقريباً .

(٣) شارلمان Charlemagne ، كان ملك نوستره ، ثم اصبح ملك الافرنج ٧٧١ – ٨١٤ م وامبراطور الغرب ٨٠٠ – ٨١٤ م خلف اياه بيبان وحكم مع اخيه كارلومان حتى موت هذا الأخير عام ٧٧١ م حارب الاكيثانيين واللومبارديين وقاد حملة ضد العرب في اسبانيا حيث هزمت مؤخرة جيشه في رونسق وقتل رولان ٧٧٨ م . قام بحروب كبيرة وتوجه البابا امبراطوراً عام ٨٠٠ م ، اشتهر بالقوانين التنظيمية التي عرفت بقوانين شارلمان ، اصلح القضاء ، ونظام التفتيش .

يتلخص في أن المسلمون قوة لا تقهر ، وانهم على امتداد دولتهم يستطيعون زج طاقات بشرية غير محدودة ، ولعل قصيدة الشاعر الانجليزي « روبرت سوزي » تصور هذا الشعور ، حيث قال :

جمع لا يحصى

من عرب وبربر وشأم وروم .
وفرس وقبط وتتار عصابة واحدة
يفيض شبابها ايماناً فتياً وطيد الدعائم
وتستعر حماسة برائع ماضيها
تتوق الى سلب مدن النصرانية واثقة من هول بأسها
ولم يك الزعماء
اقل ثقة بالنصر ، وقد اخلصوا في محالفتهم .
يتيهون كثيراً بتلك القوة الجارفة
التي وثقوا من انها حيث اندفعت
تستمر ظافرة ، دون منازع ، الى الأمام
حتى يصبح الغرب مقهوراً كالشرق .
يطأ طيء الرأس اجلالاً لمحمد .
وينهض الحجاج من أقاصي المتجمد .
ليطوفوا باقدام التوبة والاخلاص ، الرمال المحرقة
المتناثرة فوق صحارى العرب وأرض مكة الصخرية^(١)

لكن الانقسامات الداخلية تركت بعض الأمل في نفوس عناصر المقاومة الداخلية والأعداء الخارجيين . ثم جاء انهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م فتترك باب الأمل مفتوحاً على مصراعيه ، وبدأ العمل بخطوات جديدة أكثر حزمًا وأكثر تصميمًا .

(١) تاريخ العرب في اسبانيا ، عبد الله غنان طبعة ١ عام ١٩٢٤ ص ٣٥ .

- شعرت الامارات في البروفانس وسبتانيا بضعف قبضة العرب المسلمين فأخذ الأمراء المحليون « كونتات » في نيم والمدن المجاورة وفي بيزيه وماغلون في تنظيم ادارة محلية مستقلة مع بقاء الاعتراف بسيادة المسلمين .

وفي عام ١٣٠ هـ - ٧٤٧ م ، وجه يوسف بن عبد الرحمن الفهري قوة الى البيرنيه بمهمة متابعة الفتوح لكن القوات المسيحية جابهت المسلمين بقوة ، وقاوموم بعناد ، ونظراً لصعوبة الاتصال بين العاصمة « قرطبة » وبين ناربون وبصورة خاصة في فصل الشتاء فقد اضطر المسلمون للتراجع وبدأت حركات التمرد ضد المسلمين ، لكن النزاع بين بيبان ابن شارل مارتل وبين فيفر^(١) ابن دوق اكيثانيا حول حكم البلاد السبعة السابق ذكرها ، وضع حداً مرحلياً للانتقاض ضد المسلمين ..

- في عام ١٣٥ هـ - ٧٥٢ م ، سار بيبان بجيش كبير ، فاستولى على نيم واوقت وماغلون وبيزيه وسيطر على اللانغدوك ثم تابع تقدمه حتى وصل ناربون ، فتصدت له المدينة وقاومته ، فضرب حصاراً حولها وطال أمد الحصار حتى يش بيبان من فتحها فترك حامية صغيرة بقيادة أمير من أمراء القوط هو انسينوندوس^(٢) بمهمة متابعة الحصار وعاد يجيشه ..

- استمرت مقاومة العرب للحصار المضروب عليهم ، ونصبوا كميناً قتلوا فيه قائد قوة الحصار « انسينوندوس » لكنهم لم ينجحوا في ارغام الخصم على رفع قبضة الحصار ..

- طال أمد الحصار حتى وصل الى عامه السابع وكانت الاتصالات الخفية مستمرة بين الملك بيبان وبين الأمراء المحليين المتعاونين مع المسلمين ، وأمكن من خلال هذه الاتصالات عقد اتفاق للغدر بالمسلمين وابادتهم لقاء ترك

(١) فيفر Vaifre ،

(٢) انسينوندوس Anseniundus ،

الحرية للبلدة في اقامة حكم محلي تدار فيه الامور حسب عادات القوط وتقاليدهم^(١)..

في عام ١٤٢ هـ - ٧٥٩ م ، وبينما كانت الحامية العربية في ناربون منصرفة لمتابعة مجابهة عدو الخارج ، بوغت بالسكان المحليين وهم ينقضون بهجومهم ، وأبديت الحامية المسلمة ، ووقعت ناربون بقبضة ببيان ولم يبق فيما وراء البيرنيه سوى أعداد قليلة من المسلمين الذين انتشروا في مقاطعات دوفينيه ونيس أو - نيقه - وأعاد ببيان تنظيم الأقاليم فرمم الحصون وشحنها بالمقاتلين وأقام الحاميات على امتداد الرون وفي اكيثانيا وعلى امتداد الحدود ..

- نتيجة لهذه الانتصارات الموضعية ، وبعد أن تم للكارولنجيين توحيد « الافرنج » تحت قيادة واحدة ، لم يعد هناك خطر يتهدد فرنسا ، واصبح باستطاعة ببيان وابنه شارلمان من بعده الانطلاق من مواقع القوة والاستعانة عند الضرورة بجيوش من بلجيكا وألمانيا وإيطاليا لدعم الجيوش المحلية . وتحول ببيان من خنادق الدفاع إلى خنادق الهجوم ، وأخذ بأجراء الاتصالات السرية مع زعماء كاتالونيا وآراغون ونافار ليوحدوا جهدهم ضد المسلمين وليشكلوا معه حلفاً دفاعياً ، ولم يقف نشاط ببيان وابنه شارلمان من بعده عند هذا الحد بل أخذ في إثارة الفرقة بين أمراء المسلمين وتحريض بعضهم على بعض .

- كان ببيان « الحاسم » يعتبر سلسلة جبال البيرنيه هي الحد الطبيعي الفاصل بين مملكته وبين « اندلس المسلمين » ، وعندما تم له الاستيلاء على « ناربون » واجلاء المسلمين من جنوب فرنسا ، انصرف لمعالجة هجمات الشمال ومتابعة فتوحاته في اتجاه الشرق وتوافق ذلك مع دخول « عبد الرحمن - صقر قریش »

(١) تاريخ جيوش العالم الاعداد ٥ و ٦ و ٧ و ٩ من المجلة العسكرية ترجمة يوسف يازجي وتاريخ غزوات العرب - ارسلان ١١١ وما بعدها .

الى الاندلس وتركيز جهده لاعادة تنظيم الدولة ، فشهدت الحدود فترة من الهدوء النسبي ..

٣ - الوضع الداخلي :

كانت عناصر المقاومة المحلية قد نزحت الى الشمال وتمركزت في جيليقية شمال غرب الأندلس معقمة مجبالها المنيعه وقلاعها الحصينة وقد نجح المسلمون في تمزيق كل مقاومة حتى لم يبق إلا فئة صغيرة يتزعمها « بلاي » لا تزيد في عددها على ثلاثين رجلاً .. وكانت عناصر المقاومة هذه تتابع مسيرة الأحداث وتجمع الانصار ، وتتلقى الدعم من البشكنش والافرنج فاشتد ساعدها وقوي أمرها ، وأفادت هذه المقاومة من تمزق الجبهة الداخلية للمسلمين وتفرقهم فقامت بهجوم مضاد كبير سنة ١٣٤ هـ - ٧٥١ م بقيادة الفونسو « صهر بلاي » ونجحت في القضاء على وجود المسلمين في جيليقية واحتلت براغه^(١) وبورتو^(٢) وفيزو^(٣) وسيطرت قواتهم على الساحل حتى مصب نهر دورو ، وأصبح الاقليم بين الساحل والوادي الجوفي^(٤) خالياً من المسلمين ..

٤ - عبد الرحمن « الداخل » في الاندلس

وصل عبد الرحمن الداخل الى الاندلس ، ووجد نفسه في موقف صعب ، ففي الجنوب « علوة المغرب » تناصبه العداء ، وفي الشرق تقف له الدولة العباسية بالمرصاد وتلاحق خطواته وتحاول تدميره ، وفي الشمال - حيث مركز الجهد

(١) براغه Braga .

(٢) بورتو Porto .

(٣) فيزو Vizu .

(٤) دورو ، أو الوادي الجوفي Duero .

وجاء في نفع الطيب ١ - ٣٣٠ ان الجلائقة استولوا خلال هذه الفترة على لك Luco وبرتقال Porto وشلفه Salamanca وقشتاله Castillos وشقوبه Segovia .

الرئيسي ، أصبحت هناك دولة قوية ، موحدة ، ترغب في القضاء على دولته ، وتمزق داخلي ، وولايات مستقلة ، وثورات مضادة متلاحقة . وقد وصف ابن حيان هذا الوضع بقوله :

لقى الداخل الاندلس ثغراً قاصياً غفلأ من حلية الملك عاطلاً، فأرهم أهلها بالطاعة السلطانية ، وحنكهم بالسيرة الملوكية، واخضعهم بالأداب فأكسبهم عما قليل المروءة واقامهم على الطريقة .. [وبدأ فدون الدواوين ورفع الأواوين وفرض الأعطية وعقد الألوية وجند الاجناد ورفع العماد وأوثق الاوتاد فأقام للملك آله واخذ للسلطان عدته فاعترف له بذلك اكابر الملوك وحنروا جانبه وتحاموا حوزته ولم يلبث ان دانت له بلاد الاندلس ، واستقل له الأمر فيها ..]^(١)

– وانصرف عبد الرحمن الداخل الى البناء الداخلي، واقامة الدولة على قواعد ثابتة بحيث يستطيع الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ..

الاصلاحات ، واعادة التنظيم :

أ – تشكيل الجيش المحترف ..

– بدأ عبد الرحمن الداخل أعماله باعادة اصلاح الجيش ، ووجد ان القوة البشرية – من العرب وحدهم – لا تكفي لمجابهة أعداء دولته المتربصين به ، فكون نواة جيش من المتطوعين الصقالبة والموالي والبربر ، ليكون هذا الجيش نواة القوة الضاربة – المستعدة دائماً للحرب – ولم يعد واجب القتال مفروضاً على العرب والبربر وحدهم . وقد يكون الدافع لذلك أيضاً كثرة الشكوك التي تولدت في نفس عبد الرحمن من اعتماده على العرب وحدهم بسبب الثورات المتلاحقة التي كان يقودها العرب ضده أحياناً بتأثير النوازع الفردية والطموح إلى

(١) نفح الطيب ١ - ٢٣١ .

المنافسة في الحكم وأحياناً بتحريض من الخلفاء العباسيين في بغداد وولاتهم في المغرب .

ويرى بعض المؤرخين كابن خلدون مثلاً ان سبب اعتقاد الأمير عبد الرحمن في حروبه على الصقالبة والموالي وصرفها عن العرب هو كثرة ثورات العرب وتكررها . لكن مراجعة أسلوب حكم الأمويين وطريقتهم في الادارة وماورثوه من الخبرات والتجارب تدحض هذا الزعم ، فلقد جابهت دولة الأمويين في الشام من الثورات أقواها ومن الاضطرابات أخطرها ومع ذلك لم تزعزع ثقة الخلفاء الأمويين بالعنصر العربي ولم تتغير نظرتهم اليه واعتمادهم عليه ، لكن العزلة المضروبة على الأندلس ، دفعت عبد الرحمن الداخل الى زج قوات اضافية والاعتماد على عناصر أخرى بهدف ببناء قوته الذاتية ، وكان من نتيجة ذلك تناقص أهمية العنصر العربي وانحسار دوره القيادي ، مما كان له أخطر النتائج في المستقبل ، ويقول ابن خلدون في ذلك وهو قول لا يحتاج الى دحض بعدما سبق ذكره :

[.. كثرت ثورة رؤساء العرب بالأندلس على عبد الرحمن الداخل ونافسوه ملكه ، ولقي منهم خطوباً عظيمة وكانت العاقبة له ، واستراب في آخر امره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع الى اصطناع القبانل من سواهم واتخاذ الموالي ...]^(١)

- ولقد تطلبت عملية اعادة تنظيم الجيش أموالاً كثيرة ، ففرض الأمير عبد الرحمن ضريبة على العرب لقاء اعفائهم من الخدمة في الجيش ، ثم كرس ثلث موازنة دولته لبناء القوات المسلحة ، وبذلك استطاع تكوين جيش قوي ، وقد بلغت موازنة الدولة في عهد الأمير عبد الرحمن ثلاثمائة الف دينار .

[. فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك مائة الف دينار ،

(١) فتح الطيب ٢ - ٣٣٣ .

وينفقون في امورهم ونوانبهم وموت اهلهم مائة الف دينار ، ويدخرون
لحادث ايامهم مائة الف دينار .. [(١)]

- اعتمد الامير عبد الرحمن في تنظيم الجيش على تقسيمه الى أسلحة رئيسية
ثلاثة وضع على كل سلاح قائداً مستقلاً ، وولى الجميع قائداً عاماً .. وكان في كثير
من الأحيان يقود الجيش بنفسه وكانت تقسيمات أسلحة الجيش هي : ١ - الفرسان
٢ - المشاة أو الرجالة . ٣ - الهندسة « المجانيق وأدوات الحصار » ، ويظهر ذلك
بوضوح من تصرف الأمير عبد الرحمن عندما أراد قمع حركة تمرد عبيد بن ابان:
[.. فدعا صاحب خيله وقال له امض فيمن امكنك من اصحابك ... ثم
دعا عبد الحميد بن غانم صاحب الرجالة ..] [.. وفي حصار سرقسطه .. خرج
الامير غازياً فعند ذلك نصب عليها المجانيق من كل جانب فيقال انه حفها بستة
وثلاثين منجنيقاً ...] [(٢)]

- واعتمد في التسليح على مصانع « بوردو - برديل » حيث اكتسبت شهرة
خاصة بصناعة السيوف ، ثم طورت هذه الصناعات بعد ذلك وأصبح الاعتماد في
توفير الحاجة منها على ما تنتجه طليطله ..

ب - استراتيجية « الردع في الحروب » (٣)

- تنظيم الصوائف ، وحماية الثغور :

- كان العدو الاول الذي يتهدد الاندلس هو عدو الشمال ممثلاً بالدولة

(١) نفح الطيب ١ - ١٤٦

(٢) اخبار مجموعة : ١٠٣ و ١٠٤ .

(٣) ترجمة للاصطلاح الانكليزي Deterrence Intrawar ، والفرنسي
Strategie de Dissuasion on Stratigie de Cuerre وهو اصطلاح جديد
في لفظه حديث في مفهومه قديم في تطبيقه كاسلوب قتالي ويقصد منه (الردع الذي يمارس أثناء
حرب محدودة او محلية بهدف ارغام الخصم على التقيد ببعض الحدود في الحاق الضرر والتخلي
عن تصعيد النزاع) .

« الكارولنجيه » ، وقد عرف الامويون في الشام عدو الشمال ممثلاً ببيزنطة واتبعوا معه اساليب استراتيجية مختلفة ، ومارسوا ضده عمليات متنوعة فكانت لديهم خبرة طويلة في اسلوب الدفاع الثابت الممثل في الثغور والدفاع المتحرك^(١) المتمثل بعمليات الصوائف والشواتي ، وكان هدف العمليات الاول هو ردع العدو عن القيام بهجمات ضد دولة المسلمين سواء في الشام او الاندلس -

[... ثم عرف الامير عبد الرحمن انه لا يستطيع تصعيد عملياته للقيام بهجمات واسعة تستطيع تهديد الدولة الكارولنجيه ، ولهذا ركز جهده على تنظيم عملياته الدفاعية ، وتطويرها بما يحقق له المحافظة على كيان دولته والدفاع عنها ضد كل تهديد ...] .

- ومن هنا يظهر بوضوح ايضاً ان اعتماد عبد الرحمن الداخل على الصقالية والموالي قد جاء لدعم « المقاتل العربي » وليس ، بديلاً له . ولا أدل على ذلك من اسقاط « البذل النقدي » عند اعلان التمهنة العامة ، وحشد كل الامكانات وزجها في المعركة على نحو ما فعله هشام بن عبد الرحمن فيما بعد ..

- انطلاقاً من هذا المفهوم ، وضمن مفهوم « استراتيجية الردع في الحروب » نظم الامير عبد الرحمن ، الصوائف - جمع صائفة ، وهي مشتقة من الصيف ، [... وهي الحملات التي جرت عادة بني امية وحلفائها على توجيهها الى دار الحرب خلال فصل الصيف ، وقد استقر تقليد هذه الحملات حتى أصبحت وظيفة ثابتة يعهد بها الى احد القواد الكبار او الى واحد من افراد الاسرة المالكة ، وكثيراً ما كان الأمير او الخليفة نفسه هو الذي يضطلع بقيادتها ، وكان الاستعداد لها يبدأ في شهر « يونيو » وكانت قيادة الجيش تتكتم دائماً اخبار الطريق الذي ستتتجهه حملة الصائفة حتى تكون ضرائبها

(١) ترجمة للاصطلاح Defense - Mobile ، ويقصد من الدفاع المتحرك (... العمل الدفاعي الذي يتم تنفيذه ضمن منطقة معينة ، ويعتمد بصورة رئيسية على قدرة القوات المدافعة على الحركة ...)

مفاجئة للعدو ، وقد وافقنا المراجع الاندلسية بكثير من التفاصيل حول هذه الحملات .. التي أصبحت على طوال ايام الدولة الأموية وفي ظل العامرين بعدم تقليداً محترماً سنوياً ^(١) .

- وقد عمل الأمير عبد الرحمن على تنظيم « البديل » والتناوب بين حملات الصوائف نظراً لما قد تتعرض له من الخسائر ، وحتى يستطيع المحافظة باستمرار على قوة زخم الهجوم .. [وقطع الأمير المبعوث على الأجناد وجعلها بينهم دَولاً في كل ستة أشهر ، فاذا انقضت دولة ندب أخرى ..] ^(٢) .

ج - سياسة الاحلاف :

- أدرك الأمير عبد الرحمن نتيجة لمجاهدة المواقف التي يتعرض لها ان العدو الأكبر والخصم الأول في مقاومته هو « الملك بيبان ملك الافرنج » فقد برز كيان اشتورية ، و كيان نافار ، في شمال الاندلس في الوقت الذي استقلت فيه جيليقية مما جعل الأمير عبد الرحمن يفكر في أسلوب درء خطر هذا العدو ، وتجسدت هذه الضرورة بصورة أكثر وضوحاً في ثورة سليمان الكلبي أمير برشلونه ^(٣) ..

- كان أسلوب عبد الرحمن في الحكم ، ومركزيته الشديدة ، وبطشه بكل من ينازعه السلطة من الأسباب التي ادخلت الذعر في قلوب حكام الأقاليم

.....
(١) المقتبس ٢٦٧ وقد بقي لفظ الصائفة بعد ان انتقل اليها من العربية في صورة Aceifa .

(٢) اخبار مجموعة ١٠٣ .

(٣) كان سليمان الكلبي أمير برشلونه ، وكانت بينه وبين شارلمان علاقات منذ كان أميراً بسرقطة ، ثم ثار سليمان بسرقطة وثار معه حسين بن يحيى الانصاري فبعث اليه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبد ، واستطاع سليمان نصب كمين لثعلبة فاعتقله وأرسله الى شارلمان مع رسالة يستنجد بها ، فتقدم شارلمان عام ٨١٦٢ - ٧٧٨ م ، وتصدى له المسلمون في سرقطة ودارت معارك طاحنة ، ثم علم شارلمان بزحف الساكسون في الشمال فانسحب وتراجع نحو الشمال ونظم المسلمون قوات للاغارة على مؤخرته في رونفو Roncevaux ، وأبيدت مؤخرة شارلمان ومعها رولان Roland ، البطل الشعبي للأفرنج .

وأمرائها ، وعندما سقطت « أربونه - ناربون » وجد حكام المسلمين في المملكة الكارولنجية ، قوة كبيرة على تخوم بلادهم ، وقام ببيان ومن بعده شارلمان بأجراء الاتصالات مع أمراء مقاطعات الشمال فاستجاب سليمان الكلبي ودخل في علاقات مع ببيان ثم أصبح هذا الأسلوب تقليداً متبعاً لدى أمراء الشمال ، فإذا حاول أمير المسلمين في قرطبة ممارسة ضغط عليهم هربوا الى فرنسا أو استعانوا بها ، وإذا لمسوا خطراً فيها أو لمسوا مطامعها عادوا الى أمير قرطبة وقد ساعدتهم طبيعة الاقليم الوعرة على هذا « الاستقلال الذاتي » . وقام « الكارولنجيون بدور كبير في تعزيز هذه النزعة وانماؤها .

وكان الامير عبدالرحمن في حاجة الى فترة من الهدوء النسبي حتى يستطيع اكمال بنيانه الداخلي ، فتظاهر بالرغبة في العيش بسلام مع جواره ، وتذكر بعض المصادر العربية ان الامير عبد الرحمن اتصل بشارله « شارلمان » [... فاصابه صلب المكسر تام الرجولية فمال معه الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم ... فاجابه للسلم ولم تتم المصاهرة ..]^(١)

وقد تجاهلت المصادر العربية ، وحتى الشرقية موضوع المصاهرة ، ولكنها جاءت على ذكر السلم ..

- وجد ببيان ملك « الكارولنجيين » في انقسام الدولة الاسلامية فرصة مناسبة لضرب المسلمين بعضهم ببعض فأرسل في عام ١٤٨ هـ - ٧٦٥ م وفداً الى بغداد لعقد أواصر الصداقة ، ومكث هذا الوفد في بغداد ثلاث سنين ثم رجع الى فرنسا وبرفقته وفد من المسلمين « رسل الخليفة المنصور » وقد لقي الوفد رعاية كبيرة فتم انزاله في متز^(١) بالورين ثم نقل الى قصر سلس^(٢) على ضفاف اللوار .. واستمرت اقامته في فرنسا ثلاثة أعوام .

- كانت الدولة العباسية ، تحاول باستمرار تحطيم الكيان الأموي بالأندلس

.....
(١) متز Metz . (٢) سلس Sels .

ولم تتمكن عملية القضاء على ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي سنة ١٤٦ هـ وارسال رؤوس زعماء الثورة الى القيروان ومكة ، ان تنتزع من رؤوس العباسيين فكرة الاقلاع عن التآمر ضد الأمويين ، وفي الوقت ذاته كان عبد الرحمن الداخل يطمح لاستعادة حكم الأمويين في الشام وقد عمل لهذا الهدف بصورة جدية عام ١٦٣ هـ . واستمر النزاع بين أمراء قرطبة وخلفاء بغداد ، فانصرفوا عن الفتوحات .

وبينما كان خلفاء المشرق يعقدون معاهدات مع ملوك « كارولنجيا » الذين كانوا في حرب مستمرة مع أمراء قرطبة ، كان أمراء قرطبة يعقدون معاهدات مماثلة مع ملوك القسطنطينية الذين كانوا بدورهم في حرب مستمرة مع أمراء بغداد ، وهكذا انتهى الصراع الى نشوء محورين متضادين بغداد - كارولنجيا ، ضد القسطنطينية - قرطبة .. كل ذلك والعلاقات التجارية مستمرة في النمو والازدهار بحيث كانت سفن المسلمين وأساطيلهم تنقل البضائع من الهند والصين الى بغداد ، ففرنسا « مرسيليه وفريجوس » عبر موانئ سوريا ومصر ..^(١)

- جاء شارلمان وخلفاؤه من بعده فاستمروا في تنفيذ « استراتيجية الاحلاف » وفي الوقت ذاته عمل الامبراطور البيزنطي « قوميلس » الذي جابه المعتصم في زبطره وعموريه ، على ارسال وفد الى قرطبة يحمل بالهدايا ويطلب اليه تنسيق التعاون معه ، ويرغبه في ملك سلفه بالشرق من أجل ما ضيق عليه المأمون والمعتصم ، فأرسل الأمير عبد الرحمن بن الحكم وفداً محملاً بالهدايا وبعث معه يحيى الغزال سنة ٢٢٥ هـ - ٨٣٩ م من كبار أهل الدولة وكان مشهوراً في الشعر والحكمة ، فاستطاع يحيى الغزال ان يوطد الصلة بين الدولتين ، وارتفع ذكر عبد الرحمن عند منافسيه العباسيين ..

لقد كانت سياسة الاحلاف او استراتيجية المحاور المتعاوضة من أهم

.....

(١) غزوات العرب - ارسلان ١٢٥ .

الاسباب التي اضعفت مقاومة المسلمين ، وجعلتهم ينتقلون الى مواقع الدفاع ، بينما حفزت خصومهم على الانتقال من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ..
- وهناك كثير من المؤرخين - الشرقيين منهم والغربيين على حد سواء - يناقشون هذه السياسة بصورة عرضية ولا يضعون لها قيمتها الحقيقية على اعتبار ان هذه « الاحلاف » لم تقدم دعماً حقيقياً وفعالاً لأطراف الحلف ، وان هذه التناقضات كانت موجودة فعلاً ولم تكن سياسة الاحلاف الا تكريساً لهذا الواقع ..

- ومع هذا الطرح ، ومع الاعتراف ان بيزنطة والكارولنجيين كانوا يقومون بأعمال هجومية اثناء قيام الدولة الاموية ، لكن هذه الاعمال الهجومية كانت في اطار « الهجمات الوقائية »^(١) في حين ان وجود هذه الاحلاف قد حمل بيزنطة والدولة الكارولنجية على تطبيق استراتيجية « الهجمات الاستفزازية »^(٢) و « الردع الممتد »^(٣) ، بينما اصبحت استراتيجية المسلمين في المشرق والمغرب في اطار « الهجمات الوقائية » وكانت سياسة الاحلاف من ام العوامل في تبادل الادوار والمواقف ..

- ان سياسة الاحلاف لم تقدم للأطراف المتنازعة دعماً مادياً حقيقياً ، ولكنها حققت تحولاً كبيراً في مسيرة الاحداث وأسلوب العمل العسكري ،

(١) الهجمات الوقائية، ترجمة للاصطلاح الانكليزي Attack Preemptive والمصطلحات الفرنسية Attaque Par Anticipation au Attaque Preemptive ويقصد منه القيام بالهجوم عندما تتكون قناعة تامة ان العدو على وشك القيام بهجومه، أو انه مقبل عليه.
(٢) الهجمات الاستفزازية : ترجمة للاصطلاح الانكليزي Attack Catalytic أو المصطلح الفرنسي Attaque Catalytique ويقصد منه : الهجوم الذي يهدف الى ايقاع حزب بين قوتين متخاصمتين من خلال الهجوم أو المكيدة التي تديرها دولة ثالثة ضد احدهما .
(٣) الردع الممتد: ترجمة للاصطلاح الانكليزي 'Deterrence' Extended أو الفرنسي Dissuasion Étendue ويقصد منه التهديد الذي يعمل في مضمونه ان القوة الراعدة لدولة ما تتجاوزها حتى تشمل حلفاءها أو قواتها المتمركزة على ارض اجنبية .

حتى يمكن القول ان زوال الوحدة السياسية ، التي كانت للأمويين ، وما تبع ذلك من انقسام في مسارح العمليات ، وتجزئة في الطاقات البشرية والامكانيات المادية في طليعة العوامل التي أسهمت في تغيير أسس الاستراتيجية الاسلامية ..

د - عبد الرحمن الداخل ، وبناء الدولة ^(١) :

- أمضى عبد الرحمن الداخل الفترة ما بين عام ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م تاريخ دخوله الاندلس وعام ١٧٢ هـ - ٧٨٨ م ، في بناء الدولة ورسم سياستها الخارجية ، وتنظيم جيشها ، وردع الطامعين بها والقضاء على الثورات المتلاحقة التي حفل بها عهده ، وقد استنزفت هذه الأعمال جهد الدولة طوال فترة حكمه وقد دفع عبد الرحمن الداخل قواته لغزو بلاد « الافرنج » ومحاربة البشكنش « سكان الباسك » وحقت هذه الاعمال التعرضية انتصارات رائعة وغنم المقاتلون غنائم كبيرة ، واستطاع « الداخل » ان يقنع خصومه بقوة دولته ، لكن هذه العمليات لا تتجاوز في واقعها وحقيقتها اطار « الهجمات الوقائية » .
وعندما توفي الأمير عبد الرحمن الداخل ترك خلفه كيان دولة ، وطيد الأركان ، قوي البنيان ، واصبح باستطاعة هذا الخلف الانطلاق من قاعدة « قوية ومأمونة » .

هـ - هشام بن عبد الرحمن

١٧٢ - ١٨٠ هـ - ٧٨٨ - ٧٩٦ م

واستراتيجية « الهجمات الوقائية »

تسلم هشام بن عبد الرحمن مقاليد حكم الاندلس بعد وفاة أبيه ١٧٢ هـ ، وتابع تنفيذ سياسته الداخلية ، وبصورة خاصة منها تنظيم الجيش ، وأقام قوة احتياطية من الفرسان تابعة له واهتم ببناء الاسطول ..

كان بناء دولة الاندلس قد وصل الى مرحلة من الاستقرار النسبي ، على الرغم من ظهور بعض حركات التمرد والثورات المضادة كخروج سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن على أخيهما هشام سنة ١٧٢ هـ . ولهذا وجه الأمير هشام جهده

(١) حياة عبد الرحمن الداخل « في قراءات » مع نهاية هذا الفصل ..

لحماية الثغور ، ووجد ان الاعتماد على الجيش المحترف والحاميات الثابتة في الاقاليم لا يحقق له اهدافه الهجومية فأعلن « الجهاد » لغزو منطقة البيرينه ، وحث الناس على دعم الجهود الحربي [فمن لم يقدر على الجهاد بنفسه وجب ان يجاهد بماله ..] ووزع اعلان الامير على المساجد وفيه الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد ، فأقبل الناس ، وتدفقت جموع المقاتلين من كل مكان للجهاد في سبيل الله ، ورغم ان أبواب افريقية والشام وجزيرة العرب كانت موصدة دون المتطوعين للحرب في الاندلس فقد تجمع في جيش هشام قوة تقارب المائة ألف مقاتل ..

— كانت ثغور المسلمين في بداية عهد الامير هشام قد انحسرت نحو الجنوب بعد أن ابعد المسلمون الى ما وراء جبال البيرينه وانتزعت منهم ثاربون ، وبعد ان استقلت جيليقية بأموورها واعلنت تمردها واخرجت المسلمين من أرضها ، فأصبحت الثغور الجديدة هي قويمره وطلبيره وطليطله وبنبلونه .. وكان ضغط الشمال يتزايد خطورة ، فقرر الأمير هشام تنفيذ عملياته واعطاء الأفضلية لمحور عمليات الشمال الغربي «جيليقية» نظراً لأن هذا الاقليم يقع داخل الاندلس ذاتها.

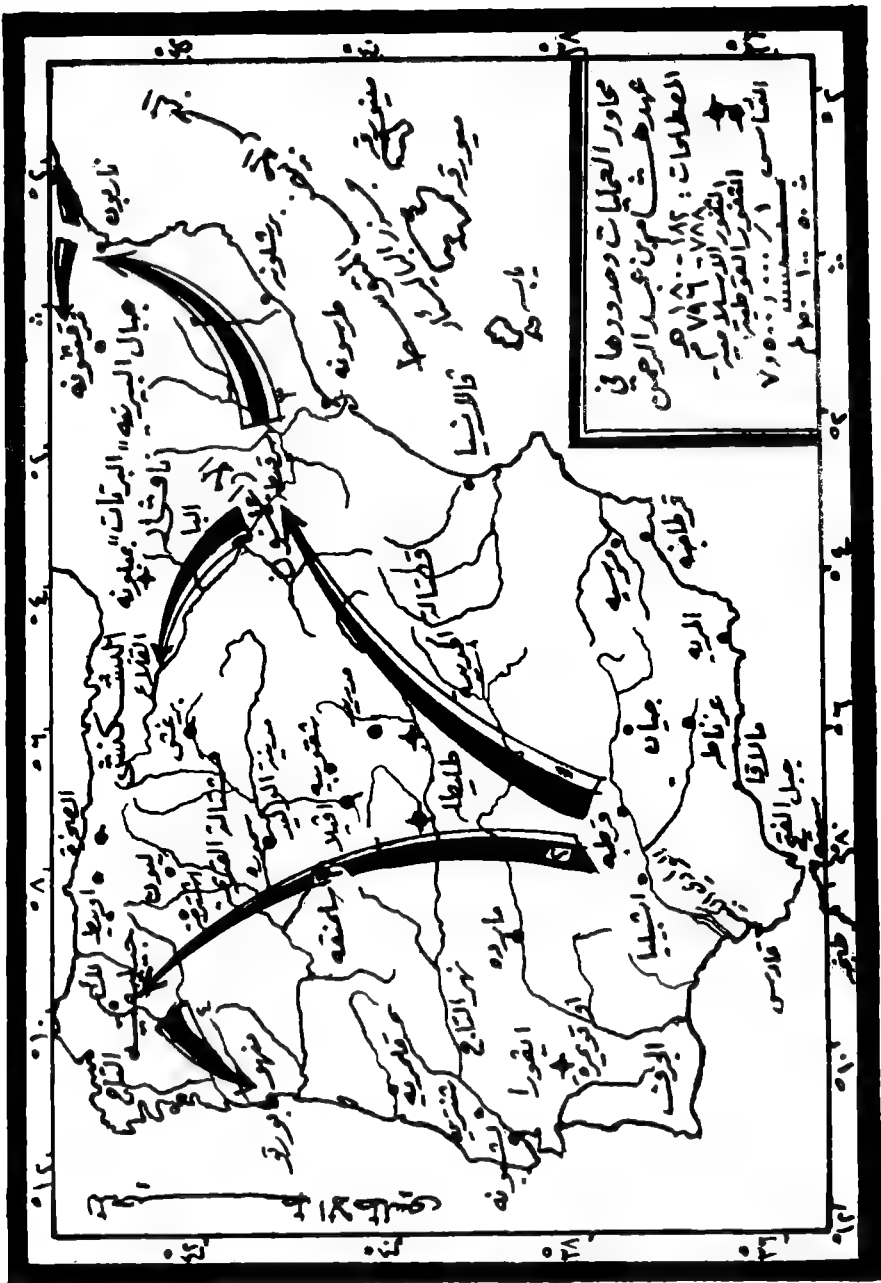
أ - العمليات في جيليقية (١٧٥ هـ - ٧٩١ م) :

وجه الامير هشام قواته بعد أن قسمها الى جيشين :

١ - الجيش الاول بقيادة ابا عثمان عبيد الله بن عثمان بمهمة القضاء على حركة تمرد اخويه سليمان وعبد الله ونصيرهما «مطروح بن سليمان بن يقظان» في سرقسطة ثم التوجه غرباً لدعم عمليات جيليقية .

٢ - الجيش الثاني بقيادة يوسف بن بخت لتنفيذ عمليات اخضاع جيليقية . — انطلق الجيش الاول الى هدفه ، ووصل سرقسطة وضرب حصاراً حولها ،

ولما طال الحصار دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، انسحب الجيش الى « حصن طرسونه » وترك أمر الحصار لحامية صغيرة مع تنظيم أعمال الاغارة على الاقليم بقوات صغيرة وبصورة مستمرة بهدف التضييق على سرقسطة وحرمانها من المواد الحياتية ، وعندما اشتد الحصار ، تأمر اثنان من أصحاب « مطروح »



وقتلهم وانتهت الفتنة ، ثم تابع الجيش الاول تقدمه فاحتل « البه^(١) » والقلاع المجاورة « وقضى على الحاميات المدافعة عن الاقليم ، وانطلقت مجموعات فرسان المسلمين لمطاردة فلول القوات المنسحبة وملاحقتها في السهول والجبال الوعرة حتى أمكن إبادة جيش العدو ، وبلغ عدد قتلى العدو أكثر من تسعة آلاف قتيل .

— وتوجه الجيش الثاني الى جيليقية مباشرة ، وعندما وصلها وجد قائد الجيش يوسف بن بخت أن خصمه « برمند^(٢) » ملك جيليقيا قد استعد للحرب وحشد قواته ، وبدأت المعركة بين الطرفين ، ووقعت مجازر دامية انتهت بانتصار المسلمين ، وخسر العدو ما يقارب العشرة آلاف قتيل .

ب - العمليات في « ناربون » واكيتانيا ١٧٦ هـ - ٧٩٣ م :

— لم يكد الامير هشام ينهي عمليات « جيليقية » حتى وجه جيشاً جديداً بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث بمهمة القيام بهجوم « وقائي » على المحور الشمالي - الشرقي .. فانطلق عبد الملك ليحشده شمالاً حتى وصل اماره « نافار » فحاصر المقاومة فيها ، واستخدم المجانيق فثلم اسوارها ودمر القلاع ، وتابع تقدمه حتى أشرف على معابر البيرنيه وبقي شهوراً وهو يدمر حصون العدو ومراكز مقاومته ثم تابع تقدمه شمالاً ، في اتجاه « ناربون » ..

كان شارلمان « امبراطور الكارولنجيين » خلال هذه الفترة ، يخوض معارك ضارية ضد الآفاريين الذين وصلوا الدانوب وأخذوا في تهديد امبراطوريته ، سيما كان جنود اكيتانيا يخوضون معارك ماثلة في ايطاليا بقيادة « لويس » ابن شارلمان ، وكان لويس ملك اكيتانيا قد كلف « كونت تولوز غليوم » بمهمة ادارة شؤون المملكة ..

(١) البه Alava أو Alba : إحدى مقاطعات شمال الاندلس ، تقع جنوب البيرنيه ، سكانها من البشكنش « الباسك » .

(٢) في البيان برمود « Vermudo » وابن منده في غزوات العرب ولعله تحريف من Bermude .

- عندما وصلت أنباء زحف المسلمين وحصارهم قاعدة « ناربون » أرسل شارلمان جيشاً قوته ٢٠,٠٠٠ مقاتل ، وتوجه غليوم نحو الجنوب واصطدم بقوات المسلمين في فيلدانيا^(١) على ضفاف نهر « أوربيو »^(٢) ، ودارت رحى معركة طاحنة أظهر فيها « الافرنج » من العناد بقدر ما أظهر المسلمون من التصميم لانتزاع النصر . واستطاع المسلمون في النهاية سحق جيش غليوم حتى لم يبق معه سوى ثلاثة عشر رجلاً ، وسلم أنف غليوم ذاته فأصبح يطلق عليه منذ ذلك اليوم « غليوم ، ذو الأنف المصلوم »^(٣) ..

خلال هذه المعارك كانت قوات المسلمين تشدد قبضة الحصار على « ناربون » وقد نجحت قوات المسلمين أخيراً في فتحها ، وكانت قوات الجيش الثاني تحقق انتصارات ماثلة في جيليقية ، ونظراً لكثرة تمرد هذا الاقليم وفتكه بالمسلمين ، اشترط عليهم نقل احمال التراب من ناربون الى قرطبة من أجل بناء المسجد واكماله ..^(٤)

كانت غنائم المسلمين في هذه المعارك كثيرة ، وتذكر مصادر عديدة أن غنائم الذهب وحدها بلغت خمسة وأربعين ألف مثقال ..

(١) فيلدانيا Villedaigne : تقع بين كاراكسون « قرقشونة » وناربون « اربونه » .

(٢) اوربيو Orbieux .

(٣) غليوم ذو الانف المصلوم Guillaume, au Court nez

(٤) نفخ الطيب ١ - ٣٣٧ وفيه : (وفي ايامه فتحت اربونة الشهيرة واشترط على المعاهدين من أهل جيليقية من صواب شروطه انتقال عدد منه أحمال التراب من سور اربونة المفتوحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة ، وبنى من المسجد الذي « قدام » باب الجنان ، وفضلت منه بقية مكومة ..) انتهى . وهناك مصادر تدحض هذا الزعم وتدعي ان اعادة فتحها لم يتحقق الا في عهد الحكم بن هشام وتبرر ذلك معاودة غزو ناربون في السنة التالية ، ولكن الاحتمال الأرجح هو فتحها في هنسللتويخ ، ثم انها أعادت التمرد فأعيد فتحها على نحو ما كان يحدث في جيليقية ، وعلى نحو ما حدث أيضاً في معارك الفتوح في الشرق والغرب لا سيما وان عدد مقاتلي المسلمين وامكاناتهم البشرية أصبحت هنا محدودة بحيث يصعب ترك حاميات كبرى في جميع الحصون والمواقع الشبالية الكثيرة .

- وفي عام ١٧٧ هـ - ٧٩٣ م ، تابع عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث تصعيد عملياته بعد أن وصله جيش جديد أمده به الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ، وقد ركز عبد الملك - قائد الجيش - جهده الرئيسي لتدمير المقاومات المتفرقة في جرنده^(١) والقضاء على أنصار « الكارولنجيين » ، وحقق انتصارات رائعة ودمر القلاع والحصون والأسوار ثم تابع زحفه فعبّر جبال البيرنيه ، وتجاوز « ناربون » ، وأوغل في بلاد الغال [وجاس البلاد شهوراً يخرب الحصون ويحرق ويفتح وقد أجفل العدو من بين يديه هارباً وأوغل في بلادهم ورجع سالماً .. وهي من أشهر مغازي المسلمين بالأندلس ..]^(٢) ..

ج - معاودة نقل محور ثقل العمليات الى جيليقية ..

موقعة الصخرة - ١٧٩ هـ - ٧٩٥ م :

- في نهاية عام ١٧٨ هـ - ٧٩٤ م ، توفرت المعلومات عند الأمير هشام بن عبد الرحمن عن تجمع قوات جيليقية وعزمها على استئناف القتال بعد أن وصلتها قوات دعم كبيرة من منطقة الباسك « بشكش » ومن مملكة الافرنج « كارولنجيا » ، فوجه الأمير هشام جيشاً بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد الى البه والقلاع ووجه جيشاً آخر بقيادة أخيه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الى جيليقية ، ووصلت طلائع قوات المسلمين الى « أسترقه » .

- كان الفونس « اذفونش » ملك جيليقية قد حشد قواته والقوات التي وصلته من كل النواحي في المنطقة بين جيليقية والصخرة ، وعمل على اخراج السكان من السهول وطلب اليهم الاعتصام « بشواقي جبال السواحل » .

.....

(١) جرنده Gerona واسمها الروماني القديم Gerunda انتزعها شارلمان قبل ذلك بشأنيه. أعوام (٧٨٥ م) ثم استعادها العرب عام ٧٩٣ م ، ثم أخذت منهم عام ٧٩٧ م ، ثم عاودوا فتحها ، وانتزعت منهم نهائياً عام ٨٠٠ م . غزوات العرب ٦٧ .
(٢) الكامل ، لابن الأثير ٥ - ٩٤ .

- انسحب « الفونسو » ملك جيليقية في اتجاه المنطقة التي اختارها مسرحاً لعملياته فعمل عبد الكريم بن عبد الواحد على دفع مجموعة قتالية مكونة من أربعة آلاف فارس للعمل « كمقدمة » وانطلق ببقية الجيش في اثر « مقدمته » ..
- اصطدمت قوات المسلمين بجيش الفونسو ، ودارت رحى معركة طاحنة قاتل فيها الطرفان بتصميم وعناد واستطاع المسلمون في النهاية احراز النصر حيث انطلقت مجموعات الفرسان في مطاردة فلول القوات المنسحبة التي كان يقود تراجعها الفونسو ، ذاته .. ووقعت خلال مرحلة المطاردة مجموعات من الأسرى في قبضة المسلمين الذين انطلقوا إلى مراكز المقاومة المتناثرة والقرى فأعملوا فيها حرقاً وتدميراً حتى تم لهم إبادة كل مقاومة .. وتابع عبد الكريم قيادة جيشه في اتجاه « ساره » حيث كان حاكمها قد حشد قوة ثلاثة آلاف مقاتل لمجابهة تقدم المسلمين .

- زج عبد الكريم جيشه في المعركة بعد أن أعاد تنظيمه ، وكانت معركة قاسية انتهت بنصر المسلمين وحصولهم على أعداد كبيرة من الأسرى في مقدمتهم « حاكم ساره » .

- أفاد الفونسو من أعمال الاعاقة التي اضطلعت بها قوات « ساره »^(١) فنظم قواته ووزعها في القلاع الجبلية الحصينة المشرفة على وادي « بيرونه »^(٢) وتركز هو في أكثر هذه القلاع منعة وتحصيناً ، وتقدمت قوات المسلمين في اتجاه القلعة ، وعندما وصلتها ، انسحب الفونسو الى حصن قريب آخر ، ودخل المسلمون القلعة فوجدوا فيها كميات كبرى من [.. الاطعمة وضروب الدخنة ..] فاستولوا عليها ، ووجه عبد الكريم في اليوم التالي قوة من عشرة آلاف مقاتل بقيادة فرج بن كنانه ، وعندما اقترب فرج من الحصن تخلى عنه الفونسو ، وأسلم عدته وذخره فغنم المسلمون جميع ذلك .

(١) ساره : Sarria ، جنوب لك Luco من اقليم جيليقية ، تحتل موقعاً حصيناً على نهر يرقد نهر مينيه الذي يصب في الاطلسي .
(٢) بيرونه : مدينة حصينة على الاطلسي ، اكتسبت منعته من موقعها في الجبل وعلى المحيط .

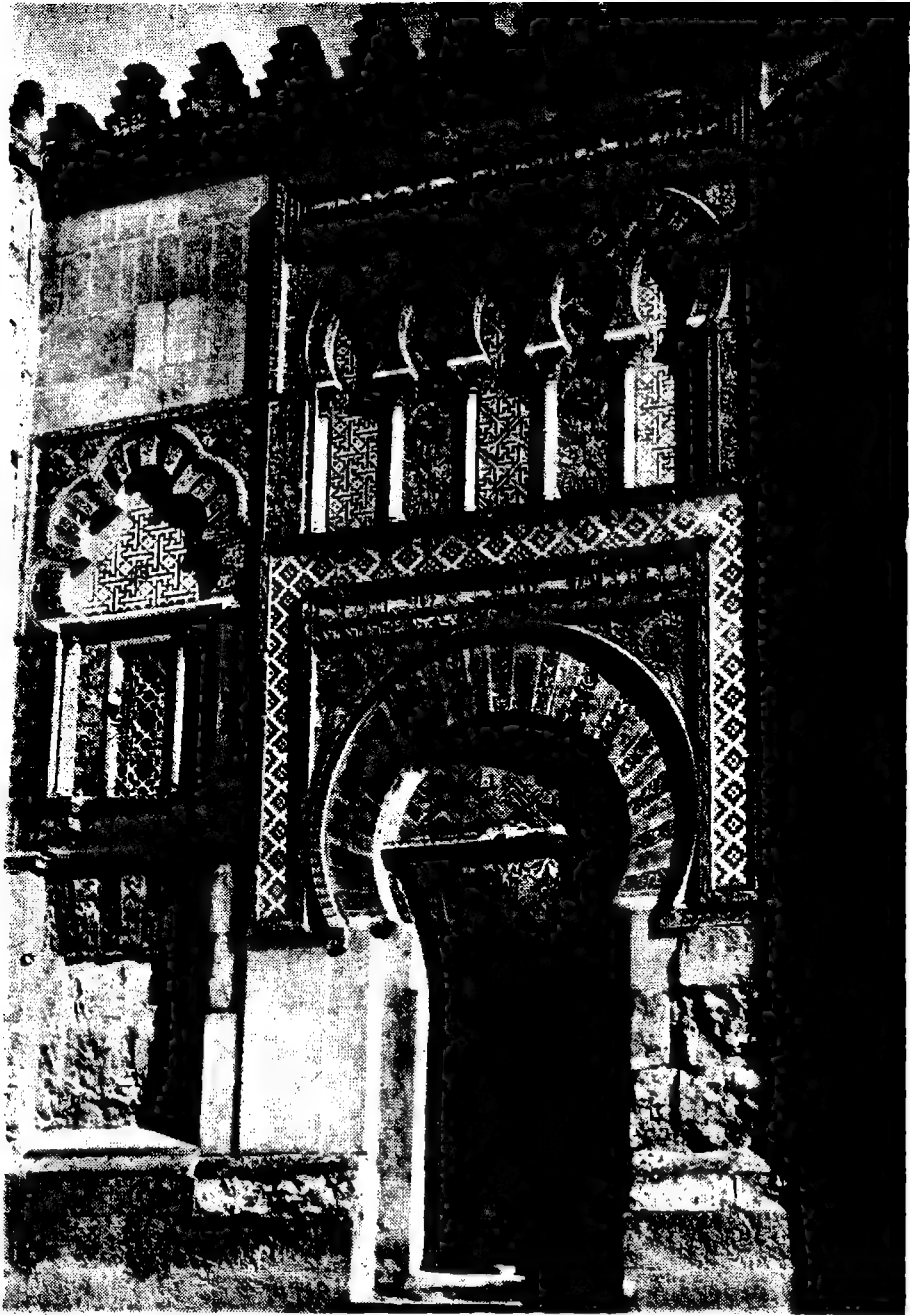
- تكلفت عمليات المسلمين بالنجاح ، وأمكن تحقيق انتصارات رائعة ، وغنم المسلمون غنائم ضخمة وبدؤوا في الانسحاب من الاقليم ، وكان « الفونسو » قد نظم مفارز صغيرة لضرب مؤخرة الجيش خلال انسحابه ، وأمكن لهذه المفارز إلحاق بعض الضرر ، وإنزال بعض الخسائر بقوات المسلمين ..

- كانت معركة « الصخرة »^(١) من المعارك الكبرى التي زج فيها الجلالقة والمسلمون قوات كبرى ، وخاضوا فيها معارك طاحنة ، ويضعها المؤرخون الغربيون في طليعة المعارك الحاسمة التي أمكن فيها إلحاق الهزيمة بالمسلمين في الاندلس . وإن استعراض مسيرة الاحداث ونتائجها يظهر ان هذه المعارك بجمعها قد انتهت في صالح المسلمين ، لكن الاعمال القتالية لم تنجح في استئصال المقاومة والقضاء على ثمر « جيليقه » بصورة نهائية بحيث يمكن القول ان المعارك العسكرية الناجحة لم تحقق هدفاً استراتيجياً يكسبها أهمية خاصة ..

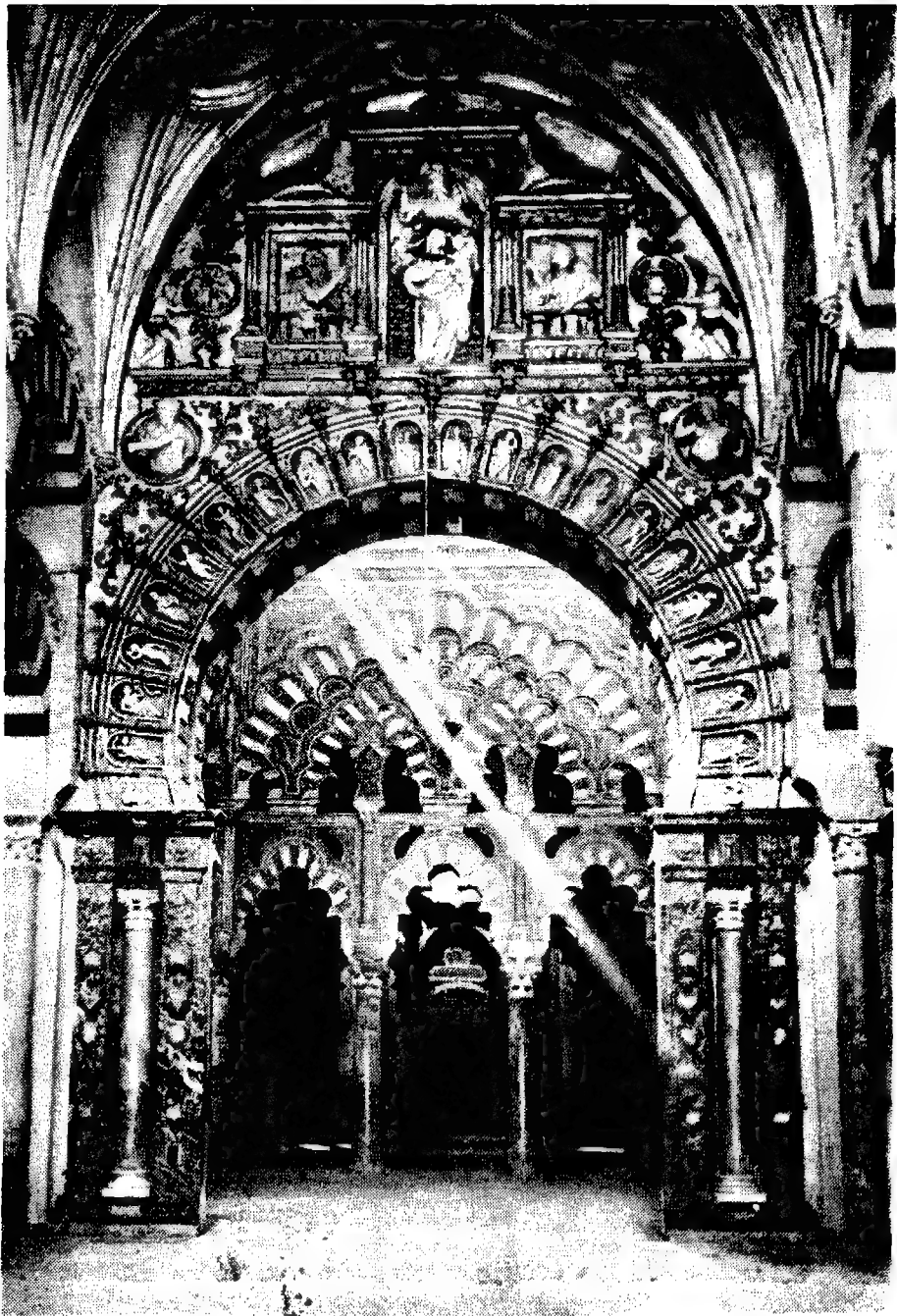
لقد خاض المسلمون قبل هذه المعركة ، ثم اشتبكوا بعدها أيضاً بقوات جيليقه وقوات الامارات التي استحدثت نوعاً من الحكم الذاتي في ظل أمويي الاندلس . ولعل فشل المسلمين في تحقيق الهدف الاستراتيجي والقضاء على وجود « كيان الفونسو » هو الذي يحمّل الكتاب الغربيين ومؤرخيهم على اعتبار معركة الصخرة في طليعة معارك « الغزو المضاد » الذي انتهى بإخراج المسلمين من الاندلس^(٢) ..

(١) معركة الصخرة : ويسمىها الغربيون معركة « كوفادونقا » Cavadonga نسبة الى « صخرة بلاي » حسبما يسميها العرب حيث تركزت نواة المقاومة في مغاور هذا الجبل وكهوفه ثم أخذت في التوسع وتحريض السكان على متابعة الصراع والاستمرار في النضال ، وقد خلف بلاي قائد هذه المقاومة أبناءه وأقاربه في قيادة الثورة المضادة وامكن لهم خلال سنوات حشد قوات كبيرة واستعانوا بالشكش وبالدعم الذي كان يوفره لهم بيسان وشارلمان والكارولنجيين علاوة على المتطوعين والمأجورين من كل مكان ، وأفاد الجلالقة من الظروف المحيطة بهم ومن نزاع المسلمين فصعدوا عملياتهم وأمكن لهم إقامة كيان ذاتي لم يلبث حتى تطور الى دولة قوية تحتل في حدودها « البرتغال حالياً » .

(٢) حياة هشام بن عبد الرحمن - في قراءات - مع نهاية هذا الفصل ..



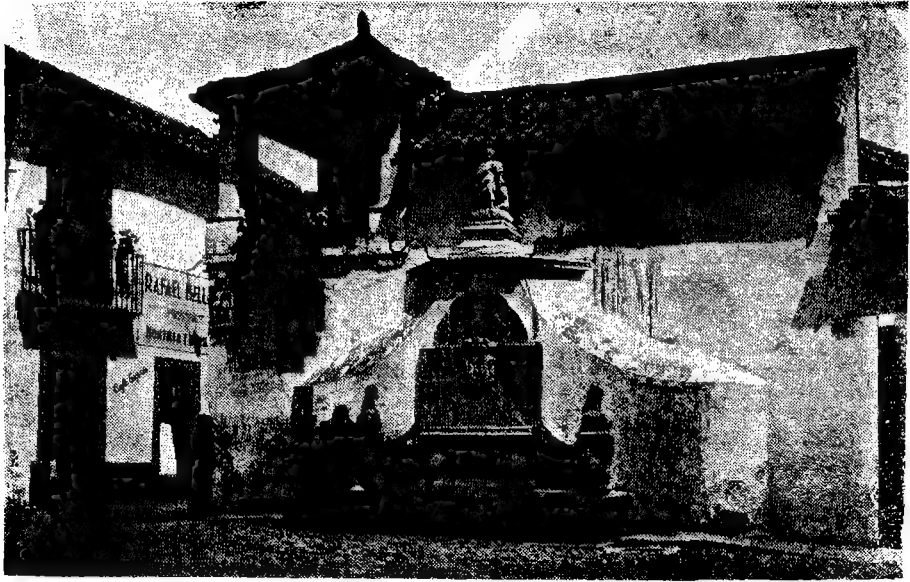
قرطبة - الباب الخارجي للمسجد
 يا للمساجد عادت للعدا بيماً وللشهداء غدا أثناءها جرساً
 « نفح الطيب ٤ / ٤٥٧ »



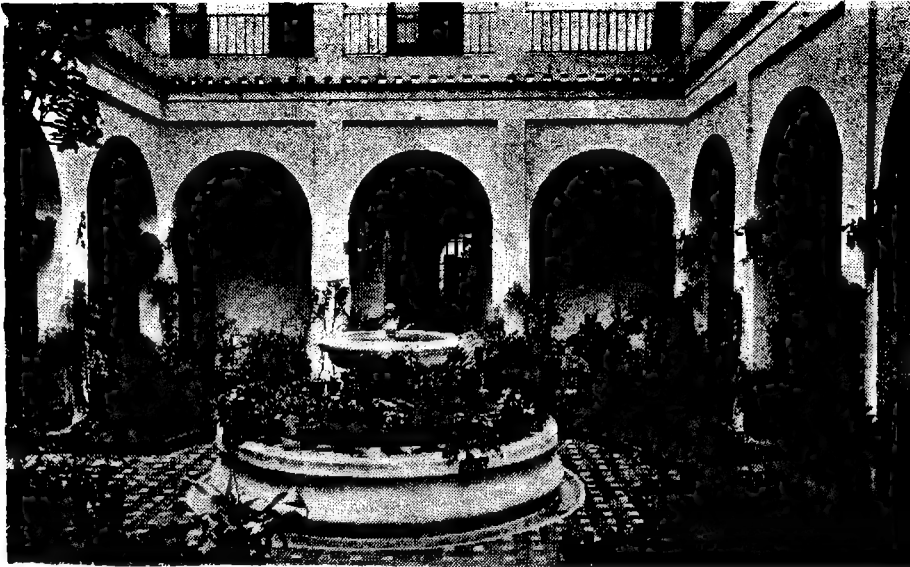
قرطبة « صحن الجامع وقد تحول الى كنيسة »
 حيث المساجد قد صارت كنائس ما فيهن الا نواقيس وصلبان
 « الرندي » من نفح الطيب ٤ / ٤٨٧



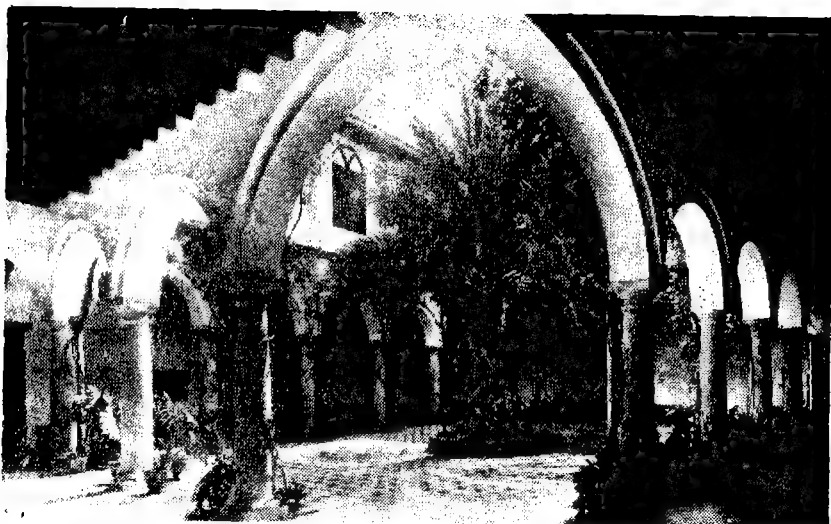
قرطبة : مئذنة الجامع وقد وضعت بها النواقيس
مساجدها كنائس أي قلب على هذا يقر ولا يطير
نفع الطيب في رثاء طليطله - ٤ / ٤٨٤



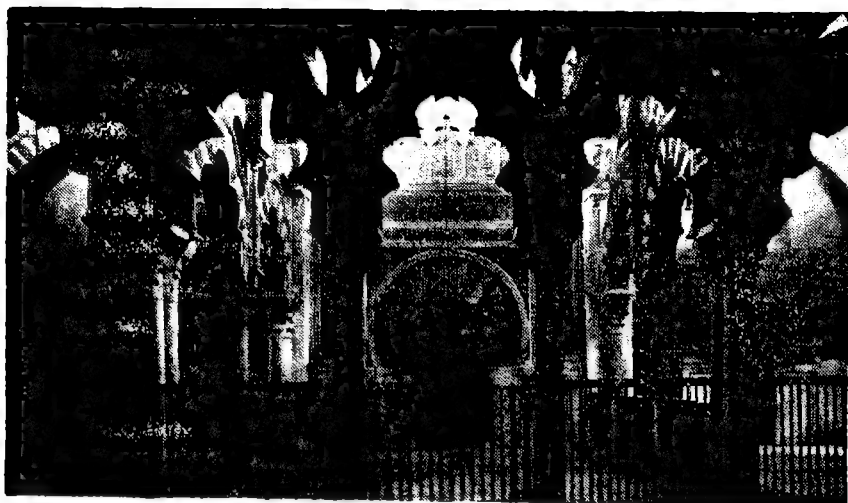
السبيل - في قرطبه - بعض ما تركه العرب من عادات وتقاليد .



فناء بيت من بيوت قرطبة .. ما أشبهه ببيوتات الشام التي أخذت تندثر تحت ثقل الأبنية الحديثة ..



قرطبة - نموذج البناء - بايوانه وسقفه وأقواسه وأعمدته ، وأصص الزرع في صحن
الدار ، والفرنكات الغرف العلوية ، كل ذلك وكأنه منزل دمشقي أصيل



مسجد قرطبة

حتى المحارب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان

٦ - الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

واستراتيجية الردع

١٨٠ - ٨٢٠٦ = ٧٩٦ - ٨٢٢ م

جدول توقيت الاحداث

الاحداث	السنة الميلادية	السنة الهجرية
سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية .	٧٥٠	١٣٢
قيام الدولة الأموية في الأندلس .	٧٥٦	١٣٨
حكم عبد الرحمن الداخل « صقر قريش » .	٧٥٦ - ٧٨٨	١٣٨ - ١٧٢
هشام بن عبد الرحمن .	٧٨٨ - ٧٩٦	١٧٢ - ١٨٠
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن .	٧٩٦ - ٨٢٢	١٨٠ - ٢٠٦
خلافة هارون الرشيد - العباسي -	٧٨٦ - ٨٠٨	١٧٠ - ١٩٣
وفد شارلمان في بغداد والقيروان .	٨٠١	١٨٦
استيلاء « الافرنج » على برشلونه .	٨٠١	١٨٦
معركة وادي الحجارة ..	٨١٠	١٩٤
بيسان ابن شارل مارتل ، أول ملوك الدولة الكارولنجية وامبراطور الغرب .	٧٤١ - ٧٦٨	١٢٤ - ١٥١
شارلمان ابن بيسان ، ملك فرنسا وامبراطور الغرب .	٧٦٨ - ٨١٤	١٥١ - ١٩٩
لويس الحليم - أو لويس الاول - امبراطور الغرب .	٨١٤ - ٨٤٠	١٩٩ - ٢٢٦
خلافة المعتصم ببغداد .	٨٣٣ - ٨٤٢	٢١٨ - ٢٢٧
غزوة عمورية ، في بيزنطة .	٨٣٨	٢٢٣
فتح طليطله ، واخضاع تمردها .	٨٣٨	٢٢٣

« استراتيجية الردع »

١٨٠ - ٢٠٦ = ٧٩٦ - ٨٢٢ م

أ - الوضع العام :

- تولى الحكم بن هشام بن عبد الرحمن امارة الاندلس خلال هذه الفترة ، وتوافق ذلك مع حكم هارون الرشيد ببغداد وشارلمان وبداية عهد لويس الحليم في فرنسا وولاية عبد الله بن الاغلب (١٨٠ - ٢٠١ هـ) في افريقية ، ثم زيادة الله ابن ابراهيم بن الاغلب من بعده ..

- بدأ شارلمان في وضع مخططة لتطوير عملياته في الاندلس ، فأرسل الى بغداد وفدأ للصدقة . وفعل مثل ذلك مع افريقية حيث أرسل وفدأ إلى قرطجته بمرر طلب الاذن لنقل رفات القديس فبريانس المدفون بقرطجته وغيره من القديسين المدفونين هناك ، فأذن لهم ابراهيم بن الاغلب بذلك وأرسل في اثرهم موفدأ خاصاً لمقابلة شارلمان والتقرب منه .

- لقد كان « الاغاليه » يطمحون لفرض سيطرتهم على افريقية والاستقلال بأمورها ، وكان وجود « أندلس قوية » مصدر قلق لهم وخطر عليهم ، ووجدوا في قوة شارلمان عوناً لهم بحيث ينصرف حكام الاندلس عنهم لمجابهة خطر أكبر ، وفي الوقت ذاته فقد كان هدف شارلمان من مد يد الصداقة للاغالية هو ضمان عدم تقديم دعم - على الاقل - لمساعدة مسلمي الاندلس ، وعندما وثق شارلمان من نجاح مخططه ، وفي السنة التي تم فيها ارسال الوفود الى بغداد وافريقية ، انطلقت جيوش - الغرب - فتجاوزت البيرنيه واندفعت في اتجاه « برشلونه » واستولت عليها ..

ب - الوضع الخاص :

- جابهت الحكم منذ بداية امارته مجموعة من الثورات المضادة والحركات الاستقلالية التي استمرت طوال مدة إمارته ، وكان القسم الأكبر من هذه الثورات

على اتصال وثيق بالمخططات التوسعية التي ينفذها شارلمان بالتعاون مع الأمراء
الاندلسيين .

- وكان على الحكم تقوية جيشه - [فكان اول من جند الاجناد واتخذ
العدة ... واستعد بالماليك حتى بلغوا خمسة آلاف ، منهم ثلاثة آلاف فارس
والفا راجل . وقد سمي هؤلاء بالخرس لهجمتهم .. كما اتخذ من أسراء حرساً
خاصاً له ، وجمع الاماحة والعدد واستكثر من الخشم ... وكان للحكم ألفا
فارس مرتبطة بباب قصره على جانب النهر عليها عشرة من العرفاء ، تحت
يد كل عريف مائة فارس .. ^(١)]

- ونظراً لما يتطلبه تطوير الجيش من موارد فقد عمل الحكم على فرض
الضرائب ، وعدم تركها طوعية واختياراً ..
[.. وكان بما نعوه عليه ان جعل العشر ضريبة على الناس بعد ان كان
مصروفا الى أمانتهم ..] .

ثم قسم البلاد الى « مناطق عسكرية » وأقام بها روابط مستقلة لمجابهة كل
عدوان فكانت هذه المناطق تزج قواتها كنسق أول ثم تدعم هذه القوات بالجيش
المتركز في قرطبة ..

ج - مسيرة الاعمال القتالية ..

١ - الهجوم الوقائي الاول .. « غزوة الصائفة » ^(٢) :

- وجه الامير الحكم منذ تسلمه السلطة جيشاً الى الشمال بقيادة عبدالكريم
ابن عبد الواحد ، بمهمة حماية الثغور ..

- كان الامير الحكم يعرف ان « الدولة الكارولنجية » ستقوم بعملية

(١) البيان المغرب ٢ - ١١٨ : الكامل في التاريخ ٥ - ٢٠٣ ، نفع الطيب ١ - ٣٤٢ ،
المغرب في حلل المغرب ١ - ٤٤ ، غزوات المغرب ١٣٢ .
(٢) البيان المغرب ٢ - ١٠٢ ، الكامل احداث سنة ١٨١ : المغرب في حلل المغرب ١ - ٤٠ .

« سبر »^(١) منذ اللحظات الاولى لتوليه الامارة ، فأراد القيام بعملية ردع قبل أن تتمكن من تنظيم هجوم قوي ضده ، وتوجه عبد الكريم الى الشمال وتجاوز سرقسطة « ثغر الشمال » وتوافت عليه الجيوش ، ثم تابع تقدمه حتى وصل البحر شمال برشلونة فقسم الجيش الى ثلاثة مجموعات قتالية وعين قائداً لكل مجموعة ، وحدد له هدفاً بالاغارة على محاور المرور بجبال البيرنيه .. وانطلقت المجموعات الى أهدافها فلم تلق مقاومة كبيرة ، وتم خلال هذه العملية تدمير المقاومات والحصون وغنمت القوات غنائم كبيرة ، ثم رجعت الى قاعدة انطلاقها.

٢ - سقوط برشلونه - ١٨٤ - ١٨٦ هـ = ٧٩٩ - ٨٠١ م :

- حول المسلمون مدينة برشلونه الى قاعدة متقدمة ، وعملوا على تحصينها ، وكان فرسانهم ينطلقون منها في اغاراتهم المحدودة وهجياتهم الكبرى الى ما وراء البيرنيه ونظراً للخطورة التي اصبحت تمثلها هذه المدينة فقد وضع شارلمان خطته للاستيلاء عليها في اول فرصة تمكنه من ذلك .

- توفرت المعلومات عند الحكم عن عزم شارلمان للقيام بغزو برشلونه ، ووصلته اخبار اتصاله ببعض قادة المسلمين وعلى الرغم من انصراف الحكم الى قمع الثورات المضادة والحركات الاستقلالية في الاقاليم وبصورة خاصة في الاقاليم الشالية والشالية الغربية ، فقد قرر الحكم توجيه جيش قوي لمهاجمة المدوان واحباطه . وقد تمت عملية استيلاء « الافرنج » على برشلونه ، وفق مراحل ثلاثة ..

المرحلة الاولى : احباط هجوم جيش شارلمان - ١٨٤ هـ - ٧٩٩ م ..

كان شارلمان يتابع اخبار الصراع بين الحكم وبين عمه سليمان في بلنسية ، وهو الصراع الذي استمر ثلاثة أعوام ، فاتصل ببعض أمراء المسلمين في الشمال ،

(١) سبر Sondage ، مصطلح يقصد منه القيام بأعمال تعرضية وعمليات هجومية محدودة هدفها معرفة نوايا العدو وإستعداده القتالي ومستوى تسليحه وتدريبه ، وتنظيم مواقفه القتالية وهي عمليات استطلاع بالقوة ولكنها على نطاق أوسع وهدف أكبر .

وأظهر له هؤلاء الطاعة ، وظن ان الفرصة مواتية بهجومه ، وخلال هذه الفترة تم الصلح بين الحكم وبين عمه عبد الله ، فوجه الحكم جيشه بقيادة عمه عبد الله « البلنسي » بمهمة القضاء على هجوم « الافرنج » واحباطه ، ووصل عبد الله وتوافق يوم وصوله الى برشلونه مع يوم وصول جيش شارلمان اليها ، فعقد عبد الله مؤتمراً ، اقترح فيه قادة المسلمون البدء بالهجوم فوراً ، لكنه قرر تأجيل الهجوم الى اليوم التالي ، وهو يوم الجمعة .

— انصرف عبد الله منذ الصباح المبكر لاجراء التنظيم للمعركة [فامر بتعبئة الكتائب ونصب الرودود « المجانيق » ، وصلى ركعتي الجمعة .. ثم نادى في الناس ، وركب هو ومن معه ..] ^(١) وبدأت الحرب ..

— كان شارلمان يتوقع الوصول الى برشلونه واحتلالها دون مقاومة ، ولكنه بوغت بمقاومة الامراء الذين اظهروا له الطاعة ، ثم اصطدم جيشه بجيش المسلمين أمام برشلونه فكانت المباغطة الثانية ، وعلى الرغم من ذلك فقد خاضت قوات الافرنج معركة ضارية ، وقاتل المسلمون بتصميم وعناد حتى استطاعوا انتزاع النصر من أعدائهم وعندما انتهت المعركة وتوقف القتال [نصب الحكم قناة طويلة فأثبتت في الارض وأمر بالرؤوس فجمعت وطرحت حوالها حتى غابت القناة فيها ..] ^(٢) .

المرحلة الثانية : الحصار الطويل ١٨٤ - ١٨٦ هـ - ٧٩٩ - ٨٠١ م ..

— كان لويس - ملك اkitانيا - هو الذي يقود عمليات الهجوم على الاندلس وعندما لحق به الفشل ووجد ان الاستيلاء على برشلونه يتطلب جهداً أكبر ،

.....

(١) و (٢) البيان المغرب ٢ - ١١٠ وهو يحطها في احداث سنة ١٩٩ ، لكن هناك شبه اجماع بين مؤرخي الشرق والمغرب ان سقوط برشلونه قد حدث عام ١٨٦ هـ - ٨٠١ م وان هذه المعركة حدثت قبل سنتين من سقوط برشلونه ، ولهذا فان الاحتمال الاقرب للصحة هو حدوث المعركة عام ١٨٤ هـ وليس ١٩٩ هـ ، أما المغرب في حلل المغرب فيذكرها في احداث ١٩٧ هـ ، ونفع الطيب ١٨٥ .

قرر الدخول بحرب استنزاف طويلة الأمد فاتفق مبع غليوم كونت « تولوز » وعقد مجعاً من أمراء البلاد بهدف تنسيق التعاون للاستيلاء على برشلونه وفرض حصار حولها .. وزحفت القوات المشتركة وأحاطت بالمدينة وضربت نطاقاً محكمًا حولها ووجهت الاغارات لتدمير المرافق الهامة حولها وحرمانها من الموارد الحياتية ، ورغم ذلك فقد صمدت برشلونه للحصار وقاومت بعناد محاولات الافرنج ..

- في عام ١٨٥ هـ - ٨٠٠ م : كان شارلمان في رومة مشغولاً بقضية تنويجه امبراطوراً على الغرب . واستمر الحصار على برشلونه ، دون ان تظهر ولو بادرة ضعف واحدة تشير الى احتمال الاستسلام أو الخضوع للافرنج ، وكان أمراء سرقسطه وطرطوشه رغم مناوأتهم للحكم يتفقون معه على ضرورة الصمود واجبات مخططات « الافرنج » ..

- في عام ١٨٦ هـ - ٨٠١ م : أرسل شارلمان وفداً الى بغداد للتنهنة وتوثيق عرى الصداقة ، والتحريض ضمناً ضد « أمويي الاندلس » وأرسل في الوقت ذاته وفداً آخر الى افريقية بمهمة مماثلة للاتصال بابراهيم بن الاغلب .
- في هذه الفترة أرسل ملك اشتوريه الى شارلمان طلباً للنجدة والعون من أجل غزو المسلمين ، ووجه شارلمان قوات ضخمة بقيادة ابنه لويس ملك اكيثانيا (١) ، وانضم بهلول بن أبي الحجاج الى الافرنج بعد أن استمر في ثورته طوال السنين الماضية (٢) .

.....

(١) لويس الأول ، أو ، لويس الحليم Louis 1er le Débonnaire ou Le Pieux ابن شارلمان وهيلديفارد Hildegard ، ولد في كاسونوي عام ٧٧٨ م ، ثم أصبح ملك اكيثانيا ، ثم ملك فرنسا ، وأصبح امبراطوراً للغرب وملكاً لفرنسا خلال الفترة بين ٨١٤ - ٨٤٠ م ، قضى على ثورة حفيده برنارد ملك ايطاليا عام ٨١٨ ، تزوج ايرمينفارد ثم جوديت دوبافير عام ٨١٩ ، وقضى خلال حكمه على الثورات التي قادها ابناؤه ضده وهم لوثر ولويس وبيبان وذلك بسبب غيرتهم من اخيه شارل الذي أراد أبوه إيثارة بقسم من ميراثه ومات أثناء حملته ضد واحد من هؤلاء الأبناء .

(٢) غزوات العرب ١٣٧ .

المرحلة الثالثة : سقوط برشلونه ١٨٦ هـ - ٨٠١ م ..

عندما وصلت جيوش « الافرنج » أعيد تنظيمها وتحديد الواجبات لها فكانت على النحو التالي :

- ١ - القسم الاول بقيادة الملك لويس - ملك اكيثانيا - ومهمته السيطرة على محاور المرور في البيرنيه ، والقيام بهجمات على المناطق القريبة ..
- ٢ - القسم الثاني بقيادة غليوم كونت تولوز ومهمته السيطرة على محاور الاقتراب بين قرطبة وبرشلونه بهدف عزلها عن كل دعم ..
- ٣ - القسم الثالث ، بقيادة ملك اشثوريه ، ومهمته حصار المدينة والاستيلاء عليها ..

توجه الحكم يحيثه لمجابهة العدوان ، ومعه عمروس أمير طليطله وسرقسطة ومحمد بن مفرج قائد الفرسان ، وعندما وصل سرقسطة وصلته أخبار تمرد طليطله وعلان الثورة فيها فوجه قوة بقيادة عمروس للقضاء على التمرد .

- لم يتمكن الحكم من الوصول الى برشلونه نتيجة للمقاومات المنظمة على محاور الطرق والمواقع الحصينة ، فحول الحكم الى « اشثورية » لتخفيف الضغط عن برشلونه ولحل ملكها على الانسحاب من قوة التحالف . والتوجه للدفاع عن اقليمه ، ولكن الحكم لم يلتق مقاومة في اشثورية فتابع تقدمه الى نافار ووصل بنبلونه ووشته . وعندما لم ينجح مخطط الحكم في اجتذاب جيش التحالف وحمله على التحول عن هدفه ، تحول في مسيرته نحو الغرب ، ووصلته أخبار عن تقدم بهلول بن أبي الحجاج الى طركونه ، فتوجه الحكم لقتاله ولكن بهلول تقدم خلال ذلك فوصل طرطوشه ، فلحق به واستطاع القضاء عليه وحمل رأسه الى قرطبة في محاولة لردع كل من يفكر في التعاون مع قوات الشمال واقناعه بالتصير الذي ينتظره لقاء خيانتة أمتة والتعاون مع أعدائها ..

- مضى على حصار « برشلونه » عامان كاملان ، وفي النهاية اشتد الحصار عليها ، فقرر أميرها القيام بهجوم يائس ، فنظم قواته واندفع في هجوم مباغت ،

لكن هذا الهجوم لم ينجح في تحقيق هدفه وفشل أمام تفوق العدو الساحق ، ووقع أمير برشلونة أسيراً في قبضة العدو ، وقام الافرنج بتنظيم هجوم كبير أعدوا له كل ما هو ضروري من أعمال ، كحفر الانفاق واعداد أعتدة تطلق الأسوار وتوفير الامدادات الضرورية وأمكن بذلك اختراق تحصينات المدينة واسقاط موانعها ووصلت قوات العدو الى المدينة وأزالت كل مقاومة فيها ، وخرجت برشلونة من قبضة المسلمين بعد أن بقيت تحت حكمهم تسعين سنة ، وأصبحت فرنسا تسيطر على دولتين في شمال الاندلس احدهما كتالونيا وقاعدتها برشلونة ، والثانية غاسقونيا ، ومنها نافار وآراغون ..

٣ - استعادة تطيلة ١٨٧ هـ - ٨٠٢ م :

كان عمروس بن يوسف أمير ثغور الشمال يرافق الحكم أثناء تحركه في محاولة دعم حامية برشلونة ، وعندما ظهر التمرد في طليطلة توجه اليها وأرسل قوة بقيادة ابنه يوسف الى تطيلة (١) .

- وكانت هناك قوات من الاندلس قد انضمت الى الافرنج والتحقت بهم خوفاً من بطش الحكم وفي محاولة لتقوية مركزهم عند الافرنج للاستقلال بثغور الشمال وسيطر هؤلاء بقواتهم على تطيلة ، وركزوا فيها ، وعندما قدمها يوسف أمكن لهم نصب كمين أوقعوه فيه ، وأخذوه سجيناً الى « صخرة متيس » .
- استقر عمروس بن يوسف بمدينة « سرقسطه » وجعلها مقراً له نظراً لموقعها المتوسط من ثغور الشمال ، وبسبب ما تتميز به من المنعة والقوة ، ثم تابع مهمته في اخضاع حركات التمرد ، ووجه جيشاً بقيادة ابن عمه للقاء الافرنج ، وتمكن هذا الجيش من تمزيق قوة الافرنج بعد أن كبدهم فادح الخسائر في معركة حاسمة ، وتابع المسلمون تقدمهم فاستولوا على تطيلة ، ولم يعد باستطاعة

(١) تطيلة Tudela على نهر ابره « Ebro » غرب سرقسطة وجنوب بيلوثا .

أُتْصِرَ الإفَرَنْجُ الصُّمُودُ فِي وَجْهِهِ تَقْدَمُ جَيْشُ عَمْرُوسَ ، فَأَخَذُوا فِي التَّفَرُّقِ ،
وَاسْتَطَاعَ هَذَا الْجَيْشُ تَحْوِيلَ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرُوسَ مِنْ قَبْضَةِ الْأَسْرِ^(١) .

٤- مَجُومُ وَقَانِي جَدِيد ١٩٢ هـ - ٨٠٧ م^(٢) :

- اكْتَسَبَ « الْإِفَرَنْجُ » بَعْدَ سَقُوطِ « بَرِشَلُونِهِ » مَزِيداً مِنَ الثِّقَةِ بِقُدْرَتِهِمْ
عَلَى تَطْوِيرِ هَجْمَاتِهِمْ ، وَتَابَعُوا عَمَلِيَّاتِهِمُ التَّخْرِيبِيَّةَ وَهَجَمَاتِهِمْ عَلَى ثَمُورِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَفِي عَامِ ١٩٢ هـ تَوَفَّرَتِ الْمَعْلُومَاتُ لَدَى الْحُكْمِ عَنْ تَصْمِيمِ « رُودْرِيكَ - لَذْرِيْقُ »
لِتَوْجِيهِ جَيْشٍ بِهَيْمَةِ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى طَرطُوشِ^(٣) مُسْتَفِيداً مِنْ تَرْكِيزِ جَهْدِ الْحُكْمِ
عَلَى « مَارْدِه » لِلْقَضَاءِ عَلَى التَّمَرُّدِ فِيهَا ، فَوَجَّهَ الْحُكْمُ جَيْشاً كَبِيراً بِقِيَادَةِ ابْنِهِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَطَلَّبَ إِلَى وِلَايَتِهِ فِي الثَّمُورِ « عَمْرُوسَ » وَعَبْدُونُ ، إِنْ يَمْعَلَانِ عَلَى
زَجِّ قُوَّاتِهِمَا وَالْإِلْتِهَاقِ بِجَيْشِ ابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ..

وَصَلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحُكْمِ إِلَى الشَّامِ ، وَانضَمَّتْ إِلَيْهِ قُوَّاتُ الثَّمُورِ
وَالْتَحَقَتْ بِهِ قُوَّاتٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمُتَطَوِّعِينَ . وَتَوَاقَتِ وَصُولُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَعَ
وَصُولِ جَيْشِ رُودْرِيكَ إِلَى مَضَائِقِ الْبَيْرْنِيهِ ، وَدَارَتْ رَحَى مَعْرَكَةِ طَاحِنَةِ ،
نَبَتْ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَطَاعُوا أَحْرَازَ النُّصَرِ وَأَبَادُوا جَيْشَ « رُودْرِيكَ »
إِبَادَةً شَبَهَ تَامَةً ، وَأَمَكْنَ بِذَلِكَ أَحْبَاطَ مَجُومِ الْعَدُوِّ فِي مَهْدِهِ ..

٥- اسْتِرَاطِيْجِيَّةُ الرَّدْعِ ..

مَعْرَكَةُ وَادِي الْحَجَّارِ - ١٩٤ هـ - ٨١٠ م :

- تَابَعَ الْإِفَرَنْجُ أَعْمَالَهُمُ التَّخْرِيبِيَّةَ ، وَاغَارَاتِهِمُ الْإِسْتَفْرَازِيَّةَ فِي الْمَنَاطِقِ
الشَّامِيَةِ ، وَأَفَادُوا فِي ذَلِكَ مِنْ أَنْصَرَفِ الْحُكْمِ لِقَمْعِ الثُّورَاتِ الْمُضَادَّةِ وَالْحَرَكَاتِ

(١) الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ، ابْنُ الْأَثِيرِ ، أَحْدَاثُ ١٨٧ .

(٢) فِي الْبَيَانِ الْمَغْرِبِ أَحْدَاثُ ١٩٣ ، وَفِي نَفْعِ الطَّيِّبِ جَعْلَهَا مِنْ أَحْدَاثِ سَنَةِ ١٩٦ هـ

وَجَعَلَ قِيَادَتَهَا لِلْحُكْمِ نَفْسَهُ ، وَفِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ أَحْدَاثُ سَنَةِ ١٩١ هـ .

(٣) طَرطُوشَةُ Tortosa .

الناوثة ، وذات يوم وبينما كان الشاعر العربي عباس بن ناصح ، في وادي الحجارة^(١) وصل سمعه صوت استغاثة امرأة عربية وهي تقول :

[.. واغوثاه بك يا حكم .. لقد اهلطنا حتى كلب العدو علينا ، فأينما وأيتمنا ..] وتقدم عباس بن ناصح من المرأة مستوضحاً أمرها ، فقالت له :
[.. كنت مقبلة من البادية في رفقة ، فخرجت علينا خيل العدو .. فقتلت وأسرت ..]

ورجع الشاعر عباس بن ناصح الى قرطبة ، ودخل مجلس الحكم فأنشده :
تلمطت في وادي الحجارة مسهراً أراعي نجوماً ما يرون ثغوراً
اليك أبا العاصي فضيت مطيقي تسير بهم سارياً ومهاجراً
تدارك نساء المسلمين بنصرة فأنك أحرى أن تغيث وتنصرا
واستوضح الحاكم من الشاعر عباس عن حقيقة الموقف وما سمعه وما رآه ،
فوقف الحكم من فوره وأعلن الجهاد والاستعداد وزحف بقواته بعد أيام ثلاثة
نحو الشمال^(٢) ..

- وصلت قوات المسلمين الى « وادي الحجارة » وانطأقت الى الحصون
تدمرها والمواقع تزيلها والمقاومات تبيدها ، وأمكن خلال ذلك الحصول على
اعداد كبيرة من أسرى العدو ، وتابع الحكم دفع القوات حتى لم تبق مقاومة
تعترض سبيل تقدمهم ، ورجع الى وادي الحجارة وتوقف فاستدعى المرأة
المستغيثة وتوافد أهل الناحية ، فأمر الحكم لأهل تلك الناحية بمال من الفنائم
يصلحون به أحوالهم ويفدون به سباياهم وخص المرأة وآثرها ووزع عدداً من

(١) وادي الحجارة Guadalajara . واد يمتد بين طليطلة ومدريد يخترقه رافد من روافد
نهر التاج وهو واد كثير الوعورة ، به فج يحمل اسم فج طارق ، نسبة الى طارق بن زياد عندما
اخترقه الى الشمال لاحتلال سرقسطة .
(٢) الكامل ، أحداث ١٩٤ هـ .

الأسرى على من أسر احد من أقربائهم وأمر بضرب اعناق البقية ، ثم التفت
الإمير الحكم الى الشاعر - عباس - وقال له :

[.. سلها .. هل اغاثها الحكم ؟] فأجابت المرأة وكانت عربية نبيلة :
[.. والله لقد شفى الصدور وأنكى في العدو ، وما غفل عنا إذ بلغه امرنا ،
فأغاثه الله وأعز نصره ..]

ثم خاطب الحكم الشاعر عباس بقوله :

ألم تر يا عباس أني اجبتها على البعد اقتاد الخيس المظفرا
فأدرت أوطاراً وبردت غلة ونفست مكروباً وأغنيت ممعرا
فأجاب عباس : نعم ، جزاك الله خيراً عن المسلمين^(١) .
- ورجع الحكم ظافراً الى قرطبة ..

٦- اخضاع التمرد في طليطلة ١٩٩ هـ - ٨١٤ م :

على الرغم من الجهود المبذولة لاختضاع طليطلة، وعلى الرغم من اخفاق حركات
التمرد المرة بعد المرة ، فقد تابعت هذه المدينة سيرتها في الثورة والتمرد حتى
أصبحت بؤرة لاستنزاف قوة الدولة وقدراتها ، فصمم الحكم على اخضاعها
بنفسه ، ونظم جيشه وانطلق الى الشرق متظاهراً بالتوجه الى « مرسية » مركز
اقليم « تدمير » .

- وصل الحكم اقليم تدمير شرقاً ونزل بمض حصونها وكتب الى عمال
الثغور بنزوله فيها ، واطمأن أهل طليطلة وتابعوا ممارسة حياتهم العادية ، وكان
الحكم قد أرسل عناصر استخباراته « عيون » لموافاته بأخبار طليطلة وهو
يقرب منها شيئاً فشيئاً ، وعندما وجد الفرصة المناسبة تحرك بسرعة نحو الشمال
وسار ليلاً حتى وصلها بعد أن دفع أمامه بعض العناصر الخفيفة والافراد

(١) البيان المغرب ٢ - ١٠٩ ، ونفع الطيب ١ - ٣٤٣ .

(٢) اخبار مجموعة ١٢٩ والمغرب في حلى المغرب ١ - ٤١ والبيان المغرب ٢ - ١١٠ .

المتفرقين الذين دخلوا المدينة في غفلة من أهلها . ووصل الحكم ودخل طليطلة دون أن يعرف أحد أمر دخوله ، ثم استمر تدفق الجيش ، وقام الحكم بعزل المدينة وعندما شعر أهلها أنهم عاجزون عن القيام بأي محاولة للمقاومة استسلموا وعمل الحكم على اعتقال قادة التمرد ، ونقلهم الى « ترجله » من اقليم بطليوس ، ثم أمر سكان المناطق الجبلية والمواقع المنعزلة بمغادرة مراكزهم فعمل على احراقها وتدميرها ، وبذلك أمكن اخضاع طليطلة والقضاء على مراكز المقاومة المحيطة بها ، وعاد الهدوء اليها ، لكن إلى حين ..

٦- تطوير عملية الردع ٢٠٠ هـ - ٨١٥ م :

استطاع الحكم أخيراً ، اخضاع حركات التمرد ، وقمع الثورات المضادة ، فوجه جيشاً كبيراً بقيادة عبد الكريم بن مغيث لتطوير عمليات الردع ، فوجه عبد الكريم بجيشه شمالاً حتى وصل وادي الرون^(١) ، وبذلك تجاوزت قوات المسلمين للمرة الاولى في عهد الحكم حدود « الأندلس » ووصلت أرض فرنسا « غالباً » .

— انطلقت قوات المسلمين في وادي الرون تدميراً للقلاع وابادة للمقاومات وخلال ذلك كان أمير الاقليم يطلب قوات الدعم من المقاطعات ، ووصلته قوات دعم كبيرة ودارت معارك طاحنة حقق فيها المسلمون انتصارات رائعة وأرغموا قوات « الافرنج على البقاء عند الضفة الاخرى من نهر الرون ، وعندما

(١) البيان المغرب ٢ - ١١٨ ، والكامل في التاريخ حوادث سنة ٢٠٠ هـ .. ولم يذكر بوضوح موقع المعركة ، ولكن المصادر الغربية تنوه اليها ، وقد جاء في المصادر العربية :
(.. فدخلها وتوسطها وأهلك معايشها .. حتى استوفى جميع قرى وادي اردون .. وانجلت النصرانية من كل مكان وأقبلت الجموع ونزلت بعدة نهر اردون ..) ، ولم يذكر ابن الاثير اسم النهر او مكان الواقعة بدقة وتجاهلها المغرب في حلى المغرب وأسقطها القري .. وكل ما ذكره في فتح الطيب ١ - ٣٤٠ (.. وأقبل عليه « البط » ملك الجلائقة في جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياماً ونال المسلمون منهم أعظم النيسل وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ..) .

وضع عبد الكريم مخططة للعبور ولقاء قوات غدوه عند الطرف الآخر من النهر هطلت الأمطار الغزيرة وتدفقت السيول مما جعل عملية العبور مستحيلة، فاضطر عبد الكريم بن مغيث الى الانسحاب بعد معارك ضارية استمرت طوال ثلاثة عشر يوماً تكبد فيها « الافرنج » خسائر كبيرة في الارواح والممتلكات ورجع عبد الكريم يحميه وهو مثقل بالفنائم ..

— وقد يكون من الغريب ألا يحاول الحكم استعادة برشلونه ، وتركها كموقع في جانب المسلمين ، وقد يكون السبب في ذلك :
١ — وجود امارات مستقلة في الشمال خاضعة اسمياً لخلافة قرطبة مثل امارة آراغون ونافار ..

٢ — استقلال شمال غرب الاندلس — اقليم جيليقية — .

٣ — تصاعد حركات المقاومة ، وتكرر حدوث الثورات المضادة ..

٤ — عدم توفر الامكانيات المادية والطاقت البشرية الكافية لتكريس قوات خاصة لحصار المدينة والبقاء فيها حتى اخضاعها مع احتمال ضرورة زج قوات اضافية لمجابهة كل دعم قد يصل لدعم قوات الافرنج في برشلونه .



الفِصِمُ الرَّابِعُ

الفَصْلُ الثَّانِي

عهد الفتنة والاضطراب

- ١ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام « الاوسط » :
 - ١ - عملية الردع الأولى .
 - ٢ - استعادة السيطرة على اراغون .
 - ٣ - عمليات الردع لحماية الثغور .
 - ٤ - العمليات في جيليقية .
 - ٥ - ائزال النورمان في الأندلس .
 - ٦ - عمليات الردع ضد جزر مينورقه - ميورقه - يابسه « جزر الباليئار »
 - ٧ - ثورة ماردة .
 - ٨ - الفتنة الطائفية .

٢ - محمد بن عبد الرحمن وحروب الاستنزاف .

احباط عملية السير .

١ - عمليات الردع الخارجية :

أ - معركة وادي سليط .

ب - مجابهة غزو النورمان .

ج - عمليات الردع في الشمال .

د - الثورات المضادة في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن .

هـ - ثورة عمر بن حفصون .

٢ - حروب الاستنزاف واستمرار الثورات المضادة

في عهدي المنذر وعبد الله ابني محمد بن عبد الرحمن

أ - عناصر الثورات المضادة .

ب - نشوء مملكة نافار ، أو البشكنش .

ج - نشوء مملكة جيليقية - اشتوريش ، ثم ليون .



١ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
والهجمات الوقائية واستراتيجية الردع
٢٠٦ - ٢٣٨ هـ - ٨٢٢ - ٨٥٢ م

- تولى حكم الاندلس في الفترة بين عام ٢٠٦ - و - ٢٣٨ هـ الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام رابع امراء الاندلس . وقد توطدت سيطرة الدولة في عهده ، وظهرت بوضوح الاسس الاستراتيجية لعملياته القتالية التي كانت ضمن احدى مجموعتين اما هجمات وقائية لاحباط نوايا العدو ، واما عمليات ردع هدفها اقناع خصومه بقوة وعجزهم عن مواجهته بتحدياتهم .

- وتوافقت حكم عبد الرحمن الاوسط مع حكم لويس الحليم في « كارولنجيا » ، ونظراً لما تميز به هذا الحكم من الضعف والتمزق الداخلي فقد توفرت الفرصة أمام الامير عبد الرحمن لاعادة تنظيم الجبهة الداخلية بعيداً عن كل تدخل خارجي وتطوير العمليات لنقل مسرح العمليات حتى قلب بلاد الغال « فرنسا » عوضاً عن ممارسة عمليات الردع فوق أرض الاندلس ذاتها .

١ - عملية الردع الاولى ٢٠٨ هـ - ٨٤٣ م :

- انطلق الفونسو الثاني - أمير ليون - بهجوم كبير فور علمه بوفاة الحكم وتسلم عبد الرحمن مقاليد السلطة ، ووصل بهجومه حتى مدينة « سالم » من أعمال الثغر الأعلى ، وفي الوقت ذاته تحركت بعض القبائل المسيحية النائرة في الشمال فأغاروا على ثغور المسلمين وأعملت فيها حرقاً وتدميراً وسيياً ، وعلى اثر ذلك وجه الامير عبد الرحمن جيشاً كبيراً بقيادة حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البه ، والقلاع وهزم الثوار في مجموعة من المعارك المتتالية ، وعندما وصل « ليون » عاصمة اقليم جيليقية ، أمر باحراقها وتدمير حصونها ، وطلب

الشوار الصلح فاشترط عليهم شروطاً قاسية منها دفع غرامة كبيرة وتسليم بعض زعمائهم كرهائن يتم الاحتفاظ بهم في قرطبة لضمان عدم معاودة التمرد ، مع إطلاق سراح أسرى المسلمين .

- وفي الوقت الذي كان فيه عبد الكريم يمارس عملياته في جيليقية كان الأمير عبد الرحمن قد وجه جيشاً ثانياً بقيادة ابنه محمد للقضاء على التمرد في كاتالونيا فزحف الأمير محمد بن عبد الرحمن الى بنبلونا عاصمة نافار ، واستولى عليها وقتل ملك نافار ، ودمر حصونه وقصوره ، وهربت فلول الثائرين الى ما وراء البيرنيه ..

- انتهت المرحلة الاولى من هذه العمليات بنجاح ، وأصبح بالإمكان تطوير العمليات ف عقد عبد الكريم بن عبد الواحد اجتماعاً للقادة لمناقشة موضوع اختراق البيرنيه ، لا سيما وقد أصبح جيش عبد الكريم قادراً على متابعة هجومه بفضل ما وصله من قوات دعم ، وما لحق به من متطوعين ..

عندما اجتمع القادة لمناقشة الموقف وقع اختلاف حول المحور الذي يجب اتباعه وبعد حوار أمكن الاتفاق على أن يكون محور التقدم هو «باب البه»^(١) وكان سبب اختيارهم لهذا المحور هو أنه :

[... أنكى للعدو وأحسم لدائه فاقتحموا من فج يقال له « جرنيق » وكان وراءه بسيط للعدو فيه خزانته وذخره ، فوضع أهل العسكر على

.....

(١) عرف العرب أربعة محاور للمرور من الاندلس الى الارض الكبيرة «فرنسا» عبر جبال البيرنيه «البرانس» أو البرقات وأطلق العرب على هذه المحاور اسم الأبواب وهي :

١- محور برشلونة - بيربينيان Perpignan - نابون، وبيربينيان هي مركز مقاطعة روسيلون - أو - البيرنيه الشرقية .

٢- محور بويسودا - سردانه Cerdagna .

٣- محور بنبلونه - سان جان بيه دوبرت Saint Jean Pied de Port .

٤- محور طولوزا «الاسبانية» بايون Toloza - Bayonne

ارسلان - عن غزوات العرب ١١٨ .

تلك البسائط فاستصفوها وعلى ذخر تلك الخزائن فانتهبوها واستوعبوا خراب كل ما مروا به عليه من العمران والقرى وأقفروها وانصرف المسلمون غانمين ظافرين .. [(١)] .

٢ - استعادة السيطرة على اراغون ٢٠٩ هـ - ٨٣٤ م :

في عام ٨٠٩ م ، توفي الكونت « اوربول » قائد الجيوش الفرنسية في اقليم اراغون ، ووجد « عمروس » امير سرقسطة ، وهو من المولدين أن الفرصة سانحة للانتقام من الافرنج لقاء ما ألحقوه به من الذل خلال وقوعه بالأسر في عملية استعادة طليطلة خلال فترة حكم « الحكم بن هشام » ولهذا تقدم بقواته واستولى على المواقع والمراكز التي كان يسيطر عليها الكونت « اوربول » (٢) زاعماً انه سيقوم بتسليم هذه الأماكن عندما يتقدم الفرنسيون ، ولكن عندما وصلت قوات « الافرنج » رفض تسليمهم اياها وبقيت في قبضة المسلمين .

٣ - عمليات الردع لحماية الثغور :

استمر عبد الرحمن بن الحكم في تنفيذ استراتيجية الردع بهدف حماية الثغور وابعاد كل خطر عنها ، وكان تنفيذ هذه الاستراتيجية يخضع لمجموعة من العوامل أهمها :

١ - توفر الاستقرار الداخلي ، وعدم وجود ثورات مضادة ..

٢ - وجود احتمال بالتهديد الخارجي ..

٣ - توفر القناعة عند أمير قرطبة بوجود اتصال بين عناصر الثورة المضادة

وبين القوى الخارجية ..

وان استعراض أحداث سنوات حكم الأمير عبد الرحمن يبرز بوضوح معالم

هذه الاستراتيجية ..

(١) البيان المغرب ٢ - ١٢٣ ، ابن الاثير أحداث سنة ٢٠٨ ، نفع الطيب ١ - ٣٤٥ ،

تاريخ العرب في اسبانيا - عنان ٨٨ .

(٢) اوربول Aurepole .

ففي عام ٢٠٩ هـ - ٨٢٤ م ، وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً إلى الثغور ، وهو جيش الصائفة ، بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد ، وأصيب عبد الكريم بمرض أعاقه عن متابعة التحرك ، ثم لم يلبث أن توفي ، فخلفه في قيادة الجيش أمية بن معاوية بن هشام ، فتقدم أمية بالصائفة حتى وصل اوريط^(١) ونزل بها ، وخلال توقفه ألقى القبض على زعماء التمرد وقتلهم وعفا عن الباقين ممن ليس لهم دور قيادي في التحريض على الثورة ، ثم تابع أمية تقدمه إلى « شنت بريه »^(٢) للقضاء على التمرد فيها .

- وفي عام ٢١٠ هـ - ٨٢٥ م : وجه الأمير عبد الرحمن مجموعة قتالية كبرى بقيادة عبيد الله « المعروف بابن البلنسي » كما وجه مجموعة قتالية ثانية بقيادة فرج بن مسره عامل جبّات وتوجهت هذه القوات الى أهدافها ، فأوغلت المجموعة الأولى في التقدم داخل أرض « الافرنج » وأعملت فيها قتلاً للمقاومات واحرقاً للقرى وتدميراً للحصون ثم التقت بقوات العدو ودارت رحى معارك طاحنة انتصر فيها المسلمون وحصلوا على غنائم كبيرة واعداد من الأسرى . أما المجموعة الثانية فقد توجهت الى حصن « القلعة » وأمكن لها الاستيلاء عليه ، وفي الوقت ذاته وقعت ثورة في تدمير « بين اليانية والمضرية » .

- وفي عام ٢١١ هـ - ٨٢٦ م : حدثت ثورة في تاكرنا فوجه اليها الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة ابن غانم فظفر بقائد الثورة - طويل - .

- وفي عام ٢١٢ هـ - ٨٢٧ م : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة عبيد الله بن عبد الله « البلنسي » لقيادة عمليات الصائفة ، فركز قائد الجيش عبيد الله عملياته في اقليم برشلونه واستمر في تنفيذ الاغارات والأعمال الهجومية لفترة شهرين كاملين ، وشملت العمليات اقليم « جرنده » .

- وفي عام ٢١٣ هـ - ٨٢٨ م : أمكن القضاء على الفتنة بتدمير ، بعد أن

(١) اوريط Oreto جنوب قلعة رباح .

(٢) شنت بريه أو شنتمريه Santa Maria .

استمرت اربعة اعوام . واستنزل قائد الفتنة أبو الشماخ وغيره من القلاع وعمل
الامير عبد الرحمن على تعيين أبو الشماخ والياً من ولاته في الاقاليم ^(١) .
تابع عبد الرحمن بعد ذلك عملياته لردع الاعداء الخارجيين وقمع ثورات
الاعداء الداخليين . ومن أكثر عمليات الردع الخارجية العمليات التالية :

٤ - العمليات في جيليقية :

١ - عام ٢٢٢ هـ - ٨٣٦ م : وجه الامير عبد الرحمن قوة كبيرة بقيادة
أخيه الوليد بن الحكم إلى جيليقية ، ونجح الوليد في عمليات الردع ، وفتح عدداً
من الحصون والقلاع .

٢ - وفي عام ٢٢٤ هـ - ٨٣٨ م . وجه الأمير عبد الرحمن قوة بقيادة عبد
الله المعروف بابن البنسي ، لاختضاع البة والقلاع ، وجابههم جيش جيليقية
فدارت رحى معارك طاحنة ، وانتهت العمليات بهزيمة جيش جيليقيا وابيدت
قوات كبيرة منهم ، وأراد رودريك الافادة من هذه الظروف فانطلق بقوة
كبيرة في محاولة لاحتلال مدينة « سالم » فتصدى له فرتون بن موسى والحق به
الهزيمة ، وأوقع بجيشه الخسائر الفادحة في الارواح ، ثم تابع فرعون تقدمه في
اتجاه الحصن الذي أقامه أهل « البه » لمجابهة تقدم المسلمين فحاصره ثم اقتحمه
ودمره .

٣ - وفي عام ٢٢٥ هـ - ٨٣٩ م : قاد الأمير عبد الرحمن الجيش بنفسه لتطوير
عمليات الردع في جيليقية ، ففتح حصونها وأوغل في تقدمه واستمرت عملياته
هذه فترة طويلة ، ثم عاد الى قرطبة بعد أن أخضع عدوه .

٤ - وفي عام ٢٢٦ هـ - ٨٤٠ م : وجه الامير عبد الرحمن جيشاً الى جيليقية

(١) المراجع : الكامل لابن الاثير ، أحداث السنوات ، البيان المغرب ٢ - ١٢٣ - ١٢٧
نفع الطيب ١ - ٤٧ - ٥١ ، المغرب في حلى المغرب ١ - ٣٤٤ - ٣٥٠ .

بقيادة القائد عبد الواحد بن يزيد « الاسكندراني » . وقام الجيش بتنفيذ عمليات ناجحة وعاد الجيش في الموعد المحدد لايقاف عمليات الصائفة .

٥ - وفي عام ٢٢٧ هـ - ٨٤١ م : خرج عبيد الله بن عبد الله قائد الصوائف بقواته حتى وصل منتصف المسافة بين أربونة و سرطانية ، وباغته الأعداء بقوة كمين كبيرة وأحاطوا به من كل جانب ، ودارت معركة قاسية طوال الليل وعندما أشرق فجر اليوم التالي ، أعاد المسلمون تنظيم قواتهم وانطلقوا بهجوم حاسم دمروا فيه قوات العدو .

٦ - وفي عام ٢٢٨ هـ - ٨٤٢ م قاد الأمير عبد الرحمن الجيش بنفسه بعد أن استخلف في قرطبة ابنه المنذر وعين لقيادة ميمنته ابنه محمد ولقيادة الميسرة ابنه المطرف ، وعندما وصل الجيش الى بنبلونة ، تصدت له قوات العدو ، وخاضت معه معركة طاحنة ، واستطاع المسلمون بصمودهم انتزاع النصر ، وقتل اعداد كبيرة من جيش أعدائهم ^(١) .

٧ - وفي سنة ٢٣١ هـ - ٨٤٥ م : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً ، الى جيلقية ، فقام الجيش بضرب الحصار على مدينة ليون ورمها بالمنجنيق ، فتخلى أهلها عنها ونزحوا منها فقم المسلمون ما فيها وأحرقوها ، وأرادوا هدم سورها فلم يتمكنوا من ذلك ، بسبب قوة بنيانه ، وكان عرضه سبعة عشر ذراعاً ، فثلّموا فيه ثلثة ورجعوا في اتجاه برشلونة فقاموا بغزوها وحاصروا جرنده وتقدموا حتى وصلوا البيربينيان .

٨ - وقعة البيضاء - ٢٣٧ هـ - ٨٥١ م ^(٢) :

قاد موسى بن موسى جيش الصائفة حتى وصل إلى البلدة ، أو البيضاء ،

(١) الكامل لابن الاثير - احداث السنوات - البيان المغرب ١٢٦ - ١٢٨ ، فتح الطيب

١ - ٣٤٤ - ٣٥٠ ، المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٥ - ٥١ .

(٢) القتبس ، علي مكى ، صفحة ١٥٦ ، وفيه :

البيضاء . Albelda : حصن صغير شيده موسى بن موسى القسوي على بعد كيلو مترات

وهناك اصطدم بقوة كبيرة منظمة وجيدة التسليح ، من غاسكونيا أو الجاشفين
كما يسميهم العرب ودارت معركة قاسية لقي العرب فيها عناء كبيراً وبذلوا
جهداً رائعاً حتى استطاعوا الصمود واصيب موسى بن موسى نفسه بخمسة
وثلاثين جرحاً . وفي اليوم التالي وعلى الرغم مما نزل بجيش المسلمين وقائدهم ،
أعاد موسى تنظيم جيشه وتحامل على نفسه وانطلق بهجوم حاسم استطاع به ان
يحرز النصر ، وهزم جيش الغاسكون هزيمة منكرة ، وتكبدوا فادح الخسائر
[حتى فرشت الارض بصرعاهم] ..

٥ - ائزال « النورمان » في الاندلس ^(١) :

تعرضت اوربا في القرن السابع والثامن الميلادي لغزوات شعوب وثنية

.....

قليلة جنوب مدينة لوغرون Logrone وعلى مسافة قريبة من بنبلونة وهي الآن مدينة صغيرة
تقع على بعد ٩١ كم الى الشمال الغربي من تطلة ويتردد ذكر البيضاء في الحوليات المسيحية ، اذ
تذكر انه لم يكذب موسى بن موسى يتم بناءها حتى حاصره ملك جيليقية واشتوريش « اردون
الاول » Ordone 1 ، فخرج موسى للقائه ودارت بين المسلمين والنصارى معركة حامية
تعرف في الحوليات المسيحية باسم معركة كلافيجو Clavijo ، وتقول هذه الكتب ان
المسلمين اصيبوا فيها بهزيمة منكرة وان موسى أصيب بجراحات شديدة وقتل زوج ابنته غارسية
وتحدد هذه المراجع المسيحية المعركة بسنة ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ - ٨٦٠ م ، على ان المصادر
الاسلامية لا تذكر شيئاً عن هذه المعركة مما يجعل الشك محيطاً بصحة الرواية المسيحية ، وقد
ذكر ابن الاثير معركة البيضاء بكتابات قليلة في احداث سنة ٢٣٧ وقال انها وقعة عظيمة كان
الظفر فيها للمسلمين وهي الوقعة المعروفة بوقعة البيضاء وهي مشهورة بالاندلس ..

(١) النورمان أو الفايكنغ ، ويسميهم المؤرخون العرب بالاردمانين ، وهم قوم من البرلبرة
الوثنيين ، هبطوا من الشمال ، عن طريق البحر قادمين من النرويج والدانمارك على متن زوارق
خفيفة ، يحمل الزورق منها ستين الى خمسة وستين مقاتلاً .. وكان هؤلاء النورمان - أو الفايكنغ -
مقاتلون أشداء يقومون بالانزال عند السواحل ، ثم يستخدمون الجياد التي يسطون عليها في
غاراتهم متحولين الى فرسان ، وكانت غزواتهم تترك الخراب الرهيب ، وقد صعد النورمان
انهار فرنسا بين عام ٨٤١ و ٩١٢ م وامنوا في المدن الفرنسية ذبحاً ونهباً وظهروا امام
باريس في أعوام ٨٤٥ ، ٨٥٦ ، ٨٦١ ، ٨٨٥ ، وقد دافع الكونت أود بنجاح عن موقع



بربرية هبطت من الشمال وهم السلافين والنورمان ، وكان النورمان والسلافين أو المجر مقاتلين أشداء ، أدخلوا الدمار والفرع الى اوروبا كلها ، وتميز النورمان بغزواتهم البحرية وسيطرتهم على البحار واسهامهم بدور كبير في نشر أعمال القرصنة .. وقد تعرضت الاندلس لغزوتين من غزوات النورمان .

في عام ٢٢٩ هـ - ٨٤٣ م : كان الامير عبد الرحمن يقود عمليات القتال في تطيلة للقضاء على ترمذ موسى بن موسى ، ثم تابع الامير عبد الرحمن تقدمه حتى بنبلونة حيث خاض فيها معارك ضارية ضد قوات « الافرنج » ومعهم موسى بن موسى ، وحقق جيش قرطبة انتصارات رائعة ، وفي هذه الفترة وصل كتاب الى الأمير عبد الرحمن من عامله في لشبونة « وهب الله بن حزم » يذكر فيه انه ظهر في الساحل المقابل للمدينة أربعة وخمسون مركباً من مراكب النورمان « المجوس » ويرافقها أربعة وخمسون قارباً ، فكتب الأمير عبد الرحمن الى عمال السواحل بالتحفظ ، ثم لم تلبث هذه القوات أن قامت بالانزال قرب اشبيلية ، ثم اقتحموها بسبب عدم وجود حامية كبيرة للدفاع عنها ، واستباحوها سبعة أيام ، ووجه الامير عبد الرحمن قوات كبيرة لمجابهة الغزو بقيادة نصر الحضي ، وقد استطاع نصر الحاق الخسائر الفادحة في قوات النورمان وأرغموهم على

باريس فانتخب عام ٨٨٧ م ملكاً ، ومع ان ملوكاً كارولنجيين جاؤوا بعده الا انه يعتبر أول ملوك الكابيين ، وجاء الملك شارل البسيط - حفيد شارل الألع - ليجعل النورمان يقيمون مستقرين نهائياً على مصب نهر السين بموجب معاهدة سان كلير سور - ابث عام (٩١١ م) واتخذ قائد النورمان المدعو رولون لقب دوق نورمانديه ، ولم يلبث هؤلاء أن دخلوا الدين المسيحي وصاروا من أشد الانصار حماسة له .. وقد شملت عمليات النورمان وقرصنتهم بلاد اوروبا وانكلترا ، والاندلس والبحر الابيض المتوسط ، وكانت غزواتهم للاندلس عامي ٨٤٣ و ٨٤٤ م .

(٢) تذكر المصادر الغربية ان الغزو وقع عامي ٨٤٤ و ٨٤٩ م وهو مخالف للتواريخ العربية التي يعتمد عليها أكثر من المصادر الغربية .

الانسحاب ، بعد أن كبدوهم فادح الخسائر وطاردوهم فآلحقوا بمراكبهم بعض الخسائر ، وفي ذلك يقول عثمان بن المثنى :

يقولون إن الازدمايين أقبلوا فقلت اذا جاؤوا بعثنا اليهم نصرا
ثم اقترح عبد الملك بن حبيب بناء سور في مواجهة البحر لحماية اشبيلية من كل هجوم محتمل وقوعه في المستقبل^(١) .

- وفي عام ٢٣٠ هـ - ٨٤٤ م : تقدمت قوة من النورمان على متن ثمانين مركباً وقامت بالانزال عند ساحل لشبونة ، ثم تقدموا حتى قادس وشذونة واستمر تقدمهم ثلاثة عشر يوماً خاضوا خلالها معارك ضارية ضد الحاميات الضعيفة لقوات المسلمين وانتصروا عليها ثم تقدموا حتى وصلوا اشبيلية حيث توقفوا على مسافة « اثني عشر فرسخاً منها » ، وتصدى لهم المسلمون ودارت رحى معارك ضارية انتهت بهزيمة المسلمين ، فتابع النورمان تقدمهم وتوقفوا على مسافة ميلين منها حيث دارت رحى معركة قاسية خاضها أهل اشبيلية ضد النورمان واستطاع هؤلاء تحقيق انتصار حاسم فدخلوا اشبيلية وأعملوا فيها قتلاً وتدميراً وسبياً طوال يوم وليلة وأقاموا بها سبعة أيام وعندما وصلت أنباء هزائم الحاميات المسلمة الى الأمير عبد الرحمن وجه جيشاً من الفرسان بقيادة عيسى بن سعيد الحاجب ثم أتبعه بجيش آخر يقود قوة الفرسان فيه عبد الله بن كليب وابن وسيم وغيرهما ، كما كتب الأمير عبد الرحمن الى ولاة الاقاليم « الكور » لاستنفار الناس ، وبدأ المتطوعون يتدفقون من كل مكان ، وكان النورمان قد وصلتهم موجة جديدة من قوات الدعم فتقدموا حتى قرطبة وأعملوا فيها فتكاً وقتلاً وتدميراً وسبياً طوال ثلاثة عشر يوماً - وفي القلائد سبعة أيام - ووقعت خلال ذلك بينهم وبين المسلمين ملاحم كبيرة ، وقتل من النورمان خمسمائة مقاتل واضطروا الى العودة والالتجاء الى مراكبهم ، وعاود

.....

(١) المغرب في حلي المغرب ١ - ٤٩ والبيان المغرب ٢ - ١٢٨ .

النورمان إغاراتهم فوصلوا « قبطيل » حيث أقاموا بها ثلاثة أيام ودخلوا قورة فقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين ثم دخلوا الى طلياطه فزولوها ليلاً وأصبحوا على بعد ميلين من اشبيليا ، ثم ظهروا بموضع يعرف بالفغارين ، ومضوا بعد ذلك بمراكبهم واعتكروا مع المسلمين وألحقوا بهم الهزيمة وقتلوا منهم ما لا يحصى . ثم عادوا الى مراكبهم ليتابعوا تقدمهم حتى شدونة ، ووصلت قوات الامير والامدادات من قرطبة فحاصرت النورمان وقذفتهم بالمجانيق ودمرت أربعة مراكب للنورمانين ، فأمر ابن وسيم باحراقها وبيع ما فيها من الفياء ، ثم كانت المعركة الحاسمة التي خسر فيها النورمان ثلاثون مركباً ، وصب عدد كبير منهم على جذوع النخيل وقتل قائد النورمان واستمرت هذه العمليات التخريبية ٤٢ يوماً .. (١)

٦ - عمليات الردع ضد جزر ميورقة ، ومينورقة ويابسة :

- جزر الباليئار :

- كان موسى بن نصير قبل انزال الاندلس قد وجه قوات لغزو جزر الباليئار . مينورقة وميورقة ويابسة ، واخضعها بقواته البحرية .

- وكان اسطول افريقية هو الذي يوفر عمليات الاتصال والامداد بين افريقية والاندلس ويقوم بواجب حماية الشواطئ من كل عدوان .

وعندما استقل الامويون بحكم الاندلس ، وجاء المغيث اليحصبي الى الاندلس وأشعل نيران الثورة ضد عبد الرحمن الداخل ، ظهرت الضرورة الحتمية لانشاء اسطول خاص بالاندلس . ولم يكن الامويون مجهلون دور القوات البحرية في حماية الثغور والدفاع عن حدود الدولة وم اول من عمل على انشاء القوات البحرية وطوروا أساطيلها وأقاموا دور صناعتها واعتمدوا عليها في

(١) الكامل لابن الاثير وهو يجمع أحداث الفزتين ويعملها في أحداث عام ٢٩٢ هـ ، البيان المغرب ٢ - ١٣٠ - ١٣٢ ، نفع الطيب ١ - ٣٤٥ - ٣٤٦ .

تقليص ظل الدولة البيزنطية وانتزاع مجالها الحيوي من قبضتها ودفعها عن البحر الابيض المتوسط حتى أصبح يعرف باسم « بحر الشام » وقد تابع الامويون وولاتهم في الاقاليم اعتماد السلاح البحري والاهتمام به حتى آخر ايام دولتهم فانتشرت المصانع في مصر ، والقيروان وتكونت ثلاثة اساطيل مستقلة هي اسطول الشام ومركزه طرطوس واسطول مصر ومركزه الاسكندرية واسطول افريقية وقاعدته تونس .

— كان من الطبيعي أن يبذل الامير عبد الرحمن « الداخل » اهتمامه لبناء قوته البحرية في مرحلة اعادة تنظيم الدولة وإرسائها على قواعد ثابتة فأصدر تعليماته لاقامة دور الصناعة ، والعمل على بناء السفن وتعيين « أمير الماء » لتنظيم الأسطول ولم تمض فترة حكم عبد الرحمن الداخل حتى انتهى العمل في اقامة القواعد وأصبحت المصانع تنتج القطع البحرية في موانئ طراكونة وطرطوشة وقرطجنة واشبيليا والمرية وغيرها .. ولم يلبث أسطول الاندلس حتى بدأ في اثبات وجوده وممارسة عملياته .

— كانت جزر الباليار وسردانية وكورسيكا عرضة للغزوات البحرية بسبب قربها من شواطئ الاندلس ، وعندما اشتدت وطأة الاغارات على هذه الجزر ، أرسل أصحابها الى شارلمان واضعين أنفسهم تحت حمايته ..

— في عام ١٩١ هـ - ٨٠٦ م : اكتسح المسلمون جزيرة كورسيكا ، وكان بيبان بن شارلمان ملكاً على ايطاليا ، وشعر المسلمون باقترب أسطول « الافرنج » فانسحبوا ، وظن « آدمر »^(١) كونت جنوه انه يستطيع مناهضتهم ، فتوجه بقوة بحرية لمطاردتهم ، فعادت القوات البحرية الاسلامية وخاضت معركة ضد أسطول جنوه ونجحت في إلحاق الهزيمة به وقتل آدمر وأمكن أسر ستين راهباً ، أرسل شارلمان فدية عنهم وفك اسارهم .

(١) آدمر : Admer .

- وفي عام ١٩٣ هـ - ٨٠٨ م : توجهت قوة بحرية من الاندلس الى سردينيا ، فاصطدموا بمقاومة عنيدة اضطرتهم للانسحاب الى كورسيكا ، حيث جابهتهم مرة أخرى حامية الجزيرة بقيادة بورشارد^(١) وأغرقت لهم ثلاثة عشر مركباً وأرغمتهم على الانسحاب ..

- في عام ١٩٤ هـ - ٨٠٩ م : توجهت قوة بحرية من الاندلس الى كورسيكا ووصلت في الوقت ذاته قوة بحرية أخرى من افريقية ، وتم الانزال في الجزيرة وخيم المسلمون في الجهة الشرقية من الجزيرة ، بين أطلال مدينة « آليريه »^(٢) ولم يتمكن « الافرنج » من دحرهم إلا بعد جهود كبيرة ..

وفي عام ١٩٨ هـ - ٨١٣ م : قامت قوة بحرية من الاندلس بالانزال في كورسيكا وأغارت عليها ، وفي طريق العودة ، وضع الكونت « امبورياس »^(٣) كميناً بالقرب من « بير بينيسان » استولى على ثمانية مراكب للمسلمين كان فيها ما يزيد على خمسمائة أسير ، فانتقم المسلمون لهزيمتهم واجتاحوا سواحل نيس « نيقه » والبروفانس وسيفيته فيشيا^(٤) قرب روما ..

في تلك الفترة كانت اعمال القرصنة تتصاعد واصبحت خطورتها تهدد مصالح دولة الاندلس ، كما تهدد الدولة الكارولنجية . وكان القرصان يستهدفون بالدرجة الاولى القطع البحرية التجارية بين مصر والشام وبين الغرب والاندلس فارسل شارلمان الى الرشيد يلتمس وقف نشاط اسطول افريقية ، وامر الرشيد ، ولاته الاغالبية ، بالابتعاد عن حدود مملكة شارلمان وتوفي الرشيد عام ٦٩٤ هـ ٨٠٩ م . وعاود الاغالبية اعمال الغزو ، واصبحت موانئ تونس وسوسة من المراكز الاولى لقراصنة البحر . وكانت القطع البحرية

(١) بورشارد Burchard .

(٢) آليريه Aleria .

(٣) امبورياس Amporias .

(٤) سيفيته فيشيا Civita Vecchia .

للنورمان تهاجم موانئ بحر الشمال وتسلل الى البحر الابيض المتوسط فتسهم في تصعيد اعمال القرصنة وزيادة خطورتها .

- أمام هذا الموقف توجه أمير البحر - وهو يحيى بن حكم على الأغلب - الى اكس لاشابيل ، وعقد معاهدة مع شارلمان لمجابهة - أعمال القرصنة - وذلك في عام ١٩٥ هـ - ٨١٠ م ثم جددت هذه المعاهدة بعد سنتين ، ولكن نصوص هذه الاتفاقية لم تحترم وقام أسطول الاندلس بغزو كورسيكا عام ١٩٨ هـ - ٨١٣ م ، كما تقدم عبد الرحمن بن الحكم بقيادة جيش أبيه الى حدود فرنسا ..

- ولكن هذه الحادثة لم تمنع من متابعة الحوار مع « الافرنج » فتوجه الأمير عبد الرحمن بتعليات والده في عام ٢٠١ هـ - ٨١٦ م الى مدينة كومبيان^(١) مقر الامبراطور ثم انتقل الى اكس ، لاشابيل حيث كان سيعقد مجلس شوري ، بهدف عقد اتفاقية لقمع اعمال القرصنة .

وفي عام ٢٠٥ هـ - ٨٢٠ م : انطلق أسطول الاندلس لغزو سردينيا ، واصطدم بالأسطول المدافع عنها ، وانتصر أسطول الاندلس فأغرق ثمانية مراكب وأحرق عدداً كبيراً من قطع أسطول سردينيا ..

في عام ٢٢٩ و ٢٣٠ هـ : ٨٤٣ و ٨٤٤ م قام النورمان بالانزال في الاندلس واغاروا على عدد من المدن وانزلوا بها الدمار والحراب وقتلوا وسبوا أعداداً من المسابيين . وقدمت جزر الباليئار مساعدة للنورمان بما اثار أمير قرطبة ودفعه الى ارسال قوة لردع هذه الجزر عن تقديم كل مساعدة للسفن الأجنبية والالتزام بنصوص الاتفاقيات الموقعة مع المسلمين والتي يجب بموجبها الامتناع عن تقديم كل دعم أو مساعدة للسفن غير الاسلامية .

في عام ٢٣٤ هـ : ٨٤٨ م : غادرت الموانئ الأندلسية قوة بحرية مكونة من ٣٠٠ سفينة بمهمة غزو جزر الباليئار [... لتكايتها واذلالها ومجاهرتها بنقض

(١) كومبيان Compiegne .

العهد واضرارها بمن مر عليها من مراكب المسلمين.. [(١)] .

وقد استطاعت هذه القوة البحرية فتح جزر البليثار والحق الضرر بها فكتب أهلها الى الامير عبد الرحمن في قرطبة رسالة للمطالبة بإيقاف اذى المسلمين . فأجابهم الامير عبد الرحمن :

[.. أما بعد .. فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه أمركم ، واغارة المسلمين الذين وجهناهم اليكم لجهادكم واصابتهم ما أصابوه منكم من ثرايكم واموالكم والمبلغ الذي بلغوه منكم وما أشقيتم عليه من الهلاك ، وسأتم التدارك لأمركم وقبول الجزية منكم وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروهمك والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم ، ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم وتمنعكم عن العود الى مثل الذي كنتم عليه وقد أعطيناكم عهد الله وذمته ...] [(٢)] .

- وفي الوقت ذاته ، أصدر الأمير عبد الرحمن بتحصين المدن الساحلية ، وشحنها بالمقاتلين ، واقامة حاميات ثابتة للدفاع عنها وكذلك فعل شارلمان وخليفته « لويس الحكيم » فكان ذلك بداية تحصين المدن الساحلية ضد أعمال القرصنة . كما عمل الامويون في الاندلس على تطوير صناعة السفن [وقد ذكروا انه كان للمسلمين لذلك العهد بارجة متناهية في الكبر يظنها الراني من بعيد سوراً عالياً سائراً في البحر غزت مرة جزيرة « اوي » في بريطانيا ، عند مصب نهر لوار ...] [(٣)] .

وأما بالنسبة لأحداث الجبهة الداخلية في الاندلس خلال فترة امارة عبد الرحمن الاوسط فيمكن تلخيصها بالصفحات التالية ..

(١) و (٢) البيان المغرب ٢ - ١٢٢ - ١٣٣ ، وغزوات العرب ١٣٩ - ١٤٨ .

(٣) اوي Oye . غزوات العرب ١٤٩ .

٧ - ثورة ماردة : ٢١٣ - ٢٢٠ هـ : ٨٢٨ - ٨٣٥ م :

بدأت الثورة بنهوض الثائرين الى عامل ماردة « حاكمها » وقتله ، فوجه الأمير عبد الرحمن جيشاً حاصر ماردة واخضع الثائرين وأخذ الرهائن منهم ثم انسحب الجيش بعد أن خرب سور المدينة ودمر تحصيناتها ، ثم أرسل الأمير عبد الرحمن طلباً بنقل حجارة السور إلى النهر حتى لا يعود أهل ماردة إلى الثورة والتمرد ، فعاد أهل ماردة إلى التمرد وجددوا بناء السور وأتقنوه . فتوجه الأمير عبد الرحمن عام ٢١٤ هـ ، وقاد جيشه لحصار ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله أهلها وافتكوا رهائنهم بالعامل الذي اسروه وغيره واستمر الحصار ثم عاد الأمير عبد الرحمن إلى قرطبة دون أن ينجح في إخضاع تمرد المدينة ، ووجه الأمير عبد الرحمن قواته في كل سنة . ونجح زعيم الثائرين محمود ابن عبد الجبار الماردي بالحاق هزائم في اكثر المعارك التي خاضها ضد جيش قرطبة وشهدت الجبال المحيطة بماردة ، ومدن منت ساروط ، وهلقب ومينة معارك ضارية بين الثائرين وجيش قرطبة .

لم تكن ثورة ماردة بعيدة عن الاتصال الخارجي ، فكتب لويس الحليم رسالة إلى اهل ماردة جاء فيها :

[باسم ربنا الاله وباسم مخلصنا يسوع المسيح ، من لويس الامبراطور السعيد بالنعمة الالهية الى الأماسقة والشعب في ماردة ، قد اتصل بنا ماتقاسونة من العذاب من جهة الملك عبد الرحمن الذي لا يزال يرهقكم عسراً متبعاً في ذلك طريقة أبيه « ابولاز - الحكم » الذي كان يبتز أموالكم بعد ان جعل اصدقاءه اعداء وجعل الطائع عاصياً ، فاليوم يريدون أن يحرموكم حريتكم وان يثقلوا كاهلكم بالضرائب وان يمسوا كرامتكم وقد علمنا انكم ابيتم تحمل الاهانة ودفعتم عنكم ظلم ملوكهم ووقتم في وجه طمعهم وغدرهم وقد جاءنا هذا الخبر من مصادر عدة فرأينا ان نكتب هذا الكتاب لتعزيتكم على ما انتم فيه

ولتحرىضكم على الثبات في خطتكم هذه ولما كان هذا الملك البربري عدواً لنا - كما هو عدو لكم - فأننا على استعداد للاشتراك معكم في قتاله ، وسنرسل لكم بعون الله تعالى في هذا الصيف جيشاً يجتاز البرينة ، ويعمل بإشارتكم ، فإذا زحف اليكم عبد الرحمن كان جيشنا بالمرصاد له . كما نعلمكم منذ الآن أنكم إذا ما خلعتُم ملاعة عبد الرحمن وأصبحتم من رعايانا فسنعيد لكم حريتكم الأولى ، دون مساس بها ، ودون مطالبتكم بأدنى مال تؤدونه لنا . ولكم أن تختاروا القانون الذي تريدون السير عليه ، ونحن نعاملكم كأصدقاء يريدون الاشتراك في الدفاع عن سلطتنا ..]^(١) .

مضى على الثورة سبعة أعوام ، وضاقت الأُمير عبد الرحمن ذرعاً ، فقاد جيشاً كبيراً ومضى بنفسه ، وشدد قبضته ، ويصور صاحب أخبار مجموعة اللوحة الأخيرة للمقاومة بما يلي :

[... أشقى أهل ماردة على العطب ، ونظر الأمير عبد الرحمن إلى جنده وقد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء فامر بالامساك عنهم ووقف الجند عن الاستمرار في قتالهم ، ثم دعا بوزرائه وقواده وقال لهم قد علمتم ما كان من تغلب رجالنا على هؤلاء ، الظلمة لأنفسهم ، ولم يكن رفعنا ما رفعناه عنهم إلا قربي الله عز وجل فيهم ورافقة من قتل أولادهم وأطفالهم ومن لا ذنب لهم ممن استكروه على نفسه منهم ، ونحن نرى استجداب النصر من حيث عودنا الله وعرفنا من العفو والصفح ، وقد عزمت على الانتقال عنهم ، فإن ابصروا قدر يدنا في الأبقاء عليهم ومراقبة الله فيهم والا كان الله من

(١) الكامل لابن الأثير أحداث ١١٣ ، تاريخ غزوات العرب ، إرسال وفيه أن الرسالة كتبت عام ٨٢٦ ، والاحتمال الأكثر صحة هو أنها كتبت عام ٨١٦ . وفقاً لسيرة الأحداث عند المؤرخين العرب .

ورائهم محيطاً وعلى الانتقام منهم قديراً ، فهو الذي أيدنا وقهرهم ونصرنا
وكبتهم ..] فلم ينتقل من موضعه حتى وافته رسلهم بطاعتهم والالتقاء اليه
بايديهم ، واخراج اصحاب الفتنة من بينهم ^(١) .

— لم يبق امام قائد الثورة محمود بن عبد الجبار ، الا الفرار ، فالتجأ الى
العدو ووصل إلى جيليقية ، ثم انه أراد العودة الى بلاد المسلمين ، والخضوع
لأمير الاندلس عبد الرحمن ، فعاربه الفونس ملك جيليقية ، وجمع فرس الثائر
محمود ، فصدم الفارس بشجرة بلوط قتله ، وبقي مجذلاً في الارض حيناً عام
٢٢٥ هـ ^(٢) .

٨ - الفتنة الطائفية :

فتح العرب المسلمون الاندلس ، وتركوا لأهلها حريتهم الدينية ، وكذلك
فعلوا عندما اقتحموا بلاد الغال « فرنسا » وانتشرت قواتهم في اللانغدوك
والبروفانس وسبتانيا ^(٣) .

— ثم ظهر تطور جديد بعد معركة بلاط الشهداء ، فبدأت الاغارات تحمل
طابع القسوة والعنف وأخذت الهجمات تنتقم من المقاومة بطريقة شرسة فدمر
بنتيجة ذلك عدد من الكنائس الواقعة في مدن الثغور مثل : دير جوسل قرب
بيزييه ، ودير القديس بوزيل ^(٤) قرب نيم ، ودير صنجيل ^(٥) قرب آرل ، ودير

(١) أخبار مجموعة ١٣٩ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ٤٨/١ .

(٣) السبتانية : الاقليم الذي ضم المدن السبعة الآتية : ناربون ، نيم ، واقد ، بيزييه ، لوديف ،
كاراكسون ، ماغلون .

Narbonne. Nime. Agde. Beziers, Loodéve. Carcassonne.
et Maguelone.

(٤) القديس بوزيل Saint Bausile .

(٥) دير صنجيل Saint Gilles .

الترتيل^(١) قرب آغيمورت^(٢) وسمي هذا الدير بدير الترتيل نتيجة لتناوب الرهبان في تلاوة الأناشيد الدينية في الليل والنهار وباستمرار .. لكن معاملة الجيش الاسلامي للأقاليم الخالية من المقاومة لم تتغير ولم تتعرض مدنها للخراب ولا كنائسها للدمار ..

- استمرت بعد ذلك أقاليم شمال الاندلس والحدود الجنوبية من فرنسا مسرحاً للصراع بين المسلمين و « الافرنج » وأخذ الدمار يستولي على المدن والقرى والمساكن والكنائس دون تمييز .

ولم يكن وضع هذه المناطق عندما استعادها شارلمان وخلفاؤه أحسن مما كان وضعها بين أيدي العرب ، فقد كان من سياسة مؤسسي الدولة الكارولنجية الاستيلاء على أموال الكنيسة^(٣) والاستعانة بثرواتها من أجل دعم الجهاز الاداري والقوات المسلحة ، فاذما أضيف الى ذلك ان جميع أهالي جنوب فرنسا كانوا يعتبرون جيش الشمال من البرابرة في حين يحدون أنفسهم بطبيعة احتكاكهم مع حضارات البحر الابيض المتوسط من رومانية ويونانية ، أصحاب حضارة سابقة وأصيلة ، ولهذا لقي العرب عوناً صادقاً من سكان الجنوب خلال المرحلة الأولى من الفتوحات .. ومقابل ذلك انضم عدد من القسس والرهبان الى جيش شارل مارتل أمثال « هيناروس » مطران اوكسير وقاتلوا الى جانبه وهم في ثياب الاسقفية ، واعتبروا شارل مارتل منقذاً للمسيحية .

(١) دير الترتيل Psalmodie .

(٢) آغيمورت Aiguemortes .

(٣) عندما اخراج شارل مارتل المسلمين من جنوب فرنسا وزع شارل مارتل أموال الكنيسة وأراضيها على الكونتات فوجد اسقف فين ، واسه فيلكاريوس Wilicarius نفسه بدون ابرشية فتوجه الى فاليس Valais حيث عينوه اسقفاً لكنيسة سانت موريس . Saint Maurice

وعندما انتهى الامر الى الامويين في الاندلس ، تابعوا سياستهم المعروفة باطلاق الحريات الدينية فكان هناك اسقفية في قرطبة واشبيلية وطليلة وفي كل مدينة كبيرة ، وكان هناك قسيسون في كل مكان وقد افاد هؤلاء من مناخ الحرية فانطلقوا يمارسون اعمالهم واقبلوا على تعلم العربية ، ومراعاة مشاعر السكان المسلمين مثل تجنب اكل لحم الخنزير ، واخذوا يطلقون على ابنائهم الاسماء العربية وفتحت الدولة العربية - الاسلامية صدرها للمخلصين لها من المسيحيين واليهود فتربعوا على اسمى مناصب الدولة واحتلوا مراكز الصدارة في السلطة ..

- خلال هذه المراحل من الصراع بين أندلس المسلمين ، وفرنسا المسيحية أخذت الكنيسة تمارس دورها لاثارة السكان ضد « دولة الاسلام في الاندلس » وتجاوب مع هذه الدعوة في بدايتها عدد ضئيل من القسس يحتل « هارفكتس » مركز الصدارة بينهم وقد برز اسمه بسبب الحادثة التالية :

[ذات يوم وبينما كان القسيس « هارفكتس » يسير في قرطبة ، تعرض له احد المسلمين لاستشارته حول امور زواج المسيحيات بالمسلمين ، ثم تطور الحديث الى مناقب نبي الاسلام ، فكان في بعض اجابات القسيس ما ينال من مكانة النبي العربي ، وانتشر قول القسيس بين المسلمين فاعتقلوه وذهبوا به الى قاضي قرطبة ، فلم ينكر اقواله ، وقذف الالهات والشتائم ، فأصدر القاضي حكمه باعدامه ، فأعدم مع عدد من انصاره امثال (يولوجيوس) ، و (ألفارو) ، ومن النساء (فلورا)^(١) نظراً لما كانوا يقومون به من الدعاية واثارة الحماسة ضد المسلمين] .

- كان لهذا الحدث دور كبير في اشعال نار الحقد الكامن في صدور بعض المسيحيين فانطلقوا يصورونها « بمأساة انسانية » وتطور الوضع الى ما يهدد الانفجار ، وخشي قسس الاندلس اضاعة المكاسب التي وفرتها لهم الدولة الاسلامية

(١) فلورا Flora .

فأسرعوا الى عقد اجتماع عام ٢٣٦ هـ - ٨٥٠ م قرروا فيه منع شتم النبي العربي ،
[وان القذف بنبي الاسلام عمداً ، حباً بالقتل والشهادة ، هو مخالف لروح
الانجيل ..]

وتمت تسوية المشكلة - ظاهرياً - .

٢ - محمد بن عبد الرحمن

وحروب الاستنزاف

٢٣٨ - ٢٧٣ هـ = ٨٥٢ - ٨٨٦ م

ولي حكم الاندلس خلال هذه الفترة الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم
ابو عبد الله .

- كانت الاندلس في حرب دائمة ومعارك مستمرة وصراع مرير ، حرب مع
اعداء الخارج ، ومعارك مع اعداء الداخل وصراع مع القوى المتنافرة . وكانت
هذه الحروب والمعارك تستنزف قدرة الدولة ، فكان أمراً طبيعياً أن يهتم أمراء
الاندلس بأمرأة التنظيم في اعقاب كل معركة ومع بداية كل عهد . ومن الامور
الواضحة في عمليات الاندلس العمل باستمرار لإعادة تنظيم القوات بحيث يتم
التناوب لقيادة الصوائف وتوجيه الجيوش مع إعادة تنظيم قوى الحاميات واستبعاد
القادة غير الكفاء وتعيين من هم اكثر قدرة وكفاءة .

تولى الامير محمد بن عبد الرحمن أمور الاندلس ولديه من الخبرات القتالية قدراً
كبيراً وكان ممن يهتم بالقتال وقيادة الجيوش فكان أول عمل له إعادة بناء القوات
المسلحة والقوات البحرية وإعادة تنظيم الحاميات ، وتحديد قوتها مع الاخذ بعين
الاعتبار قدرة كل اقليم .

ففي مجال بناء القوات المسلحة ، زج الامير محمد كل الامكانات ، وأسقط
ضريبة البعوث والحشود ، وهي تماثل بدل خدمة العلم ، لكنها كانت تدفع في
كل سنة لقاء عدم الاشتراك في القتال . ولم يعمل الأمير محمد على اتباع أسلوب

الالزام في خدمة الجيش مقابل اسقاط الضريبة ، بل ترك الأمر طواعية لكل قادر على القتال ، واستثار حمية العرب المسلمين في قوطبة والأقاليم فأقبل المتطوعون عليه من كل مكان وتدفقت جموعهم فتكون لديه جيش ضخم .

– وعمل الأمير محمد على دعم القوة البحرية وزيادة قدرتها لتحقيق اهداف ثلاثة :

١ – ردع كل محاولة للعدوان على المياه الاقليمية مستفيداً في ذلك من تجربة انزال النورمان في عهد والده ، واغارتهم على المدن الاندلسية وتخريبهم لها .

٢ – القيام بعمليات غزو بحري عند الساحل الشرقي للاندلس .

٣ – القيام بعمليات غزو بحري عند الساحل الغربي للاندلس ، والتخطيط لغزو جيلية من البحر ، بعد أن فشلت كل محاولات الغزو البري في الوصول الى نتيجة حاسمة وتصفية تمرد الاقليم .

– ونظراً للدور الكبير الذي يقوم به الفرسان كقوة ضاربة أساسية فقد عمل الأمير محمد على اعادة تنظيم هذا السلاح وزيادة حجمه ، وفرض عدد محدود على كل اقليم ، فتكون من ذلك سلاح قوي وقادر على الاضطلاع بالاعباء الملقاة على عاتقه في تحقيق الامن والاستقرار الداخلي وردع العدوان الخارجي ، وتظهر قوة سلاح الفرسان من خلال الجدول التالي :

**قوة الفرسان المستنفرة من كل اقليم لغزو الصانفة
في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن**

المنطقة أو الاقليم «الكورة»	قوة الفرسان	كتابة	ملاحظات
١ ألبيره	٢٩٠٠	الفان وتسع مائة	
٢ جيان	٢٢٠٠	الفان ومائتان	
٣ قبره	١٨٠٠	الف وثمانمائة	
٤ باغه	٩٠٠	تسع مائة	
٥ تاكرنا	٢٩٩	مائتان وتسع وتسعون	
٦ الجزيره	٢٩٠	مائتان وتسعون	
٧ اسجه	١٢٠٠	الف ومائتان	
٨ قرمونه	١٨٥	مائة وخمسة وثمانون	
٩ شذونه	٦٧٩٠	سنة آلاف ربيع مائة وتسعون	
١٠ ريه	٢٦٠٠	الفان وستة مائة	
١١ فحص البلوط	٤٠٠	اربعمائة	
١٢ مورور	١٤٠٠	الف واربعمائة	
١٣ تدمير	١٥٦	مائة وستة وخمسون	
١٤ رينه	١٠٦	مائة وستة	
١٥ قلعة رباح واوريط	٣٨٧	ثلاثمائة وسبعة وثمانون	
المجموع	٢١,٦١٣	واحد وعشرون ألفاً وستمائة وثلاثة عشر فارس	

* يضاف الى هذه القوة ، المتطوعون من قرطبة ومن الاقاليم الاخرى ،
وبذلك يتضاعف العدد اخضاعاً ، ولكن ليس هناك احصاء دقيق لها ..



- تولى الأمير محمد بن عبد الرحمن حكم الاندلس وقد أخذ الاستقرار النسبي والهدوء الظاهري يعرفان طريقهما الى ربوع الجزيرة بعد أن جهد والده الأمير عبد الرحمن حتى استطاع ردع الاعداء الخارجيين ، واخضاع تمرد الثوار في الداخل ، وساعده في ذلك تمزق سلطة الكارولنجيين وقوات غزوات الشمال من نورمان وسلاف « بحر » ، لكن الصعاب والعقبات ظهرت من جديد مع تسلم الأمير محمد مقاليد السلطة ، حيث استأنف أعداء الأندلس التقليديين استخدام أساليب « السبر » لمعرفة ردود فعل العهد الجديد ، ومتابعة أسلوب « الاستنزاف » لامتناس قدرة الدولة وارهاقها بالاعباء الثقيلة حتى تصل المرحلة التي يستحيل عليها بعدها متابعة الصمود والاستمرار . . ويمكن تقسيم أعمال حرب الاستنزاف ضمن اطار مجموعتين :

١ - قمع الثورات الداخلية .

٢ - أعمال الردع - الخارجية - والهجمات الدفاعية . .

احباط عملية السبر :

- كان الأمير محمد يعرف ان قوات الشمال ستبدأ عدوانها منذ الايام الاولى لاستلامه الحكم ، فأسرع الى تنظيم قواته وتوجه بها نحو الشمال فوجد العدو وقد حشد قواته ، وزج كل امكاناته [حتى ضاق بخيله الفضاء الواسع والمكان الداني والشامع ..] . وقرر الأمير محمد في البداية الرجوع وعدم مجابهة تفوق العدو ، والاستعداد لمعركة مقبلة ، واستشار الأمير محمد المخلصين له فقال له أحداهم :

[.. ايها الأمير ، قال تعالى : الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ..] ^(١) وأخيراً ، قرر الأمير خوض المعركة . وانصرف الى تنظيم القوات واثارة

(١) آل عمران الآية ١٧٣ - ١٧٤ .

الحماة والاستعداد للقتال ، وبدأت قوات المسلمين معركتها منذ الفجر المبكر ،
[ولم يؤذن مؤذن الظهر الا ومن رؤوس الأعداد جملة آلاف مقطوعة
لأعداء الله ..]

وانتهت المعركة بتحقيق نصر حاسم . ورجع الأمير محمد الى قرطبة يحمل
رايات الظفر (١) .

١ - عمليات الردع الخارجية ..

أ - معركة وادي سليط .

ردع لقوات جيلية والبشكنش ، وقمع لثورة طليطلة ..

قد يكون من الصعب فصل عمليات ردع جيلية والبشكنش عن عمليات
قمع ثورة طليطلة بسبب تلاحمها الوثيق ، وان استعراض أحداث هذه الثورة
ووقائعها يظهر بوضوح طبيعة التلاحم العضوي بين اعداء الداخل واعداء الخارج .
وكان من الطبيعي مجابهة هذه العمليات بردود فعل مزدوجة .

- لم يكد الأمير محمد ينهي عملياته لردع عمليات السبر حتى تحركت طليطلة
واعتقل الثائرون فيها عامل أمير قرطبة وطالبوا اطلاق رهائنهم ممن تحتفظ بهم
قرطبة ، لقاء اطلاق سراح عامل الامير محمد . فاضطر الأمير أن يستجيب
لطلب الثائرين ، ريثما تتوفر فرصة أفضل يكون فيها أكثر استعداداً لقمع
حركة التمرد .

(١) البيان المغرب ٢ - ١٦٢ ، وفيها قال الشاعر العتي :

سائل عن الثغر الصوارم تصدق	واستنطق السر العواني تنطق
تركت وقائع في الثغور وقد عدت	ملا بكل مغرب ومشرق
وأداخ ارض المشركين بوقعة	تركهم مثل الأشاء الحرق
جادت عليهم حربه بصواعق	تركهم مثل الرماد الأزرق

الأشاء : صفار النحل .

- وفي صيف عام ٢٣٩ هـ - ٨٥٣ م : وجه الأمير محمد ابنه الحكم لقيادة الصائفة ، ووصل الحكم قلعة رباح فوجد ان أهلها قد غادروها بسبب ثقل وطأة ثوار طليطلة عليهم وتخريبهم لحصونهم ، فأمر الحكم بإعادة تحصين المدينة ، وتشديد أسوارها ، ثم أعاد أهلها اليها ، واستنزلهم من القفر والجبل . وكان الأمير محمد قد وجه في الوقت ذاته جيشاً كبيراً بقيادة قاسم بن العباس وفيه قائد قوة الفرسان تام بن أبي العطف ، للقيام بمهمة اخضاع طليطلة ، وتوجه الجيش في اتجاه شندلة ، وعندما وصل « اندوجر » وقع جيش قرطبة في الكمائن التي وضعها ثوار طليطلة ، ودارت رحى معركة طاحنة انتهت بهزيمة جيش قرطبة هزيمة منكرة^(١) .

- وفي الوقت ذاته كلف الامير محمد ، جيش « تطيلة » بالهجوم على ألبه والقلاع ، وانطلق والي تطيلة موسى بن موسى يجيشه وهاجم اقليم البه والقلاع وفتح بعض حصونها كما وجه قوة أخرى إلى اقليم برشلونة « فعاثوا فيها وفتحوا حصوناً من برشلونة ورجعت القوة إلى قاعدة انطلاقتها في تطيلة بعد أن نجحت في تنفيذ عمليات الردع^(٢) .

- وفي محرم سنة ٢٤٠ هـ - يونيو ٨٥٤ م : خرج الامير محمد بنفسه إلى طليطلة بهدف اخضاع تمردها ، وأرسل أهل طليطلة إلى أردون بن الفونس ملك جيليقية ، والي ملك البشكنش ، يستنجدان بها فأرسل أردون قوات كبيرة من جيليقية بقيادة أخيه « غثون » في جمع عظيم من النصاري ، وعلم بذلك الأمير محمد فنظم قواته في « وادي سليط »^(٣) ونصب الردود « المجانيق » ، وأقام الكمائن ثم انطلق بقوة صغيرة وعندما وصل إلى طليطلة وشاهد الأعداء هذه القوة الصغيرة، خرجوا لقاتلها، وتظاهر الامير محمد بالانسحاب واستطاع قيادة

(١) ابن عذارى ٢ - ١٤١ ، وابن الاثير احدث ٢٣٩ هـ .

(٢) نفع الطيب ، احدث سنة ٢٣٩ هـ .

(٣) وادي سليط Auzalet ، نهر يصب في التاجه جنوب طليطلة .

قوات أعدائه حتى وصل بهم إلى مواقع الكهائن . وأحاطت قوات المسلمين بجيوش جيليقية والبشكنش وأهل طليطلة ، وبدأت معركة طاحنة ، أفاد فيها المسلمون من عامل المباغتة وأرغوا خصومهم على الفرار بعيداً عن ميدان القتال بعد أن تركوا في ساحة المعركة ما يزيد على ثمانية آلاف قتيل . في حين وصلت الخسائر الكاملة للعدو حتى عشرين ألف قتيل ^(١) .

- على الرغم من هذا النصر الحاسم ، فإن الأمير محمد لم يتمكن من إخضاع طليطلة وتابع المتعصبون أمثال « ايلوج » وصحبه في نفث السموم الحاقدة وتصوير موقف النصارى في حكم المسلمين بأبشع الصور ، وأصبحت طليطلة القاعدة الرئيسية لعمل القسس الحاقدين ^(٢) .

- أمام هذا الموقف وجه الأمير محمد عام ٢٤١ هـ - ٨٥٥ م ، حاميات ثابتة للدفاع عن قلعة رباح وطلبيرة وعين عليها قائداً حازماً هو الحارث بن بزيغ . وفي الوقت ذاته قاد الأمير محمد جيشه إلى البة والقلاع وأوغل في تقدمه حتى وصل آخر حدود نافار والباسك وفتح عدداً كبيراً من الحصون وذلك لردع المملكتين المذكورتين وعدم السماح لهما مرة أخرى بتقديم دعم فعال لثائري طليطلة .

وفي صيف عام ٢٤٢ هـ - ٨٥٦ م : وجه الأمير محمد جيش تطيلة بقيادة موسى بن موسى للقيام مرة أخرى بالاغارة على « برشلونة » فغزا موسى بن موسى برشلونة ، واقتنح حصن طراجة ، وهو من آخر حصون برشلونة كما نجح في أسر بعض امرائها وأرسلهم الى قرطبة .

- في الوقت الذي كان فيه موسى بن موسى يمارس عمليات عزل طليطلة من الشمال ، كان المنذر ابن الأمير محمود يقود جيشاً كبيراً لحصار طليطلة وعزلها عن

(١) البيان المغرب ، ابن عذارى ٢ - ١٤٢ ، والكامل في التاريخ أحداث سنة ٢٤٠ هـ .

(٢) لمطالعة تفاصيل دور هؤلاء القسس التخريبي ، يفضل مراجعة كتاب تاريخ المسلمين في

الاندلس ، دوزي ٥ - ٣٥٥ ، طبعة باريس ١٩٣٢ .

كل ما يحيط بها وتدمير مرافقها الحيوية ، ولم يحاول أهل طليطلة مجابهة جيش المنذر بعد الكوارث الكبيرة التي نزلت بهم في عمليات السنين السابقة (١) .

وفي عام ٢٤٣ هـ - ٨٥٧ م : غادر أهل طليطلة مواقعهم ، وانطلقوا بهجوم منظم وقوي في محاولة للاستيلاء على طليطلة وتدمير الحامية المدافعة عنها ، فتصدى لهم قائد الحامية « مسعود بن عبد الله العريف » وأوقع بهم فادح الخسائر وقتل منهم مئاة أرسلت رؤوس سبعائة منهم الى قرطبة ..

وفي عام ٢٤٤ هـ - ٨٥٨ م : خرج الأمير محمد بنفسه الى طليطلة ، وعلى الرغم من كل ما أصاب الثائرين من مصائب ، وما توالى عليهم من نكبات ، فقد تابعوا بعناد تمردهم ، وعندما وصل الأمير محمد الى طليطلة ، اعتصم أهلها بمواقعهم ، فجمع الأمير قاداته ، والعرفاء من البنائين والمهندسين ، وطلب اليهم تقويض دعائم الجسر ، ثم تظاهر جيش قرطبة بالانسحاب واندفع أهل طليطلة بعد أن ثبت لهم حقيقة تراجع جيش الأمير محمد ، ووقفت جموع أهل طليطلة على الجسر - القنطرة - فانهارت بهم وسقطت أعداد كبيرة منهم فماتت غرقاً بالنهر ، ووجد أهل طليطلة استحالة الاستمرار في حرب أمير قرطبة لا سيما بعد أن توقفت كل مساعداتهم من الشمال فطلبوا الصلح ، ووافق الأمير محمد على ذلك . وخمدت ثورة المولدين والنصارى المعاهدين (٢) وكانت معركة

.....

(١) البيان المغرب ٢ - ١٤٣ - ١٤٥ ، وابن الاثير احدث سنوات ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) وفي الوقت ذاته عمل الأمير محمد على قمع ثورة النصارى المتمصين في قرطبة وحوكم القس ايلوج ، المرحض الاول على الثورة ، وقضى بإعدامه ونفذ الاعدام فيه كما نفذ الاعدام بصاحبه ومعاونته ليوكريسيا ، في آذار ٨٥٩ م ، وبذلك أمكن للأمير محمد اخاء لبيب الثورة ، ولطالمة مزيد عن تحريض النصارى ، وما قاموا به من أعمال - للطالمة - :

Histoire des Musulmans de L'Espagne Paris 1932 V.i P. 355, 356 , 362 .

وادي سليط^(١) هي البداية الحاسمة التي انتهت باخضاع هذا التمرد الذي استمر حتى عام ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م .

ب - مجابهة غزو - النورمان -

لم يكبد الأمير محمد ينهي عصيان طليطلة حتى جوبه بعدوان جديد قام به النورمان .

ففي عام ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م ظهرت في مياه المحيط ، غرب الاندلس قوة بحرية مكونة من ٦٢ اثني وستين مركباً . وكانت قطع البحرية الاندلسية قد أفادت من العدوان السابق فنظمت عملياتها وأخذت تقوم بحولات مستمرة على امتداد المسافة ما بين جيليقية شمالاً والجرف جنوباً ، وحاولت قوات النورمان الاقتراب ودفعت مركبين فاستولى عليها المسلمون بالقرب من « باجة » مع ما عليها من ذهب وفضة وسبي وأعتدة . فتابعت مراكب النورمان تقدمها حتى وصلت قريباً من مصب نهر أشبيلية في البحر ، وأصدر الأمير محمد أوامره الى الأقاليم باستنفار المقاتلين . ووجه قوة كبيرة بقيادة عيسى بن الحسن الحاجب .

- نجحت زوارق ، النورمان في اقتحام الاندلس عند مصب نهر أشبيلية .
وتم انزال القوات التي تقدمت حتى الجزيرة الخضراء وخاضت معركة مع

(١) وصف الشاعر عباس بن مرداس معركة « وادي سليط » بقصيدة منها :

لهوم الفلا عبل القبائل ملتف	ومؤتلف الاصوات مختلف الزحف
بروقاً تراءى في الغمام وتستغفي	إذا أرمضت فيه الصوارم خلتها
قراقر في يم عجزن عن القذف	كان ذرى الأعلام في ميلاتها
على النفر المبدان والعصبة الغلف	بكى جبلاً وادي سليط فأعولا
أرى الموت قدامي وتحقي ومن خلفي	يقول ابن يوليس لموسى وقد ثأني
وألفاً وألفاً بعد ألف إلى ألف	قتلنا لهم ألفاً وألفاً ومثلها
فأغرق فيه أو تدأدأ من جرف	سوى من طواه النهر في مُسْلَحَبِه

ابن عذارى ٢ - ١٦٦

المسلمين انتصر فيها النورمان . واعملوا في اشبيليا تدميراً واحراقاً وسيئاً . ثم رجعوا الى ريف الاندلس وتجمعت قواتهم عند ساحل « تدمير » ، ثم تقدموا منه الى حصن اوريوле ومنها الى افرنجة حيث شتوا بها واستباحوا الأموال والنساء والأطفال . وبعد ذلك رجعوا الى ريف بحر الأندلس ، وكانت البحرية الاسبانية تلاحق مراكب النورمان فاغرقت منها أربعين مركباً . وركب النورمان زوارقهم فطاردتهم قطع البحرية الأندلسية واستولت على مركبين قرب شذونة كاتا مثقلين بالغنائم والأموال ، ومضت بقية المراكب ، وأمكن لها الفرار بعد أن تكبدت خسائر فادحة . ثم ظهرت مراكب النورمان في الشمال فقامت بانزال قريباً من بنبلونه ، ونجحت في أسر ، حاكمها غرسيه ، ولم تطلق سراحه الا بعد أن دفع فدية كبيرة . كما أغارت قوات منهم على الجزائر الشرقية « الباليار » وعلى شواطئ بروفانس حيث عبروا وادي اردونة « الرودن » ودمروا مدن آرل ، ونيقة « نيس » ، وفالانس «^(١)» .

٣ - عمليات الردع في الشمال :

١ - أصبح تحالف غرسية اوجارسيا ملك نافار وأردون^(٢) ملك جيليقية يشكل خطراً على الحدود الشمالية للاندلس . وأفاد الأمير محمد من الضربة التي وجهها النورمان ضد نافار ، فنظم قوات كبيرة ووجهها عام ١٠٢٦م - ١٠٢٩م . بقيادة حاكم طرطوشة للقيام بمهمة الردع في مملكتي نافار وجيليقية . [وخرج حاكم طرطوشة بجيشه خروجاً لم يخرج قبله مثله جمعاً وكثرة وكمال عدة وظهور هيبة] وانطلق في اقاليم بنبلونة متردداً فيها اثني وثلاثين يوماً يخرب المنازل ويقتحم الحصون وفي طليعتها أهمية حصن « قشتيل » حيث أسرف فيه

(١) ابن الاثير ، احدث سنة ١٠٢٤هـ ، وابن عذارى ٢ - ١٤٦هـ ، ونفع الطيب ١ - ٣٥٠هـ .

(٢) هو اردن ، أو ، اردون بن الفونس Ordano

فرتون بن غربية المعروف « بالأنقر » وقدم به الى قرطبة فأقام بها نحواً من عشرين سنة ثم رده الأمير الى بلده .

٢ - وفي عام ٨٢٤٧ - ٨٦١ م : أراد الأمير محمد متابعة أعمال الردع في جيليقية فكتب له عامله موسى بن موسى طالباً تقدم الصائفة عن محور غير محور تطيلة نظراً لما أصاب قوات موسى من إرهاب وخسائر في عملياته السابقة ونظراً لما تعرض له اقليمه من دمار وخراب بسبب وقوع الحرب في اقليمه فاستجاب الأمير محمد لطلب واليه موسى بن موسى ووجه جيشاً كبيراً بقيادة محمد بن سليم ، ونجح جيش قرطبة بانزال فادح الخسائر باقليم جيليقية .

٣ - وفي عام ٨٢٤٨ - ٨٦٢ م : تقدم موسى بن موسى ^(١) لمقاتلة ابن سالم

(١) موسى بن موسى بن فرتون بن قسي « القسوي » وكان جدهم الاعلى الكونت قسي Kasi من أشرف القوط ، وكان جدهم الأعلى هذا وقت الفتح من حكام الثغر الأعلى « أراجون » فاعتنق الاسلام حتى يحتفظ بمكائنه وأصبح اولاده من بعده زعماء المولدين في الثغر ، وكانت لهم باستمرار علاقات مصاهرة مع جيرانهم من أمراء البشكنش النصارى وغيرهم (المقتبس ، ابن حيان القرطبي ١٦ و ١٧) . كان موسى بن موسى ، ينزع الى الاستقلال باقليمه بحيث لم تكن علاقته بأمير قرطبة تتجاوز حدود الولاء الاسمي وقد رضي الامير عبد الرحمن ومن بعده الأمير محمد بذلك للافادة منه ، كقاعدة متقدمة في مواجهة الشمال . وكانت علاقات موسى بن موسى بملك ليون - اردونيو - تتأرجح بين الخصومة والتحالف وفقاً للظروف ، ذلك أن اردونيو كان ينظر الى نمو جاره في الغرب - موسى - بعين القلق . وكان موسى في الوقت ذاته يحرص على تحصين ثغوره المتاخمة لمملكة ليون . فتوجه عام ٨٢٤٨ - ٨٦٢ م الى الغرب لتحصين قواعده ومعه صهره جارسيا امير نافار فحاول « اردونيو » دفع موسى ، وهاجم بعض الحصون التابعة لموسى وفي مقدمتها حصن « البلوة » . ونشبت بين الفريقين معركة ضارية قتل فيها جارسيا كما اصاب ذاته بجراح توفي على أثرها .

- خسرت قرطبة بوفاة موسى عاملاً قوياً ، كان يحفظ لها الشمال الشرقي ، ويقف سدأ في وجه كل عدوان فلما توفي أعلن ابنه « لب » خضوعه لاردونيو ملك ليون ، وتحالف معه ضد



في وادي الحجارة ، وخاض معركة ضارية اصيب فيها بجراح لم يلبث أن توفي على أثرها .

٤ - وفي عام ٨٢٤٩ هـ - ٨٦٣ م ، توجه عبد الرحمن بن الأمير محمد على رأس جيش كبير بقيادة عبد الملك بن العباس ، في اتجاه الشمال ، ووصل إلى اقليم « البه والقلاع » وطبق في عملياته « استراتيجية الأرض المحروقة » فدمر الحصون ، وأحرق المزارع والقرى ومزق كل مقاومة جابهته ، وعندما وصل جيش المسلمين الى « مضيق الفج » وهو محور التقدم إلى قلب جيلية إصطدم بقوات الجيش الكبير الذي وجهه ملك جيلية « أردون بن ألفونس » بقيادة أخيه ، ووقعت معركة طاحنة أظهر المسلمون فيها قدراً كبيراً من الصبر والتصميم حتى استطاعوا انتزاع النصر ، ونجح القائد عبد الملك في تمزيق جيش جيلية وكعبه فادح الخسائر وكان من بين قتلى العدو تسعة عشر كونتاً - قومساً - . وأمضى الأمير عبد الرحمن السنة التالية في إعادة تنظيم القوات والاستعداد ، ثم وجه جيشه بقيادة ابنه عبد الرحمن لمتابعة أعمال الردع في الشمال .

٥ - وقعة الخندق - بمركوين - ٨٢٥١ هـ : ٨٦٥ م :

- أفاد رودريك من الهدوء الذي تميز به عام ٨٢٥٠ هـ بسبب عدم توجيه جيش من قرطبة إلى جيلية ، فعمل رودريك على تحصين حدود اقليمه وسخر أهل مملكته لاقتطاع أطراف الجبال عند المضائق وجعلها قائمة يصعب على الفرسان تسلقها ، ثم حفر الخنادق عند محاور الطرق وفي الوقت ذاته ضمن حماية جبهة بلاده بأقامة تحالف بين حكام القلاع وتوتة وبرجيه ومسافقه .

المسلمين وزحف الى وادي الحجارة بهدف الاستيلاء عليه . فتصدى له ابن سالم والحق به الهزيمة وأصابه بجراح توفي بعدها فأنتهى الأمر لآخوته الثلاثة إسماعيل ، ومطرف وفرتون . وأصبحت الولايات الشمالية ، مصدر الاضطرابات مما فرض على امير قرطبة تركيز جهد خاص بها.

- في بداية صيف عام ٨٦٥م ، قاد عبد الرحمن بن الأمير محمد قوة الصائفة ووصل بها حتى نهر دوبره ، وانضمت اليه قوات دعم كبيرة من الأقاليم كلها ، فأعاد تنظيم قواته ، ثم تقدم حتى مضيق « برذيش » ، اوفج برذيش ، حيث وقع الصدام الأول مع حاميات الحصون والقلاع ، ونجح عبد الرحمن في الاستيلاء على أربعة منها ودمرها وباد الحاميات المدافعة عنها ، ثم استأنف تقدمه مدمراً ، التحصينات التي جابهته حتى لم يبق في الأقاليم الأربعة موضع للمقاومة إلا وأصابه الدمار . وبذلك أصبح الطريق إلى جيليقية مفتوحاً ، فتقدم جيش المسلمين إلى « الملاحة » وكانت من أكثر أقاليم جيليقية أهمية ، فأعمل فيها تدميراً واحرقاً وعندما وصل في تقدمه الى « مضيق المركوين » تصدت له الحامية المدافعة عن محور الطريق ، لكن قوات المسلمين نجحت في ازالة المقاومة بسرعة وارغمتها على ترك مواقعها . وتوقفت قوات المسلمين أمام الخندق .

- أرسل عبد الرحمن مفارز الاستطلاع لتحديد مواقع الكيائن المعادية وقوتها عند جانبي الطريق وفي العمق . ثم قام بتنظيم هجومه الحاسم على ضوء المعلومات الدقيقة التي أمكن الحصول عليها ، ودارت معارك قاسية بين قوات الطرفين وقمت خلالها خسائر فادحة من قوات المسلمين وخصومهم على حد سواء ، لكن قوات المسلمين استطاعت في النهاية أن ترغم جيش جيليقية على ترك مواقعه الحصينة والانسحاب حتى التلال الواقعة على مسافة بعيدة خلف الخندق .

- أصدر قائد الجيش ، عبد الرحمن - أوامره بالتوقف ، واقامة معسكر للمسلمين بهدف اقناع خصمه بعدم جدوى المقاومة ، وتعريفه بتصميمه على البقاء حتى احراز نصر حاسم . وتابع قائد الجيش في الوقت ذاته توجيه الاغارات في الوقت الذي كان يتم فيه ردم الخندق وتسوية المواقع وازالة العقبات ، وعندما

انهى المسلمون استعدادهم ، نظم قائد الجيش هجوماً حاسماً استطاع أن يمزق به قوات خصمه التي أخذت في الفرار بعيداً عن ميدان المعركة دون نظام .

طارد فرسان المسلمين فلول قوات جيش رودريك حتى الأهزون ، واقتنعوا عليهم نهر ابرة فالقى عدد كبير منهم أنفسهم بالنهر وماتوا غرقاً .

– وفي الوقت ذاته انطلقت مجموعات أخرى من الفرسان لمطاردة الهاربين في الجبال والفياض وأبادوا منهم مجموعات كبيرة .

– كانت معركة الحندق « في مراكين » من المعارك الكبرى بحيث وصل عدد قتلى العدو إلى ٢٠٤٧٢ عشرين ألفاً وأربعمائة واثنين وسبعين قتيلاً^(١) .

٦ – ٢٥٢ هـ – ٨٦٦ م : وجه الأمير محمد حملة أخرى إلى الشمال بقيادة الحكم بن محمد مفاث في أرض النصارى ، واستولى على بعض الحصون وكانت هذه الغزوات المتوالية قد استنزفت قوة الامارات المستقلة في الشمال فركنوا حيناً إلى السكينة والهدوء وفي هذه السنة ، ٨٦٦ م ، توفي ملكهم اردونيو فخلفه ولده الفونسو الثالث الذي عرف فيما بعد باسم الفونسو الكبير .

– في الوقت الذي كانت قوات الحكم تقوم بعملياتها في جيليقية كان أسطول المسلمين يقلع من موانئه « غرب الأندلس » ويسلك محوراً موازياً للساحل عبر المحيط الأطلسي متوجهاً من الجنوب نحو الشمال حتى وصل مصب نهر منهو ، بقيادة أمير الماء « عبد الحميد بن مغيث » ولكن قوات الاسطول لم تنجح في تنفيذ عملياتها بسبب العواصف القوية التي مزقت قطع الأسطول وأغرقت قسماً كبيراً منها في مياه المحيط . ولكن هذه التجربة كانت رائدة في هذا المجال ، فقد استطاع المنصور بن أبي عامر ، إعادة العملية ذاتها عام ٣٨٧ هـ – ٩٩٧ م

.....

(١) ابن عذارى ٢ – ١٤٩ ووضع ابن الاثير هذه الاحداث في سنة ٢٥١ هـ وذكر الحائر ٢٤٩٢ قتيلاً ، وقد يكون هذا الرقم اقرب الى الدقة .

ونجح بواسطتها في احتلال جيليقية كلها وتدمير المقاومات ، وفتح سنت
ياقب^(١) .

لم يتمكن الامير محمد من متابعة عملياته بعد ذلك في الشمال بسبب
الثورات المضادة التي استمرت طوال عهده واستنزفت قوة الدولة وامكاناتها ،
ورغم انه لا علاقة لفن الحرب بهذه الثورات ، لكنها كانت ذات تأثير غير
مباشر ، في استنزاف قوة العرب ، المسلمين في الاندلس ولهذا فسيتم ايجازها فيما
يلي نظراً لما كان لها من دور خطير ستظهر نتائجه في مستقبل مسيرة العمليات .

(١) ذكر ابن عذارى هذه المعركة في احداث سنة ٢٦٦ هـ .

د - الثورات المضادة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

كان من أبرز هذه الثورات ثورة عمر بن حفصون ، ونظراً لامتداد هذه الثورة حقبة طويلة من الزمن فسيتم ايجازها بصورة منفصلة ، في حين سيتم ايجاز بقية الثورات فيما يلي :

الترتيب	تاريخ الثورة	قائدها	مكان تمركزها	الاجراءات	النتيجة
١	٨٢٥٤ - ٨٢٦٨ م	عبد الرحمن بن مروان وابن شاكر وابن مكحول	مارده	قاد الأمير محمد جيشاً بنفسه	القضاء على الثورة وحل قاداتها إلى قرطبة .
٢	٨٢٥٥ - ٨٢٦٩ م	سليمان بن عبدوس	مريه	توجيه مجموعة قتالية بقيادة الحكم ابن الأمير محمد .	القضاء على الثورة وحل قائدها إلى قرطبة .
٣	٨٢٥٦ - ٨٢٦٩ م	لب بن زكريا بن عمرو	وشقه	توجيه عدة مجموعات قتالية .	القضاء على التمرد وقتل لب بن زكريا بن عمرو
٤	٨٢٥٧ - ٨٢٧٠ م	زكريا بن عمرو	سرقسطه	توجيه عبد الفاخر ابن عبد العزيز حاكم تطيله للقضاء على التمرد .	قتل ابن عمرو وأهله وأنصاره ..
٥	٨٢٥٨ - ٨٢٧١ م	مطرف واسماعيل أولاد لب بن زكريا ابن عمرو ومعهم يونس بن زباط .	سرقسطه وتطيله	قاد الأمير محمد الجيش بنفسه في السنة التالية إلى تطيله وبنبلونه	اخضاع التمرد وقتل عدد من الثائرين وفرار البعض الآخر .

١	تاريخ الثورة	قائدها	مكان تمرورها	الاجراءات	النتيجة
٦	٨٢٦٠ - ٨٧٣ م	ثورات الثغور	سرقسطه وبنبلونه	توجيه المنذر بن محمد والقائد هاشم ابن عبد العزيز	إخضاع الأقاليم الثائرة وقدميرها.
٧	٨٢٦١ - ٨٧٤ م	ابن مروان الجليقي	قلعة حنش بمادده	قاد الأمير محمد الجيش بنفسه	اخضع التمرد ووافق على طلب الثائر ابن مروان الاستقرار في بطليوس والاقامة فيها ..
٨	٨٢٦٢ - ٨٧٥ م	هرب ابن مروان الجليقي مرة أخرى	بطليوس	أرسل الأمير قوة بقيادة وزيره هاشم ابن عبد العزيز	هزيمة جيش قرطبة ووقوع هاشم بن عبد العزيز أسيراً.
٩	٨٢٦٣ - ٨٧٦ م		بطليوس	وجه الأمير قوة بقيادة ابنه المنذر	هرب ابن مروان إلى الشمال والتجأ إلى «بلاد العدو».
١٠	٨٢٦٤ - ٨٧٧ م	استمرار تمرد بني موسي في الثغور	سرقسطه وجيليقه	حارب المنذر بن محمد في سرقسطه ثم انتقل إلى تطيله ودخل البراء بن مالك إلى جيليقه	تدمير الأقاليم التمردة .

النتيجة	الاجراءات	مكان تركزها	قائدها	تاريخ الثورة	الرقم
اخضاع التمرد وحمل زعيم الثورة إلى قرطبة .	قام الوزير هاشم ابن عبد العزيز بقيادة الهجوم .	ريا وتاكرنا والجزيرة	يحيى المعروف بالجزيري	٨٢٦٥ - ٨٢٧٩ م	١١
اخضاع التمرد ونقل قبائل عربية منها بني رفاعه وغيرهم، واستمرت العملية حتى العام التالي ^(١) .	قام الوزير محمد بن أمية بن شهيد بقيادة الهجوم .	كورة ريا وكورة البيرة	تمرد الثغور	٨٢٦٩ - ٨٨٣ م	١٢

٥ - ثورة عمر بن حفصون

ينسب عمر بن حفصون إلى أسرة تزعم انها تنحدر من نسل نبيل قوطي يدعى الفونسو ، وكان جعفر والد جد الثائر أول داخل في الاسلام .

وذكر ابن عذارى نسبه كما يلي :

عمر بن حفصون المعروف بحفص بن جعفر بن شيتم بن ذبيان بن فرغلوش بن اذفونش - الفونس - من مسالة النمة ، ومن كورة تاكرنا التابعة لرنده ، وكان الذي اسلم منهم جعفر بن شيتم ففشا نسله في الاسلام^(٢) .

(١) لطالمة تفاصيل حركات الثورة المضادة في البيان المغرب ١٤٩ / ٢ - ١٦٦ ، وتاريخ العرب في الاندلس محمد عبد الله عنان « عهد الفتنة الكبرى » . وتاريخ المسلمين في الاندلس - دوزي - ٣٥٦ - ٣٦٢ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ١٥٦ .

كان حفص والد الثائر ذا مال ووجاهة فأضاف الى اسمه «ون» للتأكيد على اصلته فأصبح يعرف باسم حفصون . وترك ثلاثة أولاد أكبرهم عمر الذي تميز عن أخويه بمزاجه الحاد وشراسة طبعه فقتل وهو في حداثة عمره جاراً له مما دفعه إلى الهروب نحو الجبال حيث ألف حياة العصابات ومارس أعمال السلب فقبض عليه وكان عامل الاقليم يحبل ماضيه فأشفق على حدائه سنة ولم يقتله كما كان يفعل مع الخارجين على القانون وإنما اكتفى بحلده ثم اطلق سراحه . وخاف عمر بن حفصون افتضاح أمره فهرب الى افريقية ، واستقر بتاهرت وعمل عند خياط من أهل جلدته وتعرف عليه أحد شيوخ المولدين ، وخاف الوشاية فرجع مرة أخرى الى الاندلس ولجأ الى بربشتر ، حيث بدأ ظهوره فيها ..

كان عمر بن حفصون شجاعاً ، كريماً ، شديد البأس على أنصاره ، يلزمهم بطاعته طاعة عمياء ، ويقتل منهم كل خارج على تعاليمه ، فانتشر الأمن في الربوع التي سيطر عليها وكان في ذلك مصدر قوته حيث خضع له الأغنياء لمخائبتهم ، وأطاعه المشردون لتأمين موارد حياتهم ، وضم في صفوف أنصاره مجموعات متناقضة يجمعها عامل واحد هو الحق على «الحكم الأموي» فكان بين المقاتلين من جموعه العرب والبربر والمولدين والمستعربين والنصارى والمسلمين .. ولعل أفضل وصف له : [.. انه ، امام الثائرين وقودتهم ، وهو اعلامهم ذكراً في الباطل ، واضخمهم بصيرة في الخلاف ، واشدهم سلطاناً واعظهم كيداً وأبدهم قوة ...]^(١) .

(١) ابن حيان - المقتبس - ١٩ .

ثورة عمر بن حفصون

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١ ربيع ٢	ايلول ٨٥٢	وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم « الاوسط » وخلافة محمد بن عبد الرحمن .
٢٣٨	٨٨٠	جمع عمر بن حفصون حوله أربعين رجلاً ، وجعل من بربشتر ^(١) قاعدة له واستقطب حوله العصاة والشائرين فسيطر بهم على المناطق الجبلية الوعرة بين رندة ومالقا .
٢ ٢٧٨	٨٨٠	حاول عامل رية القضاء على الثورة في مهدها فتوجه إلى بربشتر ، لكن ابن حفصون انتصر عليه ، فعزل الأمير محمد العامل المهزوم وعين عاملاً جديداً لم يتمكن من اخضاع ابن حفصون فاكتفى بعقد هدنة معه ، وعندما وجه الأمير محمد وزيره « هاشم بن عبد العزيز على رأس جيش كبير فشدد الوزير هاشم قبضة الحصار على بربشتر وأسر عدداً من أنصار ابن حفصون وأرغمه في النهاية على الاستسلام وحمله إلى قرطبة ومعه سائر عصابته فغفى عنه الأمير محمد وضمه إلى جيشه .

(١) بربشتر Bobastro ، من أمنع حصون الأندلس ، على بعد ٥ كم الى الشمال الغربي من بليش حالياً (Velez de Malaga) على الساحل الجنوبي للأندلس ..

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٣	٢٧٠	٨٨٣
<p>توجه المنذر إلى الثغر الأعلى لقتال محمد بن لب « من بني قس المولدين أيضاً » . وكان ابن حفصون من كبار قادة جيش المنذر ، بيد أنه لم يكن راضياً كل الرضى عن منصبه فلم يلبث أن فرحت جنح الليل ومعه نفر من أصحابه وعاد إلى برشتر حيث استأنف ثورته ، وانضمت إليه جموع الخوارج والمتمردين .</p>		
٤	٢٧٣	٨٨٦
<p>خرج المنذر لقتال ابن حفصون وبدأ عملياته بالتوجه إلى الحامة شمال مالاكا حيث التائر ابن حمدون حليف ابن حفصون فأسرع ابن حفصون لنجدة حليفه وحاصر المنذر « الحامة » مدة شهرين ، وعندما أشرفت المدينة على الاستسلام وقد نفذت مؤناتها ، خرج الحليفان ابن حفصون وابن حمدون للقاء المنذر ودارت معركة طاحنة انتصر فيها المنذر وهزم الثوار وجرح ابن حفصون ، وارتد مع قلول أصحابه إلى الحامة واعتصم بمحصولها من جديد . وبينما المنذر مقيم على حصار الحامة . علم بوفاة أبيه فاضطر لرفع الحصار والعودة إلى قرطبة .</p>		
٢٩ صفر	اول تموز	٨٨٦
<p>وفاة محمد بن عبد الرحمن وخلافة المنذر : أفاد عمر بن حفصون من فترة انتقال الحكم للمنذر</p>		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		<p>فسيطر على القواعد والحصون الجنوبية كلها . وخضعت له كورة رية وأرشدونة ومالاقا وجيان واستجة وغيرها واجتمع اليه الخوارج والمغامرون من جميع أنحاء الأندلس ، وأخذ يطمح في الاستيلاء على الاندلس كلها . وأظهر الدعوة لبني العباس ، وكتب « ابن الأغلب » ، وجعل من بريشتر قاعدة له بعد أن طرد عامل أمير قرطبة منها وسبى جاريته وتزوجها وكانت هذه أم ولده الأكبر سليمان الذي قاد ثورته بعد وفاة أبيه .</p>
٢٧٤	٨٨٧	<p>قاد المنذر بنفسه جيشاً كبيراً ، وأظهر تصميمه على سحق تمرد ابن حفصون فتوجه إلى ربة وحاصر أرشدونة الواقعة غرب لَوْشَة حتى خضعت له ، وافتتح حصون « باغة » ^(١) وقبض على عيسون حاكم أرشدونة ، وبني مطروح حلفاء ابن حفصون في باغة وبعث بهم جميعاً إلى قرطبة حيث قتلوا جميعاً وصلب مع عيسون خنزير وكلب امعاناً في التمثيل به ، ثم تابع المنذر تقدمه حتى وصل بريشتر فحاصرها وعزلها عن كل ما يحيط بها وضيق عليها ، وعندما اشتد الأمر على ابن حفصون لجأ إلى الحيلة فطلب الصلح وعرض التسليم وأعلن عزمه على السير إلى قرطبة بأهله</p>

(١) باغة ، أو بريجو Priego .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		<p>وولده ، فأجابہ المنذر ، وأمدہ بما طلبہ من غذاء ودواب ولباس ، فبعث بها ابن حفصون إلى قلاعہ وقفل المنذر یحیشہ يتبعہ ابن حفصون الذي استطاع الهرب من جديد والعودة الى بربشتر ، فعاد المنذر وهو أكثر تصميماً على سحق الثائر لخيانته وغدره ، وحاصر بربشتر معزماً ألا يبرحها حتى يقبض على الثائر . واستمر الحصار ثلاثة وأربعين يوماً ، ومرض المنذر ، فاستقدم أخاه عبد الله من قرطبة ليتابع الحصار عوضاً عنه ، وتوفي المنذر تحت أسوار بربشتر ..</p>
٦	منتصف صفر ٢٧٥	<p>وفاة المنذر وخلافة أخيه عبد الله ..</p>
	حزيران يوليو ٨٨٨	
	٢٧٥	<p>طلب ابن حفصون الصلح من الأمير عبد الله حتى تتاح له فرصة إعادة تنظيم قواته ، ووافق الأمير عبد الله في انتظار انتهاء استمداده ، ثم لم يلبث ابن حفصون طويلاً حتى نكث بوعده وأخذ في توسيع نطاق عملياته .</p>
٧	٢٧٦	<p>قاد الأمير عبد الله جيشاً لاختضاع ثورة ابن حفصون ، ونجح في تدمير الاقليم ولكنه لم ينجح في اخماد الثورة ، مما ضاعف من قوة ابن حفصون حتى أصبح يهدد قرطبة وينازع أميرها سلطته .</p>
	٨٨٩	

موجز الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	
٢٧٨	٨٩١	٨
- معركة بلادي -		
كانت بلادي من أمنع حصون قبره ، وقد وجه الأمير عبد الله قوة مكونة من ١٨,٠٠٠ مقاتل بقيادة قائد الفرسان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة ، والتقت هذه القوة بجيش ابن حفصون الذي ضم ٣٠,٠٠٠ ثلاثين ألف مقاتل ، وتجاه هذا التفوق ركز قائد الفرسان عبيد الله ثقل هجومه على الجناح الأيسر لقوات ابن حفصون ف سحقه ، ثم نقل مركز ثقل الهجوم إلى الجناح الآخر وأمكن له تدمير العدو المتفوق فانسحبت فلول جيش ابن حفصون من بلادي إلى بربرشتر ، وتابع عبيد الله تقدمه حتى وصل استجه فأخضعها وأرسل زعماء الثورة إلى قرطبة (١) .		
٢٨١	٨٩٤	٩
توجه المطرف ابن الأمير عبد الله الى بربرشتر ، وحاصرها ، ودارت معارك طاحنة قتل خلالها حفص بن المره أشجع قادة ابن حفصون ، واستولى على استجه للمرة الثانية ..		
٢٨٤	٨٩٧	١٠
- استطاع ابن حفصون إعادة سيطرته مرة أخرى على استجه .		

(١) كافأ الامير عبيد الله قائد فرسانه بتعيينه وزيراً بعد هذا النصر الحاسم، وهناك قصيدة رائعة تشيد بنصر معركة بلادي في المقتبس - ابن حيان ص ٩٧ - ١٠٠ .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢٨٥	٨٩٨	١١ - أرسل الامير عبدالله جيشاً كبيراً بقيادة ابنه ، ومعه أحمد بن أبي عبيدة لقتال ابن حفصون ، وقام هذا الجيش بجولة واسعة في اقليم ريه ومالاقا ، وخاض معارك ثانوية لكنه لم يحقق انتصاراً حاسماً ..
		- عقد ابن حفصون في هذه الفترة حلفاً مع محمد ابن لب - القسوي - وأرسل محمد بن لب ابنه « لباً » في بعض قواته الى ابن حفصون بهدف توثيق عرى التعاون بينهما ، ولكن لباً تلقى بعد فترة قصيرة نبأ وفاة أبيه محمد ، أمام أسوار طليطلة ففادر بربشر ، دون أن يبرم أمراً مع ابن حفصون وفشل التحالف وهو في بدايته (١).
٢٨٦	٨٩٩	١٢ اعلن ابن حفصون اعتناقه وساند أفراد أسرته النصرانية واستبدل اسمه باسم « صاموئيل » وقاوض الفونسو الثالث ملك ليون وبنو قمي ، كما قاوض بعض امراء المغرب .
		وكان اشهاره النصرانية سبباً في تخلي عدد كبير من المسلمين عن نصرته والامتناع عن تأييدهم له .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١٣	٢٨٨	٩٠٠
١٤	٢٨٩	٩٠١
١٥	٢٩٥	٩٠٨

— تحالف ابن حفصون مع سيد اشيلية ابراهيم ابن حجاج ، وحاول أمير قرطبة الوصول الى صلح مع ابن حفصون لكن هذا امتنع ، ولم تستمر الهدنة بينهما طويلاً ..

— وجه الأمير عبد الله جيشاً كبيراً لقتال ابن حفصون ، فأرسل عمر بن حفصون قواته يدعها فرسان ابراهيم بن حجاج والتقت قوات الطرفين عند مدينة استبه على مقربة من نهر شنيل ودارت رحى معركة رهيبة انتهت بانتصار جند قرطبة ، وأعدم الأمير عبد الله رهائن ابن حفصون فخاف ابراهيم بن حجاج أن يعمل الأمير عبد الله على اعدام ابنه عبد الرحمن الذي كان يحتفظ به أمير قرطبة رهينة عنده ففاوض الأمير عبد الله في الصلح ، واستجاب الأمير لطلبه وأطلق سراح عبد الرحمن وأعاده مكرماً فعاد ابراهيم الى سابق عهده وولائه للأمير قرطبة .

— وجه الامير عبد الله جيشه إلى بربشتر، حيث معقل الثائر ابن حفصون ، وعاث جند قرطبة في الاقليم ، لكنهم لم يحققوا انتصاراً حاسماً على خصمهم ..

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١٦	٢٩٧	٩١٠
<p>– توجهت حملة قوية بقيادة أحمد بن أبي عبيدة الى « كورة ربه » واشتبكت مع قوات ابن حفصون في عدد من المعارك الثانوية التي لم تحقق نصراً حاسماً ..</p> <p>واستمر توجيه الحملات بعد ذلك في كل عام دون الوصول الى نتيجة ..</p>		
ربيع أول	تشرين الأول	٩١٢
٣٠٠		
<p>– وفاة الأمير عبد الله وخلافة عبد الرحمن الناصر « الثالث » .</p>		
١٧	شعبان	آذار
٣٠٠	مارس	٩١٣
<p>– قاد الأمير عبد الرحمن بنفسه الجيش المتوجه لحرب ابن حفصون ، وأخذ مدينة ربه من الحصار الذي كان قد نظمه ابن حفصون ، ثم انتزع منه حصون منتلون وشمنتان ومنتبشه وغيرها ، وتابع تحرير المدن الموالية لابن حفصون في كورة البيرة وتطهيرها من أنصاره ، وتوجه بعد ذلك الى وادي آش ، فاحتل الحصون والقلاع المنتشرة فيه وأوغل في تقدمه عبر شعاب جبل الثلج « سيرانيفادا » وعاد الى قرطبة بعد ثلاثة أشهر من العمليات المستمرة ..</p>		
١٨	٣٠١	٩١٤
<p>– تقدم الامير عبد الرحمن في غزوته الثانية لحرب ابن حفصون ، وسلك محور وادي ربه ، ووقعت معركة بينه وبين ابن حفصون أمام</p>		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		<p>قلعة طرش قتل فيها عدد كبير من جند ابن حفصون وحلفائه النصارى ، واستطاع أسطول عبد الرحمن أن يستولي على مجموعة من السفن المحملة بالموث والامداد من عدوة المغرب لدعم ابن حفصون وعمل على احراقها ..</p> <p>سار الأمير عبد الرحمن بعد ذلك الى شذونه ومنها الى قرمونه وحاصرها حتى استسلمت له.</p>
١٩	٣٠٥	٩١٨
		<p>— وفاة عمر بن حفصون ، وقد خلف أربع أبناء هم جعفر وعبد الرحمن وسليان وحفص وابنة هي « أرجنشا » ، فقام جعفر مكان ابيه في بربشتر . واستقل عبد الرحمن في حصن طرش . بينما تمركز سليمان في ابدنه ..</p>
٢٠	٣٠٥	٩١٨
		<p>— وجه الامير عبد الرحمن جند الاندلس الى ابدنه ، فاستولى عليها وأخذ سليمان أسيراً إلى قرطبة ، فأكرمه الأمير عبد الرحمن وعفا عنه وضمه الى جيشه ، واستسلم عبد الرحمن بن حفصون دون قتال .</p>
٢١	٣٠٨	٩٢٠
		<p>— قتل جعفر في بربشتر ، فقام أخوه سليمان مكانه وأقره عبد الرحمن على ولايته ولكنه نكث عهد الطاعة فسار الامير عبد الرحمن لحصاره فامتنع في حصونه ..</p>

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢٢	٣١١	٩٢٣ - قاد الامير عبد الرحمن جند الاندلس لحصار بربشتر ، لكنه لم ينجح في اخضاعها .
٢٣	٣١٤	٩٢٦ - أرسل الامير عبد الرحمن جند الاندلس بقيادة وزيره عبد الحميد بن سبيل الى بربشتر ، وخرج سليمان بن عمر بن حفصون للقائه ، فهزمت قوات ابن حفصون وقتل سليمان ، وقدم حفص أخاه مكانه ، واستمر على المقاومة ، لكنه اضطر في النهاية الى الاستسلام ، فأخذ أسيراً الى قرطبة فعفى عنه الامير عبد الرحمن وضمه الى جيشه ..
٢٤	٣١٦	٩٢٨ - سار عبد الرحمن الى بربشتر ، وعين والياً لها ، وأمر باخراج رفات عمر بن حفصون وولده سليمان وأرسلها الى قرطبة لتعليقها على أبوابها ، وهدم جميع الكنائس والأديرة التي ابتناها الثائر ابن حفصون في تلك المنطقة واستولى على المعقل والحصون جميعها وطهرها من آثار الثورة الأخيرة .
	٣١٩	٩٣١ - اصدر امير قرطبة ، الخليفة عبد الرحمن الناصر ، أوامره بالقبض على « ارجنثا » ابنة عمر بن حفصون واعدادها لارتدادها عن دين الاسلام . ونفذ الحكم ^(١) .

(١) البيان المغرب ٢ / ١٩١ - ٢٠٩ ، وابن خلدون ٤ / ١٣٥ .

حروب الاستنزاف واستعمار الثورات المضادة

تميزت الفترة الأخيرة من حكم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
٢٣٨ - ٢٧٣ هـ - ٨٥٢ - ٨٦٦ م . وفترة حكم المنذر ٢٧٣ - ٢٧٥ هـ -
٨٨٦ - ٨٨٨ م . وفترة حكم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ -
٨٨٨ - ٩١٢ م .

كانت هذه الفترة من حياة الاندلس الاسلامية حافلة بالاضطرابات الكثيرة ،
والثورات المضادة والحركات الاستقلالية مما أضعف الحكم الأموي في قرطبة ،
وجعل الحكام في حالة عجز تام عن مجابهة أعداء الشمال ..

ورغم ان عمليات قمع حركات التمرد ومقاومة الثورات قد نفذت وفق
مخططات عسكرية دقيقة ، لكنها لم تتميز بلامح جديدة ولم تحدث تطوراً جديداً
في فن الحرب ولهذا فان دراستها تشكل موضوعاً مستقلاً يمكن وضعه في اطار
« الثورات المضادة » وهو ما يخرج عن موضوع الدراسة الحالية .

ولهذا ، ورغم ان هذه الدراسة بعيدة عن موضوع الكتاب فانه قد يكون
من الضروري التعرض لبعض ملامحها وذلك :

١- لاظهار الصورة العامة للموقف خلال هذه الفترة ..

٢- لما كان لها من اثر في استنزاف قوة الدولة وقدرتها ..

٣- لما كان لها من اثر في نمو دول الشمال وتعاظم قوتها وانتقالها الى مراحل
متطورة ساعدت بالمقابل على تطوير أعمال الردع والهجمات الوقائية خلال المرحلة
التالية وهي التي تعاقب فيها ثلاثة من الحكام ، وهم : عبد الرحمن الثالث وابنه
الحكم وأبي عامر « المنصور » ..

عناصر الثورات المضادة

أ - مراكز القوى في الشمال ..

ان استعراض مسيرة الأحداث ومطالعة تطورات الثورات المضادة يظهر بوضوح ان حركات التمرد الخطيرة هي تلك التي تركزت في الشمال واستندت بصورة أساسية الى العناصر غير العربية ، من مولدين ومستعربين وبربر ، وكان القاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً خقدهم على العنصر العربي في البداية ثم تطور الحقد - بتأثير الكنيسة - الى كراهية للعرب ودين العرب .

وقد تم في الصفحات السابقة ذكر بعض الاسباب التي دفعت عناصر الثورة المضادة الى التركز في الشمال ، والتي يمكن ايجازها وجمعها بما يلي :

١ - وجود طليطلة عاصمة « القوط » في الشمال ، كمرکز للإشعاع المضاد ولاستقطاب العناصر الثائرة .

٢ - استيطان العرب في الجنوب بالدرجة الاولى ، بسبب قربهم من عدوة المغرب ، وبسبب طبيعته المائلة لطبيعة المشرق ، والرغبة في الاستيطان عند المناطق الخصبه والابتعاد عن المناطق الجبلية الوعرة في الشمال وذلك على نحو يشابه تماماً ما فعله العرب المسلمون عند احتلالهم الشام واستيطانهم فيها . وكان لهذا الاستيطان محاسنه ومزاياه أيضاً بالنسبة لتوفير الامكانات الضرورية لتنظيم الدولة وبناء القوات المسلحة وحشد القوات في موقع متوسط ، ولا ريب ان قلة العنصر العربي كان من الاسباب الرئيسية التي حالت دون الاستيطان في الشمال ، وبالتالي السباح للعناصر المضادة بالعمل في مناخ من الحرية المطلقة ..

٣ - أفادت مراكز القوى في الشمال من بعدها عن العاصمة ومن وعورة محاور التقدم لتدعيم مواقعها وبناء قوتها الذاتية كما أفادت من قوة تحصيناتها وطبيعة مواقعها الصعبة لبناء قوتها الدفاعية ، وبذلك استكملت مراكز القوى هذه كل الضرورات الأساسية للقيام بحركاتها الاستقلالية .

٤ - وأفادت مراكز القوى من مواقعها القريبة الى الدول النصرانية فيما وراء
البيرونيه ومن دول الشمال النصرانية لتلقي الدعم الضروري لنجاح الثورات
المضادة واستمرارها ، وقد مر هذا الدعم بمراحل :

أ - اقتصر في البدايات الاولى على تبادل الرسائل ، وتنسيق التعاون بين
الهجمات الخارجية والحركات الداخلية .

ب - تطوير التعاون الى دعم كامل بالقوات بين حركات التمرد وبين جيوش
دول الشمال .

ج - الانطلاق من قاعدة قوية وذلك باللجوء الى الدول النصرانية في حال
الفشل من أجل الاستمرار في الصراع ضد العرب - المسلمين ..

د - وضع المخططات لتنسيق التعاون بين الحركات المضادة وذلك لتبادل
الدعم فيما بينها مع نقل أعمال التمرد حتى الجنوب لاضعاف الدولة وجعلها
عاجزة عن مجابهة تطورات الشمال ..

وان خبر من يمثل هذا الاتجاه في الواقع ويصوره بوضوح تام ، زعيم حركة
التمرد الكبرى - عمر بن حفصون - الذي قاد ثورة استمرت فترة طويلة حتى
امكن القضاء عليها في عهد عبد الرحمن الناصر^(١) ، وكذلك ثورة بنو قسي في
الثغر الأعلى « سرقسطه » الذين كانوا يرتبطون برباط المصاهرة مع حكام مملكة
نافار « البشكتش » .

ب - مراكز القوى في الاقاليم الجنوبية والمدن :

- استوطن العرب والبربر في الاندلس وفق نظامهم القبلي ، فكانت لكل
قبيلة كبيرة أو عصبية من العصبيات مركزها في مدينة معينة أو اقليم محدد ،
وكانت هذه العصبيات في حد ذاتها مراكز للقوى يمكن لها دعم الحكومة
المركزية في قرطبة أو اضعافها ، وفقاً للظروف وطبعاً لتطور الاحداث .

.....

(١) سيأتي فصل خاص يتم فيه استعراض ثورة عمر بن حفصون وذلك في الصفحات التالية .

- ولم يكن بالمستطاع ، حشد جميع المقاتلين في معسكرات منفصلة ، كما لم يكن بالمستطاع جعل هذه المعسكرات في منطقة واحدة ، فكان لكل اقليم جيشه الصغير الخاص به ، وكان حجم هذا الجيش يتراوح في زيادة ونقصان حسب طبيعة الاقليم وحسب الكثافة السكانية ودرجة الاستيطان فيه ، ونظراً لطبيعة مسرح العمليات ومتطلبات القتال فقد كان يتم الاعتماد بالدرجة الأولى على قوة الفرسان ، ولهذا كانت مجموعات فرسان الأقاليم هي التي تشكل مجموعة القوة الضاربة الرئيسية لجيش قرطبة . وعندما كان يتم التحرك للصائفة أو لردع العدوان أو للقيام بهجوم وقائي ، كان الخليفة يعمل على تعيين منطقة الحشد وموعد وصول القوات حيث تتم في منطقة الحشد عملية اعادة التنظيم وتبدأ مرحلة الانطلاق الى مسرح العمليات ..

- ونتيجة لوجود روح العصبية المتفجرة بين العرب والبربر على حد سواء ، ونظراً لوجود جيش مستقل في كل مدينة واطليم فقد أصبح بالامكان لزعماء الاقاليم الاستقلال بأقاليمهم ، وكان هذا الاستقلال يتأرجح زيادة ونقصاناً حسب قوة الحكم في قرطبة ، وحسب درجة التعاون والتوافق بين أمير قرطبة وأمرأ الأقاليم ، فاذا حدث تنافر ، أو اختلاف ، كان الاقليم مهيئاً لاعلان الثورة والانفصال .. ولكن وفي كل الظروف ، فان مراكز القوى هذه لم تكن في خطورتها تعادل خطورة مراكز قوى الشمال نظراً لرفض العرب - بصورة عامة - فكرة التعاون مع « الافرنج » ضد أبناء عصبيتهم العربية وضد اخوان عصبيتهم الدينية ، ولكنها تبقى في كل الاحوال مصدر استنزاف لقوة العرب المسلمين في الاندلس ..

ولعل خير من يمثل مراكز القوى هذه ابراهيم بن حجاج « حاكم اشبيليا ، الذي اصبح في فترة من ايام حكم العرب للاندلس منافساً قوياً لحاكم قرطبة الامير الاموي ، وقد يكون من المناسب ذكر لمحة عنه لاثبات خطورة مراكز القوى هذه واثرها في تمزيق قوة العرب المسلمين واضعافها ..

- كانت زعامة اشبيليا لابراهيم بن حجاج والأخوين كريب بن خلدون وخالد بن خلدون وكان جميعهم على اتصال بالأمر عبد الله ، وشعر ابراهيم بن حجاج بخطورة ابناء خلدون على مركزه وقدرتهم على منافسته فدبر مؤامرة قتل فيها الأخوين كريب وخالد وطلب من أمير قرطبة الاعتراف بسلطته على اشبيليا ، ولم يكن باستطاعة الأمير عبد الله وهو يجابه حركات « الثورات المضادة » في كل اقليم إلا الاعتراف وقرار ابراهيم بن حجاج على سلطته ، وأصبحت زعامة اشبيليا له دون منازع .. فاجتبي الأموال واصطنع الرجال وارتقى في الأحوال ، وارتفع ذكره وبعد صيته واتخذ لنفسه جنداً ورتب لهم الأرزاق كفعل السلطان ، فكان في مصافه خمس مائة فارس وكان له في بلده اشبيليا قاض يقوم بالحكم وصاحب مدينة يقيم الحدود - محافظ - وكان لابراهيم بن حجاج في بساط السلطان بقرطبة قوم يقفون في حقه ويعلمونه بما عند السلطان من حاله وينصحونه في أمره ..

- وكان ابراهيم بن حجاج - أبا اسحاق - فظاً على أهل الريب ، قاطعاً لأهل الشر ، منتجماً على البحر والبر ، مقصوداً بالغرائب والطرف ، وكانت له باشبيليا طرز يطرز فيها على اسمه كفعل السلطان إذ ذاك ، وكانت قرمونه تحت مملكته وهو الذي حصنها وحسن بنيان سورها وفيها كانت مرابط خيله المتخذة لركوبه وبينها وبين اشبيليا كان ترداده سائر أوقاته ، وكان جواداً ممدحاً يراح للثناء ويعطي الشعراء ويضاهي في فعله كبار الأمراء ويعقد أهل البيوتات والشرف بالمعطاء ، وقد امتدحه أبو عمرو أحمد بن عبد ربه ووصف تنقله بين اشبيليا وقرمونه بقصيدة منها الأبيات التالية :

فاشبيلية الزهراء تزهو بوجهه	وقرمونة الغراء ذات الفضائل
إذا ما تحللت تلك من نور وجهه	غدت هذه للناس في زي عاطل
وان حل هذي فهو يوحش هذه	فتهدى برسلى نحوه ورسائل

وسمع ابراهيم بن حجاج بجارية بغدادية اسمها قمر^(١) فوجه بأموال عظيمة إلى المشرق في ابتياع هذه الجارية إلى أن استقرت بدار مملكته اشيلية .. وبقيت في رغد من العيش طوال اقامتها في اشيليا . وتوفي ابراهيم بن حجاج في عام ٢٨٨ هـ - ٩٠٠ م وخلفه ابنه عبد الرحمن الذي توفي في بداية عهد الناصر ٣٠١ هـ - ٩١٣ م .

- كانت مراكز القوى هذه منافساً قوياً للأمير قرطبة ، وقد اندلعت فيها الثورات المضادة وحركات التمرد طوال الفترة الأخيرة من حكم محمد بن عبد الرحمن وفترة حكم المنذر وأخيه عبد الله ، ولم يتم إخضاع هذه المراكز إلا في عهد عبد الرحمن الناصر - الثالث - .

- وقبل الانتقال إلى العمليات القتالية في عهد عبد الرحمن الناصر ، وبهدف إيضاح الصورة العامة للموقف ، قد يكون من المناسب تلخيص بداية ظهور دول الشمال النصرانية ومراحل تطورها وما كان لها من دور كبير في استنزاف قوة العرب في الاندلس .

.....

(١) البيان المغرب ، ابن عذارى ٢ / ١٩٠ - ١٩٢ وفيه : كانت قمر كالبدن المنير ، ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والفناء ، فوجدها ابراهيم بن حجاج قمرأ عند اسمها ، وكان لها شعر يستحسن ويستحل منه :

قالوا أنت قمر في زي أطمار	من بعدها هتكت قلباً بأشعار
تشي على وحل تغدو على سبل	تشق أمصار أرض بعد أمصار
لا حرة هي من أحرار موضعها	ولا لها غير ترسيل وأشعار
لو يعقلون لما عابوا غريبتهم	لله من أمة تزري بأحرار
ما لابن آدم فخر غير همته	بعد الديانة والاخلاص للباري
دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه	لا يخلص الجهل من سب ومن عار
لو لم تكن جنة الا لجاهلة	رضيت من حكم رب الناس بالثار

ب - نشوء مملكة نافار - أو - « البشكنش »
ثم تحولها الى مملكة اسبانيا ..

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		نشأت مملكة نافار ، في منطقة البشكنش ، غرب البيرويه ، وكانت عاصمتها - او قاعدتها - بنبلونه . ويحيط الفيوض اصل هذه المملكة النصرانية ..
١٨٠	٧٩٦	- وفاة هشام بن عبد الرحمن وخلافة الحكم ابن هشام « الربضي » .
١٨٣	٧٩٩	- ظهر في نافار زعيم قوي يدعى « ازوار » واستقل بامارته وأخذ في بناء قوته الذاتية وتنظيم امارته ..
٢٠٦	٨٢٢	- وفاة الحكم وخلافة عبد الرحمن بن الحكم « الأوسط » .
٢٢٢	٨٣٦	- توفي ازوار وخلفه في الامارة أخوه سانشو ، لكن أميراً آخر هو « جارسيا انيجيز بن أنيجو أريستا » انتزع الامارة من سانشو ، وتذكر المصادر الاسلامية هذا الأمير باسم « ونقة بن شانجة » ملك البشاكسة ، وارتبطت هذه الامارة في مرحلة نشوئها مع امارة اسلامية مجاورة لها يحكمها المولدون وهي امارة « بني قسي » سادة

السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الاحداث
		<p>الثغر الأعلى ، وجاء هذا الارتباط عن طريق المصاهرة حيث تزوج انيجو اريستا بأرملة موسى بن فرتون بن قسي ، وتزوج موسى ابن موسى من ابنة جارسيا انيجيز ، وتزوج جارسيا واخوته من بنات لب بن موسى بن فرتون ، وتزوج بعض اخوة موسى وأبنائه من بنات أمراء نافار فتوطدت روابط التحالف والمصاهرة بين الأسرة النصرانية والأسرة المسلمة « من المولدين » ..</p> <p>— أظهر جارسيا نزعاته العدائية للدولة المسلمة عندما عمل على دعم ثورة عمر بن حفصون ، المولدين ..</p> <p>— كما أن العلاقة بين نافار وجارتها الكبيرة « ليون » لم تكن حسنة بسبب مطامع مملكة ليون في ضم مملكة نافار الصغيرة اليها ..</p> <p>— وفاة عبد الرحمن بن الحكم وخلافة محمد بن عبد الرحمن .</p> <p>— ظهر العداء الواضح بين ليون ونافار فزحف أمير نافار - جارسيا انيجيز - ومعه صهره موسى بن موسى لدفع عدوان ليون ووقعت معركة طاحنة في « البلدة » قتل فيها جارسيا</p>
٢٣٨	٨٥٢	
٢٤٨	٨٦٢	٣

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
		ثم خلفه ابنه فرتون ، الذي بقي فترة طويلة في أسر أمير قرطبة ، ثم خلفه ولده « سانشو جارسيا » وهو أول من تلقب من « أمراء نافار » بلقب الملك وبه تبدأ مملكة نافار الحقيقية .
٢٧٣	٨٨٦	- وفاة الامير محمد وخلافة المنذر بن محمد .
٢٧٥	٨٨٨	- وفاة الامير منذر وخلافة اخيه عبد الله ابن محمد ..
٢٩٥	٩٠٧	- قتل لب بن موسى على أبواب بنبلونه خلال الصراع الطويل والمرير بين سانشو وبين « بنو قسي » ..
٣٠٠	٩١٢	- وفاة الامير عبد الله وخلافة عبد الرحمن الناصر « الثالث » .
٣١٤	٩٢٦	- توفي سانشو ، وقامت بالأمر زوجته « طوطه » وصية على ولده جرسيا وأظهرت ولاءها للأمير قرطبة ..
٣٢٥	٩٣٦	- نقضت طوطه عهد الناصر ، ففزا الناصر بلادها ، وضرب نواحي بنبلونه فجاءته طوطه بطاعتها وعقد لابنها غرسيه « جرسيا » على بنبلونه .
٣٥٠	٩٦١	وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر وخلافة الحكم ابن عبد الرحمن المستنصر بالله ..

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٣٦٦	٩٧٦	- وفاة الخليفة الحكم بن عبد الرحمن وخلافة هشام بن الحكم في وصاية النولة العامرية .
٣٨٥	٩٩٥	- حكم غرسيه سانشيز .
٣٩١	١٠٠٠	- وفاة غرسيه سانشيز ، وخلفه ولده سانشو الكبير .
٤٢٧	١٠٣٥	- وفاة سانشو الكبير ملك نافار بعد أن أوصى بتقسيم مملكته على النحو التالي : ١ - فرناندو : ملكاً على قشتاله وليون وجيليقية . ٢ - غرسيه : أكبر أولاده ، ملكاً على نافار ، الوطن الأصلي . وهو يمتد من غرب البيرنيه حتى منابع الايبرو - نهر ابره - . ٣ - راميرو : ابنه غير الشرعي ، ملكاً على اراغون ، التي تمتد في حيز ضيق موازية لنافار بداية من « باب شيزروا » . ٤ - كونزالو : ملكاً على ولايتي سوبراني وريبا جرسا في أواسط البيرنيه .
٤٢٧	١٠٣٥	على أثر وفاة سانشو الكبير - ملك نافار - أو ملك اسبانيا كما أصبح يلقب نفسه ، توجه برمودو الملك الشرعي لمملكة ليون - اشتوريش - الى مملكته واستطاع استرجاع جزء من أملاكه ،

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		وأقام بلاطاً لمملكته ودارت بينه وبين صهره فرناندو ملك قشتاله حرب طويلة استمرت فترة عامين كاملين .
٩	٤٢٩	١٠٣٧
		دارت رحى معركة نهائية وحاسمة بين ملك ليون ، وملك قشتاله انتصر فيها فرناندو ، وقتل برمودو في « تامارون » ونظراً لعدم وجود وريث شرعي ، فقد استولى فرناندو على مملكة ليون بحكم المصاهرة والوراثة وأصبح ملكاً على قشتاله وليون الموحدة ..
١٠	٤٣٠	١٠٣٨
		قتل كونزالو - غيلما - وهو عائد من رحلة صيد ، ونادى سكان سوبراني وريباجرسا بأخيه « راميرو » ملكاً على الامارتين فضمهما اليه وتوحدت الامارتين والمملكة تحت حكم ملك اراجون ..
١١	٤٣٤	١٠٤٢
		وقعت معركة بين راميرو ملك اراجون وأخيه غرسيه ملك نافار بسبب رغبة راميرو في ضم ملك أخيه لمملكته ، لكن المعركة انتهت بهزيمة راميرو ، وفراره ..
١٢	٤٤٦	١٠٥٤
		- وقعت معركة بين غرسيه ملك نافار وأخيه راميرو ملك اراجون من جهة ضد أخيهما فرناندو ملك ليون وانتهت المعركة بانتصار فرناندو

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		ومقتل غرسيه واختار فرناندو ابن أخيه غرسيه لملك نافار ولم يقطع من مملكته شيئاً سوى تعديل بعض القلاع على الحدود .
١٣	٤٤٩	١٠٥٧ عبر فرناندو الأول ملك قشتاله وليون نهري دويره وتورمس واجتاح لوزيتانيا، قاصية أراضي المسلمين من الشمال الغربي وكانت تابعة لمملكة بطليوس ، فاستولى عليها ..
١٤	٤٥٤	١٠٦٢ قام فرناندو الأول بعدوان جديد على بلاد المسلمين وأغار على مدينة سالم واوسيدا وطفنكه ووادي الحجارة وقلعة النهر ، فاستغاث أهلها بالمأمون ابن ذي النون صاحب طليطله فجمع المأمون مقادير كبيرة من الذهب والفضة وفاخر الأقمشة وسار بنفسه الى معسكر الملك النصراني وقدم اليه الهدايا وأعلن اعترافه بطاعته وتعهد بأداء الجزية - وكانت المرة الأولى التي يدفع فيها حكام المسلمين الجزية للملوك الافرنج في الاندلس .
١٥	٤٥٥	١٠٦٣ عاد فرناندو الأول لتنفيذ عدوان آخر ، فهاجم مملكة اشبيلية وأرغم المعتمد بن عباد على أن يخذو حذو المأمون فيعترف بسيادته ويدفع له الجزية .
١٦	٤٥٦	١٠٦٤ سقطت قلمرية في قبضة فرناندو الأول .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٤٥٧	١٠٦٥	توفي فرناندو الأول بعد ان قسم مملكته على النحو التالي :
		١ - سانشو - ولده الكبير - ملكاً على قشتاله وحقوق الجزية على سرقسطه .
		٢ - الفونسو : ملكاً على ليون ، واشترش وحقوق الجزية على طليطله .
		٣ - غرسيه - ولده الأصغر - ملكاً على جيليقية والبرتغال وضمهما في مملكة واحدة مع حق الجزية على مملكتي اشبيليا وبطليوس . كما عين لابنتيه قلعتين صغيرتين تحكمانها بشكل مستقل .
١٧	١٠٧١	استولى سانشو على ليون وطرد أخاه الفونسو الذي هرب الى طليطله ، وعاش تحت حماية المسلمين .
١٨	١٠٧٢	استولى سانشو على جيليقية وضمها إلى مملكته .
١٩	١٠٧٢	دبرت اوراكا مقتل أخيها سانشو ، وساعدت الأخ الثاني الفونسو على استعادة ملكه ، فأصبح الفونسو ملكاً على قشتاله وليون وجيليقية باسم الفونسو السادس ..
٢٠	١٠٨٥	استولى الفونسو السادس على طليطله ..
	١١٠٩	توفي الفونسو السادس .

ج - نشوء مملكة جيليقية - اشتوريش - ثم ليون

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		<p>بدأ اسم جيليقية يتردد في التاريخ الاسلامي منذ الفتح حيث التجأ إلى الجبال شاب ثائر يدعى - بلای - رفض الخضوع للعرب المسلمين وطارده المسلمون حتى لم يبق معه سوى ثلاثون رجلاً وامرأة ، ثم أخذ في استقطاب المقاومة وتنظيم القوات في معاقلة الجبلية وأفاد من فترة حكم - الأمراء - وما رافق ذلك من فتن داخلية فأعاد تنظيم أمور الاقليم الذي يحكمه وكان له مع المسلمين معارك مستمرة ، وعندما توفي تابع صهره ثم أبناؤه دورهم القيادي .</p>
١	١٧٥	٧٩١
		<p>تولى حكم جيليقية الملك العفيف باسم - الفونسو الثاني - وأطلق على مملكته - في الشمال الغربي من الجزيرة - اسم مملكة جيليقية أو اشتوريش - استورياس - ونقل عاصمة مملكته من الجبال إلى أوفيدو ، وأصبحت حدود المملكة تمتد من غسكونيا شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً ومن خليج غسكونيا شمالاً حتى نهر دويره جنوباً ، ثم استقلت عنها نافار أو - بلاد البشكش - .</p>

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢	١٧٩	٧٩٥
في عهد هشام بن عبد الرحمن		
- حدثت معركة الصخرة بين العرب المسلمين وقوات جيليقية وانتهت بهزيمة الفونسو الثاني هزيمة ساحقة .		
٣	١٩٣	٨١٠
في عهد الحكم بن هشام		
- عبر الفونسو الثاني بقواته نهر دويره ، وغزا الأراضي الاسلامية ووصل قلمريه واشبونه ..		
٤	١٩٤	٨١١
- رد الحكم بهجوم مضاد ، فتقدم عبر وادي الحجارة ، وأخضع جيليقية .		
٥	٢٠٨	٨٢٣
في عهد عبد الرحمن بن الحكم		
- غزا عبد الكريم بن عبد الواحد بن مفيث البه والقلاع وأوقع بقوات جيليقية هزائم منكرة ..		
	٢٢٨	٨٤٢
توفي الفونسو الثاني وخلفه ولده راميرو الأول ، رنمير عند مؤرخي العرب .		
	٢٣٦	٨٥٠
توفي راميرو الأول وخلفه اردونيو ملكا على اشعوريش وبردوليا - قشتالة - . وعمل اردونيو على بناء وتحسين ثغور بلاده فأقام - تودة ، وليون ، واسترقة .		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٧	٣٠٢	٩١٤ قام أردونيو ، أرذن ، بالاغارة على الحدود الاسلامية ووصل في تقدمه حتى ماردة واستولى على بعض قلاعها . كما احتل أيضاً بعض قلاع بطليوس .
٨	٣٠٤	٩١٦ وجه الخليفة عبد الرحمن الثالث جيشاً بقيادة وزيره أحمد بن أبي عبدة لغزو مملكة ليون ، فدمر جيش المسلمين الحصون والقلاع وقضى على المقاومات التي جابهته .
٩	٣٠٥	٩١٧ قاد ، اردونيو الثاني ، قواته وهاجم اقليم طليبرة تالافيرا ، وأحرق مدنه ، فجاء رد الخليفة عبد الرحمن بارسال جيش قوي ، لكن هذا الجيش لم ينجح في اخضاع ليون ، ولحق به الهزيمة وقتل قائده أحمد بن أبي عبده ومعه مجموعة من أفضل القادة. وتعرف هذه المعركة باسم «موقعة شنت اشتين أو ، سنت استيفان»
١٠	٣٠٦	٩١٨ عاد أردونيو الثاني ، ملك جيليقية وحليفه سانشو ملك نافار لغزو ثغور المسلمين .
١١	محرم ٣٠٦	أوائل تموز ٩١٨ قاد الخليفة عبد الرحمن بنفسه جيشاً كبيراً ، فوصل مدينة أوسمة «وخشمة» فأحرقها ، وانتقل إلى قلونية ، فدمرها وأحرقها وتابع تقدمه ، وسانشو ينسحب بقواته حتى عبر الخليفة

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		<p>عبد الرحمن نهر ايبرة، ابرة. فقام سانشوبهجوم مباغت ، لكن الخليفة عبد الرحمن احبط هذا الهجوم وهرب جيش ليون إلى الشمال واعتصم بالمواقع المنيعه ، ولجأ سانشو إلى حليفه أردونيو فجمع الملكان قواتهما، وعندما وصل الخليفة عبد الرحمن في تقدمه حتى مضائق جبال البيرنية ، انقضت قوات جيش ليون ونافار وأوقعا بعض الخسائر في مؤخرة جيش المسلمين ، فانسحب الخليفة عبد الرحمن إلى السهل، وأقام معسكره، وتقدمت قوات ليون ونافار ، وخاضت مع المسلمين معركة ضارية انتهت بانتصار المسلمين الذين تابعوا أعمالهم القتالية بتدمير المواقع والمناطق المحصنة .</p>
٣١٣	٩٢٥	توفي أردونيو الثاني ملك ليون وخلفه أخوه فرويلا .
٣١٤	٩٢٦	توفي فرويلا وتنازع الملك ولدا - أردونيو - وهما سانشو والفونسو وشغلت ليون بحرب أهلية استمرت أعواماً .
٣٢٠	٩٣٢	استطاع روميرو انتزاع السلطة وجلس على العرش باسم روميرو الثاني .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٣٩	٩٥٠	توفي روميرو الثاني ملك ليون وثارت الحرب بين ولديه - أردونيو وسانشو .
٣٧٢	٩٨٢	استولى على حكم ليون برمودو الثاني .
٣٩٠	٩٩٩	توفي برمودو وخلفه ابنه الفونسو بوصاية منديث كونثالث .
٤١٦	١٠٢٥	شكل الفونسو الخامس مجلساً دستورياً لوضع دستور للمملكة ووضعت القوانين التي أصبح بموجبها الحكم وراثياً .
٤١٨	١٠٢٧	توفي الفونسو الخامس فخلفه ولده برمودو الثالث .

* * *

الفصل الرابع

الفصل الثالث

عصر القوة في الاندلس

الردع في عهد عبد الرحمن الثالث

- ١ - غزاة موبش :
- ١ - الوضع العام : أ - الموقف في الشمال .
ب - الموقف في الدولة العباسية .
ج - الموقف في بيزنطة .
د - الموقف على الحدود الجنوبية للاندلس .
- ٢ - الوضع الخاص .
- ٣ - غزوة موبش - مسيرة العمليات .
- ٢ - غزوة بنبلونه :
- ١ - الوضع الخاص قبل المعركة .
- ٢ - مسيرة الأعمال القتالية .
- ٣ - معركة الخندق « غزاة القدره » .
- موجز الأحداث .

- ٦ - الوضع العام .
- ٧ - الوضع الخاص .
- ٨ - مسيرة الأعمال القتالية .
- ٩ - نتائج المعركة .

الردع في عهد « الحكم المستنصر »

- ١ - الوضع العام .
- أ - الموقف في دول الشمال .
- ب - الموقف في الجنوب .
- ٢ - الوضع الخاص .
- ٣ - الأعمال الاستفزازية وعمليات الردع المضاد .
- ٤ - احباط غزو النورمان .
- ٥ - عملية الردع في غزو « غرماج » .
- أ - التحدي .
- ب - الهجوم الفادر الثاني .
- ج - مؤتمر الحرب .
- د - العرض والاستعراض .
- هـ - الاعداد للمعركة الحاسمة .
- و - المعركة الحاسمة .
- ز - استثمار الظفر .
- ح - معركة ثانوية على أبواب سرقسطه .

تصعيد استراتيجي الردع في عهد الحاجب المنصور

- ١ - قتال مستمر .
- ٢ - غزوة شنت ياغب .
- أ - الوضع العام .

- ب - الوضع الخاص .
- ج - مسيرة العمليات .
- ٣ - منجزات الحاجب المنصور وأسلوب عمله .
- الفزو المضاد ما بعد المنصور ، وبداية حركة الاسترجاع
- ١ - ديركلوني قاعدة تنظيمية في الحرب الصليبية .
- ٢ - اجتماع كليرمونت وعلان الحرب الصليبية .
- ٣ - استراتيجية حركة الاسترجاع .
- ٤ - المنطلقات الأساسية لاستراتيجية الاسترجاع .
- ٥ - الحرب الصليبية في الشرق والغرب .

قراءات

- عبد الرحمن الداخل .
- هشام بن عبد الرحمن .
- الحكم بن هشام .
- عبد الرحمن بن الحكم .
- محمد بن عبد الرحمن .
- المنذر بن محمد .
- عبد الله بن محمد .
- عبد الرحمن بن محمد .
- الحكم المستنصر .
- الحاجب المنصور .

الردع في عهد عبد الرحمن الثالث

٣٠٠ - ٨٣٥٠ = ٩١٢ - ٩٦١ م

١ - غزاة موبش - ٨٣٠٨ - ٩٢٠ م

٦ - الوضع العام :

كان عهد عبد الرحمن الثالث الناصر هو عهد ازدهار الاندلس قوة وعمراناً وعلماً وعرفاناً ، واصبحت قرطبة في عهده عاصمة « الدنيا » يقصدها الملوك والأمراء ، وتحج إليها الوفود ، وينزل بها السفراء فيجدون فيها الحضارة والتطور ، وان معرفة هذه الفترة تتطلب استعراض الوضع العام في الدول المجاورة بالدرجة الاولى والدول الكبرى في تلك الفترة بالدرجة الثانية .

أ - الموقف في الشمال : تعاقب على حكم الدولة الكارولنجية خلال فترة الفتح الاسلامي لاندلس : شارل مارتل ٦٩ - ١٢٤ م - ٦٨٨ - ٧٤١ م ، وابنه بيبان الحاسم ١٢٤ - ١٥١ م = ٧٤١ - ٧٦٨ م ، ثم شارلمان الكبير ١٥٥ - ٨١٩ م = ٧٧١ - ٨١٤ م ، وجاء بعد ذلك لويس التقي ١٩٩ - ٨٢٢٦ م = ٨١٤ - ٨٤٠ م^(١) ، وكان لويس ضعيفاً بحيث أخذت الملكة الكارولنجية تسير في طريق الضعف .. وعندما توفي لويس الضعيف « التقي » خلفه ابنه الأكبر لوثر^(٢) فاتفق ضده اخويه لويس الجرمانى^(٣) وشارل الأصلع وحدثت بين

.....

(١) لويس التقي Louis Le Pieux ، ويسمى لويس الأول لتمييزه عن لويس الثاني ٨٢٢ - ٨٧٥ م والذي أصبح ملكاً لاطاليا عام ٨٤٤ م وامبراطوراً للغرب عام ٨٥٠ - ٨٧٥ م وهذا ابن لوثر الأول ، ثم لويس الثالث « الأعمى » والذي أصبح امبراطوراً للغرب بين عام ٩٠١ و ٩٠٣ م .

(٢) لوثر الأول : Lothaire 1er .

(٣) لويس الجرمانى : Louie De Germanie .

الأخوين المتحالفين وأخيهما لوثر الأول معركة في فونتينيوي Fontenoy التي انتهت بانتصار الأخوين وارغام لوثر على تقسيم المملكة الكارولنجية بموجب اتفاقية فردان على النحو التالي :

- مملكة الفرنجة الغربية، تحت حكم شارل الأصغر^(١) وتضم حدود فرنسا الحالية باستثناء برجنديا والبروفانس والازراس واللورين ..
 - مملكة الفرنجة الشرقية ، تحت حكم لويس الجرمانى وتضم حدود المانيا الغربية حالياً .
 - المملكة الوسطى ، وبقيت تحت حكم لوثر وهي تضم القسم الأكبر من الأراضي المنخفضة واللورين وبرجنديا والنصف الشمالي من ايطاليا ..
 - في عام ٢٤٢ هـ - ٨٥٥ م توفي لوثر الأول بعد أن قسم مملكته بين أبنائه الثلاثة على النحو التالي :
 - ١ - مملكة ايطاليا ، وملكها لويس الثاني الذي خلف والده لوثر في الامبراطورية .
 - ٢ - مملكة لوتارنجيا^(٢) ، وملكها لوثر الثاني .
 - ٣ - مملكة البروفانس وليون ، وملكها شارل (المصاب بالصرع) .
- في عام ٢٥٦ هـ - ٨٦٩ م توفي لوثر الثاني ملك لوتارنجيا فقسمت أملاكه بين شارل الاصغر ولويس الجرمانى بموجب اتفاقية تقسيم مرسين^(٣) وتم تنفيذ ذلك في عام ٢٥٧ هـ - ٨٧٠ م ، كما انهما اقتسما أيضاً بالاتفاق فيما بينهما قسماً كبيراً من الاراضي التي كانت من نصيب شارل « المصاب بالصرع » والتي سبق تقسيمها بين لويس الثاني ولوثر الثاني ..

(١) شارل الأصغر : Charles Le Chauve أر شارل الثاني .

(٢) لوتارنجيا : Lothairingia .

(٣) مرسين : Partition of Meerssen .

في عام ٢٦٢ هـ - ٨٧٥ م توفي لويس الثاني ، وحاول كل من شارل ولويس
الجرماني الحصول على التاج الامبراطوري ، وقد نجح شارل في هذه المحاولة .
وفي عام ٢٦٣ هـ - ٨٧٦ م توفي لويس الجرماني فأسرع شارل في محاولته
للحصول على نصيبه من اقليم لوتارنجيا ، ولكن ابن لويس 'لويس الثاني الصغير' ،
هزمه في اندرناخ ، وأحبط له محاولته ..

في عام ٢٦٤ هـ - ٨٧٧ م توفي شارل وخلفه ابنه الضعيف « لويس الثاني
المتلعثم » الذي توفي بعد ذلك بعامين ، ثم لم تمض فترة طويلة حتى توفي لويس
الثاني (ولويس الثالث وكارلومان) أبناء لويس الثاني فتم انتخاب شارل البسيط
أو شارل البدين وهو أخ لويس الثاني امبراطوراً على كل من مملكتي الفرنجة
الشرقية والغربية ..

في عام ٢٧٤ هـ - ٨٨٧ م ، قامت ثورة عامة في مملكتي الافرنج انتهت
 بانتخاب أرنولف الكارنثي ملكاً على المانيا ، وأود ملكاً على شمال فرنسا ، كما
أقيمت ممالك مستقلة في كل من بروفانس وبرجنديا وابطاليا (١) .

ان الاستعراض السريع للمراحل السابقة يظهر [بداية ظهور اوربا
ومعاناتها من الانقسام والتجزئة . وبديهي ان هذه التطورات لم تمر دون صدام
مسلح بين افراد العائلات المالكة ، مما جعل دول الافرنج اكثر اهتماماً بأمورها
الداخلية مما كان يجري حولها . وكانت السلطة الوحيدة التي تتابع التطورات
بمجرد ويقظة هي السلطات الكنسية . فهي التي كانت تحاول باستمرار إيقاف
الصدام ضمن حدود ضيقة ، وتذكر بالاحطار الخارجية ، وتحاول تكتيل
القوى ضد العرب المسلمين في الاندلس .]

ب - الموقف في الدولة العباسية :

في عام ١٩٣ هـ : توفي هارون الرشيد ، وكان عهده يمثل الفترة الذهبية في

(١) المصدر : Nouveau-Larousse Illustré-1653 .

حياة الدولة العباسية ، ولم تلبث الامور أن تطورت بعد وفاته الى حرب بين الاخوين المأمون والأمين .

في عام ١٩٨ هـ - ٨١٣ م : قتل الأمين بن هارون الرشيد ، وانتصر المأمون وكان انتصاره نجاح كبير للعنصر الفارسي وهزيمة للعنصر العربي .

- وفي عام ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م : توفي المأمون وخلفه المعتصم فاستعاض عن العنصر الفارسي بالعنصر التركي .

- وفي عام ٢٢٧ هـ - ٨٤١ م : توفي المعتصم وخلفه الواثق بالله .

- وفي عام ٢٣٢ هـ - ٨٤٦ م توفي الواثق بالله وخلفه المتوكل على الله .

- وفي عام ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م : قتل المتوكل وخلفه المنتصر بالله .

- وفي عام ٢٤٨ هـ - ٨٦٢ م : توفي المنتصر وخلفه المستعين بالله .

ولا حاجة بعد ذلك لمتابعة مسيرة الاحداث في بغداد ، وسامراء . فقد شغلت الدولة العباسية بمتاعبها الداخلية والثورات المضادة التي اشتعلت في كل مكان والتي انتهت بتمزيق الدولة العباسية الى ممالك وامارات مستقلة حتى لم يبق للخليفة العباسي من الخلافة سوى اسمها .

كان من أهم الأحداث التي جابهتها الدولة العباسية في هذه الفترة ، ثورة الزنج طوال الفترة بين ٢٦٢ - ٢٧٠ هـ - ٨٧٥ - ٨٨٣ م .

ثم ظهور القرامطة ٢٧٧ هـ - ٨٩٠ م وتزايد قوتهم بحيث سيطروا على شبه الجزيرة العربية ووصلوا مكة عام ٣١٧ هـ - ٩٢٩ م مع تعاظم نفوذ بيزنطة ، وتصعيد عملياتها في الشام .

نتيجة لذلك فانه لم تعد لدى الدولة العباسية القدرة على تشكيل خطر يتهدد الامويين في الاندلس ..

ج - الموقف في بيزنطة :

استمرت « استراتيجية المحاور » التي وضعها شارلمان سارية المفعول فكانت

الاتصالات تستأنف بين فترة وأخرى تبعاً للظروف ، والمواقف ، وحسبما تكون عليه بيزنطة من القوة ، فإذا أصبحت قوة بيزنطة تشكل تهديداً للغرب ، وكان (الحكم العباسي قوياً تزايدت روابط الصداقة قوة بين الغرب وبغداد وتعود لتدعيم محور « حلفها » فتعمل القسطنطينية بالمقابل على تدعيم روابطها بالأندلس لتشكل تهديداً موجهاً ضد جنوب أوروبا مع توفير مناخ الحرية للعمل ضد « بلاد الشام » ولتوجيه ضربات قوية في اتجاه الثغور مع تطوير العمليات إذا كان الموقف ملائماً للتوغل الى قلب بلاد الشام والجزيرة .

د - الموقف على الحدود الجنوبية للأندلس :

— كانت افريقية والمغرب الأقصى منها بصورة خاصة مصدر تهديد قوي ضد الأندلس في مرحلة نشوئها وتطورها ولكن هذا الخطر أصبح ضئيلاً بعد أن تكونت قناعة عند الدولة العباسية بفشل محاولاتها ، وبعد أن شغلت الدولة العباسية بشؤونها الداخلية ومتاعبها الخاصة . ولكن ومع زوال هذا الخطر ، ظهر خطر جديد هو انتشار الدعوة الشيعية في المغرب وكان خطر هذه الدعوة يتهدد بصورة غير مباشرة الأندلس ، مما سيجعل الأمراء والخلفاء الأمويين في الأندلس على توجيه قسم من مجهودهم نحو الجنوب لضرب حركة الشيعة في المغرب وعدم السماح لها بالوصول إلى الأندلس .

٣ - الوضع الخاص :

تسلم الأمير عبد الرحمن الثالث حكم الأندلس ، والبلاد في حالة من الفوضى ، فالتمزق الداخلي قد جعل من كل مدينة دولة مستقلة ، ومن كل إقليم إمارة منفصلة ، وكانت الحروب الداخلية التي استمرت طوال عهدي المنذر وأخيه عبد الله ٢٧٣ - ٥٣٠ = ٨٧٦ - ٩١٢ م قد أرهقت البلاد وأفقرتها واستنزفت كامل قوتها .

وكانت الدول النصرانية في الشمال (« ليون - أو - جيليقية » و « نافار

- أو - البشكنش) تتابع مسيرتها نحو بناء قوتها الذاتية مستفيدة من التناقضات الداخلية وعاملة على دعم « الثورات المضادة » ضد دولة قرطبة .. وكانت دولة ليون - أو - جيليقية ، قد أصبحت من أقوى دول الشمال ، بحيث شملت حدودها المنطقة الشمالية الغربية من الاندلس بين المحيط ونهر دويره ، ولهذا فقد أخذت هذه الدولة على عاتقها زعامة الدول الشمالية لممارسة عملية الصراع ضد العرب المسلمين ، وكانت أول خطواتها تحرير الثغور والمدن المتاخمة لحدودها بحيث لم يبق في مدن استورقه وسموره وشلنقه وشمعوبيه وميرانده وغيرها وجود للعرب المسلمين .

وأقام « الفونسو الثاني » مجموعة من القلاع والتحصينات على امتداد حدود بلاده لمهاجمة الأعمال الهجومية للعرب المسلمين والانطلاق من هذه القلاع والتحصينات - في الوقت ذاته - لضم أقاليم جديدة وانتزاع بلاد أخرى من العرب المسلمين .. وقد اتبع « الفونسو الثاني » ومن بعده « غرسيه » أسلوباً خاصاً لمهاجمة المسلمين في الثغور ، وكان هذا الأسلوب يعتمد في أساسه على « استراتيجية الأرض المحروقة » وقتل النساء والأطفال والشيوخ في اغارات قصيرة وحاسمة ، واخضاع السكان لظروف نفسية قاسية يستحيل عليهم معها البقاء على حدود الشمال ، والاستمرار في الاستيطان عند الثغور ..

كان الأمير عبد الرحمن يفضل دونما ريب عدم الدخول في معارك مع دول الشمال حتى يتفرغ لتصفية أعمال التمرد في الجنوب بحيث يستطيع تركيز جهده بكامله للانطلاق في عمليات حاسمة ضد الشمال ، والدليل على ذلك هو قيادته بنفسه لبواكير العمليات ضد حركات التمرد ولما يفيض على تسلمه السلطة سوى أشهر قليلة لكن دول الشمال لم تترك له هذه الفرصة ، وبدأت على الفور ممارسة عمليات « السبر » ثم طورت عملياتها فانطلق « اردونيو الثاني » ملك ليون بهجوم كبير في عام ٣٠٢ هـ - ٩١٤ م ، ووصل بهذا الهجوم حتى مدينة

« مارده » فاستولى على بعض القلاع وأباد الحاميات المدافعة عنها وسبى النساء والأطفال ثم تابع تقدمه حتى « بطليوس » فأرسل أهلها وفداً محملاً « بالفدية » مظهر الطاعة وعاد « اردونيو » من هجومه مثقل بالغنائم دون أن يصطدم بقوة حقيقية .

- كانت منطقة مارده من المناطق الثائرة باستمرار ، ووجد الأمير عبد الرحمن الفرصة مناسبة لظهور التلاحم بين المسلمين في الأندلس ضد عدوهم المشترك فوجه جيشاً بقيادة وزيره وقائده أحمد بن أبي عبده مع بداية عام ٣٠٤ هـ - ٩١٦ م وذلك بمهمة « ردع المدوان » والهجوم على مملكة « ليون » .
- انطلق أحمد بن أبي عبده بجيشه الكبير ، واصطدم بجيش ليون في مجموعة من المعارك الثانوية التي نجح في تحقيق انتصارات متتابة خلالها وغنم غنائم كثيرة وعاد من عملياته بعد أن ألحق أضراراً كبيرة في ممتلكات ليون وأراضيها .

- في عام ٣٠٥ هـ - ٩١٦ م : قاد اردونيو الثاني من جديد جيشاً كبيراً وركز جهده على اقليم « طليبره - تالفيرا » ولم يغادر الاقليم إلا بعد أن ترك المدن حرائق مشتعلة والقرى ركاً من الدمار ، وحدثت نتيجة لذلك نقمة عامة ضد قرطبة لمعجزها عن القيام بهجوم وقائي ، يوفر للسكان الحماية والأمن ..

- أمام هذا الموقف وجد الأمير عبد الرحمن نفسه مرغماً على تركيز الجهد في عمليات الشمال ، فوجه جيشاً قوياً بقيادة أحمد بن أبي عبده أيضاً ، ولممارسة الواجب ذاته ..

- كانت قلعة « كاسترو موروس » قاشتر - مورش « أو سنت استيفان من أقوى قلاع الشمال وأكثرها تحصيناً ، ولهذا أراد القائد أحمد بن أبي عبده احراز نصر حاسم في عمليات الردع وذلك باحتلال هذا الثغر ، فتوجه بجيشه وحاصر قلعة سنت استيفان ، ومضت فترة أوشكت فيه الحامية على الاستسلام وفي هذه المرحلة وصلت قوات ليون بقيادة اردونيو ، وكانت تتفوق على قوات

المسلمين تفوقاً ساحقاً .. وانطلق اردونيو بهجومه ، ولم ينجح جيش قرطبة أن يصمد لقوة الصدمة ، فبدأ بالتراجع والانسحاب وصمد القائد أبي عبده ومعه مجموعة من قادته واعداد قليلة من المقاتلين فأبيدوا ابادة تامة ، واستطاعت بقية القوات أن تنسحب بكامل قواتها وعتادها ، في حين تذكر المصادر الأندلسية ان هزيمة المسلمين في هذه المعركة كانت هزيمة منكورة بحيث غطت جثث قتلى المسلمين جميع السهول والتلال والغابات بين دويره و ايتنزا « انيشه »^(١) ..

كان انتصار اردونيو ملك ليون في « سانت استيفان » حافزاً لدفع سانشو « شانجه » ملك نافار ، للقيام بهمليات مماثلة ، وفي ربيع ٣٠٤ هـ - ٩١٨ م ، انطلقت قوات الحلف المكون من ملكي ليون و نافار ، للقيام بهجوم جديد قبل مضي أشهر قليلة على الهجوم السابق وقبل أن تتمكن قرطبة من تضييد جراحها . ووصلت قوات الشمال الى « ناجره - أو - ناجيرا » وطليلة فأعملت في أقاليمها هدماً واحرقاً وسبياً واستولى « سانشو » على مدينة « بلتيره - أو - فالتيرا » فأحرق مسجدها وأذل أهلها قتلًا وسبياً ، وأعمل في بنائها تدميراً واحرقاً ..

- لم يكن باستطاعة عبد الرحمن الناصر - البقاء في مواقع السلبية - فوجه جيشاً كبيراً بقيادة حاجبه « بدر بن أحمد » بمهمة ردع العدوان « ووجه رسائل الى الأقاليم لتوجيه القوات من أجل دعم الجيش ، وأسرعت حاميات الثغور وقوات الأقاليم في الانضمام الى الجيش .

- كانت مملكة ليون ومملكة نافار على علم بتحريك قوات المسلمين ، وكانت قوات المملكتين قد أكملت استعداداتها وزجت بكل امكاناتها في انتظار وصول جيش قرطبة إلى حدود مملكة ليون ..

- اندفعت قوات المسلمين في اجتياز مملكة ليون كالسيل المدمر ، فانسحبت

(١) البيان المغرب ٢ / ٢٦٠ - ٢٦٦ و

مفارز الاستطلاع والمراقبة واعتصمت بالمواقع الجبلية الحصينة ، وأسرع فرسان المسلمين الى هذه القوات فمزقتها وأرغمتها على ترك مواقعها . ثم تقدم المسلمون حتى وصلوا الى مسافة قريبة من « مطونيه » حيث دارت رحى معركة كبرى في يومي الثالث والخامس من ربيع الاول سنة ٣٠٦ هـ - ١٣ - ١٥ آب اغسطس سنة ٩١٨ م ، وأظهرت قوات ليون تصميماً كبيراً لكن قوات المسلمين نجحت في احراز النصر وسحق قوات العدو وهزيمتها هزيمة منكرة بحيث لم تتمكن سوى مفارز قليلة في التخلص من ميدان المعركة والانسحاب بعيداً عن مسرح العمليات ، ثم عاد جيش المسلمين الى قرطبة وهو يرفع رايات النصر ..

- على الرغم من هذه الهزيمة ، فقد تابعت قوات ليون ونافار عملياتها العدوانية على الثغور والحدود الشمالية ، كما استمرت أعمال الردع ، ولكن هذه العمليات المحدودة والمستمرة لم تحقق نتيجة حاسمة في اقناع الشمال بإيقاف أعماله العدوانية ، فقرر « الناصر » تصعيد عمليات الردع وقيادتها بنفسه ، لا سيما بعد أن وصلت رسائل من اردونيو ، تنهده باجلائه عن الأندلس [بمواعيد وعدها من نفسه ..] فأظهر عبد الرحمن الناصر ، قبول التهديد ، وأضر الكيد له ، وأخذ في الاعداد لمعركة حاسمة مع خصمه - ملك ليون - .

٣ - غزوة موبش - مسيرة العمليات - :

- في محرم ٣٠٨ هـ - حزيران ٩٢٠ م ، وبعد اتخاذ اجراءات العمليات ضمن نطاق محكم من السرية ، انطلق الأمير عبد الرحمن على رأس جيش المسلمين حتى وصل نخاضة الفتح بعد أربعة أيام من المسير المتصل .. وفي « نخاضة الفتح » استقبل عبد الرحمن الناصر كتاباً من عامل « مدينة الفرّج » للاعلام عن قيام جيش « جيليقية » بعدوان كبير على ريف « المدينة » وأنه استولى على ما فيه من خيول وماشية ، ثم تابعوا تقدمهم حتى وصلوا « حصن القليعة » الواقع على مسافة قريبة من « مدينة الفرّج » ، وعند ذلك تم حشد كل الامكانات المتوفرة واندفع جميع أهل المدينة من فرسان ومشاة « رجاله » لمهاجمة العدوان ودارت

معركة قاسية انتهت بانتصار المسلمين انتصاراً حاسماً وبدأ جيش جيليقية بالانسحاب فاندفع فرسان المدينة لمطاردته واستمرت أعمال المطاردة وإبادة قوات الخصم طوال النهار ..

— تابع عبد الرحمن الناصر تقدمه نحو الشمال ، في الوقت الذي كانت فيه الحشود وقوات الدعم تتلاحق بصورة مستمرة من سائر أقطار الأندلس ، وتنضم إلى جيش الناصر ، حتى وصل إلى مدينة طليطلة ، فكان في استقباله لب بن الطريشة على رأس حامية المدينة ، ثم انضمت قوات طليطلة إلى جيش الناصر الذي استمر في تقدمه حتى وصل مدينة الفرج ، حيث توقف فيها لإعادة تنظيم قواته ، وتعبئة جيشه ، واستأنف بعد ذلك مسيرته فوصل مدينة سالم واحتلها وانطلق منها في اتجاه « البه والقلاع » [.. وطوى من نهاره ثلاث مراحل... حتى احتل بوادي دويره ..]

— ارهقت هذه المسيرة المديدة جيش قرطبة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أسرع عبد الرحمن الناصر لإعادة تنظيم قواته مستفيداً من التوقف الليلي ، ثم وجه مع أول ضوء قوة من الفرسان [في جرائد الخيل وسرعان الفرمان] بقيادة وزيره سعيد بن المنذر بمهمة احتلال حصن « وخشمه »^(١).

— كان ظهور قوة فرسان المسلمين في وادي دويره مباغتاً لقوات جيليقية ، وعمل سعيد بن المنذر على توجيه مجموعات صفرى من الفرسان في طرفي الوادي في الوقت الذي كان فيه أهل الوادي والمدافعون عنه على غير استعداد قتالي ودونما حالة انذار مسبق [.. ففشتهم الخيل المفيرة على حين غفلة وأصابوا نعنهم وسوامهم ودوابهم وهي مسرحة مهلة ، فاكتسحوا جميع ذلك وانصرفوا إلى العسكر سالمين غانمين ..]^(٢).

— أفادت بقية قوات جيش قرطبة من نهار التوقف ، ومن ثوفر الحماية بانطلاق

.....
(١) وخشمه ، أو ، اكشومة Osma على نهر دويرة شرق شنت اشتين .

(٢) البيان المغرب ٢/ ٢٦٤ ،

مجموعة الفرسان الى وادي دويره ، فتمت اعادة التنظيم وأخذ الجميع قسطاً من الراحة وعندما عاد المنذر من عملياته في نهاية نهار يوم الخميس ١١ صفر ، اطلع الأمير عبد الرحمن الناصر على الموقف ، وفي صباح الجمعة ، انطلق فرسان المسلمين [.. وهم في اكمل تعبئة وأهذب ترتيب وأوكد ضبط وأبلغ حزم .. الى حصن وخشمه ..]

— لم تكن الحامية المدافعة عن حصن وخشمه تتوقع مثل هذا الهجوم المباغت وبمثل هذه القوة ، فعملت على اخلاء الحصن والانسحاب منه [.. الى الفياض الأشبه والصخور المنقطعة ..] واقتحم المسلمون الحصن فوجدوه خالياً فغنموا جميع ما فيه ، وأضرموه ناراً ، وانسحبوا منه ..

— توقف الناصر ليلة واحدة عند حصن وخشمه ، وفي صباح اليوم التالي انطلق الى « حصن قاشتر - مورش »^(١) ، وكانت المعلومات قد تسربت عن سقوط « حصن وخشمه » ، ووجدت الحامية المدافعة عن قاشتر مورش ، انها لا تستطيع الصمود لزحف جيش المسلمين فقامت بالجلاء عن الحصن ، وتخلوا عنه دون دفاع ، فدخله المسلمون ، وغنموا ما فيه ، وانطلقت مجموعات الى حصن القبيلة المجاور له ، فدمروه . وفي الوقت ذاته كانت بقية مجموعات الفرسان تنطلق في كل اتجاه لتدمير جميع الحصون والقلاع ، [حتى لم يترك لأعداء الله في تلك الجهة نعمة يأوون اليها ..]

— وفي صبيحة اليوم التالي ، انتقل أمير المؤمنين ، عبد الرحمن الناصر من شرق قلعة « قاشتر - مورش » الى غربيها وليس بين الموضعين سوى ميل واحد .. ونظم مجموعات الفرسان لمتابعة أعمال الاستطلاع ، ومطاردة فلول قوات العدو في كل اتجاه ..

(١) قاشتر مورش ، و، شنت اشتين : San-Esteban . كان من الثغور الرئيسية الشمالية ، وكانت القوات الشمالية تستخدمه للانطلاق في عملياتها الهجومية ضد ثغور المسلمين ومدنهم وتعرف أيضاً باسم : Castro-Muros .

- كانت « قلونية »^(١) من أمهات المدن التي تستخدمها - مملكة نافر -
للاغارة على حدود المسلمين ، فوضع المنصور مخططه للسير اليها وتدميرها ،
وكانت هذه المدينة تقع على محور تحركه نحو تطيله التي أراد الناصر دعمها
استجابة لطلب الحامية المدافعة عنها بعد أن تعرضت لكثير من هجمات نافر
بقيادة « سانشو - شانجه » ملك نافر ..

- توجه عبد الرحمن الناصر بجيشه في اتجاه « قلونية » ، فلم يصطدم بمقاومة
كبيرة وتقدم عبر القرى المتناثرة ، فغنم جميع ما كان فيها ، وعندما وصل
المسلمون « قلونية » كان أهلها قد تركوها ، والتجأوا الى الجبال المجاورة ، فانطلق
الجند الى المنازل والأبنية والكنائس يدمرونها ويحرقونها ويغنمون ما فيها ،
واستمرت أعمال التدمير طوال أيام ثلاثة [بهدف المطاوعة لنكاية المشركين
وانتصاف نعمهم ..]

- عرف الناصر ، ان عامل المباغته قد زال تأثيره بدليل اخلاء المـدـن
والقرى التي سار خلالها بجيشه ، وعرف أيضاً ان المسير المستمر طوال الفترة
السابقة قد أرهق جنده ، فأخذ الناصر بالرفق في نهوضه .. وسار على محور
مواز لوادي نهر دويره حتى قطع صحراء الشمال في خمسة مراحل وصل بعدها
الى اقليم تطيله حيث كان « محمد بن لب » عامل الاقليم في انتظاره ، فوجه مجموعة
قتالية من الفرسان بقيادته للاغارة على حصن قلقره^(٢) .

- قاد محمد بن لب المجموعة القتالية الى حصن قلقره ، فوجد أن الحامية
المدافعة عنها قد غادرت ، فاحتله المسلمون ، وفي الوقت ذاته قاد الناصر بقية

(١) لم تحدد المصادر موقع هذه المدينة بدقة ، ولكن وصف مسيرة العمليات في البيان المغرب
٢٦٦/٢ ، مع تحديد مسافات السير ، يحمل على الاعتقاد بان قلونية هي قلعة النور ، الواقعة
شمال شرق « وخشمة » ، أرسمه .
(٢) قلقرة ، أو ، ركلة Ricla في موقع متوسط بين روطه ، وقلعة أيوب على رافد
نهر ابرة .

الجيش الى حصن قلهره^(١) ، ولم تحاول الحامية المدافعة عن الحصن مجابهة تقدم المسلمين ، بل عملت على الانسحاب والجلأء عن الحصن الذي دخله المسلمون ، وأخذوا في تدمير منشآته ومراكزه طوال يومين كاملين ..

— كانت العمليات السابقة كلها جنوب وادي « نهر ابره » ، وعندما تم للمسلمين تدمير قلهره ، أمر قواته بعبور النهر .. واندفعت المقدمة لحماية العبور في الوقت الذي استمر فيه تدفق القوات نحو الشمال . وفي هذه الفترة انطلق ملك نافار « شانجه » بهجوم قوي محاولاً تحطيم مقدمة المسلمين فاندفعت قوة الفرسان في المقدمة ، وجابهت الهجوم واستطاعت احباطه بسرعة ، فأخذت قوات « سانشو - شانجه » بالانسحاب ، ولكن قوات المقدمة ألفت بثقلها في المعركة ونجحت في تحويل الانسحاب الى هزيمة وانطلقت الفرسان في مطاردة فلول قوات العدو ، ثم عادت عناصر المقدمة عند توقف القوات بعد العبور ، لاعلام الأمير عبد الرحمن بما حدث واطلعه على الموقف ..

— خلال هذه الفترة توفرت المعلومات عند الناصر ، حول اجتماع قوات مملكتي ليون ونافار ، واسراع « اردونيو الثاني » ملك ليون و « سانشو شانجه » ملك نافار على زج قواتهما ، عبر المضائق الجبلية بهدف تحطيم المقدمة أو المؤخرة « الساقه » .. ونظراً لأن تقدم القوات سيتم في مناطق جبلية صعبة ، فقد أعاد الناصر تنظيم قواته [وأمر بتعبئة قواته وضبط اطرافها ..] وبعد أن أكمل الناصر دعم المقدمة ، والاجناب ، والمؤخرة ، ودفع مفارز الاستطلاع ، انطلق في هجومه عبر اقليم نافار ..

— أوغل الأمير عبد الرحمن الناصر في تقدمه ، وكانت قوات ليون ، ونافار تحتل المرتفعات الشاهقة والمواقع المحصنة ، وتتابع تحركات جيش المسلمين ، وحاولت اخضاعهم لحرب نفسية لاضعاف روحهم المعنوية [وجعلوا يتصايحون ..]

(١) قلهره Calahoria غرب تطيلة على نهر « ابرة » . وفي البيان المغرب ٢٦٧/٢ .
(وكان شانجه قد اتخذ مقلداً ومكناً) .

ويولولون ليضعفوا من قلوب المسلمين ..] ثم أخذت مغازز « الافرنج »
تتعرض لأطراف المسلمين « العناصر الوقائية » واستمر الأمر كذلك حتى تجاوز
الأمير عبد الرحمن المناطق الجبلية ووصل منطقة سهلية ، فأمر جيشه بالتوقف ،
واقامة المعسكر . وهنا أخذت القوات المعادية للمسلمين في التدفق عبر المعابر
الجبلية وبدأ القتال ، ودارت رحى معارك كبيرة انتهت بهزيمة قوات ليون
ونافار [فهربوا لا يلوون على مكان مضطربهم ، ولا يهتدون لوجه منقلبهم ،
والمسلمون على آثارهم يقتلون من ادركوا منهم حتى حجز الظلام بينهم ..]

— كان « حصن موبش » — القريب من ميدان المعركة — ينفرد بمميزات
دفاعية جيدة ، فهرب ما يزيد عن الألف مقاتل إلى هذا الحصن على أمل أن
يجدوا فيه الحماية اللازمة ، فأمر الناصر بدفع « المجانيق » إلى الحصن ، واستخدام
أجهزة الحصار ، وتم تطويق الحصن من جميع جهاته ، ثم اندفع المقاتلون فافتحموا
الحصن وقاتلوا داخله وتم استخراج جميع المقاتلين ، وقدموا إلى الناصر ، حيث
قتلوا جميعاً وغنم المسلمون ما في الحصن من أمتعة وحلية متقنة وآنية كثيرة
وألف وثمانمائة فرس .. وتوقف الناصر في « الحلة » المجاورة للحصن لفترة أربعة
أيام [.. يغير جميع ما حوالىها من نعم المشركين وثمراهم ومزارعهم ..]

— كان ملك نافار « سانشو شانجه » قد عمل على تحصين بقيرة^(١) ، فعمل
الناصر على إنهاء عملياته في التقدم إلى حصن « بقيرة » ، ووجد أن الحماية المدافعة
عن الحصن قد تركته دون قتال ، فأمر بهدمه ، وإزالته ..

— توجه الأمير عبد الرحمن في طريق العودة إلى حصون المسلمين لتفقدوها

(١) بقيرة : Vigura ، هي الآن تابعة لمدينة لكري أو لوجرونو Logrono ، وتسمى
بقيرة أيضاً « فتورية » . وجاء في المقتبس ، ابن حيان ، تحقيق مكّي ، ص ٢٥٦ أن موسى
ابن موسى القسوي هو مؤسس بقيرة ، وهو الذي عمل على بنائها وتحصينها ثم ضمتها نافار إلى
بلادها ، وتقع بقيرة على بعد ٩١ كم ، شمال غرب تطيلة .

ودراسة متطلبات أهلها ، وتدعيم حامياتها ، وكلما ألقى بقرب حصون المسلمين معقلاً للمشركين أمر بهدمه واحراق ما يحيط به [.. حتى لقد اتصل الحريق في بلاد المشركين عشرة اميال في مثلها ..] واجتمع عند الناس من الأطعمة والخيرات ما عجزوا عن حمله .

— انتهت جولة الناصر في « انتيشه »^(١) فتوقف بها يوماً واحداً ، اجتمع فيه الى قادة الثغور ، وأذن لهم بالتفرق والعودة الى قواعدهم بعد أن قدم لهم الهدايا المناسبة ، ثم دخل قرطبة بعد أن استمرت غزوته هذه ثلاثة أشهر ..

٢ - غزو بنبلونه - عاصمة نافار -

٨٣١٢ - ٩٢٤ م

١ - الوضع الخاص قبل المعركة :

استطاع « سانشو شانجه » ملك نافار ، أن يعيد تنظيم قواته بسرعة ، ولا ريب في ان مملكة ليون قد قدمت له دعماً قوياً ليتمكن من التغلب بسرعة على الرواسب التي تركتها الهزيمة المنكرة في معركة « موبش » الكبرى .. وكان من بعض ما تركته هذه المعركة هو حدوث انهيار عند سكان الثغور المتاخمة لحدود بلاد المسلمين ، ولهذا فقد عمل « سانشو » على معالجة هذا الانهيار بممارسة أعمال عدوانية من جديد على حدود المسلمين فانطلقت في عام ٨٣١١ - ٩٢٣ م على رأس جيش كبير في اتجاه « بقيره » ..

— كانت الحامية المدافعة عن بقيره بقيادة « ابن لب » وكان مع ابن لب مطرف بن موسى ذي النون ، ومحمد بن محمد - ابن عمه - ووجوه رجالهم ..

(١) اتينزا Atienza ، غرب مدينة سالم وفي مدخل وادي الحجارة . ويذكرها بعض المؤرخين العرب باسم « انبيجة » الروض المطار ، (وفيها قتل الحافظ أبو الربيع الكلاعي عام ٥٦٣ : ١٢٣٦ م عند الدفاع عنها قبل أن تسقط في يد الافرنج ، بصورة نهائية) .

٢٠ - جاء هجوم جيش نافار بقيادة سانشو مباغتاً للحامية المدافعة عن حصن « بغيره » ، ورغم ذلك فقد استطاعت الحامية الصمود للعدوان لكنها لم تتمكن من الاستمرار في الدفاع ونجح « سانشو » في اقتحام بغيره فعمل على إبادة الحامية وقتل ابن لب وأبناء ذي النون جميعاً ..

٢١ - كان عبد الحميد بن بسيل وزير المال في بلاط الأمير عبد الرحمن الناصر ، وقد عرف عن ابن بسيل الكفاءة في القيادة ، والقدرة على مجابهة العدوان ، فعمل الناصر على تعيين ابن بسيل لقيادة قوات كبيرة ، بمهمة ردع العدوان .. وقاد ابن بسيل جيشه حتى وصل الثغر حيث وصلت قوات الدعم من الثغر الأقصى أو الثغر الأعلى ، فدخل مدينة تطيله ، وجعلها قاعدة لعملياته .. ثم أخذ الأمير عبد الرحمن الناصر في الاستعداد لتصعيد عمليات الردع من جديد .

٢٢ - مسيرة الأعمال القتالية :

كانت عمليات الصوائف تبدأ في شهر حزيران - يونيو - وأراد الأمير عبد الرحمن تحقيق المباغتة والاسراع في تنفيذ عملية الردع ، والثأر لمقتل بني لب وبني ذي النون في حصن « بغيره » ، فخرج لفزوته مبكراً عن عادة تحرك الصائفة ، وغادر قرطبة على رأس جيشه الكبير في يوم الخميس ٣ ذي الحجة ٣١٢ هـ ، الموافق ١٢ شباط - فبراير ٩٢٤ م ، وأقام معسكره قريباً من قرطبة وانصرف الى إعادة تنظيم القوات واعدادها للمعركة ، وبعد ٤٣ يوماً من الاستعداد ، وفي يوم ١٦ محرم - ٢٧ نيسان - ابريل ، غادر الجيش الكبير منطقة الحشد في قرطبة وتوجه الى « بالش »^(١) حيث توقف فيها يومين .

اكتشف الأمير عبد الرحمن الناصر تهاوناً في الاستعداد القتالي وقصوراً في الحماسة ، وأفاد من توقفه في « بالش » لمعالجة هذه الظواهر [.. وتوجيه اللوم

(١) بالش ، ابن عذارى ٢٧٨/٢ ، وفي المغرب ونفح الطيب « بليش » Velez-Malaga ، قريباً من مالاكا على البحر الأبيض المتوسط . اشتهرت بشارها وتينها بصورة خاصة .

الى المجاهدين معه من أجناده ورعيته والمحشورين من أقطار كوره ..]
 - لم يكن باستطاعة الناصر الانطلاق الى الشمال وتركيز الجهد على العدو
 الخارجي ، قبل تطهير الداخل من العصاة والمتمردين ومنهم في تدمير وبلنسيه
 عبد الرحمن بن وضاح ويعقوب بن أبي خالد التوبري ، وعامر بن أبي جوشن
 وأمثالهم . فتوجه الناصر بجيشه الى كورة تدمير وانطلق منها الى كورة بلنسيه ،
 فاستنزل العصاة من معاقلمهم ولم يمتنع عليه سوى - محمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ -
 الذي أصر على عناده وأظهر تصميمه على الاستمرار في التمرد ، فترك الأمير
 عبد الرحمن الناصر قوة لحصاره ، وانطلق بجيشه الى « ثمر تطيله » فانضم اليه
 جيش الثغور والتجيبين وجميعهم في أكمل استعداد قتالي ، فتكون لديه
 جيش [كعدد الحصى ..]

- كان حصن « قلقره - أو - ركله » أول حصون دولة نافر ، فتقدم اليه
 المسلمون فوجدوا أن « سانشو - شانجه » قد أمر باخلائه ، فاحتله المسلمون
 وأمر الناصر بتدميره واحراق جميع ما فيه ، ثم انتقل منه الى حصن « بيتر -
 ألبه » وكانت حوله مجموعة من الحصون والقلاع ، فأخلاها جيش نافر ، ويظهر
 أن حركة الجلاء عن القلاع والحصون قد تمت بسرعة حتى أن الحاميات تركت
 في السهول جميع المتاع والطعام فغنم المسلمون ذلك كله ، وكان سكان السهول
 قد جمعوا أهلهم ، وانضم اليهم بعض الجند والتجأوا الى بعض المناطق الصعبة
 التي تتوفر فيها ينابيع المياه ، فتابع المسلمون تقدمهم حتى النهر - ابره -
 واشتبكوا مع الجند ، وأرغومهم على القتال ثم قام بعض المقاتلين بمركات التغاف
 حتى سيطروا على المرتفعات المحيطة بمواقع الجند ، وعملوا على ابادتهم
 [وسبوا النراري وغنموا الأمتعة ، وهدموا الحصون التي كانت في تلك الجهة ،
 ولم يبق منها صخرة قائمة ..]^(١)

.....

(١) ابن عذارى ٢٧٧/٢ - ٢٨٠ .

- توقف جيش قرطبة في هذه المنطقة - الغيران - يوماً واحداً ، وانتقلوا منه الى حصن « فالجش » حيث أضرموها - أرباضه ناراً - واستقصيت زروعها ونعمه انتسافاً وتغييراً ، وبعد أن تم انجاز عمليات التدمير ، انتقل جيش قرطبة الى حصن بقاليه ، وهو من الحصون المنيعة ، فتكررت عمليات التدمير والاحراق ذاتها بعد الاستيلاء على المواد التموينية التي تركها جيش نافار - سليمة - وتابع الجيش تقدمه الى حصن « قرقستال » على نهر أراغون .

- وضع الناصر مخططه للوصول الى بنبلونه عاصمة « نافار » وكان لازماً عليه أن يعبر في تقدمه « فج المراكوير - أو مضيق المراكوير » بين السلاسل الجبلية الشاهقة ، والانتقال بعد ذلك الى وادي « هيفه » الضيق ، حتى الوصول الى بنبلونه ولم يكن هناك محور عمليات تبادلي يمكن اتباعه ..

- أعاد الناصر تنظيم قواته ، للتقدم في المناطق الجبلية ، ودعم المقدمة والمؤخرة والمجنبات بقوات الفرسان [.. فأخذ في الحزم ، وعهد بضبط مجنبات العسكر ، وتقدم من فج المراكوير في أتم تعبئة ، وأهذب ترتيب ، وتقدم الجيش لحرق ما يصادفه ويدمر الحصون والمساكن حتى وصل قرية بشكونسه والتي ينسب اليها ملك نافار ، فهدمت مبانيها ، وأحرقت ..]

- كان ملك نافار « سانشو - شانجه » قد حشد قواته في المرتفعات الجبلية الشاهقة وأخذ يتابع تقدم جيش قرطبة ، ويستطلع تنظيمه للعشور على ثغرة يمكن توجيه ضربة من خلالها .

[.. جمع العليج شانجه - كفرته - واستمد بنصرانيته من كل مكان طمع أن يفاث منه حتى توفي له جمع رجا أن يكافح المسلمين به ..]

- وكان الأمير عبد الرحمن الناصر يتابع تحركات فرسان خصمه على قمم الجبال ، فاتخذ الاجراءات الضرورية لتجنب وقوع أي مباغته ، ودفع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه ، واتخذ تدابير الأمن ، وأمر القادة بالحذر واليقظة ، ثم

استأنف تقدمه منذ الصباح المبكر عبر الوديان السحيقة وبين الجبال الشاهقة ، وعندما وصلت قوات المسلمين الى المضيق الصعب في وادي «هيفه» أخذ فرسان - جيش شانجه - في الهبوط من الجبال لعاقة تقدم المسلمين ، وحدثت اشتباكات بسيطة فأمر الناصر بالاستعداد للهجوم ، وانطلق المسلمون في هجومهم ، وعبروا النهر اليهم ولم تتمكن الحامية المدافعة عن المضيق الصمود لثقل هجوم المسلمين ، فراجعوا عن مواقعهم [واقتلهم عن موضعهم ووضعوا سيوفهم ورماحهم حتى اضطروهم إلى مرتقى وعر وجبل منقطع . فتلقح المسلمون عليهم . وبسطت الأرض باجسادهم . واستمرت الخيل المفيرة في بسطهم فاصابت الفئانم والموانم وضروب النعم ، وانصرفوا سالمين لم يصب منهم غير يعقوب بن ابي خالد التوبري ، ونفر قليل ..] .

- لم يبق أمام جيش قرطبة ما يعمق انطلاقته بسرعة فتوجه الى « محلة لنبيره » ومنها الى « لفين » ثم الى بنبلونه ، والجيش لا تمر بموضع إلا دمرته ، ولا بزارع إلا أحرقتها ولا بقري إلا هدمتها ، وأزيلت المواقع المحصنة .

- عندما وصل جيش قرطبة الى « بنبلونه » كان أهلها قد غادروها ، كما كانت الحامية المدافعة عنها قد غادرتها ، فدخلها الأمير عبد الرحمن الثالث ، وأمر بتدميرها وتخريب مبانيها ..

- كان ملك نافار « سانشو - شانجه » قد شيد « في صخرة قيس » كنيسة كبيرة ، وبذل كثيراً من تأنيقها ، وحصن المدينة تحصيناً كبيراً ، كما عمل سانشو ، على حشد قوات كبيرة في الجبال والمرتفعات المشرفة على صخرة قيس ونظم جيشه للدفاع عنها ..

بعد انتهاء عمليات التدمير في بنبلونه وجه الناصر جيشه نحو « صخرة قيس » فاقترحها ، وأخذ الجند في تدمير المدينة وتخريبها ، ففقد « سانشو » جيشه للدفاع عن المدينة وتصدت له قوات المسلمين وبعد معركة قصيرة وحاسمة حقق

المسلمون انتصارهم .. [وفي لحظة طرف اقتلع - المسلمون - جيش - نافار -
وصرعوا من فرسانه ووجوه اصحابه من كان عن « سانشو » محامياً ودونه
مستهلكاً ، واخربت الكنيسة وما احيط بها ، وعادت القرية ناراً لاهبة ..] .

- انتقل جيش قرطبه الى « معلة اساريه » عبر فج ضيق يسمى « فج هرقله »
واراد جيش « نافار » اغتنام فرصة مرور الجيش بمناطق شديدة الوعورة لتوجيه
ضربة اليه .. [فامر الناصر بالتعبئة والاحتراس ونهض على اتم
التحفظ والضبط حتى جاوزت العساكر ذلك المضيق وخرجت منه ..]

واستندت قوات جيش نافار الى الجبال لحماية مؤخراتها وانطلقت في هجوم
مباغت لضرب مؤخرة جيش المسلمين فتصدت قوة الفرسان لهجوم جيش نافار
والحق به هزيمة منكرة وكبدته خسائر فادحة ، وارغمته على الفرار .. ثم تابع
الجيش مسيرته في اتجاه العودة على محور أسارير - مينير - ذي شره - وهي
قلاع صغيرة ، ثم وصل الى « شنت - اشتيين » ، حيث كان ملك نافار قد
جعلها مستقراً له ، وموضعاً يلجأ اليها للراحة ، وأمر الناصر بتدميرها ..

كان ملك نافار - أثناء هذه العمليات - يتابع تنظيم قواته ، وطلب الدعم
من ألبه ، والقلاع ، فوصلته قوات الدعم ، وقام بتنظيم هجوم على جيش المسلمين
عند الوصول الى « شنت - اشتيين » فتصدى لهم جيش المسلمين ودارت معارك
قاسية كانت روح المسلمين فيها عالية جداً بسبب ما حققوه من انتصارات
متلاحقة وما ألحقوه بملكة نافار من تخريب وتدمير ، فاستطاع جيش المسلمين
الحاق الهزيمة بجيش « سانشو » وأرغمهم على الفرار الى مرتفعات الجبال
[فتفرقوا في الأرض الكثيرة الشجر وذات الغابات المتصلة] واستمر فرسان
جيش قرطبة في مطاردة خصومهم .

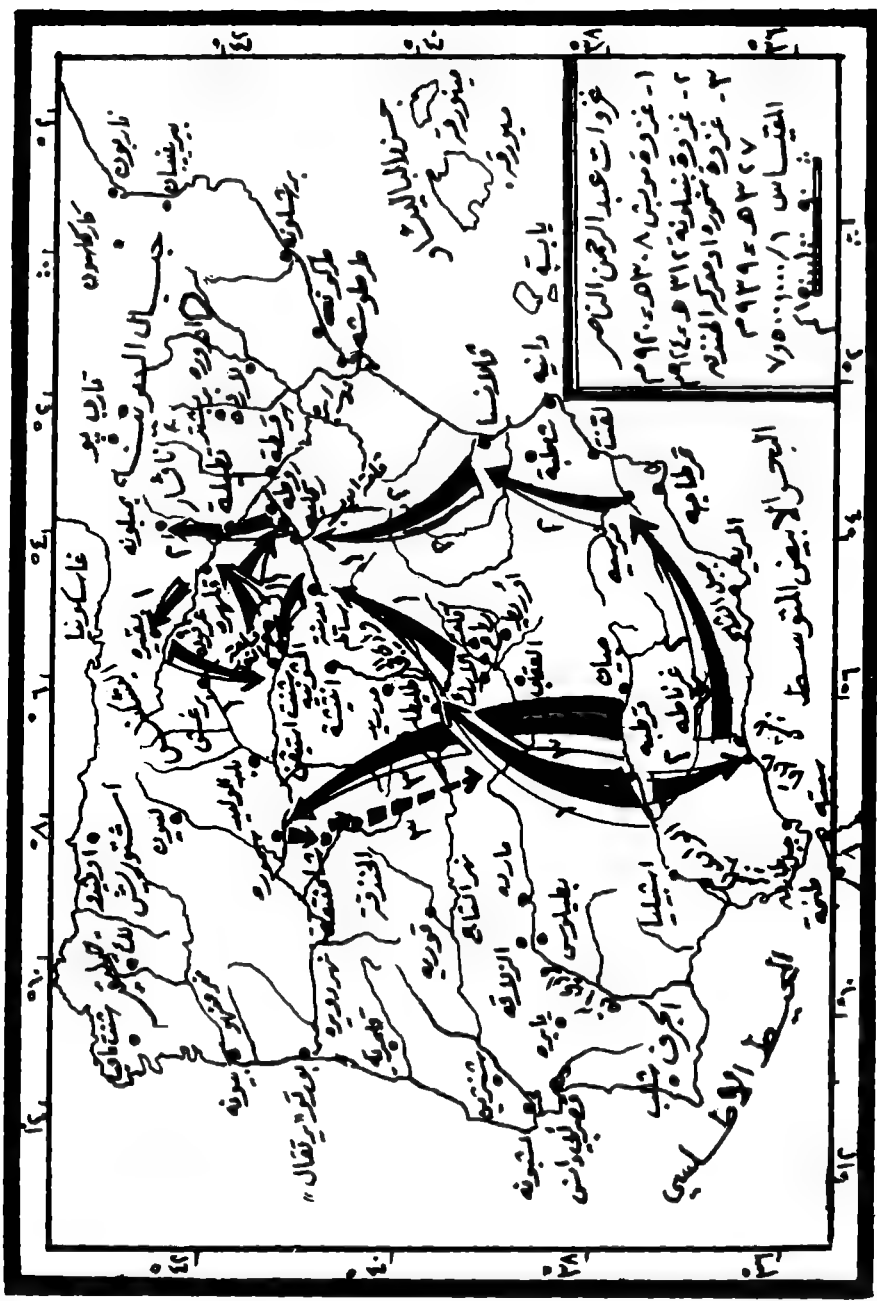
- انتقل الناصر بعد ذلك الى « رابية سريه » في طريقه الى « قلهره » ،

فتصدى سانشو بجيشه لجيش المسلمين - مرة ثانية - مستفيداً من سيطرته على المرتفعات فأسرعت مجموعات الفرسان الى السباق نحو تعلق المرتفعات وأمكن تدمير بعض قوات جيش نافار وارغامه على الانسحاب .

- وصل جيش قرطبة الى قلهره ، وكانت الحامية المدافعة عنه قد انسحبت فأمر الناصر بهدمه وانتقل منه الى حصن « بلتيريه » وهو من حصون المسلمين المجاورة لحصون - المشركين - فعهد بادخار الأطعمة عندهم ، وتفريق الأموال فيهم واحتل بمدينة تطيله وأقام بها يوماً واحداً .

- كان لهذه الانتصارات صداها في الاندلس ، وعند مرور الناصر في طريق عودته على بني ذي النون ، استسلموا اليه ، وكان من بينهم يحيى بن موسى ، ويحيى بن أبي الفتح ، وعندما دخل الناصر قرطبة كان قد مضى على غيابه عنها أربعة أشهر ، مرت كلها في مسير متصل ومعارك متلاحقة ، وكان النجاح حليفاً لهذه العمليات كلها بحيث لم تتكبد القوات خسائر تذكر وكان عدد الحصون التي تم فتحها في هذه الفترة ثلاثون حصناً .





٣ - معركة الخنلق « غزاة القدره »

٥٣٢٧ هـ - صيف ٩٣٩ م^(١)

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١ ٢٩٥-٣٢٢	٩٠٧-٩٣٣	١ خلافة المقتدر بالله العباسي في بغداد .
٢ ٣٠٠-٣٥٠	٩١٢-٩٦١	٢ خلافة عبد الرحمن - الناصر - « الثالث » .
٣ ٣١٣	٩٢٥	٣ وفاة اردونيو الثاني ملك ليون وخلافة أخيه فرويلا .
٤ ٣١٤	٩٢٦	٤ وفاة فرويلا ، والنزاع حول العرش بين ولدي اردونيو : سانشو ^(٢) والفونسو ، ثم استمرار الصراع طوال أعوام حتى وفاة سانشو وتجدد الصراع بعد ذلك بين الفونسو وأخيه راميرو ، وهو الصراع الذي انتهى بانتصار راميرو الذي جلس على العرش في مملكة ليون باسم « راميرو الثاني » ، عام ٣٢١ هـ - ٩٣٢ م .
٥ ربيع ٢-٣١٨	مايس ٩٣٠	٥ تمردت طليطلة ، فوجه الناصر وفداً من العلماء لاقتناع زعمائها بالعدول عن الثورة ، وعندما فشلت المحاولات السلمية وجه الناصر جيشاً لاختضاع طليطلة الشائرة ..

(١) نفع الطيب ١ - ٣٦٣ .

(٢) سانشو أو سانجه Sancho .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٦	٣٢٠	صائفة ٩٣٢ معاودة غزو طليطلة ، وقد توجه روميرو بجيشه لدعم ثوار طليطلة وتجاوز مدريد فتصدت له قوات المسلمين شمال طليطلة وأحبطت هجومه ، ووجد أهل طليطلة أنفسهم أمام موقف خطر بعد أن فقدوا كل أمل في الدعم الخارجي فاستسلموا ودخل عبد الرحمن طليطلة ظافراً .
٧	٣٢١	٩٣٣ توجه « راميرو الثاني » الى وخشمه ^(١) واحتلها وأبعد المسلمين عنها .
٨	٣٢٢	٩٣٤ قاد الخليفة عبد الرحمن الصائفة لاختضاع وخشمه - او سمه - فتركها أهلها واعتصموا بالجبال وحاول عبد الرحمن دفع خصمه « راميرو الثاني » على ترك مواقعه الجبلية والدخول معه في معركة حاسمة ولكن راميرو تجنب الصدام مع جيش قرطبة .

(١) وخشمه Osma .

٣ - معركة الخندق « غزاة القدره »

٦ - الوضع العام :

افاد الخليفة عبد الرحمن الناصر من الحرب الأهلية في مملكة ليون خلال الفترة بين عام ٣١٣ - ٣٢٠ هـ = ٩٢٥ - ٩٣٢ م وذلك اتركيز الجهد على البناء الداخلي وقمع الثورات المضادة ، مع العمل في الوقت ذاته على تأمين الجبهة الجنوبية وذلك بالقضاء على الدعوة الفاطمية في المغرب الأقصى . وعندما انتهى الأمر في مملكة ليون الى « راميرو الثاني » بدأت مرحلة صراع جديد في الشمال ، فقد عرف عن راميرو الشجاعة والعناد والتصميم على مناهضة الساميين . فأخذ في اذكاء عوامل الفتنة الداخلية والافادة من التناقضات لاستنزاف قوة المسلمين في الاندلس مع العمل في الوقت ذاته على تنظيم الاعمال الهجومية في محاولة لانتزاع بعض الاقاليم الشمالية وتدمير ثغور المسلمين .

— وكانت مملكة نافار . . بلاد البشكنش قد التزمت بالهدوء وعدم الاعتداء على حدود المسلمين خلال الفترة الأولى التي اعقبت وفاة سانشو ملك نافار وقيام أرملة « تيودا » التي تذكرها المصادر اسلامية باسم « طوطه »^(١) وصيه على ابنها غرسيه « أو جارسيا » — ولكن تيودا لم تلبث ان بدأت في محاربه الاعمال العدوانية ضد ثغور المسلمين وذلك في عام ٣٢٦ هـ - ٩٣٧ م .

كان عبد الرحمن الناصر يتبع سياسة حازمة وقوية في اخضاع حكام الأقاليم ويعمل على تحطيم « مراكز القوى » بعد ان اثبتت هذه المراكز انها مصدر تهديد دائم لوحدة الدولة ، فخاف حكام الأقاليم التقليديين من زوال سلطتهم ونفوذهم فتظاهروا بضعفهم بالخضوع والاستسلام بينهم — اعلن بعض حكام الشمال استقلالهم مستفيدين من قوة مواقعهم وتحصيناتهم ومن قربهم الى

(١) طوطه Teoda ، وفي تاريخ برونسال ٧٣/٢ : Toda .

بلاد الافرنج ، مما يسمح لهم بالتعاون مع الممالك والامارات النصرانية
واللجوء اليها عند الضرورة .

- كان يحكم سرقسطه محمد بن هشام التجيبي ، كما كان يحكم قلعة أيوب
مطرف بن مندف التجيبي وكلهم من بني هاشم ، وعندما اندلعت نيران الحرب
بين « راميرو الثاني » وعبد الرحمن الناصر ، تم عقد اتفاق سري بين راميرو الثاني
وبين التجيبين - على اساس اعتراف حاكم سرقسطه محمد بن هشام التجيبي بالولاء
لحاكم ليون مقابل دعم هذا لاستقلال سرقسطه وظهرت آثار هذا التحالف عام
٩٣٣ هـ - ٩٣٤ م حينما كان عبد الرحمن الناصر يزحف بقواته لتدمير مملكة
ليون حيث اعلن بنو هاشم تمردهم ضد قرطبه ودعمهم للملك ليون « راميرو »
وحالوا التأثير على حكام بعض الحصون الشمالية لكن هؤلاء رفضوا خيانة
قومهم فوجه راميرو الثاني جيشاً لدعم محمد بن هشام التجيبي ونجح جيش
ليون وقوات التجيبين في الاستيلاء على بعض المواقع والحصون وضمها الى سرقسطه
ثم تطور هذا الحلف عندما انضمت اليه « طوطه » ملكة نافار « البشكنش »
وهكذا توحد الشمال كله ضد قرطبة وكان تحالفاً قوياً يشكل خطورة كبرى
ضد الخليفة عبد الرحمن الثالث .

٢- الوضع الخاص :

لم تقف قرطبه موقف المتفرج من تطور احداث الشمال ، فأسرع الخليفة
عبد الرحمن الثالث نحو الشمال يقود جيشاً كبيراً في عام ٩٣٦ هـ - ربيع عام
٩٣٧ م ، وبدأ الخليفة عبد الرحمن عملياته بحصار قلعة أيوب التي تصمد طويلاً
للحصار ، فافتحمها جيش قرطبه ، واعدم الخليفة عبد الرحمن قائد القلعة
« مطرف بن مندف التجيبي » وقتل معه قادة قوات الدعم التي ارسلها راميرو
الثاني لمساعدة مطرف ، وتابع جيش قرطبه تقدمه حتى وصل اقليم الباسك
« ألفا » واقتحم مجموعة من القلاع والتحصينات ثم وصل الجيش الى سرقسطه

وترك قوة لحصارها بقيادة قريبه قائد الفرسان « احمد بن اسحاق » وعينه حاكماً للثغر .

- كان احمد بن اسحاق وزيراً لعبد الرحمن وكان له اتصالات مع الفاطميين في عدوة المغرب للتآمر معهم ضد حكومة قرطبة ، وعندما عينه الخليفة حاكماً للثغور وسرقسطه وجد احمد بن اسحاق الفرصة مناسبة لمتابعة نأمره ، فأظهر تهاوناً في الحصار ، وشعر الخليفة عبد الرحمن بموقفه ثم وقف على جليلة أمره ، فأصدر اوامره باعدامه ، وعلم أمية بن اسحاق باعدام اخيه احمد فتابع ثورته في « شترين » ، « سنتاريم » في غرب الاندلس ، ولكن احد القادة من انصار الخليفة تصدى لمقاومة التمرد ، وأرغم أمية بن اسحاق على الفرار فالتجأ الى « راميرو الثاني » .

- تابع جيش قرطبة حصاره لسرقسطه ، وأخذت القلاع والحصون تتساقط تباعاً في قبضة جند قرطبة ثم سقطت سرقسطه وأسرفيها محمد بن هشام التجيبي ، كما سقطت أمنيح حصون الثغور وأقواها وهو حصن « روطه » وأسرفيه يحبس التجيبي ، وبذلك انهارت ثورة التجبيين ، وتقدم محمد التجيبي من الناصر بطلب العفو فعفى عنه وأعادته الى منصبه حاكماً لسرقسطه فاستأل اليه « بنو هاشم » وأمن عصبيتهم .

- في الوقت الذي كان فيه جند قرطبة يخضعون تمرد سرقسطه ، كانت جيش عبد الرحمن الناصر يتابع عملياته في نافار ، ووصل الى عاصمة الاقليم « بنبلونه » مدمراً في طريقه كل الحصون والحاميات المدافعة عنها ، وتمزق جيش البشكنس ووجدت « طوطه » انها عاجزة عن الاستمرار في المقاومة ، فقررت الاستسلام للخليفة الناصر ، وتقدمت اليه بطلب الخضوع والطاعة ، فقبل الناصر طلبها وأقر ولدها « غرسيه - جارسيا » ملكاً على نافار .

كان من نتيجة سياسة الناصر الداخليه ، ظهور طبقة من « الانتهازيين » امثال نجدة الخيري واصحابه - ممن ترك لهم الناصر المجال لتقلد الامور في النوله

والجيش لضرب زعماء العرب واخضاع اصحاب العصبيه . وتغلب اصحاب
الولاء الشخصي على اصحاب النفوذ المتوارث . وكان لذلك اثره في مسيرة
الاحداث التالية^(١).

٣ - مسيرة العمليات :

بعد نجاح الخليفة عبدالرحمن الناصر في تمزيق شمل التحالف الثلاثي : ليون -
نافار - التجيبين - واخضاع شمال شرق الاندلس لسيطرته ، لم يبق أمامه
سوى شمال - غرب الاندلس حيث خصمه العنيد « راميرو الثاني » ، ملك ليون ،
فأخذ في الاستعداد وحشد القوات للمعركة الحاسمة ونظم جيشاً وصلت قوته
حتى مائة ألف مقاتل ..

- لكن هذا الجيش على كبره ، وقوته الخارجية ، كان مفكك الأوصال
في الداخل ، فقد استولى العجب على الناصر ، فاستمد بغير الكفاة وأغاظ
الأحرار باقامة الاندال .. والجا اكابر الاجناد ووجوه القواد والوزراء من
العرب وغيرهم الى الخضوع له والوقوف عند أمره ونهيه .. [..
وعندما انتهى الناصر استعداداته انطلق من قرطبة في احتفال كبير ، فسميت
الغزوة هذه « بغزاة القدره » ، لاحتفاله فيها وعظيم مشهدها^(٢) ، واسند قيادة
الجيش الى نجدة الصقلي .

- كانت سموره^(٣) هي القاعدة المتقدمة لدولة ليون ، وهي من أقوى الثغور
محصناً ، وقد أحيطت بسبعة أسوار وبين الأسوار خنادق واسعة وعميقة
تغمرها المياه ، وكانت بها حامية قوية للدفاع عنها ، ولهذا جعل الناصر هدفه
الأول الاستيلاء على « سموره » ..

(١) ابن الأثير ٢٧١/٦ احداث سنة ٣٢٧ . نفع الطيب ٣٥٤/١ - ٣٥٥ ابن خلدون
١٤٠/٤ - ١٤٢ . تاريخ السنين في الأندلس ، دوزي / ١٤٨ .
(٢) أخبار مجموعة ١٥٥ .
(٣) سموره Zamora .

- وصل جيش قرطبة الى هدفه الأول ، وأحاط المسلمون بالمدينة ونجحوا في اقتحام السور الأول والثاني ، وخفت حدة هجوم المسلمين ، وحانت الفرصة المناسبة أمام القادة الذين تنقصهم الحماسة ، فعمدوا الى الاسترخاء والتهاون في متابعة دفع الهجوم .

- أفادت الحامية المدافعة عن المدينة من هذه الفرصة فنظموا هجوماً مضاداً قوياً أمكن لهم بواسطته تحطيم قوة الهجوم ، وانزال الاضطراب بالتنظيم القتالي للمسلمين . فبدأت الهزيمة . وأفاد منها راميرو فتحول انسحاب المسلمين إلى هزيمة منكرة .. وكان ذلك في شوال ٣٢٧ هـ - تموز - يولييه ٩٣٩ م .

- توقف الناصر عند سلمنقه^(١) وحاول إعادة تنظيم قواته مرة أخرى عند شاطئ نهر دويره . ولكن جيش نافار - البشكنش - بقيادة طوطه وجيش ليون بقيادة « راميرو الثاني » لم يتركا الفرصة الكافية ودارت معركة ثانية في يوم ٥ آب - أغسطس ٩٣٩ م .. وهنا .. (تواطأ أهل الحفاظ من رجال - جيش عبد الرحمن - ووجوه اجناده على ما كان من انهزامهم) وانسحب جيش عبد الرحمن مرة أخرى ، وبدأت قوات الشمال أعمال المطاردة ووصل المسلمون الى « الانديجا - أو - الحندق جنوب سلمنقه . وحاول المسلمون تنظيم صفوفهم والانطلاق بهجوم جديد ، ولكن هذا الهجوم لم ينجح ، ولم يتمكن المسلمون من مجابهة قوة صدمة جيش الشمال ، الذي أخذ في تطوير عملياته حتى تحول انسحاب المسلمين الى هزيمة وتحول تقدم جيش الشمال الى مطاردة [.. بحيث لم يكدر ينج منهم الا قوم جمعوا اصحابهم على ألويتهم وتخلصوا من القتال وانسحبوا الى بلدانهم ..] وخلال هذه العمليات من

(١) سلمنقه ، أو ، سلمنقة Salamanca على نهر دويره .

(٢) الحندق Al Handeca « جنوب شرق سلمنقة وعلى نهر دويره أيضاً » .

المطاردة قتل قائد الجيش « نجدة الصقلي »^(١) وأسر محمد بن هشام حاكم سرقسطه الذي كان يقاتل الى جانب الناصر وحمل الى ليون ، كما أصيب الخليفة عبد الرحمن بجراح ، فولى شطر قرطبة في ثلة من الفرسان ، ولم ينج من الأسر ، إلا بأعجوبة ..

— حاول راميرو الثاني الاستمرار في المطاردة حتى الوصول الى قرطبة ، ولكن الدم العربي ثار في قلب « أمية بن اسحاق » فنجح في خداع « راميرو » وحذره من احتمال وجود كمائن في الطريق ورغبه بما حصل لديه من غنائم فتوقفت عملية المطاردة ، ثم ان أمية بن اسحاق استأمن الناصر « فأمنه وعفا عنه وأكرمه » وعمل الناصر بعد ذلك على اقتداء محمد بن هشام حاكم سرقسطه ، فأفرج عنه ملك ليون بعد أن لبث في السجن ثلاثة أعوام تقريباً ..

(١) كانت كلمة الصقالبة في الاندلس تعني جميع الأسرى والخصيان من الأجناس الصقلية، السلافية ، الحقيقية ، ثم أصبحت تطلق على جميع الأجانب الذين يضمهم القصر ، من جلالقة وألمان وفرنسيين ولومبارديين وإيطاليين ، وكان معظمهم يعملون صفاراً بواسطة «خوارج البحر» القرصان ، وتجار الرقيق . وكانوا يختارون من الجنسين ويربون منذ الحداثة تربية عربية حسنة ويلقنون مبادئ الاسلام وقد نبغ بعضهم في النثر والنظم وألفوا الكتب والمقاصد ثم تعاضم نفوذ الصقالبة في عهد الناصر لسيطرتهم على شؤون الادارة والحكم والقصر ، وصارت اليهم المناصب الكبرى في الدولة والجيش . وتزايدت أعدادهم ، وامتلكوا الضياع وأصبح لديهم أموال ضخمة . وكان الناصر يدعم سلطانهم ونفوذهم ويرغم زعماء العرب وأشرافهم على الخضوع لهم ، فكان منهم قائد الجيش نجدة الصقلي وصاحب الخيل ، قائد سلاح الفرسان - أفلح ، كما كان منهم صاحب الشرطة « ودري » بالإضافة إلى يأسر وتام صاحباً النظر في الشؤون الخاصة . وهذا ما أضعف الروح المعنوية للجيش وساعد على التمزق الداخلي ، وفقد الحامية للقتال فكانت كارثة الحندق - الانديجا .

البيان المغرب ١٢٣/٢ ، نفح الطيب ٣٦٣/١ . أخبار مجموعة ١٥٥ ، دولة الاسلام في الاندلس/ عنان/ ١٥٥ - ١٥٦ وتاريخ المسلمين ، دوزي .
Histoire des Musulmans de l'Espagne Dozi. Paris 1932. II p. 153.

٤ - نتائج المعركة :

١ - تمزق جيش المسلمين ، وسقط في المعركة الاولى عند حصون سموره اربعين ألف مقاتل ، وتذكر بعض المصادر ان الخسارة وصلت الى خمسين الف قتيل . كما استمرت الخسارة خلال المعارك التالية ، وتذكر بعض المصادر انه لولا نصيحة امية بن اسحاق لايقاف المطاردة لكان الفناء التام مصير الجيش الاسلامي في هذه المعركة .

٢ - كان وقع الهزيمة كبيراً في العالم القديم كله ، وبصورة خاصة في اوربا فقد استقبلت اوربا اخبار الهزيمة بفرحة كبرى وهناك بعض المؤرخين الذين يعتبرون معركة الخندق هي بداية مرحلة الغزو المضاد ^(١) . في حين يحمل بعض المؤرخين ، فتح طليطلة ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م ، هو بداية الغزو المضاد ..

٣ - اما على الصعيد المحلي ، فان هذه الهزيمة لم تغير كثيراً من واقع دولة قرطبة ، فقد اسرع الناصر لاعادة تنظيم قواته ، وتطهير جيشه من عوامل الضعف واعاد الثقة الى الكفاء من قادته ، واعتمد على اهل الخبرة ممن لديهم كفاءة قيادية ، وعلى الرغم من توقف عبد الرحمن عن الغزو بنفسه ، الا انه تابع ارسال البعث والغزوات ، فوجه في عام ٣٢٩ هـ - ٩٤١ م ، ولما يمحض على كارثة الخندق اكثر من عامين قوة كبيرة استطاعت ان تقتحم حدود مملكة ليون وتعمل فيها تدميراً وتخريباً .

٤ - وفي الوقت ذاته عمل الناصر على زيادة الكفاءة القتالية لحاميات الحدود ، فحصن مدينة سالم « مدينا سالي » وأقام بها حامية قوية للدفاع عنها وجعلها بكل ما هو ضروري للدفاع وكذلك فعل بالنسبة لبقية المراكز الدفاعية المتقدمة - الثغور - .

(١) الغزو المضاد أو سياسة الاسترداد ترجمة للاصطلاح الاندلسي : La. Reconquista

الردع في عهد «الحكم المستنصر»

٣٥٠ - ٣٦٦ هـ = ٩٦١ - ٩٧٦ م

١ - الوضع العام :

توفي عبد الرحمن الناصر ، وترك دولة وطيدة الاركان ثابتة البنيان ، فقد استطاع خلال فترة حكمه أن يضع الأسس الثابتة لدولة الامويين في الاندلس حتى وصلت في عهده الى ذروة مجدها ورفعتها ، ونجح الناصر في القضاء على ثورات المولدين وتمرد العرب والمستعربين ، وألزم دول الشمال بالتوقف عن الاعمال العدوانية فعادت الاندلس الاسلامية الى مثل ما كانت عليه أيام الفتح الأولى ، وعاشت الاندلس في حياة الناصر أيام سلم واستقرار وأمن لم تصدها من قبل. وعندما تولى الحكم المستنصر الخلافة عام ٣٥٠ هـ ، سار على خطوات أبيه ، واتبع طريقته في الحكم والقيادة .

—*—

أ - الموقف في دول الشمال :

كان الناصر قد أعان سانشو الأول - شانه بن أردونيو الثالث بالمال والجند من أجل استرجاع عرشه وذلك قبيل وفاته بفترة قصيرة ، وهرب ابن عمه ومنافسه أردونيو الرابع الى برغش في عام ٣٤٩ هـ - ٩٦٠ م ، وكانت شروط الناصر مقابل هذا الدعم تتلخص في التزام « سانشو » بهدم القلاع والحصون المتاخمة لحدود المسلمين وتسليم بعضها الآخر اليهم ، وعندما توفي الناصر نكث سانشو العهد ورفض تنفيذ مواعيده .

- كانت قشتاله تابعة لمملكة ليون ، واقليماً من أقاليمها ، وخلال هذه الفترة ظهر في قشتاله زعيم قوي ، طمح في الاستقلال بإقليمه ، والتفت حوله العناصر المتطرفة والمناوئة لسياسة سانشو في التقارب مع دولة قرطبة ، ولم يلبث هذا الزعيم « فرنان كونتال » حتى أعلن عن استقلاله ، وانطلق في اغاراته على

الغفور والأقاليم المتاخمة لحدود قشتاله . ويظهر أن هذه الحركة لم تكن إلا تعبيراً عن الصراع الداخلي بين أنصار الهدنة مع دولة قرطبة الإسلامية وبين أنصار الكفاح المسلح المستمر ضدها .

— أفاد ازدونيو الرابع من هذا الموقف فليجأ إلى الحكم المستنصر بهدف الحصول على الدعم لاسترداد سلطته والحصول على تأييده في العودة إلى عرشه ضد ابن عمه « سانشو الأول » ، « شانجه » ، ملك ليون ، واستقبلت قرطبة « اردونيو الرابع » استقبالاً رائعاً ترددت أصداؤه في قلب العاصمة ليون ، فأسرع سانشو إلى إرسال وفد بهدف التقرب من الخليفة الحكم المستنصر، وضم هذا الوفد مجموعة من القسس وذوي السلطة في مملكة ليون . وقد وعد سانشو بتنفيذ ما كان قد قطعه من وعود للخليفة الراحل — الناصر — مع الاعتراف بالولاء للحكم المستنصر وتجديد العهود والمواثيق ..

— كانت هذه الظواهر السلمية ، تخفي وراءها النوايا العدوانية ، ولم تكن هذه النوايا غريبة على قرطبة أو مجهولة بالنسبة لها وهي التي تمست بالصراع الدائم مع دول الشمال ، وقد تأكدت هذه النوايا العدوانية بدليل استمرار أعمال « الاستفزاز على الحدود » وهذا ما دفع الحكم المستنصر على اتخاذ تدابير الحذر ، وإعلان حالة الطوارئ في البلاد وتوجيه حملات الصوائف باستمرار لمتابعة « أعمال الردع » ..

في عام ٣٥٦ هـ — ٩٦٦ م توفي « سانشو » ملك ليون مسموماً ، وخلفه ولده الطفل « راميرو الثالث » بوصاية عمته الراهبة « البيرة »^(١) فتجدد الصراع الداخلي ووقع التمزق في مملكة ليون ، وأعلن عدد من الزعماء تمردهم واستقلالهم . وفي عام ٣٦٠ هـ — ٩٧٠ م توفي « فرنان — كوثالث » ملك قشتاله ، وخلفه

.....

(١) البيرة ، أو ، حلوية : Elvira وصية على راميرو الثالث ، أو ، وخمير بن شانجه Ramiro III ملك جليقية « ليون » .

ابنه غرسيه فرناندز ، وتولى عرش نافار سانشو غرسيه الثاني بعد وفاة أبيه غرسيه فرناندز^(١) ، واستمر على سياسة أبيه ولكنه عندما ظن أن الفرصة مواتية للغدر بدولة قرطبة ، بسبب انشغالها في حرب الشيعة في المغرب ، قام بعدوان على الحدود ، ووضع مخطط العدوان بدقة فأوفد إلى قرطبة « وفداً » للمصداقة وجعل توقيت بداية العدوان مع مغادرة وفده لقرطبة بحيث يستطيع تحقيق المباغتة ، وقد وصل هذا الوفد فعلاً وأجري له استقبال حافل ، وتقدم رئيس الوفد من الخليفة الحكم بطلب السلم والمهادنة ، فأجابهم الحكم إلى ما طلبوا ، وما كادوا ينصرفون من قرطبة حتى جاءت الأنباء بوقوع عدوان على الحدود بقيادة غرسيه فرناندز ، فأسرع الحكم بإرسال مندوب عنه لاستدعاء الوفد ، فأبوا عليه ، ومموا بقتله ، فرجع المندوب وأخبر الحكم ، الذي أرسل عندها « أفلاح » الوكيل في دار الخيل ومعه سرية من وجوه الجند للقبض على سفراء قشتالة ، فهرعت في اثرهم واستطاعت أن تظفر بهم حيث أعيدوا إلى قرطبة وزجوا في سجن المطبق ، وذلك في عام ٣٦٣ هـ - ٩٧٣ م ..

ب - الموقف في الجنوب - المغرب :

ان دراسة الموقف في الجنوب تفرض بالضرورة العودة الى بداية الدعوة الشيعية - الفاطمية .

- كان عبيد الله المهدي أول من حمل بين زعماء الشيعة في المغرب لقب الخليفة ، وقد استطاع الخليفة عبيد الله المهدي ان ينظم جيشاً قوياً جعل من تونس قاعدة له ، وأخذ في توجيهه نحو المغرب ، ونحو مصر .. وقد اخذت دعوة المهدي تكتسح افريقية بسرعة كبيرة نظراً لعدم وجود مقاومة لها .

- كان هذا النجاح السريع للدعوة الفاطمية مصدر قلق كبير لحكام قرطبة الذين كانوا يعتبرون المغرب هي قاعدة العدوان عليهم وهي الخط الدفاعي الأول

(١) غرسية فرناندز ، Garcia ، Fernandez .

عن جنوب الاندلس . ومما كان يزيد من خطورة الموقف ، ظهور الحركات المناوئة والثورات المضادة بصورة مستمرة ، واتصال قادة هذه الحركات والثورات بالفاطمين ، والتآمر معهم ضد حكام الاندلس .

- أمام هذا الموقف ، وجه عبد الرحمن الناصر « الثالث » جيشاً قوياً ، وأسطولاً ضخماً لغزو المغرب وذلك في عام ٣١٩ هـ - ٩٣١ م ، وذلك للسيطرة على ثغر سبتة ، وتحريرها من قبضة « بني عصام الموالين للفاطمين » ، فبادر زعماء البربر من الأدارسة - وزناته الى اظهار ولائهم للحكم الأموي والالتفاف حوله والقيام بالدعوة له فامتدت سيطرة هؤلاء الزعماء حتى فاس ، وأرسل موسى بن أبي العافية أمير مكناسه الى الخليفة الناصر يطلب دعمه والدخول في طاعته فأجابه الناصر ، ووفر له الدعم وبذلك استطاع الصمود في وجه الفاطمين الذين أرسلوا قوات لاختضاعه في عام ٣٢١ هـ - ٩٣٣ م ، فاستطاع الحاق الهزيمة بهم ، وتمزيق جيش عبيد الله الفاطمي ، وفي عام ٣٢٣ هـ - ٩٣٤ م توفي عبيد الله ، فسير ولده الخليفة القائم ، جيشاً الى المغرب بقيادة « ميسور الصقلي » ، واستطاع هذا الجيش ارغام موسى على الفرار حتى الصحراء ، واستولى الأدارسة - حلفاء الفاطمين في هذه المرة - على مملكته ، فاضطر عبد الرحمن خليفة قرطبة الى توجيه حملات متتابة بمهمة ايقاف نفوذ الفاطمين وتدمير حلفائهم من الأدارسة وغيرهم .. واستمرت أرض المغرب مسرحاً للنزاع الذي وصل ذروته في عهد المعز - رابع الخلفاء الفاطمين - حيث وصلت الدولة الفاطمية أوج قوتها ، وأخذت أساطيلها في تصعيد عملياتها على جبهة بيزنطة وفي حوض البحر الأبيض المتوسط مما كان يندرج في الدولة الأموية في الأندلس بأخطار كبيرة . وفي عام ٣٤٤ هـ - ٩٥٥ م تحول هذا الانذار الى حقيقة واقعة ، فهاجم أسطول الفاطمين - ثغر المريه - أكبر الثغور البحرية للدولة الاندلسية الاسلامية ، وأحرقت القطع البحرية الراسية في الميناء وألحقت الدمار بمدينة المريه ذاتها فاضطر عبد الرحمن الثالث الخليفة الأموي في الاندلس أن يوجه قواته البحرية والبرية لغزو شواطئ

افريقية بقيادة أمير البحر « غالب » .. وانطلقت جيوش الاندلس الى تونس فوجهت ضربة مضادة للفاطميين . وبعد ذلك بثلاثة أعوام، وجه الخليفة الناصر أسطوله مرة أخرى بقيادة احمد بن يعلى وذلك بمهمة تهديد القوات الفاطمية التي كانت تتقدم على محور مواز للساحل الافريقي بقيادة « جوهر الصقلي » ، كما قامت بالعبور قوات أخرى فوصلت سبته وتمركزت في المغرب وبقيت فيها حتى تراجع الفاطميون عنها . استمر هذا الوضع في حكم الخليفة الحكم المستنصر.. ثم تصاعد الموقف خطورة في عام ٣٦١ هـ - ٩٧١ م عندما أظهر حسن بن قنون الحسني عداوة للحكم الأموي ومجاهرته الدعوة للفاطميين ، فأرسل الحكم المستنصر محمد بن قاسم الناصر الى سبته ، واستطاع الأسطول فتح طنجة بقيادة أمير البحر عبد الله بن رياحين ثم دارت معركة حاسمة بين قائد جيش قرطبة « محمد بن قاسم الناصر » وبين حاكم المغرب الفاطمي « حسن بن قنون الحسني » انتهت بهزيمة ابن قنون وفراره فطاردته قوات جيش قرطبة الى دلول ومنها الى أصيلا ، ثم قتل محمد بن قاسم عام ٣٦٢ هـ - ٩٧٢ م وهو في محصن مهران وقتل معه خمسمائة جندي اندلسي .. فاستدعى المستنصر بالله - غالب بن عبد الرحمن - كما جمع مستشاريه وأمرهم بالتأهب للفرار في الأسطولين المجهزين - أسطول اشبيليا وأسطول المريه - .

[.. واقلع غالب بن عبد الرحمن من مدينة الجزيرة .. الى طنجة بعد ان استكمل اهبطه فيها وقدم اجازة الاجناد والخييل والانتقال، وآلات الحروب ..]
وفي الوقت ذاته وجه الحكم المستنصر ، جيشاً آخر بقيادة صاحب الشرطة وقائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بمهمة دعم غالب بن عبد الرحمن ..
[.. وغطي الحكم المستنصر البحر بينه وبين المغرب بأساطيل الأموال والأسلحة والعدد والاطعمة ..]
[ثم ارسل الحكم المستنصر بالله ، الوزير يحيى بن محمد التجيبي الى المغرب بعسكر مدداً للقائد غالب ..]

بدأ القتال بالمغرب ، وحدثت معارك متلاحقة كان النصر فيها الى جانب جيش قرطبة ، وانتهى الأمر عام ٣٦٤ هـ - ٩٧٤ م بتحقيق انتصار نهائي ، وخضوع حسن بن قنون لحكم قرطبة ، وقدمه وشيعته بنو ادريس ، الى قرطبة مع جيش غالب بن عبد الرحمن حيث أجري لهم استقبال رائع ..

- وضع الخليفة الحاكم المستنصر مخططة الجديد لاعادة الاستقرار في المغرب ، فضم فرسانها وجيشها الى جيشه متبعاً في ذلك [سبيل سلفه بني مروان في احتوائهم ، للرغبة فيهم ... والاستكثار منهم ، فكان ذلك من بعده سبباً لتقدمهم طوائف الجند الأندلسي ..]^(١) .

٢ - الوضع الخاص :

تابع الحكم المستنصر سياسة أبيه في بناء « القوة الذاتية » لدولة الاندلس الاسلامية ، وان مطالعة تقسيم الجند والأسلحة في عهد المستنصر ، تظهر مدى ما وصلته القوات المسلحة من تنظيم قتالي .

- كان التسلسل القيادي في جيش الأندلس يخضع لقيادة القائد الأعلى ، وكانت تتم تسمية هذا القائد لممارسة العمليات في جبهة معينة وخلال فترة محددة ، وكثيراً ما كان يضطلع بهذا المنصب الخليفة ذاته أو وزير من وزرائه أو قائد من كبار قادته . وكان يخضع لهذا القائد الأعلى « قائد » يمارس وظائف - قائد ثان - ثم يلي ذلك قائد البحر « قائد الماء » ، الذي يتبعه بدوره قادة الأساطيل ، وكانت الأساطيل الرئيسية هي أسطول اشبيليا وأسطول المريه ..

- كانت الاندلس مقسمة من الناحية العسكرية إلى « مناطق » وكان لكل منطقة جيشها الذي يخضع لأمرها أو واليها . وكانت هذه الجيوش في الحرب أو عند الخروج للصائفة تلتقي في منطقة معينة - منطقة حشد - ثم تقوم

(١) المقتبس ، ابن حيان القرطبي / تحقيق الحجي / ٨١ و ١١٥ و ١٨٩ و ١٩١ وكذلك ابن عذارى ٣٦٤/٢ - ٣٧١ ، ونفح الطيب ٣٨٥/١ و ٣٩٧ :

بعملياتها تحت قيادة القائد الأعلى ، وعند انتهاء العمليات ، تفرق في المنطقة التي يحددها القائد الأعلى حيث تعود بعد ذلك إلى أقاليمها . وإذا ما وقع عدوان مباغت فإن واجب الدفاع يقع على عاتق القوات المنتشرة في المناطق ، فتكون هذه القوات بمثابة الخط الدفاعي الأول الذي يحمي الثغور خلال المفترة اللازمة لتقدم قوات الدعم ووصول الجيش الرئيسي .. وهكذا أمكن التمييز بين الجند الزاهريون - المقيمون بالزهراء - والجند القرطبيون - المقيمون بقرطبة - والجند المالقيون - المقيمون في مالقا - وجند المريه - وجند طليطلة ، الخ ...

- كان الجيش في عهد الحكم المستنصر يضم طبقتين رئيسيتين : الأحرار والعبيد ، وفيهم الخمسين والطنجيين ، وغيرهم ... وهؤلاء هم نواة الجيش العامل وكان ينضم اليهم في حالة العمليات : المرتزقة ، والمطوعة ، والملحقون من الممالك والصقالبة والأسرى ...

- أما التقسيمات داخل الجيش وحسب التوزيع على الأسلحة فقد وصل في عهد المستنصر الى مراعاة الاختصاص ، فكانت الأسلحة الرئيسية هي سلاح الفرسان وسلاح المشاة « الرجال » .. وكان سلاح الفرسان ذاته يقسم حسب التسليح على النحو التالي :

- ١ - الفرسان أصحاب التجافيف .
- ٢ - الفرسان أصحاب الجواشن .
- ٣ - الفرسان المدرعين .
- ٤ - الفرسان المدرعين حاملي القنوت الناصلة .
- ٥ - الفرسان الطنجيين المدرعين .
- ٦ - الفرسان الخمسين .
- ٧ - فرسان العبيد .
- ٨ - فرسان الرياضة .

كما كان سلاح المشاة يقسم أيضاً حسب الاختصاص بحيث امكن التمييز بين :

- ١ - رجالة الرماة .
- ٢ - رجالة الرماة الأحرار .
- ٣ - الرماة .
- ٤ - الرماة الأحرار .
- ٥ - رجالة فرسان الرياضة .
- ٦ - رجالة الأرباض .

وقد روعي عند تنظيم الأسلحة - تقسيمات المناطق العسكرية - والتقسيمات القبلية ، فكان سلاح الفرسان مثلاً يضم : فرسان طنجه ، وفرسان قرطبة ، وفرسان الزهراء . وكذلك منهم العرب ، والبربر ، والصقالبة ، الخ .. وكان يتم التمييز بين الأسلحة باللباس والتسليح .

- عندما تولى الحكم المستنصر خلافة قرطبة ، وجه اهتمامه الى الجيش [وأخذ في التأهب للحرب ، وأنفذ الكتب الى سائر الولاة والقادة بوجوب الأهمية والاستعداد للجهاد في سبيل الله ..] (١) .

- قامت دول الشمال كعادتها ببداية العدوان ، وقاد فرنان كوثالث ملك قشتاله قوات المدوان فاستولى على قاعدة « غرماج » ثم استردها جيش قرطبة في صائفة عام ٣٥٣ هـ - ٩٦٣ م وعملوا على تحصينها .. واستمرت بعد ذلك أعمال العدوان وأعمال الردع على نطاق محدود ..

وفي عام ٣٥٣ هـ أيضاً ، قصد الحكم المستنصر « ثغر المريه » للاشراف على تحصين المدينة واتخاذها هو ضروري لتجديد الأسطول وتعزيزه وتأمين متطلباته من الخشب والزفت والقطران من كورة جيان الى اشبيليا والجزيرة لصناعة السفن ، وكانت السفن الراسية في ميناء المريه يومئذ ثلاثمائة قطعة (٢) ..

(١) ابن عذارى ٣٥٠/٢ . (٢) الاحاظة ٤٨٧/١ .

— كما اهتم الحكم المستنصر بتحسين الثغور فأوفد أحمد بن نصر لبنانيان مدينة بئر طليطلة وتشبيدها وتوثيق أمورها وجعل بين يديه أحمال الأموال^(١).
شغلت قرطبة بعد ذلك بما أصاب البلاد من قحط وبوقوع غزو النورمان ثم بحروب المغرب ، فعملت دول الشمال على عقد حلف فيما بينها برعاية مملكة ليون — قشتالة ، لابقاف القوة المتعاظمة لدولة قرطبة فكان الرد هو تصعيد أعمال الردع ، واقناع دول الشمال بعجزها عن متابعة العدوان ..

٣ — الاعمال الاستفزازية وعمليات الردع المضاد ٣٥٢-٩٦٢ م :

عمليات السبر في بداية عهد الحكم المستنصر^(٢) :

أ — (... لأول وفاة الناصر ، طمع الجلالقة « مملكة ليون » في الثغور ، فغزا الحكم المستنصر بنفسه ، واقتحم بلد فردلند بن غندشلب^(٣) فنازل شنت اشتين^(٤) وفتحها عنوة واستباحها ، فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ، ثم ب — أغزى غالباً مولاه بلاد جيليقية وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب ، فجمع له الجلالقة ، ولقيهم فهزمهم واستباحهم وأوطأ العساكر بلد فردلند ودوخها . ج — وكان شانجه بن رذير ملك البشكنس قد انتقض فأغزاه الحكم التجيبي صاحب سرقسطه في العساكر ، وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقوريه وعاثوا في نواحيها وقفل . د — ثم أغزى الحكم احمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونه فعاثت العساكر في نواحيها ، وأغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالباً الى بلاد

(١) ابن عذاري ٣٥٢/٢ .

(٢) ابن خلدون ١٤٤/٤ ، والمقري ، نفع الطيب ٣٨٢/١ .

(٣) فرداند : Fernando ؛ وغندشلب ، جنثالث Gonzola سبق الكلام

عنه ، باسم فرنان كوثالث .

(٤) شنت اشتين : San-Esteban وقد سبق ذكرها أيضاً .

القومس ، فعائا فيها وقفلا . وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية ، وكان من أعظمها فتح قلهره من بلاد البشكنش على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قطوبيه على يد قائد وشقه^(١) وغنم فيها من الأموال والسلاح والأقوات والأثاث وفي بسيطها من الغنم والبقر والرمك^(٢) والأطعمة والسبي ما لا يحصى ..)

ان ما سبق ذكره يوضح المعطيات التالية :

١ - قيام تحالف بين الجلالة - مملكة ليون - ومملكة نافار - ومملكة برشلونة .

٢ - توجيه مجموعات قتالية مستقلة لكل اقليم ، وفي توقيت واحد بهدف عزل قوات التحالف وضربها كل بمعزل عن القوى الأخرى ..

٣ - وجود جيش قوي تحت سلطة الخليفة في قرطبة بحيث يستطيع ممارسة العمليات في أقاليم منفصلة ومتباعدة وعلى محاور مختلفة ..

٤ - تقدير حجم الردع بما يوازي العدوان ويعادله .. استمرت أعمال الردع بعد ذلك .

ففي عام ٣٥٤ هـ - ٩٦٤ م [سار غالب بن عبد الرحمن الى البه ومعه يحيى بن محمد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فابتنى حصن غرماج ودوخ بلادهم ...]^(٣) .

(١) وشقة Huesca .

(٢) الرمك : نوع من البسط « السجاد » .

(٣) نفح الطيب ٣٨٣/١ وتاريخ ابن خلدون ١٤٥/٤ .

وحصن غرماج . Gormaz يقع على نهر دويرة في الشمال ، على مقربة من سنت استيبين . استولى عليها فرنان كوثالث في عام ٣٥١ ثم استرجعه المسلمون ، وأعادوا تحصينه ، وسياتسي ذكره في المعارك المقبلة .

ثم تكررت هذه الأعمال ، واستمرت أعمال الصوائف في كل عام تقريباً ،
وكان من أبرز الأعمال القتالية :
- احباط غزو النورمان .
- عملية الردع في غزوة « غرماج » ..

٤ - احباط غزو النورمان ^(١) ٣٥٥ هـ - ٩٦٥ م :

- قام النورمان بهجومهم الأول على ثغور الاندلس في عهد عبد الرحمن بن
الحكم عام ٢٣٠ هـ - ٨٤٥ م ، وقد اتخذت الاجراءات منذ تلك الفترة لتحسين
الثغور البحرية وتنظيم عمليات الدفاع الساحلية ..

- وفي عام ٣٥٥ هـ - ٩٦٥ م ورد كتاب الى الخليفة الحكم المستنصر من
حاكم ثغر « قصر أبي دانس » ^(٢) للاعلام عن ظهور أسطول الجوس « النورمان »
ببحر الغرب ، واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك لتقدم عادتهم بطروق
الاندلس من قبله فيما سلف وكانوا في ثمانية وعشرين مركباً ، ثم ترادفت الكتب
من تلك السواحل بأخبارهم وانهم قد أضروا بها ووصلوا الى بسط لشبونة ^(٣)
وكان النورمان في هذه المرة من أهل الدانرك بقيادة ريتشارد الأول دوق
نورماندي وحفيد زعيمهم الأكبر - رولو - .

- أصدر الحكم المستنصر أوامره إلى القادة لاتخاذ تدابير الحيلة وعلان
حالة الطوارئ للدفاع عن الساحل . كما أمر قائد البحر « عبد الرحمن بن
رماحس » بتعجيل حركة الأسطول ، وأمر أيضاً « ابن فطيس » باقامة الأسطول
بنهر قرطبة واتخاذ المراكب فيها على هيئة مراكب الجوس - النورمان ^(٤) .

(١) ابن عذارى ٣٥٥/٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، نفح الطيب ٣٨٣/١ - ٣٨٤ . وفي ابن خلدون
١٤٥/٤ ، انها كانت عام ٣٥٤ هـ .
(٢) قصر أبي دانس : Alcacer de Sal ، ميناء بحري على محيط الاطلسي
جنوب لشبونة . (٣) ابن عذارى ٣٥٦/٢ .
(٤) نفح الطيب ٣٨٤/١ وابن عذارى ٣٥٦/٢ .

– التقت قوات المسلمين بقوات الغزو من النورمان في سهول لشبونه ودارت بين الطرفين معارك طاحنة تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة في الأرواح وانتهت بهزيمة قوات النورمان ، الذين عادوا الى سفنهم ، وكان أسطول اشبيليا بقيادة أمير البحر عبدالرحمن بن رماحس قد خرج من اشبيليا عبر الوادي الكبير . وأخذ محوراً موازياً للساحل ، في مياه المحيط الأطلسي .

– كانت زوارق النورمان قد أبحرت ومعها الأسرى والغنائم في اتجاه الجنوب ، واصطدمت بالقوة البحرية للمسلمين عند وادي شلب ، فخسر « النورمان » عدداً من مراكبهم وقتل عدد كبير من جندهم ، وتم انقاذ أسرى المسلمين وانسحب النورمان لكن سفنهم تابعت جولاتها قريباً من الساحل ، « والمسلمون لهم بالمرصاد » بحيث لم ينجحوا في الاغارة ثانية على المدن الاندلسية .

– في عام ٣٦٠ هـ - ٩٧٠ م ، وبعد خمسة أعوام من الغزوة السابقة ، ظهرت زوارق النورمان من جديد في مياه الأطلسي . وأخذت تهدد السواحل الغربية للأندلس ، فأصدر الخليفة الحكم المستنصر أوامره بزعج القوى البحرية كلها فاجتمع أسطول المريه وأسطول اشبيليا لمواجهة قوات الغزو ، وعندما شعر النورمان بتفوق أسطول المسلمين الساحق ، انسحبوا دون قتال .

٥ - عملية الردع في غزو « غرماج » :

أ - التحدي :

[في يوم السبت ٨ بقين من ذي الحجة ٣١٣ هـ - ٩٧٣ م ، ورد الخبر من الثغر الأوسط بفجأة انتكاث الطاغية [غرسية بن فردلند بن غندشلب صاحب قشتالة - بعد اظهاره الرغبة في السلم والعمل على تحقيقه - وسرعة خروجه إلى بلد المسلمين واغارته الشواء على حصن « دسه » وما يليه من عمل بني عمر بن تيملت ضعوة يوم الخميس لأحد عشر خلت من ذي الحجة منها ...] ^(١)

(١) ابن حيان - المقتبس - تحقيق الحجي - ١٨٨ .

وهكذا بدأ العدوان بصورة مباغتة فأغار ملك قشتاله فردلند جنثالث على حصن دسه^(١) وأحرق المزارع وقتل من تصدى لمقاومته واقتاد الماشية وتراجع محاولاً الوصول الى بلاده بما كسبه من غنائم .

— كانت هذه المنطقة تابعة لولاية أبناء عمريل بن تيمرت ، فعمل زروال ، ومضا ابني عمريل على حشد بعض القوة ومحاولة ضرب مؤخرة جيش قشتاله واستعادة الغنائم ، ونجعا في ذلك ولكن جيش قشتاله وضع كميناً لقوة ابني عمريل ، ونجح في قتل زروال مع نخبة من رجاله على مقربة من حصن مضا وفي موقع يطلق عليه اسم « فحص البركه » ..

— وفي العام التالي وفد على الحكم أبناء زروال بن عمريل الخمسة فأحسن الحكم المستنصر استقبالهم ، وأوصى بتقليدهم عمل والدهم فقسمت بينهم المناطق والحصون على رضا منهم وبموافقتهم ، وبعد استشارة غالب بن عبد الرحمن القائد الأعلى للجيش الذي شهد بكفاءتهم وحزمهم وقدرتهم على حماية الثغور ..

ب - الهجوم الفادر الثاني :

— لم تكن العملية سابقة الذكر سوى عملية سبر، هدفها رفع الروح المعنوية في قوات دول الشمال ، وحفز ملوك هذه الدول وأمرائها للعمل معاً ضد دولة المسلمين في قرطبة ، وأمكن الاستفادة من هذا النصر الموضعي لتكوين التحالف الذي ظهرت بواكيره في عملية حصار « حصن غرماج » ..

— في منتصف شهر رجب ٣٦٤ هـ - ٩٧٤ م وصلت الى قصر الخلافة في قرطبة أخبار تفيد ان قوات كبرى من دولتي « ليون - و - نافار ، الجلالة والبشكنس » قد تقدمت الى حصن « غرماج » - ثغر مدينة سالم - وان هذه

(١) دة : Deza . ومنطقة الحصن حالياً في منطقة سرية Soria على بعد ٥٠ كم شمال شرق مدينة سالم .

القوات تقدمت الحصن ولكنها اصطدمت بجيش الثغر ، وقوات المسلمين في الشمال ووقعت معركة استمرت يومين متتاليين وانتهت بهزيمة جيوش الشمال ، فأخذت في الانسحاب عبر وادي دويره ، وتابعت حصار حصن غرماج ، وطلبت الدعم من قياداتها ، مستفيدة من [... اشتغال الجند بالحرب مع اهل العدو - المغرب - وبعد المسافة عليهم في اللحاق بهم .. فحاصروا الحصن ووالوا أهله الحرب ..] ..

أظهر أهل « حصن غرماج » والحامية المدافعة عنه ارادة صلبة للدفاع عن حصنهم ومواقعهم واستعداداً كبيراً للصمود والمقاومة ، وأخذوا في تنظيم الاغارات ، والهجمات على قوة أعدائهم بحيث لم يمض يوم واحد دون صدام أو مقاومة .

ج - مؤتمر الحرب :

- عندما توفرت الأخبار عن حجم العدوان وقوته أسرع الخليفة الحكم المستنصر الى توجيه قوات الدعم ، واعداد الصائفة للتحرك مع زيادة حجم قوة الصائفة ، وكان الوزير - القائد الأعلى - أبا تمام ، غالب بن عبد الرحمن قد عاد من حروب المغرب منتصراً ، فقرر الحكم تعيينه لقيادته الصائفة وعمل على عقد مؤتمر للحرب حضره الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان وبعض المستشارين وعرض الخليفة الحكم على قائده غالب بن عبد الرحمن ، أمر تولي قيادة الصائفة بعد أن شرح له الموقف وضرورة الاسراع بالتحرك ، فتلقى الوزير غالب الأمر بالقبول [فعمل الحكم على تقليده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين حليتا غنديهما أثقل حلية بأغرب صنعة ... كما ضم الى ركابه فرس أشهب رائع من مقربات الخليفة بسرج معرق ، ولجام مفرغ ..] .. وغادر الوزير غالب - ذو السيفين - دار الخليفة ، وأسرع في الاستعداد لتنظيم قواته ومغادرة قرطبة .. وفي الوقت ذاته ، أصدر الخليفة الحكم الى وزرائه ومستشاريه العمل جميعاً لزوج كل الامكانات الضرورية وجميع متطلبات قائد الصائفة ، الوزير غالب .. ولم يمض

سوى يومين فقط حتى انتهت الاستعدادات ، وأصبح باستطاعة الصائفة ان تتحرك الى وجهتها نحو ثغر الشمال ..

د - العرض والاستعراض :

وقف الخليفة الحكم المستنصر ، في الموعد المحدد لانطلاق الصائفة فوق المرتفع المشرف على ساحة العرض - في السطح فوق باب السدة - وعندما أنهى الوزير غالب تفقد قواته ، أعطى أوامره ببداية التحرك ، وبدأ العرض حيث كانت تمر القوات أمام الخليفة الحكم ، تعبئة بعد تعبئة ، وترتيب بعد ترتيب من جيوش منتظمة ومقانب متصلة قد طبقت الأفق ، وأغصت الطرق وهي تمر على باب القصر بقرطبة ... والخلق يشيعونه الى أن فارق أبيات قرطبة ..

- توقف جيش قرطبة في نهاية مرحلة مسيره النهارية بوادي شوس أرملاط ، ثم ارتحل في غده ، يطوي المراحل ، ويسرع في تقدمه مع المحافظة على الاتصال بقرطبة ، وفي الوقت ذاته تابع الوزراء والمختصون في الدولة عملية حشد القوات والحاق المتخلفين بالجيش .

- بعد مغادرة الصائفة العاصمة قرطبة ، استدعى الخليفة الحكم صاحب الشرطة الوسطى عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي ، المقيم في قرطبة ، وأمره بالتوجه الى سرقسطه - بلده - بمهمة حشد القوات في الشمال ، ودعم عمليات الصائفة .

- طلب القائد الأعلى ، الوزير غالب ، توجيه قوات الدعم بقيادة « سهل - الفتى الكبير » وقاد سهل هذه القوات ومنهم العبيد المحمسين ، والرماة ، والتحق بجيش الصائفة .

- وقبل مضي أسبوع واحد على مغادرة الصائفة قرطبة ، أصدر الخليفة الحكم أوامره الى محمد بن احمد بن أمية بن شهيد ، لحمل الأموال الضرورية واللاحاق بالجيش وتأمين متطلبات القائد الأعلى غالب ، والاتفاق على جند الصائفة .

هـ - الاعداد للمعركة الحاسمة :

- مضت اسابيع ثلاثة على مغادرة الصائفة للعاصمة قرطبة ، ووصلت قوات المسلمين الى الشمال فاحتلت حصن « برهون » وتقدمت الى « ابرلنقه » أو زلنقه ، ثم الى « جبل الوسيط » جنوب حصن « غرماج » وأصبح نهر دويره حاجزاً بين قوات المسلمين وقوات خصومهم ، المحاصرين للحصن ..

- كانت قوات الشمال ، قد أقامت الحواجز والتحصينات في المناطق الصالحة للعبور من نهر دويره ، ودفعت نقاط الحراسة ومخافت المراقبة الى حافة النهر .. في حين كانت الحشود الكثيفة تحيط بحصن غرماج وتحقق به ..

- قام القائد الأعلى بحولة استطلاعية وتبين له صعوبة العبور من الحركة أو الدخول في معركة تصادية مع قوات الخصم المتفوقة بأعداد كبيرة ، فقرر التوقف عند جنوب نهر دويره في موقع مقابل لقوات الشمال ، ولحصن غرماج ..

- استمر تدفق المتطوعين من أهل قرطبة بأعداد كبيرة لدعم جيش الصائفة وامداده وكانت قوات الدعم تصل تباعاً وبشكل مستمر .. وفي الوقت ذاته ، أعلن في قرطبة عن وضع عقوبات بحق المتخلفين من الجند النظاميين لاعداد مختلفة فتسابق هؤلاء نحو الشمال للالتحاق بالجيش .

خلال مرحلة التوقف ، حدثت بعض الاشتباكات الثانوية بين وحدات حراسة النهر « الحافظين للمعائن » ، وقد حاول جند الشمال العبور الى الجنوب والاغارة على جيش المسلمين بصورة مباغتة ، فتصدت لهم مفارز صغيرة من المسلمين وحدثت معارك قاسية ووصلت اخبار بعض الاشتباكات - في يوم ٧ رمضان مثلاً - الى القائد الأعلى الذي قاد قوة معه واقتحم بها المعركة ونجح في تحويل الموقف وتحقيق النصر ، وابادة العدد الأكبر من قوة العدو التي قامت بالعبور حتى بلغ عدد القوامس - الكونت - الذين سقطوا فوق أرض المعركة (٢٠ كونتاً) .

– على أثر هذه الاشتباكات ، قرر القائد الأعلى ، نقل المعسكر الى برهون والتوقف على مسافة مناسبة من العدو ، للأسباب التالية :

– اخفاء الاستعدادات للمعركة عن أنظار العدو وعناصر استطلاعهم ..

– التوقف في منطقة مناسبة لاستقبال قوات الدعم وإعادة تنظيمها .

– انتظار الفرصة المناسبة للقيام بهجوم حاسم وذلك بمتابعة استطلاع العدو .

– الابتعاد عن مواقع كمائن العدو ، لحماية قوات المسلمين ، والحفاظ على استعدادها القتالي وروحها المعنوية .

– انتقل القائد الأعلى بمعسكره الى « برهون » ووصل الفتى الكبير الجعفري من قرطبة ومعه كتائب من بقايا صنف الاجناد والعبيد والرماة والوفود ، بالإضافة الى ارتال متصلة من المواد التموينية والأعتدة والأسلحة والتجهيزات القتالية .

– كان التجاوب بين عمليات جبهة الشمال وبين جماهير الشعب قوياً ، وكانت تستغل كل مناسبة لاثارة الحماسة ودفع المتطوعين للالتحاق بجيش المسلمين حتى أن احد المشيعين لجنازة الزاهد المعروف بالحضرمي ، أفاد من الحشد الكبير الذي خرج لتشيع الراحل فوقف خطيباً وكان مما قاله :

[.. عباد الله ، اخلصوا دعاءكم وارفعوا اليه اصواتكم بالنداء والابتهال في حقن دماء اخوانكم المؤمنين وأوليانكم المسلمين اهل حصن غرماج الذين قد احاط بهم جمع المشركين واخذوا بمخنقهم واستطالوا عليهم بكثرتهم ..]^(١).

– وكان من الطبيعي ان تتفاوت درجة الحماسة للمعركة في اوساط اجهزة الحكم ، ولمس الحكم المستنصر قصوراً عند البعض فأصدر أوامره بترفيه عبد العزيز بن حكم التجيبي من منصب قيادة الشرطة الوسطى الى قيادة الشرطة العليا ، كما تم عزل احمد بن سعيد الجعفري عن الشرطة العليا ويعلي بن احمد

.....

(١) ابن حيان - تحقيق الحجبي - ٢٢٩ .

ابن يعلي عن الشرطة الوسطى ، وصدرت الأوامر اليهما للالتحاق بجيش الصائفة كمقاتلين عاديين ليس لهما دور قيادي . وصدرت تعيينات اخرى لصالح العمليات في الشمال ..

و - المعركة الحاسمة :

- مضت فترة تزيد على الشهرين منذ بداية العمليات ولم ينجح جيش الشمال في تحقيق نصر حاسم ، واستببطأ ملك ليون الفتح ، فتوجه بنفسه لقيادة العمليات ومعه عمته « حلوريه - أو - حلويره » ، ودارت معارك ثانوية ثم عقد اجتماع بين :

- ملك بنبلونه « نافار » شانجه بن غرسيه بن شانجه (ومعه صهره « ملك قشتاله ») .

- ملك قشتاله - غرسيه بن فردلند بن غندشلب .

- أمراء البه والقلاع - بنو غومس .

- ملك ليون - رذمير بن شانجه .

وكانت القوات التي تحت قيادتهم ٦٠.٠٠٠ ستون الف مقاتل (وقيل اكثر) وفي هذا الاجتماع ، وضعت خطة الهجوم للمعركة الحاسمة وحدد توقيتها لتكون في يوم ١٥ شوال ، أي بعد مضي اربعة وسبعين يوماً على بداية حصار « حصن غرماج » ..

- في الموعد المحدد ، قامت قوات التحالف بهجومها الكبير الذي وضعت فيه جميع الامكانات ، ولكن حصن غرماج والمواقع الدفاعية فيه صمدت لقوة صدمة الهجوم ، واستطاعت تحطيم انقضاض العدو ، وامتصاص اندفاعته الأولى ، ثم انطلقت الحامية المدافعة عن الحصن بهجوم مضاد على بعض نقاط العدو التي ظهرت ضعيفة ، وامكن تحقيق نصر حاسم في هذه النقاط وتم تصعيد عملية الهجوم المضاد حتى تحولت الى هجوم عام اشترك فيه كل قادر على حمل السلاح

في غرماج ، وبدأت قوات العدو في الانسحاب ثم تحول الانسحاب الى هزيمة منكرة ، ولم تتمكن حامية حصن غرماج من مطاردة فلول العدو واستثمار الظفر بسبب :

- التفوق العددي الساحق للعدو .
- الخوف من الكائن التي يحتمل للعدو تركها لحماية انسحابه .
- الحفاظ على قوة الحامية لمواجهة احتمال « غدر العدو » .
- وجهت الحامية المدافعة عن حصن غرماج مفارز صغيرة من قوتها وذلك للاستيلاء على الأعتدة الثقيلة والمواد التموينية وغيرها مما تركه العدو - تخففاً منه - واستطاعت هذه المفارز الحاق بعض الأذى بمؤخرة العدو - ساقتة - وتكبيده بعض الحسائر ..

ز - استثمار الظفر :

- اعلمت الحامية المدافعة عن المدينة ، عن تفاصيل المعركة ، وطلبت الى القائد الأعلى الوزير غالب التقدم الى « حصن غرماج » لمجابهة احتمال قيام العدو بهجوم جديد . وأسرع القائد الأعلى فألقى بثقل قواته في غرماج وكتب الى الخليفة الحكم يعلمه عن عزمه على متابعة التقدم حتى « شنت اشتين » لمطاردة العدو ، ثم انطلق بجيش الصائفة في اثر العدو .

وصلت قوات المسلمين حتى سهل « برلنقه » قريباً من « شنت اشتين » فاصطدمت هناك بجيش قشتاله الذي كان يقوده غرسيه بن فردلند ، ودارت معركة قصيرة وحاسمة انتهت بهزيمة جيش قشتاله وتمزيقه حيث لجأت فلول المتهمزين الى الجبال ، وانطلق المسلمون يدمرون المعقل ويحرقون المزارع المحيطة بقلعة شنت اشتين ، وأزالوا كل مقاومة فيها ..

ح - معركة ثانوية ، على مقربة من سرقسطه :

كان ملك ليون - رذمير بن شانجه - يعرف أن قادة الثغور قد حشدوا

قواتهم كلهم في قلعة غرماج ، ولم يكن يتوقع انفصال حاميات الثغور وعودتها بسرعة الى اقاليمها ، وأراد الانتقام لهزيمته ورفع الروح المعنوية لقواته وذلك بتوجيه ضربة الى سرقسطه .. ولكن عبد الرحمن بن يحيى قائد شرطة سرقسطه انفصل بقوته بعد معركة « قلعة غرماج » مباشرة ، وسلك محور التقدم الى الثغر .

— خلال مرحلة التقدم في الشمال ، وجد قائد الشرطة عبد الرحمن بن يحيى ابن محمد بن هاشم التجيبي بعض الشواهد التي تشير الى تقدم العدو نحو سرقسطه ، فاتبع الأثر ، وأرسل الطلائع ، وعناصر الاستطلاع ، الى جبل بردنيه المشرف على نهر ابره ، وتوفرت المعلومات عن وصول العدو الى قرية استركور — أو — اشتركوي ، جنوب مدينة تطيله ، وعلى مسافة ميل واحد فقط على محور سرقسطه — الجنوب .. واصطدمت عناصر الاستطلاع بالعناصر الوقائية لجيش ليون ، وبعد معركة قصيرة وصلت القوات الرئيسية للمسلمين واستطاعت تدمير العناصر الوقائية للخصم والحصول على بعض الأسرى ، ولدى استجواب هؤلاء تبين ان رذمير بن شانجه ملك ليون ، خرج من حصن شوش بقوة خمسمائة فارس ، وأنه دفع قوة الاغارة التي دمرتها قوات المسلمين وعددها مائتي مقاتل واحتفظ ببقية القوة في موقع قريب من نهر ابره .. وهنا أسرع قائد الشرطة التجيبي وقاد قواته نحو الموقع المحدد ، وعندما شعر رذمير ، باقتراب قوة المسلمين قام بانقضاض سريع ، وبعد معركة قصيرة وحاسمة ، مزقت قوات رذمير ، وسقط فوق أرض المعركة أفضل قادته مثل فرتون بن لب حاكم حصن شوش من قبل رذمير .. وفرتون محونس والدليل « نيقه بن بلشك » في حين هرب الملك رذمير مع قوة صغيرة من جنده ، وقام فرسان المسلمين بالمطاردة حتى ابتعد كل أثر لقوة ليون ، وعمل قائد الشرطة — التجيبي — على اعلام الخليفة الحكم بتفاصيل العملية .

– بهذه العملية امكن للحكم تمزيق قوة تحالف دول الشمال ، التي لم تلبث ان طلبت عقد الهدنة ، ثم وقعت بها احداث داخلية شغلتها عن الاستمرار في العدوان على ثغور المسلمين .

تصعيد استراتيجية الردع
في عهد الحاجب المنصور
٣٦٦ – ٣٩٣ هـ = ٩٧٦ – ١٠٠٢ م

١ – قتال مستمر :

أ – توفي الخليفة الحكم المستنصر ، وولى ابنه المؤيد هشام وهو غلام لا يزيد عمره عن تسع سنين ، وقامت أمه صبح البشكنسية بالاشراف على الحكم وكان اعتمادها على وزيرها الحاجب المصحفي والحاجب ابو عامر محمد بن أبي عامر المعافري المعروف بالمنصور ..

– استقبلت دول الشمال وفاة الحكم المستنصر بالارتياح ، وأسرعت كعادتها لاجراء عملية السبر ، فتقدمت قوات ليون «جيلية» حتى وصلت قلعة رباح ، وأحاطت بها ، فأظهر الحاجب المصحفي تحاذلاً في مجابهة العدوان ، وأفاد المنصور الحاجب من هذه الظاهرة لاثبات مقدرته القيادية وكفاءته في معالجة المواقف الخطرة ، واكتساب مزيد من ثقة والده المؤيد « صبح البشكنسية » .
فبينما كانت أوامر الحاجب المصحفي تتلخص بنصح أهل « قلعة رباح » بتدمير قناة المياه التي ترفد المدينة بالحياة – وذلك لحرمان العدو من استثمارها – واذا بالحاجب المنصور يصدر أوامره لحشد القوات وقام بقيادتها لردع قوات العدوان .

(١) المغرب في حلى المغرب ١/١٩٥ ، وفيه (.. كانت النصرانية قد جاشت بموت المستنصر وجاء صراخهم الى باب قرطبة . وظهر من المصحفي جبن وأمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم يلتمس بذلك دفاع العدو عن حوزته ، فأنف ابن أبي عامر من ذلك وقام بأمر الجهاد ، ورعد من نفسه الاستقلال على أن يختار الجهاز ويعان بهائة الف مثقال . فلما قفل ظافراً وقد ملك الجند بما رأوه من حسن كرمه سمحت همته وأخذ نفسه بالتغلب على مكان المصحفي ..) .

- لم يعمل الحاجب المنصور على مجابهة قوات العدوان في قلعة رباح بل عمل على نقل المعركة الى قلب بلاد العدو ، فقداد قواته الى حصن الحامه «في جيليقه» فحاصره وسيطر بقواته على الاقليم كله وعزل الحصن عزلاً تاماً حتى نجح في اخضاعه . وبعد ثلاثة وخمسين يوماً من بداية انطلاق قوة الردع ، عاد الحاجب المنصور بالجيش وهو مثقل بالفنائم والسبي ، وعمل الحاجب المنصور على منح المقاتلين الهبات والهدايا الكثيرة فأحبه الجند والتفوا حوله ، واستعان بالوزير أبي تمام غالب الناصري ، فتم تقسيم قيادة القوات بحيث أصبحت قوات الثغور بقيادة غالب الناصر وقيادة الجيش في قبضة الحاجب المنصور^(١) ..

ب - لم يمض على بداية الفزوة الاولى اكثر من ثلاثة اشهر ، وفي عام ٣٦٦ هـ - ٩٧٦ م أيضاً ، قاد الحاجب المنصور جيش الحضرة الى الشمال والتقى بمريد مع قائد قوات الثغر الوزير غالب ، وانطلقا معاً ، وافتتحا عدداً من الحصون بينها « حصن موله » ، وكان اكثر الأثر فيها للوزير غالب الذي عمل على نسب الانتصارات لابن عامر بموجب اتفاق بينهما وذلك لتعزيز مكانة ابن عامر في قرطبة وتوفير الفرصة للتخلص من الحاجب المصحفي ، وعاد ابن عامر الى قرطبة محملاً بالفنائم الكثيرة والسبي الكثير .. ونجحت الخطة فتم اقضاء المصحفي وتولى ابن عامر ولاية الشرطة والجيش ، ولم يلبث ابن عامر حتى تزوج بأسماء ابنة الوزير غالب الناصري .

- ومهما كانت طبيعة الحوافز التي دفعت الحاجب المنصور للفزوة ، فقد كانت هذه البداية كافية لاشعار دول الشمال باستمرار الاستراتيجية التي طبقت في عهدي

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ٣٩٤ ٣٩٥ . وفيه .. (لم يزل ابن أبي عامر يقوم بشأن ، الخليفة هشام ، ويخدمه داخل الدار عند السيدة أم هشام وسائر الحرم حتى تم مراده فيه كي يستعين به على اهلاك المصحفي فانهم غالباً الى خطة الوزارتين وانفذ اليه كتاب الخليفة بذلك وأمره بالاجتماع مع ابن أبي عامر على التدبير على الصوائف ، على أن يدير ابن ابي عامر جيش الحضرة ويدير غالب جيش الثغر .

عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر . واقناع ملوك هذه الدول بتوفير قيادة قادرة على ممارسة أعمال الردع ومجابهة كل عدوان .

ج - في عام ٣٦٧ هـ - ٩٧٧ م : قاد الحاجب المنصور للمرة الثالثة جيش الأندلس ووصل طليطلة حيث اجتمع مع صهره الوزير غالب وسارت قواتهما معاً لاحتلال الحصون ، فتم لها الاستيلاء على حصن المال وحصن رنيق وتابعت قواتها تقدمها في مملكة ليون ، فسيطرت على اقليم (*أشلفقة* - سلمنقة) واستولت على ما فيه من غنائم وسي ، واعملت في الحصون تدميراً وفي المزارع احراقاً ثم عاد الحاجب المنصور الى قرطبة بعد أربعة وثلاثين يوماً من خروجه . وكان لما حققه من نصر في ردع دول الشمال وما أنجزه في سياسته الداخلية من سيطرة قوية ونشر للأمن دور كبير في استلامه خطة الوزارتين ، واحتلال مركز السلطة في دولة الأندلس .

[.. انصرف الحاجب المنصور بعد ذلك الى توليد سلطته والقضاء على منافسيه بضرب بعضهم ببعض وتصفيتهم واحداً بعد الآخر حتى لم يبق من مراكز القوى المناوئة له سوى الوزير غالب الناصري . فأخذ في الاعداد لذلك والاعتماد على البربر وتشجيعهم على الانتقال من عدوة المغرب والانضمام الى قوته ، (فانثالوا على ابن ابي عامر وما زالوا يتلاحقون وفرسانهم يتواترون .) ثم عين الحاجب المنصور وزيراً له من زناته وهو جعفر بن علي ابن حدون وبذلك أصبحت سيطرة البربر كاملة على الدولة العامية . واستطاع الحاجب المنصور أن يستعين بهم للقضاء على منافسيه جميعاً . كما اتبع الاسلوب ذاته في تصفية مراكز القوى بين البربر وذلك بضرب زعماء البربر بعضهم ببعض ، والافادة من التناقضات لتدعيم مركزه ، فأصبحت سيطرته قوية على الداخل مما جعله قادراً على الانطلاق في اعمال غزو الشمال من قاعدة قوية ، وزج كل الامكانات والقوى في جبهة واحدة ...] ^(١) .

(١) ابن الأثير ٧ - ٢١٧ حوادث سنة ٣٩٣ هـ وابن عذارى ٢ - ٤١٦ ونفح الطيب ٣٩٧/١ ، وابن خلدون ٤ - ١٤٧ .

د - تابع الحاجب المنصور تنفيذ استراتيجية الردع فكان له في كل عام غزوتين أو أكثر بين صائفة وشتية .

- ففي عام ٣٧١ هـ - ٩٨١ م ، استولى الحاجب المنصور على سمورة ، وأعمل فيها احراقاً وتدميراً ، وسبياً .

- وفي عام ٣٧٣ هـ - ٩٨٣ م ، انتقل أولاد زيري بن مناد ، وهم زاوي وجلاله وماكسن اخوة بلكين الى الاندلس فاستقبلهم الحاجب المنصور ، وطلبوا اليه السماح لهم بمشاركتة شرف القتال ومما قالوه له : [انما اخترناك على غيرك ، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله ..] واشترطوا الانفراد بالأعمال القتالية وحدهم ، فعمل الحاجب المنصور على تسليحهم وتزويدهم بالخيال والاموال والأدلاء . فافتحموا حدود جيليقية ليلاً وأقاموا كمائنهم في الحقول القريبة من المدينة وقتلوا كل من بها بهدف تحقيق المباغطة والمحافظة على السر ، فلما اصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلهم جميعهم فرجعوا ، وتسامع العدو ، فركبوا في أثرهم ، فلما أحسوا بذلك كمنوا وراء ربوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا في مؤخرتهم - ساقتهم - وكبروا ، فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير ، فانهزموا وتبعهم جند صنهاجة فقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة . وأثارت هذه الغزوة حماسة العرب وهم ينطلقون يجمعوهم الكبيرة التي تم حشدها من جميع الاقطار لغزو ليون .

٥ - غزوة ليون ٣٧٣ هـ - ٩٨٣ م ، انطلق الحاجب المنصور بجيشه الكثيف الى ليون ، عاصمة مملكة ليون ، وعندما وصلها ضرب حصاراً حولها ، وطلب ملك ليون الدعم من الدول المجاورة ، فأمدته الافرنج بجيوش كثيرة . ووقعت معارك ضارية اتصل فيها القتال ليلاً ونهاراً ، وأظهر الافرنج قدراً كبيراً من الصمود ، كما أظهر المسلمون ارادة أقوى على انتزاع النصر ، وخلال مراحل

الصراع استشهد عدد كبير من قادة الروم ، وأخذ الموقف في التحول لصالح المسلمين ..

[... وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم ما لا يحصى وملك المدينة وغنم ابن أبي عامر غنيمة لم ير مثلها واجتمع من السبي ثلاثون ألفاً ، وأمر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وأمر مؤذناً فأذن فوق القتلى المغرب .. وخرب مدينة ، قامونة - قد تكون سيمانقة - وعاد جيش الحاجب المنصور الى قرطبة ...] ^(١) .

و - وفي عام ٣٧٦ هـ - ٩٨٦ م : قاد الحاجب المنصور جيشه ، واستطاع اقتحام أسوار برشلونه واحتلالها وفرض سيطرته عليها بعد أن طال انفصالها عن دولة الأندلس الاسلامية وخضوعها للملك فرنسا - الكارولنجيين - بصورة اسمية .

ز - غزوة البياض ٣٧٩ هـ - ٩٨٩ م : أعلن عبد الله بن الحاجب المنصور تمرده على أبيه واعتصم بشنت اشيبين « سان استيفان » ، فقاد المنصور الجيش وحاصر « شنت اشيبين » فهرب عبد الله والتجأ الى البشكنس « ووعده ملك البة والقلاع » غرسية بن فردلند « بالحماية والدعم ، فتحرك الحاجب المنصور في اتجاه منطقة « البشكنس ، الباسك » وطالب غرسية بتسليم ابنه عبد الله فرفض الملك غرسية ، فأقسم الحاجب المنصور ألا ينسحب أو يعود الى قرطبة قبل أن يتسلم عبد الله ، وتقدم نحو الشمال فاصطدم بمقاومة البشكنس ، ونجح في ازالة المقاومات الصغرى ثم جابه جيش البشكنس فمزقه وتابع تقدمه فاحتل حصن وخشمة « اوسمة » وأنزل بها رابطة من المسلمين ، وعندما وصل الموقف الى هذه المرحلة من التدهور وأدرك غرسية أن الحاجب المنصور مصمم على الاستمرار حتى يحقق أهدافه أرسل اليه وفداً للتفاوض وأعلن عن استعداده لقبول شروط الحاجب المنصور جميعها ، ودفع عبد الله وغيره من اللاجئين الى « البشكنس » .

(١) الكامل ، ابن الاثير ٧ - ١٢٠ .

وتم الاتفاق على عقد الصلح وبعث المنصور من تسلم اللاجئين وأصدر أوامره بقتلهم بما فيهم ابنه عبد الله (١) .

ج - وعندما رجع جيش الحاجب المنصور ، أفاد « ملك ليون - قشتالة » فحشد قواته واندفع بقواته متجاوزاً الحدود فتصدى حاكم مدينة سالم « الوزير قند » للعدوان ، وتوجه بقواته الى حدود ليون فتجاوزها وأعمل في سهولها احراقاً وفي قلاعها تدميراً وحصل على غنائم كبيرة ثم اكتفى بهذا القدر من الردع وأخذ في الانسحاب والتراجع ، فعمل غرسية ملك ليون على قيادة قطعة مختارة من قواته محاولاً ضرب قوة الثغر التي يقودها الوزير قند . ولكن قوة الثغر جابهت محاولة غرسية بقوة ، وصمدت في القتال ونجحت في انتزاع النصر والحصول على عدد من الأسرى بينهم غرسية ملك ليون ، وكان غرسية جريحاً . فبذل الوزير قند العناية اللازمة ولكنه لم ينجح في انقاذ اسيره من الموت . فعمل على « حزر رأسه » ووضعه في تابوت وأرسله الى قرطبة ، واحتفظ بحصده وأعلم الحاجب المنصور بمسيرة الاحداث ونتيجتها . وتولى شانجة بن غرسية الحكم ، فعقد الصلح مع الحاجب المنصور ، وطالب استلام جثة والده ، فتم ارسالها اليه (٢) .

ط - وفي عام ٣٨٥هـ - ٩٩٥م: وجه الحاجب المنصور جيشاً كبيراً للغزو في مملكة ليون ، وحقق الجيش انتصارات كبرى ، وأمكن له أسر أعداد كبيرة كان فيهم غرسية بن شانجة بن غرسية ملك ليون ، الذي حمل إلى قرطبة وهو طفل فأقام في قرطبة فترة طويلة ، وتمهده الحاجب المنصور بالرعاية والعناية (٣) .

وفي عام ٣٨٧هـ - ٩٩٧م : قام المنصور بغزو « شانت ياقب » في جليقية . ونظراً لأهمية هذه الغزوة ، فسيتم استعراض احداثها ببعض التفصيل .

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ٤٢١ .
(٢) ابن بسام - الذخيرة ، القسم الرابع ٣١ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٧ - ١٧٣ .

٢ - معركة « شنت ياقب »

٥٣٨٧ = ٩٩٧ م

١ - الوضع العام :

استطاع الحاجب المنصور ، اخضاع شبه الجزيرة لحكمه ، ونجح في ردع المقاومات الشالية ، ورغم ذلك فقد استمر الدور التأمري للكنيسة ضد دولة قرطبة ، وكانت مملكة - ليون قشتاله - كعهدها ، المركز الاساسي للتآمر ، بسبب قوتها وبسبب موقعها في مناطق جبلية صعبة ، وقد حاول اكثر من خليفة التوغل في اقاليمها ولكن جميع المحاولات لم تحقق نصراً حاسماً وهذا ما دعم من مكان مملكة ليون وزاد من قوتها حتى أصبحت معقد الآمال عند دول نصارى الشمال لضرب الحكم العربي الاسلامي وممارسة دور قيادي في اضعاف قوة العرب - المسلمين واستنزافها ..

- كانت « شانت ياقب » في جيليقية تحتل مكانة خاصة بسبب وجود قبر القديس يعقوب - احد الحواري الاثني عشر [.. وكان اخصهم بعيسى عليه السلام .. وهم يسمونه اخاه للزومه اياه .. وكان اسقفاً ببيت المقدس فجعل يستقرى الأرضين داعياً لمن فيها حتى انتهى الى هذه القاصيه ، ثم عاد الى ارض الشام ، فمات بها وله مائة وعشرون سنة شمسية ، فاحتفل اصحابه رتمه فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره ...] ^(١) .

أخذ - موريفانو - بعد ذلك في اضعاف هالة حول مكانة القديس بطرس ، فتحولت مدينة « شانت ياقب » ^(٢) الى مدينة مقدسة يتوافد اليها الحجاج من اوربا كلها وتحتل المرتبة الثالثة بعد القدس ، وروما .. وعندما جاء الفونسو الثاني أعاد بعث أسطورة القديس يعقوب على اعتباره حامي جزيرة ايبيريا وسيدها

(١) نفع الطيب ١ - ١٤٤

(٢) شنت ياقب : Santiago de Compostela

وتعلقت الآمال بحماية القديس لجزيرة الاندلس وتخليصها من الحزن المدمرة التي تتعرض لها ، وقد وضعت طقوس خاصة وأناشيد حماسية لتمجيد القديس يعقوب ودفع النصارى الى التضحية والجهد ضد الكفار - الذين هم المسلمون - .

- ونظراً لوقوع « شنت ياقب » في أقصى الشمال الشرقي من الاندلس في وسط مناطق صعبة ، فقد استحال على قوات المسلمين فتحها والوصول اليها ، وبقيت معقل الثائرين وموئل المتمردين .

٢ - الوضع الخاص :

- وجد الحاجب المنصور ان اقناع مملكة ليون « اشتوريش » بالتوقف نهائياً عن ممارسة كل أعمال عدوانية يتطلب القيام بهجوم كبير يصل حتى « شنت ياقب » ذاتها ، وكانت الأوضاع الداخلية ، والاستقرار ، وتعاضم قوة جيش الاندلس ، واخماد الفتن في عدوة المغرب من العوامل المساعدة لاجراج مشروع الهجوم الكبير من « عالم الفكر » الى « واقع التنفيذ » فأصدر الحاجب المنصور أوامره بالاستعداد للعملية ..

- كان قصر أبي دانس^(١) ، هو القاعدة الرئيسية للأسطول على المحيط الأطلسي فعمل المنصور على انشاء أسطول كبير في هذه القاعدة ووجه اليها قوات كبرى من رجال البحرية وقوات المشاة « الرجالة » كما نقل اليها كميات كبرى من الأسلحة والأعتدة والأطعمة .. وأظهر اهتماماً خاصاً بالوحدات الهندسية لاقامة الجسور وتسوية الطرق وحفر الانفاق وجهازها بالأعتدة الثقيلة الضرورية للغزو ..

- في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات للتحرك البحري تسير في قصر أبي دانس بخطوات متسارعة ، كانت قرطبة تشهد استعداداً مماثلاً في تجهيز قوات الفرسان وحشدتها من كافة أقاليم الأندلس ، وعندما انتهت مرحلة

(١) قصر أبي دانس : Alcacer - do - Sol ، مرسى الاسطول على ساحل البرتغال جنوب لشبونة ..

الاستعداد ، أصدر الحاجب المنصور أوامره بالتحرك وبدأت جحافل الفرسان في الانطلاق من قرطبة بينما كانت الوحدات البحرية المحملة بقوات المشاة والمهندسين والشؤون الادارية تغادر ميناء قصر ابي دانس يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة هـ - ٩٩٨ م .

٣ - مسيرة العمليات :

كانت هذه الغزوة هي الثامنة والأربعون في سجل غزوات الحاجب المنصور ، وكان الصراع المستمر ، والقتال المتصل قد أكسب المقاتلين خبرات كبيرة ، كما كانت الانتصارات المتلاحقة قد أكسبت الجند روحاً معنوية عالية وثقة بقيادتهم وقدرتهم على انتزاع النصر ومجابهة التحديات جميعها .

- كانت المرحلة الاولى من تقدم القوات الضاربة - الفرسان - تهدف الوصول الى قوريه^(١) ، وفي هذه المدينة الواقعة على الحدود الجنوبية لمملكة ليون توقف الحاجب المنصور فترة قصيرة [.. فوافاه عدد عظيم من القوامس « جمع قومس - كونت » المتمسكين بالطاعة في رجالهم ، وعلى أتم احتفالهم فصاروا في عسكر المسلمين .. وركبوا في المغاورة سبيلهم ..]

- تابعت القوات تقدمها في المرحلة الثانية ، وتم الوصول الى ميناء « بورتو - البرتغال »^(٢) على نهر دويره ، حيث تم وصول القوات البحرية وبدأت عملية انزال القوات ، وقامت وحدات الهندسة بدفع الاسطول في النهر الى الموضع الذي تقرر العبور منه ، وعقد هناك جسر من هذا الاسطول على مسافة قريبة من الحصن الذي يقف بأسواره لحراسة الاقليم في اتجاه المحيط ، وامكن احتلال الحصن بسرعة ، وتمت عملية إعادة تنظيم القوات والامداد بالأغذية والمتطلبات الادارية ثم انطلق الجيش الكبير نحو أهدافه .

(١) قوريه Coria : تقع على واد من وراقد التاج ، شمال مارده .

(٢) البرتغال - بورتو - Porto على نهر دويره Duero - Duero .

تابع جيش المسلمين تقدمه على محور مواز لساحل المحيط الأطلسي، وتجاوز في تقدمه مجموعة من المواقع الطبيعية وعبر مجموعة من الأنهار والخلجان المتصلة بالمحيط .. ثم وصلت القوات الى سهول « فرطارش - أو - فلتارش » الواقعة جنوب نهر « منيو »^(١) ثم اصطدمت القوات بسلسلة الجبال الواقعة بين السهل وبين مجرى نهر منيو ، وحاولت عناصر الاستطلاع البحث عن محور للمرور ، وعندما لم تعثر الوحدات على الممر ، دفع الحاجب المنصور وحدات الهندسة [.. فتقدم الفعلة بالحديد لتوسعة الشعاب وتسهيل المسالك الجبلية ..] وعبرت الوحدات المضائق الجبلية ثم قامت بعبور نهر منيو ، واندفعت قوات الفرسان بعد ذلك في السهول الشمالية حتى وصلت دير قسطان^(٢) وسهل بلنبو^(٣) على المحيط الأطلسي وفتحت حصن سانت بلاي^(٤) وغنمت ما فيه ، ثم عبر الجند سباحة الى جزيرة قريبة لجأ اليها [.. خلق عظيم من اهل تلك الناحية .. فسبوا من فيها بمن لجأ اليها ..]

- وصل جند المسلمين في تقدمهم حتى جبل مراسيه^(٥) [المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط .. فتخللوا أقطاره .. واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه] ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجاً في معبرين أرشد الأدلاء اليها .. ثم نهر ايله^(٦) ، ثم افضوا الى سهول - بسائط - واسعة العمارة ، منها سهول اونبه وقرجيطه ودير شنت بريه ، ثم انتهوا الى موضع من مشاهد صاحب القبر ، قلو مشهد قبره عند النصراري في الفضل ، يقصد نساكهم له من أقاصي بلادهم ومن بلاد القبط والنوبة وغيرهما .. فغادره المسلمون قاعاً ..]

(١) نهر منيو أو منيه - ومنيو : Minho - Rio Mino .

(٢) دير قسطان أو دير قسان .

(٣) نفح الطيب ١ / ٤٥١ وفي البيان المغرب - بلنبوط و « بيلنوا » .

(٤) وفي نفح الطيب شنت بلايه : San Pelayo .

(٥) جبل مراسيه : M. Morrazo .

(٦) نهر ايله : R. Ulla .

- وصل جيش الحاجب المنصور الى هدفه النهائي واندفعت القوات نحو « شنت ياقب » واقتحمتها ، وكان أهلها قد غادروها ، فجاز المقاتلون ما ضمنه المدينة من غنائم ، وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها ، وكلف الحاجب المنصور مفرزة مهمة حماية قبر القديس يعقوب والمحافظة عليه ، واستمرت أعمال التدمير حتى تحولت المدينة الى مجموعة من الانقاض .. واندفعت بعد ذلك الى جزيرة « شنت مانكش » [.. منقطع هذا الصقع على البحر المحيط ، وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ، ولا وطنها لغير أهلها قدم ، فلم يكن بعدها للخيال مجال ولا وراعا انتقال ..] ..

- كان نجاح الحاجب المنصور في غزو شنت ياقب رائعا ، ولم تصطدم قواته بمقاومة تذكر ، فأعاد تنظيم جيشه واختار لطريق العودة محورا جديدا ، فقد أراد استثمار موقفه لغزو مملكة نافار من الشمال ، فأطلق جيشه يعمل تدميرا واحراقا حتى وصل حصن بلييه^(١) فعمل على افتتاحه ، وتوقف قليلا لوداع القوات التي انضمت اليه في قوريه ، [فأجاز هنالك القوامس بجملتهم على اقدارهم ، وكسام ، وكسارجاهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بلييه ، وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه لملوك الروم ولبن حسن غناؤه من المسلمين الفين ومائتين وخمسا وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي ..]

ورجعت القوات الى قرطبة وعلى قيادتها الحاجب المنصور وهي تحمل أكاليل الغار والغنائم الكبيرة دون أن تتكبد في غزوتها شيئا من الخسائر^(٢) ..

(١) بلييه وهي عند ابن عذارى ملييه ولعلها لمييه - لاميجو Lamego .

(٢) نفح الطيب ١ / ٤١٣ - ٤١٦ وابن عذارى ٢ / ٤٤٠ - ٤٤٣ .

منجزات الحاجب المنصور

واسلوب عمله

كان الحاجب المنصور يعتمد - وبالدرجة الأولى - على الاستطلاع والجاهلوسية وجمع المعلومات الدقيقة عن موقف الصديق والعدو مما كان يساعده على اتخاذ القرارات الصحيحة ، وهناك أكثر من حادثة يمكن الاستشهاد بها لاثبات هذه الحقيقة ومنها ما يلي :

١ - [... كان - الحاجب المنصور - جالساً في بعض الليالي وكانت ليلة شديدة البرد والرياح والمطر ، فدعا بأحد الفرسان وقال له : انهض الآن الى فج طليارش وأقم فيه فأول خاطر يخطر عليك سقه إلي ، قال : فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والرياح والمطر واقفاً على فرسه ، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الخطب ، فقال له الفارس : إلى أين تريد يا شيخ ؟ فقال : وراء حطب ، فقال الفارس في نفسه : هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطباً فما عسى أن يريد المنصور منه ؟ قال : فتركته فسار عني قليلاً ثم فكرت في قول المنصور ، وخفت سطوته فنهضت الى الشيخ وقلت له : ارجع الى مولانا المنصور ، فقال له : وما عسى ان يريد المنصور من شيخ مثلي ؟ سألتك بالله ان تتركني لطلب معيشتي . فقال له الفارس : لا أفعل ، ثم قدم به على المنصور ، ومثله بين يديه وهو جالس لم يتم ليلته تلك ، فقال المنصور للصقالبة : ففتشوه ، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً ، فقال : ففتشوا برذعة حمارة ، فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى اصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في احدى النواحي . (الموصوفة) . فلما انبلج الصبح أمر باخراج اولئك النصارى الى باب الزاهرة ، فضربت اعناقهم ، وضربت رقبة الشيخ معهم ...]^(١) .

.....

(١) نفع الطيب ١ / ٤١١ وابن عذارى ٢ / ٤٣٤ .

٢ - وكان الحاجب المنصور يتبع اكثر من وسيلة للحصول على المعلومات عن خصومه وكانت بعض وسائله إرسال مندوبين عنه للقيام بجولات في أقاليم ممالك الشمال المعادية له ، وقام واحد من هؤلاء المندوبين بجولة في مملكة البشكنس حيث استقبله ملكها « غرسيه » استقبالا جيدا ، ثم انطلق المندوب للقيام بجولة في أنحاء المملكة بحيث لم يترك موقعا أو مدينة أو قلعة إلا قام بارتياحها ، وفي ذات يوم وبينما هو يتجول في إحدى الكنائس تقدمت اليه سيدة عربية وقالت له [... بعد ان عرفته بنفسها : أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بؤسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نضت لبوسها ، وزعمت أن لها عدة سنين بتلك الكنيسة محبسة وبكل ذل وصغار ملبسه وناشدته الله في انهاء قصتها وابرأ غصتها واستحلفتها بأغلظ الايمان ، واخذت عليه في ذلك أوكد موثيق الرحمن ..]

عاد الوفد الى قرطبة واجتمع بالمنصور ، وعرفه بما يجب تعريفه به واعلامه ، وهو مصغ اليه حتى تم كلامه ، فلما فرغ قال له المنصور : هل وقفت هناك على أمر أنكرته ، أم لم تقف على غير ما ذكرته ؟ .. فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه اليه ، وبالمواريث التي أخذت عليه ، فقبلته ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه ، ثم أخذ للجهاد من فوره ، وأصبح غازيا ، ووصلت أخبار الهجوم الى ملك البشكنش غرسيه ، فأرسل رسالة يستوضح سبب الهجوم المباغت ونقض اتفاق السلم المعقود . فأجابه الحاجب المنصور : ان الاتفاق المعقود ينص على اطلاق سراح جميع الأسرى ، وان هناك أسيرة في تلك الكنيسة .. وأقسم الحاجب المنصور أمام الوفد المكلف بنقل رسالة الملك غرسيه انه لن ينسحب بقواته حتى يكتسح أرض البشكنش ويطلق سراح الأسيرة . فأرسل ملك البشكنش الوفد مرة اخرى للاعلام بأن غرسيه لم يكن على علم بأمر هذه الأسيرة وأنه أرسلها على الفور مع اثنتين ، وعلاوة على ذلك فانه [بالغ في هدم الكنيسة تحقيقا لقوله والتزاما بوعده .. وتضرع اليه في الأخذ فيه بطوله ..] فاستحيا الحاجب

المنصور ، وصرف الجيش ، وأوصل المرأة الى نفسه ، والحف توحشها بأنسه ، وغير من حالها ... وحملها الى قومها ... [(١)] .

٣ - وكان الحاجب المنصور يعتمد اسلوب « الشورى » في اتخاذ قراراته ، ولكنه لم يكن يستسلم لآراء مستشاريه دائماً ، بل كثيراً ما كان يخالفهم معتمداً على ما يحصل عليه من معلومات بوسائله الخاصة ، كما انه كان يرفض في معالجة الأمور بالأساليب الروتينية التي كانت تدير عليها امور الدولة ، وبمعنى اوضح فانه لم يكن يستسلم لطبقة « البيروقراطيين » حسب التعبير العلمي الحديث ..

٤ - وكان الحاجب المنصور ايضاً يعتمد اسلوب تصعيد الردع لاقناع خصومه باستحالة الاستمرار في مقاومته ، كما كان يتبع في حروبه أساليب متنوعة ووسائل مختلفة وبذلك استطاع تحقيق انتصاراته الحاسمة ، ويمكن استقراء أسلوبه المذكور من خلال القراءة التالية :

(أ - ... كان - للحاجب المنصور - في كل غزوة من غزواته المنيفة على الحسين مفخرة من المفاخر الاسلامية ، فمنها ان بعض الأجناد نسي رايته مركوزة على جبل بقرب احدى مدائن الروم ، فأقامت عدة أيام لا يعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العسكر .. وهذا بلا خفاء مما يفتخر به أهل التوحيد على أهل التثليث لأنهم لما أشرب قلوبهم خوف شذمة المنصور وحزبه ، وعلم كل من ملوكهم أنه لا طاقة له بحربه لجأوا الى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بُعدٍ والاطلاع ...) (٢) .

(ب - ... ومن مفاخر المنصور في بعض غزواته أنه مر بين جبلين عظيمين في طريق عرض برید بوسط بلاد الإفرنج ، فلما جاوز ذلك المحل - وهو آخذ في التحريق والتخريب والفارات والسبي يميناً وشمالاً - لم يحسر أحد من

(١) ابن عذارى ٢ - ٤٤٤ - ٤٥٥ ونفع الطيب ١ - ٤٠٤

(٢) نفع الطيب ١ - ٥٩٥ .

الإفرنج على لقائه ، حتى أقفرت البلاد مسافة أيام ، ثم عاد فوجد الإفرنج قد استجاشوا مَنْ وراءهم ، وضبطوا ذلك المدخل الضيق الذي بين جبلين ، وكان الوقت شتاء ، فلما رأى ما فعلوه رجع واختار منزلاً من بلادهم أتاخ به فيمن معه من العساكر وتقدم ببناء الدور والمنازل ، ويجمع آلات الحوث ونحوها ، وبث سراياه فَسَبَتْ وغنمت ، فاسترق الصغار ، وضرب أعناق للكبار ، وألقى جثثهم حتى سَدَّ بها المدخل الذي من جهته ، وصارت سراياه تخرج فلا تجد إلا بلداً خراباً فلما طال البلاء على العدو أرسلوا إليه في طلب الصلح ، وأن يخرج بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك ، فلم تزل رسلهم تتردد إليه حتى سأله أن يخرج بغنائمه وأسراه فأجابهم : إن أصحابي أبوا أن يخرجوا وقالوا : إنا لا نكاد نصل إلى بلادنا إلا وقد جاء وقت الغزوة الأخرى فنقعد هنا الى وقت الغزاة فإذا غزونا عُدنا ، فما زال الإفرنج يسأله إلى أن قرر عليهم ان يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبي وأن يمدوه بالميرة حتى يصل إلى بلاده ، وأن ينحوا جيف القتلى عن طريقه بأنفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف ...)

— في عام ٣٩٣ هـ - ١٠٠٢ م ، وفي الوقت الذي فرض المسلمون سيطرتهم على الاندلس كلها ، وكان من المتوقع العودة الى غزو — غالبا — فرنسا . وبينما كان الحاجب المنصور يتابع أعمال الردع في الشمال ، أصيب بالمرض ، فانسحب الى مدينة سالم ، وتوفي فيها وبها دفن .. وبذلك طويت صفحة خالدة من حياة الاندلس الاسلامية ، ولم تلبث ان تمزقت وحدة الاندلس السياسية بظهور ملوك الطوائف ، ثم لم تلبث ان انهارت الدولة الأموية وبدأ عهد جديد من الصراع بين العرب المسلمين وبين دول الشمال النصرانية ثم تطور الصراع الى اعلان الحرب الصليبية في الشرق والغرب ..

ولقد كانت دروس « فن الحرب » قد نضجت بفعل المعارك المتصلة بين العرب المسلمين وأعدائهم الذين أقادوا من هذه الدروس وعملوا على استخدامها ضدهم ..

لقد كان الصراع فوق ارض الاندلس مدرسة قتالية غنية بالدروس ،
وان هذه الدروس ستبقى مفخرة من مفاخر العرب المسلمين ومأثرة خالدة في
جملة ماثرهم ..

الغزو المضاد

— ما بعد المنصور — وبداية حركة الاسترجاع

أخذ بنيان الدولة الأموية في الانهيار بعد وفاة الحاجب المنصور ، بحيث
لم تمر سوى فترة قصيرة هي في حدود العشرين عاماً حتى انتهت الدولة الأموية
الى الزوال وتمزقت وحدة الاندلس تحت سيطرة ملوك الطوائف .

— لقد استطاع عبد الرحمن الناصر بناء دولة الأندلس القوية وجاء بعده
الحكم المستنصر فعزز من قدرة الدولة وزاد على قوتها ثم استمرت هذه الاستراتيجية
في عهد الحاجب المنصور الذي استولى على سموره عام ٣٧١ هـ - ٩٨١ م ، ثم
هاجم ليون ذاتها عام ٣٨٦ هـ - ٩٩٦ م ، وفي عام ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م سيطرت
قوات المسلمين على شنت ياقب في كومبوستيلا ..

وفي عام ٣٧٦ هـ - ٩٨٦ م استعاد المسلمون سيطرتهم على برشلونه بحيث لم
يبقى عليهم سوى عبور البيرنيه للعودة بدولة الاسلام في الاندلس الى عهد الفتح
الأول ، وبذلك أصبحت الاندلس الاسلامية في القرن العاشر الميلادي مصدر
خطر كبير على العالم المسيحي في أوروبا . لكن الاحداث التي أعقبت وفاة
الحاجب المنصور جعلت هذا العالم يستعيد أنفاسه ويضع مخططاته ..

— كانت مملكة ليون ، نواة حركة الغزو المضاد ، وزعيمة حركة الاسترداد ،
وأكبر دول الشمال في الاندلس . وقد أخذت مملكة ليون في بناء قوتها الذاتية
والافادة من خبرة الصراع الطويل مع العرب المسلمين ، واستثار التناقضات
الموجودة بينهم لاستعادة الاندلس واخراج العرب المسلمين منها ..

— في عام ٤٢٢ هـ - ١٠٣٢ م ، انتهى حكم النولة الاموية في الاندلس ،

وكان ملوك الطوائف قد بدؤوا بالاستقلال منذ عام ٤٠٣ هـ - ١٠١٢ م .

وقد أفاد ملوك ممالك الشمال النصرانية وفي مقدمتهم ملك ليون « الفونس » وتسميه العرب « الأذفونش » من التناقض القائم بين ملوك الممالك وذلك بفرض سيطرته عليهم واحداً بعد الآخر وانتزاع الاقاليم مدينة بعد مدينة وقلعة بعد قلعة . وقد أخذ كثير من المؤرخين على اعتبار المرحلة التي بدأت بسقوط طليطلة عام ٤٧٥ هـ - ١٠٨٣ م هي بداية حركة الاسترجاع ، التي انتهت باخراج العرب المسلمين من الاندلس . وقد حدثت خلال هذه المرحلة معارك كبرى لعل اكثرها شهرة في التاريخ ممركتي الزلافة بقيادة امير المرابطين يوسف بن تاشفين عام ٤٧٨ هـ - ١٠٨٦ م ، وموقعة الارك بقيادة يوسف بن عبد المؤمن عام ٥٩١ هـ - ١١٩٤ م ، ثم موقعة العقاب التي هزم فيها المسلمون هزيمة منكرة عام ٦٠٩ هـ - ١٢١٢ م . ولكن المعارك جميعاً كانت في اطار العمليات الدفاعية أو الهجمات الوقائية . وان تأخر حركة الاسترجاع وامتداد فترة الصراع تعود الى قوة العرب المسلمين في الاندلس من جهة والى انصراف الغرب نحو الشرق للقيام بالحروب الصليبية من جهة أخرى .. وان هذه المعارك جميعاً خلال فترة الصراع المريرة تقع خارج نطاق بحث هذا الكتاب نظراً لوقوعها « خارج نطاق الدولة الأموية » .. وكل ما يمكن قوله بالنسبة لفن الحرب خلال مرحلة هذا الصراع هو انها كانت استمراراً للمراحل « الأموية » بحيث انها لم تتميز بطابع جديد ..

لقد ارتبطت مرحلة « الاسترجاع » بالحروب الصليبية ونشاط الكنيسة « دير كلوني مثلاً واجتماع كليرمونت » ، كما ارتبطت بأحداث الشرق ، وقد يكون من المفيد مطالعة موجزة لهذه الاحداث ..

١ - دير كلوني - قاعدة تنظيمية في الحرب الصليبية :

- تعاقب على بطريركية دير كلوني البطريرك اوديلو ٣٨٤ - ٤٤٠ هـ =

٩٩٤ - ١٠٤٨ م ، ثم البطريرك هيو ٤٤٠ - ٥٠٣ هـ = ١٠٤٨ - ١١٠٩ م ..

وقد مارس دير كلوني دوراً قيادياً في الحرب الصليبية ضد مسلمي الاندلس، وكان من مطالبه ، تأمين طرق الحج الى كومبو ستيللا ، والاحتفاظ بإسبانيا المسيحية .

كان سانشو الكبير « الثالث » ملك نافار يقود عملية « الغزو المضاد »^(١) ضد المسلمين وتحالف مع ملك ليون وقشتاله ووليم دوق غاسكونيا ، وطلب من روبرت ملك فرنسا دعمه ، لكن ملك فرنسا لم يستجب له ، فقام دير كلوني باستقدام روجر توسني^(٢) من نرمنديا لدعم ملك نافار . كما وجه إيرسلند^(٣) لدعم كونتيسة برشلونه ، ونجح قسس دير كلوني في اقناع امير غسقونيا - ولیم - لدعم سانشو ملك نافار بهدف انتزاع سرقسطه من المسلمين ، وكان لذلك دوره في تشجيع « ريمون برغار الأول » أمير برشلونه على المضي في زحفه نحو الجنوب ومتابعة طرد المسلمين من جنوب الاندلس ..

٢ - اجتماع كليرمونت واعدان الحرب الصليبية :

في عام ٤٨١ هـ - ١٠٨٨ م : احتل أودو - دو - لاجيري^(٤) مركز البابوية في روما وتوج باسم ايربان الثاني ، وبدأ على الفور باجراء اتصالات واسعة لتوحيد جهد الكنيسة وجمع المعلومات الكافية عن الاوضاع في اوربا كلها والشرق ، ثم قام بجولة واسعة لزيارة الأديرة والكنائس للاضطلاع بحل مشاكلها ودراسة قضاياها ومتطلباتها ، وتوحيد جهد الكنيسة في اتجاه واحد ، مع ازالة المنازعات الصغرى في سبيل تحقيق هدف كبير - هو الحرب الصليبية - .
- وفي عام ٤٨٩ هـ - ١٠٩٥ م وجه ايربان الثاني الدعوة لعقد اجتماع في

.....

(١) الغزو المضاد : La Reconquista .

(٢) روجر توسني : Roger of Tosni .

(٣) إيرسلند : Ereslind .

(٤) اودي دو لاجيري Odo de Lagery من مواليد أسرة نبيلة في شاتيون سير مارن Chatillon Sur Marne وكان دمثاً ، قوي الشخصية ، دائم الحركة .

بيا كنزا ، تمت فيه دراسة الامور الداخلية ، وحل المشكلات الفردية المتعلقة بملوك اوربا وأمرائها . وفي الفترة بين ١٨ - ٢٨ تشرين الثاني - نوفمبر من السنة ذاتها عقد اجتماع كليرمونت الذي احتل شهرة خاصة في التاريخ بسبب ما انتهى اليه من اعلان الحرب الصليبية ..

- تكونت لدى البابا ايربان الثاني القناعة بأن موقف اسبانيا اصبح مقررأ ، فقرر توجيه الجهد نحو جبهة أخرى ، والانتقال من العمل بالسر الى العمل بالعلن . - حضر اجتماع كليرمونت ٣٠٠ من رجال الكنائس المنتشرة في اوربا ، وفي نهاية المؤتمر ، وأمام الجماهير المحتشدة ألقى البابا ايربان خطابه الذي طالب فيه بذل الجهد لتحرير الاخوان المسيحيين في الشرق ، وأنهى خطابه بالنداء المشهور :

[فلينطلق المسيحيون بالغرب لنجدة الشرق ..] وبدأ العمل لاعداد حملات الحرب الصليبية التي كان من اكثر المتحمسين لها بطرس الناسك ووالتر المفلس .

٣ - استراتيحية حركة « الاسترجاع » والغزو المضاد :

هناك اختلاف بين المؤرخين حول تحديد بداية « مرحلة الاسترجاع » فمنهم من يحدد بداية هذه المرحلة بسقوط طليطلة ، ومنهم من يحددها بمعركة العقاب على اعتبار انها كانت آخر محاولة لظهور قوة المسلمين ، لاسيما وقد انتهت هذه المعركة بزوال دولة الموحدين . وهناك من يحددها بنهاية عهد المنصور على أساس « انتهاء الوحدة السياسية للدولة بزوال عهد الحاجب المنصور » ولعمل بعض المؤرخين العرب ومنهم المقري كانوا أكثر عمقا في تحليل احداث التاريخ عندما وصفوا بداية المرحلة مع ظهور بلاي في جيليقية^(١) منذ العهد الأول للفتوح ، وتساعد شدة المقاومة منذ البداية بعيث اضطر عنبسة بن سحيم الكلبي الى دفع كل القوى للسيطرة على اقليم جيليقية شمال شرق الجزيرة ، ويمكن في الواقع تقسيم مرحلة الاسترجاع الى فترات توافقا مع مسيرة الاحداث :

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع في نفح الطيب للمقري ٣-١٧ و ٤-٣٥٠ .

١ - المرحلة الأولى : التي بدأت بانحيار الدولة الأموية في الشام وقيام الدولة الأموية في الأندلس عام ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م وانتهائها ب وفاة الحاجب المنصور عام ٣٩٣ هـ - ١٠٠٢ م . وفيها ظهرت دول الشمال وتكونت مقاومات منظمة ووضعت مخططات مرحلية ومخططات بعيدة المدى ل اخراج العرب المسلمين من الأندلس ..

٢ - المرحلة الثانية :* وهي التي بدأت باعلان الحروب الصليبية بصورة غير رسمية ضد الأندلس وبصورة رسمية ضد الشرق ، ويمكن تحديد تاريخ لها بنهاية الحروب الصليبية في الشرق أي بين عام ٣٩٣ - ٦٩٨ هـ = ١٠٠٢ - ١٢٩٨ م.

٣ - المرحلة الثالثة : تصفية الوجود العربي الاسلامي في الأندلس ويمكن تحديد بداية هذه الفترة مع نهاية الحروب الصليبية في الشرق وضياع مدن الأندلس الرئيسية « ماردة - قرطبه - مرسية - اشبيليا شرق الأندلس » مع تحديد نهايتها بخروج العرب المسلمين نهائياً من الأندلس والاستيلاء على ما بقي في قبضتهم عام ٨٩٨ هـ - ١٤٩٢ م ..

كانت فترة الصراع في الأندلس طويلة وشاقة استمرت ٧٥٠ سنة تقريباً ، واتبعت دول الشمال استراتيجية تتوافق مع المراحل التي مر بها النضال لتنفيذ استراتيجية الاسترجاع ولكن هذه السياسة المرحلية لم تكن لتتناقض مع الاستراتيجية العامة للاسترجاع . ويمكن القول ، ان وضع حد زمني للمراحل لا يعني وجود انفصال بينها ، فأحداث التاريخ نسيج متلاحم لا انقطاع فيه وان أحداث كل فترة شديدة الاتصال بالفترة التالية لها وبالفترة التي سبقتها ، ولهذا فانه من المستحيل الأخذ بظواهر أحداث معينة ضمن اطار زمني محدد واسقاط ما سبقتها من تفاعلات ورواسب وامال ما تبعها من نتائج لا سيما عندما تحدث هذه التفاعلات في بوتقة واحدة فتأخذ ظواهر واحدة وتنتهي بنهايات متماثلة ، وان استعراض تاريخ الصراع في بوتقة « الأندلس » يظهر - بوضوح ان هناك استراتيجية واحدة كانت هي المسيطرة على الأحداث وهي المسيرة لها وقد يكون

من المفيد الرجوع بهذا الصراع الى بداياته الاولى حتى تظهر معالم الاستراتيجية التي طبقت طوال مرحلة الصراع والتي تعتمد في أساسها على دعامتين ثابتتين :

١ - استراتيجية مرحلية تأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية ومتطلبات المرحلة الراهنة التي تمر بها قضية « الاسترجاع » .

٢ - استراتيجية بعيدة المدى تهدف في النهاية الى اخراج العرب من الاندلس .

كان هدف الاستراتيجية المرحلية سبر قوة العرب المسلمين في كل فترة واستنزاف قدرتهم القتالية وقوتهم في اثاره التناقضات الداخلية واشغال نيران الحروب الخارجية ..

وكان هدف الاستراتيجية بعيدة المدى انتزاع مدن الاندلس وقلاعها وأقاليمها على مراحل متتالية .

وبقدر ما كانت الاستراتيجية المرحلية مرنة ومتغيرة كانت الاستراتيجية بعيدة المدى ثابتة وصلبة .. ويدهي القول ان تطبيق الاستراتيجية المرحلية لم تكن موضع اتفاق بين ملوك دول الشمال وحكامها ، بل كانت موضع اختلاف وكثيراً ما انتهى هذا الخلاف الى صراع مسلح .. في حين كانت الاستراتيجية بعيدة المدى موضع اتفاق تام بين جماهير الشمال وحكامهم وملوكهم .

٤ - المنطلقات الاساسية لاستراتيجية « الاسترجاع » :

على الرغم من الاختلاف الذي كان يحدث بين ملوك الشمال حول تطبيق الاستراتيجية المرحلية . وعلى الرغم من ضرورة تطبيق استراتيجية خاصة للتمييز بين ما هو مرحلي وبين ما هو خاص للمستقبل . وتغيير الوسائل تبعاً لذلك ، إلا أن وحدة الهدف فرضت نوعاً معيناً من الوحدة في وسائل العمل وأساليب العمل بحيث اخذت الاستراتيجية المرحلية والاستراتيجية بعيدة المدى ظواهر واحدة . ويمكن ايجاز المنطلقات الاساسية لاستراتيجية الاسترجاع بنوعها في عدد من النقاط :

١ - اثارة التناقضات الداخلية واستثمارها ..

- لقد ولدت مملكة اشتوريش - ليون - ومملكة البشكنس - نافار - في قلب التناقضات التي ضمتها عناصر الفتح العربي الاسلامي . وقد أدركت هذه الممالك منذ نشوئها ان بقاءها واستمرارها مرتبط والى حد بعيد باثارة التناقضات في المجتمع العربي - الاسلامي ، وتمزيقه الى مراكز قوى ثم ضرب هذه المراكز بعضها ببعض وبالتالي استنزاف قوتها وضايعها وتوفير الفرصة المناسبة امام دول الشمال لبناء قوتها الذاتية وتطوير امكاناتها .

٢ - عزل العرب المسلمين عن اهل البلاد الأصليين ..

استطاع الفتح العربي الاسلامي استقطاب أهل البلاد وضمهم اليه والتعاون معهم لبناء أندلس المسلمين . ولم يكن هناك ما يميّز المخلصين من أهل البلاد الى احتلال المراكز الرئيسية في الدولة والجيش فقد ترك العرب المسلمون لأهل البلاد حريتهم الاجتماعية والدينية ، فأقبل أهل الأندلس وأظهروا كل تعاون وأخذت اعداد منهم في تعلم اللغة العربية ، وأطلقوا على أبنائهم أسماء عربية وأصبح بعضهم شعراء وأدباء ، وأدرك المتعصبون منهم خطورة هذا التعاون على مستقبل حركة الاسترجاع فأعلنوا التمرد وظهرت ثورات « كنيسة قرطبة » منذ العهد الأولي للفتح وتبع ذلك اثارة حركات المولدين في الشمال ، وتحريض المستعربين ، ثم وضعت المخططات لعزل أهل البلاد عن العرب المسلمين والقضاء على سياسة التعايش ، وقد اصطدمت هذه المخططات في بداياتها بتصميم حكام العرب المسلمين وقوة ارادتهم فلم تتمكن من تحقيق النجاح . ولكن الثبات على تنفيذ مخططات « الاسترجاع » والعمل بشتى الوسائل على انجاح مخططات العزل والقضاء على سياسة التعايش اخذت كلها في اكتساب الانصار ، والمؤيدين وبأعداد متزايدة يوماً بعد يوم حتى تم الوصول الى الهدف النهائي ..

٣ - اثارة عامل الحقد ..

- اعتمدت دول الشمال في استراتيجيتها على « عامل الحقد » لاذكاء روح

النضال واثارة الحماسة ضد العرب المسلمين ، وقد أدركت قيادات الشمال منذ البداية ان تسامح العرب المسلمين هو العامل الاساسي في نجاح تنفيذ « سياسة التعايش » وحمل المواطنين الاسبان والمولدين والمستعربين على التعاون مع الحكم العربي . ولهذا وحتى تستطيع دول الشمال دفع العرب المسلمين الى استخدام القسوة والعنف وخلق هوة فاصلة بين العرب المسلمين من جهة وبين أهل البلاد الاصليين من جهة اخرى ، انطلقت قيادات الشمال في ارتكاب الجرائم الوحشية من قتل وتدمير فجاءت استراتيجية الردع موازية لأسلوب الشمال ، فبدأت الثغرة وقد استثمرت دول الشمال كل الظروف للمبالغة وللعمل على توسيع الثغرة وتعميقها .

٤ - تكوين ايدولوجية للحرب ..

- درست الكنيسة أسباب نجاح العرب المسلمين في فتوحاتهم ، فعرفت ان العامل الاول هو عمق ايمان العرب المسلمين واستعدادهم للتضحية باستمرار للمحافظة على دينهم ونشر دعوتهم في كل مكان . ولهذا عمل قادة الشمال على اعادة تجسيد أسطورة القديس يعقوب وخلق هالة حولها ، واعطاء الصفة الدينية للصراع مع العرب المسلمين . وقد وقع تناقض بين رجال الكنيسة حول هذا الموضوع ذلك ان التعاليم المسيحية لا تجيز التضحية وازهاق النفس من أجل نشر الدعوة المسيحية ، فبدأت الكنيسة في تغيير النصوص وايجاد المبررات واصدار الوعود - بالفقران - ومنع الصكوك لمن يقتل أثناء الصراع مع توفير مغريات مادية ، مثل اعطاء الارض التي يتم الاستيلاء عليها وانتزاعها من العرب المسلمين الى اولئك المقاتلين الذين يحققون الانتصارات ويلحقون الهزائم بجند المسلمين ..

٥ - ربط الصراع بالاندلس - بالظروف العامة . -

تابع حكام الشمال ، وملوك اوربا الاحداث الجارية على مستوى الوطن

العربي الاسلامي وأدر كوا منذ البداية ان انفصال الوحدة السياسية للعالم الاسلامي هي نقطة الضعف الاولى في كيان الامة السياسية .

وعرفوا ايضاً ان حكم الاندلس أصبح في عزلة عن العالم العربي الاسلامي ، فأخذوا في العمل لتكريس هذا الواقع واستثمروه ، وكان شارلمان هو أول من استثمر هذا الواقع فعقد أواصر الصداقة مع بغداد لضرب قرطبة ، واستمر العمل بهذه الاستراتيجية طوال مرحلة « الاسترجاع » .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عرف النصارى في اوربا أهمية « وحدة الهدف » في الصراع مع العرب المسلمين فعملوا على ازالة الخلافات الموضعية والطائفة . والعمل على وحدة الصف ووضع « واجب الحرب المقدسة » فوق كل الخلافات الثانوية وقد مارست الكنيسة دوراً كبيراً في هذا المضمار ونجحت في ازالة التناقضات ، والقضاء على الصراع الداخلي من اجل تركيز الجهد للعمل على جبهة واحدة . وهذه هي الاستراتيجية التي انتهت باعلان الحروب الصليبية ..

وكان تطبيق الاستراتيجية المرحلية يسير في خطوات متماثلة واجراءات متشابهة بحيث يمكن تمييز أسلوب العمل بوضوح ، وتحديد معالجه بما يلي :

- ١ - القيام بعمليات سبر مع بداية كل مرحلة ، وفي كل مناسبة أو ظرف ملائم .
- ٢ - تركيز الجهد على قلعة أو مدينة أو اقليم وانتزاعه من العرب المسلمين والتوقف فترة ثم معاودة العمل من جديد في منطقة أخرى ..
- ٣ - اظهار الخضوع والاستسلام اذا جاءت استراتيجية الردع قوية أو اذا طور العرب المسلمون أساليبهم وعملوا على تطبيق استراتيجية « الهجمات الوقائية » .
- ٤ - تنفيذ عمليات السبر - وأعمال الهجوم - بقسوة وعنف لحمل القيادات في قرطبة على استخدام أسلوب ردع مماثل وخلق هوة بين العرب المسلمين وأصحاب البلاد .

٥ - العمل في كل الظروف على استنزاف قوة العرب المسلمين ، بإثارة المولدين ، في البداية ، وتشجيع مراكز القوى على التمرد والثورة وضرب بعضها ببعض ..

٦ - استنزاف قوة العرب المسلمين بالحروب المستمرة والصراع المتصل مع دول الشمال .

٧ - الاستعانة بالمتطوعين ودول « الافرنج » كلما كان ذلك ممكناً ..

- ان هذه الاستراتيجية لم تكن مبهولة أو غائبة عن أنظار جماهير العرب المسلمين وقياداتهم في الأندلس . فقد كانت الرؤيا واضحة ، وكان أسلوب دول الشمال واستراتيجيتهم موضع مناقشة وحوار ، وان ما خلفه كتاب العرب المسلمين وشعراؤهم من قصائد وأقوال تظهر ان العرب المسلمين كانوا يعرفون أبعاد استراتيجية الشمال وخطورتها ، وان ما قيل من قصائد شعرية ومقطوعات في رثاء طليطلة وغيرها يؤكد وضوح الرؤيا عند عرب الأندلس . ولهذا فان الاستعانة بالمرابطين والموحدين قد جاءت تلبية لمطالبات الصراع بهدف مجابهة التكتل الذي تزعمته دول الشمال ، وان نجاح هذه الاستراتيجية قد جاء نتيجة طبيعية لاختلال ميزان القوى ..

٥ - الحرب الصليبية في الشرق والغرب

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١	١٨٣	٧٩٩ تكونت دولة جيليقية في شمال غرب الاندلس وظهرت دولة نافار وبدأ الصراع ضد المسلمين فوق أرض الاندلس ذاتها ..
٢	١٨٦	٨٠١ سقوط برشلونه في قبضة الافرنج .
٣	٣٠٣	٩١٥ تعاون البابا يوحنا العاشر مع بيزنطة - القسطنطينية - لتكوين تحالف من الأمراء المسيحيين بهدف طرد المسلمين من قلعهم الواقعة على جبل جاريحليانو .
٤	٣٣١	٩٤٢ طلب ملك بروفانس الكونت هوغ من امبراطور القسطنطينية دعمه لطرد المسلمين من البروفانس ووجه امبراطور بيزنطة أسطولاً أحرق سفن المسلمين ودمرها في مياه البروفانس .
٥	٣٣٤	٩٤٥ انتزع يوحنا كركواس أعالي الجزيرة الشامية من المحدثين أيام سيف الدولة .
٦	٣٥٠	٩٦١ انتزع نقفور فوقاس جزيرة كريت وطرد المسلمين منها .
٧	٣٥٠	٩٦١ احتل نقفور فوقاس عين زربة ومرعش وعزل قيليقية الاسلامية .
٨	٣٥٠	٩٦١ وفاة عبد الرحمن الناصر ، واستيلاء العامريين على السلطة في الأندلس .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٩	٣٥٥	استولى نقفور امبراطور بيزنطة على قيليقيا ، وانتزع قبرص من المسلمين .
١٠	٣٥٦	قاد نقفور حملة الى حوض الفرات الأوسط ..
١١	٣٥٩	استولى نقفور على حلب ، حماه ، حمص ، شيزر ، ودمر مدن الساحل انطرسوس ، جبيل ، اللاذقية .
١٢	٣٦١	استولى الامبراطور يوحنا زمسكيس على نصيبين وأخضع حمص والشام .
١٣	٣٦٥	قاد - غليوم - عملية اخراج المسلمين من البروفانس .
١٤	٣٧١	استولى المنصور على « سموره » جنوب ليون .
١٥	٣٨٥	اعاد باسيل الثاني سيطرة بيزنطة على حلب .
١٦	٣٨٦	قاد المنصور هجوماً حاسماً ضد ليون ، ووصل ليون فدمرها وأحرقها .
١٧	٣٨٧	قاد المنصور جيشاً كبيراً ووصل « شانت ياقب » في كومبوستيلا ثالث الأماكن المقدسة عند المسيحيين بعد القدس وروما . وقد احتل المنصور شانت ياقب ودمرها ثم تركها طعمة للثيران ..
١٨	٣٩٢	توقيع هدنة بين امبراطور بيزنطة والخليفة الفاطمي في مصر لمدة ١٠ سنوات .
١٩	٣٩٣	اغار البحارة المسلمون على « أنيتب - عين الطيب » في البروفانس .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٩٦ و	١٠٠٥ و	أغار البحارة المسلمون على بيزا .
٣٩٧	١٠٠٦	
٤١١	١٠٢٠	أغار البحارة المسلمون على نابون - أربونه - .
٤٣٢	١٠٤٠	نجح ستة اخوة أبناء فارس « نورماني » مغمور اسمه فانكرد - هوتفيل في الاستيلاء على مدينة « ميلفي » بتلال ابوليا ، وأقاموا بها إمارة بفضل مساعدة امبراطور الغرب هنري الثالث ، والبابا الجرمانى الذي رشحه هنري للبابوية ، واستطاع النورمان توطيد سيطرتهم على امارات لومبارديا ، ورحبت الكنيسة بهذه الخطوة وذلك للاستعانة بالنورمان في الحروب ضد المسلمين .. ولاضعاف موقف بيزنطة من جهة اخرى واخضاعها لسلطة الكنيسة ..
٤٤٥	١٠٥٣	مات هنري الثالث ..
٤٣٧	١٠٤٥	- سلم الملك آنى اكبر ملوك ارمينيا ، بلاده للبيزنطيين ..
٤٤٧	١٠٥٥	دخول طغرل بك الى بغداد ..
٤٥٧	١٠٦٤	استولت بيزنطة على اماره قارس ، آخر اماره مستقلة في ارمينيا .
٤٦٤	١٠٧١	استولى تيسيز بن أبى - ينتمى الى البارسلان - على القدس وسيطر الترك على فلسطين .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢٣	٤٦٤	١٠٧١ استولى النورمان على آخر قاعدة لبيزنطه في ايطاليا ..
٢٤	٤٦٤	١٠٧١ تقدم رومانوس ديوجين زوج امبراطورة بيزنطه - رايدوسيا -- والوصية على ميخائيل السابع ، واقتحم منطقة الفرات الأعلى ، فجابمه الب ارسلان وهزمه في موقعة « مانزيكرت » .
	٤٦٨	١٠٧٥ استولى تسيز على دمشق .
	٤٧٢	١٠٧٩ اغتيل تسيز بيد تتش الذي اصبح يسيطر على الشام من حلب وحتى حدود مصر .
	٤٧٨	١٠٨٥ استولى السلطان سليمان السلجوقي على انطاكية ومدن قيليقية .
	٤٨٠	١٠٨٧ استولى بازان التركي على الرها ..
٢٤	٤٥٦	١٠٦٣ لقي راميرو الأول ملك أراغون مصرعه في « غرادوس » ^(١) على يد احد المسلمين عندما قام بهجومه ضدهم ، فأعلن البابا الاسكندر الثاني انه يبذل الغفران لكل مقاتل من أجل الصليب في اسبانيا ، وبدأ البابا بتنظيم جيش لمتابعة مشروع راميرو ، وأخذ المقاتل النورماني

(١) غرادوس : Grados .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
		« ويليم مونتراي » ^(١) في تطويع المقاتلين لخدمة البابا وجمعهم من شتال إيطاليا . كما عمل إبلس كونت روسي ^(٢) شقيق فيليشيا ^(٣) ملكية أراغون على جمع المقاتلين النورمان من شمال فرنسا ، لكن هذه الحملة لم تحقق النجاح المطلوب .
٢٥	٤٦٦	١٠٧٣
		أعاد إبلس كونت روسي تنظيم حملة جديدة من الفرنسيين ، ودعا البابا جريجوري السابع أنصار المسيحية جميعهم لدعم هذه الحملة والانضمام إليها واعداء المسيحيين باعطائهم الغنائم التي سيستولون عليها من أيدي الكفار - المسلمين - .
٢٦	٤٧١	١٠٧٨
		تولى هيو الأول - دوق برجنديا - قيادة جيش لدعم صهره الفونزو السادس ملك ليون - قشتاله .
٢٧	٤٧٣	١٠٨٠
		- أعلن البابا جريجوري السابع تأييده الشخصي ومباركته للحملة التي قادها جاي جفري .
٢٨	٤٧٨	١٠٨٥
		استولى القشتاليون على طليطاله .
٢٩	٤٧٩	١٠٨٦
		دخل المرابطون الأندلس وانتصروا في معركة الزلاقة على « الافرنج » .

(١) ويليام مونتراي : William of Montreuil .

(٢) إبلس - روسي Ebles of Rucy .

(٣) فيليشيا : Flicia .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٣٠	٤٨٠	١٠٨٧ اشتدت دعوة الفرسان المسيحيين للزحف على الأندلس ومواجهة المرابطين .
	٤٨٩	١٠٩٥ عقد مجمع كليرمونت ، واعلان البابا ايربان الثاني الحرب الصليبية على المسلمين .
٣١	٤٩٠	١٠٩٦ سقوط وشقه في يد الافرنج في الأندلس .
٣٢	٤٩٢	١٠٩٨ وصول الحملات الصليبية الى المشرق وسقوط انطاكية .
	٤٩٣	١٠٩٩ احتلال الصليبيين لبيت المقدس « القدس » واحتلال طرابلس وبيروت والرملة ومدن الساحل ..
٣٣	٥١٤	١١٢٠ ضياع كتندة وسرقسطه .
	٥٢٢ و ٤٨٨	١٠٩٥ و ١١٢٩ سقوط بلنسية وبربشتر ثم ضياعهما .
٣٤	٥٤٢	١١٤٧ ضياع المريه .
٣٥	٥٨٦	١١٩٠ سقوط شلب ثم استرجاعها ثم ضياعها .
٣٦	٥٩١	١١٩٤ موقعة الأرك بقيادة يوسف بن عبد المؤمن « الموحدين » .
٣٧	٦٠٩	١٢١٢ موقعة العقاب بقيادة محمد الناصر بن يوسف ، وهزيمة المسلمين بالاندلس ..
٣٨	٦٢٢	١٢٢٥ ضياع لوشه .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٩	٦٢٦	١٢٢٨ ضياع ماردة .
٤٠	٦٣٦	١٢٣٨ ضياع قرطبة ومرسيه .
٤١	٦٤٥	١٢٤٧ ضياع اشبيلية وشرق الأندلس .
٤٢	٦٩٨	١٢٩٨ نهاية الحملات الصليبية في الشرق .
٤٣	٨٩٨	١٤٩٢ اخراج من بقي من المسلمين في مالاقا ، وغرناطة والبيازين وبعض قلاع الجنوب .

* * *

قراءات

عبد الرحمن الداخل

١١٣ - ١٧٢ هـ : ٧٣١ - ٧٨٨ م

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . وأمه بربرية من قبيلة نغزاوة اسمها « راح »^(١) ولد بدير حنا من أرض دمشق وقيل بالعلباء من تدمر .

- توفي والده وهو صغير ، فضمه مسلمة بن عبد الملك اليه ، وتوسم فيه منذ طفولته الطموح والذكاء . وله حادثة مع جده يرويها عبد الرحمن فيقول :

(أتى جدي هشام يوماً فوجدني عند مسلمة وكنت صبياً ، فأمر جدي بتنحيتي عنه فقال له مسلمة : دعه يا أمير المؤمنين ، فإنه صاحب بني أمية ومحبي دولتهم بعد زوالها ، فلم أزل أعرف لي مزية من جدي ...) .

سنة ١٣٢ هـ : وقع الاختلال في دولة بني أمية . وفر عبد الرحمن متنقلاً بأهله وولده إلى أن حل بقرية على الفرات ، ودخلت كتائب العباسيين القرية التي يقيم فيها عبد الرحمن فهرب إلى موضع ناء عن القرية ولحقه أخوه ، ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى لحقت به الخيل فقذف بنفسه في النهر وأخوه يتبعه . ثم عاد أخوه بعد أن بلغ منتصف النهر معتمداً على ما سمعه من وعود وتابع عبد الرحمن طريقه وهو يشهد ما حل بأخيه من نكبة وكيف ضرب الجند عنقه وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

- وصل عبد الرحمن إفريقية ولحق به مولاه بدر بعد أن أوفدته إليه اخته

(١) في البيان المغرب ٢ - ٧١ ، اسم ام عبد الرحمن « راحا أر رداحا » .

« أم الأصبح » ومعه دنانير للنفقة . وعلم أن عاملها (عبد الرحمن بن حبيب الفهري) يلاحق الأمويين وأنه قتل ابني الوليد ، فهرب عبد الرحمن إلى المغرب الأقصى والتجأ إلى أخواله « قبيلة نغزاوة » في مغبة وقيل بمكناسة .

سنة ١٣٦ هـ : اتصل عبد الرحمن بن يعرفهم في الأندلس ، وطلب دعمه ومساعدته للاستيلاء على الأندلس . وأجمعت كلمة اليمنية على نصرته ، وأرسل اليهم بدرأ مولاه للتأكد فعاد بدر ومعه مجموعة من وجوه الأندلس فرافقهم ونزل في المنكب (١) .

سنة ١٣٨ هـ : وفي ربيع الأول منها ، أخذ عبد الرحمن في التوجه إلى واش من كورة البيرة ولم يكن أنصاره يزيدون على أربعائة مقاتل . لكن جموعه أخذت تتزايد كلما تحرك من مدينة إلى مدينة أخرى فتابع مسيرته إلى رية ومنها إلى شدونة ثم مورور وأشبيلية حيث أصبحت قوته تزيد على ألفي مقاتل . وعندما غادرها أصبح جيشه يضم ثلاثة آلاف فارس .

كان والي الجزيرة عبد الرحمن بن يوسف الفهري ووزيره الصميل في جيلقية عندما دخل عبد الرحمن الأندلس ، فرجعا وقد أخذت القوات تنفض عنها ، لكنها صمما على الدخول معه في معركة حاسمة بعد أن حاولا خداعه ففشلا وحاولا استرضاءه ، دون الامارة فرفض أيضاً .

- في الطريق إلى قرطبة وفي موضع يسمى « بطشانة » (٢) عقدت الراية لعبد الرحمن الذي تابع تقدمه بينما كان يسير خصمه الصميل في الطرف الآخر من النهر وبعد ثلاثة أيام من المسير : وفي موضع « المصار » (٣) غربي قرطبة ، أنهى عبد الرحمن استعداداته للمعركة ، وسمر الليل كله على نظام أمره ثم وقف أمام قادته وقال لهم :

(١) المنكب : Almuncab .

(٢) بطشانة : Tocina .

(٣) ورد في أخبار مجموعة ١١٨ ، اسم هذه الواقعة « المسارة » .

(هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه ، إما ذل الدهر ، وإما عز الدهر ، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون ، تربحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون) .

ووقعت المعركة الفاصلة وانتصر عبد الرحمن ، ودخل قرطبة بعد ثلاثة أيام . وانصرف الى تنظيم أمور الدولة ، ووضع خاتماً له نقش عليه :

[عبد الرحمن بقضاء الله راض]

سنة ١٣٩ هـ : خرج ضده الفهري والصميل واستمرت ثورتها حتى عام ١٤٢ هـ حيث قتل يوسف الفهري ومات الصميل في سجنه .

سنة ١٤٦ هـ ثار العلاء بن مغيث اليحصبي بباجة من قبل المنصور ، ولقيه عبد الرحمن بجبهة أشبيلية فهزمه وجيء به وباعلام أصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه وأعناقهم وأمر فقرطت الصكاك في آذانهم بأسمائهم وأودعت جوالقاً محصناً ومعه اللواء الأسود وانفذ بالجوالق تاجراً من ثقاته وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم ففعل ، ووافق أبا جعفر المنصور قد حج ، فوضعه على باب سرادقه ، فلما كشفه ونظر اليه سقط في يده وقال : [عرضنا هذا البائس ، يعني العلاء للتحف - ما في هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه] .

سنة ١٤٧ هـ : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة مولاة بدر وتهاج بن علقمة للقضاء على تمرد هشام بن عروة في طليطلة ، وأمكن لهما اعتقال هشام بن عروة وهشام بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وحياة بن الوليد ، فاعدوا وأرسلت رؤوسهم إلى قرطبة .

سنة ١٤٩ هـ : ثار سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بكورة لبلة .

سنة ١٥٠ هـ : هاجت فتنة البربر في سانتا ماريا ، شنت برية .

سنة ١٥٢ هـ : ثار رجل من البربر اسمه سفين بن عبد الواحد الكناسي واما فاطمة وادعى أنه من أهل البيت وأنه ينتسب للحسن بن علي واستمرت فتنته حتى تم قتله سنة ١٦٠ هـ . واسمه في الكامل لابن الأثير شقنا ، ٥ - ٣٤ .

سنة ١٥٦ هـ : أعلن عبد الغافر اليحصبي ثورته في أشبيليا وخرج عبد الرحمن في السنة التالية ففضى على الثورة .

سنة ١٥٧ هـ : ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الحزرجي ^(١) وشايعة سليمان بن يقظان الاعرابي الكلبي رأس الفتن وآل أمرها الى فتك الحسين بسليمان وقتل الحسين على يد الأمير عبد الرحمن .

سنة ١٦٤ هـ : غزا الأمير عبد الرحمن الجزيرة ، وبها الرمامس بن عبد الرحمن ^(٢) فهرب الرمامس وأطلق الأمير عبد الرحمن اسرى الامويين .

سنة ١٦٨ هـ : ثار المغيرة بن الوليد بن معاوية على عبد الرحمن ، وقتل المغيرة وانصاره .

سنة ١٧٠ هـ : بدأ العمل ببناء جامع قرطبة .

سنة ١٧٢ هـ : توفي عبد الرحمن الداخل .

صقر قريش

قال أبو جعفر المنصور يوماً لأصحابه : من صقر قريش؟ قالوا : أمير المؤمنين الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الأدواء ، قال ما صنعتُم شيئاً ، قالوا فمعاوية ، قال ولا هذا . قالوا فعبد الملك بن مروان ، قال : لا . قالوا فمن يا أمير المؤمنين ، قال : [عبد الرحمن بن معاوية . الذي تخلص بكيده عن سنن الاسنة وظبابة السيوف ، يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلداً أعجيباً فمصر الأمصار وجند الأجناد وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه ، ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان . وذلالا له صعبه ، وعبد الملك

.....

(١) في البيان المغرب يذكر ابن عبادة الانصاري ويجعلها من أحداث سنة ١٦٥ هـ ، البيان المغرب ٢ - ٧١ ، نفح الطيب ١ - ٤٨ .

(٢) في البيان المغرب ٢ - ٧١ ويذكر في نفح الطيب ١ - ٤٨ ان اسمه الرمامس بن عبد العزيز الكناني .

ببيعة تقدمت له ، وامير المؤمنين بطلب عترته واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرداً بنفسه مؤيداً برأيه مستصحباً لعزمه ... [(١)] .

تنظيم الدولة

- بدأ الأمير عبد الرحمن عهده بتدوين الدواوين ، وفرض الاعطية ، وعقد الألوية وجند الأجناد ، وكان متصل الحركة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد في ابرامها برأيه ، شجاعاً ، مقداماً ، بعيد الغور ، شديد الحدة ، قليل الطمأنينة بليغاً ، مفوها .

وكان الى ذلك ، يميل الى المركزية في السلطة ، فقتل كل من حاول الوقوف في وجه سلطته ، ومنهم أقرب الناس اليه مثل ابي الصباح يحيى زعيم اليمنية ، وعبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وعبيد الله بن ابان بن معاوية ابن هشام وابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية وشرذ مولاة بدر فمات شرمية .

الحنين الى الوطن :

- وكان الامير عبد الرحمن شديد الحنين لوطنه ، شاهد يوماً نخلة فريدة في الرصافة فأطلق خياله :

تنامت بأرض الغرب عن بلد النخل	تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
وطول اكتنابي عن بني وعن أهلي	فقلت شبيبي في التغرب والنوى
فمثلك في الامضاء والمنتأى مثلي	نشأت بأرض أنت فيها غريبة
يسح ويستمرى السماكين بالوبل	سقتك غواصي المزن في المنتأى الذي

.....

حارر مجموعة ١١٨ - ١١٩ ، الكامل لابن الأثير ٥ - ١٨٢ و ٦ - ٣٧ نصح
٣٣٠ - ٣ و ٢٧ - والاستقصا ١ - ٥٣ - ٥٤ ، أخبار مجموعة ١٠٤ ، ابن
سنان ١ - ١٢٠ ، الاعلام ٤ - ١١٣ تاريخ غزوات العرب ١١٢ ، البيان المغرب ٢ - ٧٧ .

. - وقد حمله هذا الحزن على التفكير في معاودة غزو الشام وانتزاعها من قبضة العباسيين، وأشاع ذلك سنة ١٦٣ هـ . وكانت جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على ان يستخلف ابنه سليمان بالأندلس ويذهب بعامة من أطاعه ، ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسين الأنصاري الذي أعلن الثورة في سرقسطة . ومن شعره الذي يستشهد به على تفكيره في الرجوع الى الشام وحنينه اليها الأبيات التالية :

أقربني بعض السلام لبعض	أيها الراكب الميمم أرضي
وفؤادي ومالكه بأرض	ان جسمي كما تراه بأرض
وطوى البين عن جفوني غمضي	قدر البين بيننا فافترقنا
فعمسى باجتماعنا سوف يقضي ^(١)	قد قضى الله بالفراق علينا

هشام بن عبد الرحمن « الداخل »

١٣٩ - ١٨٠ هـ = ٧٥٦ - ٧٩٦ م

هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان - الأموي - .
- أمه تسمى جمال^(٢) ولقبه أبو الوليد ونقش خاتمه [بالله يثق عبده هشام
وبه يعتصم ..]

- ولد بقرطبة ، وعينه أبوه عندما أصبح شاباً لحكم « ماردة » .. وصله
خبر موت أبيه وهو بماردة ، فأسرع إلى قرطبة ووصلها بعد ستة أيام وبإيعه

(١) نفح الطيب ١ - ٥٤ .

(٢) البيان المغرب ، ابن عذارى ٩١/٢ ، اسم امه جمال ، وفي نفح الطيب للمقري ٣٣٤/١
اسمها حلال وفي الحميدي حوراء .

ابن خلدون ١٢٤/٤ . ابن الاثير ٨٥/٥ - ١٠١ . الاعلام ٨٤/٩ . اخبار مجموعة ٩٥
البيان المغرب لابن عذارى ٩١/٢ وما بعده . جذوة المقتبس ١١ . الحلة السيرة ٣٧ .

الخاصة والعامة . ثم أراد أخوه سليمان منازعته في الحكم فغادر طليطلة يمحشه وعندما وصل كورة « جيان » توجه إليه أخوه هشام ووقعت محبة بلج معركة طاحنة هزم فيها سليمان .

— قال الأمير عبد الرحمن الداخل يوماً لابنه هشام : لمن هذا الشعر :

وتعرف فيه من أبيه شمائلًا ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
ساحة ذا ، وبرّ ذا ، ووفاء ذا وثائل ذا ، إذا صحا وإذا سكر

فقال له : يا سيدي لامرئ القيس ملك كنده وكأنه قاله في الأمير أعزه الله ، فضمه إليه استحساناً بما سمع منه وأمر له بإحسان كثير وزاد في عينه ، ثم قال الأمير عبد الرحمن لابنه الثاني سليمان على انفراد : لمن هذا الشعر ؟ وأنشده البيتين ، فقال : لعلهما لأحد أجلاف العرب ، أما لي شغلٌ غير حفظ أقوال بعض الأعراب . فأطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية..

سنة ١٧٢ هـ : تولى هشام إمارة الاندلس ، فانصرف لتنظيم أمور دولته ، وأحسن معاملة الرعية حتى شبهه الناس بعمر بن عبد العزيز ..

كان هشام يبعث بثقاته الى الكور يسأل الناس عن سيرة عماله فاذا انتهى اليه ان أحدهم ظلم أحداً عزله عن عمله وأنصف المظلوم . كما عين في المدن عسكاً لمنع ارتكاب الجرائم .

من أعماله العمرانية : اكمال جامع قرطبة وبناء القنطرة التي أقامها السماح ابن مالك . وشيد المساجد في أنحاء البلاد ، وعني بنشر اللغة العربية . قرب اليه الفقهاء واعتمدهم في مشورته . وأحبه الناس لعدله .

توفي بقرطبة ١٨٠ هـ ، وبها دفن ..



الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

١٥٤ - ٢٠٦ هـ = ٧٧١ - ٨٢٢ م

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، أبو العاص ، ولقبه الربضي نسبة لمعركة الرض التي قمع فيها حركة التمرد ضده . أمه ، أم ولد اسمها زخرف ، ونقش خاتمه : [بالله يثق الحكم وبه يعتصم ..]

١٨٠ هـ - ٧٩٦ م تولى الحكم امارة الاندلس بعد وفاة ابيه .

[.. كان افضل بني اميه بالاندلس واشدهم اقداما وصرامة وأنفة وأبهة وعزة ، الى ما جمع لذلك من جودة الضبط وحسن السياسة وايتار النصفه وكان يشبه بالمنصور العباسي في شدة الملك وقهرة الأعداء وتوطيد الدولة ..]^(١)

١٨١ هـ - ٧٩٧ م : اعلن بهلول بن ابي الحجاج بجهة الثغر الأعلى وملك سرقسطه^(٢) وانضم اليه عبد الله ابن الامير عبد الرحمن بن معاوية .. واستمر تمرده حتى عام ١٨٤ هـ حيث اتصل باخيه وطلب الصلح فوافقه عليه .

وفي هذه السنة ايضاً اعلن عبيده بن حميد الثورة بطليطلة فوجه الحكم عمرو بن يوسف لحربه من طليبره ، واستخدم عمروس الدهاء ، واستطاع التأثير على بعض الانصار فقتلوا عبيده وحلوا رأسه الى عمروس فأرسله الى الحكم ثم تابع عمروس خطته لتصفية المقاومه فدخل طليطلة مستكيناً لأهلها وبني قصرأ عند مدخل المدينة ، ثم تظاهر بالاحتفال ودعى وجوه طليطلة ونظم الحفل على ان يكون الدخول افرادياً فكان الحجاب يقتلون كل داخل واستطاع بذلك

(١) المغرب في حل المغرب ٣٩/١ ونفع الطيب ٣٤٠/١ .

(٢) المغرب في حل المغرب ٤٠/١ وفي تاريخ ابن خلدون ١٢٦/٤ بهلول بن مرزوق ، وفي البيان المغرب ١٠٢/٢ بهلول بن مروان المعروف بأبي الحجاج ، وفي الكامل لابن الأثير حوادث سنة ١٨١ هـ ، بهلول بن مرزوق المعروف بأبي الحجاج .

ان يقتل سبعمائه رجل من كبار قادة التمرد وبذلك أخضع طليطله (١) .

١٨٢ هـ - ٧٩٨ م : دخل سليمان بن عبد الرحمن عم الأمير هشام الى الأندلس وأعلن تمرده « ببلنسية » فسمي « البالنسي » واستمرت ثورته ثلاثة أعوام حتى تمكن الحكم من قتله عام ١٨٤ هـ .

١٩٨ هـ - ٨١٣ م : ثورة الربض ، بقرطبة (٢) وسببها تحريض أهل العلم والورع بقرطبة وفي مقدمتهم القاضي يحيى بن يحيى الليثي - المصمودي - بسبب ما أشيع عن الحكم من انصرافه الى المذات حتى كانوا ينادونه ليلاً من أعلى صوامعهم عند الأذان لصلاة الفجر [.. الصلاة ، الصلاة ، يا مخور ..]

وعندما زادت استنارة أهل قرطبة لحرمس الحكم عمل على تحصين قرطبة وعمارة أسوارها وحفر خنادقها وارتبط الخيل على بابه واستكثر المماليك ورتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح ، ثم عمد الى عشرة من رؤساء سفهائهم فقتلهم وصلبهم ، فهاج لذلك أهل الربض ، ووقعت معركة طاحنة انتهت باحراق الربض وتدميره طوال ثلاثة أيام ، وقتل الحكم من أسرام ثلاثمائة وصلبهم ، ثم اصدر عفوه بعد ذلك .. كما اصدر عفوه بعد ذلك عن قائدي الثورة ومما يحيى ابن يحيى وطالوت بن عبد الجبار المعافري .

سنة ١٩٠ هـ - ٨٠٥ م : قاد الحكم جيشاً للقضاء على ثورة اصبح بن عبدالله ابن واسنرس في « مارده » ، لكنه اضطر الى العودة ورفع الحصار عن مارده للقضاء على الثورة التي هددت قرطبة ، وقد استمرت الثورة في مارده سبعة أعوام قبل أن يتمكن الحكم من القضاء عليها ..

(١) البيان المغرب ١٠٨/٢ وفي المغرب في حلى المغرب ٤٠/١ ، عبيد بن خمير وفي ابن خلدون عبيدة بن عمير وفي الكامل لابن الاثير ، حوادث هذه السنة ، عبيد بن حميد .

(٢) في المغرب من حلى المغرب ٤٢/١ جعلها من أحداث سنة ٢٠٢ هـ . وفي الكامل لابن الاثير سنة ١٩٨ هـ . والبيان المغرب في أحداث ٢٠٢ وهو الاكثر صحة .

- كانت فترة اماره الحكم ثورات متصلة في الداخل وحروب مع الأعداء الخارجيين وتنظيم لأمر الدولة الادارية والمالية والعسكرية .

- وكان الحكم في بداية عهده ، قد انهمك في لذاته من غير افحاش وكانت له عيون يطلعون بأحوال الناس وكان يباشر الأمور بنفسه ويقرب الفقهاء والعلماء الصالحين .. وكان الى ذلك شاعراً ، ومن أقواله يوم وقعة الرض^(١) :

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعاً وقدماً لأمت الشعب مذ كنت ياقعاً
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة أبادرها مستضي السيف دارعاً
تنبيك أني لم أكن في قراعهم بوانٍ وقدماً كنت بالسيف قارعاً
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم فوافوا منايا قدردت ومصارعاً
فهذي بلادي انني قد تركتها مهاداً ولم اترك عليها منزعاً
توفي الحكم عام ٥٢٠٦ هـ - ٨٢٢ م بعد أن أمضى حياة حافلة بجلائل الأعمال .



عبد الرحمن بن الحكم

١٧٦ - ٥٢٣٨ هـ = ٧٩٢ - ٨٥٢ م

عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، لقبه ابو المطرف ، ويسمى عبد الرحمن الاوسط ، امه تسمى حلاوه ، ونقش خاتمة ، عبد الرحمن بقضاء الله راض (وهو توقيع جده) ومن توقيعاته البليغة : (من لم يعرف وجه مطلبه فالحرمان اولى به) وهو من مواليد طليطله .

بويج بالخلافة في اليوم التالي لوفاة ابيه الحكم وله من العمر ٢٣ سنة و ٩ اشهر .

(١) نفع الطيب ١/٣٣٨ - ٣٤٤ هـ . المغرب من حلى المغرب ١-٣٨-٤٥ ، الكامل ، لابن الاثير ، أحداث السنوات ، البيان المغرب ٢/١٠٢ - ١١٨ ابن خلدون ٤/١٢٥ ، غزوات العرب ١٢٩ - ١٣٠ ، الوفيات ١/١٤٦ الاعلام ٢-٢٩٧ .

استفتح عهده باحداث دار السكة « في قرطبه » وضرب الدراهم باسمه ولم يكن فيها ذلك منذ فتحها العرب ، واتخذ للوزراء في قصره بيت الوزارة ورتب اختلافهم اليه في كل يوم يستدعيهم معه او من يختص منهم او يخاطبهم برقاع فيما يراه من امور الدولة ، وبدأ حكمه بهدم فندق الحمر واطهار البر وهو اول من جرى على سنن الخلفاء في الآنية والشكل وترتيب الخلافة وكسا الخلافة ابنة الجلالة فشيّد القصور وجلب الماء العذب الى قرطبه وبنى له مصيفاً كبيراً يرتاده الناس وبنى الرصيف وعمل عليها السقائف وبنى المساجد في الاندلس ومنها جامع اشبيليا وسورها وعمل السقاية على الرصيف ، ونظم الجيش واستكثر من الأسلحة والعدد .

- وفي ايامه انتهى مال الجباية الى الف الف دينار في السنة وكان قبل لا يزيد على ستمانة الف ، يصرف ثلثها لتسليح الجيش واعداده وصرف مرتباته .

- وكان الأمير عبد الرحمن شديد الاهتمام بالكتب حتى انه وجه الشاعر عباس بن ناصح الى العراق في التماس الكتب القديمة فأثاء « بالسندهند »^(١) وغيره من الكتب ، كما كان يقرب اليه العلماء والفقهاء وينظم الشعر ، وله اشعار رقيقة في الغزل والفخر - .

تميز عهده بالرخاء والهدوء النسبي حتى قيل لايامه « ايام العروس » واستطاع القضاء على جميع حركات التمرد والثورات المضادة ، وتوطدت في عهده سيطرة الدولة فسعى اليه امبرطور بيزنطة « توفليس »^(٢) وارسل وفداً للصدّاقة وكذلك فعل عدد من الامراء - .

- توفي في قرطبه وله من العمر ٦٢ عاماً وكانت مدة خلافته ٣٢ سنة تقريباً .^(٣)

(١) السند هند ، من أقدم الكتب التي ترجمها العرب عن الهندية وتعلموا منها الحساب والاعداد الهندية . (٢) تيوفليس : Theophilus .

(٣) المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٥ - ٥١ . نفع الطيب ١ - ٣٣٤ - ٣٥٠ الكلّمل في التاويخ احدث سنة ٢٣٨ هـ ، البيان المغرب ٢ - ١٢١ - ١٣٢ ابن خلدون - ٤ - ١٢٧ اخبار مجموعة ١٣٩ ، الحلة السراء ٦١ جذوة المقتبس ١١ ، الاعلام ٤ ، ٧٦ .

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام^(١)

٢٠٧ - ٢٧٣ هـ = ٨٢٢ - ٨٨٦ م

مدة ولايته ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ = ٨٥٢ - ٨٨٦ م « ٣٤ عاماً

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، ابو عبد الله ، امه بهير . نقش خاتمة « بالله يشق محمد وبه يعتصم » مولده ووفاته في قرطبة - .

تولى امارة الاندلس وله ثلاثين سنة ونيف ، وكان ابوه قد رشح اخوه عبد الله بن طروب لولاية العهد ، كما كان نصر الخصي يعضد عبد الله ويخدم امه طروب الحظية عند عبد الرحمن الاوسط لكن عبد الله كان مستهتراً ، منهمكاً في اللذات فكان أولو العقل يميلون الى اخيه محمد فلما مات ابوهما وكان ذلك بالليل ، اتفق رؤساء الخدم ان يعدلوا بالولاية عن عبد الله الى محمد فمر أحدهم الى منزله وجاء به ، فلما مر على دار اخيه عبد الله وسمع ضجة المناديين وليس عنده خبر من موت أبيه أنشد :

فهنئاً له الذي هو فيه والذي نحن فيه أيضاً هناناً
ولما دخل القصر وتم له الأمر ، تلقاه بحزم ولم يختلف عليه أحد من أقاربه .
- أعاد الأمير تنظيم شؤون دولته ، وبذل جهده لقمع حركات التمرد ، ورد غزوات الطامعين ومجابهة الاضطرابات الى جانب الاهتمام بالنهضة العمرانية وفي طليعتها اكمال ما بدأه أبوه وجده ، وهو توسيع جامع قرطبة ، وزيادة بنيان القصر الكبير والمناظر الخارجية عنه ..

- عرف عن الأمير محمد قوة الارادة ، وسداد الرأي ، فكان ، بنو مدرار

(١) البيان المغرب ٢ - ١٤١ - ١٧٠ ، نفع الطيب ١ - ٣٥٠ - ٣٥٢ . الكامل ، ابن الاثير ، احداث السنوات . المغرب في حلى المغرب ١ - ٥١ - ٥٣ ابن خلدون ٤ - ١٣ ، أخبار مجموعة ١٤١ ، جذوة المقتبس - ١١ - الاعلام ٧ - ٦١ ، الحلة السيرة ٦٤ .

في سجله ، ومحمد بن افلح حاكم تاهرت وغيرهم من رجال « عدوة المغرب » يستشيرونه في كل أمر من أمورهم ويرجعون اليه في كل عقبة تجابههم أو صعوبة يستعصي حلها عليهم ..

— وكان الأمير محمد غزاة لأهل الشرك وربما أوغل في بلاد العدو الستة أشهر والأكثر وله فيهم وقائع مشهورة ..

— وكان الى ذلك محباً للعلم والعلماء ، كريماً ، دقيقاً في عمله فضبط أمور الدولة وأحسن ادارتها .

— توفي عن عمر يناهز الثالثة والستين عاماً ، وبشير بعض المؤرخين الى ان وزيراً له اسمه هاشم بن عبد العزيز أساء السيرة ، فضاعت هيبة الدولة في أواخر أيامه ..

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن^(١)

حياته : ٥٢٢٩ - ٢٧٥ - ٨٤٣ : ٨٨٨ م

امارته : ٥٢٧٣ - ٢٧٥ : ٨٨٦ - ٨٨٨ م

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ، وأمه تسمى أيل .

نقش خاتمه « المنذر بقضاء الله راض » .

كان والده الأمير محمد يعتمد عليه كثيراً في حروبه ، وكان على أبواب بربرشت في أقصى الشمال عندما بلغه وفاة أبيه فعاد الى قرطبة حيث أخذت له البيعة . ففرق العطاء في الجند ، وأسقط عن الرعية عشر ذلك العام ، وأخذ في الاستعداد

(١) البيان المغرب ، ٢ - ١٧٠ - ١٧٦ ، الكامل ابن الاثير ٧ - ١٤١ - ١٤٥
اخبار مجموعة ١٤٩ ، نفح الطيب ١ - ٣٥٢ ، المغرب في حلى المغرب ١ - ٥٣ ابن خلدون
٤ - ١٣٢ جذوة المقتبس ١٢ ، الاعلام .

لاخضاع حركات التمرد وفي طليعتها ثورة عمر بن حفصون . فسير إلى طيطة جيشاً وقد بلغه تمردها . فأخضعها وقضى على حركة التمرد ، وفي الوقت ذاته غزا محمد بن لب زعيم الثغر الأعلى البة والقلاع وقاتل « النصارى » وهزمهم . في السنة التالية ، قاد المنذر جيشاً كبيراً لتصفية ثورة ابن حفصون ، ووصل بربرشت وحاصرها . وشعر خلالها بالمرض فكتب إلى أخيه عبد الله يطلب اليه الحضور لتولي القيادة ومتابعة الحصار حتى النهاية . وهناك بعض المصادر التي تذكر ان الامير المنذر مات مقتولاً بتأثير أخيه عبد الله الذي أشار إلى الطبيب الذي يعالجه أن يستخدم مبخضاً مسموماً لفصده ، ومات المنذر وهو على أبواب بربرشت فحملة أخوه عبد الله وعاد به الى قرطبة .

— كان المنذر كريماً محباً للأدب والأدباء مكرماً للشعراء ولكنه كان أيضاً مر العقاب ، شكس الأخلاق . وان قتله لوزير أبيه ووزيره هاشم بن عبد العزيز نموذج لشدة بطشه . وان اصراره على تصفية ثورة ابن حفصون برهان على تصميمه وقوة ارادته ، وفيه قيل :

بالمندر بن محمد صلحت بلاد الأندلس



عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (١)

حياته : ٢٢٩ - ٥٣٠ : ٨٤٣ - ٩١٢ م

امارته : ٢٧٥ - ٥٣٠ : ٨٨٨ - ٩١٢ م

عبد الله بن محمد وكنيته « أبو محمد » وامه تسمى بهار ، وقيل عشار . بويع في اليوم الذي مات فيه أخوه المنذر في الحلة « على بربرشت » فقفل إلى

(١) ابن عذارى ، البيان ٢ - ١٧٥ - ١٨٢ وما بعده ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكى وتاريخ اسبانيا الاسلامية ، تحقيق بروفنسال - ٢٧ - ابن خلدون ٤ - ١٣٢ ابن الاثير ٦ - ٦٥ ، الحلة السراء ٦٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ - ٢٣٩ الاعلام ٤ - ٢٦٢ .

قرطبة باخيه . حيث استم البيعة فيها . وكانت الأندلس في بداية عهده تضطرم ناراً بعد ان اقتسم الثوار أقاليمها فكان منهم :

اسم الثائر	مكان الثورة (١)
١ عمر بن حفصون	بربشتر
٢ ابن حجاج	اشبيلية وقرمونه
٣ عبد الرحمن بن مروان الجليقي	بطليوس
٤ عبد الملك بن أبي الجواد	باجة الغرب
٥ ابن السليم	شدونه
٦ ابن الياس	القلعة المنسوبة اليه
٧ خير بن شاكر	شونر
٨ عمر بن فصم الهزولي وسعيد بن هذيل	حصن المتلون
٩ سعيد بن مستنه	باغو
١٠ بني هابيل	حصون جيان
١١ اسحاق بن عطاف	حصن منتاشه
١٢ سعيد بن سليمان بن جودي	غرناطة
١٣ محمد بن أضحي « كبير العرب »	البيره
١٤ أبي بكر بن يحيى	شنت ماريه
١٥ سليمان بن محمد الشذوني	شريس
١٦ عبد الوهاب	مورين
١٧ يحيى التجيبي الأنقر	سرقسطه

— وأمام هذا التمزق. تفرقت عن الأمير عبد الله أجناده ، وعجز عن نصرته

قواده . وتضاءلت موارد الجباية ، فالتزم سياسة « التقشف » ، وأنفق الوفير الموجود في خزانة الدولة .

— قضى الأمير عبد الله فترة امارته في نضال مستمر ، وصراع متصل ضد الخارجين على الدولة ، وقد استنزفت هذه الأعمال جهد الدولة وامكاناتها .

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله « الثالث »

حياته : ٢٧٨ - ٣٥٠ هـ : ٨٩١ - ٩٦١ م

خلافته : ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ : ٩١٢ - ٩٦١ م

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل . وأمه أم ولد تسمى ماريًا « مرتة أو مزنة » . ولقبه : الناصر لدين الله « أبو المطرف » وكان والده قد قتله أخوه المطرف بن عبد الله في صدر دولة أبيهما وترك ابنه عبد الرحمن ابن عشرين يوماً ، وعندما توفي جده عبد الله تصدى للامارة بحضور أعمامه وأعمام أبيه واجتازها دونهم . واضطلع بأعباء الحكم فأظهر مقدرة فائقة في القيادة حتى أصبحت الأندلس أقوى دول عصرها . وأسرع ملوك وحكام الدول شرقها وغربها لاكتساب صداقته .

تسمى عبد الرحمن بلقب امرة المؤمنين واستمر على ذلك حتى السنة السابعة عشرة من ولايته ، وعندما بلغه ما صارت اليه الخلافة العباسية بالمشرق ، واستبداد موالي الترك بأموورها ومقتل الخليفة المقتدر بيد مولاة « مؤنس » ، مع ظهور الشيعة بالقيروان ، تسمى بالخلافة فكان أول أمير في الأندلس يدعى « بالخليفة » .

— استقبل الناس ولاية عبد الرحمن بن محمد بالتفاؤل لا سيما بعد أن قُاد بنفسه أول عمليات القتال لاختضاع حركة عمر بن حفصون فقال ابن عبد ربه صاحب المقد :

بدا الهلال جديداً والملك غض جديداً
يا نعمة الله زيدي إن كان فيك مزيد

— كان عبد الرحمن الناصر ، يعرف الرجال ويقدر المواقف بدقة ولعل في جوابه لابن عمه سعيد بن المنذر الذي كان يحاصر ابن حفصون ما يوضح ذلك حيث كتب له يحذره من غدر ابن حفصون :

[... مها تحققت من غدر بني حفصون ومكرهم ، فزد فيه بصيره واثبت على تحقيقك ، ومها ظننت فصيل ظنك تحقيقاً ، فانهم شجرة نفاق أصلها وفروعها تسقى بماء واحد ، فاهجر فيهم المنام والدعة فالميون اليهم تنتظر والآذان نحوهم تسمع فمق استنزلتهم من معقلهم أغناك ذلك عن مكابدة غيرهم ...] فلم يزل سعيد بن المنذر على حصارهم حتى أخضعهم .

— وعرف الخليفة عبد الرحمن الناصر بالبلاغة وقوة الحججة والبيان ، كتب اليه محمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ . يطلب الصفح عن عصيانه وتعمده في حصن « لقنت » فأجابه الناصر : [.. ولما رأيناك قد تذرعت باظهار اتقاء الله رأينا أن نعرض عليك أولاً ما لا بد لك منه آخرأ وليس من أطاع بالمقال كما أطاع بعد الفعل ...] فأسرع محمد المعروف بالشيخ الى قرطبة « وغادر حصن « لقنت » واستسلم لارادة الخليفة .

وكان عبد الرحمن الناصر قوي الشخصية ، شديد البأس ، كانت عنده جارية بمنزلة حباية من يزيد بن عبد الملك ، سكر ليلة فأكثر من تقيلها ، فأكثر الضجر والتبرم وقبضت وجهها ، فأمر ألا يزال وجهها بلثم باللسنة الشمع وهي تستغيث فلا يرحمها حتى هلكت .

— وحاول ابنه عبد الله تنظيم مؤامرة لقتله وأخذ الخلافة ، فأمر باحضار ابنه عبد الله وقتله ذبيحاً بيده .

— تولى الوزارة في عهد الخليفة عبد الرحمن شخصان تميزا بالكفاءة والقدرة

وما عبد الملك بن جهور ، وأحمد بن عبد الملك بن شهيد ، وكان لهما دور كبير في ادارة شؤون الخلافة وتعزيز قدرتها .

— استقبل عبد الرحمن الثالث امور ولايته بعزيمة لا تلين ، فعمل على اخاد الفتن الداخلية والقضاء على حركات التمرد واستنزل العصاة من معاكلهم وحصولهم ، وعمل على نشر الأمن والاستقرار في ربوع الأندلس ، فأخذت مدن الأندلس تدين له بالطاعة واحدة بعد أخرى بداية من اشبيلية والجرف ونهاية بعمر بن حفصون في بربشتر وطليلة التي اسلمت له القيادة عام ٨٣٢٠ هـ . وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر يعامل الناس حسب درجة عدائهم لخلافته . فكان يفدق على العصاة الذين يستسلمون له ويكرمهم ، ويوسع عليهم ، وكان مقابل ذلك شديد الوطأة على من يستمرون في مناوئته ، وكان للنصارى وضع خاص عنده بسبب ما أظهره من العداء المستمر والتحريض الدائم على السلطة . أما بالنسبة لدول الشمال فكان له أسلوبه أيضاً والذي يتلخص في « تدمير هذه الدول دون هواده وعدم اعطائها الفرصة للقيام بهجوم ضده » مع تركيز الجهد على تمزيق كل تحالف ضده واحباطه في مهده .

— نتيجة لهذه السياسة الحكيمة ، ازدهرت دولة الأندلس ، وبلغ فيها الرفاه مبلغاً لم يتحقق من قبل حتى بلغت [الجباية في عهده خمسة آلاف وأربعمائة الف وثمانين الف دينار ، ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستين الف دينار ، وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان ..] وهذا يعني أن موازنة الدولة بلغت في عهد عبد الرحمن الثالث مقدار ستة ملايين ومائتين وخمسة وأربعين الف دينار (٦٢٤٥٠٠٠) دينار بالإضافة الى أخماس الغنائم ، واستمر الخليفة عبد الرحمن في تقسيم الموازنة على نحو ما كانت عليه في السابق (ثلث للجنود وثلث للبناء وثلث مدخر ..) . وقد ساعد هذا الرفاه الاقتصادي على دعم الدولة بجيش قوي وصل عدده في بعض غزواته حتى (١٠٠٠٠٠) مائة الف مقاتل ، كما ساعد على اظهار قوة الدولة فأسرع خصومها إلى تقديم الطاعة ، وأسرع

الآخرون الى اكتساب صداقتها ، وقد زاد في قوة الاسطول حتى بلغ عدد القطع البحرية مائتي سفينة (٢٠٠) .

أظهر عبد الرحمن الناصر اهتماماً كبيراً بإظهار دولته بمظهر القوة والتنظيم ، وساعد الدخل المرتفع على الاضطلاع بالمشاريع العمرانية الضخمة ، ومن أبرز اعماله في هذا المجال ، توسيع جامع قرطبة وبناء مدينة الزهراء . وان الآثار الخالدة التي تركها في الاندلس لا زالت تشهد بعظمة ما وصلت اليه الدولة في عهده من القوة المقتربة بالترف ، وهي برهان على ما وصل اليه الفن المماري من تطور في عهد المسلمين مما يعتبر مفخرة لا زالت تزدهي بها الاندلس . ويذكر المؤرخون الاندلسيون عن عمارة الزهراء فيقولون :

[... كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الحدام والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب الف وخمسةائة دابة ..] وقال ابن حيان : [كان - الناصر - يشيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزمه من النفقة على قطعها ونقلها ومؤونة حملها وجلب اليها الرخام الأبيض من المَريّة . والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية ، اسفاس ، وقرطاجنة والحوض المنقوش المذهب من الشام ، وقيل من القسطنطينية ... وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة . وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق ... وكان هذا المجلس يدور ويستقبل الشمس ... وقد تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم ..]

- وقد أخذت وفود الدول وسفراؤها في الوصول الى قرطبة حيث حل بها عام ٣٣٦ هـ وقد بيزنطة يحمل رسالة قسطنطين بن ليون ومعه هدية فاخرة ، ثم رجع الى بلاده ومعه وفد عربي برئاسة هشام بن هذيل ..

- وأرسل ملك الصقالبة « اوتون »^(١) وفداً أقام سنتين ثم عاد الى بلاده ومعه وفد من قرطبة برئاسة الاسقف « ربيع » .

(١) اوتون : Otton .

- وأرسلت المانيا وفداً ماثلاً .

- كما أرسل مركيز البروفانس^(١) وفداً الى الناصر .

- وأرسل غيدو^(٢) بن البرت مركيز تسكانيا وفداً، وعندما وصل برشلونه انضم اليه وفد باسم ملك برشلونه وطر كونه ..

- وفي عام ٣٤٧ هـ : وكان غرسيه بن شانجه قد تولى حكم جيليقية بعد وفاة أبيه شانجه بن فرويله^(٣) فطمع فرديناند حاكم قشتاله في ضم جيليقية الى مملكته ، ونجح في ذلك ، فغضبت « طوطه » ملكة البشكنس^(٤) وتوجهت مع ابنها شانجه فاستقبلهم الناصر استقبالاً رائعاً وعقد لطوطه وابنها شانجه على البشكنس ، كما أرسل جيشاً لدعم غرسيه بن شانجه ومساعدته على استرجاع مملكته جيليقية وانتزاعها من سيطرة ملك قشتاله ..

- اخذت مراسم استقبال الوفود في عهد الناصر طابعاً خاصاً تميز بالبذخ والعظمة ، فكانت الزهراء وقرطبة تزدهم بالسكان وتغص بالآلاف النظارة ، وكانت ظواهر العظمة تتزايد كلما اقترب الزائر من القصر ، حتى كانت الوفود تصاب بالذهول وهي تترجل امام ابواب القصر وكثيراً ما كان افراد الوفود يقومون بتصرفات تشير الى فقد سيطرتهم على انفسهم وتدل على قدر الذهول الذي هيمن عليهم ..

- قضى الناصر فترة حكمه الطويل وهي نصف قرن في نضال مستمر وعمل دائم حتى استطاع رفع الدولة الأموية من هاوية التمزق الى قمة الرفعة والقوة . وقد وجد عند وفاة الناصر ورقة بخط يده كتب فيها الساعات والأيام التي قضاها الناصر في صفاء بعيداً عن مشاغل الدولة ومتاعبها فكانت بمجموعها [أربعة عشر يوماً] فقط ..

(١) مركيز البروفانس : Hugues d'arles .

(٢) غيدو ، دوق تسكانيا : guido

(٣) فرويلة : Fruela .

(٤) المقصود بها هنا ملكة « نافار » .

- كان الناصر يحترم العلم والعلماء ويبذل الكثير لتشجيع الكتابة والتأليف وجمع الكتب فأصبحت قرطبة حاضرة الدنيا في العلم والثقافة ..
- توفي الناصر بعد حياة حافلة بجلال الأعمال ، وكان مآتم القصر يوم وفاته يتناسب مع عظمة الراحل ، وسع ما وصلته الدولة الاسلامية في الأندلس خلال فترة حكمه^(١) .

الحكم بن عبد الرحمن « المستنصر »

حياته : ٣٠٢ - ٣٦٦ هـ = ٩١٤ - ٩٧٦ م

خلافته : ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ = ٩٦١ - ٩٧٦ م

الحكم بن عبد الرحمن . لقبه : « المستنصر بالله » . أمه : أم ولد ، اسمها مرجانه أو مهرجان عند ابن عذارى .

ولد بقرطبة ، وولي الخلافة بعد أبيه . ويذكر المؤرخون الصورة التي تمت فيها البيعة والتي تدل على ما وصلت اليه الدولة الاسلامية في الأندلس من التنظيم والعظمة فنطالع :

[... اعتلى الحكم المستنصر سرير الملك ثاني يوم وفاة أبيه ، وقام بأعباء الملك أتم قيام ، وأنفذ الكتب الى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس الى بيعته ، واستقبل من يومه النظر في تهديد سلطانه وثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده وأول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر ، كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفلوا بأخذها على مَنْ

(١) نفح الطيب ١ - ٣٥٣ - ٣٨٢ و ٤٩٠ - ٥٢٠ ، الكامل في التاريخ ، أحداث السنوات ، المغرب في حلى المغرب ١ - ١٨٠ - ١٨٢ تاريخ ابن خلدون ٤ - ١٣٧ ، البيان المغرب ٢ - ٢٣١ - ٢٥٢ . الحلة : ١ - ١٣٢ . جذوة المقتبس ١٢٣ . أزهار الرياض ٢ - ٢٧٠ - ٢٨٥ .

وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم وأوصل الى نفسه في الليل دون هؤلاء
الأكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت البيعة أهل القصر تقدم
الى عظيم دولته جعفر بن عثمان بالنهوض إلى أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله
المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حدير
بالنهوض أيضاً إلى أبي الأصبح عبد العزيز شقيقه الثاني ، فمضى إليهما كل واحد
منهما في قطيع من الجند وأتيا بها إلى قصر مدينة الزهراء ونفذ غيرهما من وجوه
الرجال في الخيل لإتيان غيرهما من الأخوة وكانوا يومئذ ثمانية فوافى جميعهم
الزهراء في الليل فنزلوا في مراتبهم بفصلان دار الملك ، وقعدوا في المجلسين الشرقي
والغربي وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الأوسط من الأبناء المذهبة
القبلية التي في السطح المرد فأول من وصل إليه الإخوة فبايعوه وأنصتوا لصحيفة
البيعة والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيها ، ثم بايع بعدهم الوزراء
وأولادهم وإخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعد الإخوة
والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله ، إلا عيسى بن فطيس فإنه كان قائماً يأخذ
البيعة على الناس وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف
في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يميناً وشمالاً إلى آخر البهو كل منهم على
قدره في المنزلة عليهم الظواهر البيض شعار الحزن قد تقلدوا فوقها السيف ثم
تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين في
السطح وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان
لابسين البياض ، بأيديهم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقات الخصيان
الصقالبة ، ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء
الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين في الأسلحة الرائقة والمدة
الكاملة ، وقامت التعبئة في دار الجند والترتيب من رجاله العبيد عليهم الجواشن
والأقبية البيض ، وعلى رؤوسهم البيضات الصقلية وبأيديهم التراس الملونة

والأسلحة المزينة انتظموا صفين الى آخر الفصل وعلى باب السدة الأعظم البوابون وأعوانهم ومن خارج باب السدة فرسان العبيد الى باب الأقباء واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة موكباً إثر موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء ...]

- اتبع الحكم المستنصر خطوات أبيه في القيادة والادارة ، فحقق الأمن والاستقرار في الداخل ، وردع أعداء البلاد في الخارج وحطم بقوة كل مقاومة جابته ، فضمن بذلك استمرار الازدهار واستطاع متابعة النهضة العمرانية التي كان قد بدأها والده ..

- ركز الحكم جهده على اخضاع افريقية ووجه القوات اليها فخضعت له ، وتلقى دعوته ملوك زناته من مغراوه ومكناسه فبشوها في أعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ، كما استنزل بني ادريس من ملكهم بالعدوه في ناحية الريف ونقلهم الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندرية في مصر ..

- وكان الحكم محباً للعلم والعلماء ، مشجعاً للكتابة والتأليف ، عاملاً على ضم الكتب الى مكتبته حتى أصبح لديه خزائن من الكتب لم تكن لأحد قبله ولا من بعده .. وقيل انها كانت أربعمئة ألف مجلد ، وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها .

- حافظ الخليفة الحكم المستنصر على ظواهر الأبهة التي ورثها عن أبيه وزاد عليها وفي قصة استقباله لاردون سنة ٣٥١ هـ - ٩٧٢ م ما يوضح قدر ما وصلت اليه دولة الاسلام في الاندلس من العظمة في البذخ والترف :

[... أخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله موليه محمداً وزياداً ابني افلح الناصري بكتيبة من الحشم لتلقي غالب الناصري صاحب مدينة سالم الموردي للطاغية ليون بن الفونس - اردون بن أذفونس - وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور فأتزلاهم ، ثم تحركا بهم ثاني يوم نزولهم الى قرطبة فأخرج المستنصر

بالله اليهم هشاماً المصحفي في جيش عظيم كامل التعبية وتقدموا الى باب قرطبة
 فمروا بباب قصرها ، فلما انتهى ليون الى ما بين السدة وباب الجنان سأل عن
 مكان رمس الناصر لدين الله فأشير الى ما يوازي موضعه من داخل القصر في
 الروضة ، فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا ، ثم رد قلنسوته الى رأسه ،
 وأمر المستنصر بانزال - ليون - في دار الناعورة ، فأقام بها الخميس والجمعة فلما
 كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعاء ليون ومن معه بعد اقامة الترتيب
 وتعبية الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد والأسلحة والزينة ، وقعد المستنصر
 بالله على سرير الملك في المجلس الشرقي من مجالس السطح وقعد الاخوة وبنوهم
 والوزراء ونظرائهم صفاً في المجلس ... فأتى محمد بن القاسم بن طملىس بالملك
 - ليون - وأصحابه وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس يؤنسونه
 ويبصرونه ، فيهم وليد بن خيزران - حيزون - قاضي النصارى بقرطبة وعبيد
 الله بن قاسم - مطران طليطله - وغيرها فدخل بين صفى الترتيب يقلب الطرف
 في نظم الصفوف ويحيل الفكر في كثرتها وتظاهرها أسلحتها ورائق حليتها فراعهم
 ما أبصروه وصلبوا على وجوههم ، وتأملوا ناكسي رؤوسهم غاضين من أجفانهم
 قد سكرت أبصارهم حتى وصلوا الى باب الأقباء أول باب قصر الزهراء ،
 فترجل جميع من كان خرج الى لقائه ، وتقدم الملك ليون وخاصة القوامس
 - الكونت - على دوابهم حتى انتهوا الى باب السدة فأمر القوامس بالترجل
 هناك والمشي على الأقدام فترجلوا ودخل الملك ليون وحده راكباً مع محمد بن
 طملىس ، فأنزل في باب البهو الأوسط من الأبهاء القبلىة التي بدار الجند على كرسي
 مرتفع مكسو الأوصال بالفضة ، ... فقعد ليون على الكرسي وقعد أصحابه
 بين يديه ، وخرج الإذن من المستنصر بالله بدخول ليون عليه فتقدم يمشي
 وأصحابه يتبعونه الى ان وصل الى السطح ، فلما قابل المجلس الشرقي الذي فيه
 المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقي حاسراً اعظماً لما ظهر له

من الاقتراب الى السرير . واستنهض فمضى بين الصفيين المرتبين في ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى الى باب البهو ، فلما قابل السرير خر ساجداً سوية ثم استوى قائماً ثم نهض خطوات وعاد الى السجود ووالى ذلك مراراً الى أن قدم بين يدي الخليفة وأهوى الى يده فناوله إياها وكر راکعاً مقهقراً على عقبه الى وساد ديباج مثقل بالذهب ... فجلس عليه والذهول قد هيمن عليه ... ووصل بوصولهم وليد بن خيزران قاضي النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك ليون ذلك اليوم، فأطرق الحكم عن تكليم ليون وقتاً كماً يفرج روعه... [- توفي الحكم المستنصر بعد أن ترك دولة قوية البنيان ، عزيزة المكانة ودفن بقرطبة (١) ..

المنصور أبو عامر « العامريين »

حياته : ٣٢٦ - ٣٩٢ هـ = ٩٣٨ - ١٠٠٢ م

حكمه : ٣٦٦ - ٣٩٢ هـ = ٩٧٦ - ١٠٠٢ م

محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن سويد بن عبد الملك ، وعبد الملك جده هو الداخل للأندلس مع طارق في أول الداخلين من العرب وهو وسيط قومه ..

- خلف الحكم المستنصر ابنه هشاماً ، وهو غلام لا يزيد عمره عن تسع سنين وقامت على الوصاية أمه صبح فوثقت بابن عامر لما عرفته فيه من القدرة على

(١) نفع الطيب ٣٨٢/١ - ٣٩٦ . المغرب في حلى المغرب ١٨١/١ - ١٨٢ ، الكامل ابن الأثير ٣٦٠/٦ واحداث السنين ، ابن خلدون ، ١٤٤/٤ ، جبهة انساب العرب ٩٢ ، جفوة المتبص ١٣ ، البيان المغرب احداث السنين ، غزوات العرب ١٩ ، ١٨٢ - ١٩٢ ، ازهار الرياض ٢٨٦/٢ - ٢٩٤ ، الاعلام ٢٩٥/٢ .

الاضطلاع بأعباء الدولة ولما لمستة فيه من الرجولة ، فأخذ في التمهيد لسلطانه والقضاء على خصومه ومنافسيه حتى استتب له الأمر ، واستأثر بالحكم وحجب هشام المؤيد الخليفة الشرعي فلم يبق له من الخلافة إلا اسمها وكانت أول خطواته القضاء على الصقالبة الموالين للخليفة الشرعي ، ومصادرة أموالهم . وتبع ذلك القضاء على الحاجب المصحفي ، منافسه في الحكم والوزارة .

— كان المنصور أبو عامر كثير الغزاة للعدو حتي بلغت غزاته نيف وخمسون غزوة وله فتوح كثيرة وكان في أكثر زمانه لا يخل بغزوتين في السنة ، وكانت غزوة « شنت يا قب » أكثر غزواته شهرة ، وقد ضم جيشه من المرتقة فقط عشرين ألف مرتق ..

— عندما استتب الأمر للمنصور أبو عامر ، قام ببناء الزاهرة ، لمنافسة الزهراء وأمر بالانتقال اليها وجعلها « عاصمة له » .

— كان المنصور يعرف الرجال ويقدرهم حق قدرهم « ويقرب اليه العلماء والأدباء والشعراء ، عادلاً .. وكان الى ذلك صلباً ، يطالب جنده بالانضباط الشديد .

[... وقف المنصور أبو عامر يستعرض جنده ... وكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلاً في الاطراق ، حتى إن الخيل لتمثل اطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل والمحمة ، ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان هزل أو جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فقال : علي بشاهر السيف ، فمثل بين يديه لوقته فقال : ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن ؟ فقال اني أشرت به الى صاحبي مخفداً فزلق من غمده . فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه ...] ..

— كان المنصور قائداً فذاً ، قاد غزواته كلها ، فلم تنتكس له راية ولا قل له جيش وما أصيب له بعث وما هلك له سرية وأجاز عساكره الى

العدوه - المغرب - وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق له ملك المغرب وأخبتت له ملوك زناته وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه .

- اعتنى المنصور أبو عامر بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منزله حتى اجتمع له صرة ضخمة ، عهد بتصويره في حنوطه وكان يحملها حيث سار ، معه اكفانه توقعا لحلول منيته ، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل نباته ، وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد ، فكان كذلك حيث توفي ودفن بمدينة « سالم » وكتب على قبره :

آثاره تنبيك عن أوصافه حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبدا ولا يحمي الثغور سواه



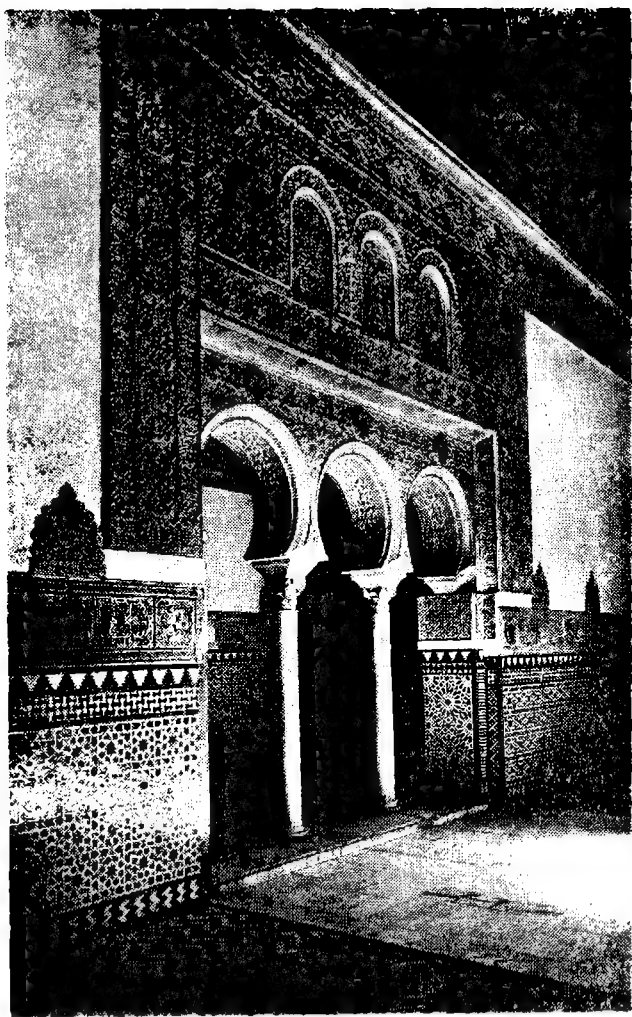
.....
(١) المغرب في حلى المغرب ١/١٩٤ - ١٩٨ . نفح الطيب ١/٣٩٦ - ٤١٦ . غزوات العرب ١٩٢ - ١٩٧ . تاريخ قضاة الاندلس ٨٠ . ابن خلدون ٤/١٤٧ . الحلة السراء ١٤٨ ابن الأثير ٧/٢١٧ - ٢١٨ . الوافي بالوفيات ٣/٣١٢ . الذخيرة ابن بسام المجلد الاول من القسم الرابع ٣٩ - ٥٨ . البيان المغرب ٢/٣٠١ . بغية الملتبس ١٠٥ . الاعلام ٧/٩٩ .

من ذكريات الماضي

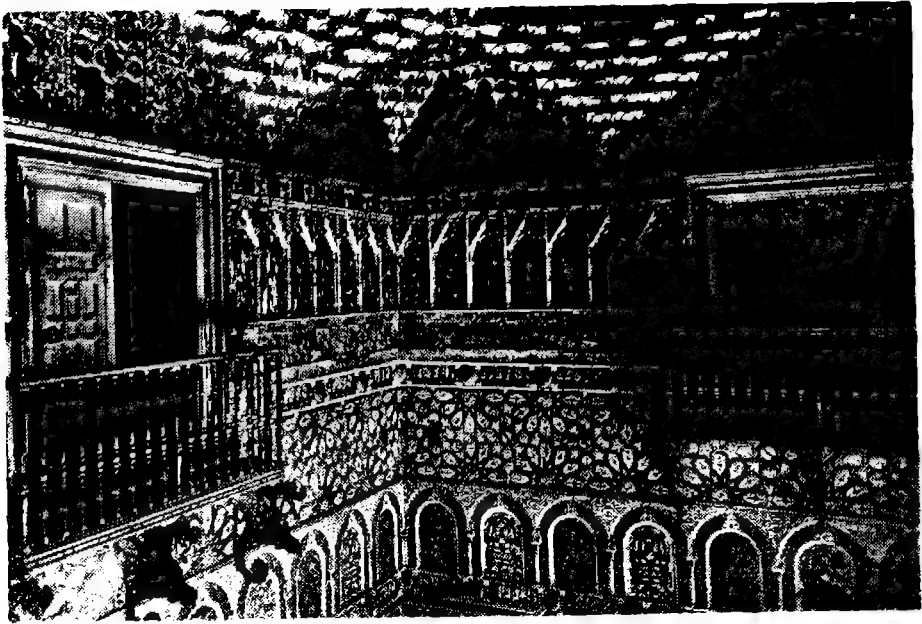
آثار العرب في الاندلس



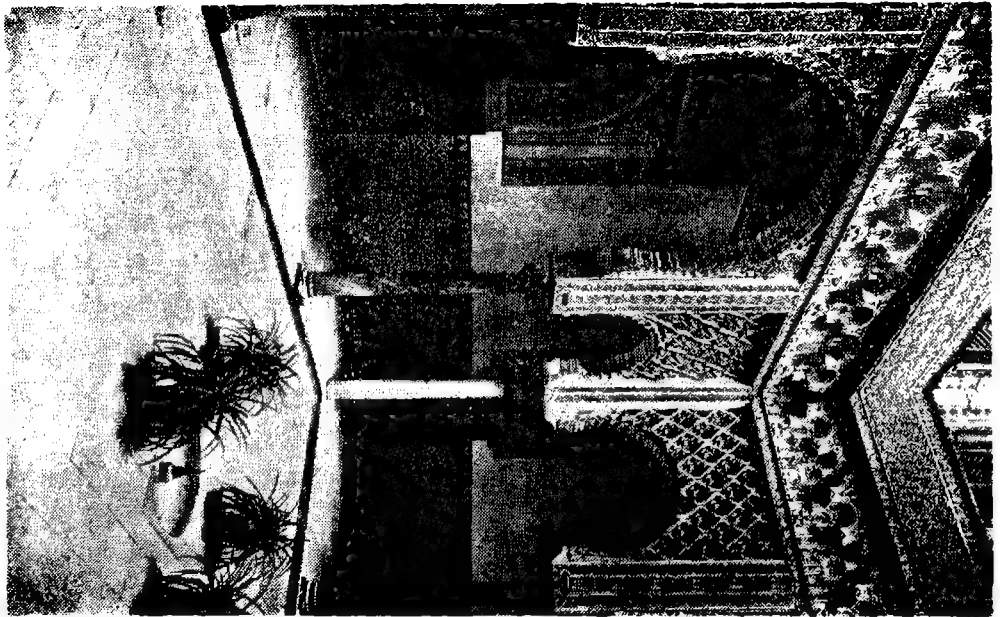
اشبيليا - مئذنة الجامع « الجيرالدا »



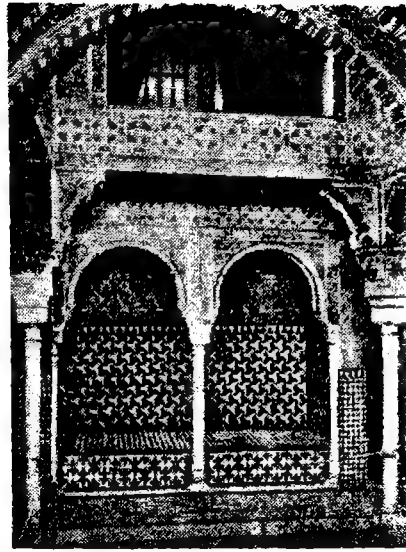
اشبيليا - غرفة النوم



اشيليا - قاعة السفراء في القصر



اشيليا - غرفة الدعي «الغيب»



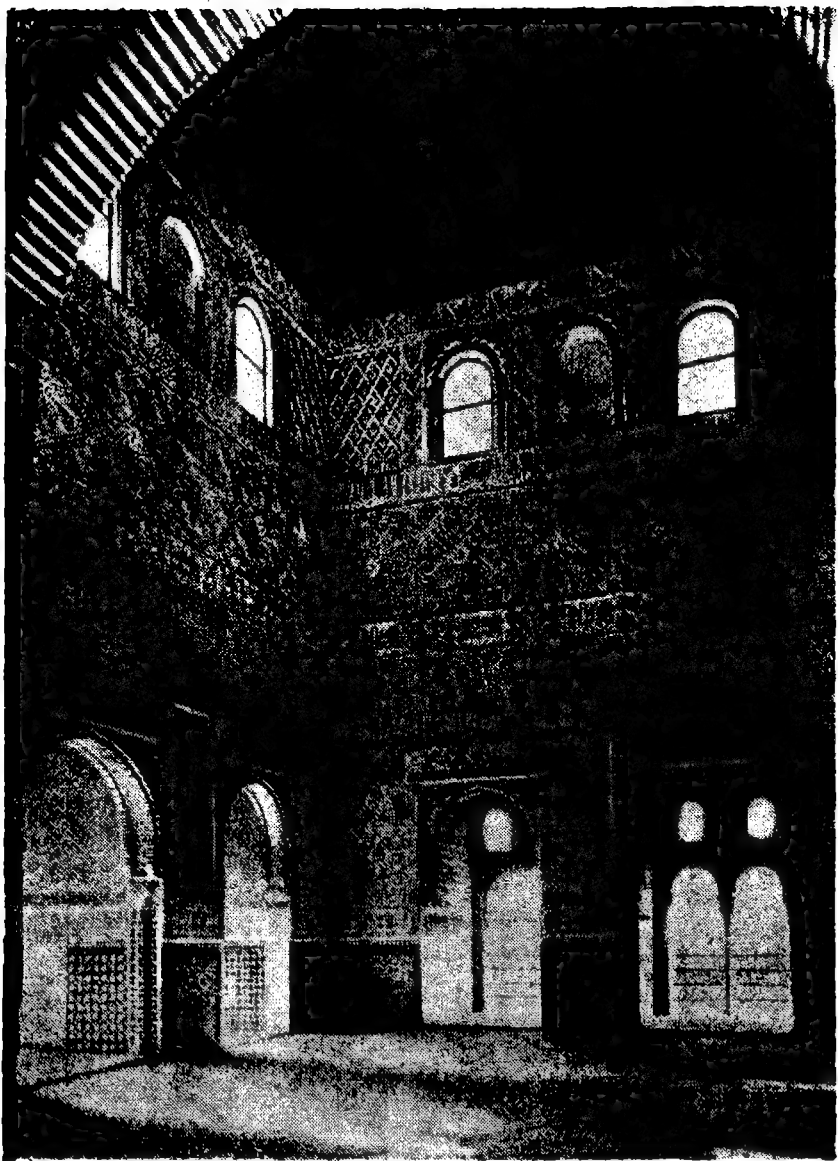
غرناطة - قصر الحمراء

٢ - صالة الاستراحة

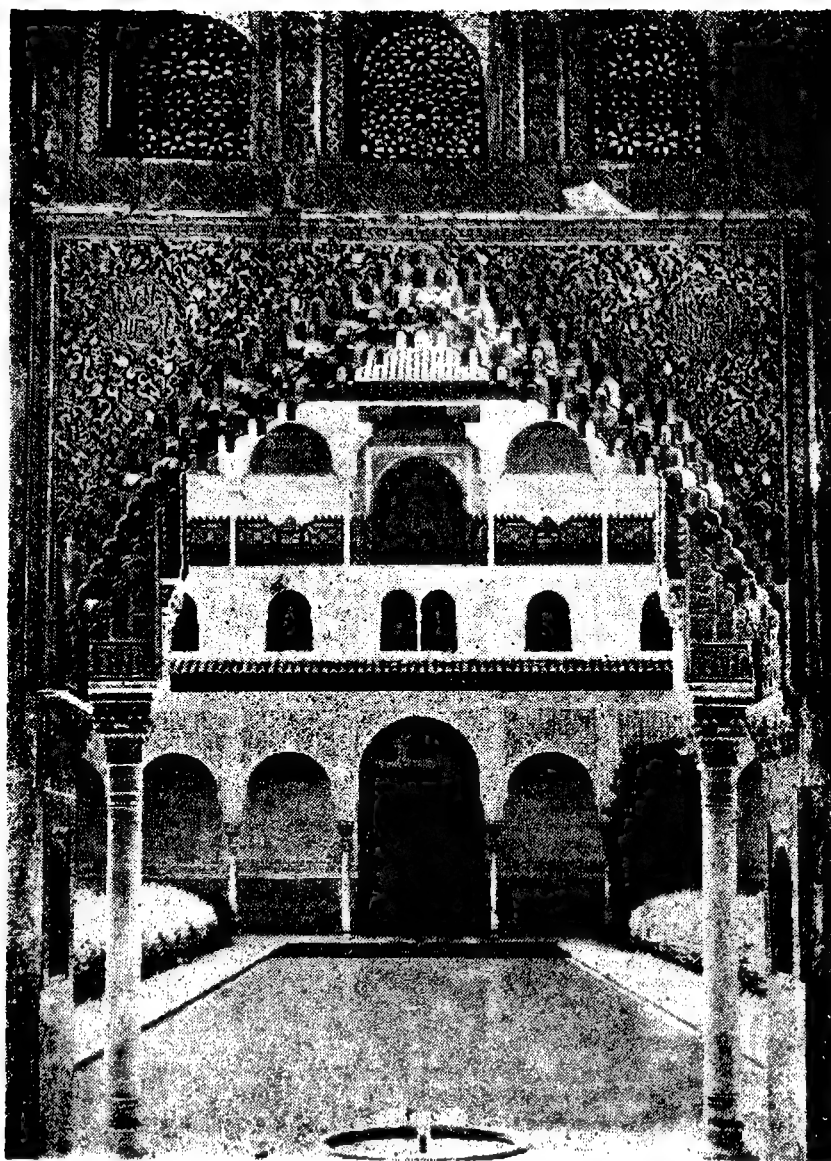
١ - المدخل

٤ - قاعة ابن سراج

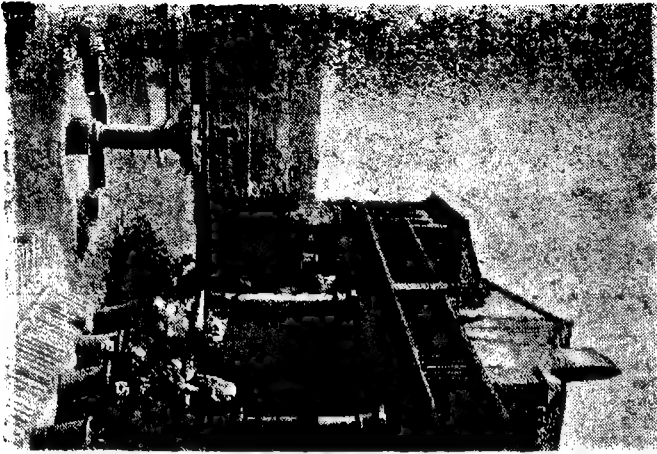
٣ - الممر الى القصر الداخلي



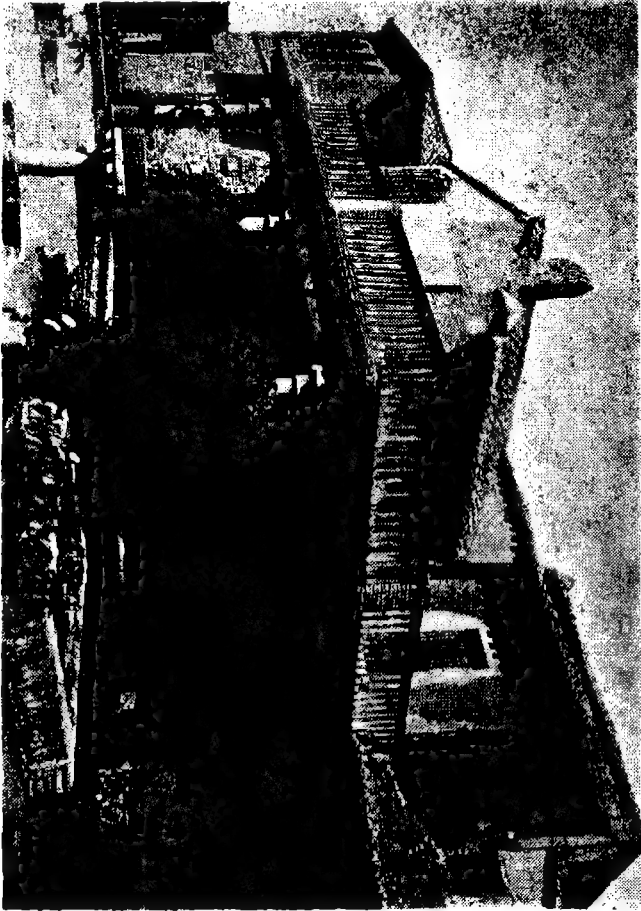
غُرُاطَة - قَصْر الحِمْرَاء - قَاعَة الصَّفْرَاء



غرناطة - قصر الحمراء من الداخل

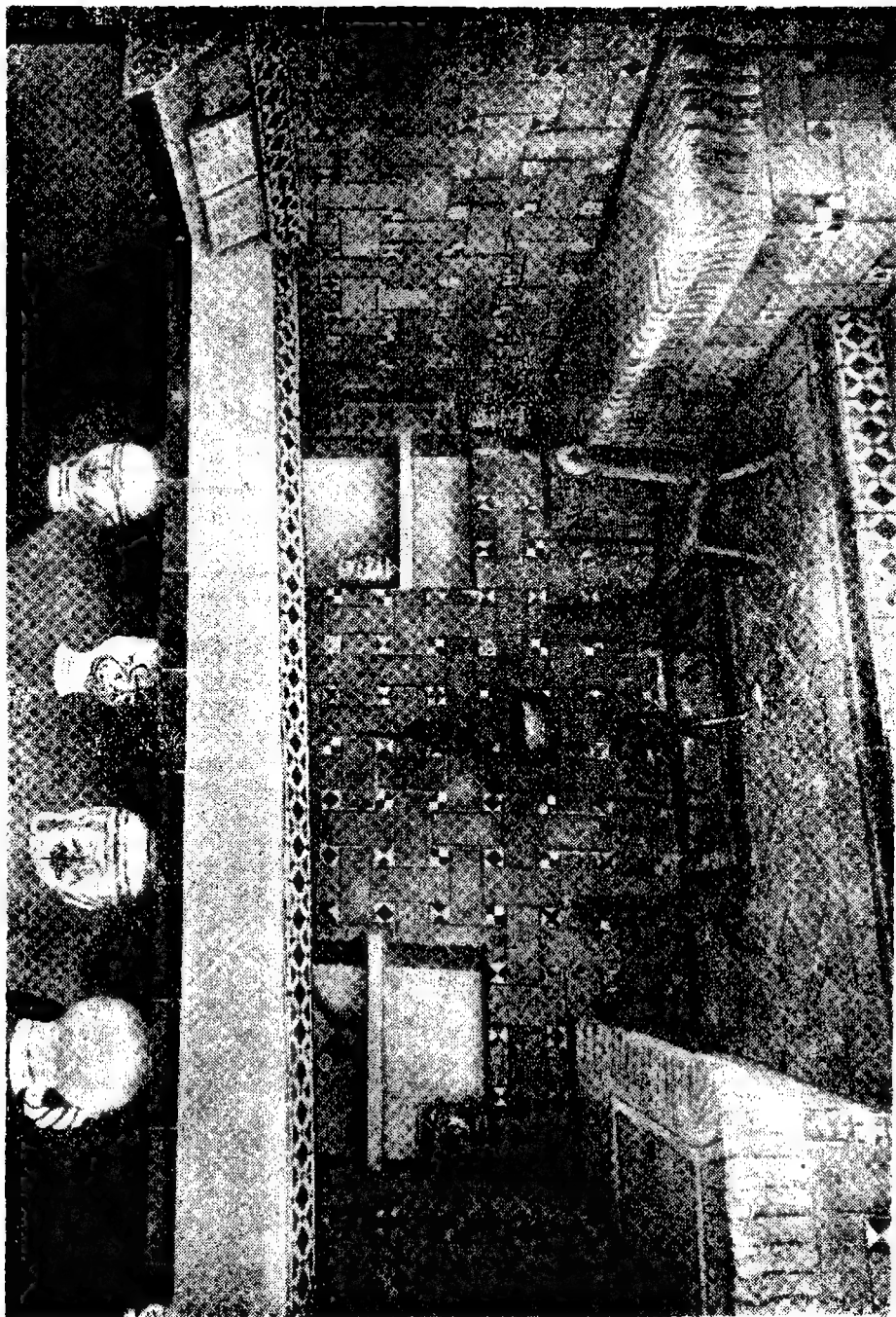


منزل الفنان السوري (مشهد آخر)



طليلة - منزل الفنان السوري . لا زال الفن العربي في الحارة يحتل مكانته في الأندلس

غرفة من منزل الفنان الاسباني « الفريكو » بمسائها ، وزخرفتها ، ونموذج عمارتها تمش ذكرى أيام العرب المسلمين .



ملحق الكتاب

- ١ - الحكم في مصر منذ ظهور الاسلام .
- ٢ - حكم المسلمين في الأندلس .
- ٣ - قادة العرب المسلمين وولاتهم في الأندلس .
- ٤ - الدولة الأموية في الأندلس .
- ٥ - الامارات المستقلة في الأندلس .
- ٦ - الحرب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس .

الملحق رقم ١

الحكم في مصر منذ ظهور الاسلام

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١ قبل ٣- قبل الهجرة	قبل ٦٣٩	النيل والدلتا تحت حكم الروم والصحرء في حكم القبائل الوثنية .
٢ ٢ قبل الهجرة حتى ٧ بعدها	٦٢٨ - ٦١٩	فارس « الساسانيون » يحتلون مصر .
٣ ١٨ - ٧	٦٣٩ - ٦٢٨	بزنطه تعيد سيطرتها على مصر .
٤ ٢٢ - ١٨	٦٤٢ - ٦٣٩	عمر بن العاص يفتح مصر .
٥ ٤١ - ٢٢	٦٦١ - ٦٤٢	حكم الخلفاء الراشدين .
٦ ٣٦ - ٣٥	٦٥٦ - ٦٥٥	الفتنة تسيطر على مصر .
٧ ٤١ - ٣٩	٦٦١ - ٦٥٩	
٨ ١٣٣ - ٤١	٧٥٠ - ٦٦١	مصر قاعدة للفتح في عهد الأمويين .
٩ ٦٥ - ٦١	٦٨٤ - ٦٨٠	عبد الله بن الزبير ينافس الأمويين في حكم مصر .
١٠ ٢٥٤ - ١٣٣	٨٦٨ - ٧٥٠	العباسيون .
١١ ٢٩٣ - ٢٥٤	٩٠٥ - ٨٦٨	الطولونيون في القطائع وهم يخضعون اسمياً للخليفة العباسي في بغداد.. وقد

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		شمل حكمهم مصر وبرقه «ليبيا» وأولهم أحمد بن طولون .
١٢	٢٩٣ - ٣٢٤	٩٠٥ - ٩٣٥ العباسيون يستعيدون السيطرة والحكم في مصر .
١٣	٣٢٤ - ٣٥٨	٩٣٥ - ٩٦٨ الاخشيدون في القسطنطينية ، وأولهم محمد ابن طنج ثم اولوجور بن محمد ، واستولى كافور بعد ذلك على الحكم في مصر .
١٤	٣٥٩ - ٣٦٢	٩٦٩ - ٩٧٢ العبيدون «أو الفاطميون» وهم يدعون أنهم من آل البيت . ومنهم : ^(١)
	٣٦٢ - ٣٦٣	٩٠٩ - ٩٣٤ سعيد بن عبيد الله المهدي بن حسين في القيروان .
	٣٦٣ - ٣٦٥	٩٣٤ - ٩٤٦ محمد القائم بأمر الله بن سعيد عبيد الله في القيروان .
	٣٦٥ - ٣٦٦	٩٤٦ - ٩٥٢ اسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم في القيروان .
	٣٦٦ - ٣٦٧	٩٥٢ - ٩٧٥ محمد المعز لدين الله بن اسماعيل المنصور في القاهرة .
	٣٦٧ - ٣٨٦	٩٧٥ - ٩٩٦ نزار المعز لدين الله بن محمد في القاهرة .

(١) بدأ الفاطميون حكمهم في القيروان «تونس» من ٩٠٩ - ٩٧٢ م ، ثم وجهوا
قتلهم جوه الصقلي فغرض سيطرته على مصر وقتلها عام ٩٧٢ م .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٨٦ - ٤١٢	٩٩٦ - ١٠٢١	المنصور الحاكم بأمر الله بن تزار « الحاكم المجنون » في القاهرة .
٤١٢ - ٤٢٧	١٠٢١ - ١٠٣٥	الظاهر بن المنصور .
٤٢٧ - ٤٨٧	١٠٣٥ - ١٠٩٤	المستنصر بالله بن الظاهر .
		وقد تعاقب بعد ذلك عدد من الحكام لم يكن الحكم في يدهم ..
١٥ ٣٦٢ - ٥٦٧	٩٧٢ - ١١٧١	الفاطميون في القاهرة .
١٦ ٥٦٧ - ٦٤٨	١١٧١ - ١٢٥٠	الأيوبيون يحكمون مصر .
٥٦٧ - ٩٠	١١٧١ - ١١٩٣	صلاح الدين الايوبي الذي تولى السلطة فعلا منذ عام ٥٦٥ هـ - ١١٦٩ م .
١٧ ٦٤٨ - ٧٨٤	١٢٥٠ - ١٣٨٢	المماليك البحرية « أتراك » .
١٨ ٧٩٢ - ٧٩٣	١٣٨٩ - ١٣٩٠	
١٢١٨ - ٦١٨	١٢٢١ - ١٢١٨	الحملة الصليبية بقيادة جان دوبرين تستولي على دمياط والدلتا .
٦٤٦ - ٦٤٨	١٢٤٨ - ١٢٥٠	الحملة الصليبية التاسعة بقيادة لويس التاسع .
١٩ ٧٨٤ - ٧٩٢	١٣٨٢ - ١٣٨٩	المماليك البرجية « شراكس » .
٧٩٣ - ٩٢٢	١٣٩٠ - ١٥١٦	

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٧٦٧	١٣٦٥	نهب الصليبيون الاسكندرية بقيادة بيير ده لوزينيان .
٩٢٢ - ١٢٢٠	١٥١٦ - ١٨٠٥	المماليك يخضعون للدولة العثمانية .
١١٨٠ - ١١٨٧	١٧٦٦ - ١٧٧٣	التمرد على الدولة العثمانية .
١٢١٣	١٧٩٨	نابليون الأول يقود حملة الغزو ويفتح مصر .
١٢١٤	١٧٩٩	نلسون قائد الاسطول البريطاني يدمر الاسطول الفرنسي في « أبي قير » .
١٢١٦	١٨٠١	الانكليز يطردون الفرنسيين من مصر .
١٢٢٠ - ١٢٤٨	١٨٠٥ - ١٨٣٢	محمد علي باشا - مؤسس الدولة العلوية - والياً للعثمانيين على مصر .
١٢٢٢	١٨٠٧	احتل الانكليز الاسكندرية لفترة قصيرة ثم قاموا بالجلده عنها .
١٢٤٨ - ١٣٠٠	١٨٣٢ - ١٨٨٢	مصر شبه مستقلة عن الدولة العثمانية في حكم الأسرة العلوية - محمد علي وسلالته - وقد حل النفوذ الفرنسي محل النفوذ العثماني ثم انتهى الأمر بفرض الانكليز نفوذهم على مصر منذ عام ١٨٧٥ م .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١٢٧٦ - ١٢٨٦	١٨٥٩ - ١٨٦٩	شق قناة السويس .
١٣٠٠ - ١٣٥٥	١٨٨٢ - ١٩٣٦	مصر تحت الحكم البريطاني .
١٣٣٣ - ١٣٤١	١٩١٤ - ١٩٢٢	اعتبار مصر محمية تابعة لبريطانيا ، ومستقلة اسمياً بعد عام ١٩٢٢ .
١٣٥٥	١٩٣٦	اعلان استقلال مصر .
١٣٥٩	١٩٤٠	ايطاليا تهاجم حدود مصر الغربية .
١٣٦١	١٩٤٢	القوات الالمانية تصل حدود مصر الغربية .
١٣٧٢	٢٣ تموز - يوليو ١٩٥٢	ثورة الضباط الأحرار في مصر بقيادة اللواء محمد نجيب .
١٣٧٣	١٩٥٣	اعلان الجمهورية في مصر وتسلم جمال عبد الناصر الحكم .
١٣٧٦	٢٦ تموز - يوليو ١٩٥٦	تأميم قناة السويس . « العدوان الثلاثي : البريطاني - الفرنسي - الاسرائيلي على مصر » .
١٣٧٨	٢٢ شباط ١٩٥٨	اعلان وحدة مصر وسوريا باسم الجمهورية العربية المتحدة .
١٣٨١	٢٨ ايلول ١٩٦١	الانفصال بين مصر وسوريا .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١٣٨٧	٥ حزيران ١٩٦٧	العدوان الاسرائيلي واحتلال القوات الاسرائيلية الضفة الشرقية للقناة .
١٣٩١	٢٨ ايلول ١٩٧١	وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وتولي الرئيس أنور السادات رئاسة الجمهورية .
١٠ رمضان ١٣٩٣	٦ تشرين الأول اكتوبر ١٩٧٣	الحرب مع اسرائيل واستيلاء القوات العربية في مصر على الضفة الشرقية للقناة .



ملحق رقم ٢

حكم المسلمين في الأندلس

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٩٦ - ٩٢	٧١١ - ٧١٤	فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد وموسى ابن نصير .
١٣٨ - ٩٧	٧٥٦ - ٧١٥	حكم الولاة .
٤٢٢ - ١٣٩	٧٥٧ - ١٠٣١	حكم الأمويين وعاصمتهم قرطبة .
٥٦٧ - ٤٠٣	١٠١٣ - ١١٧١	ملوك الطوائف .
٥٤٢ - ٤٧٨	١٠٨٦ - ١١٥٧	المرابطون .
٦٣٣ - ٥٤٠	١١٤٥ - ١٢٣٥	الموحدون .
٦٣٤	١٢٣٦	سقطت قرطبة بيد الافرنج .
٨٩٨	١٤٩٢	سقطت اسبانيا بيد الافرنج ، وغادر بنو نصر « غرناطة » .
١٠١٨	١٦٠٩	اخرج الاسبان بقية المسلمين الذين عرفوا بالمورييسكو .

ملحق رقم ٣

قادة العرب المسلمين وولاتهم في الاندلس^(١)
 بداية من الفتح وحتى قيام الدولة الأموية « حكم الولاة »
 ٩٢ - ١٣٨ هـ = ٧١١ - ٧٥٦ م

السنة الهجرية	السنة الميلادية	القائد أو الوالي	مدة قيادته
١ رجب ٩٢	نيسان - ابريل ٧١١	طارق بن زياد	سنة
٢ رمضان ٩٣	٧١٢	موسى بن نصير	سنتين
٣ ٩٦	٧١٤	عبد العزيز بن موسى	سنة
٤ ٩٧	٧١٥	ايوب بن حبيب اللخمي	سنة
٥ ٩٧	٧١٦	الحر بن عبد الرحمن الثقفي	ثلاثة أعوام تقريباً
٦ ١٠٠	٧١٩	السمح بن مالك الخولاني « ابن اخ موسى بن نصير »	سنتين وثلاثة أشهر
٧ ١٠٢	٧٢١	عبد الرحمن بن عبد الله الفافقي « للمرة الأولى »	شهرين
٨ ١٠٣	٧٢١	عنيسة بن سحيم الكلبي .	أربع سنين وثمانية أشهر
٩ ١٠٧	٧٢٦	عذرة بن عبد الله الفهري .	شهرين

(١) نفح الطيب ٢٩٩/١ : فترة الولاة ٤٦ عاماً تعاقب فيها عشرون والياً .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	القائد أو الوالي	مدة قيادته
١٠	١٠٧	يحيى بن سلمة الكلبي .	سنتين وثلاثة أشهر
١١	١١٠	حذيفة بن الأحوص القيسي .	سنة أشهر
١٢	١١٠	عثمان بن أبي نسعة الحثعمي .	سنة أشهر
١٣	١١١	الهيثم بن عدي الكلابي .	أربعة أشهر
١٤	١١١	محمد بن عبد الله الأشجعي .	ثلاثة أشهر
١٥	١١٢	عبد الرحمن بن عبد الله العافقي « للمرة الثانية »	سنتين وسبعة أشهر
١٦	١١٤	عبد الملك بن قطن الفهري .	سنتين وشهر
١٧	١١٦	عقبة بن الحجاج السلوي .	سبع سنين وشهر
١٨	١٢٣	عبد الملك بن قطن الفهري « للمرة الثانية »	شهرين
١٩	١٢٣	بلج بن بشر القشيري .	سنة تقريباً
٢٠	١٢٤	ثعلبة بن سلامة العاملي أو الجذامي .	تسعة أشهر
٢١	١٢٥	أبو خطر ، حسام بن ضرار الكلبي .	سنتين
٢٢	١٢٧	ثعلبة بن سلامة الجذامي « للمرة الثانية »	بضعة أشهر
٢٣	١٢٩	يوسف بن عبد الرحمن الفهري ^(١) .	عشرة أعوام

(١) اعقبت وفاة ثعلبة بن سلامة الجذامي فترة من الاضطراب لمدة أربعة أشهر تولى بعدها الحكم يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالاشتراك مع الصميل بن حاتم ، ثم قتل الصميل .

ملحق رقم ٤

الدولة الأموية في الاندلس

بداية من عهد عبد الرحمن الاول وحتى قيام النول المستقلة

$$١٣٨ - ٤٢٢ = ٧٥٦ - ١٠٣١ م$$

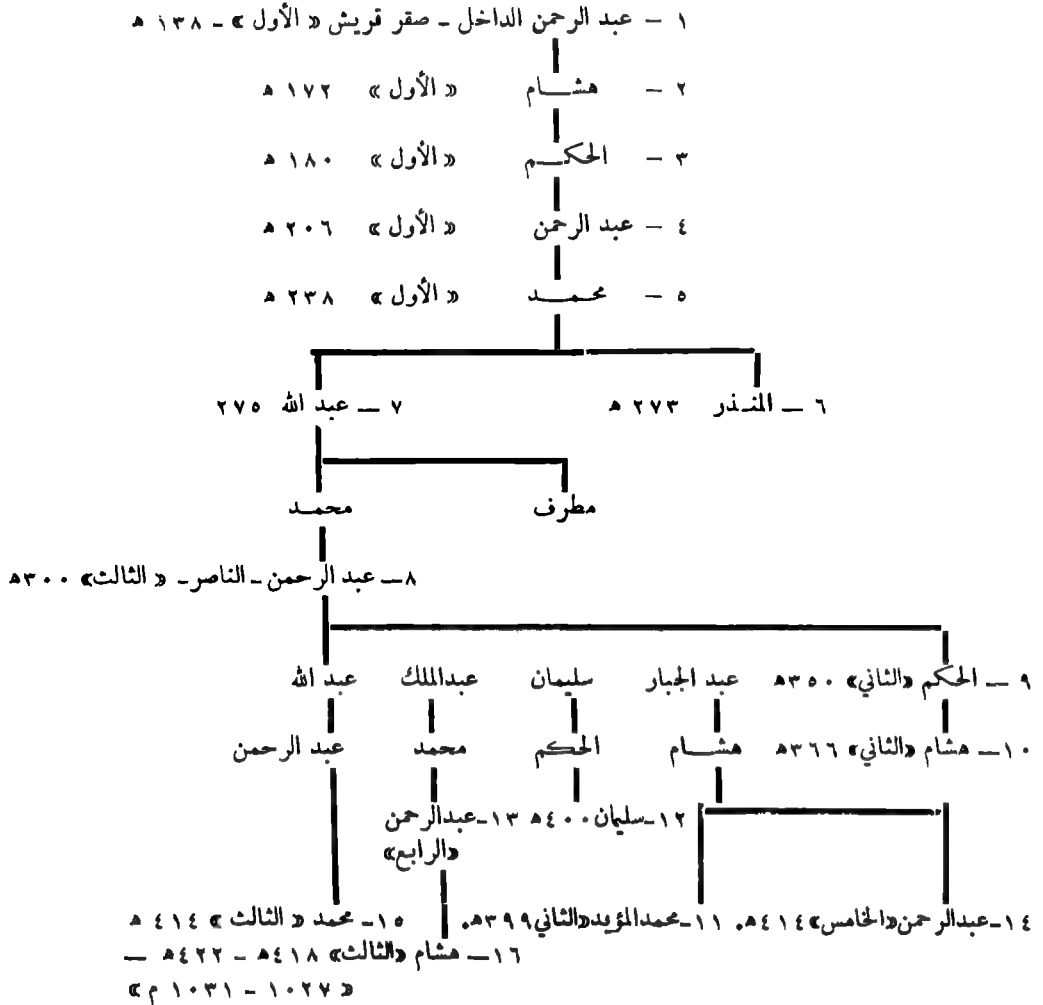
السنة الهجرية	السنة الميلادية	أمرء الأمويين	مدة الحكم
١	١٣٨	عبد الرحمن الداخل «صقر قريش»	٣٣ عاماً
٢	١٧٢	هشام بن عبد الرحمن «الأول»	٨ أعوام
٣	١٨٠	الحكم بن هشام «الأول»	٢٦ عاماً
٤	٢٠٦	عبد الرحمن بن الحكم «الثاني»	٣٠ عاماً
٥	٢٣٨	محمد بن عبد الرحمن «الأول»	٣٤ عاماً
٦	٢٧٣	المذر بن محمد	سنتين
٧	٢٧٥	عبد الله بن محمد	٢٤ عاماً
٨	٣٠٠	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الأول «الثالث» الملقب بالناصر	٥٠ عاماً
٩	٣٥٠	الحكم بن عبد الرحمن الناصر «المستصر» «الثاني»	١٦ عاماً
١٠	٣٦٦	هشام بن الحكم المستصر «المؤيد» «الثاني»	٣٣ عاماً

السنة الهجرية	السنة الميلادية	أمراء الأمويين	مدة الحكم
١١	٣٩٩	محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن - المؤيد - «الثاني»	بضعة شهور
١٢	٤٠٠	سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن «المستعين بالله»	بضعة شهور
١٣	٤٠٠	محمد المؤيد الثاني «للمرة الثانية»	ثلاثة أعوام
١٤	٤٠٣	سليمان المستعين بالله «للمرة الثانية»	ثلاثة أعوام
١٥	٤٠٧	علي بن حمود من أسرة الحموديين في مسبته .	سنتين
١٦	٤٠٨	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر «المرتضى»	بضعة شهور
١٧	٤٠٨	القاسم بن حمود «من أسرة الحموديين»	ثلاثة أعوام
١٨	٤١٢	يحيى بن علي «من أسرة الحموديين»	سنة
١٩	٤١٣	القاسم بن حمود «من أسرة الحموديين» «للمرة الثانية»	سنة
٢٠	٤١٤	عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار المستظهر «الخامس»	شهر وسبعة عشر يوماً
٢١	٤١٤	محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الرحمن المستكفي «الثالث»	سنة وأربعة أشهر
٢٢	٤١٦	يحيى بن علي «من أسرة الحموديين» «للمرة الثانية»	سنتين
٢٣	٤١٨ - ٤٢٢	هشام المعتد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك «الثالث»	أربعة أعوام
	١٠٢٧ - ١٠٣١		

الدولة الأموية في الأندلس

جدول يبين نسب امراء الامويين في دولة قرطبة

١٣٨ - ٥٤٢٢ = ٧٥٦ - ١٠٣١ م



ملحق رقم ٥

الامارات المستقلة في الاندلس

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
٤٠٧	١٠١٦	١ - دولة بنو حمود في ملقا علي بن حمود « الناصر »	٤٠ - أربعون عاماً	حكم في قرطبة سنة
٤٠٨	١٠١٨	القاسم بن حمود « المأمون »		حكم في قرطبة ثلاث سنين
٤١٢	١٠٢١	يحيى بن علي بن حمود « المعتلي »		حكم في قرطبة
٤١٣	١٠٢٢	القاسم بن حمود « للمرة الثانية »	» » »	» » »
٤١٦	١٠٢٥	يحيى بن علي بن حمود « للمرة الثانية »	» » »	» » »
٤٢٧	١٠٣٥	ادريس بن علي بن حمود « المتأيد »		
٤٣١	١٠٣٩	حسن بن يحيى بن علي « المستنصر »		
٤٣٤	١٠٤٠	ادريس بن يحيى بن علي « الثاني - العالي »		
٤٣٨	١٠٤٦	محمد بن ادريس بن علي « الأول - المهدي »		
٤٤٤	١٠٥٢	ادريس بن يحيى بن علي « الثالث - الموفق »		
٤٤٥	١٠٥٣	ادريس بن يحيى بن علي « العالي » « للمرة الثانية »		
٤٤٩-٤٤٦	١٠٥٤ - ١٠٥٧	محمد بن حسن بن يحيى بن علي « المستعلي »		

استيلاء المرابطون على « ملقا »

الامارات المستقلة في الاندلس^(١)
ملوك الطوائف

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		١ - دولة بني جهور في قرطبة	٤٠ أربعون عاماً	
٤٢٢	١٠٣١	أبو الحزم بن جهور .		
٤٣٥	١٠٤٤	أبو الوليد محمد بن جهور .		
٤٥٧ - ٤٦٣	١٠٦٤ - ١٠٧٠	عبد الملك بن محمد بن جهور .		
		المعتمد بن عباد يستولي على قرطبة		
		٢ - دولة بني عباد في اشبيلية	سبعون عاماً	
٤١٤	١٠٢٣	القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد .		
٤٣٣	١٠٤٢	عباد بن محمد المعتضد .		
٤٦١ - ٤٨٤	١٠٦٩ - ١٠٩١	محمد بن عباد المعتمد .		
		اشبيلية تسقط في أيدي المرابطين		
		٣ - دولة بني الأفطس في بطليوس	٧٢ - اثني وسبعون عاماً	
٤١٣	١٠٢٢	عبد الله بن محمد بن مسلمة المنصور .		
٤٣٧	١٠٤٥	محمد بن عبد الله المظفر .		
٤٦١	١٠٦٨	يحيى بن محمد المنصور .		
٤٦٤ - ٤٨٨	١٠٧٢ - ١٠٩٤	عمر بن محمد المتوكل .		

(١) دولة الاسلام في الاندلس - محمد عبد الله عنان ١ / ٤٣٣ .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		٤ - دولة بني يحيى في « لبله » أبو العباس أحمد بن يحيى . محمد بن يحيى عز الدولة . فتح بن خلف ناصر الدولة . المعتضد بن عباد يستولي على لبله	ثلاثون عاماً	
٤١٤	١٠٢٣			
٤٣٤	١٠٤٢			
٤٤٣ - ٤٤٤	١٠٥١ - ١٠٥٣			
		٥ - دولة بني مزين في باجه وشلب الحاجب عيسى بن محمد . محمد بن عيسى عميد الدولة . عيسى بن مزين المظفر . محمد بن عيسى الناصر . عيسى بن محمد المظفر . المعتضد بن عباد يستولي على شلب	خمس وعشرون عاماً	
؟	؟			
٤٣٢	١٠٤١			
٤٤٠	١٠٤٨			
٤٤٥	١٠٥٣			
٤٥٠ - ٤٥٥	١٠٥٨ - ١٠٦٣			
		٦ - دولة بني البكري في ولبه وجزيرة شلطيش عبد العزيز البكري « عز الدولة » المعتضد بن عباد يستولي على ولبه وشلطيش	أربعون عاماً	
٤٠٣ - ٤٤٣	١٠١٢ - ١٠٥١			

سنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		٧ - دولة بني هارون في شنتمرية الغرب	خمس وعشرون عاماً	
٤١٧	١٠٢٦	سعيد بن هارون .		
٤٣٢ - ٤٤٣	١٠٤١ - ١٠٥١	محمد بن سعيد « المعتصم » .		
		المعتضد بن عباد يستولي على شنتمرية الغرب		
		٨ - دولة بني ذي النون في طليطلة	خمسون عاماً	
٤٢٧	١٠٣٦	اسماعيل بن ذي النون « الظافر »		
٤٣٥	١٠٤٣	يحيى بن اسماعيل « المأمون »		ابو الحسن
٤٦١ - ٤٧٨	١٠٧٥ - ١٠٨٥	يحيى بن اسماعيل بن يحيى « القادر »		حفيد المأمون
		الفونسو السادس يستولي على طليطلة		
		٩ - دولة بني مناد في غرناطة	سبع وسبعون عاماً	
٤٠٣	١٠١٣	زاوي بن زيري .		
٤١١	١٠٢٠	حيوس بن ماكسن .		
٤٢٨	١٠٣٧	باديس بن حيوس « المظفر » .		
٤٦٥ - ٤٨٣	١٠٧٣ - ١٠٩٠	عبد الله بن يلقين .		
		استيلاء المرابطين على غرناطة		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		١٠ - دولة بني برزال في قرمونه	خمس وخمسون عاماً	
٤٠٤	١٠١٣	محمد بن عبد الله بن برزال .		
٤٣٤ - ٤٥٩	١٠٤٢ - ١٠٦٧	عزيز بن محمد « المستظهر » .		
		ابن عباد يستولي على قرمونه		
		١١ - دولة بني دمر في مورور	ثلاث وخمسون عاماً	
٤٠٣	١٠١٣	نوح بن أبي تزيدي الدمري .		
٤٣٣	١٠٤١	محمد بن نوح « عز الدولة » .		
٤٤٥ - ٤٥٨	١٠٥٣ - ١٠٦٦	مناد بن محمد « عماد الدولة » .		
		ابن عباد يستولي على مورور		
		١٢ - دولة بني خزرون في أركش	سبع وخمسون عاماً	
٤٠٢	١٠١١	محمد بن خزرون « عماد الدولة » .		
٤٢٠	١٠٢٩	عبدون بن محمد بن خزرون .		
٤٤٥ - ٤٦١	١٠٥٣ - ١٠٦٨	محمد بن محمد بن خزرون « القائم » .		
		ابن عباد يستولي على أركش		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		١٣ - دولة بني يفرن في رنده	خمسون عاماً	
٤٠٦	١٠١٥	هلال بن أبي قره اليفرني .		
٤٤٥	١٠٥٣	باديس بن هلال .		
٤٤٩-٤٥٧	١٠٥٧ - ١٠٦٥	أبو نصر فتوح بن هلال .		
		ابن عباد يستولي على رنده		
		١٤ - الدولة العامرية في « المريه »	سبع وسبعون عاماً	
٤٠٥ - ١	١٠١٤	خيران العامري .		
٤١٩	١٠٢٨	زهير العامري .		
٤٢٩	١٠٣٨	عبد العزيز « المنصور » .		
٤٣٣ - ٢	١٠٤١	معن بن صمادح .		
٤٤٣	١٠٥١	محمد بن معن « المعتصم » .		
٤٨٤	١٠٩١	أحمد بن محمد « عز الدولة » .	شهور قليلة	
		استيلاء المرابطون على المرية		
		١٥ - الدولة العامرية في مملكة مرسية	تسع وسبعون عاماً	
٤٠٣ - ١	١٠١٢	خيران العامري .		
٤١٩	١٠٢٨	زهير العامري .		
٤٢٩ - ٢	١٠٣٨	أبو بكر بن طاهر (١) .		

(١) حكم بنو طاهر باسم عبد العزيز المنصور صاحب بلنسية وولده عبد العزيز .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
٤٥٥	١٠٦٣	أبو عبد الرحمن بن طاهر .	اثنين وعشرون عاماً	المتمدد بن عباد يستولي على مرسية
٤٧١ - ٣	١٠٧٨	ابن عمار .		٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م
٤٧٣ - ٤٨٤	١٠٨١ - ١٠٩١	ابن رشيق .		
		استيلاء المرابطون على مرسية		
		١٦ - مملكة دانية والجزائر	ثلاث وتسعون عاماً	
٤٠٠ - ١	١٠٠٩	مجاهد العامري « الموفق » .		
٤٣٦	١٠٤٤	علي بن مجاهد « اقبال الدولة » .		
٤٦٨ - ٢	١٠٧٦	المقتدر بن هود « صاحب سرقسطه »		
٤٧٤ - ٤٨٤	١٠٨١ - ١٠٩١	المنذر بن هود .		
		استيلاء المرابطون على دانية		
		١٧ - مملكة بلنسية		
٤٠٠ - ١	١٠٠٩	الفتيان « مظفر ومبارك » .		
٤٠٨	١٠١٧	ليب العامري .		
٤١١	١٠٢١	عبد العزيز المنصور .		
٤٥٢ - ٤٥٧	١٠٦١ - ١٠٦٥	عبد الملك بن عبد العزيز .		
		المأمون بن ذي النون يستولي على بلنسية	فترة قصيرة	
٤٥٧ - ٢	١٠٦٥	أبو بكر بن عبد العزيز « نائباً عن المأمون »		
٤٧٨	١٠٨٥	عثمان بن أبي بكر .		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
٤٧٨	١٠٨٥	القادر بن ذي النون .		
٤٨٥	١٠٩٢	القاضي ابن جحاف .		
٤٨٧ - ٤٩٥	١٠٩٤ - ١١٠٢	السيد الكمبيادور والقشتاليون .		
		استيلاء المرابطون على « بلنسية »		
		١٨ - امارة شنتمرية الشرق	اثني وتسعون عاماً	
٤٠٣	١٠١٢	هذيل بن عبد الملك بن رزين .		
٤٣٦	١٠٤٥	عبد الملك بن هذيل .		
٤٩٦ - ٤٩٧	١١٠٣ - ١١٠٤	يحيى حسام الدولة .		
		استيلاء المرابطون على شنتمرية الشرق		
		١٩ - امارة ألبونت	ثلاث وتسعون عاماً	
٤٠٠	١٠٠٩	عبد الله بن قاسم .		
٤٣١	١٠٣٩	محمد بن عبد الله « يمن الدولة »		
٤٣٤	١٠٤٢	أحمد بن محمد « عز الدولة » .		
٤٤٠ - ٤٩٥	١٠٤٨ - ١١٠٢	عبد الله بن محمد « جناح الدولة » .		
		استيلاء المرابطون على ألبونت		
		٢٠ - مملكة سرقسطه	ثلاث وتسعون عاماً	
٤٠٨ - ١	١٠١٧	المنذر بن يحيى التجيبي .		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
٤١٤	١٠٢٣	يحيى بن المنذر « المظفر » .		
٤٢٠	١٠٢٩	المنذر بن يحيى « معز الدولة » .		
٤٣١	١٠٣٩	سليمان بن هود « المستعين » .		
٤٣٨	١٠٤٦	أحمد بن سليمان « المقتدر » .		
٤٧٤	١٠٨١	يوسف بن أحمد « المؤمن » .		
٤٧٨	١٠٨٥	أحمد بن يوسف « المستعين » .		
٥٠٣	١١١٠	عبد الملك بن أحمد « عماد الدولة » .	فترة قصيرة	
		استيلاء المرابطون على سرقسطه		

الملحق رقم ٦

الحرب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١٥٩	٧٧٦	قاد شارلمان هجوماً ، إلا أنه أحبط في مهده في سرقسطه .
٢٩٨ - ١٠٠	٧١٨ - ٩١٠	انتزع الفونسو الأول والفونسو الثالث جيليقية وليون من يد المسلمين ودفعهم حتى وراء نهر دويره بعد معركة « كوفادونكا » .
١١٤ - ١٤٢	٧٣٢ - ٧٥٩	قاد شارل مارتل الفرنجة ضد المسلمين وانتزع منهم تور عام ٧٣٢ م ، واربونه « تاريون » عام ٧٥٩ م .
١٦١ - ١٨٥	٧٧٧ - ٨٠١	قاد شارلمان الفرنجة ضد المسلمين وانتزع منهم سرقسطه ٧٧٨ ، دونشه ٧٧٨ ، برشلونه ٨٠١ . وأصبح ٢٥ ٪ من الأندلس خارج قبضة حكم العرب المسلمين .
٢٧٧ - ٣٦٥	٨٩٠ - ٩٧٥	انتزع الفرنجة منطقة البروفانس من العرب المسلمين ودفعوهم إلى ما وراء جبل البرانس « البيرونه » . وأصبح ٣٠ ٪ من الأندلس خارج قبضة حكم العرب المسلمين .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٤٢٩ - ٤٨٨	١٠٣٧ - ١٠٩٥	قاد الفونسو السادس القشتاليون وأقام قشتاله الجديدة «نيوكاستل» وانتزع من المسلمين مدريد ١٠٨٥ م ، طليطلة ١٠٨٥ م .
٤٧٩	١٠٨٦	قاد يوسف بن تاشفين المسلمين في معركة الزلاقة ، وانتصر على الفرنجة ، لكنه لم يستثمر النصر لاسترجاع طليطلة .
٤٤٧ - ٤٥٧	١٠٥٥ - ١٠٦٤	قاد فرديناند الأول القشتاليون في البرتغال الوسطى وانتزع من المسلمين - قويمه - ١٠٦٤ م .
٤٩٠ - ٥٩١	١٠٩٦ - ١١٩٤	قاد الفونسو السادس الارغونيون في ارغون الشالية وانتزع من المسلمين « وشقه » ١٠٩٦ م وسرقسطه ١١١٨ م ، وطرطوش ١١٤٨ م .
٥٠٧ - ٥٠٩	١١١٣ - ١١١٥	انتزع البيزيون من المسلمين جزر البليثار ثم استردها منهم الموحدون ١١١٥ م ، ثم عاد الارغونيون بقيادة جيمس الأول فانتزعوا مينورقه عام ١٢٣٠ م ، ومنورقه عام ١٢٣٢ م .
٥٣٤ - ٦٥٥	١١٣٩ - ١٢٥٧	تعاون البرتغاليون والانكليز لدعم البرتغال الجنوبية وقاد الفونسو هنريك عمليات القتال فانتزع من المسلمين لشبونه عام ١١٤٧ م وشلب عام ١١٩٧ م ومارتيله عام ١٢٣٩ م .
٥٣٩ - ٥٤٢	١١٤٤ - ١١٤٧	قاد الفونسو السابع الحرب ضد المسلمين وانتزع منهم قشتالة الجنوبية .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٦٠٩ - ٦٦٥	١٢١٢ - ١٢٦٦	تعاون القشتاليون والارغونيون بقيادة الفونسو الثامن وجيمس الأول لتنظيم الحرب ضد المسلمين وأمكنهم انتزاع قرطبة عام ١٢٣٦ م ، واشبيليا عام ١٢٤٨ م ، ومرسيه عام ١٢٦٦ م .
٦٣١ - ٦٤٣	١٢٣٣ - ١٢٤٥	قاد جيمس الأول الارغونيون وانتزع من المسلمين فالانسيا عام ١٢٣٨ م ، وشاطبه عام ١٢٤٤ م .
٨٦٧ - ٨٩٨	١٤٦٢ - ١٤٩٢	تعاون القشتاليون والارغونيون بقيادة فرديناند الثاني وانتزعوا من المسلمين جبل طارق عام ١٤٦٢ م ، ومالاقال عام ١٤٨٧ م ، وغرناطة عام ١٤٩٢ م ^(١) .

(١) المرجع في تعديل للتواريخ الهجرية والميلادية - اطلس التاريخ الاسلامي ، تصنيف هاري و - هازارد - رسم سميلي و - كوك - اصدار مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثالثة عام ١٩٥٥ .

المصادر

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - في ظلال القرآن - سيد قطب - الطبعة الخامسة ١٩٦٧ .
- ٣ - البيان المغرب في أخبار المغرب .
(ابن عذارى) المراكشي ، مكتبة صادر ، بيروت .
- ٤ - التاريخ الكبير - « التهذيب »
(ابن عساكر) ، مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ هـ .
- ٥ - آثار البلاد وأخبار العباد .
زكريا بن محمد (القزويني) ، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٠ هـ .
- ٦ - أخبار مجموعة ، مؤلف مجهول .
طبع في مدينة مجريط « مدريد » ١٨٦٧ .
- ٧ - العبر وديوان المبتدا والخبر .
عبد الرحمن (ابن خلدون) المغربي ، المطبعة البولاقية ، مصر ١٩٦٠ .
- ٨ - الكامل في التاريخ .
(ابن الأثير) ٦٣٠ هـ ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ١٩٦٧ م .
- ٩ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .
أبي الحسن علي (بن بسام) الشنتريني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ١٠ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .
(أحمد بن خالد) الناصري السلاوي ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤ .

- ١١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب .
يوسف بن عبد الله بن محمد (ابن عبد البر) تحقيق علي محمد البجاوي
مكتبة نهضة مصر ومطبتها ١٩٦٠ م .
- ١٢ - المقتبس من أنباء أهل الأندلس .
أبي مروان (ابن حبان القرطبي) ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ،
١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .
- ١٣ - المقتبس في أخبار بلد الأندلس .
أبي مروان (ابن حبان القرطبي) ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،
المكتبة الأندلسية - دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ م .
- ١٤ - المقتبس في تاريخ رجال الأندلس .
أبو القاسم عبيد الله المعروف (بابن خرداذبه) ، باريس ١٩٣٧ م .
- ١٥ - المسالك والممالك .
(ابن خرداذبه) ، نشر ليدن ، مطبعة بريل ١٣٠٦ هـ .
- ١٦ - المغرب في حلى المغرب .
(ابن سعيد) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ،
مجموعة ذخائر العرب (١٠) .
- ١٧ - الامامة والسياسة .
أبي محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) ، مطبعة الأمة ، مصر ١٣٢٨ هـ .
- ١٨ - العقد الفريد .
(ابن عبد ربه) ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م .
- ١٩ - الخراج .
(أبي يوسف) يعقوب بن إبراهيم ، المطبعة السلفية ، مصر ١٣٤٦ هـ .
- ٢٠ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس .
أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (الضبي) ، دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م .

- ٢١ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام .
شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (الذهبي) ، مكتبة المقدسي ١٣٦٨ هـ .
- ٢٢ - تاريخ افتتاح الأندلس .
(ابن القوطية) ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، اصدار دار النشر للجامعيين .
- ٢٣ - تاريخ اسبانيا الاسلامية .
ذي الوزارتين (لسان الدين الخطيب) السلماني ، تحقيق ، بروفنسال دار المكشوف ١٩٥٦ .
- ٢٤ - تاريخ الخميس .
حسين بن محمد بن الحسن (الديار بكري) ، مطبعة عثمان عبدالرزاق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٠٢ هـ .
- ٢٥ - تاريخ العلماء والرواة بالأندلس .
ابن الفرضي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٧٤ هـ .
- ٢٦ - تاريخ الطبري « تاريخ الرسل والملوك » .
أبي جعفر محمد بن جرير (الطبري) ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٠ ، ذخائر العرب (٣٠) .
- ٢٧ - تاريخ اليعقوبي .
(أحمد بن أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح .
مطبعة الغزي ، النجف ١٣٥٨ هـ .
- ٢٨ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس .
أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبيد الله (الحميدي) ، مطبعة الخانجي ، ١٣٧٢ هـ .
- ٢٩ - الحلة السراء .
أبو عبد الله محمد (ابن الأبار) ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ م .

- ٣٠ - حلية الفرسان وشعار الشجعان .
علي بن عبد الرحمن (ابن هذيل الأندلسي) ، تحقيق محمد عبدالغني حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥١ م .
- ٣١ - فتوح مصر والمغرب .
أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ابن عبد الحكم) القرشي .
مطابع لجنة البيان العربي ، القاهرة .
- ٣٢ - فتوح البلدان .
أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري) ، مطبعة السعادة ،
القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٣٣ - مقدمة ابن خلدون .
تصحيح « نصر الهوريني » ، عام ١٢٧٤ هـ .
- ٣٤ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع .
عبد الله بن عبد العزيز (البكري - الأندلسي) ، تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .
- ٣٥ - مسالك الممالك .
أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (الاصطخري) ، ليون ،
مطبعة بريل ١٩٣٧ م .
- ٣٦ - نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب .
أحمد بن محمد (المقرئ) التلمساني .
- ٣٧ - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .
(الشريف الادريسي) ، دوزي ، ليون ، ١٨٦٦ م .
- ٣٨ - وفيات الأعيان .
أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ابن خلكان) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٦٧ هـ .

المراجع

- ١ - الرسول العربي وفن الحرب .
- اللواء الركن مصطفى طلاس .
مطابع الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة .
دمشق ١٣٩٢ هـ / ٤ - ١٩٧٢ م .
- ٢ - الاعلام .
خير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٧٣ - ١٣٧٨ هـ .
- ٣ - تاريخ الحروب الصليبية .
ستيفن رونسيمان ، ثلاثة أجزاء ، ترجمة الدكتور السيد الباز العريبي
اصدار : دار الثقافة ، بيروت - لبنان .
- ٤ - تاريخ العرب والشعوب الاسلامية .
كلود كاهن ، ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم ، الطبعة الاولى ١٩٧٢ م
اصدار دار الحقيقة ، بيروت - لبنان .
- ٥ - تاريخ فن الحرب .
الجنرال ستوكوف ، ترجمة العميد الركن صباح الدين الاناسي .
اصدار وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية ،
الطبعة الاولى ١٩٦٨ م .
- ٦ - تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ثلاثة أجزاء .
الدكتور حسن ابراهيم حسن ، اصدار مكتبة النهضة المصرية ،
الطبعة السابعة ١٩٦٤ م .

- ٧ - تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر .
الامير شكيب ارسلان .
- ٨ - تاريخ الشعوب الاسلامية - بروكلمان .
نقله إلى العربية الدكتور نبيه أمين فارس - منير البعلبكي .
اصدار مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر .
- ٩ - دولة الاسلام في الاندلس .
محمد عبد الله عنان ، مطبعة الحانجي ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- ١٠ - فتح العرب للمغرب .
الدكتور حسين مؤنس ، مطبعة مصر ، القاهرة .
- ١١ - الفتوحات العربية الكبرى ، جون باجوت غلوب .
تعريب وتعليق خيرى حماد .
مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٦٤ م .
- ١٢ - فتوح مصر والمغرب والاندلس .
شارل توري ، ايدن ١٩٢٠ م .
- ١٣ - قادة الفتح الاسلامي .
المغرب العربي ١ - ٢ ، قادة فتح الشام ومصر
اللواء الركن محمود شيت خطاب .
- دار الفكر -

المراجع الاجنبية

- ١ - أطلس التاريخ الاسلامي ، هاري - و - هازارد .
ترجمة ابراهيم زكي خورشيد، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 2 — Atlas Classirue — Hachette - 1950 .
- 3 — Atlas Du X X e Siecle .
Fernand - Nathan
- 4 — Nouveau Petit - Larousse Illustré .
Dictionnaire - Encyclopédique 1953 .
- 5 — Encyclopedia - Britannica .
- 6 — Revue Militaire Generale - Paris .
- 7 — Strategie . Paris .
- 8 — Histoire Des Musulmans D' Espagne - Dozy.
Leyden - 1861 .

المخططات والخرائط

الصفحة

- ٢٨ - خارطة مصر - في حكم الفراعنة .
- ٥١ - فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص .
- ٥٢ - فتح برقة بقيادة عمرو بن العاص .
- ١٣٩ - فتح المغرب الأدنى تونس بقيادة عبد الله بن سعد .
- ١٥١ - عمليات عقبة بن نافع .
- ١٩٠ - محاور عمليات موسى بن نصير في افريقية .
- ٢٣٨ - مراحل الفتوحات العربية الاسلامية .
- ٢٦١ - عمليات طارق بن زياد
- ٢٧٥ - فتح الاندلس .
- ٣٢٤ - العرب المسلمون في بلاد غاليا « فرنسا » .
- ٣٢٨ - معركة بواتيه .
- ٣٥٦ - امبراطورية شارلمان .
- ٣٧٢ - محاور العمليات وحدودها في عهد هشام بن عبدالرحمن .
- ٤٩٢ - غزوات عبد الرحمن الناصر .

جدول الصور

الصفحة

قرطبة - الباب الخارجي للمسجد .	٣٧٨
قرطبة « صحن الجامع وقد تحول الى كنيسة » .	٣٧٩
قرطبة : مثذنة الجامع وقد وضعت بها النواقيس .	٣٨٠
السييل في قرطبة .	٣٨١
فناء بيت من بيوت قرطبة .	٣٨١
قرطبة - نموذج البناء - .	٣٨٢
مسجد قرطبة .	٣٨٢
اشبيليا - مثذنة الجامع « الجير الدا »	٥٨٣
اشبيليا - غرفة النوم .	٥٨٤
اشبيليا - قاعة السفراء في القصر .	٥٨٥
اشبيليا - غرفة الدمى « اللعب » .	٥٨٥
غرناطة - قصر الحمراء .	٥٨٦
غرناطة - قصر الحمراء - قاعة السفراء .	٥٨٧
غرناطة - قصر الحمراء من الداخل .	٥٨٨
طليطلة - منزل الفنان الفريكو .	٥٨٩
غرفة من منزل الفنان الاسباني « الفريكو » .	٥٩٠

الفهارس العامة للجزء الثاني من فن الحرب

المحتوى :

- ١ - فهرس الاعلام .
- ٢ - فهرس المواقع والأماكن الجغرافية .
- ٣ - فهرس الشعوب والقبائل والأديان والمذاهب والفرق والجماعات .
- ٤ - فهرس المخططات والخرائط .
- ٥ - فهرس الصور والمصورات .
- ٦ - فهرس الموضوعات .

١ - فهرس الأعلام

حرف الألف

- | | |
|-------------------------------------|-----------------------------------|
| أحمد بن نصر : ٥١٠ . | آدمر كونت جنوة : ٤٠٩ . |
| أحمد بن يعلى : ٥٠٦ ، ٥١٠ . | آرل (ملك) : ٣٣٧ . |
| أخيكبا : ٢٤٤ ، ٢٤٧ . | آريوس (صاحب مذهب مسيحي) : |
| أخيلا بن غيطشه : ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، | ٣٢ . |
| ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، | آنين اكبر : ٥٤٩ . |
| ٣١١ . | إبراهيم بن الأغلب : ٣٨٤ ، ٣٨٨ . |
| أذفونش : ٥٣٨ . | إبراهيم بن حجاج : ٤٥٠ ، ٤٥١ ، |
| أراجون : ٤٥٧ . | ٤٥٢ . |
| الأردون : ٥٧٦ . | إبراهيم بن عيسى بن مزاحم : ٣١٢ . |
| أردون بن أذفونش : ٥٧٦ . | إيلس كونت روسي : ٥٥١ . |
| أردون بن ألفونس : ٤٢٣ ، ٤٢٩ . | أثناسيوس (صاحب مذهب مسيحي) : |
| أردونه (ملك ليون) : ٣٤٠ . | ٣٢ ، ٣٣ . |
| أردونيو : ٤٣١ . ٤٦١ ، ٤٦٢ ، | ابن الأنثير : ٣٣٣ . |
| ٤٧٩ . | أحمس الأول : ٢١ ، ٢٦ . |
| أردونيو (أرذن) ابن ألفونسو الثالث | أحمد بن اسحاق : ٤٩٧ . |
| (انظر أردونيو الثاني) . | أحمد بن سعيد الجعفري : ٥١٨ . |
| أردونيو الثاني : ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، | أحمد بن عبد الملك بن شهيد : ٥٧١ . |
| ٤٦٤ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، | أحمد بن أبي عبدة : ٤٦٣ ، ٤٧٧ . |
| ٤٧٩ ، ٤٨٣ . | |

أصف عمان : ٣٣ .
الإسكندر المقدوني : ٢٢ ، ٢٣ ،
٢٧ ، ٤٧ .
اسماء بنت أبي بكر : ٢٣٠ .
أصبغ بن عبد الله بن واسنس :
٥٦٢ .
الأعرج (لقب قائد للمقوقس) :
٥٣ ، ٥٤ .
ألب ارسلان : ٥٤٩ ، ٥٥٠ .
البيرة - راهبة (عممة راميرو
الثالث) : ٥٠٣ .
ألفارو : ٤١٧ .
ألفونس (أزفونش) : ٣٧٥ ، ٣٧٦ ،
٣٧٧ ، ٤١٥ ، ٤٣٥ .
ألفونسو بن أردونيو (ألفونسو الثالث) :
٤٦٢ .
ألفونسو بن برمودو : ٤٦٥ .
ألفونسو الثاني (الملك العفيف) :
٣٩٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٧٦ ،
٥٢٨ .
ألفونسو السادس : ٤٥٩ ، ٥٥١ .
ألفونسو (صهر بلاي) : ٣٦١ .
ألفونسو بن فرويلا (فرويلة) :
٤٦٤ .

أردونيو الرابع : ٥٠٢ ، ٥٠٣ .
أردونيو بن روميرو الثاني : ٤٦٥ .
أرنولف الكارنتي : ٤٧٣ .
ازوار (زعيم تافار) : ٤٥٣ .
أرسطاطاليس : ١١٤ .
أرطباس بن غيطشه : ٢٦٤ ، ٣١١ ،
٣١٢ ، ٣١٣ .
أرطبون (من دعاة الروم) : ٤٤ ،
٤٩ ، ٥٠ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ١٠٧ ،
١٠٨ .
إرفنج (ملك) : ٢٤٤ .
أركاديسوس (ابن الامبراطور
الروماني) : ٢٥٠ .
أرمانوسة المصوية : ٤٩ ، ٥٠ .
أرملة موسى بن فرتون بن قسي :
٤٥٤ .
أستالين : ٨١ .
إسحاق بن عطاف (نائير) : ٥٦٨ .
إسحاق بن عيسى بن مزاحم : ٣١٢ .
إسحاق بن قاسم بن سمره بن نهشل بن
مالك بن السمح بن مالك الخولاني :
٣٤٨ .
أسرحدون : ٢٢ ، ٢٧ .
أصف باجه : ٣٤٩ .

- الفونسو الكبير (الثالث) : ٤٣١ .
 ألفونسو ملك ليون بن فرناندو الأول
 (انظر الفونسو السادس) .
 ألمند بن غيطشة : ٢٦٤ ، ٣١١ ،
 . ٣١٢
 ابن إلياس (ثائر) : ٥٦٨ .
 أم الأصبح : ٥٥٥ .
 امرأة لذريق (أم عاصم) : ٢٩٩ .
 امرئ القيس : ٥٦٠ .
 أمنحوتب الرابع (اخناتون) :
 . ٢١ ، ٢٧
 أميان مارسيلان : ٩٤ .
 أمير برشلونة : ٣٩٠ .
 الأمين : ٤٧٤ .
 أمية بن اسحاق : ٤٩٧ ، ٥٠٠ ،
 . ٥٠١
 أمية بن معاوية بن هشام : ٤٠٢ .
 انسينوثدوس : ٣٥٩ .
 أنيجو اريستا : ٤٥٤ .
 أوتون (ملك ألمانيا) : ٣٤٢ ،
 . ٣٤٣
 أوتون (ملك للصقالبة) : ٥٧٢ .
 أودو - دو - لاجيري (انظر ايربان
 الثاني) : ٥٣٩ .
 اوراكا (ابنة فرناندو) : ٤٥٩ .
 أوريول (الكونت) : ٤٠١ .
 اوكتافيوس : ٢٤ ، ٢٥ .
 ايزاردون (أسقف) ٣٤٣ .
 ايفمورط : ٣٣٩ .
 أيوب بن حبيب اللخمي : ٣٢١ .
 ايرسلند : ٥٣٩ .
 أيل (أم المتذر بن محمد بن عبد
 الرحمن) ٥٦٦ .
 ايوان سيميكي : ١١ .

حرف الباء

- الباا اتيان الثاني : ٣٢٠ .
 الباا الاسكندر الثاني : ٥٥٠ ، ٥٥١ .
 الباا ايربان الثاني : ٥٣٩ ، ٥٤٠ .
 . ٥٥٢
 الباا الجرمانى : ٥٤٩ .
 الباا جريجوري : ٥٥١ .
 الباا يوحنا العاشر : ٥٤٧ .
 باسيلي (أسقف نقيوس) : ٦٨ .

بلاي : ٢٩١ ، ٣٤٩ ، ٣٦١ ، ٤٦٠ .
 بليزير : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٠ .
 بلكين : ٥٢٥ .
 بنيامين البطريك القبطي : ٣٤ ، ٦٨ ، ٩٦ .
 بهار (أم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن) (وقيل عشار) : ٥٦٧ .
 بهلول بن أبي الحجاج : ٣٨٨ ، ٣٨٩ .
 بوزون : ٣٣٧ .
 بورسير (الراهب) : ٣٥٤ .
 بومي : ١١٦ .
 بومبيوس (قائد روماني) : ٢٤ .
 بيان بن شارل مارقل ابن بيان : ٣٢٠ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ .
 ٤٧١ .
 بيان بن شارلمان : ٤٠٩ .
 بيان اليريستالي : ٣١٩ ، ٣٥٥ .
 بيرانجه (ملك إيطاليا) : ٣٣٩ ، ٣٤١ .
 بيروس (بطريك القسطنطينية) : ٣٣ .

بازان التركي : ٥٥٠ .
 بدر بن أحمد : ٤٧٨ .
 بدر مولى عبد الرحمن : ٥٥٦ ، ٥٥٨ .
 برمند : ٣٧٣ .
 برمودو : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .
 برمودو الثاني : ٤٦٥ .
 برمودو الثالث : ٤٦٥ .
 برنار دومنتوف (أسقف) : ٣٤٣ .
 بسر بن أرطاة : ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
 بشر بن مروان : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
 بطرس الناسك : ٥٤٠ .
 البطريك اوديلى : ٥٣٨ .
 البطريق يوحنا : ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .
 بطليموس : ٣٩٤ .
 أبو بكر الصديق : ٩ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٨٩ .
 ٢٣١ .
 أبو بكر بن يحيى (نثر) : ٥٦٨ .

حرف التاء

تاكفواس : ١١٦ .	تمام بن أبي العطف : ٤٢٣ .
تانكرد (هو تقييل فارس نورماني) :	تمام بن علقمة ٥٥٦ .
٥٤٩ .	تيممة بنت حرقان (أم عبدالله بن حذافة
تتش : ٥٥٠ .	السهمي) : ١٠٢ .
تخوتس الثالث : ٢٦ ، ٢١ .	توسيديد : ١٧ .
تراجان (امبراطور) : ١١٨ .	توفليس (امبراطور بيزنطة) : ٥٦٤ .
تريستري : ٣١٩ .	تيودور (قائد قوات الروم) : ٥٦ .
تسيز بن أبق : ٥٤٩ ، ٥٥٠ .	تيودوسيوس : ٣٢ .
تعلة بن سلامة الماملي : ٣٥٥ .	تيودوسيوس (امبراطور الروم) : ٢٥٠ .
تليد (عبد لعبد العزيز بن مروان) :	تير الثالث : ١٧٩ .
٢٣٥ .	تيري (وريث كلوفيس : ٣١٩ .

حرف الجيم

جارسيا (غربية) بن ألفونسو الثالث :	١٣٣ ، ١٢٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ،
٤٦٢ .	٢٢٦ .
جارسيا انيجيز بن أنيجو اريستا :	ابنة جرجير : ١٤٣ ، ١٤٥ .
٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ .	جرجير (ملك قرطاجنة) : ١٤٢ ،
جارسيا بن ساشو : ٤٩٥ ، ٤٩٧ .	١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٣١ .
جاي جفري : ٥٥١ .	جستينيان الثاني : ١٧٩ .
جبله بن الأحم : ٢٣٤ .	جعفر بن شيم بن ذبيان بن فرغلوش
جريغوريوس (جرجير) ١٣١ ، ١٣٢ ،	ابن ادفونس : ٤٣٥ .

- | | |
|------------------------------|-------------------------------------|
| جفسررك : ١٢٠ . | جعفر الصقلي (صاحب الخيل) : |
| جوسننران الأول : ١٢٠ ، ١٢١ ، | . ٥٧٤ |
| . ١٣٠ ، ١٣١ . | جعفر بن عثمان : ٥١٥ . |
| جولران : ١٩٧ . | جعفر بن علي بن خلدون : ٥٣٤ . |
| جون فوللر : ٨٥ . | أبو جعفر المنصور (انظر المنصور) . |
| جوفر الصقلي : ٥٠٦ . | جلاله بن زيري بن مناد : ٥٢٥ . |
| جيلدون : ١١٨ . | جال - أم هشام بن عبد الرحمن : |
| جيلير : ١٢٠ . | . ٥٥٩ |
| | جناها - اوهايا (ملك) : ١٤٩ . |

حرف الحاء

- | | |
|------------------------------------|------------------------------------|
| حابة (جارية يزيد بن عبد الملك) : | الحاجب المصحفي : ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، |
| . ٥٧٠ | . ٥٧٩ |
| حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن | الحاجب المنصور : ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٥٢٢ ، |
| نافع الفهري : ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٩ . | ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، |
| الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٧٢ ، | ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، |
| . ٢٣١ ، ٢٩٥ . | ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، |
| ابن حجاج (تأثر) : ٥٦٨ . | . ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٨ . |
| الحرب بن عبد الرحمن الثقفي : ٣٢١ . | الحار بن معاوية الثقفي : ١٧٢ . |
| الحرب بن عبدالله الثقفي : ٣٠٩ . | حاطب بن أبي بلتمة : ٤١ ، ٤٢ . |
| الحريث بن الحكم : ١٤٢ . | حاكم تدمير : ٢٧١ . |
| حمام بن ضرار الكلبي (أبو الخطار) : | حاكم ساره : ٣٧٦ . |
| . ٣٥٤ ، ٣٥٥ . | حاكم سبة : ٢٣٧ . |

الحكم بن عبد الرحمن (انظر

المتنصر بالله) .

الحكم بن محمد بن عبد الرحمن :

. ٤٢٣ ، ٤٣١ .

الحكم المتنصر (انظر المتنصر بالله).

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

الريضي : ٣٥٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ،

٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ،

٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٤٧ ، ٤٥٣ ،

٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ،

. ٥٦٣

حلاوة أم عبد الرحمن بن الحكم بن

هشام .

حلاوية (حلاوية) عمه ملك ليون :

. ٥١٩

حنش بن عبدالله الصنعاني : ١٦٦ ،

٢٣٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ .

حنشو غربية ملك نابار : ٣٤٠ .

حنظلة بن صفوان : ٣١٢ .

حومل أبو مذحج (من زبيد) : ٧٣ .

حياة بن الوليد : ٥٥٦ .

ابن حيان : ٣٠٤ ، ٣٦٢ ، ٥٧٢ .

حسان بن ثابت : ١٠١ ، ٤٢ .

حسان بن النعمان الفساني : ١٣٦ ،

١٣٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،

١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ،

٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،

٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ،

٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

الحسن بن علي : ٢٢٤ ، ٥٥٦ .

حسن بن فنون الحسني ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

الحسين : ٢٢٤ .

الحسين الأنصاري : ٥٥٩ .

الحسين بن يحيى بن سعد بن سعد ابن

عبادة الخزرجي : ٥٥٧ .

الحضرمي الزاهد : ٥١٨ .

حفص بن جعفر بن شيم بن ذبيان بن

فرغلوس بن اذفوتش (حفصون) :

. ٤٣٥ ، ٤٣٦ .

ابن حفصون (انظر عمر بن حفصون).

الحكم الثاني (خليفة اندلس) :

. ٣٤٤

حرف الخاء

خارجة بن حذافة المدوي : ٦٢ ،	خديجة بنت خويلد : ٢٣٠ .
٧٣ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،	أبو الخطار : ٣١٢ .
٢٣١ .	خضرع : ١٩ ، ٢٦ .
خالد بن خلدون : ٤٥١ .	ابن خلدون : ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٨٨ ،
خالد بن الوليد : ٤٣ ، ٣٩ ، ٢٩٤ ، ٩٨ ،	٣٣٣ .
خالد بن يزيد العبسي : ١٧٦ ، ١٧٨ ،	خوفو : ١٩ ، ٢٦ .
١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢١١ .	خير بن شاكر فائر : ٥٦٨ .

حرف الدال

الداخل - انظر عبد الرحمن بن	دوميتان (امبراطور روماني) : ١١٧ ،
معاوية الداخل .	١١٨ .
داغوبير : ٣١٩ .	دوميتانوس (قائد روماني) : ٦٣ .
دوزي (مستشرق هولندي) : ٢٤٧ .	دونات (أسقف) : ١٣٢ .
دوق اكينانيا : ٣٢٣ ، ٣٣١ .	ديديه (ملك) : ٣٢٠ .
	ديوس : ٢٤٠ .

حرف اللال

ذات النطاقين (انظر اسماء بنت	أبي بكر) .
-------------------------------	-------------

حرف الراء

- | | |
|--------------------------------------|-----------------------------------|
| رودريك : ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، | الرازي : ٢٤١ . |
| ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، | راميرو الأول (رذمير) : ٤٦١ . |
| ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ١٨١ ، ٢٩٦ ، | راميرو الثالث : ٥٠٣ . |
| ٣٩١ ، ٤٠٣ ، ٤٢٩ . | راميرو الثاني : ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، |
| رولو (زعيم الدانمراك) : ٥١٢ . | ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ . |
| رومانوس ديوجين : ٥٥٠ . | راميرو بن سانشو : ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، |
| رومولوس : ٢٤ . | ٥٥٠ . |
| روميرو الثاني : ٤٦٤ ، ٤٦٥ . | رايدوسيا : ٥٥٠ . |
| رويفع بن ثابت الأنصاري : ١٥٠ ، | ربيع (أسقف) : ٥٧٢ . |
| ٢٢٦ . | رذمير بن شانجة : ٥١٩ ، ٥٢١ . |
| ريتشارد الأول (دوق نورماندي) : | الرماس بن عبد الرحمن : ٥٥٧ . |
| ٥١٢ . | روبرت (ملك فرنسا) : ٥٣٩ . |
| ريمون برغار الأول (امير برشلونة) : | روبرت سوزي (شاعر) : ٣٥٨ . |
| ٥٣٩ . | روجر توسين : ٥٣٩ . |

حرف الزاي

- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| زخرف (أم الحكم بن هشام بن عبد | زائدة بن قدامة الثقيفي : ١٧٢ . |
| الرحمن الداخل) : ٥٦١ . | زاوي بن زيري بن مناد : ٥٢٥ . |
| أبو زرعة (شيخ البرابرة) : ٢٦٠ ، | الزبير بن الصوام : ٤٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، |
| ٢٧٢ . | ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٦ ، ٨٣ ، ٨٥ ، |
| زرعة بن أبي مدرك : ١٩٥ ، ١٩٦ . | ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، |
| زروال بن عمريل : ٥١٤ . | ١٠٥ ، ٢٣٢ . |

زياد بن أبيه : ٩٨ .	زهير بن قيس البلدي : ١٣٦ ، ١٣٨ ،
زياد بن أفلح الناصري : ٥٧٦ .	١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
زياد بن النابغة التميمي : ٣٠٩ ، ٢٩٩ .	١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب : ٣٨٤ .	١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ،
ابن أبي زيد : ١٨٩ .	٢٠٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ ،
زيري بن مناد : ٥٢٥ .	٢٣٤ ، ٢٣٥ .

حرف السين

ستالين جوزيف : ٨٦ .	سارة بنت ألتند (المعروفة بالقوطية) :
سخية بنت هاشم بن سعيد بن سهم	٣١٢ .
(أم حمير بن وهب الجمحي) :	ابن سالم : ٤٢٨ .
١٠٤ .	سانشو الأول - شالجة بن أردنيو
سعيد بن سليمان بن جودي فائر : ٥٦٨ .	الثالث : ٥٠٢ ، ٥٠٣ .
سعيد بن مستنه (فائر) : ٥٦٨ .	سانشو ملك نافار : ٤٥٣ ، ٤٦٣ ،
سعيد بن المنذر بن عبد الرحمن بن	٤٧٨ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ،
الحكم : ٤٨٠ ، ٥٧٠ .	٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ،
سعيد بن هذيل (فائر) : ٥٦٨ .	٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٣٩ .
سعيد اليحصي (المطري) : ٥٥٦ .	سانشو بن روميرو الثاني : ٤٦٥ .
سلعة بن سلامة بن وقش : ١٠١ .	سانشو غربية الثاني (ابن غربية
سلوقس : ٢٣ .	فرناندز) : ٥٠٤ .
ابن السليم (فائر) : ٥٦٨ .	سانشو بن فرناندو الأول : ٤٥٩ .
سليمان عليه السلام : ٢٥١ ، ٣٠١ ،	سانشو بن فرويلا (فرويلة) : ٤٦٤ .
٣٠٣ ، ٣٠٤ .	سانشو جارسيا انيجو : ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

٣١٥ ، ٣٢١ ، ٢٢٣ ، ٣٢٥ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٥٦٠ .

سهل (الفقى الكبير) : ٥١٦ ، ٥١٨ .

سهيل بن عبدالله (مولى بني غزوم) : ٣٠٩ .

سياغريوس (ملك) : ٣١٩ .

سيرين (جارية الرسول ﷺ اهداها

لحسان بن ثابت) : ٤١ ، ٤٢ .

سيسبون (ملك) : ٢٤٧ .

سيف الدولة : ٥٤٧ .

سيليان (أسقف) : ١٣٢ .

سليمان بن عبد الرحمن البالنسي :

٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٥٥٩ ،

٥٦٠ ، ٥٦٢ .

سليمان بن عبد الملك : ٢٩٥ ، ٢٩٨ ،

٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،

٣١٠ ، ٣٥٠ .

سليمان الكلبي : ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٥٥٧ .

سليمان بن محمد الشذوني : ٥٦٨ .

سليمان السلجوقي : ٥٥٠ .

السمح بن مالك الخولاني : ٣٠٩ ،

حرف الشين

٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٥٤٥ .

شانجة بن رذمير : ٥١٠ .

شانجة بن غرسية بن شانجة : ٥١٩ ،

٥٢٧ .

شانجة بن قروية : ٥٧٣ .

شبيب بن قيس الخارجي الشيباني :

١٧٢ .

شربك بن سمي المرادي : ٦٣ ، ١٥٢ ،

٢٣٢ .

أبو الشاخ : ٤٠٣ .

شرويه (أخو مردانشاه) : ٣١ .

شيلدير (ورقة كلوفيس) : ٣١٩ .

شارل الأصغر : ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

شارل البدين : ٤٧٣ .

شارل البسيط (انظر شارل البدين) :

٤٧٣ .

شارل مارتل بن بيبان : ٢٨٧ ، ٣١٩ ،

٣٢٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،

٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٥٠ ، ٣٥٧ ،

٤٧١ ، ٤٧٢ .

شارلمان : ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،

٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ،

٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٠٩ ،

٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٦ ،

حرف الصاد

صفية بنت عبد المطلب بن هاشم: ١٠٠.	أبو صالح: ١٧٨ ، ١٨٠ .
الصميل: ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٥٥ .	صبح البشكنسية: ٥٢٢ .
صولات بن وزمار الزناتي (ملك البربر) : ١٤٥ .	صفرونيوس (بطريك القدس) : ٣٣ .
	صفوان بن أمية : ١٠٥ .

حرف الضاد

الضحاك بن قيس: ١٦٦ ، ٣٠٨ .	ضريس: ١٠٧ .
----------------------------	-------------

حرف الطاء

طارق بن زياد: ١٩٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،	طالوت بن عبد الجبار الماعري: ٥٦٢ .
٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ،	طروب أم محمد بن عبد الرحمن: ٥٦٥ .
٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،	طريف (بربري) : ٢٦٠ ، ٢٧٢ ، ٢٩٥ .
٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،	طفرك بك : ٥٤٩ .
٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ،	ابن الطفيل : ٣١٣ .
٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ،	طهمان مولى عثمان بن عفان : ١٧٢ .
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،	طوطه (زوجة شاتشو جارسيا) :
٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ،	٤٥٥ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ،
٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،	٤٩٩ ، ٥٧٣ .
٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،	طويل: ٤٠٢ .
٣١١ ، ٣٢٣ ، ٣٣٦ ، ٥٧٨ .	

حرف العين

عبد الرحمن الأوسط (انظر عبد
الرحمن بن الحكم) .
عبد الرحمن الثالث (انظر عبد الرحمن
الناصر) :
عبد الرحمن بن حبيب الفهري :
٥٥٥ .
عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد
الرحمن الداخل : ٣٦٨ ، ٣٩١ ،
٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،
٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤١٢ ،
٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٥١٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ،
٥٦٤ ، ٥٦٥ .
عبد الرحمن الداخل (انظر عبد
الرحمن بن معاوية) .
عبد الرحمن بن رماحس : ٥٠٦ ،
٥١٢ ، ٥١٣ .
عبد الرحمن الناصر : ٤٤٩ ، ٤٥٢ ،
٤٥٥ ، ٤٦٤ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ،
٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ،
٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،
٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٥ ،
٤٩٦ ، ٥٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

هائشة أم المؤمنين : ٢٣٠ .
العاص بن وائل (والد عمرو بن العاص) :
٢٢٧ ، ٢٢٨ .
هاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل
(زوجة الزبير) : ١٠١ .
أبو عامر السلي : ٢٤٢ .
أبو عامر (المنصور) : ٤٤٧ ، ٥٢٣ ،
٥٢٤ ، ٥٢٦ .
عامر بن أبي جوشن : ٤٨٧ .
هبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي :
٥٤ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٦ ،
٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٦ .
عباس بن ناصح : ٣٩٢ ، ٣٩٣ ،
٥٦٤ .
عبد الحميد بن بسيل : ٤٨٦ .
عبد الحميد بن غانم : ٣٦٤ .
عبد الحميد بن مغيث : ٤٣١ .
ابن عبد ربه : ٥٦٩ .
عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج :
٤٥٢ .
عبد الرحمن بن الأشعث : ٤٧٢ ،
٣٠١ .

عبد العزيز بن عثمان أبو الأصبع :
٥٧٥ .

عبد العزيز بن مروان : ١٨٧ ، ١٩١ ،
٢٣٥ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ .

عبد العزيز بن موسى بن نصير : ٢٥٤ ،
٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،
٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٥٠ .

عبد السلام بن يزيد بن هشام (اليزيدي) :
٥٥٨ .

عبد الناصر اليحصبي : ٥٥٧ .

عبد الكريم بن عبد الواحد بن مفيث :
٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ،

٣٩٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٦١ .
عبدالله (المعروف بابن البلسني) :

٤٠٣ .
عبدالله بن الأغلب : ٣٨٤ .

عبدالله بن جدعان : ٩٨ ، ٢٢٧ .
عبدالله بن جعفر : ٢٢٤ .

عبدالله بن الحاجب المتصور : ٥٢٦ .
عبدالله بن الحجاب : ٢٠٥ .

عبدالله بن حذافة السهمي : ٦١ ، ٧٦ ،
٨٨ ، ١٠٢ .

عبدالله بن رياحين : ٥٠٦ .
عبدالله بن الزبير بن العوام : ٥٩ ،

٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥١٠ ، ٥٢٤ ،

٥٣٧ ، ٥٤٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ،

٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

عبد الرحمن النافقي : ٣١٥ ، ٣٢٣ ،

٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٥٠ ،

٣٥٣ .

عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله

(الثالث) (انظر عبد الرحمن

الناصر) .

عبد الرحمن ابن الأمير محمد بن عبد

ابن عبد الرحمن بن الحكم :

٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٦٩ .

عبد الرحمن بن مروان الجلبقي (نثر) :

٥٦٨ .

عبد الرحمن بن معاوية - الداخل :

٣١٢ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥١ ، ٣٦٠ ،

٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،

٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٤٠٨ ،

٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ،

٤٢١ ، ٤٦٩ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ،

٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ .

عبد الرحمن بن وضاح : ٤٨٦ .

عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن هاشم

التجيبني : ٥٢٦ ، ٥٢١ .

٢٢٤ ، ٢٢٦ .
 عبدالله بن عمرو بن العاص : ٦٣ ، ٦٤ ،
 ٦٥ ، ٨٨ ، ٢٢٤ .
 عبدالله بن غرسية بن فردلند : ٥٢٦ .
 عبدالله بن قيس : ٤٨ ، ٢٠٩ ،
 ٢٢٦ .
 عبدالله بن كليب : ٤٨٧ .
 عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن :
 ٤٤٧ ، ٤٥١ ، ٤٥٥ ، ٤٦٩ ، ٥٦٧ ،
 ٥٦٨ ، ٥٦٩ .
 عبدالله بن مرة : ١٩٨ .
 عبدالله بن مسعود : ١٠١ .
 عبدالله بن موسى : ١٩٢ ، ١٩٣ ،
 ٢٧٤ .
 عبدالله بن نافع بن الحرث : ١٤٠ .
 عبدالله بن نافع بن عبد قيس : ١٤٠ .
 عبدالله بن يزيد : ٣٠٩ .
 عبد الملك (جد المتصور أبي عامر) :
 ٥٧٨ .
 عبد الملك بن أبي الجواد (ثائر) :
 ٥٦٨ .
 عبد الملك بن جهور : ٥٧١ .
 عبد الملك بن حبيب : ٤٠٧ .
 عبد الملك بن حنشين : ١٩٢ .

١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ،
 ١٧١ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ،
 ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٩٤ .
 عبدالله بن سعد (انظر عبدالله بن سعد
 ابن أبي سرح) .
 عبدالله بن سعد بن أبي السرح : ٧٣ ،
 ٧٤ ، ٩٧ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
 ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
 ١٤٨ ، ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٣ ،
 ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ .
 عبدالله ابن طروب (انظر عبدالله بن
 عبد الرحمن بن الحكم) .
 عبدالله بن عباس : ٢٢٤ .
 عبدالله بن عبد الرحمن (الداخل) :
 ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٨٧ ، ٤٥٢ ، ٤٧٥ ،
 ٥٦١ .
 عبدالله بن عبد الرحمن بن الحكم بن
 هشام : ٥٦٥ ، ٥٦٧ .
 عبدالله بن عبد الرحمن الناصر : ٥٧٠ ،
 ٥٧٧ .
 عبدالله بن عبد الملك بن مروان :
 ٣٠٢ .
 عبدالله بن عمر بن الخطاب : ١٥٠ ،

- عبد الملك بن العباس : ٤٢٩ .
- عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث : ٣٧٣ ، ٣٧٥ .
- عبد الملك بن قطن الفهري : ١٨٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٣ .
- عبد الملك بن مروان : ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣١٠ ، ٥٥٧ .
- عبد الواحد بن يزيد (الاسكندراني) : ٤٠٤ .
- عبد الوهاب (نثر) : ٥٦٨ .
- أبو عبدة : ٣١٣ .
- عبدون : ٣٩١ .
- أبو عبيد البكري : ٢٤٢ .
- أبو عبيد الثقفي : ٣٣٣ .
- عبيد الله بن إبان بن معاوية بن هشام : ٥٥٨ .
- عبيد الله بن عبد الله البنسي : ٤٠٢ ، ٤٠٤ .
- عبيد الله بن عثمان أبو مروان : ٥٧٥ .
- عبيد الله الفاطمي : ٥٠٥ .
- عبيد الله بن قاسم : ٥٧٧ .
- عبيد الله المهدي : ٥٠٤ .
- أبو عبدة : ١٩٦ .
- أبو عبدة بن الجراج : ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ .
- عتاب بن ورقاء الخزاعي : ١٧٢ .
- عتبة بن عامر الجهني : ٨٨ ، ٧٦ ، ١٠٦ .
- أبو عتيك : ٢٣٦ .
- عثمان بن طلحة : ٤٣ ، ٩٨ .
- أبو عثمان عبيد الله بن عثمان : ٣٧١ .
- عثمان بن عفان : ٤٧ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٧٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
- عثمان بن المنى : ٤٠٧ .
- عثمان بن عقبه بن نافع : ١٩٦ ، ٢٠٦ .
- ابن عذارى : ٤٣٥ ، ٥٧٤ .
- عقبه بن الحجاج السولي : ٣٥٣ .
- عقبه بن نافع الفهري : ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٨ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ .

٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٧ ، ٩٨ ،

٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،

١٠٧ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ٢٢٣ ،

٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٣٠٦ .

عمرو بن عبد العزيز : ٣٠٩ ، ٣٢١ ،

٣٤٨ ، ٥٦٠ .

عمرو بن علي القرشي : ١٥٣ .

عمرو بن قضم الهزولي (نائر) : ٥٦٨ .

عمرو بن أوس : ١٩٦ .

أبو عمرو أحد بن عبد ربه : ٤٥١ .

عمرو بن بكر التميمي : ١٠٣ .

عمرو بن جرموز التميمي : ١٠١ .

عمرو بن المعاص : ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٣ ،

٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،

٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ،

٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ،

٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ،

٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ،

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ،

٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ،

٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،

١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٠١ ،

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ،

١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧١ ،

١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ،

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ،

٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ،

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨ ،

٢٥٧ ، ٢٣٣ .

الملاء بن ميثب اليحصي : ٣٦٨ ،

٥٥٦ .

علقمة بن رمية البلوي : ٢٣٣ .

علي بن رباح : ٢٨٢ .

علي بن أبي طالب : ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٣٨ ،

١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

٢٣٣ .

عمر بن حفصون : ٣٤٠ ، ٤٣٥ ، ٤٤٩ ،

٤٥٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ،

٥٧٠ ، ٥٧١ .

عمر بن الخطاب : ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٤ ،

٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٠ ،

٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ،

٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤٩ ،
٥٤٠ .

عياش ابن اخيل : ١٩٣ ، ١٩٥ .

عياض بن عقبة بن نافع : ١٩٥ ،
١٩٦ .

عيسى عليه السلام (وانظر المسيح) :
٥٢٨ .

عيسى بن الحسين الحاجب : ٤٢٦ .

عيسى بن سعيد الحاجب : ٤٠٧ .

عيسى بن فطيس : ٥٧٥ .

عيسى بن مزاحم : ٣١٢ .

٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٢٣ ،

٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،

٢٣٣ ، ٢٣٢ .

عمروس (امير سرقسطة) : ٤٠١ .

عمروس بن يوسف : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ،
٣٩١ ، ٥٦١ .

عمريل بن تيمرت : ٥١٤ .

عمير بن سعيد : ٣١٢ .

عمير بن وهب الجمحي : ٦٢ ، ٧٦ ،

٨٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

عنبة بن سحيم الكلبي : ٣١٥ ،

حرف الغين

غربية بن سانشو (انظر جاريسيا) :
٤٩٥ ، ٤٩٧ ، ٥٢٧ .

غربية شانشيز : ٤٢٧ ، ٤٥٦ ،
٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٧٦ .

غربية بن فردلند بن غنسد شالب
صاحب قشتاله : ٥١٣ ، ٥١٩ ،
٥٢٠ ، ٥٢٦ .

غربية ابن فراندو الاول : ٤٥٩ .

غربية فراندز بن فرنان كوثالت :
٥٠٤ .

غالب بن عبد الرحمن (امير البحر) :
٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥١١ ،

٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ ،
٥٢٣ ، ٥٢٤ .

غالب الناصري : ٥٢٤ ، ٥٢٤ ،
٥٧٦ .

ابن غانم : ٤٠٢ .

غثون : ٤٢٣ .

غربية (ابن اخي فراندو) : ٤٥٨ .

غربية بن شالجه : ٥٧٣ .

- | | |
|--|---|
| غودريان : ٧٨ .
غيدون بن ألبرت : ٥٧٣ .
غبطة : ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٤ . | غليوم (كونت بروفانس) : ٥٤٨ ، ٣٤٤ .
غليوم (كونت تولوز) : ٣٧٣ ،
٣٧٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ . |
|--|---|

حرف الفاء

- | | |
|---|---|
| فردلند بن غند شلب : ٥١٠ .
فرفان كوتقالث : ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٩ .
فرفاندون بن سانشو الكبير : ٤٥٦ ،
٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ .
فروية ملك أشتوريس (فارويلا) :
٤٦٢ ، ٤٦٤ .
ابن فطيس : ٥١٢ .
فلورا : ٤١٧ .
فوكاس : ١٣١ .
فيفر ابن دوق اكيثانيا : ٣٥٩ .
فيليب الثاني : ٢٣ .
فيلشيا : ٥٥١ . | فاطمة (عليها السلام) : ٥٥٦ .
الفاكهة بن المخيرة : ٩٨ ، ٢٢٧ .
فالبا : ٢٤٠ .
الفقى الكبير الجعفري .
فرتوب بن لب : ٥٢١ .
فرقون بن جارسيا انيجيز : ٤٥٥ .
فرقون بن غرسية : ٤٢٨ .
فرقون محونس : ٥٢١ .
فرقون بن موسى : ٤٠٣ .
فرج بن كنانة : ٣٧٦ .
فرج بن مسرة : ٤٠٢ .
فرديناند (حاكم قشتالة) : ٥٧٣ .
فردلند جنثالث (ملك قشتاله) :
٥١٤ . |
|---|---|

كارلومان : ٤٧٣ .	كبشة بنت معدى كرب : ٢٢٥ .
كاسترو موروس : ٤٧٧ .	كراسوس : ٢٤٠ .
الكاهنة (ملكة) داهيا بنت ماتيا	كريب بن خلدون : ٤٥١ .
ابن تيفان : ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٣٦ ،	كسرى : ١٠٢ .
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،	كسرى أبرويز : ٣١ .
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ،	كسيلة بن لزم الأوربي : ١٥٩ ، ١٦٠ ،
٢٢١ ، ٢٣٥ .	١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .

كلوديوس، بصليموس : ١٢٤ .	١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ،
كلوفيس الأول : ٣١٩ .	٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
كليوباترة : ٢٥ .	٢٣٤ .
الكونت كونراد : ٣٤٢ .	كلوتير (ورثة كلوفيس) : ٣١٩ .
الكونت هوغ (ملك بروفانس) :	كلود (كاهن) : ٢٥٠ .
٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٥٤٧ .	كلودومير (وريث كلوفيس) :
كونزالوين سانشو الكبير : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .	٣١٩ .
كونتيسة برشلونة : ٥٣٩ .	كلوزويتز : ٩١ .

حرف اللام

٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ .	لب بن الطريشة : ٤٨٠ .
لويس الثاني الصغير ابن لويس : ٤٧٣ .	لب بن موسى بن فرتون : ٤٥٤ ،
لويس الحليم : ٣٩٩ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ،	٤٥٥ .
لويس الجرمانى (الثالث) : ٤٧١ ،	اللخمي (قائد لعمر بن العاص) :
٤٧٢ ، ٤٧٣ .	٥٠ .
لوسيس كويتوس البربري : ١١٧ ،	الليث : ٣٠٠ .
١١٨ .	لذريق : ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ،
ليليان : ١٦٢ .	٢٨٠ ، ٣٩١ .
ليوتوس : ١٨٠ .	لوثر الأول : ٤٧١ ، ٤٧٢ .
ليون بن ألفونس (أردون بن	لوثر الثاني : ٤٧٢ .
أذفونش) : ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ .	لويس : ٣٣٩ ، ٣٧٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ،
ليونيتوس : ١٧٩ .	٣٨٨ ، ٣٨٩ .
	لويس التقي (الضعيف) (الثاني) :

حرف الميم

- الأمون : ٤٧٤ .
- الأمون ابن ذي النون : ٤٥٨ .
- ماريا (مرتبة) (أم عبد الرحمن الناصر) : ٥٦٩ .
- مارية (جارية الرسول ﷺ) : ٤١ .
- ٤٢ .
- ماكسن بن زيري بن مناد : ٥٢٥ .
- مانويل : ٤٠ .
- ماوتسي تونغ : ٩١ .
- التوكل بالله : ٤٧٢ .
- محمد رسول الله ﷺ : ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥٩ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٦٢ ، ١٨٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٥٢ ، ٣٥٨ ، ٤١٧ ، ٤١٨ .
- أبو المحجن الثقفي : ١٦٥ .
- محمد بن أحمد بن أمية بن شهيد : ٥١٦ .
- محمد بن أضى (كبير العرب) آثار : ٥٦٨ .
- محمد بن أفلح (حاكم تاهرت) : ٥٦٦ .
- محمد بن أفلح الناصري : ٥٧٦ .
- محمد بن اوس الانصاري : ١٦٥ .
- محمد بن أبي بكر : ١٤٧ ، ١٧٣ ، ٢٣٣ .
- محمد بن أبي حذيفة : ١٤٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ .
- محمد بن الزبير بن العوام : ٥٩ .
- محمد بن سليم : ٤٢٨ .
- محمد بن طلس (انظر محمد بن القاسم بن طلس) .
- محمد بن أبي عامر المفايري ابو عامر
- محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (ابو عبد الله) : ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٤٧ ، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٩ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ .
- محمد بن عبد الرحمن (المعروف

سروان بن موسى : ١٩٢ ، ١٩٥

١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٨١ .

مرياف (ملك) : ١٨٤ ، ١٨٥ .

مريم (عليها السلام) : ٣٣ .

مزنون (زعيم البشكنس) : ٢٩٠ .

المستمين بالله : ٤٧٤ .

المستنصر بالله (الحكم بن عبد الرحمن) :

٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ،

٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ،

٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ،

٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ،

٥٢٢ ، ٥٢٤ ، ٥٣٧ ، ٥٧٤ ،

٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ .

مسعود بن عبد الله العريف : ٤٢٥ .

مسلة بن عبد الملك : ١٠ ، ٣١٠ ،

٥٥٤ .

مسلة بن غنم الانصاري الخزري :

٥٤ ، ٧٨ ، ١٥٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

المسيح (وانظر عيسى ابن مريم) :

٣٢ ، ٣٣ ، ٢٩٩ ، ٣١٣ ،

٣١٤ .

ابن مصاد : ١٦٥ .

مصقلة بن صيرة : ٣٣٣ .

مضا بن عمري : ٥١٤ .

بالشيخ) : ٥٧٠ .

محمد بن عبد الرحمن (ابن الشيخ) :

٤٨٧ .

محمد بن عمر بن لبابة المالكي :

٣١٢ .

محمد الفاتح (السلطان العثماني) :

٢٥ .

محمد بن القاسم بن طس : ٥٧٧ .

محمد بن قاسم الناصر : ٥٠٦ .

محمد بن لب : ٤٨٢ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ،

٥٦٧ .

محمد الناصر بن يوسف : ٥٥٢ .

محمد بن محمد : ٤٨٥ .

محمد بن هشام التجيبي : ٤٩٦ ، ٤٩٧ ،

٥٠٠ .

محمود بن عبد الجبار : ٤١٣ ، ٤١٥ .

مردانشاه : ٣١ .

المدلجي : ٧١ .

مرجانة (أم المستنصر بالله) : ٥٧٤ .

مريقيانوس : ٣٣ .

مركيز البروفانس : ٥٧٣ .

يعيسى التجيبي الأنقر : ٥٦٨ .

مركيز تسكانيا (انظر عيدو بن

ألبرت) .

مروان بن الحكم : ١٦٦ ، ٢٩٤ .

- المطرف بن عبد الله : ٥٦٩ .
 مطرف بن المغيرة بن شعبة : ١٧٢ .
 مطرف بن غلاف التجبي : ٤٩٦ .
 مطرف بن موسى ذي النون : ٤٨٥ .
 مطروح بن سليمان بن يقطان : ٣٧١ .
 معاوية بن حديج السكوني : ١٣٤ ،
 ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
 ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ .
 معاوية بن أبي سفيان : ٤٥ ، ٩٨ ،
 ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،
 ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
 ١٥٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٩٤ .
 معاوية بن يزيد : ٢٣١ .
 المعتمد بن عباد : ٤٥٨ .
 المعتمد : ٣٦٨ ، ٤٧٤ .
 المخزومي (ملك البربر) : ١٤٥ .
 مغيث الرومي (ابن الحارث بن الحويرث
 ابن جبلة بن الأيهم) : ٢٥٤ ،
 ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٣ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
 المغيث اليحصي : ٤٠٨ .
 المغيرة بن أبي بردة : ١٩٥ .
 المغيرة بن الوليد بن معاوية : ٥٥٧ ،
 ٥٥٨ .
 المقدر : ٥٦٩ .
 المقداد بن عمرو : ٨٧ .
 المقداد (ابن الأسود) : ٥٤ .
 المقري : ٣٣٣ .
 المقوقس : جريج بن ميناء بن فرقب
 (حاكم مصر) : ٢٩ ، ٣٤ ، ٤٠ ،
 ٤١ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٣ ،
 ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٧٢ ،
 ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
 ١٠٧ .
 ملك آشورية : ٣٨٨ ، ٣٨٩ .
 مكسيم (الراهب) : ١٣٢ ، ١٣٣ .
 المنتصر بالله : ٤٧٤ .
 منديث كوثالث : ٤٦٥ .
 المنذر بن عبد الرحمن بن الحكم :
 ٤٠٤ ، ٤٢٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٢ ،
 ٤٧٥ ، ٤٨١ .
 المنذر بن محمد بن عبد الرحمن : ٤٥٥ ،
 ٤٦٩ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ .
 المنصور بن أبي عامر : ٤٣١ .

٢١٥ ، ٢٢١ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
 ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ،
 ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،
 ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
 ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٧ ،
 ٣٢٣ ، ٣٣٦ ، ٣٥٠ ، ٤٠٨ .

مونتغمري : ١٠ .

مهاية بنت جابر الأشعري : ٢٢٣ .
 أبو المهاجر دينار : ١٣٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،
 ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ،
 ٢٠٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

ميخائيل الرابع : ٥٥٠ .

ميروني (ملك) : ٣١٩ .

ميسور الصقلي : ٥٠٥ .

ميشليه مؤرخ فرنسي : ٢٤٧ .

ميمون العابد (جد بني حزم) : ٣١٣ .

مينا (يفرمر) (ملك مصري) :

١٩ ، ٢٦ .

النصور (أبو عامر) محمد بن عبد الله

ابن عامر بن أبي عامر : ٥٧٨ ،

٥٧٩ ، ٥٨٠ .

النصور الخليفة العباسي : ٣٤٤ ،

٣٦٧ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦١ .

منقرع : ١٩ ، ٢٦ .

منويل الخصي : ٧٢ ، ٧٤ .

مؤنس (مولى المقتدر) : ٥٦٩ .

المؤيد (هشام بن الحكم المستنصر) :

٥٢٢ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ .

موريس : ١٣١ .

موسى (عليه السلام) : ٢٤٧ .

موسى بن أحمد بن حدير : ٥٧٥ .

موسى بن أبي العافية : ٥٠٥ .

موسى بن فرتون بن قسي : ٤٥٤ .

موسى بن موسى : ٤٠٤ ، ٤٠٥ ،

٤٠٦ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨ ،

٤٥٤ .

موسى بن نصير : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٨٩ ،

١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،

١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،

حرف النون

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------------|
| أبو نصر : ٢٩١ . | النايفة (أم عقبة بن نافع : ٢٢٧ . |
| نصر الحصي : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٥٦٥ . | نابليون بونابرت : ١٧ . |
| نقفور (البطريق) : ١٤٩ . | ناريس : ١٢٠ . |
| نقفور فوقاس : ٥٤٧ ، ٥٤٨ . | الناصر (انظر عبد الرحمن الناصر) . |
| نقیناس بن جريجوريوس : ١٣٢ . | نافع بن عبد القيس : ٢٢٧ . |
| نوفل : ١٠٠ . | نجدة الحيري : ٤٩٧ . |
| نيسيفور البطريق (انظر نقفور) . | نجدة الصقلي : ٤٩٨ ، ٥٠٠ . |
| نيقه بن بلشك : ٥٢١ . | نجدة بن مقسم : ١٩٥ . |

حرف الهاء

- | | |
|---|---|
| مشام بن الحكم : ٤٥٦ . | هارفكتس (قيس) : ٤١٧ . |
| مشام بن الحكم المستنصر (انظر المؤيد) . | هارون الرشيد : ٣٨٤ ، ٤١٠ ، ٤٧٣ . |
| مشام بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٥٥٦ . | هاشم بن عبد العزيز : ٥٦٦ ، ٥٦٧ . |
| مشام بن عبد الرحمن الداخل : ٣٥٢ ، ٣٦٥ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ . | هانيبال : ١١٤ . |
| ٣٨٤ ، ٤٥٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٩ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ . | هبايا (ملك) : ١٥٠ . |
| مشام بن عبد الملك : ٢٠٥ ، ٣١٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ . | هذيل بن هاشم : ٥١٠ . |
| | هرقل : ٣١ ، ٣٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٢ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ . |
| | ١٣٤ ، ١٤٢ . |
| | هرقل (الابن) : ١٣١ ، ١٣٢ . |

- مولوديبوس : ٢٥ .
- هيثا روس (مطران) : ٤١٦ .
- ميرو دوت : ١٧ ، ١٨ .
- هيلديريك : ١٢٠ .
- هيو الأول : ٥٥١ .

- هشام بن عروة : ٥٥٦ .
- هشام المصعفي : ٥٧٧ .
- هشام بن هذيل : ٥٧٢ .
- هلال بن ثروان اللواتي : ١٧٣ .
- هنري للبابوية : ٥٤٩ .
- هنريك بن جنسريك : ١٢٠ .

حرف الواو

- الوليد بن عبد الملك : ١٨٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ .
- وليم دوق غاسكوينا : ٥٣٩ .
- ونقة بن شانجة (وانظر جارسيا انيجيز) : ٤٥٣ .
- وهب الله بن حزم : ٤٠٦ .
- ويليم مونتراي (الهائل التورماني) : ٥٥١ .

- الواثق بالله : ٤٧٤ .
- والتر المفلس : ٥٤٠ .
- أبو الورد النضري : ١٧٢ .
- وردان (مولى عمرو بن العاص) : ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٨٨ .
- ابن وسيم : ٤٠٧ ، ٤٠٨ .
- الوزير قند : ٥٢٧ .
- وقعة بن غيطشة (وانظر أخيل بن غيطشة) : ٣١١ .
- الوليد بن الحكم : ٤٠٣ .
- وليد بن خيزران : ٥٧٧ .

حرف الياء

- يحيى التجيبي (تأثر) : ٤٩٧ ، ٥٠٦ ،
٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٦٨ .
- يحيى بن حكم : ٤١١ .
- يحيى بن سلمة الكلبي : ٣٢٩ .
- يحيى الغزال : ٣٦٨ .
- يحيى بن أبي الفتح : ٤٩١ .
- يحيى بن موسى : ٤٩١ .
- يحيى بن يحيى الليثي المصمودي :
٥٦٢ .
- يزيد بن خلف العبسي : ١٦٥ .
- يزيد بن عبد الملك : ٥٧٠ .
- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ١٣٨ ،
١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢١٤ ،
٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ .
- يزيد بن المهلب : ٣٠١ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ .
- يعقوب بن أبي خالد التوبري : ٤٨٧ ،
٤٨٩ .
- يعقوب البراذهي براديسى : ٣٤ .
- يعلى بن أحمد بن يعلى : ٥١٨ ، ٥١٩ .
- يليان (حاكم ولاية طنجة) : ٢٤٨ ،
٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ،
٢٧٤ ، ٢٧٦ .
- يوحنا زمكيس : ٥٤٨ .
- يوحنا كركواس : ٥٤٧ .
- يوسف بن بخت : ٣٧١ ، ٣٧٣ .
- يوسف بن تاشفين : ٥٣٨ .
- يوسف بن عبد الرحمن : ٣٣٥ .
- يوسف بن عبد الرحمن الفهري : ٣٥٥ ،
٣٥٩ ، ٥٥٦ .
- يوسف بن عبد المؤمن : ٥٣٨ ، ٥٥٢ .
- يوسف بن عمرو : ٣٩٠ ، ٣٩١ .
- يوقنا : ٨٢ .
- يولوجيوس : ٤١٧ .
- يوليوس قيصر : ٢٢٤ ، ٢٤٠ .
- يوليان : ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،
٢٩٥ .
- يونيافاس : ١٢٠ .

٢- فهرس المواقع والأماكن الجغرافية

حرف الألف

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| أجنادين : ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ١٠٧ . | آبار حديج : ١٥٢ . |
| جدابية : ١٢٦ ، ١٧٧ . | آدس (بحيرة) : ١٨٧ . |
| الأجم (مركبة) : ٨ ، ١٢ ، ١٣٥ ، | آراغون : ٣٦٠ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، |
| ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، | ٤٠١ . |
| ٢٢٦ . | آرل : ٢٣٥ ، ٤١٥ ، ٤٢٧ . |
| أحد : ٩٨ ، ١٠٥ . | آسفي : ١٢٥ ، ١٦٣ ، ٢١٥ . |
| أخيم : ٦٢ ، ١٠٣ . | آسيا : ١٧ ، ٢٥ ، ١١٦ ، ٣٤٥ . |
| أخيت أتون : ٢١ ، ٢٧ . | آسيا الصغرى : ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٠ . |
| أذربيجان : ١٣٧ . | آشور : ٢٤٦ . |
| أراغون : ٤٥٦ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ . | آغيمورت : ٤١٦ . |
| أربة : ١٦١ . | آليريه : ٤١٠ . |
| اربونة - وانظر فاربون : ٢٨٦ ، | آلامانيا : ٣٦٠ . |
| ٢٨٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، | ابرلنقة : (زلزلة) : ٥١٧ . |
| ٣٥٣ ، ٣٦٧ ، ٤٠٤ ، ٥٤٩ . | أبو بحينس : ٦٠ . |
| الأردن : ٣٥٥ . | ابوليا : ٥٤٩ . |
| أردون : ٤٢٧ . | أبيط : ٢٩١ . |
| أرض الأندلس : ٥٣٧ . | اينون : ٣٣٥ . |
| أرض دمشق : ٥٥٤ . | الاتحاد السوفياتي : ٩ ، ١٠ . |
| أرض الذاب : ١٦٤ . | أثينة : ٢٢ . |

٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،

٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ،

٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ،

٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٧ ،

١٤٠ ، ٢٢٥ ، ٢٤٧ ، ٤٠٩ ،

٥٧٦ .

أسوان : ١٨ .

أشبونة : ٤٦١ .

أشبيلية : ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٦ ،

٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٣ ،

٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،

٣١٣ ، ٣٥٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ،

٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٧ ، ٤٢٧ ،

٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٩ ،

٥٠٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٣ ، ٥٤١ ،

٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ،

٥٦٨ ، ٥٧١ .

أشتريش : ٤٥٩ .

أشتريش (وانظر جيليقية) : ٢٤٥ ،

٢٩١ ، ٤٥٦ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،

٤٦٢ ، ٥٢٩ ، ٥٤٣ .

أشورية : ٣٦٦ .

أشدود : ١١٢ .

الأشراف (غزوة) : ١٩٣ .

الأرك : ٥٣٨ .

أرمينيا : ٢٥ ، ٣١ ، ٣٩ ، ١١٨ ،

١٣٧ ، ٥٤٩ .

أريولة : ٤٧١ ، ٤٢٧ .

الأزبكية وانظر أم دنيء (كان اسمها

سابقاً) : ١٠٣ .

أزبونة : ٢٨٧ .

اسارير : ٤٩٠ .

أسبارطة : ٥٢٢ .

إسبانيا : ٩ ، ١٤ ، ١١٣ ، ١١٩ ،

١٩٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦٧ ،

٣١٧ ، ٣٣٠ ، ٤٥٣ ، ٤٥٦ ،

٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٥٠ .

استرقة : ٤٦١ .

استجة : ٢٦٨ .

استرقة : ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٠ ،

٣٧٥ .

استركور : ٥٢١ .

استورقة : ٤٧٦ .

اسفاقيس : ٥٧٢ .

الأسكندرية : ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ٢٤ ،

٢٩ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٨ ،

٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ،

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،

١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ،

١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،

١٩٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،

٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،

٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،

٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،

٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ،

٢٦٧ ، ٢٧٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ،

٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،

٣١٢ ، ٣٢١ ، ٣٣٨ ، ٣٥٠ ،

٣٧١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٤٠٨ ،

٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٣٦ ، ٤٧٥ ،

٥٠٤ ، ٥٠٦ ، ٥٥٤ ، ٥٧٢ ،

٥٧٦ .

افريقية البرية : ٢٥٠ .

أشكونية : ٢٤٣ .

الأشمونين : ٦٢ ، ١٠٣ .

أشير : ١٢٥ .

الأصنام (مدينة) : ١٢٧ .

أصيلا : ١٢٥ .

أطرابلس : ٣٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨١ ،

٨٣ .

الأطلس الأعلى : ١٢٨ .

الأطلس الأوسط : ١٢٨ .

الأطلس التلي : ١٢٧ ، ١٢٨ .

الأطلس الصحراوي : ١٢٧ ، ١٢٨ ،

١٢٩ .

اطلس العليا : ١٩٤ ، ١٩٦ .

أغادير : ١٢٧ .

أغمات : ١٢٥ .

افرنجة : ٤٢٧ .

أفريقيا : ٩ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٧٠ ، ٧٢ ،

٨١ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ،

١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،

١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ،

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ،

- أفريقية الشمالية : ١١ ، ١٢ ، ١٠٩ ،
 ١١١ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٣٤ .
 أفريقيا الوسطى : ١٨ .
 أفغانستان : ٢٣ .
 أفينيدن : ٢٨٧ .
 اكس لاشايل : ٤١١ .
 اكينانيا : ٣٣٦ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢٣ ،
 ٣٥٩ ، ٣٥٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠ ، ٣٤٨ ،
 ٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧ ، ٣٧٣ ، ٣٦٠ .
 الألب : ٣٤١ ، ٣٣٩ .
 ألبه : ٤٠٣ ، ٣٩٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٣ ،
 ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٦١ ، ٤٨٠ ،
 ٤٩٠ ، ٤٩٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ ،
 ٥٦٧ .
 ألبانيا : ٢٤٠ .
 ألبيرة : ٥٦٨ ، ٣٥٥ .
 ألبتانه : ٣١٩ .
 الألزاس : ٣٤٢ .
 المانيا : ٥٧٣ ، ٤٧٣ ، ٣٤٢ ،
 المانيا الغربية : ٢٧٢ .
 أماية : ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٧٢ ،
 أم دنين : ٥٦ ، ٥٣ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٣٧ ،
 ٥٧ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ١٠٣ .
 أم القرى : ٣١٠ .
 امبورياس : ٤١٠ .
 انتيشه : ٤٨٥ .
 أنيتب عين الطيب : ٥٤٨ .
 انتيفون : ٢٣ .
 اندرفاخ : ٤٧٣ .
 الأندلس (فاندالوسيا) : ٩ ، ١٢ ، ١١١ ،
 ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ،
 ١٧٩ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
 ٢٠١ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
 ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ،
 ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،
 ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،
 ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢١ ،
 ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ،
 ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
 ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
 ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،
 ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ .

الاهرامات الكبرى : ١٩ ، ٢٦ .	٣٨٧ ، ٣٨٤ ، ٣٧٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧١
الأهزون : ٤٣١ .	٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٦ ، ٣٩٩ ، ٣٩٠
أويس : ١٢٦ .	٤١٦ ، ٤١٥ ، ٤١٢ ، ٤١١ ، ٤١٠
أوثان : ١٢٦ .	٤٢٦ ، ٤٢١ ، ٤١٩ ، ٤١٨ ، ٤١٧
الأودر : ١١٩ .	٤٣٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠
الأوراس (جبال) : ١١٦ ، ١٢١ ،	٤٥٢ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٧ ، ٤٧١
١٢٨ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨١	٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧
١٨٢ ، ١٨٣ .	٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧
أوربا : ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٣٥ ،	٤٩٨ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧
١١١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١١٩ ،	٥١٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٩
١٢٠ ، ١٢٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،	٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤١
٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٤ ،	٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧
٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٧٣ ، ٥٠١ ، ٥٢٨ ،	٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٩
٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ .	٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧
أوربا الشمالية : ٣٣٠ .	٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣
أوشليم : ٣١ .	٥٧٤ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ .
أوريط : ٤٠٢ .	الأندلس القوطية : ٢٤٨ .
أوستراليزه (مملكة) : ٣١٩ ، ٣٥٥ ،	اندوجر : ٤٢٣ .
٣٥٧ .	الانديجا (انظر معركة الخندق) :
أوسمة (وخشة) : ٤٦٣ .	٤٩٩ .
اوسيدا : ٤٥٨ .	أنطابلس : ١٧٦ .
أوغاريت : ١١٣ .	أنطاكية : ٢٣ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٥٥٠ ،
اوفيدو : ٤٦٠ ، ٤٦٢ .	٥٥٢ .
اوقت : ٣٥٩ .	انطرسوس : ٥٤٨ .

٣٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٣٩ ، ٣٣٦ ، ٣٢٠

٤٧٢ ، ٤٠٩ ، ٣٧٣ ، ٣٦٠ ، ٣٥٤

٤٧٣ ، ٥٥١

الايلب : ٣٢٠

ابليريا : ١٢٠ ، ٢٤٠

أيلوج : ٤٢٤

إلياء (انظر القدس)

أوكسير : ٤١٦

أوينه : ٥٣١

الاييرو (نهر أهره) : ٤٥٦

ايبيريا (وانظر الأندلس) : ٢٣٩

انتزا (انيسة) : ٤٧٨

إيوان : ٢٣ ، ٧٩

أيسوس : ٢٣

إيطاليا : ١١١ ، ١٢٠ ، ٢٨٦ ، ٣١٥

حرف الباء

٦٤ ، ٦٢ ، ٦٠ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦

٨٣ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٧ ، ٦٦ ، ٦٥

١٠٣ ، ١٠١ ، ٩٢ ، ٨٨ ، ٨٥

١٠٥

باجة : ١٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٩٢

٤٢٦ ، ٣٤٩

باجة الغرب : ٥٦٨

الباروتورس : ٢٨١

باريس (باريز) : ٣١٩ ، ٣٢٥

٣٣٠ ، ٣٣٩

الباسك : ٣٥٣ ، ٣٥٠ ، ٣٧٠

٣٧٥ ، ٤٢٤

باشبيلية : ٢٩١

باب الأبواب : ١٣٧

باب الأقباء : ٥٧٧

باب إلبة : ٤٠٠

باب تونس : ١٥٢

باب الجنان : ٥٧٧

باب السدة : ٥١٦ ، ٥٧٧

باب سليت : ٢٨١

باب شزورا (شيزورا) : ٣٣١

باب القصر (قرطبة) : ٥١٦

باب قصر الزمراء : ٥٧٧

باب النساء : ١٨٤

بابل : ٢٣ ، ٢٤٦

بابلون : ٨ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٣

- باغية : ١٧٥، ١٦١ .
 باغو : ٥٦٨ .
 بافيه : ٣٢٠ .
 بالش : ٤٨٦ .
 بامبلوتا : ٣٣١ .
 ببروذ : ١٣٧ .
 بجانة : ٢٤٢ .
 بجاية : ١٢٥ ، ٢٢٩ .
 البحر الأبيض المتوسط : ١٧ ، ١٩ ،
 ١١١ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٩ ، ٢٣٠ ،
 ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٨٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ،
 ٣٤٥ ، ٤١١ ، ٤١٦ ، ٥٠٥ .
 البحر الأحمر : ١٧ .
 البحر الأخضر : ٢٩١ .
 بحر إيجة : ٢٣ ، ٢٥ ، ١١٢ .
 البحر البيزنطي : ٢٠٩ .
 البحر الرومي : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٠٩ .
 بحر الزقاق : ٢٤٩ ، ٢٦٧ .
 بحر الشام : ٢٠٩ .
 بحر قزوين : ٢٣ .
 البحر المحيط : ١٢٤ ، ١٢٥ .
 بحيرة فاندا : ٢٦٦ .
 بجاية : ١٢٥ .
 براغ : ٩ .
 براغة : ٣٦١ .
 البرانس وانظر جبال البيرينة :
 ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٣١٧ .
 بربشار : ٤٣٦ ، ٥٢٢ ، ٥٦٦ ،
 ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٧١ .
 البرقات (انظر جبال البيرينة) .
 البرتنال : ٤٥٩ .
 برج الشهداء : ٢٧٨ .
 برجنديا : ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٥٥١ .
 برجيه : ٤٢٩ .
 بردونيا : ٤٦١ .
 برديل (بوردو) : ٢٣٠ ، ٣٣١ .
 برذيشي (انظر فج برذيش) : ٤٣٠ .
 برشلونة : ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٨٦ ، ٣٥٢ ،
 ٣٦٦ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،
 ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ،
 ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ،
 ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٢٦ ، ٥٣٧ ،
 ٥٣٩ ، ٥٤٧ ، ٥٧٣ .
 بر المدوة : ٢٦٧ .
 برغش : ٢٧٢ ، ٥٠٢ .
 برغنديا : ٣٢٥ ، ٣٤٩ .
 برقة : ٣٨ ، ٧٠ ، ١٢١ ، ١٢٦ .

٥٧٣ ، ٥٤٣ ، ٥٣٤ .	١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٤٨ ، ١٤٢
بشامونة : ٤٨٨ .	١٨٠ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٠
البصرة : ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٣٣ ، ٩٠ .	٢٢١ ، ٢١١ ، ٢٠٤ ، ٢٠١
بطشانة : ٥٥٥ .	٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٤
بطلبوس : ٥٦٨ ، ٤٦٣ ، ٤٥٩ ، ٤٧٧ .	برهون : ٥١٨ .
بغداد : ٣٨٤ ، ٣٦٨ ، ٣٦٧ .	البوفانس (جبل) : ٣٢٣ ، ٣١٧ .
٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٤٥ ، ٥٤٩ .	٣٤٤ ، ٣٤٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٥
بقيرة : ٤٨٦ ، ٤٨٥ ، ٤٨٤ .	٤١٥ ، ٤١٠ ، ٣٥٩ ، ٣٥٤
بلاد برقة (وانظر ليبيا) : ٢٥ .	٤٢٧ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٥٤٧
بلاد البربر : ٣١١ .	٥٧٣ .
بلاد البلقان : ٢٥ .	بروفانسيا : ٢٤٠ .
بلاد الجريد توزر : ١٢٦ .	بريتانيا : ٤١٢ ، ٣٢٩ .
بلاد الرافدين : ٢٣ .	بريطانيا : ٢٤ .
بلاد الشام : ٤٨ ، ٣٠ ، ٤٧٥ .	بزيوم : ١١٣ .
بلاد الغال (انظر فرنسا) .	بسرت : ٧١ .
بلاد ما بين النهرين : ١١٨ .	بسكرة : ١٢٦ .
بلاط الشهداء (معركة) : ٣١٨ ،	بسيط : ٤٠٠ .
٣٣٥ ، ٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٣٢	البشر : ١٠٣ ، ٦٢ .
٣٣٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧	البشكنس - الباسك : ٢٩٠ ، ٢٦٢ .
٤١٥ .	٣٧٠ ، ٣٦٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٠
بلاط لثريق : ٢٦٢ .	٣٧٥ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤
بلاط مفيث : ٢٨٩ .	٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦
بلبس : ٣٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٧ ، ٨٠	٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩
٨٦ ، ٨١ .	٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٤ ، ٥٢٦

- بليثيرة : ٤٧٨ .
 بلجيكا : ٧٨ .
 البلدة أو البيضاء : ٤٠٤ .
 بليث : ٦٩ .
 بلج : ٥٦٠ .
 بلغاريا : ١١ .
 البلقان : ١١ .
 بنسبة : ٢٨٥ ، ٣٨٦ ، ٤٨٧ ، ٥٥٢ ، ٥٦٢ .
 بيلوفا : ٢٩٠ .
 بيلوفا : ٢٦٢ ، ٣٧١ ، ٣٨٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤ ، ٤٢٧ ، ٤٥٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٧ ، ٥١٩ .
 بنزرت : ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ .
 بنسيو : ٢٨٤ .
 ببير (أم عبد الرحمن) : ٥٦٥ .
 بواتيه : ٣١٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٥٠ .
 بونة : ١٢٦ ، ١٧٥ .
 بورتو - البرتغال : ٣٦١ ، ٥٣٠ .
 بوردو : ٣٥٠ .
 بورشاد : ٤١٠ .
 بورغونيا (مملكة) : ٣١٨ ، ٣٤٢ .
 بوخير : ٦٢ ، ١٠٥ .
 بيترا - اميا : ٣٤٤ .
 بيجونت : ٣٣٨ .
 البيازين : ٥٥٣ .
 بياكرا : ٥٤٠ .
 البيرينيان : ٢٨٦ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ .
 بيرينيان : ٤١٠ .
 بيرة : ٢٤٢ ، ٢٧٠ .
 بيروت : ٥٥٢ .
 بيرا : ٥٤٩ .
 بينظلة : ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٣٣٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٤٠٩ ، ٤٦٧ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٠٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٦٤ .
 بيزيه (بيزيه) : ٣٥٩ ، ٤١٥ .

حرف التاء

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------------|
| تاجه : ٢٨٠ ، ٢٩٢ . | تاجس : ٢٨١ . |
| تادلا : ١٢٥ . | تافيتان : ١١٦ . |
| تارن : ٣٢٣ . | تاورية : ١٢٤ . |
| تارثا (بلد الوليد) : ٢٩٠ . | تتيس : ١٩ ، ٢٦ ، ٦٢ ، ١٠٥ . |
| تارودنت : ١٦٤ . | تهوذة (مركبة) : ١٣٨ ، ١٩٥ ، |
| تازا : ١٢٥ ، ١٢٩ . | ١٣٨ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، |
| تاكركا : ٤٠٢ ، ٤٣٥ . | ٤٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، |
| تامارون : ٤٥٧ . | ٢٥٧ ، ٣٣٣ . |
| تاهرت : ١٦١ ، ١٦٢ ، ٤٣٦ ، ٥٦٦ . | توته : ٤٢٩ . |
| تاية : ١٢٦ . | توج اصطخر : ١٣٧ . |
| تدمير : ٢٤٢ ، ٢٧١ ، ٣٥٥ ، ٣٩٣ ، | توذة : ٤٦١ . |
| ٤٠٢ ، ٤٢٧ ، ٤٨٧ ، ٥٥٤ . | تور : ٣٣١ ، ٣٥٠ . |
| ترانسلفانيا : ١١٨ . | تورتو . ٣٤٤ . |
| ترجله : ٣٩٤ . | تولوز : ٢٤٠ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٨٨ . |
| ترشيش : ١٨٦ . | ٢١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، |
| تركستان : ٢٣ . | ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ، |
| للثوية (مركبة) : ٣١٥ ، ٣٢٣ . | ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، |
| تسكانيا : ٥٧٣ . | ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، |
| طاية : ٣٥٢ ، ٣٩٠ ، ٤٠٦ ، ٤٢٣ ، | ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٥٨ ، ٤١٠ ، |
| ٤٢٤ ، ٤٨٢ ، ٤٨٦ ، ٤٩١ ، ٥٢١ . | ٥٠٦ . |
| تلسان : ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، | تولونية : ٣١٩ . |
| ٢٢٩ . | تونس : ٨ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، |
| تولونية : ٣١٩ . | ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، |
| تونس . ٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ٣٢١ ، | ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦٩ ، |

تونة : ١٠٥ ، ٦٢ .	١٩٢ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥
تيروان : ٣١٩ .	٢٢١ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٥ ، ١٩٣
تيمفاد : ١١٦ .	٤١٠ ، ٢٥٨ ، ٢٣٥ ، ٢٢٦
تينار (تايد) : ٢٨٠ .	٥٠٦ .

حرف الثاء

ثيبة : ٢٢ .	الثغر الأعلى : ٢٨٣ .
ثيوداد (رودريكو) : ٢٨١ .	ثغر نطية : ٤٨٧ .
	ثغر المريه : ٥٠٩ ، ٥٠٥ .

حرف الجيم

٥٣٧ ، ٤٦٤ ، ٤٦٢ ، ٤٥٦ ، ٤٥٣ .	الجابية : ١٠٧ ، ٤٤ .
جبال ببيان : ١٢٨ .	جامع اشبيليا : ٥٦٤ .
جبل برونيه : ٥٢١ .	جامع قرطبة : ٥٧٢ ، ٥٦٥ ، ٥٦٠ ، ٥٥٧ .
جبال جورا : ٣٤٢ .	جبات : ٤٠٢ .
جبال الريف : ١٢٩ .	جبال الأطلس (دون) : ١٢٦ ، ١٢٩ .
جبال الريف الساحليه : ١٢٩ .	١٦٣ .
جبال زعوان : ١٩٢ ، ١٨٤ .	جبال الالب : ٣٤٠ ، ٣٣٠ ، ٢٨٦ .
جبال السواحل : ٣٧٥ .	٣٤٥ .
جبال سييرا : ٢٣٩ .	جبال ايبيريا : ٢٣٩ .
جبل طويقال : ١٢٨ .	جبال ايتريللا : ٢٣٩ .
جبال طوروس : ٢٤ .	جبال البيرينه : ٢٨٦ ، ٢٨٥ ، ٢٣٩ .
جبال القصور : ١٢٨ .	٢٩٠ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣٠ .
جبال الكتلة المركزية : ٣٣٠ .	٣٣١ ، ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ .
جبال الكرمل : ٢١ .	٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ .
جبال كنتبريان : ٢٣٩ .	٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ ، ٤١٤ ، ٤٤٩ .

- الجبـال المـركـزية (ماسين سنترال) :
 . ٣٣٠
 جبـال مورينا : ٢٣٩ .
 جبـال نيفادا : ٢٣٩ .
 جبـال وارسونيس : ١٢٨ .
 جبـال الاحجار : ١٢٩ .
 جبـال ألبرقات (البرانس) (البيرينه):
 . ٢٨٦ ، ٣١٧ .
 جبـل أوراس (كتامه) : ١٢٥ ،
 . ١٢٦
 جبـل الخليل : ٢٩٤ .
 جبـل درن : ١٢٥ ، ١٢٦ .
 جبـل دمر : ١٢٦ .
 جبـل سلات : ١٢٦ ، ١٥٢ ، ٢٢٦ .
 جبـل زرهون : ١٦٣ .
 جبـل طارق : ٢٥٠ ، ٢٦٢ .
 جبـل القرن (انظر جبـل سلات) .
 جبـل كتامة : ١٢٥ ، ١٢٦ .
 جبـل مراسيه : ٥٣١ .
 جبـل المشتري : ٣٤٢ .
 جبـل موس : ٢٧٤ .
 جبـل الوسيط : ٥١٧ .
 جبـيل (جبيلو) : ١١٣ ، ٥٤٨ .
 جـرية : ١٥٠ .
 جـرجان : ١٣٧ .
 جـرمة : ١٥٣ ، ٢٢٧ .
 جـرنـدة : ٢٨٦ ، ٣٧٥ ، ٤٠٢ ،
 . ٤٠٤
 جـرنيق : ٤٠٠ .
 الجـزائر : ١٠ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
 ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥٨ ،
 . ١٧٧ ، ١٩٤
 الجـزائر الخالدات : ١٢٤ .
 الجـزر الايطالية : ٢٠٨ .
 جـزر الباليثار : ٢٠٩ ، ٢٥٨ ، ٤٠٨ ،
 . ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤٢٧ .
 جـزر البـحر الأبيض : ٢٠٩ ، ٣٤٧ .
 الجـزر اليونانية : ٢٠٨ .
 الجـزيرة : ٣٩ ، ١٢٣ ، ٤٧٥ ، ٥٠٩ .
 جـزيرة أوي : ٤١٢ .
 جـزيرة إيبريا : ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٦٦ ،
 . ٥٢٨
 جـزيرة جـرية : ٢٢٦ .
 الجـزيرة الخضراء : ١٦٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،
 . ٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٤٢٦ .
 جـزيرة شريك : ١٧٣ ، ٢٢٩ .
 جـزيرة الروضة : ٥٤ .
 جـزيرة طريف : ٢٦٠ .

جبلية : ٢٤٥ ، ٢٥٤ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ،
 ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ،
 ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ ،
 ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٥ ، ٤١٩ ،
 ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ،
 ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ،
 ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧٥ ،
 ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٥١٠ ، ٥٢٣ ،
 ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٤٠ ، ٥٤٧ ، ٥٥٥ ،
 ٥٧٣ .

جزيرة للمرب : ٣٧١ .
 الجزيرة العربية : ٢٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٩٠ ،
 ٩٣ ، ١١١ .
 جزيرة كريت : ٥٤٧ .
 جزيرة منورقة : ١٩٨ ، ٢٥٨ .
 جزيرة ميورقة : ١٩٨ ، ٢٥٨ .
 جلولا : ١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٢٦ .
 الجبل (موقعة) .
 جوزجان : ١٣٨ .
 جوفيه : ١٢٥ .
 جيان : ٣١٣ ، ٣٥٥ .
 جيلتنة : ٢٨٥ .

حرف الحاء

حصن بلقية : ٥٣٢ .
 حصن بيدر - البه : ٤٨٧ .
 حصن الحامه : ٥٢٣ .
 حصن دسة : ٥١٣ ، ٥١٤ .
 حصن ركلة : ٤٨٧ .
 حصن رنيق : ٥٢٤ .
 حصن صة (انظر حصن وخشمة) :
 ٥٢٦ .
 حصن شوش : ٥٢١ .

سبرون (الخليل) : ١١٢ .
 الحبشة : ٤٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٢٣ .
 الحجاز : ١٠٨ ، ١٤٥ ، ١٧١ ، ٢٣١ ،
 ٢٣٢ .
 الحديبية : ٤١ .
 حصن ابنيون : ٢٨٧ .
 حصن بارو : ٢٩٠ ، ٢٩١ .
 حصن برهون : ٥١٧ .
 حصن بلتيرية : ٤٩١ .

- | | |
|----------------------------------|----------------------------|
| حصن طرسونة : ٣٧١ . | حصن مهران : ٥٠٦ . |
| حصن غرماج (قلعة) : ٥١٥ ، ٥١٤ ، | حصن موبش : ٤٨٤ . |
| ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، | حصن موله : ٥٢٣ . |
| ٥٢١ . | حصن وخشمة : ٤٨٠ ، ٥٢٦ . |
| حصن قاشتر - مورش : ٤٨١ . | حصون جيان : ٥٦٨ . |
| حصن القبيبة : ٤٨١ . | حلب : ٥٤٨ ، ٥٥٠ . |
| حصن - قشتيل : ٤٢٧ . | حلاوة : ٦٦ . |
| حصن القلعة : ٤٠٢ . | حمام : ٥٤٨ . |
| حصن قلقره (انظر ركلة) : ٤٨٢ . | حمص : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٥٥ ، |
| حصن قلهره : ٤٨٣ . | ٥٤٨ . |
| حصن القليمة : ٤٧٩ . | الحنيس : ٦٩ . |
| حصن لقنت : ٥٧٠ . | حوض أكيانيا : ٣٣٠ . |
| حصن ليس : ١٦١ . | حوض بواتيه : ٣٣٠ . |
| الحصن لودون : ٢٨٧ . | حوض الرن : ٣٣٥ ، ٣٢٥ . |
| حصن مضا : ٥١٤ . | حوض الفرات : ١١٢ ، ٥٤٨ . |
| حصن منتاشة : ٥٦٨ . | حيفا : ٢١ . |
| حصن المتلون : ٥٦٨ . | |

حرف الخاء

خليج تونس : ١٢٨ .	خاور : ١٥٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢٧ .
الخليج العربي : ٢٣ .	خراسان : ٢٣١ ، ٢٣٤ .
خليج غريباد : ٢٣٧ .	خريبتا : ١٤٧ ، ٢٣٢ .
الختدق (معركة) أو (غزاة القدرة)	خربة وردان : ٣٨ ، ٦٩ ، ٨٨ .
٤٦٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ .	خليج الاسكندرون : ٢٣ .
خبخون : ٢٩١ .	خليج بنزرت : ١٢٨ .

حرف الدال

درة : ١٧٠ .	دات : ٦٢ ، ١٠٣ .
دققة : ٦٢ ، ١٠٥ .	دار السكة : ٥٦٤ .
الدلتا (دلتا النيل) : ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ،	دارايحرد : ١٣٧ .
٢٢ ، ٢٧ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٨٠ ،	دار الصناعة : ١٨٧ .
٨٨ ، ٩٠ ، ١٠٦ .	دار الناهورة : ٥٧٧ .
دلول : ٥٠٦ .	الدانمرك : ٥١٢ .
دمشق : ١١ ، ٣١ ، ٩٠ ، ١٨٩ ،	دانية : ٢٨٥ .
٢٢٩ ، ٢٥٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ،	دجلة : ٨١ .
٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،	دراغينفمان : ٣٤٤ .
٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،	درب الزقاق (وانظر مضيق جبل
٣١٢ ، ٣٢١ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ،	طارق : ٢٣٩ .
٥٥٠ .	درعة : ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٩٤ .
دمقة : ٢٢٥ .	درون (انظر جبل درن) .

دمياط : ١٠٥٠٦٢ .	دير جوسل : ٤١٥ .
دميرة : ١٠٥٠٦٢ .	دير حنا : ٥٥٤ .
دنقلة : ١٤٦ .	دير شنت بربه : ٥٣١ .
دوروستلا : ١١ .	دير ضجبل : ٤١٥ .
دوفيني : ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ .	دير القديس : ٤١٥ .
دوفينييه : ٣٦٠ ، ٣٥٣ .	دير قسطان : ٥٣١ .
ديحون : ٣١٩ .	دير كلوني : ٤٦٩ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ .
دير التريل : ٤١٦ .	دير مقاريوس : ٦٨ .

حرف الذال

الذاب : ١٢٥ .	ذو شرة : ٤٩٠ .
ذات الصواري : ٢٢٤ ، ١٤٧ ، ١٣٧ .	

حرف الراء

رأس شعرا : ١١٣ .	الرصافة : ٥٥٨ .
الرأس الطيب (جبل في تونس) :	رفع : ٨٢ ، ٤٧ .
١٢٨ .	الرملة : ١٠٧ ، ٥٥٢ .
رابية سرية : ٤٩٠ .	رنده : ٤٣٥ .
رادس : ١٨٧ .	الرها : ٥٥٠ ، ٣٩ .
الراين : ٣٢٠ .	روسيلون : ٢٨٦ .
رباطة ماسه : ١٢٥ .	روسيون (مقاطعة) : ٣١٧ .
الربض (معركة) : ٥٦٢ ، ٥٦١ .	الروضة : ٢٠٨ .

الرون : ٣٦٠ ، ٣٥٤ ، ٣٤٩ .	روما : ١١١ ، ٢٩ ، ٢٥ ، ٢٤ ،
رونيسفال : ٣٣١ .	١١٨ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣
الري : ١٣٧ .	١١٩ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
ريباجرسا : ٤٥٧ ، ٤٥٦ .	٢٤٠ ، ٢٨٨ ، ٣٨٨ ، ٤١٠ ،
ريتين (مرتفعات جبلية) : ٢٦٦ .	٥٢٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٨ .
رية : ٥٥٥ ، ٣٥٥ ، ٢٧١ .	روما الغربية : ١٢١ .
ريف الاندلسي : ٤٢٧ .	رومانيا : ١١٨ .
ريف طنجة : ١٩٦ .	رومل (معركة) : ٢٢١ .

حرف الزاي

زويلة : ٣٨ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ١٥٤ ، ٢٢٧ .	الزاب : ١٦١ ، ٢٥٧ .
زويلة (ابن خطاب) : ١٢٦ .	زبطرة : ٣٦٨ .
الزهراء : ٥٠٩ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ،	زغاوة : ١٢٤ .
٥٧٥ .	زلنقة (انظر ابرلنقة) .
الزهراء (زهراء أبي هاجر) : ٥٧٩ .	زوجتيان : ١١٣ .

حرف السين

سان برنارد الكبير (معبر) : ٣٤٢ ،	الساحل الإفريقي : ١٧٣ ، ١٩٤ .
٣٤٣ .	سافوا : ٣٣٩ ، ٣٥٤ .
سان بول : ٣٥٤ .	سامراء : ٤٧٤ .
سانس : ٣٢٥ .	سانت استيفان : ٤٦٣ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ،
سانتا ماريا : ٥٥٦ .	٥٢٦ .

٤٦٨ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥٠٠ ،

٥١٠ ، ٥١٤ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ،

٥٣٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ،

٥٦١ ، ٥٦٨ .

سرقوسة : ١٩٣ .

سكرة : ١٦٥ .

سلا (سلاكولونيا) : ١١٧ ، ١٢٥ .

سلس : ٣٦٧ .

سلطيس (سنطيس) : ٦٣ ، ٦٩ .

سلمقة : ٢٨١ ، ٤٩٩ ، ٥٢٤ .

سمورة : ٤٧٦ ، ٤٩٨ ، ٥٢٥ ، ٥٤٨ .

سنت استيفان : (وانظر سنت

استيفان) : ٤٧٧ .

سنت يافت : ٤٣٢ .

سنتره : ١٢٥ .

السند : ٢٣١ .

سهل بلنبو : ٥٣١ .

سهل تور : ٣٢٩ .

سهل المتيجة : ١٢٨ .

السهب العليا : ١٢٨ .

سهول بواتيه : ٣٣٠ .

السواحل الافريقية : ١٩٨ .

السواحل الايطالية : ٢٠٩ .

السواحل اليونانية : ٢٠٩ .

سبتانيا : ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٩ ،

٤١٥ .

سبتة : ١٢١ ، ١٩٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،

٢٦٢ ، ٢٩٥ ، ٥٠٦ .

سبرت : ٧١ ، ٨٣ .

سبو - و - ورغة (قصر فرعون) :

١٦٣ .

سيبطة : ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ٢٢٤ ،

٢٢٦ .

سجستان : ١٧٢ .

سجلماسة : ١٢٥ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ،

٥٦٦ .

سجن الملوك : ١٩٥ .

سجومة : ١٩٥ ، ١٩٦ .

السدة : ٥٧٧ .

سرت : ١٢٦ ، ١٥٣ ، ١٧٧ ، ٢٣٥ .

سردانية : ١٣٠ ، ١٩٨ ، ٢٩٥ ،

سردينيا : ٢٥٨ ، ٤١٠ ، ٤١١ .

سرطانية : ٤٠٤ .

سرسطة : ٢٥٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٦٤ ،

٣٧١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ،

٣٩٠ ، ٤٠١ ، ٤٤٩ ، ٤٥٩ ،

سوسة : ١٢٦ ، ١٥٠ ، ١٨٤ ، ٢٢٦ ، ٤١٠ .	سواسون (معركة) : ٣١٩ ، ٣٢٠ .
سوق الحمام (في بابلون) : ٥٨ .	السواقي : ٢٨٣ ، ٢٨٢ ، ٢٨١ ، ٢٥٣ .
سويسرا : ٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ .	سوبراني : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .
سويقة ابن مشكوره : ١٢٦ .	السودان : ٢١ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ، ٢٢٧ .
سياترون : ٣٤٤ .	سوريا : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١ ، ١١٢ ، ٣٦٨ .
سيفية فيشيا : ٤١٠ .	السوس : ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٦٢ ، ١٦٤ .
سيانقة : ٥٢٦ .	السوس الأدنى : ١٩٦ .
سيناء : ٢١ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٨٢ .	السوس الأقصى : ١٩٦ .

حرف الشين

٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٩٤ ، ٣٠٠ .	الشاوية : ١٢٨ .
٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٥٤ .	شاطبة : ٢٨٥ .
٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٤٠٩ .	شالون : ٣٢٥ .
٤١٠ ، ٤٧٤ ، ٥٤١ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ .	الشام : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .
٥٥٩ ، ٥٧٢ .	٤٦ ، ٤٩ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٩ .
شبه جزيرة سيناء (انظر سيناء) : ٢٠ .	٩٤ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .
شبه جزيرة شريك : ١٥٨ .	١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٤٧ .
شبه الجزيرة العربية : ٢٠ ، ٤٧٤ .	١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .
شذونه : ٢٦٧ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٣٥٥ .	١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٨٩ .
٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٢٧ ، ٥٥٥ .	٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٣١ .
٥٦٨ .	

- | | |
|------------------------------|-------------------------------|
| شنت بريه : ٤٠٢ ، ٥٥٦ . | شرقي الأردن : ١١٢ . |
| شنترين : ٢٩٢ ، ٤٩٧ . | شريس : ٣٥٥ ، ٥٦٨ . |
| شنت مارية : ٥٦٨ . | شطا : ١٠٥ . |
| شنت مانكش : ٥٣٢ . | شمعوبية : ٤٧٦ . |
| شنت ياقب : ٤٦٨ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، | شنتبارية : ١٦٩ ، ١٨٤ . |
| ٥٢٩ ، ٥٣٢ ، ٥٣٧ ، ٥٤٨ ، | شنتدة : ٢٦٣ . |
| ٥٧٩ . | شلب : ٥٥٢ . |
| شندلة : ٤٢٣ . | شنتقة : ٤٧٦ ، ٤٩٩ ، ٥٢٤ . |
| شوذر : ٥٦٨ . | شنت - اشتين (انظر سانت |
| شيه : ٢٩٠ . | استيفان) : ٤٦٣ ، ٤٩٠ ، ٥١٠ ، |
| شيرز : ٥٤٨ . | ٥٢٠ ، ٥٢٦ . |

حرف الصاد

- | | |
|--|------------------------------|
| صخرة قيس : ٣٩٠ ، ٤٨٩ . | صبراته : ٢٣٠ . |
| صطفورة : ١٧٤ . | صحراء الشمال : ٤٨٢ . |
| الصميد : ١٨ ، ٤٨ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ١٠٣ ، ٢٢٣ . | الصحراء العربية : ١٨ . |
| صفر : ١٥٥ . | الصحراء الكبرى : ١٢٢ ، ١٢٣ ، |
| صفين : ٢٣٢ . | ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ . |
| صقلية : ١٤٨ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ، | الصحراء الليبية : ١٨ . |
| ١٩٨ ، ٢٠٩ ، ٢٢٦ ، ٢٥٨ ، ٢٩٥ . | صحراء نيسر : ١٢٤ ، ١٢٥ . |
| صور : ٢٣ ، ١١٣ . | الصخرة : ٣٧٥ ، ٣٧٧ . |
| صيدا (صيدون) : ١١٣ . | صخرة اينيون : ٢٨٧ . |
| الصين : ٣٤٥ ، ٣٦٨ . | صخرة بلاي حصن : ٣٤٩ . |

حرف الضاد

الضهرة التونسية : ١٢٧ ، ١٢٨ .

حرف الطاء

طلياطه : ٤٠٨ .	الطالقان : ١٣٨ .
طلفكة : ٤٥٨ .	طبرستان : ١٣٧ .
طليطة : ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١	طينة : ١٦٤ .
٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢	طخارستان : ١٣٨ .
٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩	طرابلس : ٢٢٤ ، ٥٥٢ .
٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣١١ ، ٣٥٢	طرابلس الغرب : ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢١
٣٧١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤	١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٨
٤٠١ ، ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤	١٥٠ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، ٢٢٧
٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩	٢٣٢ .
٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٨ ، ٥١٠	طراجة : ٤٢٤ .
٥٢٤ ، ٥٣٨ ، ٥٤٦ ، ٥٥٦ ، ٥٦٠	طراكونة : ٢٨٤ ، ٣٨٩ ، ٤٠٩ .
٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٧ ، ٥٧١	طرطوس : ٤٠٩ .
٥٧٧ .	طرطوشة : ٢٨٥ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩
طنجة : ١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٥٨ ، ١٦٢	٣٩١ ، ٤٠٩ ، ٤٢٧ .
١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧	طركونة : ٥٧٣ .
٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٧٤	طرونوط : ٦٢ ، ٦٣ .
٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ .	طريق جيان : ٢٧١ .
طيبة : ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ١٠٣ .	طليبة : ٢٨٠ ، ٣٧١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥
	٤٦٣ ، ٤٧٧ ، ٥٦١ .
	طلوشة (تولوز) : ٢٨٦ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠ .

حرف العين

عقوبة (مركبة) : ٨ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ،	المبابة : ٢٥٦ ، ٣٣٥ ، ٤٧٣ ،
١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٠٧ ،	٤٧٤ .
٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٢٤ .	المدوة : ٥٧٦ .
عكا : ١١٢ .	عدوة المغرب : ٤٤٨ ، ٥٢٩ ، ٥٦٦ ،
عكاظ : ٩٨ ، ٢٢٧ .	٥٨٠ .
العلياء : ٥٥٤ .	عدوة نهر شقندة : ٢٦٩ .
عمورية : ١٠ ، ٣٦٨ .	العراق : ٣٩ ، ٤٥ ، ٧٩ ، ٩٦ ، ١٧٢ ،
عمان : ٣٣ .	١٨٩ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٩٥ ،
عين تمر : ٢٩٤ .	٥٦٤ .
عين زربه : ٥٤٧ .	العراقيين : ٢٣١ ، ٢٩٥ .
عين شمس : ٤٠ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٨٠ ، ٨٣ ،	العرايش : ١٢٥ .
٨٨ ، ١٠٣ .	عرفت : ٣٤١ .
عين الطيب (آنتيب) : ٣٣٧ ،	العريش : ٤٧ ، ٤٨ ، ٨٢ .
٣٥٤ .	عسلان : ١١٢ ، ١٤٧ ، ٢٢٤ ،
عيون أبي المهاجر : ١٦٠ .	٣١٢ .

حرف الفين

غدامس : ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ،	غاسقوينا : ٣٩٠ .
٢٢٧ .	غاسكونيا (انظر الجاشفين) : ٤٠٥ .
غدوة المغرب : ٣٦١ ، ٥٢٤ .	غاليا - أو بلاد الغال (انظر فرنسا) .
غرادوس : ٥٥٠ .	غانه : ١٢٤ .

غزة : ١١٢ .	غرماج : ٥١٢ ، ٥١١ ، ٥٠٩ ، ٤٦٨ ، ٥١٣
غزوة الصائفة : ٣٨٥ .	٥٢٠ ، ٥١٣ .
غسكونيا : ٣٤٠ ، ٤٦٠ ، ٥٣٩ .	الفرماء : ٨ .
الغيران : ٤٨٨ .	غرناطة : ٥٦٨ ، ٥٥٣ ، ٢٧٠ .
غمار : ١٦٢ .	غرونويل : ٣٤٣ ، ٣٤١ .

حرف الفاء

فج هرقة : ٤٩٠ .	الفاربا : ٨٢ .
فحص البركة : ٥١٤ .	فلرس : ٢٣ ، ٢٢ ، ١٢ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ .
الفخارين : ٤٠٨ .	٩٤ ، ٩٠ ، ٨١ ، ٧٩ ، ٤٧ ، ٣١ .
الفرات : ٥٥٤ ، ٢٥ .	٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٢١٤ ، ٢٠٥ ، ١١١ .
فراكسينيت (حصون) : ٣٤٠ ، ٣٣٨ .	فارس البري : ٣٣٤ .
٣٤٤ .	فاس : ٥٠٥ ، ١٨٨ ، ١٧٠ ، ١٢٥ .
فرطارش (انظر فلطارش) : ٥٣١ .	فالحيش : ٤٨٨ .
الفرما : ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٠ ، ٣٧ .	فالانس : ٤٢٧ ، ٣٥٤ .
٨٦ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٤٩ .	فاليه : ٣٤٢ .
فرنسا (بلاد الفال) : ٢٤ ، ١٠ .	فاندالوسيا (وانظر الأندلس) : ١١٩ .
٢٩٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٦ ، ٢٤٠ ، ١١٨ .	فج برذيش : ٤٣٠ .
٣٢٠ ، ٣١٩ ، ٣١٨ ، ٣١٧ ، ٣١٥ .	فج طارق : ٢٩٦ .
٣٣٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٢٣ .	فج طليارش : ٥٣٢ .
٣٤٩ ، ٣٤٦ ، ٣٤٥ ، ٣٣٩ ، ٣٣٨ .	فج المركوير (انظر مضيق المركوير) :
٣٦٧ ، ٣٦٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٠ .	٤٨٨ .
٣٩٤ ، ٣٩٠ ، ٣٨٤ ، ٣٧٥ ، ٣٦٨ .	فج موسى : ٢٩١ .

الفوكلوز ٢٨٦ .	٣٩٩ ، ٤١١ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧
فونتينوي : ٤٧٢ .	٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٥٢٦ ، ٥٣٦ ، ٥٣٩
فوييه : ٣١٩ .	٥٥١ .
فيلدانيا : ٣٧٤ .	فريحيوس : ٣٦٨ .
فيزو : ٣٦١ .	فزان : ١٢٤ ، ١٥٣ ، ٢٢٧ .
الفيستول : ١١٩ .	فسا : ١٣٧ .
فينيقيا : ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٢ ،	فلطارش : ٥٣١ .
٢٤٦ .	فلسطين : ٤٣ ، ٤٤ ، ٩٩ ، ١١٢ ،
الفيوم : ٤٠ ، ٦٢ ، ١٠٣ .	٢٤٧ ، ٣٥٥ ، ٥٤٩ .
فيتنام : ١٠ .	فمبا (ملك) : ٢٤٤ .

حرف القاف

قبطيل : ٤٠٨ .	قابس : ١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٧٦ ، ١٨٢ .
القدس (البيت المقدس) : ١٥ ، ٢٢ ،	القادسية : ١٢ ، ٣٩ ، ١٦٥ .
٢٣ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،	قادس : ٤٠٧ .
٣٣ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٩٤ ، ١٠٧ ،	قادش : ٢١ ، ٢٧ .
١٠٨ ، ١٢١ ، ٥٢٨ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ،	قارس : ٥٤٩ .
٥٥٢ .	القاهرة : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .
قرب المرائش (لكوس) : ١١٥ .	قامونة : ٥٢٦ .
قرجيطه : ٥٣١ .	قبر القديس يعقوب : ٥٢٨ .
قرطاجنة : ٢٤ ، ١٠٩ ، ١١١ ،	القبر المقدسي (في كنيسة القيامة) : ٣١ .
١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٥٨ ،	قبرص : ١٠٧ ، ١٣٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٤ ،
٢٨٦ .	٥٤٨ .

٥٥٣، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٩، ٥٦٠،

٥٦٢، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧،

٥٧٠، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٦،

٥٧٧، ٥٧٨.

قرقستال : ٤٨٨.

قرقشونة : ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٢٥،

٣٤٩.

قرمونة : ٢٧٦، ٥٦٨.

قسطيلية : ١٨٣.

القسطنطينية : ١٠، ١١، ٢٥، ٣٠،

٣١، ٩٢، ١٣٣، ١٥٠، ١٥٦،

١٥٨، ١٧٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٣٠٠،

٣٥٩، ٣٦٨، ٤٧٥، ٥٤٧،

٥٧٢.

قسنطينية : ١٢٥، ١٣١.

قشتالة القديمة : ٢٨٩، ٢٩٠، ٤٥٦،

٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦١، ٥٠٢،

٥٠٣، ٣٠٤، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٣،

٥١٤، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٢٨،

٥٣٩، ٥٥١، ٥٧٣.

قصبية كوار : ١٥٤.

قصر أبي دانس : ٥٢٩، ٥٣٠.

قصر فارس : ٦٦.

قصر كتامة : ١٢٥.

قرطاجنة : ١١٩، ١٢٠، ١٢٢،

١٢٤، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٢،

١٤٩، ١٥٨، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤،

١٧٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥،

١٨٦، ١٨٨، ٢٠٦، ٢١١، ٢٢٨،

٢٣٥، ٢٤٠، ٥٧٢.

قرطاجنة : ٣٨٤، ٤٠٩.

قرطبة : ٢٤٣، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣،

٢٦٩، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣١٢،

٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٤، ٣٦٧،

٣٦٨، ٣٧٤، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٢،

٣٩٣، ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٣،

٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١١،

٤١٢، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٢،

٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩،

٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢،

٤٥٥، ٤٧١، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨،

٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٨،

٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٦، ٤٩٧،

٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣،

٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨،

٥٠٩، ٥١٠، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦،

٥١٧، ٥١٨، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥،

٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠،

٥٣٤، ٥٣٥، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٤٥،

- قصور حسان : ١٧٧ ، ٢٣٥ .
 قضاة : ٣٤٨ .
 قطوية : ٥١١ .
 قفصة : ١٢٦ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ،
 ١٨٣ ، ٢٢٤ .
 قلشانة : ١٦٨ .
 القلاع : ٤٠٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ ،
 ٤٨٠ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ ،
 ٥٦٧ .
 قلعة ابن الياس : ٥٦٨ .
 قلعة أرب : ٢٨٣ ، ٤٩٦ .
 قلعة بسر : ٣٣ .
 قلعة جابر : ٢٧٦ .
 قلعة حزم : ٣١٣ .
 قلعة رباح : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٥٢٣ .
 قلعة غرماج : ٥٢١ .
 قلعة النهر : ٤٥٨ .
 قلورية : ٢٩٢ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ .
 قليرة : ٤٩١ ، ٥١١ .
 قلونية : ٤٦٣ ، ٤٨٢ .
 قمونية : ١٥٠ ، ٢٠٤ ، ٢٢٦ .
 قناة السويس : ٨١ .
 قنسرين : ٣٥٥ .
 القواصر : ٣٧ ، ٤٩ ، ٨٠ .
 قورة : ٤٠٨ .
 قورية : ٥١٠ ، ٥٣٠ .
 القوط : ٤٤٨ .
 قومس : ١٣٧ .
 قونية : ٣٣ .
 قويمرة : ٣٧١ .
 القيروان : ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ،
 ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
 ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،
 ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ،
 ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،
 ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٣٦٨ ،
 ٤٠٩ ، ٥٦٩ .
 القيروان الجديدة : ١٥٧ .
 قيسارية : ٤٥ ، ٤٩ ، ١٠٢ .
 قيسرية (وانظر قيسارية) : ٤٥ ، ٤٩ .
 قيلقيا : ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ .

حرف الكاف

٥٥٢ ، ٥٤٠ .	كاثولوني : ٣١٩ ، ٣٦٠ ، ٤٠٠ .
كنتبريه : ٢٩٠ .	الكاروليخية : ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ،
كندة : ٥٦٠ .	٣٧٥ ، ٣٨٥ ، ٣٩٩ ، ٤١٠ ،
كنيسة الحرقى : ٢٦٩ .	٤٧٢ ، ٤٧١ .
كنيسة روما : ٣٣ .	كاركاسون : ٣٤٩ .
كنيسة القيامة : ٣١ .	كامبري : ٣١٩ .
كورسيكا : ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ .	كاني : ١١٤ ، ٢٨٦ .
كورة البيرة (جيان) : ٥٥٥ ، ٥٦٠ .	كاوار : ٢٢٧ .
الكوفة : ٩٠ ، ١٧٢ ، ٢٩٤ .	كتالونيا : ٣٩٠ .
كولوني : ٣١٩ .	كتندة : ٥٥٢ .
كوم حمادة : ٦٣ .	كرتش : ٢٤٣ .
كوم شريك : ٦٣ .	كرمان : ١٣٧ .
كومبو سنيللا : ٥٣٧ ، ٥٣٩ ،	الكرنك : ٢٢ .
٥٤٨ .	الكريون : ٣٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ،
كوميان : ٤١١ .	٦٦ ، ٧٠ ، ٨٨ .
كيليكييا : ١١٢ .	كفر ماري : ٢٩٤ .
كيف : ١١ .	كلوزوتير : ٨٤ .
	كلير مونت (اجتماع) : ٥٣٨ ،

حرف اللام

لوزيتانيا : ٤٥٨ .
 لوشة : ٥٥٢ .
 لومبارديا : ٣٣٦ ، ٥٤٩ .
 ليبيا (وانظر بلاد برقة) : ٢٥ ، ٨ ،
 ٧٢ ، ٤٨ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ٢٣٠ .
 الليجيون الثالثة : ١١٦ .
 ليرين : ٣٥٤ .
 ليموزين : ٣٢٩ .
 ليون (لودون) : ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
 ٣١٧ ، ٣٣٠ ، ٣٤٠ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ،
 ٣٩٩ ، ٤٠٤ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ،
 ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ،
 ٤٦٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ،
 ٤٨٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ،
 ٤٨٥ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٥٠١ ،
 ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٤ ،
 ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ،
 ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٧ ،
 ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٣ ، ٥٤٨ ، ٥٥١ ،
 ٥٧٧ .

اللائقية : ٥٤٨ .
 لاردة : ٢٨٤ .
 لامبيز : ١١٦ ، ١١٧ .
 اللاندوك : ٢٨٦ ، ٣١٧ ، ٣٥٣ ،
 ٣٥٩ ، ٤١٥ .
 لبلة : ٢٧٩ ، ٢٩٢ ، ٥٥٦ .
 لبنان : ٢١ .
 لشبونة (لأشبونة) : ٢٤٢ ، ٤٠٦ ،
 ٤٠٧ ، ٥١٢ ، ٥١٣ .
 للين : ٤٨٩ .
 لفتت : ٢٧٧ .
 لك : ٢٩٠ ، ٢٩١ .
 لتونة : ١٦٣ .
 لنبيرة : ٤٨٩ .
 لنغدوك : ٣٣٩ .
 لواتة : ٢٢٧ .
 اللوار : ٣٦٧ .
 لوبية : ١٧٦ .
 لوتارنجيا : ٤٧٢ ، ٤٧٣ .
 اللورين : ٣٦٧ ، ٤٧٢ .

حرف الميم

مخاضة الفتح : ٤٧٩ .	ماء لفرس : ١٥٤ .
المداخن : ٣٩ .	ماردة : ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٥٣ ،
المدور : ٢٦٨ .	٢٨١ ، ٣٩١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ،
مدينة الجزيرة : ٥٠٦ .	٤٦٣ ، ٤٧٧ ، ٥٤١ ، ٥٥٣ ،
مدينة سالم : ٢٩٦ ، ٢٨٣ ،	٥٥٩ ، ٥٦٢ .
٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٥٨ ، ٤٨٠ ، ٥٠١ ،	ماغلون : ٣٥٩ .
٥١٤ ، ٥٢٧ ، ٥٣٦ ، ٥٧٦ ،	ماكون : ٣٢٥ .
٥٨٠ .	مالاكا : ٥٥٣ ، ٥٠٨ .
مدينة الفرنج : ٤٧٩ .	مالقة : ٣٥٥ .
مدينة المائدة : ٢٧٢ .	مازيكرت : ٥٥٠ .
مدينة المفرج : ٤٨٠ .	المائدة المراكشية (مضاب) : ١٢٨ .
المدينة (المنورة) : ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٩ ،	محة اسارية : ٤٩٠ .
٧٠ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠١ ، ١٠٥ ،	المحيط الأطلسي : ١٢١ ، ١٢٧ ،
١٠٧ .	١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٦٣ ، ٢٠١ ،
مراكش : ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،	٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ،
١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،	٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٣٣٠ ،
١٣٠ ، ٢٠٩ .	٥١٣ ، ٥٢٩ ، ٥٣١ .
مراقبة : ١٧٧ .	المحيط الهندي : ٢٣ .
مرج راهط : ١٦٦ ، ٢٩٤ ، ٣٠٨ .	مجانة : ١٧٥ ، ١٩٧ ، ٢٣٢ .
مرسيه . ٣٩٣ ، ٥٤١ ، ٥٥٣ .	مجالات العرب : ١٢٦ .
مرس : ١٨٧ .	مجدل : ٨٠ .
مرسيليه : ٣٦٨ .	مجدو (قل التسم) : ٢١ ، ٢٦ ، ١١٢ .

٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤
 ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٣ ،
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ،
 ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ،
 ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ،
 ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،
 ١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ١٧٢ ،
 ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
 ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٥٥ ،
 ٣٦٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٥٠٤ ،
 . ٥٥٠

مصر السفلى الوجه البحري : ١٩ .
 مصر العليا (الوجه القبلي) : ٢١ ، ١٨ ،
 ٢٢ ، ٢٧ .
 مصطيلية : ١٥٥ .
 مضيق جبل طارق : ٢٣٩ .
 مضيق الفج : ٤٢٩ .
 مضيق المراكين : ٤٣٠ ، ٤٨٨ .
 مطونيه : ٤٧٩ .

مرسين : ٤٧٢ .
 مرعش : ٥٤٧ .
 مركوين : ٤٣١ ، ٤٢٩ .
 مروالروذ : ١٣٨ .
 مرونته : ٣٣١ .
 المريه : ٤٠٩ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ،
 ٥١٣ ، ٥٥٢ .
 مزاة : ١٥٥ .
 مسانقه : ٤٢٩ .
 مسجد الرايات : ٢٧٤ .
 مسجد الرحمة : ٧٤ .
 مسجد ريينه : ٣٠٠ .
 مسالة : ٤٣٥ .
 مسوفة : ١٦٤ .
 المسية : ١٢٥ .
 مصر : ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٥ ، ١٢ ، ٩ ، ٨ ،

٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ،
 ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
 ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ،
 ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
 ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ،
 ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
 ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،
 ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ،

مقدونيا : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ١١١ .	المقتس : ٦٦ .
مقرة : ١٤٦ .	مقام : ٢٨٣ .
مكة : ٤٣ ، ٤٤ ، ١٠١ ، ١٠٥ .	مفراوة : ١٦٣ ، ٥٧٦ .
٢٢٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٨ ، ٤٧٤ .	المغرب : ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ،
مكران : ١٣٧ .	١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
مكتاس : ١٧٠ .	١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٥٤ ،
مكتاسة : ١٢٥ ، ١٧٦ ، ٥٠٥ .	١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،
٥٥٥ ، ٥٧٦ .	١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ،
الملاحه : ٤٣٠ .	١٨٩ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ،
ملوية : ١٦٩ .	٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،
مليلة (روسادير) : ١١٥ .	٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٤٨ ، ٤٩٧ ،
مس (معركة) : ١٣٦ ، ١٣٨ ،	٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ،
١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٢٢١ ،	٥١٠ ، ٥١٥ ، ٥٢٦ ، ٥٨٠ .
٢٣٤ .	المغرب الأدنى : ١٢٤ ، ١٢٦ .
منبج : ٣٣ .	المغرب الأقصى : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
منت ساروط : ٤١٣ .	١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ،
منف : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٦ .	٢١٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
منورقة : ٢٩٥ .	٤٧٥ ، ٤٩٥ ، ٥٥٥ .
المهدية : ١٢٦ .	المغرب الأوسط : ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ،
موبش : ٤٦٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ .	١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،
موريتانيا : ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٣٠ .	١٩٦ .
مورطانية : ٢٤٨ .	المغرب العربي : ١٢٧ ، ١٣٠ .
مورور : ٥٥٥ .	مقداش : ١٥٢ ، ١٥٣ .
مورين : ٥٦٨ .	مضيلة : ٥٥٥ .

- نهر قورمس : ٤٥٨ .
- نهر التيتار : ٢٨٠ .
- نهر الدانوب : ١١ .
- نهر دوبره : ٤٩٩، ٤٧٨، ٤٧٦، ٤٣٠ .
- نهر دوردونيا : ٣٣١ .
- نهر دورو : ٣٦١، ٢٣٩ .
- نهر دوبره : ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦١ .
- ٤٦٢، ٥١٧، ٥٣٠ .
- نهر ردونة انظر نهر الرون .
- نهر الرون (ردونة) : ٣٥٣، ٢٨٦ .
- ٣٩٤ .
- نهر الغاريان : ٢٣٩ .
- نهر الفارون : ٣٣٠، ٣٣١ .
- نهر غاريغليانو : ٣٢٠ .
- نهر قرطبة : ٥١٢ .
- نهر الكيفير : ٢٣٩ .
- نهر لاردة : ٢٤٢ .
- نهر لوار : ٤١٢ .
- نهر ملوية : ١٩٦ .
- نهر منهو : ٤٣١، ٥٣١ .
- نهر مينهو : ٢٣٩ .
- نهر النيل : ١٨، ٥٤، ٥٦، ٦٣ .
- نوايه : ٣٤٣ .
- النوبة : ٥٩، ٧٤، ٨٠، ٢٢٤، ٢٢٥ .
- ٢٢٧ .
- لوسارازيه : ٣٣٦، ٣٥٧ .
- لول : ١٢٥ .
- لوميديا : ١٣٠ .
- نيس (وانظر نيقية) : ٣٤١، ٣٦٠ .
- ٤١٠، ٤٢٧ .
- نيسجستان : ١٣٧ .
- نيقية وانظر نيس : ٣٣، ٣٤١، ٣٦٠ .
- ٤١٠، ٤٢٧ .
- نينوى : ٣١ .
- نيغي : ١٣٦، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠ .
- نيم : ٣٥٩، ٤١٥ .

حرف الهاء

هانيبال - هانيبل : ٢٨٦ .	همدان : ١٣٧ .
الخصبة الإيرانية : ١٢ .	هنين : ١٢٥ .
ملقب : ٤١٣ .	هواره : ٢٢٧ .
الهند : ٢٣ ، ٣٤٥ ، ٣٦٨ .	أبر الهول : ٢٠ ، ٢٦ .

حرف الواو

الواحات الداخلية : ١٢٥ .	٤٨٢ ، ٥١١ .
وادي ابرة (رعواق) : ٢٧٦ ،	وادي ردونة : ٢٨٧ ، ٢٩٦ .
٤٨٣ .	وادي الرون (وانظر أردونة) :
وادي اردونة : ٢٩٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ،	٢٩٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ، ٣٩٤ ،
٤٢٧ ، ٣٩٤ .	٤٢٧ .
وادي الأروكامبو : ٢٨٠ .	وادي سليط : ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ .
وادي انه : ٢٨٠ .	وادي السند : ٢٣ .
وادي أوسط : ٣٤٢ .	وادي شلب : ٥١٣ .
ولدي بيونه : ٣٧٦ .	وادي شوش : ٣١٣ .
الوادي الجوفي : ٣٦١ .	وادي شوش ارملاط : ٥١٦ .
وادي الحجارة : ٢٧٢ ، ٢٨٣ ،	وادي غارون : ٣٢٣ .
٢٩٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٥٢ ،	وادي القرى : ٢٩٥ .
٤٢٩ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ .	الوادي الكبير : ٥١٣ .
وادي درعة : ١٩٦ .	وادي لكه : ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ،
وادي دويرة : ٤٨٠ ، ٤٨١ ،	٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٩٦ .

- | | |
|-------------------------------------|----------------------------------|
| • ٢٣٢ ، ٢٢٧ | وادي مجردة : ١٢٩ . |
| • ٣٨٩ : وشنة | وادي المعرض : ٢٨٠ . |
| • ٥١١ ، ٢٨٤ : وشقة | وادي ملوية : ١٢٥ ، ١٩٤ ، ١٩٥ . |
| • ١٨٣ : ونفزاوة | وادي النيل : ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، |
| • وقعة الخندق (معركة) : ٤٣١ ، ٤٢٩ | • ٢٠ ، ٢٦ ، ١٤٦ . |
| • الولايات المتحدة الأمريكية : | وادي موسى : ٢٨١ . |
| • ١٠ ، ٩ | وادي نهر النالون : ٢٩٠ . |
| • ١٧٠ ، ١٦٣ : وليلي (ولي) | وادي هيفة : ٤٨٨ ، ٤٨٩ . |
| • ١٢٥ : وهران | ودان : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، |

حرف الياء

- | | |
|-----------------------------------|---------------------------------------|
| • ٤٠٢ : اليانية | • ٢٩٢ : يابرة |
| • ٥٥٨ : اليمنية | • ٤٠٨ : يابسة |
| • اليمن : ١٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٣٥٠ ، | • ١١٢ : يافا |
| • ٣٥٥ | • ييوس (مملكة) (وأيضاً القدس) : |
| • اليونان : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ١٨٦ ، | • ١١٢ |
| • ٢٦٥ | • يثرب : ١٠٤ . |
| | • اليرموك : ٨ ، ١٢ ، ٣٩ ، ١٠١ ، ٢٣٠ ، |

٢ - فهرس الشعوب والقبائل والفرق والجماعات والاديان والمذاهب

حرف الألف

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| إسبان : ١١٣ ، ٣٠٨ ، ٥٤٤ . | الافاريون : ٣٧٣ . |
| الأسرة البارثية : ٢٣ . | آل الزبير : ١٦٦ . |
| الأعاجم النصرانية : ٣٠٠ . | الالامان : ١١٧ ، ١١٩ ، ٣١٨ ، |
| الاغالبه : ٤١٠ . | ٣١٩ ، ٣٣٦ ، ٣٥٧ . |
| الأفارقه : ١٢٢ ، ١٧٣ ، ١٧٩ ، | الالانيون شعوب : ٢٤٠ . |
| ٢١٧ ، ٢١٨ . | أبناء جفنة : ٢٣٤ . |
| الافرنج (الميروفيحيون) (وانظر | ابناء ذوي التون : ٤٨٦ . |
| الفرنج) : ١١٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٨ ، | الأتراك : ٢١٨ . |
| ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، | الأنثوبيون (الأجباش) : ٢٢ ، |
| ٣٥٠ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، | ٢٧ ، ٢٩ . |
| ٤١١ ، ٤٥٨ . | الأدراسة : ٥٠٥ . |
| أفري : ١٢٤ . | أداسة : ١٢٣ . |
| الافريقيون : ١١٥ ، ١١٧ ، ١٣٢ . | الاردمانيون : ٤٠٧ . |
| الاكتانيون : ٣١٩ . | الأرثوذكس (مذهب مسيحي) : |
| الامريكيون : ٨٣ ، ٨٨ . | ٣٣ ، ٣٤ . |
| الامويون : ٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، | أزكار : ١٢٤ . |
| ٢٣٤ ، ٣٠١ ، ٣٢١ ، ٣٣٥ ، | الأريك : ٢٤٠ . |
| | أزداجه : ١٢٣ . |

الانصار: ١٠١، ٩٨، ١٠٦، ١٤٧، ٢٥٢.	٤٠٨ ، ٣٧٠ ، ٣٦٨ ، ٣٦٥
أوربة : ١٢٣ ، ١٥٩ ، ٢٢٩ .	٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٥٠٢ ، ٥٥٥ .
أوريفة : ١٢٣ .	أندلسيون (اندلسيا) (فاند
أولاد غبطة : ٣١١ .	الوسيون) : ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٧٨ ،
الايبريون : ٢٣٩ .	٣٨٥ .

حرف الباء

١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٤	البابليون : ١١٢ .
١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١	الباجويون : ١٢٤ .
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٩	البارثيون : ١١٨ .
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١	الباغاريون : ٣١٩ ، ٣٣٦ ، ٣٥٧ .
٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٥	البار : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٨٣ ،
٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧	١٩٤ .
٢٥٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٣٠٨ ، ٣٥٤	البعجة : ١٤٦ .
٣٦٢ ، ٤٣٦ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠	البرابرة : ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ،
٥٠٥ ، ٥٠٩ ، ٥٢٤ ، ٥٥٦ .	٢٦٠ ، ٤١٦ ، ٥٨٠ .
البربر المملون : ١٧٩ .	برابرة الشمال : ٣٤٦ .
البريتون : ٣١٨ ، ٣١٩ .	البرانس - و - أوربة : ١٧٠ .
البشاكسة : ٤٥٣ .	البرانس : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ،
البطالسة : ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥	١٨٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ .
٢٧ ، ٢٩ ، ٣٤ .	البربر : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،
بلدية (عرب الحجاز) : ٣٥٥ ، ٥٠٧ .	١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ،
بنو إدريس : ٥٧٦ .	١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
	١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،

بنو أمية : ٢٩٤ ، ٣١٧ ، ٣٣٥ ، ٥٥٤ ، ٥٦١ .	بنو كلاب : ٤٤ .
بنو الحارث بن عبدمناة بن كنانة : ١٠٢ .	بنو لب : ٤٨٦ .
بنو حزم : ٣١٣ .	بنو لؤي الأكبر : ١٢٣ .
بنو حفصون : ٥٧٠ .	بنو مخزوم : ٣٠٩ .
بنو خزر : (ملوك تلمسان) : ١٤٥ .	بنو مدرار : ٥٦٥ .
بنو ذي النون : ٤٨٦ ، ٤٩١ .	بنو مدالج : ٧١ .
بنو عامر : ٣٤٤ .	بنو مروان : ٥٠٧ .
بنو العباس : ٣٣٤ .	بنو مقيث : ٢٩٨ .
بنو عصام : ٥٠٥ .	بنو هابيل : ٥٦٨ .
بنو قسي : ٤٤٩ .	بنو هاشم : ٤٩٦ ، ٤٩٧ .
بنو قتيقاع : ١٠٦ .	البورغونديين : ٣١٩ .
بنو عك : ٣٥٠ .	البورغونيون : ١١٧ .
بنو عمر بن تيملت : ٥١٣ .	البومبيون : ٢٤٠ .
بنو غومس : ٥١٩ .	البيزنطيون : ٨٠ ، ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢٢١ ، ٢١٧ .
بنو قسي : ٤٥٣ ، ٤٥٥ .	

حرف التاء

تشار : ٣٥٨ .	التولف : ٢٤٠ .
التجيبون : ٤٨٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ .	تيرغاش : ١٢٣ .
٤٩٨ .	تينملك : ١٢٥ .
الترك : ٥٤٩ .	
تهودة : ٢٢٨ .	

حرف الثاء

الثاليون : ١١٩ . | ثيف : ٤٤ .

حرف الجيم

الجاثيون : ٤٠٥ . | جراوة : ١٧٥ ، ١٧٧ .
 القبايل الجرمانية البربرية : ٢٥ . | جزولة (كزولة) : ١٢٣ .
 الجرمانيون (الشعوب الجرمانية) : | الجلالة : ٣٧٧ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٤ .
 ١١٩ ، ٢٤٠ ، ٣٥٠ .

حرف الحاء

الحثيون : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ . | الحمدانيون : ٥٤٧ .

حرف الخاء

الخوارج : ٩٩ ، ١٨٩ . | خولان : ٣٤٨ .

حرف الدال

الداسيون : ١١٨ .

حرف الراء

راح : ٥٥٤ . | الرومان : ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
 ٣١٨ . | رفجومه : ١٢٣ .
 الروم : ٨ ، ١٥ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ . | الروس : ١١ .

١٧٣، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧	٥٠، ٤٨، ٤٤، ٤٠، ٣٤، ٣٣، ٣٢
١٨٢، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٥، ١٧٤	٦٠، ٥٩، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣
١٨٧، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣	٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٥، ٦٤، ٦٣
٢١٧، ٢١١، ٢٠٩، ٢٠٤، ١٩٧	٨٣، ٧٩، ٧٧، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١
٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٢	١٠٨، ١٠٧، ١٠٣، ١٠٢، ٨٤
٢٩٧، ٢٥٧، ٢٣٥، ٢٣٣، ٢٣٢	١١٧، ١١٦، ١١٥، ١١٣، ١٠٩
٥٣٥، ٥٣٢، ٥٢٦، ٣٥٨، ٣٠٧	١٤٧، ١٤٤، ١٣٧، ١٣٤، ١٢٢
الروم البيزنطيون : ٣٦ .	١٦٢، ١٦١، ١٥٩، ١٥٨، ١٤٩

حرف الزاي

زناتة : ١٢٥، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٧	الزهريون : ٥٨ .
١٩٤، ١٩٥، ٥٨٠ .	زبيد : ٧٣ .
الزنج : ٤٧٤ .	الزبيدية : ٣٠٨ .

حرف السين

السلافيون (السلاف) (الشعوب	السارمانيون : ١١٩ .
السلافية) : ١١٩، ٣٣٦، ٣٣٩	الساسانيون : ٣٢ .
٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٤٠٦، ٤٢١ .	الساكسون : ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٦
سودانيون : ١١٣ .	٣٥٧ .
السوريون : ٢١، ٢٦ .	سانت ترويز : ٣٣٧ .
السوفية (شعوب) : ٢٤٠ .	الستيليكون : ٢٤٠ .

حرف الشين

الشيمة : ٤٧٥ ، ٥٧٦ ٥٠٤ .

الشامية : ٣٥٥ .

شعوب البحر : ٢٧ ، ٢٩ ، ١١٢ .

حرف الصاد

الصليبيون : ٣٤٧ .

الصقالبة : ٣١٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

صنهاجة : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٦٣ ،

٣٦٥ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥٣٣ ،

١٩٤ ، ١٩٥ ، ٥٢٥ .

٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٩ .

حرف الضاد

ضريبة : ١٢٣ .

حرف الطاء

طبيء : ٤٤ .

حرف العين

العرب : ١١٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٤٩ ،

العامريون : ٣٤٤ ، ٣٦٦ ، ٥٤٧ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ،

٥٧٨ .

٧٩ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ،

المبرانيون : ١١٢ ، ١١٣ .

٩٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ،

المعجم : ٢٤٩ ، ٢٦٣ ، ٢٨٧ ،

١٣٢ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،

٣٠٤ ، ٣٠٨ .

١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ،

عجبة : ١٢٣ .

١٥٠، ١٤٧، ١٤٦ ، ١٤٣ ، ١٤٢
 ١٦٨، ١٦٧، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨
 ١٧٦، ١٧٤، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩
 ١٨٣، ١٨٢، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨
 ١٩٦، ١٨٨، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤
 ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١٩٧
 ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥
 ٢١٦، ٢١٥، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١١
 ٢٤١، ٢٢٨، ٢٢٢ ، ٢٢١ ، ٢١٧
 ٢٥٠، ٢٤٨، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢
 ٢٦٦، ٢٦٢، ٢٥٩ ، ٢٥٨ ، ٢٥١
 ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٣ ، ٢١٨ ، ٢٨٢
 ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٢٣
 ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣ ، ٣٤١ ، ٣٤٠
 ٤٦١، ٤١٩، ٣٥٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٦
 ٥٣٧، ٥٣٦، ٥٢٨ ، ٤٧٦ ، ٤٧٣
 ٥٤٤، ٥٤٣، ٥٤٢ ، ٥٤١ ، ٥٣٨
 . ٥٤٦ ، ٥٤٥

. العلويون : ٤٩٢

. الموريون : ١١٢

. غنزة : ٢٢٧

١٨٠، ١٧٨، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧١
 ٢٠٤، ١٨٩، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١
 ٢١٧، ٢١٤، ٢١٣ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨
 ٢٦٢، ٢٥١، ٢٥٠ ، ٢٢٧ ، ٢١٨
 ٣٠٦، ٢٩١، ٢٧٤ ، ٢٧١ ، ٢٦٧
 ٣٣٣، ٣٣١، ٣١٨ ، ٣١٣ ، ٣٠٨
 ٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤١
 ٦٦٣، ٣٦٢، ٣٥٩ ، ٣٥٨ ، ٣٥٤
 ٤٤٩، ٤٤٨، ٤٣٦ ، ٤٣٢ ، ٤١٦
 ٥٢٥، ٥٠٩، ٥٠٢ ، ٤٩٨ ، ٤٥٠
 . ٥٧٨ ، ٥٦٤ ، ٥٦٠ ، ٥٣٨

. عرب الجزيرة : ١٢٣

. العرب الثمانيون : ١٤٧

. العرب المسلمون : ١١، ١٠، ٩، ٨

٤٨، ٣٤، ٢٧، ١٤ ، ١٣ ، ١٢
 ٦٤، ٦٣، ٥٩ ، ٥٣ ، ٥٠ ، ٤٩
 ٧١، ٧٠، ٦٩ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥
 ٨٤، ٨٢، ٨١ ، ٧٨ ، ٧٤ ، ٧٣
 ٩٣، ٩١، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٦ ، ٨٥
 ١٤٠ ، ١٣٦ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤

حرف الغين

. الفاسانة : ٢٣٤

. غمارة : ١٢٣

. الغاليون : ٣٥٠

. خافيون : ٣٥٠

حرف الفاء

٣٩٤، ٣٩١، ٣٩٠ ، ٣٨٨ ، ٣٨٧

٤٥٠، ٤٠٦، ٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٣٩٥

٥٣٥، ٥٢٥، ٤٩٦ ، ٤٨٤ ، ٤٧٣

٥٥٢، ٥٥١، ٥٤٧ ، ٥٤٦ ، ٥٣٦

الفرنسيون : ١١٦ ، ٤٠١ .

الفيزيقوط : ٣١٩ .

الفيزيقوطيون (وانظر القوط

الغربيون) : ١١٩ ، ١٢٠ ، ٢٤٠

٢٥٠ ، ٣١٨ .

الفيلستي : (انظر شعوب البحر) .

الفينيقيون : ١١٢ ، ٢٤٠ .

الفاطيون : ٤٩٧ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

الفلانج : ٣٢٠ ، ٣٣٢ .

الفاندال : ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٢٠

١٢١، ١٢٢، ١٣٠، ١٣٢، ٢٤٠ .

الفانداليون : ١١٧ .

الفراغة : ٢٠ .

الفرس : ١٥ ، ٢١٨ ، ٣٥٨ .

الفرنج : ١٤٥ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٦

١٨٩ ، ١٥٧ ، ٢٨٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩

٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣

٣٣٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦

حرف القاف

قضاة بن مالك بن حمير (قبيلة) : ١٠٦ .

القوط : ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦

٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠

القوط الشرقيون : ١١٧ ، ١٢١ ، ٢٤٠ .

القوط الغربيون : ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١

٢٤٠ ، ٣١٨ .

قيس : ١٠٧ .

القط : ٣٤ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٣ ،

٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ،

٧٣ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٩٧ ، ١٨٧ ،

٣٥٨ ، ٥٣١ .

القراطة : ٤٧٤ .

قرطاجيون : ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ٢٤٠ .

القرطيون : ٥٠٨ .

قريش : ٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٥٥٧ .

قضاة : ٤٣ ، ٩٨ .

حرف الكاف

الكاثوليك : ٣٣ ، ١٣٠ .	كتامة : ١٢٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .
الكارولنجيون : ٣٢٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٦ ،	كدميوه : ١٢٥ .
٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ،	كزوله : ١٢٤ .
٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٥ ، ٤٢١ ، ٥٢٦ .	الكنمانيون : ١١٢ .

حرف اللام

لخم : ٣٠٦ .	لواتة : ١٤٨ ، ١٤٩ .
لثونه : ١٢٤ .	لوامة : ١٢٣ .
لطة : ١٢٣ ، ١٢٤ .	اللومبارديون : ٣٢٠ .
لوا : ١٢٣ .	الليبيون : ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٩ .

حرف الميم

المالقيون : ٥٠٨ .	المسيحيون : ١٢٢ ، ٢٤٧ ، ٤١٧ ،
المجر (وانظر السلاف) : ٣٤٢ ،	٥٥٢ .
٤٢١ .	المستعربين : ٤٣٦ ، ٤٤٨ .
مجلس السوفيات الاعلى : ٨٦ .	مشكورة : ١٢٥ .
المجوسية : ١٦٣ .	المصامدة : ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٩٦ .
المرابطون : ٥٣٨ ، ٥٤٦ ، ٥٥١ ،	المصريون : ٩٧ ، ١١٢ ، ١١٣ .
٥٥٢ .	مصودة : ١٢٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ .
المروانية : ٣٠٨ .	المضرية : ٣٥٥ ، ٤٠٢ .
مسراته : ١٢٤ .	المكدونيون : ٢٢ .
المسيحية : ٣٢ ، ٣٤ ، ١٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ .	الملكيون (مذهب مسيحي) : ٣٣ .

مليلة : ١٢٣ .	موحدون : ٥٤٠ ، ٥٤٦ ، ٥٥٢ .
المالك : ٥٠٨ .	المولدون : ٤٣٦ ، ٤٤٨ ، ٤٥٣ .
المهاجرون : ٩٨ ، ١٠١ ، ١٤٧ ، ٢٥٢ .	المبروفنجيون : ٣٥٥ .
الموالي : ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ .	المبروفيون : ٣٢٠ .

حرف النون

النصارى : ١٥٦ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٩ .	نفوسة : ١٢٣ .
٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٣٦ ، ٥٢٦ .	نقره : ١٢٦ .
٥٢٩ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٤٦٧ ، ٥٧١ .	للنوب : ٥٨ ، ٥٩ .
٥٧٨ ، ٥٧٧ .	النوبة : ١٤٦ ، ٥٣١ .
النصرانية : ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ .	النورمان : ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٩ .
٥٣٨ .	٤٢١ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٦٨ ، ٥١٠ .
نفزوة : ١٢٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ .	٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ .
نفزاوة : ١٢٣ .	

حرف الهاء

مكسورة : ١٢٣ .	هوازن : ٤٤ .
منتانة : ١٢٥ .	الهون : ٣١٩ .
هواره : ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .	الهيكسوس : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ .

حرف الواو

الوثنية : ١٣٢ .
الوثنيون : ٢٥ ، ٣٠ ، ١٢٢ ، ٣٤٦ .
وربكة : ١٢٤ .
ولهاصة : ١٢٣ .

حرف الياء

اليهود : ٣٠ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٢٢ ،
٢٣٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ ،
٤١٧ .
اليونانيون : ١٧ ، ٢٧ ، ١١٢ ، ١١٣ ،
١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، ٢٣٩ ،
٢٤٦ .
اليواقبة : ٣٣ ، ٣٤ .
يمنية : ٣٥٥ .
اليمنيون : ٣٥٥ .
يهود البربر : ٢٤٧ .

الفهرس

٥ - الامداء . ٧ - المقدمة .

القسم الأول

الفصل الاول (١٥ - ٣٦)

وادي النيل عبر التاريخ

- ١٧ - الموقع والطبيعة الجغرافية . ١٩ - الحكم في مصر عبر التاريخ .
٢٢ - مصر في عهد البطالسة . ٢٤ - من البطالسة الى الرومان « بيزنطة » .
٢٩ - مصر عشية الفتح الاسلامي : (أ - الوضع الاجتماعي . ب - العلاقة بين بيزنطة والفرس . ج - المذاهب الدينية . د - التنظيم العسكري البيزنطي في مصر .

القسم الاول

الفصل الثاني (٣٧ - ٧٤)

فتح مصر

- ٣٩ - جدول توقيت الأحداث . ٤١ - النبوة . ٤٣ - القائد .
٤٥ - الخليفة عمر يوافق على فتح مصر . ٤٦ - في الطريق إلى مصر . ٤٨ - خطط الطرف المقابل . ٤٨ - الفرما ، بداية فتح مصر . ٤٩ - من الفرما إلى القواصر .
٤٩ - من القواصر إلى بلبيس . ٥٠ - أم دنين بعد بلبيس . ٥٣ - الحصار الطويل وسقوط بابلين . ٥٨ - اتفاقية الصلح . ٦٢ - في الطريق إلى الاسكندرية . ٦٤ - الكريون آخر معركة قبل الاسكندرية . ٦٥ - فتح الاسكندرية الأول . ٦٩ - خراب خربة وردان . ٧٠ - رابطة الاسكندرية .
٧٠ - فتح بركة وزويلة . ٧١ - فتح طرابلس . ٧٢ - فتح الاسكندرية الثاني .
٧٤ - تأمين الحدود الجنوبية لمصر .

القسم الاول

الفصل الثالث (٧٥ - ١٠٨)

النروس المستقاة من عمليات فتح مصر

- ٧٩ - اعطاء الأفضلية لمسارح العمليات ومحاور الهجوم . ٨١ - الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة . ٨٢ - المباغتة . ٨٣ - الحفاظ على الهدف . ٨٥ - وحدة القيادة . ٨٦ - كفاءة افراد القيادة العامة . ٨٨ - الهجوم . ٨٩ - اجبار الخصم على بعثرة قواته . ٩٠ - الحشد ومرونة الحركة . ٩١ - المطاردة . ٩١ - التمويه من مؤونة العدو نفسه . ٩٢ - الحرب النفسية . ٩٣ - التسليح . ٩٤ - الروح المعنوية للمقاتلين . ٩٥ - انشاء علاقات اجتماعية جديدة . ٩٨ - قراءات : عمرو بن العاص . ١٠٠ - الزبير بن العوام . ١٠٢ - عبد الله بن حذافة السهمي . ١٠٣ - خارجة بن حذافة العدوي . ١٠٤ - عمير بن وهب الجمحي . ١٠٦ - عقبة بن عامر الجهني . ١٠٦ - عبادة ابن الصامت الانصاري الخزرجي . ١٠٧ - مقتل الارطبون .

القسم الثاني

الفصل الاول (١٠٩ - ١٣٤)

افريقية الشمالية عبر التاريخ

- ١١١ - فينيقيا تشيد قرطاجة في افريقية الشمالية . ١١٣ - قرطاجة دولة عربية في افريقيا . ١١٥ - افريقية الشمالية تحت حكم الرومان . ١١٩ - الفاندال وحكم افريقية . ١٢١ - حكم بيزنطة في افريقية . ١٢١ - المعطيات البشرية . ١٢٤ - المعطيات الجغرافية . ١٣٠ - افريقية عشية الفتح الاسلامي : (آ - الوضع السياسي . ب - الوضع الديني . ج - الوضع العسكري) .

القسم الثاني

الفصل الثاني (١٣٥ - ١٩٨)

فتح افريقية

- ١٤٠ - معركة عقوبة « عبد الله بن سعد » : (آ - الفزوات الاستطلاعية .

ب - الاستعداد وقوى الطرفين . ج - حرب الاستنزاف والحرب النفسية .
د - الصلح مع النوبة . هـ - قمع حركة التمرد الاولى) . ١٤٧ - معركة الأجم
« معاوية بن حديج السكوني » : (آ - الوضع العام قبل المعركة . ب - عقبة
ابن نافع وفتوحه . ج - بيزنطة تحرض على الثورة المضادة . د - ابن حديج
مرة ثالثة في افريقية ومعركة الأجم . هـ - استئثار الظفر) . ١٥٢ - المد الكبير
« عمليات عقبة بن نافع » : (آ - الفتوح بين ٤٦ و ٦٢ هـ . ب - القيروان
قاعدة متقدمة للعمليات . ج - أبو المهاجر دينار وأعمال الفتوح . د - عقبة
يتابع ثانية فتوحاته . هـ - تهوذة المأساة ومقتل عقبة بن نافع ٦٣ هـ .
١٦٦ - معركة ممس « زهير بن قيس البلوي » : (آ - الوضع العام . ب - خطة
كسيلة . ح - المعركة الحاسمة . د - المطاردة واستئثار الظفر . هـ - العدوان
البيزنطي) . ١٧١ - القضاء على ثورة الكاهنة وتدمير قوة بيزنطة في قرطاجنة
« حسان بن النعمان » : (آ - الوضع العام . ب - الوضع الخاص . ج - الواجب
الأول « قرطاجنة » . د - الواجب الثاني « معركة نينى » وفشل محاولة
القضاء على ثورة الكاهنة) . ١٧٧ - القضاء على ثورة الكاهنة واستعادة قرطاجنة
٨١ - ٨٢ هـ : (آ - الوضع العام . ب - الكاهنة . ج - بيزنطة . د - العرب
المسلمون . هـ - مسيرة الأعمال القتالية . و - تصفية قاعدة العدوان « قرطاجنة » .
ز - القضاء على النفوذ البيزنطي في البحر « بناء تونس » . ١٨٨ - حرب القبائل
« موسى بن نصير » : (آ - الوضع العام . ب - المرحلة الأولى : تأمين قاعدة
الانطلاق . ج - التأمين البحري لافريقية « غزوة الأشراف » . د - اخضاع
القبائل المتمردة .

القسم الثاني

الفصل الثالث (١٩٩ - ٢٣٦)

فن الحرب وفتح افريقية والمغرب

٢٠٤ - الانطلاق من قواعد أمنية . ٢٠٥ - تحديد الأولويات على مسارح

العمليات . ٢٠٦ - المباغلة . ٢٠٨ - التنسيق بين العمليات البرية والبحرية .
٢٠٩ - الاهتمام بالشؤون الادارية . ٢١١ - الأمن والاستطلاع . ٢١٢ - الحرب
النفسية . ٢١٤ - كفاءة القيادة . ٢١٥ - الروح المعنوية و ارادة النصر .
٢١٧ - إقامة علاقات عامة جيدة . ٢١٩ - دروس النكسات .
٢٢٣ - قراءات : آ - عبد الله بن سعد بن أبي سرح . ٢٢٥ - معاوية بن
حديج السكوني . ٢٢٦ - عقبة بن نافع الفهري . ٢٢٨ - أبو المهاجر دينار .
٢٣٠ - عبد الله بن الزبير بن العوام . ٢٣١ - بسر بن أرطاة . ٢٣٣ - زهير بن
قيس البلوي . ٢٣٤ - حسان بن النعمان .

القسم الثالث

الفصل الاول (٢٣٧ - ٢٥٢)

فتح الأندلس

٢٣٩ - الموقع والطبيعة لجغرافية . ٢٣٩ - المعطيات البشرية . ٢٤١ - المناخ .
٢٤٢ - الثروة الطبيعية . ٢٤٣ - الموقف عشية الفتح الاسلامي : (آ - التاج .
ب - السلك . ج - علاقة السكان باليهود . د - علاقة حاكم سبته بملوك
الأندلس . هـ - الأسطورة في خدمة قضية الفتح) .

القسم الثالث

الفصل الثاني (٢٥٣ - ٣١٤)

المرحلة الاولى من فتح الاندلس

٢٥٧ - من العبور حتى معركة وادي لكة ، « التمهيد للفتح » .
٢٥٩ - الغزوات الاستطلاعية . ٢٦٢ - الانزال في الأندلس . ٢٦٣ - معركة
وادي لكة . ٢٦٦ - نتائج المعركة . ٢٦٧ - استثمار الظفر .

المرحلة الثانية من فتح الاندلس

٢٧٣ - عمليات موسى بن نصير . ٢٧٦ - فتح اشبيليا . ٢٧٧ - التوقف
عند ماردة . ٢٧٩ - قمع حركة التمرد في اشبيليا . ٢٧٩ - معركة السواقي .

٢٨٢ - معاودة فتح طليطلة . ٢٨٣ - فتح سرقسطة وفتح الشمال . ٢٨٩ - فتوح شمال غرب الأندلس «جيلية» . ٢٠٢ - فتح عبد العزيز بن موسى في الأندلس . ٢٩٤ - قراءات : موسى بن نصير اللخمي . ٢٩٦ - طارق بن زياد . ٢٩٧ - مغيب الرومي . ٢٩٨ - عبد العزيز بن موسى بن نصير . ٣٠٠ - نهاية موسى بن نصير . ٣١١ - مصير أولاد غيطشة بعد الحرب .

القسم الثالث

الفصل الثالث (٣١٥ - ٣٥٠)

الفتوح في عهد الولاة

٣١٨ - فرنسا «الغال» عند فتح العرب للأندلس . ٣٢١ - يوم التروية . ٣٢٥ - مأساة غنسة بن سحيم الكلبي . ٣٢٦ - معركة بواتيه «بلاط الشهداء» . ٣٣٣ - معركة بواتيه في التاريخ . ٣٣٦ - المحور الخامس ، والقاعدة المتقدمة في ايطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا . ٣٤٥ - حول عمليات المحور البحري . ٣٤٨ - قراءات : السمح بن مالك الخولاني . ٣٤٩ - غنسة بن سحيم الكلبي . ٣٥٠ - عبد الرحمن الغافقي .

القسم الرابع

الفصل الاول (٣٥١ - ٣٩٥)

الدولة الأموية في الأندلس

٣٥٣ - الوضع العام . ٣٥٥ - الوضع على الجبهة الشمالية . ٣٦١ - الوضع الداخلي . ٣٦١ - عبد الرحمن الداخل في الأندلس : (أ - الإصلاحات وإعادة التنظيم - تشكيل الجيش المحترف . ب - استراتيجية الردع - تنظيم الصوائف وحماية الثغور . ج - سياسة الاحلاف . د - عبد الرحمن الداخل وبناء الدولة . ٣٧٠ - هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الهجمات الوقائية : (أ - العمليات في جيلية . ب - العمليات في ناربون وأكيتانيا . ج - معاودة نقل محور ثقل العمليات الى جيلية - موقعة الصخرة) . ٣٨٣ - الحكم بن هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الردع : (أ - الوضع العام . ب - الوضع الخاص .

ج - مسيرة الأعمال القتالية : ١ - الهجوم الوقائي الأول . ٢ - سقوط برشلونه .
٣ - استعادة تطيله . ٤ - هجوم وقائي جديد . ٥ - استراتيجية الردع -
معركة وادي الحجارة . ٦ - اخضاع التمرد في طليطلة . ٧ - تطوير
عمليات الردع .

القسم الرابع

الفصل الثاني (٣٩٧ - ٤٦٥)

عهود الفتنة والاضطراب

٣٩٩ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، والهجمات الوقائية واستراتيجية
الردع . ٣٩٩ - عملية الردع الأولى . ٤٠١ - استعادة السيطرة على اراغون .
٤٠١ - عمليات الردع لحماية الثغور . ٤٠٣ - العمليات في جيلقية . ٤٠٥ - ازال
النورمان في الأندلس . ٤٠٨ - عمليات الردع ضد جزر مينورقه ، ميورقه ،
يابسه ، جزر الباليئار ، ٤١٣ - ثورة ماردة . ٤١٥ - الفتنة الطائفية .
٤١٨ - محمد بن عبد الرحمن وحروب الاستنزاف . ٤٢١ - احباط عملية السبر .
٤٢٢ - عمليات الردع الخارجية : (آ - معركة وادي سليط . ب - مجابهة
غزو النورمان . ج - عمليات الردع في الشمال . د - الثورات المضادة في عهد
الأمير محمد بن عبد الرحمن . هـ - ثورة عمر بن حفصون . ٤٤٧ - حروب
الاستنزاف واستمرار الثورات المضادة : (آ - عناصر الثورات المضادة .
ب - نشوء مملكة نافار ، أو البشكنس . ج - نشوء مملكة جيلقية -
اشتوريش ، ثم ليون) .

القسم الرابع

الفصل الثالث (٤٦٧ - ٥٨٠)

عصر القوة في الأندلس

٤٧١ - الردع في عهد عبد الرحمن الثالث . ٤٧١ - غزاة موبش : (الوضع
العام : آ - الموقف في الشمال . ب - الموقف في الدولة العباسية . ج - الموقف
في بيزنطة . د - الموقف على الحدود الجنوبية للأندلس) . ٤٧٥ - الوضع الخاص .

٤٧٩ - غزوة موبش - مسيرة العمليات . ٤٨٥ - غزوة بنبولنه : (١ - الوضع الخاص قبل المعركة . ٢ - مسيرة الأعمال القتالية) . ٤٩٥ - معركة الخندق « غزاة القدره » : (١ - الوضع العام . ٢ - الوضع الخاص . ٣ - مسيرة الأعمال القتالية . ٤ - نتائج المعركة . ٥٠٢ - الردع في عهد « الحكم المستنصر » : (الوضع العام : آ - الموقف في دول الشمال . ب - الموقف في الجنوب) . ٥٠٧ - الوضع الخاص . ٥١٠ - الأعمال الاستفزازية وعمليات الردع المضاد . ٥١٢ - احباط غزو النورمان . ٥١٣ - عملية الردع في غزو « غرماج » : (آ - التحدي . ب - الهجوم الفادر الثاني . ج - مؤتمر الحرب . د - العرض والاستعراض . هـ - الاعداد للمعركة الحاسمة . و - المعركة الحاسمة . ز - استثمار الظفر . ح - معركة ثانوية على أبواب سرقسطة) . ٥٢٢ - تصعيد استراتيجية الردع في عهد الحاجب المنصور . ٥٢٢ - قتال مستمر . ٥٢٨ - معركة شنت ياقب : (آ - الوضع العام . ب - الوضع الخاص . ج - مسيرة العمليات) . ٥٣٣ - منجزات الحاجب المنصور وأسلوب عمله . ٥٣٧ - الغزو المضاد مابعد المنصور وبداية حركة الاسترجاع . ٥٣٨ - دير كلوني قاعدة تنظيمية في الحرب الصليبية . ٥٣٩ - اجتماع كليرمونت وعلان الحرب الصليبية . ٥٤٠ - استراتيجية حركة الاسترجاع . ٥٤٢ - المنطلقات الأساسية لاستراتيجية الاسترجاع . ٥٤٧ - الحرب الصليبية في الشرق والغرب . ٥٥٤ - قراءات : عبد الرحمن الداخل . ٥٥٩ - هشام بن عبد الرحمن . ٥٦١ - الحكم بن هشام . ٥٦٣ - عبد الرحمن بن الحكم . ٥٦٥ - محمد بن عبد الرحمن . ٥٦٦ - المنذر بن محمد . ٥٦٧ - عبد الله بن محمد . ٥٦٩ - عبد الرحمن بن محمد . ٥٧٤ - الحكم المستنصر . ٥٧٨ - الحاجب المنصور . ٥٨١ - آثار العرب في الاندلس . ٥٩١ - ملحق الكتاب .



هذا الكتاب

موسوعة تاريخية عسكرية تقدم لك المعرفة بتاريخ الأمة العربية وأعمال الفتوحات العظمى التي عاشتها على امتداد أربعة عشر قرناً من عمر الزمن هو تاريخ الأمة العربية الإسلامية منذ أن أضاءت الدنيا وأشرقت برسالة الإسلام وحتى اليوم.

• تبرز الحنكة العسكرية والإدارية التي تميز بها القائد المسلم بحسه العربي الذي فطر عليه في تطبيق مبادئ الحرب في الاستراتيجية والتنفيذ في ميدان المعركة، وفي فن القيادة وكفاءتها والروح المعنوية العالية للمقاتلين سواء بسواء في الحروب النظامية أو الحروب الثورية الداخلية وقمع الفتن بإيمان راسخ بنصر من الله وتأييده.

• تشمل:

□ عهود الخلفاء الراشدين والامويين للأعمال القتالية في الشمال والشرق والغرب والأندلس وجنوب أوروبا والغزوات البحرية.

□ الجهاد على جهة الروم في العهد العباسي وعلى تغور الهند والحروب البحرية وغزو التتار لبلاد الإسلام وتمزيق قواتهم في معركة عين جالوت

□ الغزو الصليبي لبلاد الإسلام في الحملات الصليبية المتتالية ومعركة حطين وتحرير القدس وطرد الصليبيين الفرنج وتصفية وجودهم في الشرق.

□ ظهور العثمانيين وحملهم راية الجهاد وفتح القسطنطينية والتوغل في أوروبا شمالاً وغرباً والتوسع في آسيا والحروب مع روسيا

• مرجع هام يحتاج إليه:

□ تلميز التاريخ وأستاذة

□ العسكري في ممارسته لفنه وعلمه

□ المؤرخ في تقصيه للحقائق التاريخية

□ كل مواطن عربي تواق للاستزادة بمعرفة تاريخ امته